

شرح

# ثلاثيات مسند الإمام أحمد

تأليف

العلامة الشيخ محمد السفاريني الحنبلي

الجزء الأول

زهرة الشايشين

المكتب الاسلامي

جميع الحقوق محفوظة

المكتب الإسلامي

المكتب الإسلامي

بيروت: ص.ب ٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقية: اسلاميادمية  
دمشق: ص.ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقية: اسلامي

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه تقي وعليه توكلني

الحمد لله الذي شرح صدور أهل الحديث لحفظه ، وجعلهم أوعية لادراك دقائق معانيه وتحديد حقائق لفظه ، فهم مصايح الهدى ، وقدوة لمن اقتدى ، فمن بهديهم اهتدى فقد أخذ بمحظه ، فسبحان من ذلل لهم سبل الحفظ والفهم ، وسهل عليهم استنباط الفقه والعلم ، ولم يصعب عليهم بفنظه (١) وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله . فمن زعم شيئاً من ذلك أب بهظه (٢) وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وحيييه وخليته الذي شج رأس الشرك وقمعه بدلظه (٣) ، نبي أرسله الله على حين فترة من الرسل ، وقد طبق الشرك السيل ، وأظلمت الأرض بكظفه ومظه (٤) ، فلم من الجهالة وهدى من الضلالة ، وبذل المجهود في تجريد توحيد المعبود ، بحاله وقاله وردعه ووعظه ، فنبسب الدين بمد عبوسه ، وتلاؤماً بمد طموسه ، وظهر بمد دروسه ، ورقص بمد حزنه بقظه وبظه (٥) صلى الله عليه وسلم صلاة وسلاماً دائماً ما نانس حافظ بمحفظه ، وعلى آله وأصحابه وأصهاره وأحبابه وأنصاره وأحزابه الذين انكش بهم الشرك بمكظفه (٦) ، وانتشر التوحيد وابتهج بهم بمد اندراسه ولظه (٧) ، واكتحل بهم جفن الدين بمد عموشه وجحظفه .

(١) النفض : الكرب والمهم اللازم . (٢) بهظه الأمر : غلبه .

(٣) اللفظ : الضرب والدفع في الصدر .

(٤) الكظف : الكرب والجهد . والمظ والمظاظة : شدة الخلق ومظاظته .

(٥) النفض : القطع . والبظ : يقال : بظ الشيء : حرك أوتاره .

(٦) المكظف : الجبس والقهر . (٧) اللظ : الطرد .

أما بعد فإن أولى ما يبصر في تحصيله الزمان ، وأجد ما يدأب في إدراك تأويله العاقل في كل عصر وآن ، وأحرى ما ينافس في نبه ذو اللب والجنان ، وأحق ما ينفق فيه العمر عند ذوي العرفان ، العلم النافع والعمل الصالح ؛ إذ بها فوز كل فائز وإفلاح كل فالح ، ولا شك أن العمل ثمرة العلم ، كما أن التصوير ثمرة الفهم ، فرجعت السعادة والسيادة الى تحصيل المعلوم التي هي من مشكاة الرسالة مستفادة .

وقد مكثت برهة من الدهر وحيناً طويلاً انقضى فيه معظم العمر وأنا أم وأعزم وأتردد وأحزم وأقدم رجلاً وأؤخر أخرى لعدم علمي بالأحق والأحرى وذلك هم والترديد والجمع والتفنيد لأشرح ثلاثيات « المسند » الواقعة فيه لحضرة سيدنا وإمامنا الإمام أحمد رضوان الله عليه . فمضى على ذلك الحقب وصنفت في زمن ترديدي عدة من الكتب . وأنا متردد بين الاقدام والاحجام لقصور شأوي عن إدراك مثل هذا المقام ، ثم إنني قلت : قصارى أمري أن أعلق فوائد من الكتب المتداولة ، وليس لي من ذلك إلا أجر المناولة ، فاستخرت الله وعزمت على شرحها ، ووقفت على أبواب كرمه تعالى ، فمن سبحانه بفتحها ، هذا مع فقدي جل المواد وتمنذر وجود الخلل المواد ، واشتغال البال بالبلابل والهموم وتشويش الخاطر بالقلقل والضموم ، كيف لا ، والوقت قد اكفر وجهه بالقت ، واشمخر أنفه بالجبه والبهت ، ولم يبق من آثار هذا البيان إلا حكايات تزين بها الطروس كككان وكان ، والعلم قد أفلت شموسه وتقوضت محافله ودروسه ، وربما المأهول أمسى خالياً ، وواديه المأنوس أضحي موحشاً داوياً ، وغصنه الرطيب غدا ذاوياً ، وورده القشيب صار بالياً ، فالعالم الآن قلت مضاربه ، وضائق مطالبه ، وعالت معاطيه وسددت مذاهبه ، فليس له في هذا الزمان ومنذ أزمان إلا الالتجاء الى عالم السر والاعلان ، فهو الذي يمطي ويمنع ويخفض ويرفع ، ويرزق الجنين في ظلمة الحشا سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء .

جری قلم القضاء بما يكون  
فسيان التحرك والسكون  
جمنون منك أن تسمى لوزق  
ويرزق في غشاوته الجنين

فلا جرم ذهبت الراحة والسرور والبهجة والخبور ، مع الرعيد الأول  
والسرب الذي عليه المول ، ولم يبق لأبناء هذا العصر إلا الشدة والحصر ،  
والندم والتأسف والتأوه والتلف ، والاشتغال بالقيـل والقال ، وإضاعة العمر في  
الاهو والهمال ، وإذا كان الزمان قد فسدت ملوكه وتهتك صلوكه ، وضل طاله  
وجار حاكمه ، وبخل مياسيره وانكش مشاهيره ، ولم يبق من الكرم إلا اسمه  
ومن العلم إلا رسمه ، ومن المدل إلا ذكره ، ومن البذل إلا حكره ، ومن  
المساواة إلا حكاياتها ، ومن المواخاة إلا نكاتها ، وكلع في وجوه أهل العلم وعيس  
وأعرض عن إنصافهم ونكس ، ومال لأهل المال ، وذهب مع أهل الذهب والحال  
فلا لوم على العالم إن خمدت ناره ، وانطمست آثاره ، وخفيت شارته ، وبردت  
شراوته ، وصار بعد أن كان متبوعاً تابعاً ، وصار جلس بيته واقفاً ، وذوي غصن  
عزمه بعد أن كان يانما ، وفل فرند حزمه بمد كونه قاطما . ولكن لا بد في كل  
عصر ومصر للدين من حملة ، وللعلم من نقلة ، لقوله ﷺ : « لا يزال طائفة من  
أمي على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك »  
متفق عليه من حديث المفيرة بن شعبة رضي الله عنه . ويبدل عليه ما رواه  
الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وحسنه أن رسول الله ﷺ قال :  
« مثل أمي مثل المطر لا يدرى أوله خير أو آخره » ، قال الامام المحقق ابن القيم في  
كتابه « مفتاح السعادة » : فلو لم يكن في أواخر الأمة قائم بمحجج الله مجتهد ، لم  
يكونوا موصوفين بهذه الخيرية . قال : وأيضاً فإن هذه الأمة أكمل الأمم وخير أمة  
أخرجت للناس ، ونبيا خاتم النبيين لا نبي بعده ، فجعل الله العلماء فيها كلاً  
مات عالم خلفه عالم ، لثلا تطمس معالم الدين وتحفى أعلامه ، وكان بنو اسراييل

كما هلك نبي خلفه نبي ، فكانت تسوسهم الأنبياء ، والعلماء لهذه الامة كالانبياء .  
 في بني اسرائيل . وفي الحديث الآخر : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ،  
 ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » . وهذا يدل على  
 أنه لا يزال معمولاً في القرون قرناً بعد قرن . وفي صحيح أبي حاتم بن حبان  
 من حديث الخولاني قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزال الله يفرس في هذا  
 الدين غرساً يستفلمهم في طاعته ، وغرس الله هم أهل العلم والعمل ، فلو خلت  
 الارض من عالم خلت من غرس الله . ولهذا القول حجج كثيرة جداً والله أعلم .

فلا جرم بعد ، عزمنا بعد التردد ، وجزمنا بعد التقييد ، على شرح  
 ثلاثيات مسند مولانا وقدوتنا وإمامنا وعمدتنا الامام أحمد بن محمد بن حنبل إمام  
 كل حنبلي ، مما أخرجه الامام العالم المحقق مجد الدين إسماعيل بن عمر المقدسي  
 والامام الحافظ ضياء الدين المقدسي رحمهما الله تعالى . وإنما كثر ترددي وتقاعبي  
 عن ذلك لعدم من تقدمني لشرحها مع قصور همتي وقلة موادي ، وتمذر موادي  
 وخمود فكري واشتغال خلدي ، وعزة الموادي ببلدي ، غير أنني اعتمدت فيما  
 نحيته من الدليل والتعليل ، على الجواد الفتح فانه حسي ونعم الوكيل ،  
 وصيحه :

نفثت صدر الكمد ، وقوة عين الأرمذ لشرح

ثلاثيات مسند الامام أحمد

رضي الله عنه

ولأقدم أمام المقصود مقدمة تشتمل على ثلاثة مقاصد وخاتمة .

المقصد الاول : في ترجمة سيدنا ومولانا وإمامنا وقدوتنا ومتبوعنا وعمدتنا

الامام أحمد رضي الله عنه .

هو الامام العلم الحجة المهتد البارح الحافظ الضابط المتقن الورع الزاهد  
 الناسك المابد عالم الاسلام وكهف الدين ، ناصر السنة وإمام المتقين ، قامع  
 البدعة وشجا المبتدعين ، داحض الحجج الباطلة ، ومزيف المذاهب الماطلة ،  
 العالم الرباني ، والصدیق الثاني ، الامام المبجل ، والحبر المفضل ، أبو عبد الله  
 الامام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن ادریس بن عبد الله بن حیان  
 ابن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شیبان بن ذهل بن ثعلبة بن  
 عکابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمی  
 ابن جدیلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان یجمع نسبه مع نسب  
 النبي ﷺ في نزار تاسع عشر أجداده ﷺ .

وأبناء نزار أربعة : مضر وریعة وإیاد وأمار ، ومنهم تشعبت بطون  
 العرب كلها ، قالني ﷺ من ولد مضر بن نزار ، والامام أحمد رضي الله عنه  
 من ولد ربيعة بن نزار . قال ابن قتیبة في المسارف : وأما مضر وریعة فالیها  
 ینسب ولد نزار ، وهما الصریح من ولد اسماعیل . انتهى .

فالامام أحمد من صمیم العرب ومن صریح ولد اسماعیل ، فان المشهور أن  
 عدنان بن أد بن أدد الهمیسع بن حمل بن النیت بن قیدار بن اسماعیل بن ابراهیم  
 خلیل الرحمن علیه الصلاة والسلام .

وكان أبو إمامنا محمد بن حنبل والي سرخس من أبناء الدعوة العباسية ،  
 توفي وله ثلاثون سنة . وأم الامام أحمد رضي الله عنه شيبانية أيضاً ، واسمها صفية  
 بنت ميمون بن عبد الله الشيباني من بني عامر ، كان نزل محمد بن خليل بهم  
 قنزوحها ، وجدها عبد الملك بن سوادة بن هند الشيباني من وجوه بني شيبان  
 تنزل به قبائل العرب للضيافة ، فحاز الامام أحمد رضي الله عنه شرف النسب ،

وكل له بأصله أتم الشرفين ، فهو الامام أبو عبد الله الذهلي ثم الشيباني المروزي  
ثم البغدادي .

خرج من مرو وهي من أعمال خراسان وهو حمل ، فولد ببغداد سنة أربع  
وستين ومائة في شهر ربيع الأول ، وكان ربعة حسن الوجه ، وخضب رأسه  
ولحيته وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وكان يخضب بالحناء خضاباً ليس بالقاني ،  
وكان في لحيته شمرات سود : وكانت ثيابه بيضاء ، يلبس العمامة والازار ويلبس  
الغليظ الأبيض من الثياب ، وربما لبس قميصاً وفرواً ، وربما لبس القرو فوق  
الجبة في البرد الشديد ولبس العمامة فوق القلنسوة ، وربما لبس القلنسوة بنير  
عمامة ، ولبس السراويل والرداء ، وكثيراً ما كان يتوشح فوق القميص ، ولم  
يلبس طيلساناً قط . قال الراوي : ولم أره أرخى كماً في مشيته قط ، وكانت  
سراويله فوق كعبيه ، وكان لا يخوض في شيء من أمور الناس ، وكان ذا وقار  
وسكينة ، من أحيا الناس وأكرمهم نفساً وأحسنهم عشرة وأدباً ، كثير  
الاطراق والنض ، معرضاً عن القبيح والفحش لا يسمع منه إلا المذاكرة بالحديث  
وذكر الصالحين . قال أبو داود : كانت مجالسة الامام أحمد مجالسة آخرة  
لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا ، وما رأيت ذكر الدنيا قط . وقال ثعلب في  
صفته : رأيت رجلاً كأن النار توقد بين عينيه . وكان رضي الله عنه يحب  
الفقراء ويعرض عن أهل الدنيا ، ويجلس للفقهاء فلا يتكلم حتى يسأل ، يجلس  
حيث انتهى به المجلس ، ولا يتصدر ولا يمد رجله إكراماً لجليسه ، وكان حسن  
الخلق دائم البشر لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ، يحب في الله ويبغض في الله ،  
لا تأخذه في الله لومة لائم ، حسن الجوار يؤذى فيتحمل ، وكان أصبر  
الناس على الوحدة فما كانت يرى إلا في مسجد أو حضور جنازة أو  
عياده مريض ، وكان يكره المثني في الأسواق ، وكان يقول : أشتهي ما لا يكون



أشتهى مكاناً ليس فيه أحد . وكان يقول : الخلوة أروح لقلبي . وكان متمسكاً  
في دينه بالحديث والآثار ، قامعاً لذوي البدع والأشرار ، وهو الذاب عن السنة  
الصابر في الهنة .

وقد روى الامام أحمد رضي الله عنه عن أئمة أخيار ، وروى عن أئمة  
أبرار ، ابتداءً في طلب العلم سنة تسع وسبعين ، فكان يتأسف على عدم اجتماعه  
بالامام مالك ، وكان يقول : فاتي مالك فأخلف الله عليّ سفيان بن عيينه ، وفاتي  
حماد فأخلف الله عليّ اسماعيل بن عليّة .

فروى عن سفيان بن عيينه ، ومحمد بن إدريس الشافعي . ويزيد بن هارون  
ويحيى القطان ، و ابراهيم بن سعد ، وهيثم ، ووكيع ، وابن عليّة ، وعبد الرحمن  
ابن مهدي ، وعبد الرزاق الصنعاني ، وجرير بن عبد الحميد ، وممتر بن سليمان  
وأبي عاصم النبيل ، وعبد المؤمن بن عبد الله ، وخلاتق لايحصون ، ذكرهم ابن  
الجوزي وغيره على حروف المعجم ، سمع منهم بمكة والمدينة والبصرة والكوفة  
وبغداد واليمن والجزيرة ، وخرج الى اليمن والى طرسوس ماشياً ، وشارك الامام  
الشافعي في اكثر شيوخه .

وروى عنه من الأئمة ما يسر استقصاؤهم إن لم يتمذر ، حتى روى عنه  
كبار مشايخه ، منهم الامام الشافعي وعبد الرزاق الصنعاني وعبد الرحمن بن  
مهدي ويزيد بن هارون ويحيى بن آدم وأبو الوليد وقتيبة بن سعيد ومعروف  
الكرخي وعلي بن المديني ، وروى عنه أيضاً البخاري ومسلم وأبو داود و ابراهيم  
الحربي وأبو زرعة الرازي وأبو زرعة الدمشقي وأبو بكر الأثرم وأبو  
بكر بن أبي الدنيا وأبو القاسم البغوي ومحمد بن إسحق الصاعاني  
وأبو حاتم الرازي وأحمد بن أبي الحواري وموسى بن هارون وحنبلي بن

إسحاق و عثمان بن سعيد الدارمي و ولده صالح و عبد الله ، و المروزي (١) و خلّاق  
كثيرون ذكرهم الحافظ ابن الجوزي على حروف المعجم . وهو النهاية  
في الحفظ . فكانت كتبه رضي الله عنه اثني عشر حملاً . و كان يحفظها كلها  
عن ظهر قلب .

قال عبد الله بن الامام أحمد : سمعت أبا زرعة يقول : كان أبوك يحفظ  
ألف ألف حديث . و قيل لأبي زرعة : من أحفظ مشايخ الحديث ؟ قال : أحمد .  
و قال عبد الوهاب الوراق : ما رأيت مثل أحمد بن حنبل . قالوا له : وأي شيء  
بان لك من فضله و علمه على سائر من رأيت ؟ قال : رجل سئل عن ستين ألف  
مسألة فأجاب فيها بـ د حدثنا ، و د أخبرنا .

و قد أكثر أئمة الاسلام و علماء الأئمة من الثناء عليه و بانوا في تعظيمه  
بما هو أهله و لا سيما الامام الشافعي رضي الله عنه فانه قال : خرجت من بغداد  
و ما خلفت بها أحداً أروع و لا أتقى و لا أفقه و لا أعلم من أحمد بن حنبل .  
و قال أيضاً : ما خلفت في العراق أحداً يشبه أحمد .

و قال الربيع : قال لنا الشافعي : أحمد إمام في ثمان خصال ؛ إمام في  
الحديث ، إمام في الفقه ، إمام في اللغة ، إمام في القرآن ، إمام في الفقر ، إمام  
في الزهد ، إمام في الورع ، إمام في السنة .

و قال أيضاً : عجبت لصغير لا يقول شيئاً إلا صدقه الكتاب وهو أحمد .

و حدث الشافعي عن الامام أحمد فقال : أنبأنا الثقة من أصحابنا

- يعني أحمد - .

---

(١) من كان من حمر و الشروذ يقال له : المروذي أو الموروذني . وهي  
أشهر مدن خراسان . و أما من كان من مرو الشاهجان فيقال له : مروزي ،  
و أصحاب أحمد كلا البلدين .

وقال الشافعي لأحمد : يا أبا عبد الله إذا رأيت الحديث الصحيح فأخبرني حتى أذهب إليه . وفي رواية قال الشافعي لأحمد : أنت أعلم بالأخبار الصحاح منا ، فإذا كان خبر صحيح فأعلمني به حتى أذهب إليه كوفياً كان أو مصرياً أو شامياً . نقل ذلك البيهقي وابن الجوزي وغيرها .

وقد قال علي بن المدني : اتخذت أحمد إماماً فيما بيني وبين الله تعالى . وقال : إذا أفتاني أحمد بن حنبل لم أبال إذا لقيت ربي كيف كان . وقال أيضاً : أحمد سيدنا . وقال : حفظ الله أحمد هو اليوم حجة الله على خلقه . وقال أيضاً : أعز الله هذا الدين برجلين لا ثالث لهما ، أبو بكر الصديق يوم الردة ، وأحمد بن حنبل يوم الحنة . وقال أيضاً ما قام أحمد بالاسلام بمد رسول الله ﷺ ما قام أحمد . فقيل له : ولا أبو بكر ، فقال : ولا أبو بكر ، فانه كان له أعوان ولم يكن لأحمد أعوان . وأثنى عليه ابن معين ثناء حسناً وكذا الأئمة من أشياخه وأقرانه وغيرهم . وعلى كل حال ، مها قلنا في حقه من الثناء فهو بمض ما قال فيه أئمة الدين من فحول الرجال . فكان يجيئ الليل وهو غلام ، وكان يصوم النهار ويمجس الفطر ، ويصلي الى الصباح ويوتر بركمة ، وكان يصلي كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة فلما ضف صلي مائة وخمسين . قال عبد الله ابن الامام أحمد : لما كبر أبي زاد في الاجتهاد<sup>(١)</sup> .

وكان له كرامات ظاهرة منها ما رواه أبو يعلى الحنبلي أن الخليفة المتوكل أرسل الى الامام أحمد صاحباً له يمله أن له جارية بها صرع ، ويسأله أن يدعو الله لها بالمافية ، فأخرج الامام أحمد له نمل خشب بشراك من خوص وقال له : تمضي الى دار أمير المؤمنين وتجلس عند رأس الجارية وتقول له :

(١) يريد الاجتهاد في العبادة .

- يعني الجني - قال لك أحمد : أيها أحب اليك أن تخرج من هذه الجارية أو تصفع بهذا النمل سبعين ، فضى اليه وقال مثل ذلك ، فقال له المارد على لسان الجارية : السمع والطاعة ، ولو أمرنا أحمد ألا نقيم بالعراق ما أقننا ، لأنه أطاع الله ورسوله ، ومن أطاع الله تعالى أطاعه كل شيء ، وخرج من الجارية ورزقت أولاداً ، فلما مات أحمد عاودها المارد ، فأرسل المتوكل الى أبي بكر المروزي صاحب الامام أحمد وعرفه بالحل ، فأخذ المروزي النمل ومضى الى الجارية . فكلمه المفريت على لسانها : لا أخرج من هذه الجارية ولا أطعمك ولا أقبل منك ، أحمد أطاع الله فأمرنا بطاعته . انتهى . وقد أشار في « الفروع » في صلاة الجماعة الى هذه الحكاية ، ونقلها شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وذكرها في « الفروع » و« المهدي » عن شيخها ابن تيمية روح الله روحه : من مثل ما يقضي العجب . والله أعلم .

ومن منشور كلام الامام أحمد رضي الله عنه ومنظومه :

بدر كل خير هممت به قبل أن يمرض لك عائق . وقال : أشبه الشباب بشيء كان في الكرم فسقط . لكل شيء كرم وكرم القلوب الرضى عن الله تعالى . عزيز علي أن تذيب الدنيا أكباد رجال وعت صدورهم القرآن . انور الخير فانك لا تزال بخير ما نويته . وسئل عن الحب في الله فقال : هو أن لا تحبه لدنيا ، وسئل لم لا تصحب الناس ؟ قال : خشية العراق . وسئل بم تلين القلوب ؟ قال : بأكل الحلال . وسئل عن الفتوة فقال : ترك ما يهوى لما يخشى . وسئل بم بلغ القوم المدح ؟ قال : بالصدق .

ومن شعره ما روي أنه دخل عليه أحمد بن يحيى المعروف بثعلب - وهو

من أصحابه - فقال له : فيم تنظر ؟ فقال : في النحر والعمية . فالتفت إليه الإمام  
أحمد رضي الله عنه :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل  
ولا تحسبن الله يفتل ساعة  
لهونا عن الأيام حتى تناهت  
فيا ليت أن الله يفر ما مضى  
خلوت ؛ ولكن قل علي رقيب  
ولا أن ما يخفى عليه يئيب  
ذنوب على آثارهن دنوب  
وبأذن في توباتنا فتوب  
وفي رواية أخرى أنه قال : ما الذي تطلبه من العلم ؟ فقال : التواقي  
والشعر . قال : وددت أني قلت له غير ذلك ، ثم ذكر الأبيات وزاد :

إذا ما مضى القرن الذي أنت فيهم  
وسمع يوماً يقول :  
تفى اللذادة ممن نال صفوها  
تبقى عواقب سوء من مغبتها  
من الحرام ويبقى الإثم والمار  
لا خير في لذة من بعدها النار  
وقال رضي الله تعالى عنه للإمام علي بن المديني لما أجاب في الهنة وكان  
مكرها رحمه الله تعالى :

يا ابن المديني الذي عرضت له  
ماذا دعاك الى انتحال مقالة  
أمر بدا لك رشده فنبهته  
ولقد عهدتك مرة متشددا  
دنيا فجاد بدينه لينالها  
قد كنت تزعم كافراً من قالها  
أم زهرة الدنيا أردت نوالها  
صعب المقادة التي تدعى لها  
لا من يرزأ ناقة وفصالها  
يروى أن الامام الشافعي كتب للإمام أحمد :

قالوا يزورك أحمد وتزوره  
إن زارني بفضله أو زرته  
قلت الفضائل لا تفارق منزله  
لفضله فالفضل في الحالين له

عاجبه الامام أحمد ع: ذلك رضي الله عنها :

إن زرتنا فبفضل منك تمنحنا أو نحن زرنا فلفضل الذي فيكما

فلا عهدنا كلا الخالين منك ولا فاك الذي يتمنى فيك شانيكما

ويروى أن الامام أحمد كتب للامام الشافعي رضي الله عنها وهما من أبلغ

اشمروها (١)

إن نختلف نسباً يؤلف بيننا أدب أقمناه مقام للوالد

أو يشترق منا الوصال فوردنا عذب تحدر من إناء واحد

واعلم أن الامام أحمد رضي الله عنه إنما تزوج بمد الأربعين ، وأولزوجاته عباسية بنت الفضل أم صالح ولم تلد له غيره ، ثم توفيت فتزوج ربحانة أم عبد الله فأقامت معه سبع سنين فقالت له : كيف رأيت يا ابن عم ؟ قال : ما أنكر عليك شيئاً إلا نطك تصر ، فباعته واشترت فملا مقطوعاً قلبسته . واشترى جارية اسمها حُسن لما توفيت أم عبد الله فتسرى بها فولدت له زينب والحسن والحسين ومحمداً وسميذاً .

وكان ابنه صالح يكنى أبا الفضل وهو أكبر أولاده ولد سنة ثلاث ومائتين ، وكان الامام أحمد يحبه ويكرمه ، وابتلي بالعيال على حداثة سنه فقلبت روايته عنه على أنه قد روى عنه كثيراً ، وهو أحد نقلة مذهبه ، وقد روى عن أبي داود الطيالسي و ابراهيم بن الفضل وغيرهما ، روى عنه ابنه زهير والبنوي وولي قضاء أسبهان ومات بها ، وكان سخياً جواداً . ولا ولي أسبهان وقرىء عهد الخليفة إليه بمحضرة المشايخ جمل يسكي وم يقولون : ما يبلدنا إلا من يجب أبا عبد الله ويميل اليك . فقال : إنما أبكاني أني ذكرت أبي وأنه لا يريد

(١) الصحيح ان البيتين لا يمي تمام يقولها بن الجهم

أن يراني بهذه الحالة - وكان عليه السواد - ولكن الله يعلم أنني ما دخلت في هذا الأمر إلا لـدَيْن غلبي ، وكثرة عيال أحمد . وكان إذا خلا نزع سواده ويقول : تراني أموت وأنا هكذا ؟ . وتوفي في شهر رمضان سنة خمسين ومائتين بأصبهان .

وأما عبد الله بن الامام أحمد - وبه كان يكنى وكنيته أبو عبد الرحمن - فهو أروى الناس عن أبيه وسمع معظم تصانيفه وحديثه ، وسمع من عبد الأعلى ابن حماد وكامل بن طلحة وغيرهم ، وكان إماماً حافظاً وشهد له بذلك أبوه ، ولما دنت وفاته قيل له : أين تحب أن تدفن ؟ فقال : صح عندي أن بالقليعة نبياً مدفوناً ، ولأن أكون في جوار نبي أحب إلي من أن أكون في جوار أبي . توفي عبد الله رضي الله عنه يوم الاحد لتسع بقيت من جمادى الآخرة سنة تسعين ومائتين ، ودفن آخر النهار وصلى عليه زهير ابن أخيه صالح ، وكان له بجمع عظيم .

وأما سعيد بن الامام أحمد ؛ فقال حنبل بن اسحق : ولد سعيد قبل موت الامام أحمد بنحو من خمسين يوماً . وروى أنه ولي قضاء الكوفة .  
وأما بقية أولاده فلا يعرف من أخبارهم شيء . نعم لابنته زينب حديث في باب ورعه . وروي أن الامام أحمد كان يضربها على اللحن وينهرها .

واعلم أن الامام أحمد رضي الله عنه ولد ببغداد ونشأ بها وطلب العلم والحديث من شيوخها ثم أخذ في الرحلة ، وقال أبو عفيف : كان أحمد بن حنبل معنا في الكتاب وهو غلّيم يُعرف فضله وكان الخليفة بالبرقة فيكتب الناس الى منازلهم فبثت نساؤهم الى المعلم : ابنت الينا بأحمد ليكتب اليهم جواب كتبهم فيمته فيجيب . إليهن مطأطأ الرأس فيكتب الجواب فرجما أمليين عليه شيئاً من

المنكر فلا يكتبه لمن . ولما ابتداء في طلب العلم كان عمره ست عشرة سنة و كان ابتداء طلبه من شيوخ بغداد سنة تسع وسبعين ومائة ، ثم رحل الى البلاد النائية والدانية فكتب عن علماء كل بلد . وقال الامام أحمد : أول من كتبت عنه الحديث أبو يوسف ، ومات هشيم وأنا ابن عشرين سنة ، وأول سماعي منه سنة تسع وسبعين ومائة ، فجاء رجل فقال : مات حماد ابن زيد ، ومات مالك بن أنس تلك السنة . وكنا عند عبد الرزاق باليمن فجاءنا موت سفيان بن عيينة وعبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن سعيد سنة ثمان وتسعين ومائة . وقال : أتيت ابن المبارك فقالوا : خرج الى طرسوس وتوفي بها سنة إحدى وثمانين . وقال : خرجت الى سفيان ابن عيينة سنة سبع وثمانين فقدمنا عليه وقد مات الفضيل بن عياض وهي أول سنة حججت ، وكتبت عن إبراهيم بن سعد وصليت خلفه غير مرة ، وخرج بعض أصحابنا الى الري الى جرير بن عبد الحميد ولم أخرج ، وخرجت الى الكوفة ثم رجعت الى أمي ولم أكن استأذنها قال : وكنت ربما أردت البكور الى الحديث فتأخذ أمي بيدي وتقول : حتى يؤذن الناس أو حتى يصبحوا ، وكنت ربما بكرت الى مجلس أبي بكر بن عياش وغيره . وقال : دخلت عبادان سنة ست وثمانين ، ورحلت الى المعتمر تلك السنة - قال - وكنت مقبلا على يحيى بن سعيد القطان ثم خرجت الى واسط فسأل يحيى عني فقالوا : خرج الى واسط فقال : وما يصنع بها ؟ قالوا : مقيم على يزيد بن هارون ، قال : وما يصنع به يزيد ؟ إنه أعلم منه ، وقال : دخلت البصرة خمسا ، أول رجب سنة ست وثمانين ومائة سمعت من المعتمر بن سليمان ، ثم دخلتها سنة تسعين ، وأربع وتسعين وقد مات غندر ، فأقمت على يحيى بن سعيد ستة أشهر ، ودخلت سنة مائتين .

ثم إن الامام أحمد رضي الله عنه أخذ في التحديث . القوي واقصيه ،



وكان قد أفتى وهو شاب وحدث ، وروى سنة وتسعين ومائة ثمان بمسجد الخيف يعلم أصحاب الحديث الفقه ، ويقفي الناس في المناسك وابن عيينة حياً . قال الامام الحافظ ابن الجوزي : إلا أنه لم يتصدر لذلك إلا وهو ابن أربعين . واستدل بقول حجاج ابن الشاعر : سألت أحمد أن يحدثني سنة ثلاث ومائتين فأبى ، ثم رجعت سنة أربع فوجدته يحدث وكان له أربعون سنة ، وكان يجتمع في مجلسه زهاء خمسة آلاف أو يزيدون ؛ أقل من خمسمائة يكتبون عنه والباقي يطمون منه حسن الأدب وحسن السمات .

وشرح رضي الله عنه في التصنيف في الحديث . قال الاشمه : مصنفات الامام أحمد كلها في المتقول . فصنف « المسند » ثلاثون ألف حديث سوى المكرر والمكرر عشرة آلاف حديث ، ولابنه عبد الله فيه زوائد نحو العشرة آلاف ، وقال لابنه عبد الله : احتفظ به فسيكون للناس إماماً . وقال : جمعت هذا الكتاب وانتقيته من سبعمائة ألف وخمسمائة ، فما اختلف المسلمون فيه من حديث فارجعوا اليه : فإن وجدتموه فيه وإلا فليس بحجة وقد تلقته الاشمه بالقبول . قال علماء الحديث منهم المراقي . أما وجود الضعيف فيه فمحقق ، بل قيل : إن فيه أحاديث موضوعة . ولابنه فيه زيادات فيها الضعيف وغير الثابت . انتهى .

وقد ألف الحافظ ابن حجر المسقلاني كتابه « القول المسدد في الذب عن مسند الامام أحمد » وقال عنه : ذابا عن هذا التصنيف العظيم الذي تلقته الامة بالقبول والتكريم وجعله إمامهم حجة يرجع اليه ويمول عند الاختلاف عليه ، ثم سرد الاحاديث التي ذكرها المراقي وهي تسعة ، وأضاف اليها خمسة عشر حديثاً أوردها ابن الجوزي في الموضوعات ، وأجاب عنها حديثاً حديثاً وقال : ليس في « المسند » حديث واحد لا أصل له إلا ثلاثة أو أربعة ، حديث ابن عوف

أنه يدخل الجنة زحفاً ، والاعتذار عنه أنه أمر بالضرب عليه فترك سهواً ، أو ضرب عليه وكتب من تحت الضرب . انتهى .

ومن تصانيفه « التفسير » وهو مائة ألف حديث وعشرون ألفاً و « الزهد » وقد انتقيت منه أجزاء . ومن تصانيفه « الناسخ والمنسوخ » ومنها « التاريخ » و « حديث شعبة » و « المقدم والمؤخر في القرآن » و « جوابات القرآن » و « المناسك الكبير والصغير » وأشياء أخر .

ومناقب الامام أحمد ومحنته وما قاسى من المأمون والمعتصم والوائق معلومة مفردة بالتأليف ، ومناقبه كثيرة ومزايه شهيرة ، فمنها أنه أحاط بالسنة ، ومنها أنه انتهى إليه الحفظ ، وكل محفوظ حافظ من بعض محفوظاته ، ومنها أنه أجاب على ستين ألف قضية بـ ( حدثنا ) و ( أخبرنا ) عن ظهر قلبه الى غير ذلك مما امتاز به واخص دون سائر الأمة والأئمة بوصفه به .

ولما استكملت له سبع وسبعون سنة ودخل في الثامنة حُمِّ . فان الامام أحمد رضي الله عنه ولد في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة ، ثم حُمِّ في أول يوم من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين . قال ابنه صالح : فدخلت عليه وهو محموم فتنفس تنفساً شديداً فقلت : علام أفطرت البارحة ؟ فقال : على باقلاء . ثم أراد القيام فقال : خذ بيدي . فأخذت يده فلما صار إلى الخلاء ضعفت رجلاه حتى توكأ علي ، وكان يختلف عليه غير متطبب فبال دماً عيظاً ، فقال الطبيب : هذا رجل فت الحزن كبده والغم جوفه . واستأذنه ابنه في إدخال الناس عليه للقيادة فأذن ، فجعل الناس يدخلون عليه أفواجا ، ثم أمر ولده فكفر عنه كفارة يمين ، وعرض ابنه عليه وصيته وفيها :

هذا ما أوصى أحمد بن محمد بن حنبل ؛ أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وأوصى من أطاعه من أهله وأقاربه أن يعبدوا الله في العابدین ، وأن يحمده في الحامدين ، وأن ينصحوا جماعة المسلمين ، وأوصى أني رضيت بالله عزّ وجلّ رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً .. الى آخر الوصية .

فلما اشتد به المرض كثر الناس عليه حتى ملؤوا السكك والشوارع ، فممن السلطان من يمنع عنه خشية الاضرار به ، وزاد الناس كثرة في الأسواق والطرقات حتى تعطل على كثير من الناس بيهم وشراؤهم ، وجاءه رسول الأمير بأنه يريد أن يراك فقال : إن أمير المؤمنين قد أعفاني ما أكره .

فلما كان قبيل وفاته جمع الصبيان وجعل يسئهم ويمسح برؤوسهم وعينه تدمع . وكان يصلي وهو قاعد وربما صلى وهو مضطجع ، ولا يكاد يفتقر ، فلما كانت ليلة الجمعة ثقل مرضه ، ثم إن الناس ملأوا السكك .

فلما كان صدر نهار الجمعة قبض رضي الله عنه ، فصاح الناس وعلت أصواتهم بالبكاء حتى كأن الدنيا قد ارتجت ، وقعد الناس حتى خشي فوت الجمعة ، فصاح أهله بالناس إنما نخرجه بعد الجمعة .

وكان عنده ثلاث شعرات من شعر النبي ﷺ فأوصى أن يجعل شعرتان في عينيه وشعرة فوق لسانه ، ففعل به ذلك .

فكان تاريخ موته يوم الجمعة في شهر ربيع الاول لاثني عشرة ليلة خلت منه ، سنة احدى وأربعين ومائتين ، وأخرجت جنازته بعد انصراف الناس من الجمعة ، وكان أمير المؤمنين المتوكل غائباً عن البلد ، فوجه الأمير ابن طاهر بمناديل فيها ثياب وطيب ، فقال رسوله : الأمير يقرئكم السلام ويقول : قد

فعلت ما لو كان أمير المؤمنين حاضره لكان يفعله ، فأرسل اليه والده : إن أمير المؤمنين قد كان أعفاه ما يكره وهذا ما يكره ، فماد اليه الرسول فأخبره . وكفن الامام في ثلاث اغانف وغسله المروزي ، ولما أراد تكفينه دخل عليه بنو هاشم وأخذوا في البكاء ، وحمل أولادهم يشكبون عليه ويقبلونه ، وحضره نحو من مائة من بني هاشم .

وصلى عليه جمع لم تمهد كثرته في الاسلام ، فقد حزر بمائة ألف ألف ، وعلى السور نحو ستين ألفاً ، وقيل : إن المتوكل أمر أن يسمح الموقف الذي وقف الناس فيه للصلاة على الامام أحمد ، فبلغ مقام اني ألف وخمسمائة ألف سوى ما كان في السفن . وكان الامام أحمد يقول : قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز . ووقع المآتم يوم موته عند أربعة أصناف ؛ المسلمين واليهود والنصارى والمجوس ، وأسلم منهم في ذلك اليوم عشرون ألفاً ، وناحت الجن عليه وهتفت الهواتف بموته . قال أبو زرعة : كان يقال عندنا بخراسان : الجن نمت أحمد بن حنبل قبل موته بأربعين يوماً ، وسموا قائلاً يقول : مات رجل بالمرق ، فذهبت الجن كلها تصلي عليه إلا المردة .



وقد رثاه جماعة من الأئمة الأعلام بقصائد كثيرة جداً ، منها ما قاله أبو محمد جعفر بن احمد بن حسين السراج البغدادي رحمه الله تعالى .

سقى الله قبراً حل فيه ابن حنبلٍ	من النيث وسما على إثره ولي
على أن دمعي فيه ريّ عظامه	إذا فاض ما لم يبيل منه وما بلي
فله رب الناس مذهب أحمد	فان عليه ما حيت معولي
دعوه إلى خلق القرآن كما دعوا	سواه فلم يسمع ولم يتأول

ولارده ضرب السياط وسجنه  
ولما يزدم والسياط تنوشه  
على قوله : القرآن وليشهد الورى  
فمن مبلغ أصحابه أني به  
وألقى به الزهاد كل مطلق  
لقد عاش في الدنيا حميداً موقفاً  
وإني لأرجو أن يكون شفيع من  
ومن حدث فد نور الله قلبه  
وقال اسماعيل الترمذي في قصيدة له في حياة الامام أحمد وأنشده  
اياها . وهي :

إذا ميز الأشياخ يوماً وحصلوا  
رقيق أديم الوجه حلو مهذب  
أبي إذا ما خاف ضميم مؤمر  
لمرك ما يهوى لأحمد نكبة  
هو الهنة اليوم الذي يبنتلى به  
شجى في حلوق الملحدين وقره  
جرى سابقاً في حلبة الصدق والتقى  
إذا افتخر الأرقام يوماً بسيد  
فقل للآلى بشنونه لصالحه  
جطم فداء أجمين لنمله  
أريحانة القراء تبفون عسره  
فيا أيها الساعي ليدرك شأوه

وأحمر من بين المشايخ جوهر  
إلى كل ذي تقوى وقور موقر  
ومر إذا ما خاشنوه مذكر  
من الناس إلا ناقص العقل مغرور  
فيتمبر السنيّ فينا ويُسبر  
لأعين أهل النسك عف مشمر  
كما سبق الطرف الجواد المضمر  
ففيه لنا - والحمد لله - مفخر  
وصحته : والله بالمدر يمدر  
فانكم منها أذل وأحقر  
وكلكم من جيفة الكلب أقدر  
رويدك عن إدراكه ستقصير

تمسك بالعلم الذي كان قد وعى  
ولا بقلعة هملاجة مغربية  
ولا منزل بالساج والكلس متقن  
ولا أمة براقعة الجيد بضة  
حمى نفسه الدنيا وقد سنحت له  
فان يك في الدنيا مقلا فانه  
ولم يلبه عنه الخبيص المزعفر  
ولا حلة تطوى سراراً وتشر  
ينقش فيه حصه ويصور  
عنطقها تصمي الخليم وكسحر  
فمنزله إلا من القوت مقفر  
من الأدب المحمود والعلم مكثر

وقال أبو مزاحم الخاقاني رحمه الله تعالى :

لقد صار في الآفاق أجمد محنة  
ترى ذا الهوى جهلاً لأحمد مبغضاً  
وما ينسب للإمام الشافعي - والمشهور انهما لابن أعين - موجحاً لأهل  
البدع :

أضحى ابن حنبل حجة مبرورة  
وإذا رأيت لأحمد متنعصاً  
وبب أحمد يعرف المتنسك  
فاعلم بأن ستوره ستوتك  
وقد قيل فيه من الشعر ما لا يسعني ذكره وبالله التوفيق

\* \* \*

### المقصد الثاني

في ترجمة مخوج اكثر الثلاثيات من المسند

وهو الامام العلامة المحدث الحافظ المتقن محب الدين اسماعيل بن عمر بن  
أبي بكر المقدسي ، أبو اسحق وأبو القاسم وأبو الفضل ، سمع بدمشق من أبي  
اليمن الكندي وغيره ، وعصر من البوصيري ومن الحافظ عبد الغني ، ويغداد من

ابن (١) الأخرى وطبقته ، وبأصبهان من أبي عبد الله محمد بن مكي وأبي بكر أحمد بن عبيد الله الحائى وطبقتهما من أصحاب الرستمي ومسعود الثقفى ، وكانت رحلته مع الضياء بمد الستمائة ، وعنى بالحديث وقرأ .

قال الحافظ ابن رجب فى الطبقات : ووصفه جماعة بالحافظ ، وتفقه وحدث وتوفى ثمانى عشر شوال سنة ثلاث عشرة وستائة .

قال الحافظ ابن رجب : وأظنه كان شاباً ، والله تعالى الموفق .

★ ★ ★

### المقصد الثالث

فى ترجمة الامام الحافظ الضياء رضى الله عنه :

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن اسماعيل ابن منصور السعدي المقدسي الصالحى الحافظ الكبير ضياء الدين ابن أبي أحمد محدث عصره ووحيد دهره ، وشهرته تنفى عن الاطناب فى ذكره والاسباب فى أمره .

ولد رضى الله عنه فى خامس جمادى الآخرة سنة تسع وستين وخمسمائة . قال الحافظ ابن رجب فى طبقاته : كذا وجدته بخطه . وقال ابن النجار : سأته عن مولده فقال : فى جمادى الاولى من السنة . وسمع بدمشق من أبي المجد البلياسمي والأخرى بن هبة الله بن طاووس وأحمد بن الموازى وغيرهم ، وسمع بمصر من البوصيرى وفاطمة بنت سعد الخير وجماعة ، وسمع ببغداد الكثير من ابن الجوزى وابن المعطوس وابن سكينه وابن الأخرى وطبقتهم ، وسمع من أبي

(١) فى الاصل « ومن بغداد ابن » وهو خطأ من النسخ .

جعفر الصيدلاني وطبقته بأصهار ، ومن عبد الباقي بن عثمان بهمدان ، ومن المؤيد الطوسي وطبقته بنيسابور ، ومن أبي روح بهراة ، ومن أبي المظفر بن السماني بمرو ورحل مرتين الى أصهار وسمع بها ما لا يوصف كثرة ، وكتب بخطه الكثير من الكتب الكبار وغيرها ، ويقال : إنه كتب عن يزيد من خمائة شيخ ، وحصل أصولاً كثيرة وأقام بهراة ومرو مدة ، وله إجازة من السلفي وشهده .

قال ابن النجار : كتب عنه بيغداد ونيسابور ودمشق ، وهو حافظ متقن ثبت ثقة صدوق نبيل حجة عالم بالحديث وأحوال الرجال له مجموعات وتخرجات .

وهو ورع تقي زاهد عابد محتاط في أكل الحلال مجاهد في سبيل الله ، ثم قال ابن النجار : ولعمري ما رأيت عينا ي مثله في نزاهته وعفته وحسن طريقته في طلب العلم .

وقال عمر بن الحاجب : شيخنا أبو عبد الله شيخ وقته ونسيج وحده علماً وحفظاً وثقة ودينياً ، من العلماء الربانيين - قال - وهو أكبر من أن يدل عليه مثلي ، كان شديد التحرير في الرواية مجتهداً في العبادة كثير الذكر منقطعاً عن الناس متواضعاً في ذات الله سهل المريقة ؛ رأيت جماعة من المحدثين ذكروه فأطنبوا في حقه ومدحوه بالحفظ والزهد ، سألت الزكي البرزالي عنه فقال : ثقة جليل حافظ دين ، وقال ابن النجار ، وذكر بعض كلامه المتقدم .

وقال الشرف ابن النابلسي : ما رأيت مثل شيخنا الضياء .

ونقل الذهبي عن الحافظ المزني أنه كان يقول : الضياء أعلم بالحديث والرجال من الحافظ عبد الغني ولم يكن في وقته مثله .

وقال الذهبي في ترجمته : الامام السالم الحافظ الحجة محدث الشام شيخ



السنه ضياء الدين ، سنه وصحح ولين وجرح وعدل ، وكان المرجوع اليه في هذا الشأن .

وقال الشريف أبو العباس الحسيني : حدث بالكثير مدة وخرج تخاريف كثيرة مفيدة وصنف تصانيف حسنة ، وكان أحد أئمة هذا الشأن ، عارفاً بالرجال وأحوالهم والحديث وسقيمه وصحيحه ، ورعاً متديناً طارحاً للتكليف .

وقال الذهبي : الضياء بنى مدرسته على باب الجامع المظفري بسفح قاسيون وأعانه عليها بمض أهل الخير ووقف عليها كتبه وأجزائه . وقال غيره : بناها لمحدثين والغرباء الواردين مع الفقر والقلّة ، وكان يبنى فيها جانباً ويصبر الى أن يجتمع معه ما يبنى به ، ويعمل فيها بنفسه ولم يقبل من أحد فيها شيئاً تورعاً ، وكان ملازماً لجبل الصالحية قبل أن يدخل البلد أو يحدث به ، ومناقبه أكثر من أن تحصر ، قاله الحافظ ابن رجب ، وقال : إنما أشرت الى نبذة منها ، ثم ذكر من تصانيفه :

كتاب « الأحاديث المختارة » ، وهي الأحاديث التي يصلح أن يحتج بها سوى ما في « الصحيحين » ، خرجها من مسموعاته ، كتب منها تسعين جزءاً ولم تكمل . قال بعض الأئمة : هي خير من « صحيح الحاكم » . قلت : رأيت لشيخ الاسلام ابن تيمية كلاماً في الثناء عليها وأنها خير من « صحيح الحاكم » ، و « ابن حبان » .

كتاب « فضائل الأعمال » ، مجلد . كتاب « فضائل الشام » ، مجلد . كتاب « مناقب أصحاب الحديث » ، أربعة أجزاء « صفة الجنة » ، ثلاثة أجزاء « صفة النار » ، جزءان « أفراد الصحيح وغرائب » ، تسعة أجزاء « ذم المسكر » ، جزء « فضائل القرآن » ، جزء « الرواة عن البخاري » ، جزء « دلائل النبوة والالهيات » ، ثلاثة أجزاء « فضائل الجهاد » ، جزء « النهي عن سب الأصحاب » ، جزء « الحكايات المستطرفات » ، أجزاء كثيرة فيها أحاديث مخرجة . كتاب « سب هجرة المقدسة

الى دمشق وكرامات مشايخهم ، نحو عشرة اجزاء ، وأفرد لأكابرهم من العلماء لكل واحد سيرة في أجزاء كثيرة « أطراف الموضوعات لابن الجوزي ، في جزئين » تحريم النيسة ، جزء « الموقف والاقتصاص » جزء « الاستدراك على الحافظ عبد الغني في عزوه أحاديث في دور الأثر » جزء « الاستدراك على المشايخ النبيل لابن عساكر » جزء ، كتاب « الارشاد الى بيان ما أشكل من المرسل في الاسناد » جزء كبير ، فيه فوائد جلية . « الموافقات » جزء . « طرق حديث الحوض النبوي » جزء . « أحاديث الحرف والصوت » جزء « الأمر باتباع السنن واجتناب البدع » جزء « مسند فضالة بن عبيد » جزء . كتاب « الأمراض والكفارات والطب والرقيات » وغير ذلك .

قال الحافظ ابن رجب : روى عنه ابن نقطة في استدراكه فقال : حدثنا محمد عبد الواحد الحنبلي بالجبل ظاهر دمشق ، وابن النجار في تاريخه ، والبرزالي وعمر بن الحاجب ، وعمر بن الفخر البخاري ، والقاضي تقي الدين سليمان بن الفراء ، والنجم الشقراوي ، وإسماعيل بن الحجاز ، والحسن ابن الخلال ، والدشتي ، وأبو بكر بن عبد الدائم ، وعيسى المظم وخلق كثير غير من ذكر . قال الحافظ ابن رجب ، توفي الحافظ الضياء يوم الاثنين ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستمائة بسفح قاسيون ودفن به . انتهى .

وذكره الحافظ جلال الدين السيوطي في « طبقات الحفاظ » فقال : الامام العالم الحافظ الحجة محدث الشام شيخ السنة ضياء الدين ، ثم قال : رحل وصنف وصحح ولين وجرح وعدل وكان المرجوع اليه في هذا الشأن جبلاً ثقة دينا زاهدا ورعا ، ثم ذكر تاريخ وفاته كمولده على النحو الذي ذكرناه رحمه الله ورضي عنه آمين .

## الخاتمة

في ذكر أشياء مناسبة لما نحن بصدده ، منها :

الحديث الثلاثي : ما كان بين المخرج للحديث وبين النبي ﷺ ثلاثة رواة ؛ صحابي وتابعي وتابع تابعي ، وحينئذ تجتمع في الاسناد من أفراد الثلاثة قرون المفضلة في الأخبار الواردة عن النبي ﷺ .

ومنها : ذكر فضل هذه الثلاثة قرون ، وأفضلها الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، وكان ما تلقوه من مشكاة النبوة خالصاً صافياً ، فكان سندهم عن نبيهم ﷺ عن جبريل عن رب العالمين سنداً صحيحاً عالياً ، فألقوا ذلك الى التابعين وقالوا : هذا عهد نبينا الينا وقد عهدناه إليكم ، وهذه وصية ربنا وفرضه علينا ، وهي وصيته وفرضه عليكم . فجرى التابعون لهم باحسان على منهاجهم القويم واقفوا على آثارهم صراطهم المستقيم . ثم سلك تابعوا التابعين هذا المسلك الرشيد ، وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد . ثم القرن الرابع وهم الأئمة المعتبرون ، فقد روى الشيخان في « صحيحهما » وغيرها من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ( خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم - قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة - ثم إن بعدهم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن ) رواه الترمذي ولفظه : ( خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يأتي من بعدهم قوم يتسمنون ويحبون السمن يعطون الشهادة قبل أن يسألوها ) ورواه أبو داود ولفظه قال ﷺ : ( خير أمتي القرن الذي يمث فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم - والله أعلم أذكر الثالث أم لا - ) الحديث . ورواه النسائي ولفظه :

( خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم - فلا أدري أذكر قرنين بعده أو ثلاثة - ... ) وذكر نحو ما تقدم . وأخرج البخاري ومسلم أيضاً من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ( خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يحيي قوم سبق شهادة أحدهم يميناه ويمينه شهادة ) ورواه الترمذي أيضاً وقال : حسن صحيح ، وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( خير امتي القرن الذي بعث فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والله أعلم أذكر الثالث أم لا ، قال : ثم يخلف قوم يحبون السهانة يشهدون قبل أن يستشهدوا ) وأخرج مسلم أيضاً من حديث عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها قالت سألت رسول الله ﷺ أي الناس خير ؟ قال : ( القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث ) قال الامام الحق ابن القيم في صدر كتابه ( أعلام الموقعين ) : ثم جاء الأئمة من القرن الرابع المفضل في إحدى الروايتين كما ثبت من حديث أبي سعيد وابن مسعود وأبي هريرة وغيرهم رضي الله عنهم . ولفظ حديث أبي سعيد في «الصحيحين» قال : قال رسول الله ﷺ : ( يأتي على الناس زمان فيغزو فيثام<sup>(١)</sup> من الناس فيقولون : هل فيكم من صاحب رسول الله ﷺ فيقولون : نعم ، فيفتح ، ثم ذكر من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ ثم من صاحب من أصحاب أصحاب رسول الله ﷺ ، وفي رواية لمسلم وذكر الحديث وفيه : « ثم يكون بث رابع ، فكان سيدنا الامام أحمد كالشافعي والبخاري ، وكذا مسلم من القرن الرابع المفضل . وفيه وجد أكثر الأئمة وسراة الأمة وهم الذين نهجوا المذاهب وتقبوا عن المناقب والمثالب ، فمن بدم عيلة عليهم ومنتسبون في العلم والعمل إليهم .

قال أهل العلم : قرن النبي ﷺ هم أصحابه وكانت مدتهم من البعث الى

(١) الفثام : الجماعة من الناس .

آخر من مات من أصحابه مائة وعشرين سنة ، وقرن التابعين من نحو مائة إلى سبعين سنة ، وقرن أتباع التابعين من ثم إلى حدود العشرين ومائتين ، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهوراً فاشياً ، وأطلقت المعتزلة ألسنتها ، ورفعت الفلاسفة (١) رؤوسها ، وامتنحن أهل العلم ايقولوا بخلق القرآن . وكان إمام أهل السنة ومن عليه النظر واليه الاشارة من بين جماعاتهم سيدنا الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، فقام بأمر الاسلام أتم قيام ، ونصر سنة سيد الأنام ، وقمع البدع وعيب أهلها ووقف شجراً في حلقهم ومنصاً في قلوبهم وصدورهم فردم بنيظهم خاسئين لم ينالوا ما طلبوا واقتلبوا على أعقابهم صاغرين .

ومنها أن الصحابة رضي الله عنهم أفضل من التابعين ، والتابعين أفضل من أتباع التابعين ، لكن هذه الافضلية بالنسبة الى المجموع أو الأفراد ، محل بحث ، والى الثاني نحا الجمهور والاول قول ابن عبد البر ، والذي يظهر أن من قاتل مع النبي ﷺ أو في زمانه أو أففق شيئاً من ماله بسببه لا يبدله أحد في الفضل بسده كائناً من كان ، وأما من لم يقع له ذلك فهو محل البحث . والذي استقر عليه كلام العلماء فضل كل فرد من الصحابة على من سواه لأن الصحابة لا يبادلها شيء ، وأما غير الصحابة فمن حيث الجملة والله أعلم .

ومنها أن الصحابة رضوان الله عليهم جميعهم عدول بتعديل الله عز وجل ورسوله ﷺ فلا يحتاجون الى بحث عن عدالتهم ، وعلى هذا القول معظم المسلمين من الأئمة والعلماء من السلف والخلف ، ولا يلتفت الى قول المعتزلة وسلف القدرية وغلاة الرافضة وشبههم ممن له جرأة على السلف ، وهذا من قلة الدين وعدم المبالاة بالسلف رضوان الله عليهم . قال أئمة السنة : وما جرى بينهم كان مبنياً على الاجتهاد وكل مجتهد مصيب ، أو المصيب واحد متباب والمخطيء معذور لا ترد شهادته . ولا ريب أن الصحابة من حيث الوضع تنطلق على من صحب

(١) في الاصل الفلاسفة ، تصحيف .

النبي ﷺ ولو ساعة وإن كان العرف يخص الاسم بمن كثرت صحبته ، ولا حد لتلك الكثرة بتقدير بل بتقريب ، والذي استقر عليه كلام العلماء أن كل من حصل له اجتماع بالنبي ﷺ وهو مؤمن به ومات على ذلك ولو تخلل إيمانه ردة . وأما من جاء بعد الصحابة فالكلام فيهم يطول ، ولا يخلو قوم من عدالة أو فسق ، والعدالة قليلة ، وأسباب الفسق كثيرة ، فكل من عري من شرط من شروط الرواية أو الشهادة فهو مجروح لا تقبل روايته . وطبقات المجروحين كثيرة ، أجنبها الكذب . والجرح وصف متى التحق بالراوي والشاهد سقط الاعتبار بقوله وبطل العمل به ، والتعديل وصف متى التحق بها اعتبر قولها وأخذ به ، ثم التزكية والجرح هل يشترط فيها عدد المزكي والجرح أم لا ؟ فيه خلاف .

قال قوم : يشترط في الشهادة دون الرواية ، وهذا الصحيح ؛ لأن الرواية نفسها تثبت بالواحد ؛ فكان جرحها وتزكيتها أولى ، لكن يجب ذكر سبب الجرح دون التعديل للراوي ؛ لأن الامام قد يجرح بما لا يراه غيره جارحاً لاختلاف المذاهب فيه .

وأما المدالة ، فليس لها سبب واحد فيفتقر الى ذكره . وإذا تعارض جرح وتعديل ؛ قدم الجرح ، لأن مع الجرح زيادة وصف ما اطلع عليها المعدل ولا نفاها ، فان نفاها بطلت عدالة المزكي ، وهذا علم واسع ، وبالله التوفيق .

ومنها : الفرق بين الشهادة والرواية ، فالشهادة يعتبر لها المدد والذكورية ، والرواية تصح من الواحد والمرأة .

فان الامام ابن القيم في كتابه « بدائع الفوائد » : الفرق أن الرواية يعم حكمها الراوي وغيره على عمر الأزمان ، والشهادة تخص المشهود عليه وله ، ولا تمتداهما إلا بطريق التسمية المحضة ، فالزام الممين يتوقع منه المداوة والتهمة الموجبة

للرد ؛ فاحتيط لها بالعدد والذكورية ، وردت بالقرابة والمداوة وبطرق التهم ،  
ويبعد مثل هذا في الرواية التي يتم حكمها ولا يخص ؛ فلم يشترط فيها عدد  
ولا ذكورية ، بل اشترط فيها ما يكون مغلباً على الظن صدق الخبر ، وهو  
العدالة المانعة من الكذب ، واليقظة المانعة من غلبة السهو والتخليط . ولما كان  
النساء ناقصات عقل ودين ؛ لم يكن من أهل الشهادة ، فاذا دعت الحاجة الى  
ذلك ؛ قويت المرأة بمثلها ، لانه يبعد سهوها (١) وغلطها ، لتذكير صاحبها .  
وأما اشتراط الحرية في الشهادة ؛ ففي غاية البعد ، ولا دليل عليه من  
كتاب ولا سنة ولا إجماع .

وقد حكى الامام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال :  
ما علمت أحداً رد شهادة العبد ، والله تعالى يقبل شهادته على الامم يوم القيامة ؛  
فكيف لا تقبل شهادته على نظيره من المكافين ! وتقبل شهادته على الرسول ﷺ  
في الرواية ؛ فكيف لا تقبل على رجل في روم ؛ ولا ينتقض هذا بالمرأة ؛ لأنها  
تقبل شهادتها مع مثلها لما ذكرناه ، والمانع من قبول شهادتها وحدها منتف في  
العبد ، والله تعالى أعلم .

ومنها : الخبر إن كان عن حكم عام يتعلق بالامة ؛ فلما أن يكون مستنده  
السامع فهو الرواية ، وإن كان مستنده الفهم من المسموع فهو الفتوى ، وإن كان  
خبراً جزئياً يتعلق بعين مستنده المشاهدة أو العلم فهو الشهادة ، وإن كان خبراً  
عن حق يتعلق بالخبر عنه والخبر به ، هو يستحقه أو نائبه فهو الدعوى ، وإن كان خبراً  
عن تصديق هذا الخبر فهو الاقرار ، وإن كان خبراً عن كذبه فهو الانكار ، وإن  
كان خبراً نشأ عن دليل ؛ فهو النتيجة ، ويسمى قبل أن يحصل عليه الدليل مطالباً ،  
وإن كان خبراً عن شيء تقصد منه نتيجه فهو دليل ، وجزؤه مقدمة كما في البدائع .

(١) في الاصل : لسوها .

ومنها : اعلم أن الامام احمد رضي الله عنه ، أسس مذهبه وبناه على  
خمسة أصول :

أحدها : النصوص ، فاذا وجد النص قال بموجبه ، ولم يلتفت الى ماخالفه  
كائنا من كان ، ولهذا لم يلتفت الى خلاف عمر في المبتوتة ؛ لصحة حديث فاطمة  
بنت قيس ، ولا الى خلافه في التيمم للجنب ؛ لحديث عمار بن ياسر ، ولا الى  
خلافه في استدامة المحرم الطيب الذي تطيب به قبل إحرامه ؛ لصحة حديث  
عائشة في ذلك ، ولا الى خلافه في منع المفرد والقارن من الفسخ الى التمتع ؛  
لصحة أحاديث الفسخ ، وكذلك لم يلتفت الى قول علي وعثمان وطلحة وأبي أيوب  
وأبي بن كعب رضي الله عنهم في ترك الفسل من الاكسال<sup>(١)</sup> ؛ لصحة حديث  
عائشة ، وأنها فمלתه هي ورسول الله ﷺ فاغتسلا ، ولم يلتفت الى قول  
ابن عباس واحدى الروايتين عن علي رضي الله عنهم أن عدة المتوفى عنها الحامل  
أقصى الأجلين ؛ لصحة حديث سبيعة الأسلمية ، ولا الى قول معاذ ومعاوية  
رضي الله عنها في توريث المسلم من الكافر ؛ لصحة الحديث المانع من التوارث  
بينها ، ولم يلتفت الى قول ابن عباس رضي الله عنها في الصرف ، لصحة  
الحديث بخلافه ، ولا الى قوله بإباحة لحوم الجمر لذلك ، وهذا كثير جداً . فلم  
يكن يقدم على الحديث الصحيح عملاً ولا رأياً ولا قياساً ، ولا قول صاحب ،  
ولا عدم علمه بالمخالفة الذي يسميه كثير من الناس إجماعاً ، ويقدمونه على الحديث  
الصحيح . وقد كذب الامام أحمد من ادعى هذا الاجماع ، ولم يسوغ تقديمه  
على الحديث الثابت . وكذلك الامام الشافعي أيضاً نص في « رسالته » الجديدة  
على ما لا يعلم فيه خلاف : لا يقال له إجماع ، ولفظه : ما لا يعلم فيه خلاف  
فليس إجماعاً . وقال عبد الله بن الامام أحمد عن مثل هذا : سمعت أبي يقول :

---

(١) الاكسال : من اكسل في الجماع اذا خالطها ولم ينزل ، او عزل .



ما يدعي فيه الرجل الاجماع فهو كذب ، ومن ادعى الاجماع فهو كاذب ، لعل  
الناس اختلفوا ، ما يدريه ولم ينته إليه ؟ فليقل : لا نعم الناس اختلفوا ، هذه  
دعوى بشر المريسي والأسم ، ولكن يقول : لا نعم الناس اختلفوا ، ولم يبلغي  
ذلك ، هذا لفظه . ونصوص رسول الله ﷺ أجل عند الامام أحمد ، وسائر  
أئمة الحديث من أن يقدموا عليها توم إجماع مضمونه عدم العلم بالخلاف ، ولو  
ساغ هذا لتمطت النصوص ، وساغ لكل من لم يعلم مخالفاً في حكم المسألة أن  
يقدم جهله بالخلاف على النصوص . فهذا هو الذي أنكره الامام أحمد والشافعي  
من دعوى الاجماع ، لا ما يظنه بعض الناس أنه استبعاد لوجود إجماع ، كما في  
صدر « أعلام الموقعين » للامام ابن القيم .

الثاني : ما أتق به الصحابة رضي الله عنهم ، فإنه إذا وجد لبعضهم فتوى  
لا يعرف له مخالف منهم فيها ، لم يمدّها الى غيرها ، ولم يقل : إن ذلك إجماع ، بل  
من ورعه في العبارة يقول : لا أعلم شيئاً يدفعه أو نحو هذا ، كما في رواية أبي  
طالب : لا أعلم شيئاً يدفع قول ابن عباس وابن عمر وأحد عشر من التابعين :  
عطاء ومجاهد وأهل المدينة على تسري العبد . وهكذا قال أنس رضي الله عنه :  
لا أعلم أحداً رد شهادة العبد ، كما حكاه عنه الامام أحمد ، وإذا وجد الامام أحمد  
هذا النوع عن الصحابة ؛ لم يقدم عليه عملاً ولا رأياً ولا قياساً .

الثالث : إذا اختلف الصحابة رضي الله عنهم في مسألة تخير من أقوالهم  
ما كان أقربها الى الكتاب والسنة ، ولم يخرج عن أقوالهم ، فإن لم يتبين له موافقة  
أحد الأقوال ، حكى الخلاف فيها ، ولم يجزم بقول .

قال إسحق بن إبراهيم بن هانئ ، أحد أصحاب الامام أحمد في مسائله :

قيل لأبي عبد الله : يكون الرجل في قرية فيسأل عن الشيء فيه اختلاف ؟ قال :

يفتي بما وافق الكتاب والسنة ، وما لم يوافق الكتاب والسنة أمسك عنه . قيل له :  
أفتخاف عليه ؟ قال : لا .

الرابع : الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه ، وهو الذي رجحه على القياس ، وأيس المراد بالحديث الضعيف عنده الباطل ولا المنكر ، ولا من في رواه منهم بحيث لا يسوغ الذهاب إليه والعمل به بل الحديث الضعيف عنده قسم الصحيح ، وقسم من أقسام الحسن ، ولم يكن يقسم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف ، بل إلى صحيح وضعيف ، وللضعيف عنده مراتب ، قاله في « أعلام الموقعين » .

وقال ابن القيم أيضاً في كتاب « الفروسة الحمديّة » : قال الامام أحمد لابنه عبد الله : يا بني أنت تعرف طريقي في الحديث ، لست أخاف ما فيه من ضعف إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه .

قال ابن القيم : إذا لم يكن في المسألة حديث صحيح ، وكان فيها حديث ضعيف وليس في الباب شيء يردّه ؛ عمل به ، فإن عارضه ما هو أقوى منه تركه للمعارض القوي . وإذا كان في المسألة حديث ضعيف وقياس ؛ قدم الحديث الضعيف على القياس .

قال : وليس الضعيف في اصطلاحه هو الضعيف في اصطلاح المتأخرين ؛ بل كان هو والمتقدمون يقسمون الحديث إلى صحيح وضعيف ، والحسن عندهم داخل في الضعيف بحسب مراتبه .

قال : وأول من عرف عنه أنه قسمه ثلاثة أقسام ، أبو عيسى الترمذي ، ثم الناس تبع له بعد .

فالامام أحمد يقدم الضعيف الذي هو الحسن عنده على القياس ، ولا يلتفت

الى الضيف الواهي الذي لا تقوم به حجة . بل ينكر على من يحتج به وذهب اليه ، فالامام أحمد رضي الله عنه أتبع خلق الله للسنن مرفوعها وموقوفها .

قال الامام ابن القيم في أول « أعلام الموقعين » : وليس أحد من الأئمة إلا وهو موافقه على هذا الأصل في الجملة ، فان ما منهم أحد إلا وقد قدم الحديث الضيف على القياس من حيث الجملة .

وأما الامام مالك فانه يقدم الحديث المرسل والمنقطع والبلاغات وقول الصحابي على القياس .

الخامس : القياس . فان الامام أحمد رضي الله عنه ، إذا لم يكن عنده في المسألة نص ، ولا قول صحابي ، ولا أثر مرسل أو ضيف ؛ عدل اليه فاستعمله للضرورة .

وقد قال الخلال : سئل الشافعي عن القياس فقال : إنما يصار اليه عنه الضرورة ، أو ما هذا معناه ، وقد توقف في الفتوى لتعارض الأدلة عنده ، أو لاختلاف الصحابة فيها ، أو لعدم اطلاعه فيها على أثر أو قول أحد من الصحابة والتابعين ، وكان كثير الكراهة للافتاء بمسألة ليس فيها أثر عن السلف ، كما قال لبعض أصحابه : إياك تتكلم في مسأله ليس لك فيه إمام :

والمقصود تعريف الوقوف على أصول الامام ، وأن الحديث الضيف الذي يقدم على القياس كما يوجد في كلامه وكلام أصحابه ؛ المراد به الحسن بقسميه ، كما استقر عليه كلام المحدثين المتأخرين ، وبالله التوفيق .

ومنها : أنا في شرحنا للثلاثيات أول ما تقدم ترجمة رواية الحديث :

الاول في الاول . أول ما يذكر من مشايخ الامام والتابعي والصحابي ، ثم إن طال الكلام وبعد الهد وذكر ثانياً ؛ أحسن ترجمته على المحل الذي

ذكرناها فيه ، ثم ذكرنا شرح الفاظ الحديث كلمة كلمة ، وذكرنا معناه ومدلوله وحكم ما فيه من الاحكام ، وبيننا اختلاف الائمة في ذلك حسب الامكان ، وسقنا من الأدلة النبوية ما يؤيد الصحيح المعتمد من ذلك ، وان كان الحديث الذي ساقه الامام يشير الى قصة ذكرناها ممزوة لناقلها ، أو الى غزوة ذكرنا اسم الغزوة ، ومتى كانت ، أو الى منقبة ؛ ذكرناها وقوبناها بما في ذلك من الاحاديث والابخار والمراسيل والآثار ، وإن كان في الحديث رجل مبهم أو امرأة ؛ نهنا عليه حسب الامكان ممزواً لمن سماه ، فان لم نقف على من سماه ؛ قلنا : لم نقف على من سماه ، وكذا إذا سبقنا أحد من المحدثين الى نفي الوقوف على تسميته ؛ عزونا ذلك له ، وغالب ما نذكره من دقائق العلوم ، من الفقه والاصطلاح والثرائب ؛ فنزوه لنقلته لنخرج من تبعته ، وربما لم نقف على ترجمة الرواة ، ولا ما قيل فيه من مدح ولا قبح ولا تعديل ولا جرح ؛ فأبيض له ، لملي أقف على ذلك فيما بمد ، فاني أعلم أنه منقول ، ولكن لقله موادي لم أجده عندي منقولاً ، ولملي أجده فيما بمد .

ومادتي في التراجم والجرح والتعديل « طبقات الحفاظ » للحافظ السيوطي و « نظم طبقات الحفاظ للذهبي » لابن مرداس الحنبلي و « شرح الزهر البسام » للهرماوي ، و « بعض شروح البخاري » ، و « بعض التواريخ ك « الوافي بالوفيات » للصالح الصفدي و « وفيات الاعيان » لابن خلكان و « مختصر الصفوة » و « زبدة الاعمال » و « منتخب المنتخب » لابن الجوزي ، وربما نقلت من موضوعاته في بعض المحال و « الترغيب » للحافظ المنذري ، ووقفت على قطعة لبعض متأخري علمائنا في الجرح والتعديل ، نقلت منها في بعض المحال .

واستعنت في شرحي لهذا الكتاب من كتب السير بسيرتي (مارج الأنوار) شرح التوفيق و (تجيب الوفا) و (السيرة الشامية) و (سيرة ابن سيد الناس

اليعمري) و (سيرة الحلبي) و (سيرة عبد الملك ابن هشام) وغيرها و بـ (تاريخ الخلفاء) للحافظ جلال الدين السيوطي و (مثير العزم الساكن) لابن الجوزي و (آداب النساء) له و (التبصرة) و (صيد الخاطر) وغيرها من تصانيفه ، و بعض شراح البخاري و (شرح الأربعين) للحافظ ابن رجب و (ذيل الطبقات) له و (القواعد الفقهية) له و (شرح حديث اختصام الملا الأعلى) و (البشارة العظمى في أن حظّ المؤمن من النار الحمّي) و (اللطف) و (استنشاق نسيم الألس من نفحات رياض القدس) و (الذل والانكسار) وغير ذلك من تصانيفه .

وجملت جعل عمدي وجل مقتصدي وما عليه معولي كتب شيخ الاسلام أبي العباس الامام الحافظ الحجة تقي الدين ابن تيمية ، وكتب تلميذه إمام المحققين وقدوة المدققين الامام الحافظ المتقن شمس الدين ابن القيم من (الهدى النبوي) و (أعلام الموقعين) و (الفروسية الحمديه) و (الجوش الاسلامية) و (حادي الارواح إلى منازل الافراح) و (مفتاح دار السعادة) و (شرح منازل السائرين) و (بدائع الفوائد) وغيرها من كتبه التي هي مرهم الجروح و ترياق القلب المجروح ، وكذا كتب الامام العلامة ابن مفلح ، وابن عبد الهادي ، ومن كتب الحديث ما لا نحصىه عدأ إلا بكلفة .

وقد عزوت كلام كل أحد لصاحبه غالباً ، خروجا من تبعته ، واذا تأملت شرحي للائيات تأملاً تاماً ، وأنمت (١) النظر فيه بانصاف . رأيت من الفوائد الغريبة ، والحقائق العجيبة ، والدقائق النفيسة . والتنبيهات الأنيسة ، والتحقيقات الفقهية ، والتدقيقات الأثرية ، مالئك لاتكاد تظفر به في غيره من الكتب ، وستقف على أشياء في مصنفنا أكثر مما وصفنا . ولنشرح في المقصود فنقول :

(١) لله وامنت

قال مخرج « الثلاثيات » عبد الدين إسماعيل بن عمر المقدسي في أولها :  
( بسم الله الرحمن الرحيم ) على ما يوجد في بعض النسخ ، وقد سقطت  
البسمة من أكثرها ، والكلام عن البسمة مشهور .  
وابتدأ بها تأسياً بالكتاب ، اقتداء به ﷺ في مكاتباته للملوك وغيرهم ،  
وعملاً بقوله ﷺ : « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بيسم الله الرحمن الرحيم  
فهو أبتى » .



من هند

سيدنا أبي عبد الرحمن عبد الله ابن عمر

رضي الله عنها

قال الامام احمد رضي الله عنه :

الحديث الاول

١ - حدثنا سفيان ، قال : حدثني عبد الله بن دينار ، سمع

ابن عمر يقول : نهى رسول الله ﷺ عن بيع الولاة ،

وعن هبته .

( حدثنا ) هذه الصيغة من أرفع العبارات ، وهي لما سمعه من لفظ الشيخ .

قال الخطيب : أرفع العبارات : سمعت ، ثم حدثنا وحدثني ، ثم أخبرنا ، وهو

كثير في الاستعمال . وقال ابن الصلاح : حدثنا وأخبرنا أرفع من سمعت من جهة ؛ أنت وصير

إفليس في سمعت دلالة أن الشيخ رواه إياه ، بخلافها . وقال الامام أحمد رضي الله

عنه : أخبرنا أسهل من حدثنا ، قال : حدثنا شديد . ( سفيان ) هو أبو محمد

سفيان بن عيينة بن أبي عمران ، ميمون الهلالي الكوفي . قال البرماوي : كان

مولى لمحمد بن مزاحم أخي الضحاك . وقال ابن خلكان : كان مولى امرأة من

بني هلال بن عامر ، وم رهط ميمونة أم المؤمنين ، رضي الله عنها . وقيل :  
 مولى لبني هاشم . وقيل : مولى الضحاك بن مزاحم . وقيل : مولى مسمر بن  
 كدام . ولد بالكوفة للنصف من شبان سنة سبع ومائة ، ونقله أبوه الى مكة ،  
 ذكره ابن سعد في « الطبقات » وعده في الطبقة الخامسة من أهل مكة .

قال سفيان : جالست الزهري وأنا ابن ست عشرة سنة وشهرين ونصف  
 شهر ، وقال : قدم علينا الزهري سنة ثلاث وعشرين ومائة ، وكان بنو عيينة  
 عشرة : سفيان ، وآدم ، ومحمد ، وإبراهيم ، وعمران ، فهؤلاء حدثوا ، وما عداهم  
 لم يحدث . وكان سفيان إماماً عالماً ثبتاً ثقة حجة زاهداً ورعاً ، مجماً على صحة  
 حديثه وروايته ، سمع الزهري ، وعمرو بن دينار ، وعبد الله بن دينار ،  
 وأبا إسحق السبيعي ، وزيد بن أسلم ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وسهيل بن أبي  
 صالح ، وأيوب السخيتاني ، وخلقاً كثيراً . قال الحافظ ابن ناصر الدين : إن  
 سفيان بن عيينة أدرك ستة وثمانين من التابعين ، وتفرد مرة عن الزهري ،  
 وعمرو بن دينار في آخرين . قال : وكان أعور العين ، ولما مات الزهري سنة أربع  
 وعشرين ومائة ؛ كان لابن عيينة من العمر سبع عشرة سنة ، وحين مات عمرو بن  
 دينار في سنة ست وعشرين ومائة ؛ كان لابن عيينة تسع عشرة سنة . قال : وكان  
 قد رأى في حياة شيوخه في المنام كأن أسنانه كلها سقطت ، فقص رؤياه على شيخه  
 الزهري . قال : يموت أسنانه ، يعني أقرانك ، وتبقى أنت . قال سفيان : فمات  
 أسناني وبقيت . وروي أنه لما تفرد تمثل :

خلت الليل فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردني بالسود

وروى عنه الأعمش ، والثوري ، وشعبة ، وهام بن يحيى ، ويحيى بن سعيد  
 القطان ، ووكيع ، والامام أحمد ، والامام الشافعي ، وابن مهدي ، وابن المبارك ،  
 وخلق سواهم كثير . مات سفيان بن عيينة رضي الله عنه بمكة أول يوم من رجب ،



سنة ثمان وتسعين ومائة ، ودفن بالحجون . وكان حج سبعين حجة ، ولما حج آخر حجة حجها ، فكان بجمع - يعني منى - استلقى على فراشه ثم قال : رأيت هذا الموضع سبعين عاماً ، أقول في كل سنة : اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان ، وإني قد استحييت من الله من كثرة ما أسأله ذلك ، خرجت فتوفي في السنة الداخلة . وقال سفيان : لما بلغت خمس عشرة سنة ، دعاني أبي فقال : يا سفيان ! قد انقطعت عنك شرائع الصبا ، فاحفظ الخير تكن من أهله ، ولا يفرنك من اغتر بالله فدحك بما يعلم الله خلافه منك ؛ فانه ما من أحد يقول في أحد من الخير إذا رضي ، إلا وهو يقول فيه من الشر مثل ذلك إذا سخط ، فاستأنس بالوحدة من جلساء السوء ، وإن يسمع بالعلماء إلا من أطاعهم . ومن كلام سفيان رضي الله عنه : من تزين للناس بشيء يعلم الله منه غير ذلك شانه الله . إذا كان نهاري نهار سفيه ، وليلي ايل جاهل ؛ فما أصنع بالعلم الذي كتبت ؟

ومن كلامه أيضاً : من زيد في عقله نقص من رزقه . أرفع الناس منزلة من كان بين الله وبين عبادته ، وهم الانبياء والمعلماء . ليس يضر المدح من عرف نفسه . العلم إن لم يتفمك شرك . إن من توفير الصلاة أن تأتي إليها قبل الإقامة . وذكر ابن خلكان في تاريخه : أن سفيان بن عيينه رضي الله عنه خرج يوماً الى من جاءه يسمع منه وهو ضجر ، فقال : أليس من الشقاء أن أكون جالست ضمرة بن سميد ، وجالس هو أبا سميد الخدري ، وجالست عبيد بن دينار ، وجالس هو ابن عمر رضي الله عنها ، وجالست الزهري ، وجالس أنس ابن مالك ، حتى عد جماعة ، ثم أنا أجالسكم ؟ فقال له حدث في المجلس : أنصف يا أبا محمد ؟ قال : إن شاء الله تعالى ، فقال : والله لشقاء أصحاب رسول الله ﷺ . بك أشد من شقائك بنا ، فأطرق وأنشد قول أبي نواس وهو هذا :

حصل جنبيك لرام      وامض عنه بسلام  
مت بداء الصمت خير      لك من داء الكلام

فتفرق الناس وهم يتخذون برجاجة الحدث، وكان ذلك الحدث يحيى بن أكرم التميمي ، فقال سفيان : هذا الفلام يصلح لصحبة هؤلاء يعني السلاطين .

وقال الشافعي : ما رأيت أحداً فيه من آلة الفتيا ما في سفيان ، وما رأيت أكف عن الفتيا منه .

قال ابن خلكان : وكان أبو عمران جد سفيان المذكور من عمال خالد ابن عبد الله القسري ، فلما عزل خالد عن العراق ، وولي يوسف بن عمر الثقفي ؛ طلب عمال خالد ، فهرب أبو عمران منه الى مكة ، فزلاها وهو من أهل الكوفة ، فقال سفيان : دخلت الكوفة ولم يتم لي عشرون سنة ، فقال أبو حنيفة لاصحابه ولاهل الكوفة : جاءكم حافظ علم عمرو بن دينار . قال : فجاء الناس يسألوني عن عمرو بن دينار ، فأول من سيرني محدثاً أبو حنيفة ، فذاكرته ، فقال لي : يا بني ! ما سمعت من عمرو إلا ثلاثة أحاديث يضطرب في حفظ تلك الاحاديث . انتهى .

وفي « الآداب الكبرى » للعلامة ابن مفلح قال : لما حج سالم الخواص ، لقي ابن عيينة في السوق ، فانكر عليه كونه في السوق ، فأنشد ابن عيينة :

خذ بلمي وإن قصرت في عملي      ينفعك علمي ولا يضرك تقصيري  
ومثله قول بعض المتأخرين :

خذ من علمي ولا تنظر الى عملي      واقصد بذلك وجه الواحد الباري  
وإن مررت بأشجار لها ثمر      فاجن الثار واخل العود للنار  
ومناقب سفيان بن عيينة وآثره كثيرة جداً ، رحمه الله ورضي عنه .

( قال ) سفيان : ( حدثني ) كذا بالافراد ( عبد الله ) هو أبو عبد الرحمن ( ابن دينار ) القرشي المدوي المدني ، مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنها ، روى عن مولاة ، وأنس بن مالك ، وعنه شعبة ، ومالك والسفيانان . قال ابن سمد : ثقة ، كثير الحديث ، وقال ابن مرداس الحنبلي في « طبقات الحفاظ » : إمام ثقة ، وحديثه في الصحاح - يعني هو من رجال « الصحيحين » وغيرها من الكتب الستة - فهو إمام ثقة ثبت ، توفي سنة سبع وعشرين ومائة من الهجرة النبوية - على صاحبها الصلاة والسلام - ورمز له ابن مرداس في « طبقات الحفاظ » بقوله : « قكز » ، وعده في الطبقة الرابعة من صفار التابعين رحمة الله عليه وعليهم أجمعين .

( سمع ) عبد الله بن دينار ( ابن عمر يقول ) : هو أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بن نفيل - بضم النون وفتح الفاء - بن عبد العزيز بن رباح - بكسر الراء ، وباللثناة تحت الراء ، وآخره حاء مهملة - بن عبد الله بن قرط - بضم القاف وسكون الراء ، وآخره طاء مهملة - ابن رزاح ، بفتح الراء وبمدها زاي وآخره حاء ، كذا قيده ابن الأثير والنووي ، لكن في « الروض » ، للسهيلي : أن الشيخ أبا بحر قيده بكسر الراء - قال - وزعم الدارقطني أنه بالفتح ، وأن رزاح - بالكسر - إماما هو رزاح بن ربيعة أخو قصي لأمه . انتهى . ورزاح هو ابن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي المدوي ، يجتمع مع النبي ﷺ في كعب بن لؤي . أسلم مع أبيه بمكة وهو صغير ، وقيل : أسلم قبل أبيه - ولا يصح هذا القول - وهاجر قبل أبيه ، وأول مشاهدته الخندق ، وشهد ما بعدها ، وقيل : إنه أول من بايع بيعة الرضوان ، والصحيح سنان بن أبي سنان الأسدي . وفي « الصحيحين » عن ابن عمر رضي الله عنها : « عرضت على النبي ﷺ عام أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني ،

وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني . فكان عبد الله ابن عمر رضي الله عنها ممن استصفر يوم أحد ، ومن الذين استصفروا يومئذ فردوا : البراء بن عازب ، وأبو سعيد الخدري ، وزيد بن أرقم ، ورافع بن خديج وغيرهم ، كما بينته في « شرح العمدة » .

وكان عبد الله بن عمر ، من أهل العلم والورع والزهد ، شديد التحري والاحتياط في فتواه ، وهو أحد المبادلة الأربع ؛ هو ، وابن عباس ، وابن الزبير ، وابن عمرو بن العاص رضي الله عنهم ، وليس منهم ابن مسعود رضي الله عنه ، لأنه توفي قبل إطلاق هذا الاسم عليهم ؛ كما قاله الامام أحمد رضي الله عنه . وهو أحد المفتين من الصحابة أصحاب المذاهب الذين انتشر علمهم .

قال في « أعلام الموقعين » : الدين والفقاه والعلم انتشر في الأمة عن أصحاب ابن مسعود ، وأصحاب زيد بن ثابت ، وأصحاب عبد الله بن عباس ، وأصحاب عبد الله بن عمر رضي الله عنهم ، فلم الناس عامته من أصحاب هؤلاء الأربعة ؛ فلم أهل المدينة عن زيد بن ثابت ، وعبد الله بن عمر ، وعلم أهل مكة عن أصحاب ابن عباس ، وعلم أهل المراق عن أصحاب ابن مسعود . وابن عمر أحد المكثرين ، والمكثر هو من روي له عن رسول الله ﷺ ألف حديث فصاعداً ، وهم سبعة : أبو هريرة ، وابن عمر ، وأنس ، وعائشة الصديقة ، وابن عباس ، وجابر بن عبد الله ، وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم . وأكثرهم أبو هريرة كما قال الامام أحمد ، فروي له عن رسول الله ﷺ خمسة آلاف حديث وثمانمائة وأربعة وسبعون حديثاً ، ثم ابن عمر ، فروي له ألفا حديث وستمائة وثلاثون حديثاً ، ثم أنس ، فروي له ألفان ومائتان وستة وثمانون حديثاً ، ثم عائشة ، روي لها عن رسول الله ﷺ ألفان ومائتان وعشرة ، ثم ابن عباس ،

روي له ألف وستائة وستون حديثاً ، ثم جابر ، روي له ألف وخمسة وأربعون حديثاً ، ثم أبو سعيد الخدري ، فروي له ألف ومائة وسبعون حديثاً .

ولد عبد الله بن عمر رضي الله عنها قبل الوحي بسنة ، ومات بمكة سنة ثلاث وسبعين بمسجد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر ، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين وله أربع وثمانون سنة ، وقيل : ستة وثمانون ، وهذا يصح على قولهم : إنه ولد قبل البعثة بسنة ؛ إلا إن يريدوا إسقاط ثلاث سنين مدة فترة الوحي ، لأن الصحيح المتمد أنه صلى الله عليه وسلم أقام بمكة بمسجد الوحي ثلاث عشرة سنة ، فيكون ابن عمر رضي الله عنها ، ولد في الثالثة من البعثة ، هذا يثبت لا غبار عليه .

روي عن ابن عمر رضي الله عنها خلق كثير ، منهم ابنه : سالم ، وحزرة ، وكذا عبد الله ، وبلال ، ومولاه نافع ، والقاسم بن محمد ، وعروة بن الزبير وخلق كثير سوام . وانكف عن الفتن ؛ فلم يقاتل في شيء من الحروب التي جرت بين المسلمين . قال طاووس : ما رأيت رجلاً أروع من ابن عمر ، ولا رأيت رجلاً أعلم من ابن عباس ، رضي الله عنهم . وقالت عائشة رضي الله عنها : ما رأيت أحداً أزم للأمر الأول من عبد الله بن عمر . وقال ابن المسيب : وكانت شاهداً لأحد من أهل العلم أنه من أهل الجنة لشهدت لمبد الله بن عمر . وقال نافع : كان ابن عمر إذا اشتد عجزه بشيء من ماله قربه لربه ، وكان رقيقه قد عرفوا ذلك منه ، فربما شمر أحدهم ولزم المسجد ، فإذا رآه ابن عمر على تلك الحال الحسنه أعتقه ، فيقول أصحابه : والله ما بهم إلا أن يخذعوك ، فيقول : من خدعنا بالله انخدعنا له . وقال ميمون بن مهران : أنت ابن عمر اثنتان وعشرون ألف دينار في مجلس ، فلم يقم حتى فرقتها . وقال نافع : ربما تصدق ابن عمر في المجلس الواحد بثلاثين ألفاً ، وأعطى بنافع عشرة آلاف

دينار ، فقيل له : ما تنتظر أن تبسح ؟ قال : فهلا ما هو خير من ذلك ! هو حر  
لوجه الله تعالى ، ومات حتى أعتق ألف إنسان ، أو زاد . واشتكي  
فاشتري له عنقود عنب بدرم ، فجاه مسكين يسأل ، فقال : أعطوه إياه ، ثم  
خالف إليه إنسان ، فاشتراه منه بدرم ، ثم جاء به إليه ، فجاه المسكين يسأل ،  
فأعطاه إياه ، ثم خالف إليه إنسان ، فاشتراه منه بدرم أيضاً ، فأراد المسكين أن  
يرجع فنع ، ولو علم ابن عمر بذلك المنقود ما ذاقه . وقال رضي الله عنه : لو  
علمت أن الله تعالى يقبل مني سجدة واحدة ، أو صدقة درم ، لم يكن غائب أحب  
إلي من الموت ، إنما يتقبل الله من المتقين . وكان يحيي الليل صلاة ، ثم يقول :  
أسحرنا ؟ فيقال : لا ، فيعاود الصلاة ، ثم يقول : أسحرنا ؟ فيقال : نعم ، فيقعد  
فيستغفر ويدعو حتى يصبح . وكان يحيي ما بين الظهر والمصر ، وكان إذا أصبح  
قال : اللهم اجعلني من أعظم عبادك نصيباً في كل خير تقسمه الغداة ، ونور تهدي  
به : ورحمة تنشرها ورزق تبسطه ، وضرراً تكشفه ، وبلاء ترفعه ، وفتنة تصرفها .  
وقال جابر رضي الله عنه : ما أدركنا أحداً إلا وقد مالت به الدنيا ومال بها  
إلا عبد الله بن عمر . وقال ابن عمر رضي الله عنهما : لا يصيب عبد شيئاً من  
الدنيا إلا نقص من درجاته عند الله ، وإن كان عليه كبرياً . وقال له رجل :  
يا خير الناس ، وابن خير الناس ! فقال : ما أنا بخير الناس ، ولا بابن خير الناس ،  
ولكني عبد من عباد الله ، أرجو الله وأخافه ، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه .  
وقال : أحب في الله وأبغض في الله ، ووال في الله وعاد في الله ؛ فانك لن تنال  
ولاية الله إلا بذلك . ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلته وصيامه حتى  
يكون كذلك . ومناقب عبد الله بن عمر رضي الله عنها كثيرة ، ومآثره شهيرة ،  
وفيا ذكرناه كفاية ، والله الموفق .

( نهى رسول الله ﷺ ) النهي مقابل للأمر ، وصيغته لا تفعل ، من

الأعلى للأدنى . قال العلامة ابن اللحام في قواعد الاصولية : اشترط جمهور المعتزلة في حد الأمر الملو دون الاستملاء . قال - وهو ظاهر قول أصحابنا موثابهم الشيخ ابو إسحاق الشيرازي ، ونقله القاضي عبد الوهاب في المختصر عن أهل اللغة وجمهور أهل العلم ، واختاره . وشرط أبو حسين من المعتزلة الاستملاء دون الملو ، وصححه الآمدي ، وابن الحاجب . والمتكلمون لا يشترطون علواً ولا استملاءً ، فلا استملاء : الطلب بنظرة ، ورفع الصوت ، والمو : أن يكون الطالب أعلى مرتبة ، ومع التساوي فهو التماس ، ومع دنو الطالب فهو سؤال . والنهي في ذلك كله مثل الأمر صحة وخلافاً . والنهي : حقيقة في التحريم ، نحو قوله تعالى : ( ولا تقتلوا أنفسكم . ولا تقربوا الزنا . ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل . ولا تفكحوا ما نكح آبائكم من النساء ) . قال في « شرح مختصر التحرير » : إن تجردت صيغة النهي عن القرأتين والمآني الصارفة لها عن حقيقتها ؛ فهي للتحريم عند الائتمة الاربعة ، وبالغ الشافعي في إنكار قول من قال : إنها للكراهة . فتمتد المذهب أن إطلاق النهي يدل على الفساد . قال الامام مجد الدين بن تيمية : نص عليه الامام أحمد رضي الله عنه في مواضع - قال - وهذا قول جماعة الفقهاء ، وحكاه القاضي أبو يعلى . قال الخطابي : ظاهر النهي يوجب فساد المنهي عنه ؛ إلا أن تقوم دلالة على خلافه - قال - وهذا مذهب العلماء في قديم الدهر وحديثه . ذكره في « الاعلام » في النهي عن بيع الكلب . وقيل : لا يدل على فساد المنهي عنه مطلقاً ، ونقله في « المحصول » عن أكثر الفقهاء ، والآمدي عن المحققين . وقيل : يدل على الفساد في العبادات دون المعاملات ، والاصح الاول ، وأنه يدل على الفساد من جهة الشرع .

فائدة : نقل علي بن سعيد عن الامام احمد رضي الله عنه أنه قال : ما أمر به النبي ﷺ عندي أسهل ما نهى عنه ، وكذلك نقل عنه الميموني : الأمر

أسهل من النهي . انتهى . والنهي يقتضي الفور والدوام ، فقول الناهي عن شيء :  
لا تفعله ! مرة ، يقتضي تكرار الترك .

( عن بيع الولاء ) - وهو بفتح الواو ممدوداً - والمراد بولاء المتق ثبوت  
حكم شرعي بالمتق ، أو تعاطي سببه ، ومعناه : أنه إذا أعتق عبداً أو أمة صار له  
عصبة في جميع أحكام التمصيب عند عدم المصبة من النسب ؛ كاليراث ، وولاية  
النكاح ، والعقل ، وغير ذلك . قال في «النهاية» : كانت العرب تبيع هذا الولاء  
وتهبه ، فهى النبي ﷺ عن ذلك ، لأن الولاء كالنسب ، فلا يزول بالازالة .  
( و ) نهى ﷺ ( عن هبته ) - أي الولاء - يعني أنه لا يزول ، لا بعاوضة  
ولا بغيرها . وروى الطبراني من حديث عبدالله بن أبي أوفى ، والحاكم ، والبيهقي  
من حديث ابن عمر رضي الله عنهم مرفوعاً : ( الولاء لجمعة كلجمعة النسب لا يباع  
ولا يوهب ) . صححه الحاكم ، ورده الذهبي ، وشنع عليه . وأما الحديث الذي  
نحن بصدد شرحه ، فرواه الجماعة . قال النووي : في الحديث دليل على تحريم بيع  
الولاء وهبته ، وانها لا يصحان ، وأنه لا ينتقل الولاء ، يعني ، لا يبيع ولا هبته  
- قال - واختار بعض السلف نقله - قال - ولعله لم يبلغه الحديث . وانكر  
ابن وضاح ان يكون ( وهبته ) من كلام النبي ﷺ . انتهى .

والاصل في الولاء قوله تعالى : ( فان لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين  
ومواليكم ) - يعني الادعاء - مع قوله ﷺ : ( الولاء لمن أعتق )  
متفق عليه .

( فروع ) :

الاول : الولاء لا يباع ولا يوهب ولا يورث ، ولكن يورث به ،  
ومعنى لا يورث وإنما يورث به ، لانه ﷺ شبهه بالنسب ، والنسب لا يورث ،



وإنما يورث به ، ولأنه إنما يحصل بانعام السيد على رقيقه بالعتق ، وهذا المعنى لا ينتقل ، وإنما يرث به أقرب عصابة المعتق مع عدم عصابة النسب ، مع بقاء الولاء للمعتق ، وهذا قول عمر ، وعلي رضي الله عنها وغيرها .

الثاني : لو اعتق عبده بسائبة أو قال : أعتقتك ولا ولاء لي عليك ، أو اعتقه من زكاته أو كفارته أو نذره ، فله ولاؤه على معتمد المذهب ، قدمه في « الفروع » ، وهو قول الشافعي وأهل المراق . قال الامام الموفق : وهو أصح في النظر للموم الاخبار ، وعن هزيل بن شرحبيل قال : « جاء رجل الى عبد الله فقال : إني أعتقت عبداً وجعلته سائبة ، فبات وترك مالاً ولم يدع وارثاً ، فقال عبد الله : إن أهل الاسلام لا يسيبون ، وإنما كان أهل الجاهلية يسيبون ، وأنت ولي نعمته ولك ميراثه ، وإن تأتممت وتخرجت في شيء ؛ فنحن نقبله ونجمله في بيت المال » رواه مسلم ، وللبخاري منه : « إن أهل الاسلام لا يسيبون ، وإن أهل الجاهلية كانوا يسيبون » . وقال سعيد : حدثنا هشيم عن منصور ، أن عمر ، وابن مسعود رضي الله عنها قالا في ميراث السائبة : هو للذي أعتقه ؛ وقال الامام مالك : يحمل ولاؤه لجماعة المسلمين .

الثالث : اتفق الاثمة على أن المعتق يرث عتيقه حيث لا وارث له من النسب إذا اتفقا في الدين ، واختلفوا فيما إذا اختلف الدينان بينها ؛ فكان أحدهما مسلماً ، والآخر نصرانياً أو يهودياً ، فقال أبو حنيفة ومالك والشافعي : لا يستحق الارث بالولاء مع اختلاف الدين ، بل يكون موقوفاً ، فإن أسلم السيد ورثه ، وإن مات قبل أن يسلم ؛ كان ميراثه للمسلمين . وقال الامام احمد : يرثه وإن اختلف الدينان ، كما في رواية المروزي ، والعقل بن زياد ، وهو معتمد المذهب ، والله أعلم .

## الحديث الثاني

٢ — حدثنا سفيان ، قال : حدثني عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ ، قال : لا تدخلوا على هؤلاء القوم الذين عذبوا إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين ، فلا تدخلوا عليهم ، فاني أخاف أن يصيبكم ما أصابهم .

قال : ( حدثنا سفيان ) هو ابن عيينة ( قال : حدثني عبد الله بن دينار عن ) أبي عبد الرحمن عبد الله ( بن عمر ) رضي الله عنها ( عن النبي ﷺ ) أنه ( قال ) لأصحابه ، يعني لما وصلوا الحجر ، ديار ثمود في حال توجههم الى تبوك ( لا تدخلوا على هؤلاء القوم ) - يعني ثمود - أي لا تدخلوا ديارهم ومساكنهم ( الذين عذبوا ) أي عذبهم الله تعالى بسبب كفرهم ومماصيهم ، يعني أنزل عليهم العذاب في ديارهم ومساكنهم ( إلا أن تكونوا ) في حال دخولكم لها ( باكين ) من خوف عقاب الله وعذابه الذي حل بأعدائه في مساكنهم ومنازلهم ، فرجما يكون أثر ذلك لم يزل بتلك المنازل ، وايس المراد الاقتصار في ذلك على ابتداء الدخول ؛ بل دائماً عند كل جزء من الدخول ؛ بل البكاء مطلوب في حال الاستقرار في تلك الديار بالأولى . ومن ثم لم ينزل رسول الله ﷺ فيها البتة ، ولم يصل هناك . قاله ابن بطال وغيره . ( فإن لم تكونوا باكين ) للاعتبار بما نزل بهم ( فلا تدخلوا عليهم ) ديارهم التي حل بهم العذاب فيها ، ونزل عليهم العقاب وهم مستوطنوها . وفي لفظ : لا تدخلوا على هؤلاء المذنبين إلا أن تكونوا باكين ، ( فاني ) الفاء تعليلية ( أخاف ) إن دخلتم مساكنهم على غير هيئة الاعتبار والبكاء والادكار ( أن يصيبكم ) بسبب حلولكم في ديارهم

( ما أصابهم ) من البلاء والمذاب ؛ لبقاء أثر الغضب على تلك البقاع . وفي رواية عن ابن عمر رضي الله عنها قال : « لا مرّ النبي ﷺ بالحجر قال : لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم ، إلا أن تكونوا باكين ، ثم قنع رأسه ﷺ وأسرع السير حتى أجاز الوادي ، وهذا الحديث بروايته صحيح ، رواه البخاري ومسلم وغيرهما . وروى الحاكم في « الاكلیل » عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : رأيت رجلاً جاء بخاتم جده في الحجر في بيوت المذنين ، فأعرض عنه ﷺ ، واستتر بيده أن ينظر إليه وقال : ألقه ، فألقاه ، لكن إسناده ضعيف .

وتمود : هم قوم صالح نبي الله سبحانه ، ابن عبيد بن عابر بن إرم بن سام ابن نوح ، وتمود من عابر بن إرم بن سام بن نوح ، وكانت منازلهم بالحجر ، وبين الحجر وبين قرح ثمانية عشر ميلاً . قرح : هي وادي القرى . ولما قال له قومه : اثنتا بآية ، أتى بهم هضبة ، فلما رآته تمخضت كما تمخض الحامل ، وانشقت عن الناقة . وعافر الناقة ، هو أحمر تمود ، واسمه قدار بن سالف ، وكان أحمر أشقر أزرق قصيراً ، ويضرب به المثل في الشؤم ، والعاقر الآخر ، مصمد بن مہرج ، وكان نحيفاً طويلاً ، أهوج مضطرباً . ولما عقرت الناقة ، صعد فصيلها جبلاً عالياً ، يقال له : صنو ، فطلبوه فلم يقدروا ، فلما رأى صالح ذلك أحزنه وبكى ، ثم رعى الفصيل ثلاثاً ، فانفجرت الصخرة ، فدخلها ، فوعدم بالمذاب ، فقال : تمتوا في داركم ثلاثة أيام ، لكل دعوة يوم . فأصابهم في اليوم الاول — وكان نهار الخميس — صفرة ، فأصبحوا مصفرين ، وفي اليوم الثاني أصبحت وجوههم محمرة ، كأنها قد خضبت بالدماء ، وأصبحوا في اليوم الثالث وقد اسودت وجوههم ، كأنها طليت بالقار ، وصبحهم المذاب يوم الاحد ، فأتتهم صيحة من

السماء ارتجت لها الدنيا ، فتقطعت قلوبهم في صدورهم ، فلم يبق منهم صغير ولا كبير إلا هلك ، ولحق صالح ومن معه ممن كان قد آمن من قومه بمكة ، وتوفي بمكة ، ودفن بالحجر ، وله من العمر مائتان وثمانون سنة . وقيل : إنه خرج ومن معه من المؤمنين ليلة الاحد من بين أظهرهم ، فنزل في الرملة من بلاد فلسطين فمات بها ، ودفن في جامعها المعروف الآن بالابيض . واقصر ابن قتيبة في « المعارف » على أنهم ماتوا بمكة هو ومن معه ، وأن قبورهم غربى الكعبة بين دار الندوة والحجر ، وأن الله تعالى أهلك ثمود قوم صالح . قال صالح عليه السلام لمن آمن معه : يا قوم إن هذه دار قد سخط الله على أهلها فاطمنوا عنها ، والحقوا بحرم الله وأمنه ، فأهلوا من ساعتهم بالحج ، وأحرموا في المباء ، ورحلوا قلائص حمرأ مخظمة بجبال من ليف ، ثم انطلقوا يلبون حتى وردوا مكة ، فلم يزالوا بها حتى ماتوا ، والله أعلم .

( فرعان ) :

الاول : جزم علماؤنا بأنه لا يباح من ماء آبار ثمود غير بئر الناقة . قال شيخ الاسلام ابن تيمية : هي البئر الكبيرة التي يردها الحجاج في هذه الأزمنة - يعني أزمنته - قلت : هي الآن مجهولة ، فقد سألت عنها لما مررنا بها في ذهابنا وإيابنا سنة حجنا ، وهي سنة الف ومائة وثمانية وأربعين ، فلم يخبرني بها أحد . قال في « الاقناع » : فظاهره لاتصح الطهارة به ، كماء مفصوب ، أو ثمنه الممين حرام ؛ فيتيمم معه لعدم . قال في « الفروع » : احتج الامام أحمد بقصة عجن الصحابة بماء آبار ثمود ، وأمرم بأن لا يأكلوه ، وأن يطعموه لدوابهم ، على أنه يجوز علف نجاسة الحيوان لا يذبح ، أو يحلب قريباً . قال في « الفروع » : فدل على تحريم آبار ثمود . قال : وسأله مهنا عن نزل الحجر ؛ أيشرب من مائها أو يمجن به ؟ قال : لا ؛ إلا من ضرورة - قال - ولا يقيم بها . وعن ابن عمر رضي

الله عنها : « أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ على الحجر أرض نمود - فاستقوا من آبارها ، وعجنوا به العجين ، فأمرهم ﷺ أن يهريقوا ما استقوا من آبارها ، ويملفوا الابل العجين ، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة » ، رواه الامام أحمد والبخاري ومسلم . قال في « الفروع » : ولا وجه لظاهر كلام الاصحاب رحمهم الله على إباحته مع الخبر ، ونص الامام أحمد . انتهى .

الثاني : قال في « الاقناع » : مسا كن نمود لا تملك بالاحياء لعدم دوام البكاء مع السكنى والانتفاع ؛ قاله الحارثي ، قال في « الاقناع » : ويكره دخول ديارم إلا لبك معتبر ؛ لا يصيبه ما أصابهم . انتهى . قلت : كراهة الدخول والاقامة لا تمنع الملك . وقد صرح جل علمائنا كفيرم بأنها تملك ، والله الموفق وفي الحديث الحث على مجانبة محال غضب الله وسخطه ، والمباعدة عن قبور الظلمة وديارم ومصارعهم ، مع الفعلة عما أصابهم من عقاب الله وعذابه ، وإن أثر غضبه له تأثير في المحال كالحال . فان قيل : كيف يصيب عذاب الظالمين من ليس بظالم ؟ فالجواب أن الشارع ﷺ أرشد أمته إلى التفكير والاعتبار الباعث للخشية ، فكأنه أمرم بالتفكر في أحوال توجب البكاء من تقدير الله تعالى على أوائك بالكفر ، مع تمكنهم في الارض وإمهاهم مدة طويلة ، ثم ايقاع نقمته بهم وشدة عذابه عليهم وهو سبحانه مقلب القلوب ، فلا يأمن المؤمن أن تكون عاقبته الى مثل ذلك ، والتفكر أيضاً في مقابلة أوائك نعمة الله بالكفر ، وإمهاهم إعمال عقولهم فيما يوجب الايمان به ، والطاعة لنيبه ، فمن مر عليهم ولم يتفكر فيما يوجب البكاء اعتباراً بأحوالهم ؛ فقد شابهم في الاممال ، ودل على قساوة قلبه ، وعدم خشوعه ، فلا يأمن أن يحمله الى العمل بمثل أعمالهم ، فيصيبه ما أصابهم ، فهذا التقرير لا يأمن أن يصير ظالماً ، فيعذبه بظلمه ، والله الموفق .

### الحديث الثالث

٣ - حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ،  
قال : سئل النبي ﷺ عن الضب ، فقال : لا آكله ولا  
أحرمه .

قال ( حدثنا ) أبو محمد ( سفيان ) بن عيينة ( عن عبد الله بن دينار عن )  
أبي عبد الرحمن عبد الله ( ابن عمر ) رضي الله عنها ( قال : سئل ) - بضم السين  
المهمل على صيغة ما لم يسم فاعله - ( النبي ) - بالرفع نائب فاعل - ( ﷺ ) عن  
الضب ( أي حكم أكل لحمه . قال الحافظ ابن حجر في كتابه « فتح الباري لشرح  
البخاري » : يحتمل أن يكون السائل جذيمة بن جزء ، فقد أخرج ابن ماجه من حديثه  
« قلت : يا رسول الله ! ما تقول في الضب ؟ فقال : لا آكله ولا أحرمه - قال - قلت :  
فإنني آكل ما لم تحرم ، وسنده ضعيف . وعند مسلم والنسائي من حديث أبي سعيد  
« قال رجل : يا رسول الله ! إنا بأرض مضبة ، فما تأمرنا ؟ قال : ذكر لي أن أمة  
من بني إسرائيل مسخت . فلم يأمر ، ولم ينه ، . وقوله : مضبة . بضم أوله  
وكسر الصاد المعجمة ، أي كثيرة الضباب - قال - وهذا يمكن أن  
يفسر بثابت بن وديعة ؛ فقد أخرج أبو داود والنسائي من حديثه ؛ قال :  
« أصبت ضباباً ، فشويت منها ضباً ، فأتيت به رسول الله ﷺ ، فأخذ عوداً ،  
فعد به أصابعه ، ثم قال : إن أمة من بني إسرائيل مسخت دواب في الأرض ،  
وإنني لا أدري أي الدواب هي ؛ فلم يأكل ، ولم ينه ، وسنده صحيح . والضب  
بفتح الصاد المعجمة وكشديد الموحدة - حيوان صغير ذو ذنب ، يشبه بالجرذون

بكر الحاء المهملة - وقيل : الحردون ، ذكر الضب ، حكاه الجوهري ، ذكره في « المطلع » ، وفي « الفتح » : الضب دويبة تشبه الحردون ، لكنه أكبر منه ، ويكنى أبا حسل - بمهملتين مكسورة فساكنة - ويقال للاتى : ضبة ، وبه سميت القبيلة ، وبالخيف من منى جبل يقال له : ضب ، والضب أيضاً : داء في خف البعير ، ويقال : إن لأصل ذكر الضب فرعين ، ولهذا يقال : له ذكران . وذكر ابن خالويه أن الضب يعيش سبعمائة سنة ، وأنه لا يشرب الماء ، ويبول كل أربعين يوماً قطرة ، ولا يسقط له سن ، ويقال : بل أسنانه قطعة واحدة . وحكى غيره أن أكل لحمه يذهب العطش . ومن الأمثال : لا أفضل كذا حتى يرد الضب ، بقوله من أراد أن لا يفعل الشيء ، لأن الضب لا يرد ؛ بل يكتفي بالقيم وبرد الهواء ، ولا يخرج من جحره في الشتاء ( فقال ) ﷺ : ( لا آكله ) - أي الضب - ( ولا أحرمه ) . وفي لفظ « الصحيحين » ، وغيرها : « لست آكله ولا أحرمه » ، وفي مسلم من طريق نافع عن ابن عمر « سألت رجلاً رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر ، وفي « مسند » الامام أحمد ، وفي البخاري ، ومسلم ، والموطأ ، والترمذي ، والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما : « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معه ناس فيهم سعد ، وأتوا بلحم ضب ، فنادت امرأة من نساء النبي صلى الله عليه وسلم : إنه لحم ضب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلوه فإنه حلال ، ولكنه ليس من طعامي » ، وفي رواية لمسلم : « أتني بضب فلم يأكله ولم يحرمه » ، وفي أخرى أنه سئل عن الضب فقال : لا آكله ولا أنهى عنه ، وفي رواية الموطأ : « أن رجلاً نادى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! ما ترى في الضب ؟ فقال رسول الله ﷺ : لست بأكله ولا يحرمه » ، وفي « المسند » ، والبخاري ، ومسلم ، وأبي داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، وغيرها عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أن

خالد بن الوليد سيف الله أخبره أنه دخل مع رسول الله ﷺ على ميسونة زوج  
 النبي ﷺ - وهي خالته ، وخالة ابن عباس - فوجد ضباً محتوذا بمساء مهمة  
 ساكنة ، فنون مضمومة ، وآخره ذال معجمة ، أي مشوي بالحجاري المصممة  
 - قدمت به أختها حفيذة بنت الحارث من نجد ، فقدمت الضب لرسول الله ﷺ  
 وكان قل ما يقدم يديه لطعام حتى يحدث عنه ، ويسمى له ، فأهوى رسول الله  
 ﷺ بيده إلى الضب ، فقالت امرأة من النسوة الحضور : أخبرن رسول الله  
 ﷺ بما قدمتن له . قلن : هو الضب يا رسول الله ، فرفع رسول الله ﷺ يده ،  
 فقال خالد بن الوليد : أحرام الضب يا رسول الله ؟ قال : لا ؛ ولكنه لم يكن  
 بأرض قومي ، فأجدني أعافه . - قال خالد : فاجتزته بحجم وزاي ، هذا هو  
 المعروف في كتب الحديث ، أي فأكلته - ورسول الله ﷺ ينظر ، فلم ينهني ،  
 فني هذين الحديثين وغيرها جواز أكل الضب . وحكى عياض عن قوم تحريمه ،  
 وعن الحنفية كراهته ، وأنكر ذلك النووي وقال : لا أظنه يصح عن أحد ، وإن  
 صح فهو محجوج بالنصوص ، وبإجماع من قبله . قال في « الفتح » وقد نقله ابن  
 المنذر عن علي ، فأبي إجماع يكون مع مخالفته . ونقل الترمذي  
 كراهته عن بعض أهل السلم ، وقال الطحاوي في « معاني الآثار » :  
 كره قوم أكل الضب ، منهم أبو حنيفة ، وأبو يوسف ، ومحمد بن الحسن  
 - قال - واحتج محمد بحديث عائشة : « أن النبي ﷺ أهدني له ضب فلم يأكله ،  
 فقام عليهم سائل ، فأرادت عائشة أن تعطيه : فقال لها ﷺ : أتعطينه مالا  
 تأكلين ! » قال الطحاوي : ما في هذا دليل على الكراهة ، لاحتمال أن تكون  
 عافته ، فأراد النبي ﷺ أن لا يكون ما يتقرب به إلى الله إلا من خير الطعام ؛  
 كما نهى أن يتصدق بالتمر الرديء . انتهى . وقد جاء عن النبي ﷺ « أنه  
 نهى عن الضب » أخرجه أبو داود بإسناد حسن . ولا التفات لقول الخطابي :



ليس اسناده بذلك ، ولا بقوم ابن حزم : فيه ضعفاء ومجهولون ، وقول البيهقي :  
تفرد به اسماعيل بن عياش ، وليس بحجة ، وقول ابن الجوزي : لا يصح ؛ لأن  
في ذلك كله تساهلاً لا يخفى ؛ لانه من رواية اسماعيل بن عياش عن ضمضم بن  
زرعة عن شريح بن عتبة ، عن أبي راشد الجبراني ، عن عبد الرحمن بن شبل  
رضي الله عنه ، وحديث ابن عياش عن الشاميين قوي ، وهؤلاء شاميون تقات ،  
وقد صحح البخاري بعض رواية ابن عياش عن الشاميين . وقد أخرج الامام  
أحمد وأبو داود وابن حبان وصححه من حديث عبد الرحمن بن حسنة رضي الله  
عنه : « نزلنا أرضاً كثيرة الضباب ، الحديث ، وفيه : « أنهم طبخوا منها ، فقال  
ﷺ : إن أمة بني اسرائيل مسخت دواب في الارض ، فأخشى أن تكون هذه  
فأكفروها ، وأخرجه الطحاوي ، وسند هذا الحديث على شرط الشيخين إلا  
الضحك ، فلم يخرج له .

فإن قلت : ما وجه هذا مع ما تقدم من الاحاديث الدالة على إباحة الضب  
نصريحاً وتلويحاً ونصاً وتقريراً ؟ فالجواب : حمل النهي فيه على أول الخصال  
عند تجوز أن يكون ما مسخ ، وحينئذ أمر بكفاء القدر ، ثم توقف فلم يأمر  
ولم ينه عنه ، وأما الاذن فيه فمحمول على ثاني الحال ، لما علم ﷺ أن المسوخ  
لا نسل له . ثم إنه عليه الصلاة والسلام بعد ذلك كان يستفدرة ، فلا يأكله ولا  
يحرمه ، وأكل على مائدته ، فدل على الإباحة . ومن كرهه ؛ فكراهته للتزبه  
في حق من يتقدره . وتحمل أحاديث الإباحة على من لا يتقدره ، ولا يلزم من  
ذلك أنه يكره مطلقاً . وقد أفهم كلام ابن العربي عدم حله لمن يتقدره ؛ أما  
بتوقع في أكله من الضرر .

تنبيه : ذكر الحافظ ابن حجر في « الفتح » متمجباً من ابن العربي حيث

قال : قولهم : إن المسوخ لا ينسل . هذا أمر لا يعرف بالعقل ، وإنما طريقه النقل ، وليس فيه أمر يعول عليه . كذا قال ، وكأنه لم يستحضره من صحيح مسلم ، ثم قال : وعلى تقدير ثبوت كون الضب ممسوخاً ؛ فذلك لا يقتضي تحريم أكله ، لأن كونه آدمياً قد زال حكمه ، ولم يبق له أثر أصلاً ، وإنما كره ﷺ الأكل منه لما وقع عليه من سخط الله ، كما كره الشرب من مياه نمود . انتهى .  
قال في « الفتح » : ومسألة جواز أكل الآدمي إذا مسخ حيواناً ما كولا ؛ لم أرها في كتب فقهائنا .

قلت : ظاهر كلام علمائنا عدم إباحة جميع المسوخ . قال الامام أحمد في القنفذ : إنه بلغه أنه مسخ . قال في « الفروع » : أي لا مسخ على صورته دل على خبثه ، قاله شيخنا - يعني شيخ الاسلام ابن تيمية - . انتهى . والحديث ظاهره يقتضي التحريم ، والله أعلم .

#### الحديث الرابع

٤ - حدثنا سفيان ، قال سمعته من ابن دينار ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : إذا سلم عليكم اليهودي ؛ فأنما يقول : السام عليك ، فقل : وعليك .  
وقال مرة : إذا سلم عليكم اليهودي ؛ فقولوا : وعليكم ، فأنهم يقولون : السام عليكم .

قال رضي الله عنه : ( حدثنا سفيان ) بن عيينة ( قال ) أي سفيان ( سمعته ) أي الحديث الآتي ( من ) عبد الله ( بن دينار ، عن ) أبي عبد الرحمن عبد الله ( ابن

عمر) رضي الله عنها (عن النبي صلى الله عليه وسلم) أنه قال: (إذا سلم عليكم) معشر المسلمين (اليهودي) واحد اليهود، حذفت ياء النسبة من جمعهم، كزنجي، وزنج، وفي تسميتهم بذلك خمسة أقوال: أحدها قولهم: إنا هدنا اليك، والثاني: أنهم هادوا من عبادة المجل، أي - تابوا - والثالث: أنهم مالوا عن دين الاسلام، ودين موسى. والرابع: أنهم يهودون عند قراءة التوراة، أي يتحركون ويقولون: السموات والأرض تحركت حين آتى الله موسى التوراة؛ قاله أبو عمرو بن العلاء. والخامس: نسبتهم الى يهوذا بن يعقوب، فقيل لهم: يهود بالذال المعجمة، ثم عرب بالمهلة، نقله غير واحد. والمراد باليهود، ما يشمل سائر فرقهم من السامرة والفرثانيين وغيرها. (فإنما يقول): وفي لفظ عند البخاري: (إنما يقول أحدهم بتسليمه عليكم: (السام) بالسين المهلة، بنير همز وهو الموت، وقيل: الموت العاجل (عليك) بالافراد، كذا لعامتهم (فقل): أمر منه صلى الله عليه وسلم بالرد عليهم على وفق ابتدائهم (و عليك) هكذا هو في «السند» وجميع نسخ «صحيح البخاري»، والذي عند جميع رواة الموطأ بلفظ، فقل: عليك، ليس فيه الواو. وأخرجه أبو نعيم في المستخرج من طريق يحيى بن بكير، ومن طريق عبد الله بن نافع، كلاهما عن مالك بإثبات الواو. (وقال) سفیان عن ابن دينار عن ابن عمر (مرة: إذا سلم عليكم اليهودي، فقولوا: في الرد عليه (و عليكم، فانهم) الفاء تمليلية، أي اليهود (يقولون: السام) أي الموت (عليكم) وأخرجه النسائي من طريق ابن عيينه، عن ابن دينار بلفظ: «إذا سلم عليكم اليهودي والنصراني، فأنما يقول: السام عليكم، فقل: عليكم، بنير واو وبصفة الجمع، وأخرجه أبو داود من رواية عبد العزيز بن مسلم، عن عبد الله بن دينار، وقال: وكذا رواه مالك والثوري عن عبد الله بن دينار، قال فيه: و عليكم. ويأتي من حديث أنس: «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: و عليكم»، وقد ورد هذا

الحديث بألفاظ مختلفة ، أخرجه البخاري ، ومسلم ، وأبو داود وغيرهم . والجمع بين رواياته أن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر ، وأنها سياقاً رواية هشام بن زيد بن أنس : سمعت أنس بن مالك يقول : « مر يهودي بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال : السام عليك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وعليك ، ثم قال : أتدرون ماذا يقول ؟ قال : السام عليك ، قالوا : يا رسول الله ! ألا تقتله ؟ قال : إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : « وعليكم » ، وفي رواية الطيالسي أن القائل ألا تقتله : عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وكان بعض الصحابة لما أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن اليهود تقول ذلك ؛ سألوا حينئذ عن كيفية الرد عليهم .

وقد اختلف العلماء في إثبات الواو وإسقاطها في الرد على أهل الكتاب ، لاختلافهم في أي الروايتين أرجح ، فذكر ابن عبد البر عن ابن حبيب : لا يقولها بالواو ؛ لأن فيها تشريكاً ، وبسط ذلك أن الواو في مثل هذا التركيب تقتضي تقرير الجملة الأولى وزيادة الثانية عليها ، كمن قال : زيد كاتب ، فقلت : وشاعر ؛ فإنه يقتضي ثبوت الوصفين لزيد - قال - وخالفه جمهور المالكية ، وقال بعض شيوخهم : يقول : عليكم السلام - بكسر السين - يعني الحجارة ، ووهاه ابن عبد البر ، بأنه لم يشرع لنسب أهل الذمة ، ويؤيده إنكار النبي صلى الله عليه وسلم على عائشة لما قالت لهم : عليكم السام والمنة يا إخوان القردة . وذكر ابن عبد البر عن طاووس قال : يقول علكم السلام بالألف - أي ارتفع .

وذهب جماعة من السلف إلى أنه يجوز أن يقال في الرد عليهم : عليكم السلام ، كما يرد على المسلم ، واحتج بعضهم بقوله تعالى : ( فاصفح عنهم وقل سلام ) . قلت : حكاه العلامة ابن مفلح في « الآداب الكبرى » ، عن عمر بن عبد العزيز ، ولفظه : قال ابن عبد البر : قيل لمحمد بن كعب القرظي : إن

عمر بن عبد العزيز سئل عن ابتداء أهل الذمة بالسلام . قال : يرد عليهم ولا يبدؤهم بالسلام ، فقال له : لم ؟ فقال : لقوله عز وجل : ( فأعرض عنهم وقل سلام ) . كذا قال ، وهو غريب . انتهى . وفي « الفتح » أنه حكاه الماوردي وجها عن بعض الشافعية ؛ لكن لا يقول : ورحمة الله ، وقيل : يجوز مطلقاً . وعن ابن عباس ، وعلقمة : يجوز ذلك عند الضرورة . وعن الأوزاعي : إن سلحت فقد سلم الصالحون ، وإن تركت فقد تركوا . وعن طائفة من العلماء : لا يرد عليهم السلام أصلاً ، وعن بعضهم التفرقة بين أهل الذمة وأهل الحرب . والراجح من هذه الأقوال ما دل عليه الحديث ؛ ولكنه مختص بأهل الكتاب . قلت : الذي اعتمده علماءنا عدم بدأة أهل الذمة بالسلام . قال في « الآداب الكبرى » . هذا هو الذي عليه عامة العلماء سلفاً وخلفاً ، لأنه صلى الله عليه وسلم نهي عن بدأتهم بالسلام ، وذلك في « الصحيحين » وغيرها .

قال الامام احمد في رواية أبي داود ، وسئل عمن يبتدىء الذمي بالسلام إذا كانت حاجته اليه - قال - لا يمجبني ، وقال في رواية أبي الخارث ، وسأله قال : مررت بقوم جلوس وفيهم نصراني أسلم عليهم ؟ قال : سلم عليهم ولا تنوه ، وروى الامام احمد ، والشيخان ، والترمذي من حديث أسامة بن زيد : « أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بمجلس فيه أخلاط من اليهود فسلم عليهم » . وسئل الامام أحمد عن رجل له قرابات مجوس من أهل الذمة يدخل عليهم ، أي سلم عليهم ؟ قال : لا ، قيل له : كيف يقول ؟ قال : يقول : أبرداتم<sup>(١)</sup> ولا يبدأ بالسلام . قال الشيخ تقي الدين : فقد نهي عن الابتداء مطلقاً ، ورخص عند قوم المسلم أن يمحي بمثل أبرداتم . قال في « الآداب » : وذهب بعض العلماء أنه لا يحرم وهو وجه لبعض الشافعية ، وذهب بعض العلماء الى جوازه للحاجة .

(١) وكذا في الآداب الشرعية ١ ، ١٢٤

قال ابن مفلح في « الآداب » : وذكر بعض أصحابنا المتأخرين احتمالاً رأيتُه بخط القاضي تقي الدين الزريراني البغدادي ، قال : وتناول ابن عبد البر النهي عن بداءتهم على أن معناه ليس عليكم أن تبدؤوهم - قال بدليل ما روى الوليد ابن مسلم عن عروة بن رويم ، قال : كان أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه ، يسلم على كل من لقي من مسلم وذمي ، ويقول : هي تحية لأهل ملتنا ، واسم من أسماء الله نفسه بيننا - قال - ومحال أن يخالف أبو أمامة السنة في ذلك ، كذا قال .

قال ابن مفلح : وأبو أمامة إن صح ذلك عنه ؛ فقد خالفه غيره بلا شك . والنهي ظاهر في التحريم ، والأصل عدم الاضمار ، وقد خالف ابن عبد البر مالكاً في هذه المسألة . قال ابن مفلح : وكلام الامام أحمد فيه متردد بين التحريم والكراهة ، وظاهر كلام الاصحاب التحريم . انتهى . هذا كله في ابتدائهم في السلام .

وإن سلم أحدم ؛ فجزم علماؤنا بوجوب الرد .

قال في « الآداب الكبرى » : فإن سلم أحدم ، أي أهل الذمة ، وجب الرد عليه عندنا وعند عامة العلماء ، لصحة الأحاديث عنه عليه الصلاة والسلام بالأمر بالرد - قال - : وذهب بمضمم إلى أنه لا يجيب ؛ ورواه ابن وهب وأشهب عن مالك .

وصفته : عليك أو عليكم ، بحذف الواو وبإثباتها ، صحت هذه الألفاظ عن النبي ﷺ قال واختار أصحابنا الواو ، وذكر ابن موسى في « الارشاد » حذفها ، وقطع به .

قال القاضي عياض من المالكية : اختار بعض العلماء ، منهم ابن حبيب المالكي حذف الواو ، لثلاث يقتضي التشريك . وقال غيره بإثباتها ، كما هو في أكثر الروايات . وقال الخطابي : عامة المحدثين يروونه : وعليكم بالواو - قال - وكان ابن عيينة يرويه : عليكم بحذف الواو - قال - وهو الصواب ؛ لأنه إذا حذف

الواو صار قولهم الذي قالوه بعينه مردوداً عليهم ، فادخال الواو توجب الاشتراك معهم والدخول فيما قالوه ، لأن الواو للعطف والجمع بين الشبثين ، وقال غيره : الواو أجود كما في أكثر الروايات ولا مفسدة فيه ، لأن السام الموت وهو علينا وعليهم ، وقيل : إن الواو هنا الاستئناف للعطف والتشريك ، فقوله : وعليكم أي ما استحقونه من الذم ، ولا يجوز الزيادة على ذلك ، نص عليه الامام أحمد رضي الله عنه . وتقدم أن للشافعية وجهاً تجوز أن يقال : وعليكم السلام ، وإن بعض العلماء كسر السين . وذكر ابن حمدان من علمائنا في آخر « الرعاية » أن الذمي إذا كسر السين من السلام وهي الحجارة رد عليه مثله ، وذكره ابن موسى ، والأول - يعني الاقتصار على « وعليكم » - أولى عملاً بالأحاديث الواردة فيه ، وقال الشيخ تقي الدين بن تيمية : إذا سلم الذمي على المسلم فانه يرد عليه مثل تحيته ، وإن قال : أهلاً وسهلاً فلا بأس ، كذا قال ، وجزم في موضع آخر بمثل قول الأصحاب . والله الموفق .

### الحديث الخامس

٥ - حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر عن النبي ﷺ : إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث .

وقال مرة : إن النبي ﷺ نهى أن يتناجى الرجلان دون الثالث إذا كانوا ثلاثة .

قال رضي الله عنه : ( حدثنا ) أبو محمد ( سفيان ) بن عيينة ( عن ) أبي

عبد الرحمن (عبد الله بن دينار عن) أبي عبد الرحمن عبد الله (ابن عمر) رضي الله عنها (عن النبي ﷺ) أنه قال: (إذا كنتم ثلاثة) هكذا الاكثر، ينصب ثلاثة على أنها الخبر، ووقع في رواية لمسلم: إذا كان ثلاثة بالرفع على أن كان تامة، كذا في «الفتح»، (فلا يتناجى اثنان دون الثالث) أي لا يتحدثان سراً، من المناجاة وهي المسارة، يقال: ناجاه مناجاة، ساراه، واتنجاه خصه بمناجاته، كما في «القاموس»، وفي «النهاية» المناجى هو المخاطب للإنسان والمحدث له، يقال: ناجاه يناجيه مناجاة فهو مناج، والنجى فعيل منه، وفي رواية: لا يتناجى اثنان دون صاحبها، أي لا يتساران منفردين عنه، لأن ذلك يسوؤه. وفي «الصحيحين» وغيرهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى يختلطوا بالناس، من أجل ذلك يحزنه». قال الخطابي: وإنما يحزنه لأجل معنيين؛ أحدهما: أنه ربما يتوم أن نجواهما التبييت رأي أو تدسيس غائلة له، والثاني: من أجل الاختصاص بالكرامة وهو يحزن صاحبه، وعند الأكثر فلا يتناجى باثبات الألف المقصورة في الخط بصورة الياء، وإنما سقطت الألف في اللفظ لالتقاء الساكنين، بلفظ الخبر ومعناه النهي، وفي بعض نسخ البخاري يحجم فقط، بلفظ النهي ومعناه.

(وقال) ابن عمر رضي الله عنها (مرة: إن النبي ﷺ نهى) نهى كراهة أو تحريم، كما سنذكر الخلاف فيه (أن يتناجى) أي يتسار (الرجلان)، ولعل المراد بالرجلين الشخصان (دون الثالث إذا كانوا ثلاثة)، بخلاف ما إذا كانوا أربعة فإنه لا يمتنع تناجى اثنين، لا مكان أن يتناجى الاثنان الآخران، وقد ورد ذلك صريحاً فيما أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود وصححه ابن حبان من طريق أبي صالح عن ابن عمر رفته قلت: فإن كانوا أربعة قال: لا يضره، وفي رواية مالك عند عبد الله بن دينار «كان ابن عمر رضي الله



عنها إذا أراد أن يسارر رجلاً وكانوا ثلاثة دعى رابماً ، ثم قال للاثنين :  
استرخيا شيئاً ، فإني سمعت . . . ، فذكر الحديث ، وفي رواية سفيان في جامعه  
عن عبد الله بن دينار نحوه ، ولفظه « فكان ابن عمر إذا أراد أن يتناجى رجلاً  
دعا آخر ، ثم ناجى الذي أراد ، وله من طريق نافع « إذا أراد أن يتناجى وم  
ثلاثة دعا رابماً ، وهذا يؤخذ من حديث ابن مسعود من قوله : « حتى يختلطوا  
بالباس ، فانه يفيد أنه متى ما اختلط بأحد ، سواء جاء اتفاقاً ، أم عن طلب ،  
كما فعل ابن عمر زال المانع . قال العلامة ابن مفلح في « الآداب الكبرى » :  
ويكره أن يتناجى اثنان دون ثالثها ، قاله في « الرعاية » ، وقال في « المجرى » :  
ولا يتناجى اثنان دون واحد ، قال في « الآداب » : وقد يؤخذ منه أي من  
كلام « المجرى » ، التحريم ، وجزم به النووي ، قال في « الفتح » : قال النووي :  
النهى في الحديث للتحريم إذا كان بغير رضاه ، وقال في موضع آخر : إلا بآذنه ؛  
أي صريحاً كان أو غير صريح ، والاذن أخص من الرضى ؛ لأن الرضى قد  
يعلم بالقرينة فيكتفى بها عن التصريح ، والرضى أخص من الاذن من وجه  
آخر ؛ لأن الاذن قد يقع مع الاكراه ونحوه ، والرضى لا يطلع على حقيقته ؛  
لكن الحكم لا يناط إلا بالاذن الدال على الرضى .

وظاهر الاطلاق أنه لا فرق في ذلك بين الحضر والسفر . قال في  
« الآداب الكبرى » : النهي عام وفاقاً للمالكية والشافعية ، وفي « الفتح » : عدم  
الفرق قول الجمهور ، وقال في « الآداب » : وخصه بعض العلماء بالسفر ، قال في  
« الفتح » : حكى عن أبي عبيد بن جربونة أنه قال : هو مختص بالسفر في  
الموضع الذي لا يأمن فيه الرجل على نفسه ، فأما في الحضر وفي المهارة فلا بأس ،  
وحكى عياض نحوه ، ولفظه : قيل : إن المراد بهذا الحديث السفر ، والمواضع  
التي لا يأمن فيها الرجل رفيقه ، أو لا يعرفه ، أو لا يثق به ويخشى منه - قال -

وقد روي في ذلك أثر ، وأشار بذلك الى ما أخرجه الامام أحمد من طريق أبي سالم الخشاني عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « ولا يحمل ثلاثة يكونون بأرض فلاة أن يتناجى اثنان دون صاحبا ، وفي سنده ابن لهيعة ، وعلى تقدير ثبوته فتقيده بأرض فلاة يتعلق بأحد علي النهي اللتين ذكرناهما في كلام الخطابي .

### تنبيهات

**الأول :** استثنى في « الفتح ، صورة مما تقدم عن ابن عمر من إطلاق الجواز إذا كانوا أربعة ، وهي ما لو كان بين الواحد الباقي وبين الآتي مقاطعة بسبب يمدران أو أحدهما به ، فإنه يصير في معنى المنفرد .

**الثاني :** أفهم التعليل المار امتناع المناجى من المناجاة إذا كان بمن إذا خص أحداً بمناجاته أحزن الباقيين ؛ إلا أن يكون في أمر مهم لا يقدر في الدين . وقد نقل ابن بطلال عن أشهب عن مالك قال : لا يتناجى ثلاثة دون واحد ، ولا عشرة ؛ لأنه قد نهى أن يترك واحد ، وهذا مستنبط من الحديث ؛ لأن المعنى في ترك الجماعة للواحد كترك الاثنين له ، وهذا من حسن الأدب ، لئلا يتباغضوا ويتقاطموا . وقال المازري ومن تبعه : لا فرق في المعنى بين الاثنين والجماعة ؛ لوجود المعنى في حق الواحد ، زاد القرطبي : بل وجوده في العدد الكبير أمكن وأشد ، فليكن المنع أولى ، وإنما خص الثلاثة بالذكر لأنه أول عدد يتصور فيه ذلك المعنى . فمما وجد المعنى فيه ألحق به في الحكم . قال ابن بطلال : وكل ما كثر الجماعة مع الذي لا يتناجى كان أبعد لحصول الحزن . قلت : وقد صرح علماؤنا بمثل هذا كما في « آداب ابن مفلح ، وفي « منظومة الآداب ، لابن عبد القوي ، ولفظه في المنظومة : وان يتناجى الجمع مادون مفرد .

الثالث : اختلف فيما اذا انفرد جماعة بالتناجي دون جماعة . قال ابن التين : وحديث عائشة في قصة فاطمة دال على الجواز ، وفي «الصحيح» من حديث ابن مسعود رضي الله عنه : « فأنتبه وهو في ملاء فساررتة » ، ففي ذلك دلالة على ارتفاع الامتناع ، وهو ظاهر كلام علمائنا وغيرهم ، وقصة ابن عمر صريحة في ذلك .

الرابع : أرشد الحديث الى امتناع دخول أحد في حديث المتناجين بلا إذنها . قال ابن عبد البر : لا يجوز لأحد أن يدخل على المتناجين في حال تناجيهما . قال في «الآداب الكبرى» : ويكره أن يدخل في سر قوم لم يدخلوه فيه ، والجلوس والاصفاء الى من يتحدث سرا بدون إذنه ، وقيل : يحرم - قال - وإن كان إذنه استحياء ، فذكر صاحب النظم : يكره ، وقد أخرج البخاري في «الأدب المفرد» من رواية سميد المقربي قال : « مررت على ابن عمر ومعه رجل يتحدث ، فقامت اليها ، فلطم صدري وقال : إذا وجدت اثنين يتحدثان ، فلا تقم معها حتى تستأذنها » ورواه الامام أحمد ، وزاد في روايته من وجوه آخر عن سميد وقال : أما سمعت أن النبي ﷺ قال : إذا تناجى اثنان فلا يدخل معها غيرها حتى يستأذنها » قال في «الفتح» : لا ينبغي للداخل القعود عند المتناجين ، ولو تباعد عنها إلا بأذنها ؛ لأنها لما افتتحت حديثها سرا وليس عندها أحد ، دل على أن مرادها أن لا يطلع أحد على كلامها ، ويتأكد ذلك إذا كان صوت أحدهما جهورياً لا يتأتى له إخفاء كلامه عن حضره ، وقد يكون لبعض الناس قوة فهم ، بحيث إذا سمع بعض الكلام استدل به على باقيه ، فالحفاظة على ترك ما يؤذي المؤمن مطلوبة وإن تفاوتت المراتب . وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما : « من تحلم بحلم لم يره كلف أن يمقد بين شميرتين وان يفعل ، ومن استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآتك ، ومن صور صورة

عذب وكلف أن ينفخ فيه الروح وإيس بنافع ، رواه البخاري وغيره . والآثك  
بمد الهمزة وضم النون - هو الرصاص المذاب . والمستمع لحديث من يتناجون  
أحد الثمانية المستحقين للصفع ، كما في كلام بعض الأدباء :

قد خص بالصفع في الدنيا ثمانية	لا لوم في واحد منهم اذا صفعا
المستخف بسلطان له خطر	وداخل في حديث اثنين قد جما
وآمر غيره في غير منزله	وجالس مجلساً عن قدره ارتفعا
ومتحف بحديث غير حافظه	وداخل بيت تطفيل بغير دُعا
وقارئ العلم مع من لا خلاق له	وطالب النصر من أعدائه طمعا

الخامس : يستفاد من الحديث وجوب كتم السر ، وتحريم افشائه . وقد  
أخرج أبو داود من حديث جابر رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :  
« المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس ؛ سفك دم حرام ، أو فرج حرام ، أو اقتطاع  
مال بغير حق ، وأخرج عنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اذا  
حدث رجل رجلاً بحديث ثم التفت فهو أمانة » ورواه الترمذي وقال : حديث  
حسن ، وأخرج الامام أحمد عن أبي الدرداء : « من سمع من رجل حديثاً  
لا يشتهي أن يذكر عنه فهو أمانة وان لم يستكتمه » ، وأخرج الامام أحمد أيضاً  
عن أنس رضي الله عنه قال : « ما خطب نبي الله ﷺ إلا قال : لا إيمان لمن لا  
أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » ، قال العلامة ابن مفلح في « الفروع » : حرم  
في « أسباب الهدايه » ، افشاء السر ، وفي « الرعاية » ، يحرم افشاء السر المضر .  
انتهى . والأحاديث في ذلك كثيرة ، وقد ذكرت من ذلك طرفاً صالحاً مع  
فوائد ظريفة في كتابي « غذاء الالباب لشرح منظومة الآداب » والله  
تعالى الموفق .

## الحديث السادس

٦ - حدثنا سفيانُ ، عن عبد الله بن دينارٍ ، عن ابن عمرٍ قال : كان رسول الله ﷺ يبايع على السمع والطاعة ، ثم يقول : فيما استطعت .

وقال : مرة : فيلقن أحدنا : فيما استطعت

قال رضي الله عنه ( حدثنا ) أبو محمد ( سفيان ) بن عيينة ( عن ) أبي عبد الرحمن ( عبد الله بن دينار عن ) أبي عبد الرحمن عبد الله ( بن عمر ) رضي الله عنها ( قال : كان رسول الله ﷺ يبايع ) الناس ( على السمع ) أي لإجابة قوله وقول الأُمراء ، الذين كان ﷺ يؤمِّرم ؛ إذ طاعة أوامرهم واجبة ما لم يأمرُوا بمصيبة ، وإلا فلا طاعة لخلق في مصيبة الخالق . وفي حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً : « لا طاعة في مصيبة الله ، إنما الطاعة في المعروف ، » ( والطاعة ) لله ولرسوله ﷺ ولولاة الأمور . قال القاضي عياض : أجمع العلماء على وجوب طاعة الامام في غير مصيبة ، وتحريمها في المصيبة ، وقال ابن بطال : احتج الخوارج بحديث : لا طاعة لخلق في مصيبة الخالق ، ونحوه ، فأرأوا الخروج على أئمة الجور والقيام عليهم عند ظهور جورهم . والذي عليه الجمهور أنه لا يجب القيام عليهم عند ظهور جورهم ، ولا خلمهم إلا بكفرهم بعد إيمانهم ، أو تركهم إقامة الصلوات ، وأما ما دون ذلك من الجور ، فلا يجوز الخروج عليهم إذا استوطن أمرهم وأمر الناس معهم ؛ لأن في ترك الخروج عليهم تحصين الفروج والأموال وحقن الدماء ، وفي القيام عليهم تفرق الكلمة - قال - ولا يجوز القتال معهم لمن

خرج عليهم عن ظلم ظهر منهم . فقوله : كان صلى الله عليه وسلم يبايع ، أي يماهد ، فالمبايعة هنا عبارة عن المماهدة ، سميت بذلك تشبيهاً بالمفاوضة المالية ؛ كما في قوله تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، وقد وقعت المبايعة منه صلى الله عليه وسلم لأصحابه مرات متعددة ، وفي «الصحيحين» وغيرها من حديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال : تباعوني على أن لا أشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وفي رواية « ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا بهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوني في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب - زاد الامام أحمد - به - أي بسببه - فهو كفارة - زاد الامام أحمد - له - وكذا البخاري من وجه ، وزاد - وطهور - ، ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله عليه ، فأمره الى الله ؛ إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عذبه ، فبايئناه على ذلك ، وفي «الصحيحين» وغيرها من حديث عبادة بن الصامت أيضاً رضي الله عنه قال : « بايئت رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة ، والسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وعلى آثرة علينا ، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم ، زاد في رواية « ولا ننازع الأمر أهله ؛ إلا أن تروا كفراً بواحاً (١) عندكم فيه من الله برهان ، وفي مسلم وأبي داود والنسائي من حديث أبي إدريس الخولاني - وأبو إدريس هذا صحابي من جهة الرؤية ، تابعي من جهة الرواية ، تابعي كبير ، وقد ذكر في الصحابة لأن له رؤية ، وكان مولده عام حنين ، وحنين كانت في الثامنة - قال : حدثني الحبيب الأمين ، أما هو فحبيب إلى وأما هو فأمين ؛ عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : « كنا عند رسول الله

(١) بواحاً : ظاهراً مكشوفاً .

ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة ، فقال : ألا تبايعون رسول الله ﷺ ؛ وكنا  
 حديثي<sup>(١)</sup> عهد ببيعة ، فقلنا : قد بايعناك يا رسول الله - قال - فبسطنا أيدينا وقلنا :  
 قد بايعناك يا رسول الله ، فلام نبايعك ؟ قال : أن تعبدوا الله ولا تشرکوا به  
 شيئاً ، وتصلوا الصلوات الخمس ، وتسمعوا وتطيعوا ، وأسر كلمة خفية قال : ولا  
 تسألوا الناس شيئاً - قال - فلقد رأيت بعض أوثاك النفر يسقط سوط أحدم فما  
 يسأل أحداً يتأوله إياه ، وبيعة النساء مشهورة ، وكذا مبايعة ﷺ الأنصار  
 في العقبة الأولى والثانية والثالثة ، وأشهر الجميع بيعة الرضوان ، وكانت في  
 الحديبية في السادسة . قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : ( ثم ) بعد المبايعة  
 ( يقول ) عليه الصلاة والسلام ( فيما استطعت ) أي يقول ذلك لكل واحد من  
 المبايعين له ، أي في الشيء الذي تستطيعه ، لأن الله جل شأنه ، لا يكلف نفساً  
 إلا وسعها ، وفي لفظ أو قال ﷺ : استطعم بصيغة الجمع . وهذا الحديث رواه  
 مالك وأصحاب الكتب الستة .

( وقال ) ابن عمر رضي الله عنهما ( مرة ) أخرى ( فيلقن ) ﷺ ( أحدنا )  
 معشر المبايعين له أن يقول ( فيما ) أي في الشيء الذي ( استطعت ) من فعل وترك  
 أي يعلمه ويفهمه أن يقول ذلك ، واللقن سرعة الفهم ، يقال : لقن كفرح فهو لقين  
 وألقن ، حفظ بالمجلة ، والتلقين كالتفهم كما في « القاموس » . والاستطاعة  
 القدرة على الشيء . قال الامام ابن القيم في كتابه « بدائع الفوائد » : استطاع  
 استفعل من طاع بطوع ، ولم ينطق به ، وإنما نطقوا بالرابعي منه ، فقالوا : أطاعه ،  
 وقالوا : طوع له كذا ، أي حسنه وزينه ، فكانه جعل نفسه مطيعة لدايعه ،  
 فالهمزة في أطاعه همزة التمعية والنقل من اللزوم الى التمدي ، والتضعيف في طوع  
 لكونه في معنى حسن وزين ، فأما السين والتاء في استطاع ؛ فاما أن تكون  
 للوجود ، أي وجدته طوعاً ، كاستجدته أي وجدته جيداً ، واستصوبت كلامه ، أي

(١) في الاصل : حديث .

وجدته صواباً ، واستعملته ، أي وجدته عظيماً ؛ وإما ان يكون للطلب ، أي طلبته أن يطعني إذا أمرته ولا يستعصي علي ، بل يكون طوع قدرتي ، وقد يأتي هذا اللفظ بمعنى فعل ، كقوله " واستقر ومر " واستمر ، وقد يأتي بمعنى الضرورة ؛ كاستنوق البعير واستحجر الطين ، وأما استعجب فللطلب ، أي طلب الاعجاب ، أي طلب إزالة عتبه ؛ فقوله تعالى : « وإن يستعجبوا فما هم من المتعجبين » أي وإن يطلبوا إعتابنا وإزالة عتبتنا عنهم ، يقال : عتب عليه إذا عرض عنه وغضب عليه ، ثم يقال : استعجب السيد عبده ، أي طلب منه أن يزيل عتب نفسه عنه بموده الى رضاه ، فأعتبه عبده أي أزال عتبه بطاعته . ويقال : استعجب المبد سیده ، أي طلب منه أن يزيل غضبه وعتبه عنه ، فأعتبه سیده ، أي أزال عتب نفسه عنه ، وإنما قال تعالى : « وإن يستعجبوا فما هم من المتعجبين » أي وإن يطلبوا إزالة عتبتنا عنهم فما هم من المزال عنهم ؛ لأن الآخرة لا تقال فيها العثرات ، ولا تقبل فيها التوبة .

فائدة : في استطاع أربع لغات ؛ أحدها : هذه . الثانية : استطاع بمحذف تاء الافتعال تخفيفاً ، ومنه قوله تعالى : « فما استطاعوا أن يظهروه » الثالثة : استطاع بالصاد ، وفيه أمران : حذف التاء وإبدال السين صاداً لأجل مجاورتها الطاء . الرابعة : استطاع بادغام السين في الطاء ، وهو إدغام على خلاف القياس . وقد روي فيه أيضاً : استطاع بفتح المهمزة وقطعها ، وهي مشكلة والله أعلم .

والحاصل أنه كان عَلَيْهِ السَّلَامُ يلقن ، أي يفهم أصحابه أن يقولوا في الشروط التي تؤخذ عليهم عند المبايعة : فيما استطعنا ، لأن الطاعة تكون بحسب الاستطاعة ، وقد قال الله تعالى : « فاتقوا الله ما استطعتم » أي اطعتم ، وهذه الآية ناسخة لآية « اتقوا الله حق تقاته » والله تعالى أعلم .



## الحديث السابع

٧ - حدثنا سفيانُ ، عن عبد الله بن دينار ، قال :  
سمعت عبد الله بن عمرَ قال : سمعت النبي ﷺ يقول :  
البيمان بالخيارِ ما لم يتفرقا ، أو يكونَ بيعَ خيارٍ .

قال رضي الله عنه : ( حدثنا سفيان ) بن عيينة ( عن عبد الله بن دينار قال : سمعت ) أبا عبد الرحمن ( عبد الله بن عمر ) رضي الله عنها ( قال : سمعت النبي ﷺ يقول : البيمان ) يعني البائع والمشتري ، وإطلاق البائع على المشتري في هذا الحديث ، إما على سبيل التخليب ، أو لأن كلا منها بائع ( بالخيار ) بكسر الخاء المعجمة - اسم من الخيار أو التحخير ، وهو طلب خير الأمرين من إمضاء البيع أو فسخه ، وفي «المطلع» : الخيار اسم مصدر من اُختار يختار اختياراً ، وهو طلب خير الأمرين ، والمراد به خيار المجلس ، فيستمر لكل واحد منها الخيار من انتهاء العقد ، فله أن يمضيه وله أن يفسخه ( ما لم يتفرقا ) من مجلس العقد بأبدانها التفرق المسقط للخيار ، وهو تفرقها بحيث لو كلم أحدهما صاحبه الكلام المتبادر لم يسمعه ، كذا في «المطلع» ، ومتمم المذهب إناطة التفرق بالعرف ، وهو معتمد مذاهب العلماء ، ولا بد أن يكون التفرق بأبدانها عرفاً من مجلس العقد اختياراً ، ولو بهرب أحدهما من صاحبه ، لامع الاكراه ، أو فزع من خوف ، أو إجماء بسبيل أو حمل ، وهما على خيارهما حتى يتفرقا من مجلس زال فيه ذلك . وفي رواية عند النسائي : « ما لم يتفرقا ، بتقديم الفاء . ونقل ثعلب عن الفضل بن مسلمة : افترقا بالكلام ، وتفرقا بالأبدان ، ورد ابن العربي لقوله تعالى : « وما تفرق الذين أوتوا

الكتاب ، فإنه ظاهر في التفوق بالكلام ، إلا أنه بالاعتقاد ، وأجيب بأنه من لازمه غالباً ، لأن من خالف آخر في عقيدته كان مستدعياً لمفارقة إياه يدينه ، ولا يخفى ضعف هذا الجواب . والحق حمل كلام المفضل على الاستعمال بالحقيقة ، وإنما استعمل أحدهما في موضع الآخر اتساعاً . فإذا تفرق المتبايمان التفرق الشرعي فقد وجب البيع وسقط خيار المجلس . ( أو ) أي إلا أن ( يكون ) البيع ( بيع خيار ) شرط ، بأن يشترط أو أحدهما الخيار إلى مدة معلومة ، فهنا على خيارها حتى يسقط الخيار إن كان لهما ، أو يسقطه من له الخيار ، أو أن يتصرفا أو أحدهما في المبيع ، كما سننبه عليه قريباً .

### تنبيهات

الأول : اختلف الفقهاء رحمهم الله ورضي عنهم فيما دل عليه هذا الحديث من ثبوت خيار المجلس ، وكذا حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه عند الشيخين وغيرهما ، ولفظه : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، أو حتى يتفرقا ، فإن صدقا وبيئنا بورك لهما في بيعهما ، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما » . وفي بعض ألفاظ حديث ابن عمر رضي الله عنهما : « المتبايمان بالخيار ما لم يتفرقا ، أو يقول أحدهما لصاحبه : اختر » . وفي لفظ : « إذا تباع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وكانا جميعاً ، أو تخير أحدهما الآخر ، فإن خير أحدهما الآخر فتبايما على ذلك فقد وجب البيع ، وإن تفرقا بعد أن تبايما ولم يترك واحد منهما البيع ، فقد وجب البيع » . متفق على ذلك كله . وفي لفظ : « كل يمين لا يبيع بينهما حتى يتفرقا ؛ إلا يبيع الخيار ، متفق عليه أيضاً .

قال نافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما : « فكان ابن عمر إذا باع رجلاً فأراد أن لا يقبله ، قام فمشى هنيئة ثم رجع ، أخرجه أيضاً . فذهب الامام أحمد

والامام الشافعي رضي الله عنها الى القول بمضمون هذه الاحاديث ، من ثبوت خيار المجلس في عقود المفاوضات اللازمة التي يقصد منها المال، كالبيع، والصلح والحوالة ، والاجارة ونحوها ، الا في العقود اللازمة التي لا يقصد فيها الموض ، كالكساح ، والخلع ، والكتابة ، وكذا قال بذلك فقهاء أصحاب الحديث ، ونفاه الامام أبو حنيفة ، والامام مالك رضي الله عنهم أجمعين . ولا يخفى ان الاحاديث دلت دلالة ظاهرة على ثبوت خيار المجلس .

وروى الامام احمد وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال : « البيع والمبتاع بالخيار حتى يتفرقا ، إلا أن تكون صفقة خيار ، ولا يحل له أن يفارقه خشية أن يستقبله » ، ورواه الدارقطني أيضاً . وفي لفظ « حتى يتفرقا من مكانها » ، وعن ابن عمر رضي الله عنها قال : « بت من أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه مالا بالوادي بمال له بخير ، فلما تبايعنا رجعت على عقبي حتى خرجت من بيته ، خشية أن يرادني البيع ، وكانت السنة أن المتبايعين بالخيار حتى يتفرقا » ، رواه البخاري ، ووافق ابن حبيب من أصحاب مالك من أثبتته ، والذين نفوه اختلفوا في وجه المذر عن الاحاديث الدالة عليه .

فقيل: لكونه حديثاً خالفه راويه وهو مالك ؛ فانه رواه ولم يقل به . قالوا : وكل ما كان كذلك لم يعمل به ؛ لأن الراوي إذا خالف ، فلما أن يكون مع علمه بالصحة فيكون فاسقاً ، فلا تقبل روايته ، وإما أن يكون لا مع علمه بالصحة وهو أعلم بطل ما روى فيتبع في ذلك . والجواب منع المقدمة الثانية ، وهو أن الراوي إذا خالف ما رواه لم يعمل بروايته . وقولهم : إن كان مع علمه بالصحة كان فاسقاً؛ ممنوع ، لجواز أن يعلم بالصحة ، ويخالف لمعارض راجح عنده ، ولا يلزم تقليده فيه ، وقولهم : إن كان لا مع علمه بالصحة وهو أعلم بروايته فيتبع

في ذلك ، ممنوع أيضاً ، لأنه إذا ثبت الحديث وجب العمل به ظاهراً ، فلا يترك مجرد الوهم والاحتمال . وأيضاً هذا الحديث مروى من عدة طرق ، فإن تمسك الاستدلال به من جهة رواية مالك ، لم يتمد من جهة أخرى ، كما في رواية الامام أحمد هذه ، فإنه لا مدخل لملك فيها ، وإنما ربما يستأنس لما زعموا عند التفرد ، والواقع هنا خلافه .

وقيل : في العذر عن العمل بمضمون الاحاديث ، انها آحاد فيما تم به البلوى ، وخبر الواحد في ذلك غير مقبول ، فان البياعات مما تكرر مرات لا تحصى ، ومثل هذا تم البلوى بمعرفة حكمه ، وما عمت به البلوى يكون معلوماً عند الكافة عادة ، فانفراد واحد به خلاف المادة . والجواب عن ذلك بمنع المتقدمين مماً ؛ أما الاولى : فالذي تم به البلوى البيع دون الفسخ الذي دل عليه الحديث ، فان الظاهر من الاقدام على البيع ، الرغبة من المتعاقدين فيما صار اليه ، فالحاجة الى معرفة حكم الفسخ لا تكون عامة ، وأما الثانية : فالعمل عليه في الرواية عدالة الراوي وجزمه بالرواية ، وقد وجد ذلك ، وعدم نقل غيره لا يصلح معارضاً لجواز عدم سماعه للحكم ، فان الرسول ﷺ كان يبلغ الأحكام للأحاد والجماعة ، ولا يلزم تبليغ كل حكم لجميع المكلفين ، وعلى تقدير السماع فمن الجائز أن يمرض مانع من النقل ، أعني نقل غير هذا الراوي ، وإنما يكون ما ذكرنا إذا اقتضت العادة أن لا يخفى الشيء عن أهل التواتر ، وليست الأحكام الجزئية من هذا القبيل ، وقد علمت أن الحديث صح عن عبد الله بن ، عمر وحكيم بن حزام ، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم .

وقيل في العذر : إن هذا مخالف للقياس الحلي ، وللأصول القياسية المقطوع بها ، وما كان كذلك فلا يعمل به . والجواب أولاً : عدم التسليم في مخالفة القياس الحلي ، والأصول القياسية ، وثانياً : لا نسلم أن الحديث المخالف للأصول

القياسية يرد ، فان الأصول تثبت بالنصوص ، والنصوص ثابتة في الفروع المينة ،  
وغاية ما في الباب أن يكون الشرع أخرج بعض الجزئيات عن الكليات لمصلحة  
تخصها أو تمبداً ، فيجب اتباعه .

وقيل في المنز : إن هذا حديث معارض لإجماع أهل المدينة وعلمهم ،  
وما كان كذلك يقدم عليه الممل ، وقد قال مالك رضي الله عنه عقب روايته :  
وليس لهذا عندنا حد معلوم ، ولا أمر معمول به فيه . انتهى . وإنما كان إجماع  
أهل المدينة مقدماً على مثل هذا ، لما اقتصوا به من سكناهم في مهبط الوحي ،  
و وفاة الرسول ﷺ بين أظهرهم ، ومعرفة الناس بالمنسوخ ، فمخالفتهم  
لبعض الأخبار تقتضي عليهم بما أوجب ترك الممل به ، من ناسخ أو دليل راجح ،  
ولا تهممة تلحقهم ؛ فتمين اتباعهم ، فكان ذلك أرجح من خبر الآحاد المخالف  
لعلمهم . والجواب أولاً : منع كون ذلك من إجماع أهل المدينة ؛ فان الامام  
مالك لم يصرح بأن المسألة من إجماع أهل المدينة ، وعلى فرض كون ذلك من  
إجماعهم ، فاما أن يراد به إجماع سابق أو لاحق ، والأول باطل ؛ لأن ابن عمر  
رأس المفتين بالمدينة في وقته ، وقد كان يرى خيار المجلس ، وكذا مولاة نافع  
من التابعين ، وكذا اللاحق ، فان ابن أبي ذئب من أقران مالك ومناصريه ،  
وقد أغلظ على مالك لما بلغه مخالفته للحديث . وثانياً : منع كون إجماع أهل  
المدينة وعلمهم مقدماً على خبر الواحد مطلقاً ، فان الحق الذي لا شك فيه ، أن  
علمهم وإجماعهم لا يكون حجة فيما طريقه الاجتهاد والنظر ؛ لأن الدليل الناصم  
للأمة من الخطأ في الاجتهاد ، لا يتناول بعضهم ، ولا مستند للعصمة سواء . قال  
شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه : الذي عليه أئمة الناس أن إجماع أهل  
المدينة ليس بحجة شرعية . هذا مذهب احمد والشافعي وأبي حنيفة وغيرهم ،  
وهو قول المحققين من أصحاب مالك ، كما ذكره القاضي عبد الوهاب في كتابه

المختص في أصول الفقه ، وغيره ، فذكر أنه ليس باجماع ولا حجة عند  
المحققين من أصحاب مالك ، وإنما يحمله حجة بعض أهل المغرب من أصحابه  
- قال - وليس هؤلاء من أئمة النظر والدليل ، وإنما هم أهل تقليد . انتهى .  
قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ولم أر في كلام مالك ما يوجب حمل هذا حجة  
وهو في الموطأ : إنما ذكر الأمر المجمع عليه عندهم ، فهو يحكي مذهبهم ، وتارة  
يقول : الذي لم يزل عليه أهل العلم ببلدنا ، يشير إلى الأجماع القديم ، وأطال  
الكلام في ذلك ، وحاصله عدم اعتبار كونه حجة ، والله أعلم .

وقيل في العذر : ما في بعض الروايات ، ولا يحل له أن يفارقه خشية أن  
يستقبله . فاستدلوا بهذه الزيادة على عدم ثبوت خيار المجلس ، لأنه لولا أن المقدم  
لازم لما احتاج إلى الاستقالة ، ولا طلب الفرار من الاستقالة . والجواب : بأن  
المراد من الاستقالة هنا فسخ البيع بحكم الخيار ، ولا يخفى ما في هذا العذر من  
العذر ، والله الموفق .

وقيل في العذر : بحمل المتبايعين على المساومين . قلت : ورد هذا يعلم من  
جوهر الحديث ، ومن فعل ابن عمر مع عثمان رضي الله عنهم كما ذكرناه . وكل  
هذه الاعتذار واهية ساقطة مصادمة للنص ؛ فوجب طرحها وعدم الالتفات إليها ،  
والله الموفق .

الثاني : اتفق الأئمة وعلماء الأمة على جواز خيار الشرط ، وصحته  
للمتبايعين مآ ، ولأحدهما بانفراده إذا شرطه ، ثم اختلفوا في مدته ، فقال  
أبو حنيفة والشافعي : لا يجوز أن تكون مدته أكثر من ثلاثة أيام ، وقال مالك :  
يجوز بقدر الحاجة ، وقال أحمد : يجوز إلى مدة معلومة وإن طال ، قال العلامة  
الشيخ مرعي الكرمي في غايته : لا كآلف سنة ومائة سنة ، لافضائه للمنع من  
التفرق المتأني للمعد ، ولا بد أن يشترطه أو أحدهما في المقدم ، أو في زمن الخيار

لا بمد لزومه ، فلو كان المبيع لا يبقى الى مضي المدة ، كطعام رطب ؛ يبيع وحفظ ثمنه ، وإن شرط الخيار بائع ليربح فيما أقرضه ؛ حرم — نص عليه الامام أحمد رضي الله عنه — ولم يصح البيع .

الثالث : خيار المجلس يثبت عند الحنابلة والشافعية ، ولو فيما قبضه شرط لصحته ؛ كصرف وسلم ، وبيع مال ربوي مجنسه ، ولم يثبت عند الحنفية والمالكية ولا في عقد من العقود ، وأما خيار الشرط ؛ فثبت في كل ما يثبت فيه خيار المجلس ، سوى ما قبضه شرط لصحته ؛ فانه يثبت فيه خيار المجلس دون خيار الشرط ، والله أعلم .

الرابع : لو تلف المبيع في مدة الخيار ؛ فعمد مذهبنا أنه يبطل الخيار بتلف المبيع ، ولو قبل قبضه ، خلافاً لـ «المتنبي» ، أو احتاج لحق توفية ، كما لو أتلفه مشتر . وقال مالك والشافعي : إذا تلفت السلعة المبيعة بالخيار في مدة الخيار ؛ فضانها من بائعها دون مشتريها ؛ إذا كانت في يده أو لم تكن في يد واحد منها ، وإن قبضها المشتاع ثم تلفت في يده وكانت مما يغاب عنه ؛ فضانها منه ؛ إلا أن تقوم له بينة على تلفها ، فيسقط عنه ضمانها ، وإن كانت مما لا يغاب عنه ؛ فضانها على كل حال من بائعها ، وقال أبو حنيفة : إذا تلف المبيع في مدة الخيار ؛ إن كان قبل القبض ؛ انتقض المبيع ، سواء كان الخيار لها أو لأحدهما ، وصار كأن لم ينقد ، فأما إن كان تلفه في يد المشتري وكان له الخيار ؛ فقد تم البيع ولزم ، وإن كان الخيار للبائع ، انتقض البيع ، ولزم المشتري قيمة المبيع ، لا الثمن المسمى في العقد ، والله الموفق .

## الحديث الثامن

٨ - حدثنا سفيان ، عن زيد بن أسلم ، سمع ابن عمر  
ابن ابنه عبد الله بن واقد : يابني : سمعت رسول الله ﷺ  
يقول :

لا ينظرُ الله الى من جرَّ إزاره خيلاءً .

قال رضي الله عنه ( حدثنا ) أبو محمد ( سفيان ) بن عيينة ( عن )  
أبي أسامة ( زيد بن أسلم ) مولى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،  
وزيد هذا مدني من أكابر التابعين ، سمع ابن عمر وجماعة من الصحابة رضي  
الله عنهم ، وسمع أباه أسلم ، وروى عنه الثوري وأيوب السخيتاني والامام مالك  
وابن عيينة وغيرهم ، وتوفي سنة ستة وثلاثين ومائة ، وأبوه هو أبو خالد أسلم  
مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان حبشياً بجاويماً من مجاوة ، وقيل : كان  
من سبي اليمن ، ابتاعه عمر رضي الله عنه بمكة سنة إحدى عشرة لما بمته  
أبو بكر الصديق رضي الله عنها ليقم الحج للناس . وكان أسامة بن زيد بن أسلم  
يقول : نحن قوم من الأشعريين ؛ ولكننا لا ننكر منة عمر . سمع أسلم عمر  
ابن الخطاب ، روى عنه ابنه زيد والقاسم بن محمد ، مات في ولاية مروان وله  
مائة وأربعة عشرة سنة ، وقيل : مات زمن عبد الملك بالمدينة ، وفي « طبقات  
الحفاظ ، للحافظ جلال الدين السيوطي ما نصه : زيد بن أسلم المدني الفقيه أبو  
أسامة ، ويقال : أبو عبد الله مولى عمر بن الخطاب ، روى عن أنس وجابر بن



عبد الله ، وسلمة بن الأكوع وابن عمر وأبي هريرة وعائشة ، وعن ابنه أسامة  
 وابن جريج والسفيان وغيرهم ، أجمع على جلالته . وكانت له حلقة في المسجد  
 النبوي . قال أبو حاتم : لقد رأينا في مجلس زيد بن أسلم أربعين حبراً فقيهاً ، فما  
 رأينا فيهم متارين ولا متنازعين في حديث لا ينفعها قط . وكان علي بن الحسين  
 يجلس الى زيد ، ف قيل له تنخطى مجالس قومك الى عبد عمر بن الخطاب ، فقال :  
 إنما يجلس المرء الى من ينفعه في دينه . قال يعقوب بن أبي شيبة عن زيد بن أسلم :  
 هو ثقة كثير الحديث ، من أهل الفقه والعلم ، عالم بتفسير القرآن ، له كتاب في  
 التفسير ، وكان يقول : ابن آدم ! إتق الله يحبك الناس وان كرهوا . وكان  
 أبو حاتم يقول : لا يربني الله يوم زيد ؛ انه لم يبق أحد من أهل العلم أرضى  
 لنفسه ودينه غيره ، فأتاه نمي زيد فمقر ، فما قام بعده ، كما في شرح البخاري .  
 قال زيد بن أسلم ( سمع ) — بفتح السين المهملة وتشديد الميم مفتوحة — ( ابن  
 عمر ) رضي الله عنها بالرفع ، فاعل سمع ( ابن ابنه ) بنصب ابن ، مفعول أول لسمع  
 ( عبد الله ) بالنصب ، بدل منه ، أو عطف بيان ( ابن واقد ) قال ابن قتيبة في  
 « المعارف » : أما واقد بن عبد الله بن عمر فوقع من بعيره وهو محرم فمات  
 — قال — وكان عبد الله بن واقد من رجال قريش ، وفيه يقول الشاعر :

أحب من النسوان كل خريدة لها حسن عباد وجسم ابن واقد

يعني عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير . وقد روى داود بن قيس  
 رواية زيد بن أسلم عنه بزيادة قصة . قال : « أرسلني أبي الى ابن عمر رضي الله  
 عنها . فقلت : أدخل ؟ فعرف صوتي فقال : أي بني ! إذا جئت الى قوم فقل :  
 السلام عليكم ، فان ردوا عليك فقل : أدخل ؟ — قال — ثم رأى ابنه وقد  
 انجمر رداؤه فقال : ارفع إزارك ؛ فقد سمعت . . . ، فذكر الحديث ، أخرجه  
 الامام أحمد ، وأخرج الامام أحمد والحيدري وسهيب بن عبد الله بن واقد بن

عبد الله بن عمر كما هنا ، وأخرجه الامام أحمد أيضاً من طريق معمر عن زيد ابن أسلم « سمعت ابن عمر ... » فذكره بدون القصة . قال عبد الله بن عمر رضي الله عنها لان ابنه عبد الله بن واقد ( يا بني ) — بضم الباء الموحدة وفتح النون وتشديد المثناة تحت مكسورة — ( سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا ينظر الله ) سبحانه وتعالى ، أي نظر رحمة ورضى ، أو لا يرحمه ، فالنظر اذا أضيف الى الله كان مجازاً ، وإذا أضيف الى الخلق كان كناية ؛ لأن من نظر الى متواضع رحمه ، ومن نظر الى متكبر مقته ، فالرحمة والمقت متسبان عن النظر ، من حيث هو ، يقع على الاجسام والمعاني ، فما كان بالأبصار فهو الاجسام ، وما كان بالبصار كان المعاني . قال الكرماني في « شرح البخاري » : نسبة النظر ان يجوز عليه النظر كناية ؛ لأن من اعتد بالشخص التفت اليه ، ثم **كثر** حتى صار عبارة عن الاحسان ، وإن لم يكن هناك نظر ، ولمن لا يجوز عليه حقيقة النظر — وهو تقلاب الحدقة ، والله منزه عن ذلك — فهو بمعنى الاحسان مجاز عما وقع ، في حق غيره كناية ، وهذا على مذهب الخلف . وأما مذهب السلف فكل ماورد يؤمنون به بالمعنى الذي أراده الله تعالى ، مع اعتقاد التنزيه للباري بأنه ( ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ) زاد البخاري ومسلم وغيرهما : « يوم القيامة ، إشارة الى أنه محل الرحمة المستمرة ، بخلاف رحمة الدنيا ؛ فانها قد تنقطع بما يتجدد من الحوادث ، ( الى من ) أي الى شخص ، فيتناول الرجال والنساء في الوعيد ( جره ) أي سحب وجذب ( إزاره ) وهو الثوب الذي يشد على الحقوين فما تحتهما ، وجمعه أزر ، ويجمع جمع قلة على إزره ، ويذكر ويؤنث فيقال : إزار لبسته ولبستها ، والمأزر — بكسر الميم مثله ، والجمع مأزر ، واثترت لبست الازار ، قال في القاموس : اثتر به وتأزر ، ولا تقل : ازر ، وقد جاء في بعض الاحاديث ، ولعله من تحريف الرواة . انتهى . ( خيلاء ) — بضم

الحاء المعجمة وقد تنكسر ، وفتح المثناة تحت ، وبالمد منصوباً - مفعول لا أجله أي  
لا أجل الخيلاء . قال الراغب : الخيلاء : التكبر ، ينشأ عن فضيلة يتراءاها  
الانسان من نفسه ، والتخييل : تصوير خيال الشيء في النفس ، وبقيد الخيلاء  
يخص ظواهر الاحاديث المطلقة في الزجر عن الاسباب .

والحاصل أن الاسباب تارة يكون خيلاء ، وتارة لا . الاول : حرام من الكبائر .  
على الأصح ، والثاني : تارة يكون لحاجة ، وأخرى لا . الأول : غير مكروه مالم  
يقصد تدليساً فيحرم ، والثاني : مكروه ، وهو الاسباب بلا حاجة ولا خيلاء ولا  
تدليس ، لقول النبي ﷺ : « ماتحت الكميين في النار » ، فقد أخرج أبو داود  
والنسائي وغيرهما ، وصححه الحاكم من حديث أبي جري - بالجيم والراء مصغراً -  
واسمه : جابر بن سليم ، رفعه ، قال في أثناء حديث مرفوع : « وارفع إزارك الى  
نصف الساق ، فان آيت فالى الكميين ، وإياك وإسبال الازار ، فانها من الخيلاء ،  
وإن الله لا يحب الخيلاء . وأخرج النسائي ، وصححه الحاكم أيضاً من حديث حذيفة  
بلفظ : « الازار الى أنصاف الساقين ، فان آيت فأسفل ، فان آيت فمن وراء الساقين ،  
ولا حق للكميين في الازار » . وأخرج مالك ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه  
وصححه أبو عوانة وابن حبان من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ،  
ورجاله رجال مسلم ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إزره المؤمن الى نصف  
الساق ، ولا حرج - أو قال ولا جناح عليه - فيما بينه وبين الكميين ، وما  
كان أسفل من ذلك فهو في النار ، ومن جر إزاره بطر ألم ينظر الله اليه يوم  
القيامة » . وأخرج البخاري والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن  
رسول الله ﷺ قال : « ما أسفل من الكميين من الازار في النار » . وفي  
رواية النسائي قال : « إزره المؤمن الى عضلة ساقه ، ثم الى نصف ساقه ، ثم الى  
كعبه ، وما تحت الكميين من الازار في النار » . قال ابن عمر رضي الله عنها :

« ما قال رسول الله ﷺ في الأزار فهو في القميص » رواه أبو داود . وروى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم وهم عذاب أليم . قال - فقراها رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، فقال أبو ذر : خابوا وخسروا ، من هم يا رسول الله ؟ قال : المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب . قال الحافظ المنذري : المسبل هو الذي يطول ثوبه ويرسله الى الأرض ، كأنه يفعل ذلك تجبراً واختيالاً . وفي «الصحيحين» وغيرهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة » فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله : إن إزارى يسترخى إلا أن أتاهده ، فقال رسول ﷺ : إنك لست بمن يفعله خيلاء . . ولفظ مسلم : « قال ابن عمر : سمعت رسول الله ﷺ بأذني هاتين يقول : من جر إزاره لا يريد بذلك إلا الخيلة ، فإن الله لا ينظر اليه يوم القيامة . الخيلة : - بفتح الميم وكسر الخاء المعجمة - من الاختيال ، وهو الكبر واستحقار الناس .

وفي حديث ابن عمر ، وقصة الصديق رضي الله عنهم دليل على أنه لا حرج على من انجر إزاره بغير قصد مطلقاً . وأما ما أخرجه ابن أبي شيبة عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يكره جر الأزار على كل حال ، فقال ابن بطال : هو من تشديداته رضي الله عنه . قال في «الفتح» : بل كراهة ابن عمر محمولة على من قصد ذلك ، سواء كان عن خيلة أم لا ، وهو المطابق لروايته ، ولا يظن بأن عمر أنه يؤخذ من لم يقصد شيئاً ، وإنما يريد بالكراهة من انجر إزاره بغير اختياره ثم تمادى على ذلك ولم يتداركه - قال - وهذا متفق عليه ، وإن اختلفوا : هل الكراهة فيه للتحريم أو للتنزيه؟ فإن كان الثوب على قدر لابسه ، لكنه يسدله ، فهذا لا يظهر فيه تحريم ، ولا سيما إن كان عن غير قصد ، كالذي وقع للصديق

الاعظم . وأما إن كان الثوب زائداً على قدر لابسه ، فهذا قد يتجه فيه المنع من جهة الاسراف ، ومن جهة التشبه بالنساء . وقد صحح الحاكم من حديث أبي هريرة : « أن رسول الله ﷺ لمن الرجل يلبس لبسة المرأة » ، وقد يتجه فيه المنع أيضاً من جهة أن لابسه لا يأمن من تعلق النجاسة به ، وإلى ذلك يشير الحديث الذي أخرجه الترمذي في « الشائل » والنسائي من طريق أشعث بن أبي الشعثاء - واسم أبيه سليم الهازلي - عن عمته واسمها رم - بضم الراء ، وسكون الهاء - وهي بنت الأسود بن حنظلة عن عمها ، واسمها عبيد بن خالد قال : « كنت أمشي وعليّ بردٌ أجره » ، فقال لي رجل : ارفع ثوبك ؛ فإنه أتقى وأبقى ، فنظرت فإذا هو النبي ﷺ ، فقلت : إنما هي بردة ملحاء ، فقال : أما لك في أسوة ؟ - قال - : فنظرت فإذا إزاره تكون ممدودة إلى أنصاف ساقيه . وسنده قبلها جيد . وقوله : ملحاء - بفتح الميم وبمهملة قبلها لام ساكنة ممدودة - أي فيها خطوط سود وبيض . وفي قصة قتل عمر رضي الله عنه أنه قال للشاب الذي دخل عليه : ارفع ثوبك فإنه أبقى ثوبك وأتقى لدينك . ويتجه المنع أيضاً في الأسباب من جهة أخرى ، وهي كونه مظنة الخيلاء ، ولهذا قال ابن العربي : لا يجوز للرجل أن يجاوز بثوبه كعبه ، ويقول : لا أجره خيلاء ، لأن النهي قد تناوله لفظاً ، ولا يجوز لمن تناوله اللفظ حكماً أن يقول : لا أمثله ، لأن تلك اللمة ليست في ، فإنها دعوى غير مسلمة ، بل إطلالته ذيله دال على تكبره . انتهى .

قال في « الفتح » : وحاصله ان الأسباب يستلزم جر الثوب ، وجر الثوب يستلزم الخيلاء ، ولو لم يقصد اللابس الخيلاء ، ويؤيده ما أخرجه أحمد بن منيع من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في أثناء حديث رفعه « وإياك وجر الأزار فان جر الأزار من الخيلاء » .

وأخرج الطبراني من حديث أبي أمامة رضي الله عنها قال : « بينما نحن مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ لحقنا عمرو بن زرارة الانصاري في حلة ازار ورداء قد أسبل ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بناحية ثوبه : تواضع لله ، ويقول : عبدك وابن عبدك وأمتك ، حتى سمها عمرو ، فقال : يا رسول الله ! إنني حشش الساقين (١) ، فقال : يا عمرو ! إن الله قد أحسن كل شيء خلقه ، يا عمرو ! إن الله لا يحب المسبل ، الحديث . وأخرجه الامام أحمد من حديث عمرو نفسه ؛ لكن قال في روايته : عن عمرو بن فلان ، وأخرجه الطبراني أيضاً ، فقال عن عمرو بن زرارة ، وفيه : « وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع أصابع تحت ركة عمرو ، فقال : يا عمرو ! هذا موضع الازار ، ثم ضرب بأربع أصابع تحت الاربع ، فقال : يا عمرو ! هذا موضع الازار ، الحديث ، ورجاله ثقة ، وظاهره أن عمرأ المذكور لم يقصد بأسبالة الخلاء ، وقد منممه من ذلك لكونه مظنتها . وأما ما أخرجه ابن أبي شيبة عن ابن مسعود رضي الله عنه بسند جيد أنه كان يسبل إزاره ، فقيل له في ذلك ، فقال : اني حشش الساقين ؛ فهو محمول على أنه أسبله زيادة على المستحب ، وهو أن يكون الى نصف الساق ، ولا يظن به أنه جاوز به الكعبين ، والتعليل يرشد اليه ، ومع ذلك فلمله لم تبلغه قصة عمرو بن زرارة . وأخرج النسائي وابن ماجه وصححه ابن حبان من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه : « رأيت رسول الله ﷺ أخذ برداء سفيان بن سهيل وهو يقول : يا سفيان ! لا تسبل فان الله لا يحب المسبلين .

تفسيه : يستثنى من عموم ذلك ثوب المرأة ؛ فان لها أن تسبل ذيله من شبر إلى ذراع ، فقد أخرج النسائي والترمذي وصححه من طريق أيوب ، عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنها متصلاً بالحديث المار « فقالت أم سلمة : فكيف يصنع النساء بذيولهن ؟ فقال : يرخين شبراً ، فقالت : إذا تنكشف اقدامهن فقال :

(١) دقيق الساقين

يرخينه ذراعاً ، لا يزيدن عليه ، قال ابن عبد القوي في « منظومة الآداب » :  
 وأطول ذيل المرأة للعكب والنساء      يلي الأزر شبراً أو ذراعاً تزود  
 قال العلامة ابن مفلح في « الآداب الكبرى » : ويزيد ذيل المرأة على ذيل  
 الرجل ما بين الشبر إلى القراع . وقال صاحب « المستوعب » : هذا في حق من  
 تمشي بين الرجال كنساء العرب ، فأما نساء المدن في البيوت ؛ فكذيل الرجال .  
 قال في « الرعاية الكبرى » : وترخيه البرزة ونساء البر على الأرض دون القراع ،  
 وقيل : من شبر إلى ذراع ، وقيل : يكره ما نزل عنه أو ارتفع ، نص عليه .  
 انتهى . والمعتمد عدم الفرق بين نساء المدن وغيرهن لعموم الحديث ، وكذا  
 يستثنى من عموم النهي عن الخيلاء والتبختر عن قتال الكفار ، فان أبا دجاجة رضي  
 الله عنه لما تبختر بين الصفيين يوم أحد . قال ﷺ : « إنها لمشية يبنضها الله إلا  
 في مثل هذا الوطن ، والله الموفق .

### الحديث التاسع

٩ - حدثنا سفيان ، عن زيد بن اسلم ، عن عبد الله ابن  
 عمر : دخل رسول ﷺ مسجد بني عمرو بن عوف ، مسجد  
 قباء يصلي فيه ، فدخلت عليه رجال الأنصار يسلمون عليه ،  
 ودخل معه صهيب ، فسألت صهيباً : كيف كان رسول الله  
ﷺ يصنع إذا سأم عليه ؟ قال : يشير بيده

قال سفيانُ : قلت لرجلٍ : سل زيداُ : أسمعته من عبد  
الله؟ وهبت أنا أن أسأله ، فقال يا أبا أسامةَ اسمعته من عبد  
الله بن عمرَ ؟ قال زيد : أما أنا فقد رأيته وكتته .

قال رضي الله عنه : ( حدثنا ) أبو محمد ( سفيان ) بن عيينة ( عن ) أبي  
أسامة ( زيد بن أسلم عن ) أبي عبد الرحمن ( عبد الله بن عمر ) رضي الله عنها  
قال : ( دخل رسول الله ﷺ مسجد بني عمرو بن عوف ) يعني بعد ما بناه ،  
فانه ﷺ دخل قباء يوم الاثنين لهلال ربيع الاول ، أي لأول يوم منه ، قاله  
ابن عتبة ، وفي رواية جرير بن حازم عن ابن اسحق ، قدمها لاثنتي عشرة ليلة  
خلت من ربيع الأول ، وعند أبي سعد في شرف المصطفى من طريق أبي بكر بن  
حزم قال : قدم المدينة لثلاث عشرة ليلة من ربيع الاول ، وهذا يجمع بينه وبين  
الذي قبله بالحمل على الاختلاف في رؤية الهلال ، فأقام صلى الله عليه وسلم في بني  
عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وفي «الصحيح» عن أنس رضي الله عنه «أنه أقام  
فيهم أربع عشرة ليلة ، وقال ابن اسحق : خمس ليال . وعن قوم من بني عمرو  
ابن عوف أنه أقام فيهم اثنين وعشرين يوماً ، ( مسجد قباء ) بالنصب بدل من  
مسجد بني عمرو بن عوف أو عطف بيان ، وعباء - بالضم ، ويذكر ويقصر -  
اسم الموضع المعروف قرب المدينة المنورة ، وفي «الصحيح» عن عروة «أقام رسول  
الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف ، وأسس المسجد الذي أسس على  
التقوى ، وفي رواية عند عبد الرزاق عنه قال : « الذي بني فيه المسجد الذي  
أسس على التقوى هم بنو عمرو بن عوف ، وكذا عند ابن عائذ ، وروى يونس  
ابن بكير في زياداته عن المسعودي عن الحكم بن عتبة - بضم العين المهملة وفتح  
الفوقية وسكون التحتية وبالوحدة - قال : « لما قدم رسول الله صلى الله عليه



وسلم المدينة فنزل قباء ، قال عمار بن ياسر : ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
بد من أن يجعل له مكاناً يستظل به إذا استيقظ ويصلي فيه ، فجمع حجارة فبنى  
مسجد قباء ، فهو أول من بنى مسجداً . قال ابن حجر وغيره : يعني لمامة  
المسلمين ، أو للنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهو في التحقيق أول مسجد صلى  
فيه بأصحابه جماعة ظاهراً ، وإن كان قد بنى غيره من المساجد ، فقد روى ابن  
أبي شيبة عن جابر رضي الله عنه قال : لقد لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم النبي صلى  
الله عليه وسلم سنتين نمر المساجد ، ونقيم الصلاة . وفي «الصحيحين» وغيرهما  
من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : « كان رسول الله ﷺ يزور قباء - أو يأتي  
قباء - راكباً و ماشياً » . زاد في رواية « فيصلي فيه ركعتين » ، ورواه البخاري  
والنسائي بلفظ : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي مسجد قباء كل  
سبت راكباً و ماشياً ، وكان ابن عمر يفعله » وأخرجه مسلم بلفظ : « ان ابن عمر  
كان يأتي قباء كل سبت ، وكان يقول : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يأتيه كل  
سبت » وفي رواية : « كان يأتيه راكباً و ماشياً » قال ابن اينار : وكان ابن عمر  
يفعله . وروى النسائي من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه قال : قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم : « من خرج حتى يأتي هذا المسجد مسجد قباء فيصلي  
فيه فإن له كعدهل عمرة » وأخرج الترمذي من حديث أسيد بن ظهير أن النبي  
صلى الله عليه وسلم قال : « الصلاة في مسجد قباء كعمرة » قال الترمذي : هذا  
هذا حديث حسن صحيح - قال - ولا نعرف لأسيد بن ظهير شيئاً صحيحاً غير  
هذا الحديث . ( يصلي ) أي دخله ليصلي ( فيه ) صلى الله عليه وسلم ( فدخلت  
عليه رجال الأنصار ) أنت الفعل في دخلت باعتبار الجماعة ، والأنصار هم الأوس  
والخزرج من بني قيلة وحلفاؤهم . وفي البخاري عن غيلان بن جرير قال :  
« قلت لأنس بن مالك رضي الله عنه : رأيت اسم الأنصار ، أكنتم تسمون به أم

سماكم الله تعالى وتبارك به ؛ قال : بلى سمانا الله عز وجل . . وروى البخاري  
 ومسلم والترمذي وغيرهم من حديث البراء بن عازب رضي الله عنها قال : « سمعت  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الأنصار : لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا  
 يبغضهم إلا منافق ، فمن أحبهم أحب الله ، ومن أبغضهم أبغض الله ، وفي  
 « الصحيحين » وغيرها من حديث أنس رضي الله عنه « آية الإيمان حب الانصار ،  
 وآية النفاق بغض الانصار » وأخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنها  
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يبغض الأنصار أحد يؤمن بالله  
 واليوم الآخر . ( يسلمون عليه ) صلى الله عليه وسلم ( ودخل ) المسجد ( معه )  
 عليه الصلاة والسلام ( صهيب ) وهو أبو يحيى صهيب بن سنان ، مولى عبد الله  
 ابن جدعان التيمي ، وفي نسبه خلاف كثير ، إلا أنه من النمر بن قاسط ، كانت  
 منازلهم بأرض الموصل فيما بين دجلة والفرات ، فأغارت الروم على تلك الناحية ،  
 فسبته وهو غلام صغير ، فنشأ بالروم ، فابتاعته منهم كلب ، ثم قدمت به مكة ،  
 فاشتراه عبد الله بن جدعان التيمي فأعتقه ، فأقام معه الى أن هلك وبعث النبي  
 ﷺ ، ويقال : إنه لما كبر في الروم وعقل هرب منهم ، وقدم مكة ، فخالف  
 عبد الله بن جدعان ، وأسلم قديماً بمكة . يقال : إنه أسلم هو وعمار بن ياسر في يوم  
 واحد ، ورسول الله بدار الأرقم بعد بضعة وثلاثين رجلاً ، وكان من المستضعفين  
 الممذيين في الله عز وجل بمكة ، ثم هاجر الى المدينة بعد هجرة النبي ﷺ ،  
 وهو من السابقين الأولين ، وفيه نزل قوله تعالى : « ومن الناس من يشتري  
 نفسه ابتغاء مرضاة الله » وشهد بدرأ والمشاهد كلها . روى عنه ابن عمر وجابر  
 وابن المسيب . روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثون حديثاً ، انفرد  
 بالخراج عنه مسلم ، فأخرج له ثلاثة أحاديث ، ومات رضي الله عنه سنة ثمان  
 وثلاثين بالمدينة ، وهو ابن سبعين سنة ، ودفن بالبقيع ، وقيل : مات سنة تسع

وثلاثين ، وهو ابن ثلاث وسبعين ، والله أعلم . قال ابن عمر رضي الله عنهما :  
 ( فسألت صهيباً ) فقالت له : ( كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع )  
 أي ما كان يفعل ( إذا سلم ) بضم السين المهملة وكسر اللام مشددة مبنياً لما لم  
 يسم فاعله ، أي ما يكون منه من الفعل إذا سلم رجال الأنصار ( عليه ) في حال  
 دخولهم عليه صلى الله عليه وسلم ( قال ) صهيب رضي الله عنه : كانت ( بشير  
 بيده ) الشريفة أي مع اتيانها بالرد المشروع ، وأقل ما يحصل به وجوب الرد أن  
 يسمع المبتدئ ، وحينئذ يحصل الجواب ، ولا يكفي الرد بالإشارة ؛ بل ورد  
 الزجر عنه ، وذلك فيما أخرجه الترمذي من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه  
 عن جده ، رفعه : « لا تشبهوا باليهود والنصارى ؛ فإن تسليم اليهود الإشارة  
 بالأصبع ، وتسليم النصارى بالأكف ، قال الترمذي : حديث غريب ، قال في  
 « الفتح » : وفي سنده ضعف ، لكن أخرجه النسائي بسند جيد عن جابر رضي  
 الله عنه ، رفعه « لا تسلموا تسليم اليهود ؛ فإن تسليمهم بالرؤوس والأكف  
 والإشارة » قال النووي : ولا يرد على هذا حديث أسماء بنت يزيد : « مرّ النبي  
 صلى الله عليه وسلم في المسجد وعصبة من النساء قعود ، فألوى بيده بالتسليم ،  
 رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه ؛ فانه محمول على أنه جمع بين  
 اللفظ والإشارة ، وقد أخرجه أبو داود من حديثها بلفظ : فسلم علينا . انتهى .  
 والنهي عن السلام بالإشارة مخصوص بمن قدر على اللفظ حساً وشرعاً ، وإلا فهي  
 مشروعة لمن يكون في شغل يمنعه من التلفظ بجواب السلام ، كالمصلي والبعيد  
 والأخرس ، وكذا السلام على الأصم ، ولو سلم بغير اللفظ العربي ، هل يستحق  
 الجواب ؟ فيه ثلاثة أقوال للعلماء ، ثانیها : يجب لمن يحسن بالعربية ، واستظهر ابن  
 دقيق العيد أن الترجية بغير لفظ السلام من باب ترك المستحب وليس بمكروه ؛

إلا إن قصد به المدول عن السلام الى ما هو أظهر في التعميم من أجل أكار  
أهل الدنيا .

ورد السلام يجب على الفور ، فلو أخر ثم استدرك فردّ ؛ لم يعد جواباً ،  
قاله القاضي حسين وجماعة ، وكان محله إذا لم يكن عذر . وفي «الآداب الكبرى»  
لابن مفلح : وهل يكره أن يسلم على المصلي ، وأن يرد إشارة ؟ على روايتين :  
إحداها : يكره ، وهو الذي قدمه في «الرعاية» ، والثانية : لا يكره ، للعموم  
ولأنه صلى الله عليه وسلم لم ينكر على أصحابه حين سلموا عليه ، وذلك في  
البخاري ومسلم ، ولأنه صلى الله عليه وسلم ردّ إشارة على ابن عمر وصهيب ،  
روى ذلك جماعة ، منهم الامام أحمد وأبو داود والترمذي وصححها ، وعن الامام  
أحمد رضي الله عنه : لا يكره ذلك في النفل فقط ، وقيل : إن علم المصلي  
كيفية الرد جاز وإلا كره ، وعنه : يجب ردّه إشارة ، وقال في «المحرر» : له ردّ  
السلام إشارة ، وفي «الشرح» : يرد السلام إشارة ، وهو قول مالك والشافعي ،  
وإن ردّ عليه بعد فراغه من الصلاة فحسن ؛ لأن ذلك جاء في حديث ابن مسعود  
رضي الله عنه ، فإن ردّ في صلاته لفظاً بطلت ، وبه قال الثلاثة ؛ لأنه صلى الله  
عليه وسلم لم يرد على ابن مسعود ، قال ابن مسعود : « فسأته فقال : إن الله  
عز وجل يحدث من أمره ما يشاء ، وإنه قد أحدث من أمره أن لا يتكلم في  
الصلاة » رواه الامام أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي ، وقال : رواه جماعة  
من الأئمة عن عاصم بن أبي النجود ، وتداوله الفقهاء بينهم ، وكان الحسن وابن  
المسيب وقتادة لا يرون به بأساً ، وروى النسائي عن عمار رضي الله عنه : « أنه  
سلم على النبي ﷺ وهو يصلي ، فرد عليه ، وهذا محمول على ما قبل تحريم  
الكلام في الصلاة ، وروى المهاجر بن قنفذ : « أنه سلم على النبي ﷺ وهو  
بتوضاً ، فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه ، فرد عليه وقال : إنه لم يمتني أن

أرد عليك إلا أني كرهت أن أذكر الله عز وجل إلا على طهارة ، إسناده جيد ،  
 رواه الامام أحمد وابن ماجه وابن حبان في «صحيحه» وغيرهم ، وقال ابن حبان :  
 أراد به الفضل ؛ لأن الذكر على الطهارة أفضل ، لا أنه مكروه . ولم يرد النبي  
 ﷺ وهو يبول ، رواه مسلم وغيره . وفي البخاري عن جابر رضي الله عنه :  
 « أن النبي ﷺ بعثه في حاجة قال : فأثبته فسلمت عليه فلم يرد علي ، فوقع في  
 قلبي ما به الله أعلم ، فقلت في نفسي : لعله وجد علي أن أبطأت عليه ، ثم سلمت  
 عليه فلم يرد علي ، فوقع في قلبي أشد من المرة الأولى ، ثم سلمت عليه ، فرد علي  
 وقال : إنما منعي أن أرد عليك أني كنت أصلي ، وكان علي راحلته متوجهاً الى  
 غير القبلة . ولمسلم أنه أوماً بيده ، وفي هذا الخبر وغيره أنه يستحب لمن منعه  
 من رد السلام مانع أن يعتذر الى المسلم ويذكر المانع له .

### (فروع) :

الاول : لو سلم على أصم ؛ جمع بين اللفظ والاشارة ، فان لم يجمع لم يجب  
 الجواب ، فان سلم عليه أصم ؛ جمع في الرد بين اللفظ والاشارة أيضاً . فاما  
 الأخرس فسلامه بالاشارة ، وكذلك جواب الأخرس . قال في «الآداب الكبرى» :  
 ويؤخذ من المسألة قبلها أن من سلم على أخرس أو رد سلامه ، جمع بين اللفظ  
 والاشارة ، وهو متوجه - قال - وذكر المروزي أن أبا عبد الله يعني الامام  
 أحمد رضي الله عنه لما اشتد به المرض كان ربما أذن للناس فيدخلون عليه أفواجا  
 أفواجا ، فيسلمون عليه فيرد عليهم بيده .

الثاني : ابتداء السلام سنة ، ومن جماعة سنة كفاية ، والأفضل السلام  
 من جميعهم ، ولا يجب إجماعاً ، نقله ابن عبد البر وغيره ، قال ابن مفلح في

« الآداب الكبرى » : وظاهر ما نقل عن الظاهرية وجوبه . - قال - وذكر  
 شيخ الاسلام ابن تيمية أن ابتداء السلام واجب في أحد القولين في مذهب  
 أحمد وغيره . ورفع الصوت بابتداء السلام سنة ليسمه المسلم عليهم سماعاً محققاً ،  
 وإن سلم على أيقاظ عندهم نيام ، أو على من لا يعلم هل هم أيقاظ أو نيام ؛ خفض  
 صوته بحيث يسمع الأيقاظ ولا يوقظ النيام ؛ فقد روى مسلم من حديث المقداد  
 رضي الله عنه : « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجيء من الليل فيسلم تسليماً  
 لا يوقظ نائماً ، ويسمع اليقظان ، ويسن أن يبدأ بالسلام قبل كل كلام .

الثالث : رد السلام المستنون فرض عين على المنفرد ، وكفاية على الجماعة  
 فوراً ، ورفع الصوت به قدر الإبلاغ واجب ، ومن سلم في حالة لا يستحب فيها  
 السلام ، لم يستحق جواباً ، فيكره أن يسلم على أجنبية إلا أن تكون عجزاً ،  
 وفي الحمام ، وعلى من يأكل أو يقاتل ، وعلى نالٍ وذا كبرٍ وملبٍ ومحدثٍ وخطيبٍ  
 وواعظٍ ، وعلى من يستمع لهم ، وعلى من يكرر فقهاً ، ومدرسٍ ومؤذنٍ ومقيمٍ ،  
 ومن هو على حاجته ، أو يتمتع بأهله ، ومشتغلٍ بالقضاء ونحوهم .

الرابع : ابتداء السلام أفضل من رده ، مع أن ابتداء سنة ، ورده واجب ،  
 وهذا أحد المواضع التي السنة أفضل فيها من الواجب ، الثاني : إنظار المسر  
 واجب وإراؤه سنة ، وهو أفضل ، الثالث : التطهر قبل الوقت سنة وبه يجب .  
 الرابع : الختان قبل البلوغ سنة وبه يجب . ونظموا ذلك (١)

الفرض أفضل من تطوع عابد	حتى ولو قد جاء منه بأكثر
إلا التطهر قبل وقت وابتدا	للسلام كذاك إرا المسر
وكذا ختان المرء قبل بلوغه	تم به عقد الامام المكثر

(١) البيتان الاولان للحافظ السيوطي ، والثالث للشيخ محمد الحلوتي الحنبلي .

وقد أنهيت الكلام على فصول السلام في كتابي «غذاء الألباب اشرح منظومة الآداب» والله تعالى الموفق .

( قال سفيان ) ابن عيينة رحمه الله ورضي عنه : ( قلت لرجل ) من الحاضرين ( سئل زيدا ) يعني ابن أسلم ، ( أسمته ) ، أي الحديث من ( عبد الله ) بن عمر رضي الله عنه ؟ وخاف سفيان أن يكون بينه وبين ابن عمر واسطة في الحديث ، لأنه رواه عنه بالمنعنة . قال سفيان رحمه الله تعالى ( وهبت أنا أن أسأله ) ، أي أسأل زيد بن أسلم عن ذلك ، ( فقال ) له الرجل : ( يا أبا أسامة ) ! هذه كنية زيد كما تقدم في ترجمته ، ( سمعته ) ، أي هذا الحديث ( من عبد الله بن عمر ) رضي الله عنها ، ( قال زيد ) بن أسلم : ( أما أنا فقد رأيت ) ، أي عبد الله بن عمر ( وكنته ) ، يعني فلا أسأل بعد ذلك عن مثل ذلك ولا أنهم في شيء من ذلك ، لأن أضيح الشروط ثبوت اللئق والأخذ عن الشيخ وملازمته له ، وكل هذه موجودة في زيد بن أسلم مع ابن عمر رضي الله عنها ، والحديث صحيح والله أعلم .

### الحديث العاشر

١٠ - حدثنا سفيان ، قال : سمع صدقة ابن عمر يقول

- يعني عن النبي ﷺ - بِهَيْلٍ أَهْلُ نَجْدٍ مِنْ قَرْنٍ ، وَأَهْلُ الشَّامِ مِنَ الْجُحْفَةِ . وَأَهْلُ الْيَمَنِ مِنْ يَلَمْلَمٍ ، وَلَمْ يَسْمَعْهُ ابْنُ عُمَرَ .  
وسمع النبي ﷺ : مُهَلُّ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ذُو الْحُلَيْفَةِ قَالُوا لَهُ :  
فَأَيْنَ أَهْلُ الْعِرَاقِ ؟ قَالَ ابْنُ عُمَرَ : لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ .

قال رضي الله عنه : ( حدثنا ) أبو محمد ( سفيان ) بن عيينة ( قال ) سفيان :  
( سمع ) أبو الهذيل ( صدقة ) بن يسار الجوزي المكي ، سكن مكة ، يمد في  
التابعين ، روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنها ، وسمع أبا جعفر والقاسم ،  
روى عنه شعبة والسفيان رضي الله عنها ، والامام مالك وغيرهم ، هكذا ذكره  
في « جامع الأصول » ولم يؤرخ وقته ، وقوله : ( ابن عمر ) هو بالنصب مفعول أول  
لسمع ، وصدقة فاعل ، وجملة ( يقول ) مفعول ثان ، أو حال من المفعول الذي هو  
ابن عمر ( يعني عن النبي صلى الله عليه وسلم يهل ) بضم المثناة التحتية ، أي يرفع  
صوته بالتلبية ، يقال : أهل الحرم بالحج يهل إهلالاً : إذا لبى ورفع صوته ،  
والمراد يحرم ، ( أهل نجد ) بفتح النون وسكون الجيم ، قال في « المطالع » عن  
صاحب « المطالع » : هو ما بين جرش إلى سواد الكوفة ، وحده مما يلي المغرب  
الحجاز على يسار الكعبة ، ونجد كلها من عمل اليمامة ، وقال الجوهري : نجد من  
بلاد العرب ، وهو خلاف النور ، والنور هو تهامة كلها ، وكل ما ارتفع من تهامة  
إلى أرض العراق فهو نجد ، وهو مذكور ، ( من قرن ) متعلق بهل ، وقرن بسكون  
الراء بلا خلاف ، قال صاحب « المطالع » : هو ميقات نجد على يوم وليلة من  
مكة ، ويقال له : قرن المنازل وقرن الثعالب ، ورواه بعضهم بفتح الراء وهو  
غلط ، وإنما قرن بفتح الراء قبيلة من اليمن ، وهي قبيلة أويس بن عامر القرني ،  
وقد غلط غير صاحب « المطالع » من العلماء من ذكره بفتح الراء ، وزعم أن  
أويساً القرني منه ، وإنما هو من قرن - بفتح الراء - بطن من مراد .

( ويهل ) أي يحرم ( أهل الشام ) ، زاد النسائي في حديث عائشة رضي الله عنه  
ومصر ، زاد الشافعي في روايته : والمغرب ، والشام : إقليم معروف يقال مسهلاً  
ومهموزاً ، وشام بهمزة وبعدها مدة ، نقلها في « المطالع » ، قال الجوهري : الشام  
وتؤنث ، وفي « القاموس » : الشام بلاد على سمت القبلة ، وسميت كذلك لأن



قوماً من بني كنعان تشاءموا اليها ، أي تياسروا ، أو سمي بشام من نوح ؛ فانه  
 بالشين المعجمة بالسريانية ، أو لأن أرضها شامات بيض وحرر وسود ، وعلى هذا  
 لا يهمز ، وقد تذكر ، وهو شامي وشام وشامي . انتهى . وفي «المطلع» في تسميتها  
 بذلك ثلاثة أقوال : أحدها : أنها سميت بشام بن نوح ؛ لأنه أول من نزلها ، فجعلت  
 السين شيناً تفييراً للفظ الأعجمي . الثاني : أنها سميت بذلك لكثرة قراها وتداني  
 بعضها من بعض ، فشبهت بالشامات . والثالث : أنها سميت بذلك لأن باب الكعبة  
 مستقبل المطلع ، فمن قابل طلوع الشمس كانت اليمن عن يمينه والشام عن يده  
 التومي ، أي اليسرى . وحد الشام ما بين العريش والفرات طولاً ، وما بين البحر  
 المالح ودومة الجندل عرضاً . (من الجحفة) - بضم الجيم وإسكان الحاء المهملة وفتح  
 الفاء - قرية على ستة أميال من البحر وثمان مراحل من المدينة ، ومن مكة خمسة  
 مراحل أو ستة أو ثلاثة ، كذا في القسطلاني ، وفي «المطلع» لابن قرقول :  
 الجحفة : قرية جامعة على طريق المدينة من مكة ، وهي مبهمة ، وسميت الجحفة لأن  
 السيل اجتحفها وحمل أهلها ، وهي على ستة أميال من البحر وثمان مراحل ،  
 وقيل : نحو سبع مراحل من المدينة وثلاثة من مكة ، وفي «الاقناع» وغيره من  
 كتب علماءنا : هي قرية كبيرة خربة بقرب رابع الذي يحرم منه الناس على يسار  
 الذهاب الى مكة ، ومن أحرم من رابع فقد أحرم قبل محاذاة الجحفة بيسير ، بينها  
 وبين مكة ثلاث مراحل ، وقيل : أكثر . انتهى . قلت : الذي شاهدناه عياناً أن  
 ما بين رابع والمدينة خمس مراحل ، وما بينها وبين مكة كذلك ، نعم مراحل  
 ما بين رابع ومكة قصيرة بالنسبة للأولى ، والله أعلم . قال ابن الكلبي : كان  
 العالقي يسكنون بئر ، فوقع بينهم وبين عيبيل - بفتح المهملة وكسر الموحدة -  
 وهم إخوة عاد حرب ، فأخرجهم من بئر ، فنزلوا مبهمة في السيل فاجتحفهم ،  
 أي استأصلهم ، فسميت الجحفة ، والآل هي خربة لا يصل إليها أحد لوخما ،

ولمّا يحرم الناس في هذه الأزمان من رابع لكونها محاذية لها .

تفسيه : يلزم أهل الشام في هذه الأزمنة الاحرام من ذي الحليفة ، لأنهم  
يأتون المدينة المنورة أولاً ، فيجب عليهم الاحرام من ميقات أهل المدينة ؛ لقوله  
ﷺ : « هن - أي المواقيت - هن ، ولمن أتى عليهن من غيرهن » كما يأتي الكلام  
على ذلك إن شاء الله تعالى . فليس للشامي ونحوه ، فمن أتى المدينة مجاوزة ذي  
الحليفة بالإحرام إلى الجحفة التي هي ميقاته ، فإن فعل أساء ولو زمه دم عند الجمهور . وأطلق  
النووي الاتفاق ، ونفى الخلاف في شره «لمسلم» و«المذهب» في هذه المسألة ، فإن أراد نفي  
خلاف مذهبه ، فمسلم ، وإلا فلا ؛ لأن مذهب مالك له مجاوزة ذي الحليفة إلى الجحفة إن  
كان من أهل الشام أو مصر ، وإن كان الأفضل خلافه ، وبه قال الحنفية وابن  
المنذر من الشافعية . قال العلامة ابن مفلح في «فروعه» : « وهن مواقيت من مر عليها  
من غير أهلها كالشامي يمر بذي الحليفة يحرم منها ، نص عليه يعني الامام أحمد .  
قال النووي : بلا خلاف ، كذا قال ، ومذهب عطاء والمالكية وأبي ثور ، له أن  
يحرم من الجحفة - قال - ويتوجه لنا مثله ، وعند داود لا حج له ، وعند الحنفية  
يحرم أهل المدينة ومن مر بها من شامي وغيره من ذي الحليفة ، ولهم أن يحرموا  
من الجحفة ، ولا شيء عليهم ، وعن أبي حنيفة عليه دم ، وللشافعي : أنبأ ابن  
عمينة عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب ؛ أن عائشة رضي الله عنها اعتمرت في  
سنة مرتين ؛ من ذي الحليفة ، ومرة من الجحفة . وذكر بعض الحنفية ما ذكره  
ابن المنذر وغيره عن عائشة رضي الله عنها : كانت إذا أرادت الحج أحرمت من  
ذي الحليفة ، وإذا أرادت العمرة من الجحفة ، قال : ولو لم تكن الجحفة ميقاتاً  
لذلك لما جاز تأخير إحرام العمرة ؛ لأنه لا فرق للائقي ، وأما إذا مر الشامي  
أو المدني من غير طريق ذي الحليفة ، فميقاته الجحفة للخبر ، ومن خرج عن

الميقات أحرم اذا علم أنه حاذى أقربها منه ، ويستحب الاحتياط ، فان تساوى في القرب اليه ؛ فمن أبعدهما من مكة ، والله الموفق .

(و) يهل أي يحرم (أهل اليمن) وهو ما كان عن يمين الكعبة من بلاد الفور ، قال الجوهري : اليمن بلاد العرب ، قال في « الفاموس » : اليمن محرّكة ما عن يمين القبلة من بلاد الفور ، والنسبة اليها يمني ويمن مخففة ، والالف عوض من ياء النسبة ؛ فلا يجتمعان ، قال سيبويه : وبعضهم يقول : يمني بالتشديد ، قال أمية بن خلف :

يمنيًا يظل يشد كبيراً  
وينفخ دائماً لهب الشواظ

(من يللم) - بفتح الياء المثناة تحت واللامين ، وسكون الميم الأولى بين اللامين - غير منصرف ، جبل من جبال تهامة ، ويقال فيه : ألملم - بهمزة بدل الياء - وهو على مرحلتين من مكة ، وفي « المطالع » ألملم ، ويقال يللم : من جبال تهامة ، على ليلتين من مكة ، والياء فيه بدل من الهمزة ، وليست بمزيدة ، وحكى اللغتين فيه الجوهري وغيره . (ولم يسمه) أي يسمع قوله : يهل أهل اليمن من يللم عبد الله (بن عمر) رضي الله عنها ، قال ابن عمر رضي الله عنها : « وبلغني أن رسول الله ﷺ قال : وفي رواية سالم ابنه عنه : زعموا أن رسول الله ﷺ قال - ولم أسمه : مهل أهل اليمن يللم ، ولا خلاف بين العلماء أن مرسل الصحابي صحيح حجة . نعم خالف في ذلك الاستاذ أبو اسحق الأسفرايني فذهب الى أنه ليس بحجة . وقد ورد ميقات أهل اليمن مرفوعاً من غير إرسال من حديث ابن عباس في « الصحيحين » ، ومن حديث جابر في مسلم إلا أنه قال : أحسبه رفته ، ومن حديث عائشة عند النسائي ، ومن حديث الحارث بن عمر وعند أبي داود والنسائي . (وسم) ابن عمر رضي الله عنها (النبي) بالنصب مفعول سم (صلى الله

عليه وسلم) يقول: (مهل) - بضم الميم وفتح الهاء - أي موضع إهلال (أهل  
 المدينة) النبوية، على ساكنها الصلاة والسلام، وأل فيها للمهد الذهني، والنسبة  
 إليها مدني، وإلى مدينة المنصور وأصفهان مديني، وإلى مدائن كسرى مدائي،  
 وقال الحافظ أبو الفضل المقدسي في «كتاب الأنساب»: قال البخاري: المدني  
 هو الذي أقام بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفارقها، والمدني هو الذي  
 تحول عنها وكان منها. انتهى. والمنسوب إلى مدين قرية شبيب عليه السلام مديني.  
 قال في النهاية: المهل - بضم الميم - موضع الإهلال، وهو الميقات الذي يحرمون  
 منه، ويقع على الزمان والمصدر، ومنه إهلال الهلال واستهلاله إذا رفع الصوت  
 بالتكبير عند رؤيته (ذو الحليفة) - بضم الحاء المهملة وفتح الهمزة - مصغراً -  
 موضع عن المدينة ستة أميال، وقيل سبعة، نقله في «المطلع» عن القاضي عياض  
 وغيره، وذكر الرافعي من الشافعية، أن بينه وبين المدينة ميل، قال القسطلاني  
 في «شرح البخاري»: وقول من قال كان الصباغ في «التأمل» و«الروايي» في  
 أنه على ميل من المدينة وهم يردده الحس. انتهى. والذي في «القاموس» ستة  
 أميال، وفي «المهات» الصواب المعروف بالمشاهدة، أنها على ثلاثة أميال أو تزيد  
 قليلاً، كذا قال، وجزم قهناؤنا أن بين ذي الحليفة والمدينة ستة أميال،  
 وتعرف الآن بآبار علي؛ لأنهم يزعمون أن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه  
 قاتل الجن فيها، وهذا كذب لا أصل له، والموضع مال لبني جشم، والحلف  
 - محرمة - نبت معروف، الواحدة حلفة كفرحة وخشبة وصحراء، كما في  
 «القاموس»، وهي قرية خربة، وبها مسجد يعرف بمسجد الشجرة، (قالوا)  
 أي الحاضرون عند ابن عمر المستعمون لحديثه (له) أي لعبد الله بن عمر رضي  
 الله عنها (فأين) ميقات (أهل العراق؟) البلاد المعروفة، وهي من عبادان إلى  
 الموصل طولاً، ومن القادسية إلى حلوان عرضاً، قيل: سمي بذلك لتواشع عراق

النخل والشجر فيها ، أو لأنه استلف أرض العرب ، أو لأن العراق بين الريف والبر ، أو لأنه على عراق دجلة والفرات ، أي شاطئها ، أو معربة: إيران شهر ومعناه كثيرة النخل والشجر ، والمراقان الكوفة والبصرة .

( قال ) عبد الله ( بن عمر ) رضي الله عنها مجيباً لمن سأله : ( لم يكن ) المراق ( يومئذ ) أي لم يكن أهله أسدوا بمد ، وفي البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنها قال : « لما فتح هذان المصران ، يعني البصرة والكوفة ، أتوا عمر بن الخطاب فقالوا : إن رسول الله ﷺ حد لأهل نجد قرناً ، وإنه جور عن طريقنا - وهو بفتح الجيم وسكون الواو فراء ، أي مائل عنها ، فإذا أردنا أن نأتي قرناً شق علينا ، قال : فانظروا حذوها من طريقكم - قال - فحد لهم ذات عرق ، وهو الجبل الصغير ، وقيل : العرق من الأرض السبخة تنبت الطرفاء ، وبينه وبين مكة اثنان وأربعون ميلاً ، فكان تحديده لهم باجتهاده ، ويؤيد هذا رواية الشافعي من طريق أبي الشمّاء قال : لم يوقت رسول الله ﷺ لأهل المشرق شيئاً ، فامخذ بجبال قرن ذات عرق . انتهى . وقدم العلامة ابن مفلح في «فروعه» أنه ثبت بالنص - قال - وعند بعض العلماء واختاره بعض الشافعية ، وقاله الشافعي في الأم ، وأوماً إليه الامام أحمد أن ذات عرق إنما ثبت بالاجتهاد من أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه . قال ابن الجوزي بعدما ذكر خبر ابن عمر عند البخاري : وكلام الشافعي هذا يدل على أن عمر هو الذي حد ذات عرق ، وإنما حدّها لهم لأنها حذو قرن ، أي محاذيتها - قال - فإن قيل : فقد روى أبو داود والنسائي من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ وقت لأهل العراق ذات عرق ؛ فالجواب : استناده ضعيف ، وقد روي عن أبي داود أنه قال : الصحيح أن عمر وقت لأهل العراق بعد أن فتحت ، ويدل على صحة هذا ما روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر المواقيت الأربعة ولم يذكر ذات عرق انتهى . قال في « الفروع » والظاهر أنه خفي النص ، يعني على سيدنا عمر رضي الله عنه فواقه ، فانه موفق للصواب انتهى .

قال ابن عبد البر : ذات عرق ميقاتهم ، أي أهل العراق باجماع . وفي صحيح مسلم عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنها يسأل عن المهل فقال : « سمعت — أحسبه رفع الحديث الى رسول الله ﷺ — وذكر الحديث ، وفيه : ومهل أهل العراق ذات عرق » . لكن قال النووي في شرح مسلم : إنه غير ثابت لعدم جزمه برفعه ، وأجيب بأن قوله : أحسبه ، معناه أظنه ، والظن في باب الرواية يتنزل منزلة اليقين ، وليس ذلك قادحا في رفته ، وأيضاً لم يصرح برفعه لا يقيناً ولا ظناً؛ فهو منزل منزلة المرفوع ، لأنه لا يقال من قبل الرأي ، وإنما يؤخذ توقيفاً من الشارع ، ولا سيما وقد ضمه جابر الى المواقيت المنصوص عليها يقيناً باتفاق ، وقد أخرجه الامام أحمد من رواية ابن لهيعة ، وابن ماجه من رواية ابراهيم بن يزيد ، كلاهما عن أبي الزبير ، فلم يشكنا في رفته ، وقد صحح النووي حديث عائشة الذي رواه أبو داود والنسائي ، نعم كان الامام أحمد ينكر على أفلح بن حميد هذا الحديث ، وقال ابن عدي : قد حدث عنه ثقة الناس ، وهو عندي صالح ، وأحاديثه مستقيمة كلها ، وصححه الذهبي ، وقال العراقي : إن إسناده جيد ، وروى الامام أحمد والدارقطني من حديث الحجاج ابن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : « وقت رسول ﷺ ... فذكر الحديث وفيه : وقال : لأهل العراق ذات عرق » . فمجموع هذه الأحاديث لا يقصر عن درجة الاحتجاج بها ، وفي « اتقان »<sup>(١)</sup> المجد ابن تيمية : والنص بتوقيت « ذات عرق » ليس في القوة كغيره ، فان ثبت فليس يبدع ، ووقوع اجتهاد عمر على وفقه ، فانه كان موفقاً للصواب ، وأما ما أخرجه أبو داود والترمذي عن ابن

(١) كذا في الاصل ، ولعله تحريف من الناسخ وليس للمجد كتاب يسمى « الاتقان »

فيا نعم ، وكتابه المشهور : « المتقى »

عباس رضي الله عنها: « أن النبي ﷺ وقت لأهل المشرك «المعيق» ، فقد تفرد به يزيد بن أبي زياد ، وهو ضيف باتفاق المحدثين ، وكذا حديث الطبراني في «الكبير» عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت لأهل المدائن «المعيق» ، ولأهل البصرة «ذات عرق» ، الحديث فيه أبو ظلال بن يزيد ، وثقه ابن حبان ، وضعفه الجمهور ، والمعيق : واد فوق ذات عرق ، بينه وبين مكة مرحلتان ، فمن أحرم منه فقد أحرم قبل أن يصل الى ذات عرق ، فعلى تقدير ثبوته يكون ميقات جواز واستحباب ، وميقات ذات عرق ميقات لزوم وإيجاب ، والله أعلم .

### تنبيهات

الأول : حديث ابن عمر رضي الله عنها رواه البخاري ومسلم ، لكن من حديث نافع عن ابن عمر وعن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه ، ورواه مسلم من حديث عبد الله بن دينار أنه سمع ابن عمر رضي الله عنها قال : « أمر رسول ﷺ أهل المدينة أن يهلوا من ذي الحليفة ... الحديث » . قلت : روي حديث المواقيت عن ابن عباس رضي الله عنها ، وهو في «الصحيحين» وغيرهما ، وحديث جابر عند مسلم ، والاحاديث في هذا كثيرة شهيرة ، وفي آخر حديث ابن عباس أنه قال صلى الله عليه وسلم : « هن لمن ولمن أتى عليهن من غيرهن ، ممن أراد الحج والعمرة ، ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ ، حتى أهل مكة من مكة » ، وهذا متفق عليه ، والله الموفق .

الثاني : إذا أراد دخول مكة أو نسكاً حر مسلم مكلف لزمه إحرام من ميقاته ، وفقاً لأبي حنيفة ومالك ؛ إلا أن أبا حنيفة يجوز لمن منزله دون الميقات أو داخله من أقليمي وغيره دخول الحرم ومكة بلا

إحرام ، فإذا أراد مكاناً داخل الميقات ومون مكة كخبيص ، فله أن يدخله بلا إحرام ، فإذا وصل خبيص مثلاً ، فله دخول مكة بلا إحرام ، وهو الخيلة عندم لمجاوزه الميقات بلا إحرام . وعندم إنما يلزم الإحرام من أدنى الميقاتين من مكة كذي الحليفة ورايح ، لكن من الأبعد أفضل ، إلا أن يريد نسكاً . قال في « الفروع » : ولا وجه للفرقة ، وظاهر مذهب الشافعي : يجوز مطلقاً ؛ إلا أن يريد نسكاً . وعن الإمام أحمد رواية ثانية مثله ، ذكرها القاضي وجماعة ، وصحها ابن عقيل . قال في « الفروع » : وهي أظهر ؛ للخبر ، يعني مفهوم حديث ابن عباس - قال - وبينني على عموم المفهوم ، والأصل عدم الوجوب ، ووجه الأول : ما روى حرب وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما : « لا يدخل إنسان مكة إلا محرماً ، إلا الجمالين والحطابين وأصحاب منافها » ، احتج به الإمام أحمد ، قال : وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : يدخل بغير إحرام . وعن ابن عباس مرفوعاً : « لا يدخل مكة أحد إلا بإحرام من أهلها وغيرهم » ، وذكره في « الفروع » ، وقال : فيه حجاج ، ضعيف مدلس ، ومحمد بن خالد بن عبد الله ضعفه الإمام أحمد وابن معين وابن عدي وغيرهم ، وقال : لا أعرفه مسنداً إلا من هذا الوجه ، واحتج القاضي وابن العربي المالكي وغيرهما بتحريم الله ورسوله مكة وذا في القتال . قال في « الانتصار » : ومعناه في الخلاف : الإحرام شرط لإباحة دخوله ، ولا توجه لدخوله لثلاث يقال : لا ينوب عنه إحرام بحجة أو عمرة ، كالأول لم ينب عن مندورة ، وممتد المذهب : لا يجوز لمن أراد دخول مكة أو الحرم أو نسكاً تجاوز الميقات بغير إحرام إن كان حراً مسلماً مكلفاً ؛ إلا لقتال مباح ، أو خوف ، أو حاجة متكررة ؛ كحطاب وفيج<sup>(١)</sup> وناقل ميرة ونحو حشاش ، وتردد المكي إلى قريته بالحل ، ثم إن بدله النسك أو لمن لم يرد الحرم أحرم من موضعه ، ومن تجاوز الميقات

(١) الفيح أو الفيحج : الذين يدخلون السجن ويخرجون ويحسون .



بلا إحرام ، لم يلزمه قضاء الاحرام ، ذكره القاضي في «المجرد» ، وجزم به الموفق وغيره وفاقاً لمالك والشافعي ، كتحية المسجد ، وحيث لزم الاحرام لدخول مكة لا لنسك ، طاف وسمى وحلق وقصر وحل .

الثالث : من حج من مكة من مكى أولاً فميقاته منها ، وظاهر كلام علمائنا لا ترجيح ، وأظهر قول الشافعي من باب داره ، ويأتي المسجد محرماً ، ومعتمد مذهب الامام أحمد ، له الاحرام من حيث شاء من مكة ، ونصه : من المسجد ، وفي «الايضاح» و«المهيج» : من تحت الميزاب ، ويجوز من سائر الحرم ، ومن الحل كالعمرة ، ولا دم عليهم ، ومن أراد بمن بمكة من أهلها وغيرهم وكذا من بالحرم العمرة ، أحرم بها من الحل ، ومن التمتع أفضل ؛ وهو أدنى الحل الى مكة ، فان أحرموا من مكة أو من الحرم ، انعقد وفيه دم ، ثم إن خرج الى الحل قبل إتمامها ، ولو بعد الطواف أجزأته عمرته ، وكذا إن لم يخرج ، قدمه في «المنقى» . قال شيخ الاسلام ابن تيمية والزرکشي : هذا هو المشهور ، إذ فوات الاحرام من الميقات لا يقتضي البطلان ، ولنا وللشافعي قول : لا يجوز له وفاقاً لمالك لأنه نسك فاعتبر فيه الجمع بين الحل والحرم ، وحيث وجب عليه دم لمجاوزته الميقات بلا إحرام لا يسقط لخروجه . والمراد على الراجح خلافاً للشافعية ، وللحنفية الخلاف ، والله أعلم .

### الحديث الحادي عشر

١١ - حدثنا سفيان قال : سمع عمرو بن عمر : كنا نُنْخَبِرُ وَلَا نَرَى بِذَلِكَ بَأْسًا ، حَتَّى زَعَمَ رَافِعٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْهُ ، فَتَرَكْنَاهُ

قال رضي الله عنه : (حدثنا) أبو محمد (سفيان قال : سمع عمرو) هو أبو محمد عمرو بن دينار الامام الحافظ عالم الحرم المكي أحد الاعلام الجرحي مولا ام الأثرم، ولد سنة سبع وأربعين أو نحوها ، وسمع ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله وأبا هريرة وأنس بن مالك ، وعنه شعبة وابن جريج والحمدان والسفيان وأيوب وأبو حنيفة . قال ابن أبي نجيح : ما كان عندنا أحد أفقه ولا أعلم من عمرو ابن دينار ؛ لا عطاء ولا مجاهد ولا طاووس ، وقال شعبة : ما رأيت أحداً أثبت في الحديث من عمرو بن دينار ، وقال ابن عيينة : ما كان عندنا أحد أفقه ولا أعلم ولا أحفظ من عمرو بن دينار ، وقال الامام أحمد ويحيى القطان : هو أوثق من قتادة ، وقال ابن عيينة : هو ثقة ثقة ، وكان قد جزأ الليل اثلاثاً ، ثلثاً ينام فيه ، وثلثاً يدرس فيه حديثه ، وثلثاً يصلي فيه ، مات رحمه الله ورضي عنه ، سنة خمس وعشرين ومائة وهو ابن ثمانين . وقوله : ( ابن عمر ) بن الخطاب رضي الله عنهما ، بالنصب مفعول أول لسمع على القول بأن سمع ينصب مفعولين ، والأصح خلافه ، والفاعل عمرو ، والمفعول الثاني محذوف تقديره . يقول : وعلى الأصح أن نحو يقول : جملة حالية . ( كذا ) معشر أصحاب محمد ﷺ (نخسار) أي زارع ، والمخبرة المزارعة ، واشتقاقها من الخبار وهي الأرض اللينة ، والخبير الأكثار ، وقيل : المخبرة معاملة أهل خيبر (ولا نرى بذلك) أي بالمخبرة (بأساً) ، ولم نزل مستمرين على فعل ذلك .

( حتى زعم ) من الزعم مثلث ، القول الحق والباطل والكذب ضد ، قاله في « القاموس » قال : وأكثر ما يقال فيما يشك فيه . وقد أخرج الامام أحمد وأبو داود ، ورجاله ثقات على انقطاع فيه ، « قيل لأبي مسعود : ما سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقول في زعموا ؟ قال : بشئ معلية الرجل ، قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : الأصل في زعم أنها تقال في الأمر الذي لا يوقف على حقيقة

انتهى . أي سواء كان حقاً في نفسه أم باطلا ، والله أعلم . ( رافع ) - بإزاء بعدها ألف ففاء مكسورة - ابن خديج - بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة وبالجم - ابن رافع بن عدي بن زيد بن عمرو بن زيد الحارثي الأنصاري الأوسي من أهل المدينة ، لم يشهد بدر الأمان النبي ﷺ رده يومئذ لصفه ، ثم أجازه يوم أحد ، وأصابه سهم يومها ، فقال له رسول الله ﷺ : أنا أشهد لك يوم القيامة ، ثم انتقضت جراحته في زمن عبد الملك بن مروان ، فمات سنة ثلاث وسبعين بالمدينة وله ستة وثمانون سنة ، روي له عن رسول الله ﷺ ثمانية وسبعون حديثاً ، انفقاً منها على خمسة ، وانفرد مسلم بثلاثة . ( أن ) - بفتح الهمزة ، مفعول لزعم - ( رسول الله ﷺ نهى عنه ) أي عن ذلك الفعل ، وهو الخابرة ، ( فتركناه ) أي تركنا العمل به . وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرها من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : « أن رسول الله ﷺ عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من تمر أو زرع ، وفي الصحيحين ، وغيرها من حديثه أيضاً » « أن النبي ﷺ لما ظهر على خيبر سأله اليهود أن يقرم بها ؛ على أن يكفوه عملها ، ولهم نصف الثمر ، فقال لهم رسول الله ﷺ : تقرم على ذلك ما شئنا ، وهذه هي المساقاة - مفاعلة من السقي - سميت بذلك لأن أهل الحجاز أكثر حاجة شجرهم إلى السقي ؛ لكونهم يسقون من الآبار ، وهي أن يدفع إنسان شجره إلى آخر ليقوم بسقيه ، وسائر ما يحتاج إليه ، بجزء معلوم من الثمرة ، وقد أجمع المسلمون على جواز ذلك . قال الامام شمس الدين بن أبي عمر في « شرح المقنع » : قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم : عامل رسول الله ﷺ أهل خيبر بالشطر ، ثم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي رضي الله عنهم - قال - إلى اليوم يعطون الثلث والربع ، وهذا عمل به الخلفاء الراشدون مدة خلافتهم ، واشتهر ذلك فلم ينكره منكر ، فكان إجماعاً .

وأما المزارعة ؛ فهي دفع أرض وحب لمن يزرعه ويقوم عليه ، أو مزروع  
 ينمو لمن يعمل عليه بجزء مشاع معلوم من المتحصل من الزرع ، فإن كان في  
 الأرض شجر ، فزارعه الأرض وساقاه على الشجر صح . قال شمس الدين في  
 شرح المقنع ، : تجوز المزارعة بجزء معلوم يحمل للماء من الزرع في قول  
 أكثر أهل العلم . قال البخاري : قال أبو جعفر : ما بالمدينة أهل بيت إلا يزارعون  
 على الثلث والربع ، وزارع علي وابن مسعود وسعد وعمر بن عبد العزيز والقاسم  
 وعروة وآل أبي بكر وآل علي وابن سيرين ، وهذا قول سميد بن المسيب  
 وطاووس وعبد الرحمن بن الأسود وموسى بن طلحة والزهري وعبد الرحمن بن  
 أبي ليلى وابنه وأبي يوسف ومحمد ، ويروى ذلك عن معاذ والحسن وعبد الرحمن  
 بن زيد . قال البخاري : وعامل عمر رضي عنه علي أنه إن جاء عمر بالبذر من  
 عنده فله الشطر ، وإن جاءوا بالبذر فلهم كذا ، وكرها عكرمة ومجاهد  
 والنخعي ومالك وأبو حنيفة ، وروى عن ابن عباس الأمران جميعاً ، وأجازها  
 الشافعي في الأرض بين النخل ، إذا كان يباض الأرض أقل ، فإن كان أكثر  
 فعلى وجهين ، ومنهما في الأرض البيضاء لهذا الحديث ، وقد روي أن رافع ابن  
 خديج رضي الله عنه قال : « كنا نخابر على عهد رسول الله ﷺ ، فذكر أن  
 بعض عمومته أتاه فقال : نهى رسول الله ﷺ عن أمر كان لنا نافعاً ، وطواعية  
 رسول الله ﷺ أنفع - قال - قلنا : ما ذاك ؟ قال : قال رسول الله ﷺ : من  
 كانت له أرض فليزرعها ، ولا يكرها بثلت ، ولا بربع ، ولا بطعام مسمى ، وفي  
 الصحيح ، عن ابن عمر رضي الله عنها : « نهى رسول الله ﷺ عن الخبارة ،  
 وقد جاء حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها مفسراً ؛ روى البخاري عن  
 جابر قال : « كانوا يزرعونها بالثلث والربع والنصف ، فقال النبي ﷺ : من  
 كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها ، فإن لم يفعل فليمسك أرضه ، ورواه الإمام

أحمد ومسلم بلفظ: « من كانت له أرض فليزرعها وليجرثها أخاه، أو فليدعها » ولنا  
ولن وافقنا على جواز المزارعة ، ما في الأحاديث المتقدمة ، وما نقله أبو جعفر  
محمد الباقر من فعل الخلفاء الراشدين ، ثم أهلهم ، يعطون الثلث والرابع ، قال :  
وهذا أمر صحيح مشهور عمل به رسول الله ﷺ حتى مات ، ثم خلفاؤه  
الراشدون حتى ماتوا ، ثم أهلهم من بعدهم ، ولم يبق من أهل المدينة أهل  
بيت إلا عمل به ، وعمل به أزواج رسول الله ﷺ من بعده ، فروى البخاري  
عن ابن عمر رضي الله عنهما : « أن رسول الله ﷺ عامل خيبر بشرط ما يخرج منها ،  
من زرع أو تمر ، فكان يعطي أزواجه مائة وسق (١) ، ثمانون وسقا تمرا ،  
وعشرون وسقا شعيرا ، وقسم عمر خيبر ، غدير أزواج رسول الله ﷺ أن  
يقطع لهن من الماء والأرض ، أو يمضي لهن الاوسق ، فمنهن من اختار الأرض  
ومنهن من اختار الوسق ، فكانت عائشة رضي الله عنها بمن اختار الأرض ، فان  
قيل: حديث خيبر منسوخ بخبر رافع ؛ فالجواب : مثل هذا لا يجوز نسخه ، لأن  
النسخ إنما يكون في حياة رسول الله ﷺ ، فأما شيء عمل به الى أن مات ،  
ثم عمل به خلفاؤه بعده ، وأجمعت الصحابة رضي الله عنهم عليه وعملوا به ، ولم  
يخالف فيه أحد ، فكيف يجوز نسخه ؟ ومتى نسخ ؟ فان كان في حياة رسول الله  
ﷺ ؛ فكيف عمل به مع نسخه ؟ وكيف خفي نسخه على الخلفاء ، مع اشتها رقصة  
خيبر وعملهم فيها : وأين كان راوي النسخ حتى لم يذكره ولم يخبر به ؟

وأما حديث رافع ؛ فقد روي من عدة أوجه بضروب مختلفة ، وقد فسر  
حديث النهي في حديثه بما لا يختلف في فساد ، وهو ما في « الصحيحين » عن رافع  
ابن خديج رضي الله عنه قال : « كنا أكثر الأنصار حقلا ، فكاننا نكري  
الأرض على أن لنا هذه ولهم هذه ، فربما أخرجت هذه ولم تخرج هذه ، ففنانا

(١) الوسق : ستون صاعاً ، أو حمل بعير

عن ذلك ، وأما الورق فلم ينهنا ، وفي لفظ البخاري : « كنا أكثر أهل الأرض مزدرباً ، كنا نكري الأرض بالناحية منها تسمى لسيد الأرض - قال - فربما يصاب ذلك ويسلم الأرض ، وربما تصاب الأرض ويسلم ذلك ، فهينا ، فأما الذهب والورق فلم يكن يومئذ ، وفي لفظ مسلم عن حنظلة بن قيس قال : « سألت رافع بن خديج عن كرى الأرض بالذهب والورق فقال : لا بأس به ، إنما كان الناس يؤاجرون على عهد رسول الله ﷺ بما على الماذيان وإقبال الجداول وبأشياء من الزرع ، فيهلك هذا ويسلم هذا ، ويسلم هذا ويهلك هذا ، ولم يكن للناس كراء إلا هذا ، فلذلك زجر عنه ، فأما شيء معلوم مضمون فلا بأس ، والماذيان - بالذال المعجمة المكسورة فثناة تحمية بعدها ألف فنون فألف فثناة فوقية - جمع ماذيان ، وهو النهر الكبير ، وليست بمرية ، وهي سوادية كما في النهاية ، أي بالذي يخرج على حافتي ذلك . وإقبال الجداول أي أوائل ورؤوس الأنهر الصغار . فاذا علمت هذا فليس هو من محل النزاع ، فان هذا لا خلاف في فساده ، وحينئذ لا تخالف بين الأحاديث . فان لم يحمل الحديث الذي نحن بصدده على ما فسرناه من نفسه وبينه بياناً شافياً ، وإلا فليحمل على الكري بثلاث أو ربع ، والنزاع في المزارعة ، ولم يدل حديثه عليها أصلاً ، وحديثه الذي في المزارعة يحمل على الكري أيضاً ، لأن القصة واحدة أنت بألفاظ مختلفة ، فيجب تفسير أحد اللفظين بما يوافق الآخر ، فان لم يحمل لا على هذا ولا على هذا ، وتمادى الخصم مع ظاهر هذا الحديث الموم النهي عن المزارعة . قلنا : لا جرم أن حديث رافع هذا ورد بألفاظ وروايات مضطربة جداً ، مختلفة اختلافاً كثيراً يوجب ترك العمل بها لو انفردت ، فكيف تقدم على مثل ما قدمنا من حديث ابن عمر وغيره .

قال الامام أحمد رضي الله عنه : حديث رافع ألوان ، قال ابن المنذر : قد

جاءت الاخبار عن رافع من عدة روايات مختلفة مضطربة ، وقد أنكر حديثه فقهاء من فقهاء الصحابة رضي الله عنهم ؛ أحدهما زيد بن ثابت ، قال عن حديث رافع لما بلغه : « أنا أعلم بذلك منه ، وإنما سمع النبي ﷺ رجلين قد اقتتلا فقال : إن كان هذا شأنكم فلا تتركوا المزارع » رواه أبو داود ، والثاني ما روى البخاري عن عمرو بن دينار قال : « قلت لطاووس : لو تركت المزارعة فانهم يزعمون أن النبي ﷺ نهى عنها فقال : إن أعلمهم — يعني ابن عباس رضي الله عنها — أخبرني أن النبي ﷺ لم ينه عن ذلك ؛ ولكن قال : إن يمنح أحدكم أخاه خير له من أن يأخذ عليه خراجاً معلوماً ، وراه الامام أحمد وابن ماجه وأبو داود والترمذي ، وصححه عن ابن عباس رضي الله عنها : « أن النبي ﷺ لم يحرم المزارعة ؛ ولكن أمر برفق ببعضهم ببعض » ثم إن أحاديث رافع ؛ منها ما يخالف الاجماع ، وهو النهي عن كرى المزارع بالاطلاق ، ومنها ما يختلف في فساده ، وتارة يحدث عن عمومته ، وتارة عن سماعه ، وتارة عن ظهير بن رافع . فاذا كانت أخبار رافع بهذا الاضطراب ، فطرحها أولى وأحرى من الاخبار الواردة في شأن خيبر الجارية مجرى التواتر التي لا اختلاف فيها ، وقد عمل بها الخلفاء الراشدون وغيرهم ، فلا معنى لتركها بمثل هذه الأحاديث المضطربة .

ولما كان الامام أحمد رضي الله عنه أعلم الناس بالمتقول وأحفظهم لأحاديث الصحابة والرسول ، لم يرجع على خبر رافع ولم يلو اليه عنانه ؛ لعلمه بلبوت أحاديث المزارعة ، وعدم ما يقاومها من الأحاديث المخالفة لها .

وأما حمل الامام الشافعي رضي الله عنه ، أحاديث المزارعة على الارض التي بين النخيل ، وأحاديث النهي على الارض البيضاء ، جمماً بينها ؛ فهذا بعيد جداً ، فانه يبعد أن يكون بلد كبيرة يأتي منها أربعون ألف وسق ليس فيها أرض

بيضاء ، ثم إن هذا الحكم لا طائل تحته ، ثم إن موافقة الخلفاء أولى وأحرى من قول من خالفهم . وقد نقل أبو جعفر الاجماع على ما ذهب اليه الامام أحمد ومن وافقه ، فاجماع السلف أولى بالاتباع ؛ بل لا مندوحة للقول بخلافه ، وأيضاً فان القياس يقتضي ذلك ، فان الارض عين تنمي بالعمل ، فجازت المعاملة عليها بيمض نائها ، كالمال في المضاربة ، والنخل في المساقاة ، والله الموفق .

### ( فروع ) :

الاول : تجوز المزارعة بجزء مشاع معلوم يحمل للعامل من الزرع ، ويعتبر كونه البذر من رب الارض ولو أنه العامل ، وبقر العمل من الآخر ، ولا تصح إن كان البذر من العامل ، أو منها أو من أحدهما والارض لهما ، أو الارض والعمل من الآخر ، أو البذر من ثالث ، أو البقر من رابع . وعن الامام أحمد رضي الله عنه أنه لا يشترط كون البذر من رب الارض ، واختاره الامام الموفق والمجد والشارح وابن رزبن وأبو محمد الجوزي وشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وابن قاضي الجبل في « الفائق » وصاحب « الحاوي الصغير » قال الامام الموفق في « المغني » : وهو الصحيح وعليه عمل الناس . قال في « الانصاف » : وهو أقوى دليلاً .

الثاني : حكم المساقاة كالمزارعة في ذلك ، فيصح على القول الذي صححه الموفق وغيره أن يكون الفراس من مساق ومناصب . قال القاضي علاء الدين المرادوي في « تنقيحه » : وعليه العمل .

الثالث : دلت الأحاديث التي ذكرناها على جواز كرى الارض بالذهب والورق المعلومين ، فلا يصح كون الاجرة بشيء غير معلوم المقدار عند العقد ؛ لما دل الحديث على عدم اعتقاد جهالة الاجرة ، ويستدل به أيضاً على جواز كراء



الارض بطعام مضمون . قال شيخ الاسلام ابن تيمية : ومن استأجر أرضاً بجزء معلوم من زرعها ؛ فظاهر المذهب صححتها ؛ سواء سميت إجازة أو مزارعة ، فان لم تزرع الارض وصححتها ؛ ضمنّت بالمسمى الصحيح . قال في « الاقناع » : وتصح إجازة أرض بنقد وعروض ، وبجزء مشاع معلوم مما يخرج منها - قال - وتصح إجازتها بطعام معلوم ، من جنس الخارج منها ، ومن غير جنسه ، والله سبحانه الموفق .

### الحديث الثاني عشر

١٢- حدثنا سفيان ، قال : قال عمرو - يعني ابن دينار -  
 ذكروا الرجل يُهبلُ بعمرة فيحمل ، هل له أن يأتي - يعني  
 امرأته - قبل أن يطوف بين الصفا والمروة ؛ فسألنا جابر ابن  
 عبد الله ، فقال : لا ، حتى يطوف بالصفا والمروة . وسألنا ابن  
 عمر فقال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت  
 سبعاً ، فصلى خلف المقام ركعتين ، وسمى بين الصفا والمروة ،  
 ثم قال : ( لقد كان لكم في رسول الله أسوه حسنة ) .

قال رضي الله عنه ( حدثنا ) أبو محمد ( سفيان ) بن عيينة قال سفيان : ( قال عمرو يعني ابن دينار ) المقدم ذكره : ( ذكروا الرجل يهبل ) أي يحرم ( بعمرة ) وهي في اللغة الزيادة ، وقيل : القصد ، نقلها ابن الأثير وغيره ، وفي الشرع عبارة عن زيارة البيت الحرام بشروط مخصوصة . وأركانها ثلاثة : الاحرام

والطواف، والسعي، وواجبها: الاحرام من الحل، والحلق أو التقصير، ( فيحل )  
بمد لإحرامه بالعمرة والفراغ من طوافها بالبيت سبعا، ولم يسعَ بين الصفا والمروة  
السعي المشروع .

( هل له أن يأتي يعني امرأته ) لكونه حلالاً لفراغه من أفعال نسكه  
( قبل أن يطوف بين الصفا ) وهو بالقصر في الأصل الحجارة الصلبة، واحداً  
صفاة، كحصاة وحصى، وهو هنا اسم المكان المعروف عند باب المسجد الحرام  
أحد جبلي المسمى، ( والمروة ) وهي في الأصل الحجارة البيض البراقة يقذف  
منها النار . قال في « المطلع » : وبها سميت المروة بمكة، وهي المكان الذي في  
طرفي المسمى، وقال أبو عبيد البكري : المروة جبل بمكة معروف، والصفا  
جبل آخر بآزانه، وبينهما قديد ينحرف عنها شيئاً، والمشلل هو الجبل الذي  
ينحدر منه الى قديد، وعلى المشلل كانت مناة، والمراد في الحديث بالطواف بين  
الصفا والمروة السعي بينها .

قال عمرو بن دينار رحمه الله تعالى : ( فسألنا جابر بن عبد الله ) رضي  
الله عنها - وتأتي ترجمته في أول ذكر أحاديثه - عن حكم ذلك ( فقال ) جابر  
رضي الله عنه : ( لا ) يأتي امرأته ( حتى يطوف ) أي يسمي ( بالصفا ) أي بين  
الصفا ( والمروة ) سبعة أشواط لعدم فراغه من عمرته ؛ لأن السعي بين الصفا  
والمروة أحد أركان العمرة .

قال عمرو بن دينار ( وسألنا ) أبا عبد الرحمن عبد الله ( بن عمر ) رضي  
الله عنها عن ذلك ( فقال ) ابن عمر : ( قدم رسول الله ﷺ ) مكة المشرفة  
( فطاف بالبيت ) العتيق الذي هو الكعبة المشرفة ( سبعمائة ) من الأشواط . وفي  
« الصحيحين » من حديث ابن عمر رضي الله عنهما « طاف رسول الله ﷺ حين قدم مكة ،  
واستلم الركن ، أي الحجر الأسود أول شيء » ، وفيها عنه أيضاً « رأيت رسول الله

ﷺ حين يقدم مكة إذا استلم الركن الاسود أول ما يطوف يجب ثلاثة أشواط ،  
( ف ) بعد فراغه ﷺ من طوافه ( صلى خلف المقام ) يعني مقام ابراهيم عليه  
السلام . قال سميد بن جبير : مقام ابراهيم : الحجر الذي وقف عليه ابراهيم عليه  
السلام . وفي سبب وقوفه عليه قولان :

أحدهما أنه جاء يطلب ابنة إسماعيل فلم يجده ، فقالت له زوجته : التي هي  
أم أولاده ، واسمها رعدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي ، وفي رواية الكلبي  
رعدة بنت يشجب بن يمر بن لوزان بن جرم ، وقيل : اسمها السيدة ، وقيل :  
سامة بنت مهلهل ، ذكره الواقدي - إنزل ، فأبى ، فقالت : فدعني أغسل رأسك ،  
فأنته بحجر فوضع رجله عليه وهو راكب ، ففسلت شقه ثم رفعته ، وقد غابت  
رجله فيه ، فوضعت تحت الشق الآخر ، وغسلته فقابت رجله فيه ، فجمله الله من  
الشماز . هذا مروى عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم .

الثاني : أنه أقام على ذلك لبناء البيت ، وكان إسماعيل يناوله الحجارة ، قاله  
سميد بن جبير . وفي « الصحيحين » من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه  
أنه قال : « قلت يا رسول الله ! لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى ! فزلت : » واتخذوا  
من مقام ابراهيم مصلى ، قال الحافظ ابن الجوزي : قال محمد بن سميد عن  
أشباح له : إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه آخر المقام الى موضعه اليوم ، وكان  
ملصقاً بالبيت . وقال بمض سدنة البيت : ذهبنا نرفع المقام في خلافة المهدي ،  
فانقل ، وهو من حجر رخو ، فخشينا أن يتفتت ، فكتبتنا في ذلك الى المهدي فبعث  
الينا بألف دينار ، فضيبنا بها المقام أسفله وأعله ، ثم أمر المتوكل أن يجعل عليه  
ذهب أحسن من ذلك العمل ففعلوا ذلك ، وقدر المقام ذراع ، والقدمان داخلان  
فيه سبع أصابع .

فائدة : ذكر الحافظ ابن الجوزي في « منير المزم الساكن » عن

عبد العزيز بن أبي رواد أنه كان خلف المقام جالساً ، فسمع داعياً دعا بأربع كلمات ، فعجب منهن ، فالتفت فما رأى أحداً ، وهي : اللهم فرغني لما خلقتني له ، ولا تشغلي بما تكلفت لي به ، ولا تحرمني وأنا أسألك ، ولا تعذبني وأنا أستغفرك .

وفي لفظ من حديث ابن عمر في « الصحيحين » ، « وركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ( ركعتين ) ، سنة الطواف . قال الحافظ ابن الجوزي في كتابه « منير العزم الساكن » : إذا قضى الطائف طوافه صلى ركعتين ، يقرأ في الأولى بمد الفاتحة ، قل يا أيها الكافرون ، وفي الثانية بمدها بالاخلاص ، والأفضل أن تكون خلف المقام . وقال أبو حنيفة ومالك : ركعتا الطواف واجبتان ، وقد روى ابن ماجه وابن خزيمة في « صحيحه » من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة » ، وعنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : من طاف بالبيت اسبوعاً لا يضع قدماً ولا يرفع أخرى إلا حط الله عنه بها خطيئة ، وكتب له بها حسنة ، ورفع له بها درجة » ، رواه ابن خزيمة في « صحيحه » ، وابن حبان واللفظ له ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها أيضاً قال : « من توضعاً فأسبغ الوضوء ، ثم أتى الركن يستلمه ؛ خاض في الرحمة ، فإذا استلمه فقال : بسم الله والله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ غمرته الرحمة ، فإذا طاف بالبيت كتب له بكل قدم سبعين الف حسنة ، وحط عنه سبعين الف سيئة ، ورفع له سبعين الف درجة ، وشفع في سبعين من أهل بيته ، فإذا أتى مقام إبراهيم فصلى عنده ركعتين إيماناً واحتساباً ، كتب الله له عتق أربعة محرراً من ولد اسماعيل ، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » ، رواه أبو القاسم الاصبهاني موقوفاً . وعنه

رضي الله عنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو مسند ظهره الى الكعبة :  
الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ، ولولا أن الله طمس نورهما  
لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب » رواه الترمذي وابن حبان في « صحيحه » ،  
كلاهما من رواية رجاء بن صبيح ، والحاكم ، ومن طريقه البيهقي ، وفي رواية البيهقي  
قال : « الركن والمقام من يواقيت الجنة ، ولولا مامسه من خطايا بني آدم لأضاء  
ما بين المشرق والمغرب ، وما مسها من ذي عاهة ولا سقيم إلا شفي » وفي أخرى  
له عنه رفعه قال : « لولا مامسه من أنجاس الجاهلية ، مامسه ذو عاهة إلا شفي ، وما  
على الأرض شيء من الجنة غيره » .

(وسمي بين الصفا والمروة) قال ابن الجوزي في « مثير العزم الساكن ، اذا فرغ  
من الركعتين عاد الى الركن فاستلمه ثم خرج من باب الصفا وسمى ، قال الامام  
العلامة — في أشهر الروايات عنه — ابن هبيرة في كتابه « الافصاح » : اختلفوا  
في السمي بين الصفا والمروة ؛ فقال مالك والشافعي وأحمد رضي الله عنهم : إنه  
ركن من أركان الحج وفروضة ، لا ينوب عنه الدم . وعن الامام أحمد انه واجب ،  
وعنه تطوع ، والمذهب انه ركن كقول الجمهور . وقال أبو حنيفة رضي الله عنه :  
هو واجب ينوب عنه الدم ، واتفقوا على جواز تقديمه على طواف الزيارة ، حيث  
فعل بمد طواف نسك ، ولو مسنون كطواف القدوم ، فلا يحتاج اذا طاف طواف  
الزيارة الى السمي ، واتفقوا على أنه سبع مرات يحسب بالذهب سعية وبالاياب  
سعية ، يبدأ بالصفا ويحتم بالمروة ، وسبب مشروعية السمي : هاجر ام اسماعيل  
عليه السلام ، ففي « الصحيحين » وغيرها من حديث ابن عباس رضي الله عنها قال :  
« جاء إبراهيم بأم إسماعيل وابنها اسماعيل وهي ترضعه ، حتى وضعها عند دوحه  
فوق زمزم ، وليس بمكة أحد وليس بها ماء ، ووضع عندهما جرابا فيه تمر ،  
وسقاء فيه ماء ، ثم قفا منطلقاً ، فتبتمته أم إسماعيل فقالت : أين تذهب وتركنا

بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مراراً ، وجعل  
 لا يلتفت اليها ، فقالت له : آله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذن لا يضيعنا الله ،  
 ثم رجعت ، فانطلق إبراهيم ، حتى اذا كان عند الثانية حيث لا يرونه استقبل  
 بوجه البيت ، ثم دعا بهؤلاء الدعوات ، ورفع يديه فقال : « رب إني أسكنت من  
 ذريتي بواد غير ذي زرع ، حتى بلغ يشكرون ؛ وجعلت أم اسماعيل ترضع  
 اسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى اذا نفذ عطشت وعطش ابنها ، وجعلت  
 تنظر اليه يتلوى - أو قال : يتلبط - فانطلقت كراهية أن تنظر اليه ، فوجدت  
 الصفا أقرب جبل في الارض يليها ، فقامت عليه فاستقبلت الوادي تنظر ؛ هل  
 ترى أحداً ؟ فلم تر أحداً ؛ فهبطت من الصفا ، حتى اذا بلغت الوادي رفعت  
 طرف درعها ، ثم سمعت سمي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة  
 فقامت عليها ، ونظرت فلم تر أحداً ، ففعلت ذلك سبع مرات - قال ابن عباس  
 رضي الله عنها : قال النبي صلى الله عليه وسلم - : ولذلك سمي الناس بينها . فلما  
 أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت : صه ! تريد نفسها ، ثم تسمعت فسمعت ،  
 فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث ، فاذا هي بالملك عند موضع زمزم ،  
 فبحث بعقبه - أو قال : بجناحه - حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه وتقول بيدها  
 هكذا ، وجعلت تفرغ من الماء في سقائها ، وهو يفرور بمد ما تفرغ من الماء ،  
 - قال ابن عباس رضي الله عنها : قال النبي صلى الله عليه وسلم : - يرحم الله  
 أم اسماعيل ؛ لو تركت زمزم - أو قال : لو لم تفرغ من الماء - لكانت زمزم  
 عيناً معيناً . فشربت وأرضعت ابنها ، فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة ، فان ها هنا  
 بيت الله عز وجل ، يبنيه هذا الغلام وأبوه ، فان الله لا يضيع أهله . .  
 قال ابن دقيق العيد في أثناء كلامه له : اعلم أن كثيراً من الأعمال الواقعة في الحج  
 ويقال : فيها إنها تمبد ، ليست كما قيل ، ألا ترى انا إذا فعلناها ونذكرنا أسبابها

حصل لنا من ذلك تعظيم الأولين ، وما كانوا عليه من احتمال المشاق في امتثال أمر الله تعالى ! وكان هذا التذکر باعثاً لنا على مثل ذلك ، ومقدراً في أنفسنا تعظيم الأولين ، وذلك معنى معقول ، مثاله السعي بين الصفا والمروة ؛ فإنا نتذكر بفعله قصة هاجر مع ابنا إسماعيل عليه السلام ، وترك الخليل لها في ذلك المكان الموحش منفردين منقطعي أسباب الحياة بالكليسة ، مع ما أظهره الله تعالى من الكرامة والآية في إخراج الماء لها ، فيظهر لنا من ذلك مصالح عظيمة معقولة . (ثم قال) أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر رضي الله عنها : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ) ولفظ «الصحيحين» : «وسعى بين الصفا والمروة سبعا» وقد كان اسمك في رسول الله أسوة حسنة . وأما فتيا جابر فن زيادات البخاري على مسلم . ولفظه : «فسألت جابر بن عبد الله رضي الله عنها فقال : لا يقرب امرأته حتى يطوف بين الصفا والمروة» ، ولفظه : «أيقع الرجل على امرأته في العمرة قبل أن يطوف بين الصفا والمروة ... الحديث» .

### تنبيهات

الأول : أركان الحج أربعة : الاحرام ، والوقوف بعرفة ، والطواف ، والسعي . وواجباته سبعة : الاحرام من الميقات ، والجمع في الوقوف بعرفة بين الليل والنهار لمن وقف نهاراً ، والمبيت بمزدلفة إلى ما بعد نصف الليل ، والمبيت بمنى ، ورمي الجمار مرتباً ، والحلق أو التقصير ، وطواف الوداع . قال شيخ الاسلام ابن تيمية : : طواف الوداع ليس من الحج ، وإنما هو على كل من أراد الخروج من مكة . وأركان العمرة ثلاثة : الاحرام ، والطواف ، والسعي . وواجبات الاحرام من الحل ، والحلق أو التقصير ، وما عدا ذلك فسنن . فمن ترك ركناً لم يتم نسكه إلا به ، لكن لا ينمقد نسك بلا إحرام ، ومن ترك واجباً ولو سهواً

فعلية دم ، فإن عدمه فكصوم منعمة ، ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع ، ومن ترك مسنوناً فلا شيء عليه .

الثاني : يحصل التحلل الاول من الحج باثنين من ثلاث : من رمي ، وحلق ، وطواف ، فيحل له كل شيء سوى النساء ، نكاحاً وإنكاحاً وجماعاً ومباشرة ، ويحصل التحلل الثاني بالباقي منها مع السمي إن لم يكن سمي للحج قبل ذلك ، والله تعالى الموفق .

### الحديث الثالث عشر

— حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، سمع ابن عمر يقول : سمعت النبي ﷺ يقول على المنبر : من جاء منكم الجمعة فليغتسل .

قال رضي الله عنه : ( حدثنا ) أبو محمد ( سفيان ) بن عيينة ( عن ) أبي عبد الرحمن ( عبد الله بن دينار ) أنه ( سمع ) عبد الله ( بن عمر ) رضي الله عنهما ( يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ) حال كونه ( على المنبر ) - بكسر الميم - قال الجوهرى وغيره : نبرت الشيء ، إذا رففته ، ومنه سمي المنبر ، وكذا قال في « النهاية » : كل مرتفع منتبر ، ومنه اشتق المنبر : قال الامام ابن القيم في كتابه « زاد الماد في هدي خير العباد » : كان منبره صلى الله عليه وسلم ثلاث درجات ، وكان رسول الله ﷺ وسلم قبل اتخاذه يخطب الى جذع نخلة يستند اليه ، فلما تحول الى المنبر حن الجذع اليه حينئذ سمعه أهل المسجد ، فنزل اليه صلى الله عليه وسلم وضمه . قال أنس رضي الله عنه : حن لما فقد ما كان يسمع من الوحي .



قال ابن القيم : ولم يوضع المنبر في وسط المسجد ، وإنما وضع في جانبه الغربي قريبا من الحائط ، وكان بينه وبين الحائط مقدار ممر المشاة ، والذي صنع المنبر يقال له : ميمون ، وأنه مولى لسعد بن عباد ، كما قاله الامام مالك ، والمشهور أنه مولى امرأة من الانصار . قال في «الفتح» : فيحتمل أن يكون في الاصل مولى امرأته ونسب اليه مجازا ، واسم امرأته : فكيهة بنت عبيد بن دليم ، وهي ابنة عمه ، أسلت وبابعت ، فيحتمل أن تكون هي المرأة . لكن رواه إسحق ابن راهويه في «مسنده» عن ابن عيينة فقال : مولى لبني بياضة : وأما ما وقع في «الدلائل» ، لأبي موسى المدني نقلا عن جعفر المستنفرى أنه قال في أسماء النساء من الصحابة : عاتكة — بالمين المهمله وبالياء المثناة — ثم ساق هذا الحديث من طريق يعقوب بن عبد الرحمن بن أبي حازم ، وقال فيه : أرسل الى عاتكة امرأة قد سماها سهل ، فقد قال أبو موسى : صحف فيه جعفر أو شيخه ، وإنما هو فلانة . انتهى . ووقع عند الكرمانى في «شرح البخارى» : قيل : اسمها عائشة . انتهى . قال في «الفتح» : وأظنه صحف المصحف ، لكن في «أوسط الطبراني» ، من حديث جابر رضي الله عنه « أن رسول الله ﷺ كان يصلي الى سارية في المسجد ، ويخطب اليها ويعتمد عليها ، فأمرت عائشة فصنعت له منبره » هذا الحديث وإسناده ضعيف ، ولو صح لما دل على أن عائشة هي المرادة في حديث سهل ، والله أعلم .

(من جاء منكم) معشر الصحابة ومن بعدهم من سائر رجال الأمة ، (الجمعة) لصلاتها ، وهي بضم الجيم والميم ، ويجوز سكون الميم وفتحها ، حكى الثلاثة في «المطلع» عن ابن سيدة ، قال القاضي عياض : مشتقة من اجتماع الناس للصلاة ، قاله ابن دريد ، وقال غيره : بل لاجتماع الخليفة فيه وكالمها ، وروي عن النبي ﷺ أنها سميت بذلك لاجتماع آدم فيه مع حواء في الارض .

ومن أسمائه القديمة : يوم الصَّروبة ، زعم ثعلب أن أول من سماه يوم الجمعة كعب بن لؤي ، وكان يقال له : الصَّروبة ، وكان لأيام الأسبوع عند العرب أسماء آخر ، فيوم الأحد أول ، والاثنين أهون ، والثلاثاء جبار ، والأربعاء دبار ، والخميس مؤنس ، والجمعة عروبة ، والسبت شيار — بالشين المعجمة — قال الجوهري : أنشدني أبو سعيد قال : أنشدني ابن دريد لبعض شعراء الجاهلية :

أؤمل أن أعيش فان يومي بأول أو بأهون أو جبار  
أو التالي دبار أو فيومي بمؤنس أو عروبة أو شيار

( فليفتسل ) لها في يومها ، يعني من أراد الهبة أي الذهاب إليها ، وقصد الشروع فيه ، وقال بمفهومه الامام مالك ، فاشتراط الاتصال بين الغسل والذهاب ، ولم يشترطه الجمهور ، وإنما اعتبر علماؤنا كون الغسل ما بين طلوع الفجر الثاني وصلاتها ، نعم ! الأفضل عند المضي اليها . وأبعد الظاهري حيث لم يعتبر تقدم الغسل على إقامة صلاة الجمعة ، حتى لو اغتسل قبل الغروب كفي عنده ؛ متعلقاً بإضافة الغسل الى اليوم . وقد تبين في بعض الأحاديث أن الغسل لازالة الرائحة الكريهة ، ويفهم أن القصد عدم تأذي الحاضرين ، وذلك منتفٍ بمد إقامة الجمعة ، فان قيل : هذا التعليل يبين قولكم : من اغتسل بعد الفجر حصل على السنة ؛ فالجواب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من اغتسل يوم الجمعة ، واليوم من طلوع الفجر ، فلاحظنا العلة المذكورة ولم نهمل ما صدق الحديث ، وهذا قول مجاهد والحسن البصري والنخعي والثوري والشافعي وإسحاق ، وحكي عن الأوزاعي أنه يجزئه الغسل قبل الفجر ، وإن اغتسل ثم أحدث أجزاء الغسل على المتمد وفاقاً للمالك والشافعي ، واستحب طاووس والزهري وقتادة ويحيى ابن أبي كثير إعادة الغسل ، ولنا أنه اغتسل في يوم الجمعة أشبه من لم يحدث ،

والحدث إنما يؤثر في الطهارة الصغرى ، ولأن المقصود من النسل التنظيف وإزالة الرائحة وقد حصل ، والحدث لا أثر له في ذلك .

**تنبيه :** ظاهر هذا الحديث يقتضي وجوب غسل الجمعة للدلالة الأمر على ذلك ، وأصرح منه ما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم ، رواه مالك وأحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه . قال الجلال السيوطي : أي متأكد ، وقال الخطابي : معناه وجوب الاختيار والاستحباب دون وجوب الفرض ؛ كما يقول الرجل لصاحبه : حقك واجب علي ، أي متأكد ، وقال ابن عبد البر : ليس المراد أنه واجب فرضاً ؛ بل هو مؤول واجب في السنة أو في المروءة أو في الاخلاق الجميلة ، ثم أخرج بسنده من طريق أشهب عن مالك أنه سئل عن غسل الجمعة أواجب هو ؟ قال : هو حسن وليس بواجب ، وأخرج من طريق ابن وهب أن مالكا سئل عن غسل يوم الجمعة أواجب هو ؟ قال : هو سنة ومعروف ، قيل : إنه في الحديث واجب ، قال : ليس كل ما جاء في الحديث يكون كذلك .

والصارف عن الوجوب ما رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث سمرة رضي الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من توضأ يوم الجمعة فيها ونمت ، ومن اغتسل فالنسل أفضل ، ورواه ابن خزيمة أيضاً ، فالتاء في نمت للتأنيث ، قال أبو حاتم : معناه ونمت الخصلة هي الطهارة للصلاة ، وقال بعضهم : فبالرخصة آخذ ، ونمت الرخصة . قال شمس الدين ابن أبي عمير في « شرح المقنع » : ليس غسل الجمعة واجباً في قول أكثر أهل العلم . قال الترمذي : العمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم ؛ منهم مالك والثوري والشافعي وأصحاب الرأي ، وحكاه ابن عبد البر إجماعاً ، قال في « شرح المقنع » : وروي وجوبه عن أبي هريرة وعمرو

ابن سليم ، وقاويل عمار بن ياسر رجلا فقال : أما إذن شر بمن لا يغتسل يوم الجمعة . قال ابن دقيق العيد : وقد نص مالك على الوجوب ، فعمله من لم يمارس مذهبه على ظاهره ، وحكى عنه أنه يرى الوجوب ، ولم ير ذلك أصحابه على ظاهره .

فائدة : روى البخاري من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يغتسل رجل يوم الجمعة ، ويتطهر ما استطاع من طهر ، ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ، ثم يصلي ما كتب له ، ثم ينصت إذا تكلم الإمام ؛ إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى » . وروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في « صحيحها » والحاكم وصححه عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من غسّل يوم الجمعة واغتسل ، وبكّر وابتكر ، ومشى ولم يركب ، ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ ؛ كان له بكل خطوة عمل سنة ، أجر صيامها وقيامها » ، ورواه الطبراني في « الأوسط » من حديث ابن عباس رضي الله عنها . قال الخطابي : قوله : غسّل واغتسل ، وبكّر وابتكر ، اختلف الناس في معناه ، فمنهم من ذهب الى أنه من الكلام المتضافر الذي يراد به التوكيد ، ولم تقع المخالفة بين المعنيين لاختلاف اللفظين ، وقال : ألا تراه يقول في هذا الحديث : ومشى ولم يركب ومعناها واحد ؟ - قال - والى هذا ذهب الأثرم صاحب الإمام أحمد ، وقال بعضهم : غسل ، معناه غسل الرأس خاصة ، والى هذا ذهب مكحول ، واغتسل ، معناه غسل سائر الجسد ، وزعم بعضهم أن قوله : غسل ، معناه أصاب أهله قبيل خروجه الى الجمعة ؛ ليكون أملاك لنفسه وأحفظ في طريقه لنظره ، وقوله : وبكر وابتكر ، زعم بعضهم ، أن معنى بكر

أدرك باكورة الخطبة ، وهي أولها ، ومعنى وابتكر ، قدم في الوقت ، وقال ابن  
الانباري : معنى بكر ، تصدق قبل خروجه ، وتأول في ذلك ، ما روي في  
الحديث : « باكروا في الصدقة ، فإن البلاء لا يتخطاها » ، وقال الحافظ أبو بكر  
ابن خزيمة : من قال في الخبر ، غسل واغتسل - يعني بالتشديد - معناه جامع أهله ،  
فأوجب الفسل على زوجته ، أو أمته ، واغتسل هو ، ومن قال بالتخفيف ، أراه  
غسل رأسه ، واغتسل ، ففسل سائر جسده ؛ لخبر طاووس عن ابن عباس قال :  
« قلت لابن عباس : زعموا أن رسول الله ﷺ قال : اغتسلوا يوم الجمعة ،  
واغسلوا رؤوسكم ، وإن لم تكونوا جنباً ، ومسوا من الطيب ، قال ابن عباس :  
أما الطيب فلا أدري ، وأما الفسل فنعم » .

#### الحديث الرابع عشر

١٤ - حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، عن

بن عمر قال : نهى رسول الله ﷺ عن الثمار أن تباع حتى يبدو  
صلاحها .

قال رضي الله عنه : ( حدثنا ) أبو محمد ( سفيان ) بن عيينة ( عن ) عبد الله  
( بن دينار عن ) عبد الله ( ابن عمر ) رضي الله عنها ( قال : نهى رسول الله ﷺ )  
نهى حظر وتحريم ( عن الثمار ) من النخل ، والكرم ، وغيرها ( أن تباع )  
ويستمر النهي عن بيعها ( حتى ) أي إلى أن ( يبدو ) أي يبين ويظهر ( صلاحها )  
بأن تصير على الصفة التي تطلب منه ، وهو في « الصحيحين » وفيها ... أيضاً من  
حديث أنس رضي الله عنه « أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع الثمار حتى تزهي ،

قيل : وما زهى ؟ قال : حتى تحمر أو تصفر ، وفي لفظ : حتى تزهو ، يقال :  
 زها يزهو ، طال واكتمل ، وأزهى يزهى ، اذا احمر أو اصفر ، والتفسير في  
 قوله : حتى تحمر أو تصفر ، من قول سميد بن منيا ، مدرج في الحديث ؛ كإنبه  
 عليه الامام أحمد رضي الله عنه ، والمراد من الاحمرار والاصفرار ، الحمرة  
 والصفرة ؛ لكنهم اذا أرادوا اللون من غير تمكن قالوا : حمر - بفتح الحاء المهملة  
 وضم الميم - وصفر كذلك ، فاذا تمكن قالوا : احمر واصفر ، فاذا زاد في التمكن ،  
 قالوا : احمرار واصفار ؛ لان زيادة البناء تدل على التكثير والمباينة ، وقد روى  
 الامام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه ، من حديث أنس رضي الله عنه أن  
 النبي ﷺ نهى عن بيع العنب حتى يسود ، وعن بيع الحب حتى يشند ، فان  
 بيع شيء من ذلك ، قبل ذلك ؛ فلا يصح إلا بشرط القطع ، لاحتمال عروض آفة ،  
 وفي ذلك إجراء الحكم على الغالب ، إذ تطرق التلف الى ما بعد إصلاحه ،  
 وعدم تطرقه الى ما لم يبد صلاحه ممكن ، فأنيط الحكم بالغالب في الحالين . زاد  
 في آخر حديث ابن عمر رضي الله عنهما كما في الصحيحين ، وغيرهما ؛ نهى البائع  
 والمشتري ؛ تأكيد لما فيه من بيان ، أن المنع وإن كان من مصلحة الانسان ،  
 فليس له أن يرتكب النهي فيه قائلاً : أسقطت حق من اعتبار المصلحة ، ألا ترى  
 أن هذا المنع لأجل مصلحة المشتري ؟ فان الثمار قبل بدو صلاحها عرضة للعاهات ،  
 فاذا حصل منها شيء أجهف بالمشتري في الثمن الذي بذله ، ومع هذا فقد منعه  
 الشرع ؛ فنهى المشتري ، كما نهى البائع قطعاً للنزاع والخصام . وأكثر علماء  
 الأمة على أن هذا النهي للتحريم ، إلا أنهم أخرجوا من هذا العموم بيعها بشرط  
 القطع ، وكذا مالك الاصل . قال ابن هبيرة رحمه الله تعالى : اتفقوا على أنه اذا  
 اشترى ثمرة لم يبد صلاحها بشرط قطعها ، أن البيع جائز ، قال في « الاقناع » :  
 لا يصح بيع الثمرة قبل بدو صلاحها ، ولا الزرع قبل اشتداد حبه ، إلا بشرط

القطع في الحال ، إن كان منتفماً به حينئذ ، ولم يكن مشاعاً ، فإن كان مشاعاً لم يصح شرط القطع ، لأنه لا يمكنه قطعه إلا بقطع ما لا يملكه ، وليس له ذلك إلا أن يبيعه مع الأصل ، بأن يبيع الثمرة مع الشجرة ، أو الزرع مع الأرض ، أو يبيع الثمرة لمالك الأصل ، والزرع لمالك الأرض ؛ فيجوز ، وقد نقل ابن هبيرة الاتفاق على صحة ذلك ، ثم قال : واختلفوا فيما إذا اشتراها ، يعني قبل بدو صلاحها ، ولم يشترط قطعها لمير مالك الأصل ، فقال الثلاثة : البيع باطل ، وقال أبو حنيفة : صحيح ويؤمر بقطعها ، وفائدة الخلاف في عمليين ؛ أحدهما : البيع فاسد عندم صحيح عنده ، الثاني : إطلاق البيع وترك الاشتراط فيه ، يقتضي التبقية عندم ، وعنده يقتضي القطع — قال — وانفقوا على أن يبيع الثمار قبل بدو صلاحها ، بشرط التبقية لا يصح ، واختلفوا فيما إذا باعها بعد بدو صلاحها بشرط التبقية إلى الجذاز ، فقال الثلاثة : يصح ، وقال أبو حنيفة : إذا اشترط ذلك ؛ بطول البيع ، فإذا اشتراها قبل بدو صلاحها ، بشرط القطع ؛ فلم يقطعها حتى بدا صلاحها ، وأتى عليها أو ان جذاها ، فقال الثلاثة : المقدم صحيح ، والثمرة زيادتها للمشتري ، ومتمم مذهب الامام أحمد أنه يبطل البيع بزيادته . نعم يعفى عن يسيرها عرفاً .

(فرعان) :

الأول : صلاح بعض ثمرة شجرة ؛ صلاح لجميع أشجار نوعها الذي بالبستان الواحد ؛ لأن اعتبار الصلاح في الجميع يشق ، هذا متمم مذهب الامام أحمد . قال في « الفروع » : وإذا بدا صلاح بعض نوع ، ونقل حنبل عن الامام أحمد : غلب ، وقاله القاضي وغيره في شجرة يبيع جميعه ، وعلى الأصح ؛ وبستان ، وعنه : وما قاربه ، وفاقاً لمالك ، وعنه : الجنس كالنوع — قال — واختار شيخنا — يعني شيخ الاسلام ابن تيمية — وبقيّة الأجناس التي تباع حكمه عادة ، وإن

أفرد بالبيع ما لم يصلح منه ؛ لم يصح ، قال ابن قندس في حواشيه : لأنه إنما جاز ييمه تبعاً ، فلا يباع وحده ، كما لو كان منفرداً .

الثاني : ما تلف من ثمر على أصوله قبل أوان جذاذه — سوى يسير منه لا ينضب لقلته — بجائحة ، وهي ما لا صنع لآدمي فيها ؛ كالريح والحر والبرد والمطش ، ولو كان التلف بعد قبض بالتخلية ؛ فضانته على بائع ؛ لقوله ﷺ في أثناء حديث أنس في « الصحيحين » وغيرها : « رأيت إذا منع الله الثمرة ؛ لم يستحل أحدكم مال أخيه ؟ » ، وفي حديث جابر رضي الله عنه : « أن النبي ﷺ وضع الجوائح » ، رواه الامام أحمد وأبو داود والنسائي ، وفي لفظ عند مسلم : « أمر بوضع الجوائح » ، وفي لفظ قال : « إن بعت من أخيك ثمرأ ، فأصابتها جائحة فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئاً ، بم تأخذ مال أخيك بغير حق ؟ » ، رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه . والجوائح ؛ جمع جائحة ، وهي الآفة التي تهلك الثمار والأموال وتستأصلها ، مصيبة عظيمة وفتنة مبيدة ، وجاح الله المال ، وأجاحه : أهلكه ؛ كما في « المطلع » ، وفي « المطلع » ، أصابته جائحة ؛ أي مصيبة اجتاحت ماله ، أي استأصلته ، ومنه جائحة الثمار ، ومنه قوله : اجتاح أصله ؛ أي استأصله الهلاك . ولأن التخلية في ذلك ، ليس بقبض تام ، بدليل أن على البائع المؤونة الى تنمة صلاحه ، فوجب كونه في ضمان بائع ، كما لو لم يقبض ، ولأن الثمر على الشجر كالمنافع في الاجارة تؤخذ شيئاً فشيئاً ، ثم لو تلفت المنافع قبل استيفائها كانت من ضمان الاجر ، وكذا هنا ، ومحل كونها من ضمان البائع ، ما لم تبع مع أصلها لحصول القبض التام وانقطاع علق البائع عنه ، أو ما لم يؤخر المشتري أخذها عن عادته لتفريطه ، ومذهب أبي حنيفة وأظهر قول الشافعي أن جميع ذلك من ضمان المشتري ، فلا يوضع له شيء منها ، وقال مالك : يوضع



للجائحة اذا أتت على ثلث الثمرة فأكثر ، فهو من ضمان البائع فيوضع عن المشتري ، وإن كان دون ذلك فهو من ضمان المشتري ، وهو رواية عن أحمد ، ومعمد مذهبه أنها من ضمان البائع قل أو أكثر ، ومالك يشترط في جواز وضع الجائحة عن المشتري إذا اشترى ثمرة واحتاجت الى التيقية على رؤوس النخل ، وأما إن كانت غير محتاجة فهي من ضمان المشتري ، ولا تكون من ضمان بائع وان تلف كله . قلت : وما ذكرنا من الأحاديث يؤيد ما ذهب اليه امامنا ، والله تعالى الموفق .

### الحديث الخامس عشر

١٥ - حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، قال : سمعت ابن

عمر يقول :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من اقتنى كلباً الا كلب

ماشية أو كلب قنص ، نقص من أجره كل يوم قيراطان .

قال رضي الله عنه : ( حدثنا سفيان ) ابن عيينة ( عن عبد الله بن دينار

قال : سمعت ) عبد الله ( بن عمر ) رضي الله عنها ( يقول : قال رسول الله ﷺ :

من ) أي أي شخص من ذكر أو أنثى ( اقتنى ) بالاقاف افتعال من القنيسة

- بالكسر - وهي الاتخاذ ( كلباً ) من أنواع الكلاب سواء السلوقي وغيره ( إلا

كلب ماشية ) من غنم وغيرها يتخذ لحفظها ورعايتها ( أو كلب قنص ) أي صيد

والقانص الصائد ، وفي رواية « من اقتنى كلباً إلا كلب ماشية أو ضارباً لصيد ،

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم « أو كلب زرع » ، وفي لفظ :

حرث ، وكذا وقعت الزيادة في حديث عبد الله بن مغفل عند الترمذي ، وفي  
 « الصحيحين » من حديث سفیان بن أبي زهير - رجل من أزد شنوءة وكان  
 من أصحاب النبي ﷺ قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من  
 اقتنى كلباً لا يفني عنه زرعاً ولا ضرعاً نقص كل يوم من عمله قيراط ، قال السائب  
 ابن يزيد : قلت : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : اي  
 ورب هذا المسجد ! وفي « الصحيحين » من حديث ابن عمر رضي الله عنهما  
 « سمعت رسول الله ﷺ يقول : من اقتنى كلباً إلا كلب صيد أو ماشية » (نقص  
 من أجره) أي من أجر عمله الذي يعمله (كل يوم) من أيامه (قيراطان) ثلثية  
 قيراط ، وهو قدر معلوم عند الله ، وفي رواية « نقص من أجره كل يوم قيراط »  
 قال العلامة ابن مفلح في كتابه « الآداب الكبرى » : يجوز اقتناء كلب كبير  
 لصيد بعيش به ، أو لحفظ ماشية يروح معها الى الرعي ويتبعها ، أو لحفظ زرع ،  
 ولا يجوز اتخاذه لغير ذلك ، وقيل : يجوز اقتناؤه لحفظ البيوت ، وهو قول  
 لمبض الشافعية ، وفي « الرعية » وقيل : وبستان ، فإن اقتنى كلب الصيد من  
 لا يصيد احتمال الجواز والمنع ، وهكذا الاحتمالان فيمن اقتنى كلباً ليحفظ به  
 ماشية أو حرثاً إن حصلت ، أو يصيد به ان احتاج ، ويجوز تربية الجرو الصغير  
 لأجل الثلاثة في أقوى الوجوهين ، والثاني : لا يجوز ، وفي « الرعية » لا يكره على  
 الأصح اقتناء جرو صغير حيث يقتنى الكبير ، وأما اقتناء الكلاب لغير ما ذكر  
 فلا يجوز لهذا الحديث وغيره من الأحاديث ، وزعم ابن عبد البر أن هذا  
 الحديث يدل على إباحة اتخاذ الكلاب للصيد والماشية ، وكذا للزرع لأنها زيادة  
 من حافظ ، وكراهة اتخاذها لغير ذلك ؛ إلا أن يدخل في معنى الصيد وغيره مما  
 ذكر ؛ كاتخاذها لجلب المنافع ودفع المضار قياساً ، فتمحص الكراهة اتخاذها  
 لغير حاجة ؛ لما فيه من ترويع الناس ، وامتناع دخول الملائكة البيت الذي هي فيه .

- قال - وفي قوله : نقص من عمله أي من أجر عمله ، ما يشير إلى أن اتخاذها ليس بمحرم ؛ لأن ما كان اتخاذه محرماً امتنع اتخاذه على كل حال ، سواء نقص الاجر أم لم ينقص ، فدل ذلك على أن اتخاذه مكروه لاجرام - قال - ووجه الحديث عندني أن المأماني المتعبد بها في الكلاب من غسل الاناء سبباً لا يكاد يقوم بها المكلف ولا يتحفظ منها ، فربما دخل عليه باتخاذها ما ينقص أجره من ذلك . ويروى أن المنصور ثاني خلفاء بني العباس ؛ سأل عمرو بن عبيد عن سبب هذا الحديث فلم يعرفه ، فقال المنصور : لأنه ينبغ الضيف ويروع السائل انتهى . وما ادعاه من عدم التحريم واستدلاله بما ذكر ليس بلازم ، بل يحتمل أن تكون العقوبة تقع بعدم التوفيق للعمل بمقدار قيراط أو قيراطين ؛ مما كان يعمل من الخير لو لم يتخذ الكلب ، ويحتمل أن يكون الاتخاذ حراماً .

والمراد بالنقص أن الاثم الحاصل باتخاذها ، يوازن قدر قيراط أو قيراطين من أجر عمله ، فينقص من ثواب عمل المتخذ قدر ما يترتب عليه من الاثم باتخاذها ؛ وهو قيراط أو قيراطان ، وهذا ظاهر ، وقيل : سبب النقص امتناع ملائكة الرحمة والبركة من دخول بيته ، أو ما يلحق المارين من الاذى ، أو لان بعضها شياطين ، أو عقوبة لمخالفة النبي ، أو لولوجها في الاواني عند غفلة صاحبها ، فربما يتنجس الطاهر بها ، فاذا استعمل في العبادة لم يقع موقع الطاهر . وقال ابن التين : المراد أنه لو لم يتخذها لكان عمله كاملاً ، فاذا اقتناه نقص من ذلك العمل . واختلف في اختلاف الروايتين في القيراط والقيراطين ، فقيل : الحكم لازماً لكونه حفظ مالم يحفظ الآخر ، أو أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أولاً بنقص قيراط واحد ، فسمعه الراوي الاول ، ثم أخبر ثانياً بنقص قيراطين زيادة في التأكيد في التنفير من ذلك ، فسمعه الراوي الثاني ، وقيل : ينزل على حالين ، فنقص القيراطين باعتبار كثرة الاضرار باتخاذها ، ونقص القيراط باعتبار قلته ،

وقيل: يختص نقص القيراطين بمن اتخذها بالمدينة الشريفة خاصة، والقيراط بما عداها، وقيل: يلتحق بالمدينة سائر المدن والقرى، ويختص القيراط بأهل البرادي، وهو ملتفت الى معنى كثرة التأذي وقتله، وكذا من قال: يحتمل أن يكون في نوعين من الكلاب، واختلف أيضاً في نسبة القيراطين من أجر عمله؛ فقيل: قيراط من ماضي عمله، وقيراط من مستقبله، وقيل: قيراط من عمل الليل، وقيراط من عمل النهار، وقيل: قيراط من عمل الفرض وقيراط من النفل.

وقد ذكرت الكلام على هذا الحديث في رسالة متعلقة بالصلاة على الميت، وهو أن من صلى على ميت فله بالصلاة عليه قيراط، وله بتام دفنه وتعزية المصاب قيراطان، وأن نسبة هذين القيراطين لا يحصل لأهل المصيبة من أجر المصيبة، ولو احقها على أكمل حال من غير أن ينقص من أجر مصيبتهم شيء، وأنهم لو لم يصبروا بل جزعوا وتسخطوا حتى حصل عليهم من ذلك وزر؛ يكون لهذا المصلي والمتبع الجنابة قيراط، أو قيراطان من أجر تلك المصيبة ولو احقها؛ لو وجد على أتم حال، وأما في مقتني الكلب الذي حررناه فيها تبماً للإمام ابن القيم في كتابه «بدائع الفوائد»، والإمام ابن عقيل في فنونه، وابن قنيس في «حواشي الفروع»، أن القيراط والقيراطين بالنسبة الى عمله ذلك اليوم، فكأنه حصل من العمل الصالح الطيب أربعة وعشرين ألف حسنة مثلاً، فينقص منها باقتناء الكلب قيراطان، وهما ألفا حسنة في المثال على أتم وجوه العمل، أو بالنسبة الى عمل نفسه، ويكون عظام القيراط ونقصه مختلفاً باختلاف الأشخاص، والله الموفق.

## تفہیمات

الاول : أشمر الحديث بجواز اتخاذ الكلاب للماشية والصيد ، وكذا الحرث ، لما ذكرنا من حديث أبي هريرة . وفي « الصحيح » : « قال سالم ابن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم : وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول : أو كلب حرث » ، وكان صاحب حرث ، فكان قد جوز اتخاذه للحرث والزراعة ، ويستدل لجواز ذلك بالنص الذي سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حافظ الأمة ، فصار العلماء الى جواز اتخاذه للزراعة والحرث ، أي لحفظ ذلك اعتماداً على حديث أبي هريرة . والكلب الذي يجوز اتخاذه لما ذكره ؛ لا بد أن يكون غير عقور ، فإن كان عقوراً لم يجوز اتخاذه ، ويجب قتله ولو كان مملأً ، ولا بد أن يكون غير أسود بهيم ، فإن كان أسود بهيماً حرم اقتناؤه وسن قتله ، كما في « الافناع » . وفي « المنتهى » يباح قتله ، وقدم في « الآداب الكبرى » : يباح قتل الكلب العقور والأسود البهيم والوزغ<sup>(١)</sup> ، كذا قاله غير واحد - قال - وليس مرادهم حقيقة الاباحة ، والتعبير بالاستحباب أولى . وقطع به في « المستوعب » ، في محظورات الاحرام ، وكذا كل ما فيه أذى في الحرم وغيره . قالت عائشة رضي الله عنها : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل خمس فواسق في الحل والحرم ؛ الغراب ، والحدأة ، والمقرب ، والفأر ، والكلب العقور » ، رواه البخاري ومسلم ، وروى مسلم من حديث ابن عمر مرفوعاً : « لا جناح على من قتلن في الحرم والاحرام » ، وعبر بالاستحباب جماعة ممن تكلم على الاحاديث - قال - وذكر الأصحاب إباحة قتل الكلب العقور والأسود البهيم في غير موضع . وصرح الموفق وغيره : وإن كانا مملئين ، فإنه قال : وأما قتل ما لا يباح اقتناؤه من الكلاب بأن

(١) الوزغ ، جمع وزغة ، وهي : سام أبرص

كان أسود بهيماً أو عقوراً فيباح وإن كانا معلمين - قال - وعلى قياس الكلب كل ما أذى وضرهم في أنفسهم وأموالهم . ثم صرح الموفق رحمه الله بوجود قتل الكلب العقور والأسود البهيم ، قال أبو الخطاب : الأمر بالقتل يقتضي النهي عن إمساكه وتعليمه والاصطياد به ، فعلى معتمد المذهب لا يباح صيد الكلب الأسود البهيم ولو معلماً .

الثاني : تعليم الكلب والفهد ونحوهما بثلاثة أشياء : أن يسترسل إذا أرسل ، وينزجر إذا زجر لافي حال مشاهدته الصيد ، وإذا أمسك لم يأكل . ولا يعتبر تكراره ، بل يحصل ولو بجمرة ، فإن أكل بعد تعليمه لم يحرم ما تقدم من صيده ، ولم يبيح ما أكل منه ، ولم يخرج عن كونه معلماً ، فيباح ما صاده بعد الصيد الذي أكل منه . وقال البغوي من الشافعية في «تهذيبه» : أقل ما يعلم به كونه الكلب صار معلماً أن يتكرر وقوع ما اعتبر منه ثلاث مرات فصاعداً . وعن أبي حنيفة : يكفي مرتين . وقال الرافعي : لم يقدره المعظم ؛ لاضطراب العرف واختلاف طباع الجوارح ، فصار المرجع إلى العرف ، ولا بد أن يجرح الصيد ، فإن قتله بصدمة أو خنقه ، لم يبيح على معتمد المذهب . وفي «الفتح» : فلو قتل الجراح الصيد بظفره أو نابه حل - قال - وكذا بثقله على أحد القولين للشافعي وهو الراجح عندهم ، واختاره من علمائنا ابن حامد وأبو محمد الجوزي .

الثالث : لا بد لإباحة الصيد بالكلب المعلم ونحوه - حيث وجده ميتاً أو فيه حركة ضعيفة لا تزيد على حركة المذبوح - من أن يكون ذكر اسم الله عند إرساله ، والعلماء مجمعون على مشروعيتها ؛ إلا أنهم اختلفوا في كونها شرطاً في حل الأكل ، فذهب الإمام أحمد على الراجح الذي لا يفتى بغيره ، وهو مذهب أبي ثور وطائفة : هي شرط لا تسقط عمداً ولا سهواً ولا جهلاً ، فمن تركها عند إرسال

الآلة الى الصيد من جرح وسهم فوجد المصيد ميتاً ؛ فهو ميتة لا يحل أكله ؛ لأنه  
 صلى الله عليه وسلم جعلها شرطاً لجواز الأكل في عدة أحاديث ، ولأن الأصل  
 تحريم الميتة إلا ما أذن الشارع فيه منها ، وما أذن فيه منها يراعى صفته ، فالمسمى  
 عليها وافق الوصف ، وغير المسمى باق على أصل التحريم ، ومذهب الشافعي  
 وطائفة وهو رواية عن مالك وأحمد أنها سنة ، فمن تركها سهواً أو عمداً لم  
 يقدح في حل الأكل ، ومذهب أبي حنيفة ومشهور مذهب مالك والثوري وكثير  
 من العلماء جواز الأكل في تركها سهواً ، وعدمه في تركها عمداً ؛ لكن اختلف  
 عن المالكية هل يحرم الأكل أو يكره ؛ وعند الحنفية يحرم ، وعند الشافعية :  
 في العمد ثلاثة أوجه ؛ أصحابها يكره الأكل ، وقيل : خلاف الأولى ، وقيل :  
 يأثم بالترك ولا يحرم الأكل ، كما في « الفتح » . وفي الحديث دليل على إباحة  
 الاصطياد بالكلاب المعلمة ؛ لكن استثنى الامام أحمد وإسحاق بن راهويه الكلب  
 الاسود البهيم كما تقدم ، وهو مالا لون فيه سوى السواد ، فقال : لا يحل الصيد به  
 لأنه شيطان ، ونقل عن الحسن وإبراهيم وقتادة نحو ذلك ، قال علماءنا : ولا يخرج  
 عن كونه أسود بهيماً بالنكتين اللتين يكونان بين عينيه - قالوا - فيحرم اقتناؤه  
 وتعليمه ، ويسن قتله ولو معلماً كالخنزير ، ويحرم الاتفاح به . والله أعلم .



## الثلاثيات الواقعة في مسند الامام أحمد رضي الله عنه

من مسند

جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنها

وعدها ثلاثون حديثاً

ونبدأ أولاً بترجمة جابر رضي الله عنه :

هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام - بالمهملتين - ابن عمرو بن سواد - بفتح السين المهملة والواو ، فألف فдал مهملة - ضد بياض ، ابن سلمة - بكسر اللام - الأنصاري الخزرجي السلمي - بفتح السين المهملة واللام - المديني .  
كنيته : أبو عبد الله ، وقيل : أبو عبد الرحمن ، وقيل : أبو محمد ، وهو وأبوه صحابيان ، شهد العقبة الثانية مع أبيه صغيراً ولم يشهد الاولى ، وكان أبوه أحد النقباء الاثني عشر ، وأبوه أول قتيل للمسلمين في أحد ، وشهد جابر بدرأ في قول البخاري وأبي أحمد الحاكم ، ونقل ابن عساكر عن أبي سعد والواقدي أنه لم يشهدا ، ورجحه ابن عبد البر ، واستدل بما رواه مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه أنه قال : « غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع عشرة غزوة ، لم أشهد بدرأ ولا أحدأ ، منفي أبي ، وأما ما احتج به للاول من حديث أبي داود عن أبي سفيان عن جابر رضي الله عنه قال : « كنت أمتنع أصحابي الماء يوم بدر ، فقال السهيلي : معناه أنه كان صغيراً فلم يسهم له ، وزعم بعضهم أن هذه الرواية تصحيف : والصحيح « كنت منيح أصحابي يوم بدر ، والمنيح السهم ، يريد أنهم كانوا يرسلونه في حوائجهم لصغر سنه ، ثم



شهد جابر مع علي رضي الله عنها صفيين ، وكف بصره في آخر عمره ، مات بالمدينة سنة أربع وسبعين ، وقيل : سبع وسبعين ، وقيل : ثمان وسبعين ، وقيل : ثلاث وسبعين ، وقيل : إحدى وستين ، وقيل : تسع وسبعين ، والراجح من هذه الأقوال الأول ، وصلى عليه أبان بن عثمان ، وهو أمير المدينة يومئذ ، وله من العمر أربع وتسعون سنة ، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة على قول ، وإذا أطلق جابر فهو المراد ، وهو أحد المكثرين من الصحابة . روي له عن رسول الله ﷺ ألف حديث وخمسمائة وأربعمون حديثاً ، اتفق الشيخان على ستين ، وقال ابن الجوزي في «منتخب المنتخب» : ثمانية وخمسين ، وانفرد البخاري بستة وعشرين ، ومسلم بمائة وستة وعشرين ، والله أعلم .

### الحديث الاول

١٦ - حدثنا هشيم ، قال : حدثنا أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال : كنا مع أبي عبيدة ، بعثنا النبي ﷺ ، فنفسد زادنا فمررنا بحوت قذفه البحر ، فأردنا أن نأكل منه ، فمنعنا أبو عبيدة ثم إنه قال بعد ذلك : نحن رسل رسول الله ﷺ

وفي سبيل الله ، كلوا فأكلنا منه أياماً ، فلما قدمنا ذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ فقال :

ان كان بقي معكم منه فابشوا به الينا .

قال رضي الله عنه : ( حدثنا هشيم ) هو أبو معاوية ، هشيم — بضم الماء ، وفتح الشين المعجمة : مصفر — ابن بُشَيْر — بضم الواحدة — ابن القاسم السلمي الواسطي ، الامام الحافظ الكبير ، زيل بغداد ، روى عن أبيه وحيد الطويل وأيوب السختياني ، وعن الزهري وعمرو بن دينار وابن زاذان وخلق كثير ، وعنه شعبة أحد شيوخه ، ومالك والثوري ومحمد بن عيسى ابن الطباع والامام أحمد وخلق . قال حماد بن زيد : ما رأيت في المحدثين أنبل منه ، وقال يزيد بن هارون : ما رأيت أحداً أحفظ من هشيم إلا سفيان إن شاء الله تعالى ، وقال ابن مهدي : كان أحفظ للحديث من سفيان الثوري ، قال ابن سعد : كان ثقة ثباتاً كثير الحديث يدلس كثيراً ، وسئل أبو حاتم عنه فقال : لا تسأل عنه في صدقه وأمانته وصلاحه ، وقال الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه : لزم هشيماً أربع سنين أو خمس سنين ما سألته عن شيء هيبه له إلا مرتين — قال — وكان هشيم كثير التسيب بين الحديث ، يقول بين ذلك : لا إله إلا الله ، يمد بها صوته ، وقال معروف الكرخي : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول لهشيم : يا هشيم ! جزاك الله عن أمي خيراً ، فقيل لمعرف : أنت رأيتة ؟ قال : نعم ! هشيم خير مما يظن ، رضي الله عن هشيم . قال الامام الحافظ ابن الجوزي في ( صفوة الصفوة ) : مكث هشيم يصلي الفجر بوضوء

المشاء ، قبل أن يموت عشر سنين ، ولد هشيم سنة أربع ومائة ، ومات سنة ثلاث وثمانين ومائة .

( قال ) هشيم : ( حدثنا أبو الزبير ) - بضم الزاي وفتح الموحدة فثناة تحت ، فرا ، مصفرا - هو محمد بن مسلم بن تدرس الأسدي المكي . روى عن جابر وابن عمر وابن عباس وابن الزبير وعائشة رضي الله عنهم وخلق كثير ، وروى عنه أبو حنيفة ومالك وشعبة والأعمش والسيفان وحمام بن سلمة والزهري - وهو من أقرانه - وعطاء بن أبي رباح - أحد شيوخه - وهشيم وغيرهم . وهو ثقة ، وثقه ابن المديني وابن معين والنسائي ، وضمفه ابن عيينة وغيره ، مات سنة ثمان وعشرين ومائة ، وقال ابن بدران الحنبلي في « طبقات الحفاظ » : أبو الزبير أمام كبير حافظ ، مولى حكيم بن حزام القرشي الأسدي . قال ابن معين والنسائي : ثقة ، وقال أبو زرعة وأبو حاتم : لا يحتج به ، وقال غير واحد : مدلس ، فاذا صرح بالسمع فهو حجة . انتهى .

( عن ) أبي عبد الله ( جابر بن عبد الله ) الأنصاري رضي الله عنهما ( قال ) جابر رضي الله عنه : ( كنا ) معشر الصحابة ( مع ) أمين الأمة ( أبي عبيدة ) عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب - بضم الهمزة وفتح الهاء وسكون الياء المثناة تحت وبمدها باء موحدة - ابن ضبة - بفتح الضاد المعجمة وتشديد الموحدة - ابن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي الفهري ، أمين هذه الأمة ، أسلم مع عثمان بن مظعون ، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ ، وثبت معه يوم أحد ، ونزع الحلقتين اللتين دخلتا في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد من خلق المنفر بفيه ، فوقمت ثنيتاه فكان أحسن الناس هتماً ( ١ ) ، وهو أحد

( ١ ) هم فاه : ألقى مقدم أسنانه .

العثرة المبشرين بالجنة . روي له عن رسول الله ﷺ خمسة عشر حديثاً ، ولم يخرج له البخاري في « صحيحه » شيئاً ، ولا مسلم إلا في حديث العنبر من رواية أبي الزبير عن جابر ، وهو قوله : نحن رسل رسول الله ﷺ ، وهو معنى تام فسموه حديثاً . مات أبو عبيدة رضي الله عنه في طاعون عمواس سنة ثمانئ عشرة ، ودفن ببيسان أي بنور بيسان ، وقبره هناك مشهور ، وقد زرناه ، وصلى عليه معاذ بن جبل ، ثم مات بعده ، وقبره قاطع النور مشهور ، وقد زرناه أيضاً . ولما مات أبو عبيدة رضي الله عنه كان عمره ثمانئ وخمسين سنة . يجتمع نسبه مع النبي ﷺ في فهر بن مالك .

( بمشنا النبي ﷺ ) في ثلاثمائة راكب ؛ كما في « الصحيحين » وغيرها ، زاد الواقدي وابن سعد وغيرها : من المهاجرين والأنصار فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه . قال جمهور أهل المغازي : كان ذلك في شهر رجب سنة ثمان . قال جابر كما في « الصحيحين » : « وأمر علينا أبا عبيدة بن الجراح » . وأما ما وقع في رواية أبي حمزة الخولاني عن جابر عند ابن أبي عاصم في « كتاب الأطمعة » أن أمير هذه السرية قيس بن سعد بن عباد ؛ فالحفوظ كما قال في « الفتح » : ما انفقت عليه روايات « الصحيحين » وغيرها أنه أبو عبيدة بن الجراح . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : وكان أحد رواة هذا الحديث ظن من صنع قيس بن سعد من نحر الجزر في تلك الغزاة أنه كان أمير السرية وليس كذلك . وفي « الصحيحين » وغيرها من حديث جابر رضي الله عنه أنه قال : « بمشنا رسول الله ﷺ » ، وأمر علينا أبا عبيدة نلقى غيراً لقريش ، وزودنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يمطينا تمر تمر . ( فنقد ) كسمع ، بالنون والفاء والدال المهملة — ( زادنا ) الذي كنا قد تزودناه لسفرنا ، أي في وذهب ، وفي رواية : « فأقمتنا بالساحل نصف شهر ، ففني الزاد ، فأمر أبو عبيدة

بأرواد الجيش ، فجمع فكان مزودي تمر ، وكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً ،  
وفي رواية : « فكان بطينا قبضة قبضة ، ثم صار بطينا تمرة تمرة حتى فني ،  
قيل : كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال : كنا نمصها كما يمص الصبي ، ثم نشرب  
عليها الماء فتكفيننا يوماً الى الليل ، ، وفي رواية وهب بن كيسان « قلت  
لجابر : ما نفني عنكم تمرة ؟ قال : لقد وجدنا فقدها حين فنيتم ، وفي حديث  
عبادة بن الصامت رضي الله عنه عند ابن إسحق « قسمها - أي التمرة - يوماً بيننا  
فقصت تمرة عن رجل ، فوجدنا فقدها ذلك اليوم ، فأصابنا جوع شديد ، وكنا  
نضرب بمصينا الخَبْط (١) ثم نبله بالماء ، ويأتي الكلام على هذا في الحديث الخامس  
والعشرين من أحاديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها .

( فمررنا بحوت قذفه البحر ) ، وفي رواية في « الصحيحين » من حديث  
جابر رضي الله عنه : « فالتقى إلينا البحر دابة يقال لها : الضبر ، وفي آخر :  
« حوتاً لم نر مثله ، كهيئة الكتيب الضخم ، فأتيناه ؛ فإذا هو دابة تدعى : الضبر ،  
( فأردنا أن نأكل منه ) - أي من ذلك الحوت الذي قذفه البحر - ( فممننا )  
أميرنا ( أبو عبيدة ) رضي الله عنه ، وقال : ميتة ، ( ثم إنه ) - أي أبو عبيدة -  
( قال بعد ذلك ) : - أي بعد أن نهانا عن الأكل منه ، وقال : إنه ميتة - لا  
بل ( نحن رسل رسول الله ) محمد ( ﷺ ) أرسلنا لنتقاتل أعداء الله ، ( وفي سبيل الله )  
وقد اضطررتم ف ( كلوا ) منه ، فبنى أولاً على عموم تحريم الميتة ، ثم تذكر  
تخصيص المضطر بإباحة أكلها ، إذا كان غير باغ ولا عاد ، وم بهذه الصفة ؛ لأنهم  
في سبيل الله وفي طاعة رسوله ، ثم تبين من آخر الحديث ؛ أن جهة كونه حلالاً  
ليست بسبب الاضطرار ، بل لكونها من صيد البحر ، كما يأتي مشروحاً مبيناً

(١) الخبط : ورق ينفخ بالخابط ، ويجفف ويطحن ، ويخلط بدقيق او غيره ،

ويؤخذ بالماء فتوجره الابل .

قال جابر رضي الله عنه : ( فأكلنا منه ) أي من ذلك الحوت الذي قذفه البحر لنا ( أياما ) في رواية وهب بن كيسان عن جابر : « فأكل منه القوم ثمانى عشرة ليلة ، وفي رواية عمرو بن دينار عندهما : « فأكلنا منه نصف شهر ، وفي رواية أبي الزبير : « فأقننا عليه شهراً ، وطريق الجمع بين اختلاف هذه الروايات ؛ بأن الذي قال ثمانى عشرة ، ضبط ما لم يضبط غيره ، وأن من قال نصف شهر أنقى الكسر الزائد ، وهو ثلاثة أيام ، ومن قال شهراً ؛ جبر الكسر أو ضم بقية المدة التي كانت قبل وجدانهم : ورجح النووي رواية أبي الزبير لما فيها من الزيادة . قال ابن التين : إحدى الروايتين وهم ، ووقع عند الحاكم اثني عشر يوماً وهي شاذة ، وأشد منها رواية الخولاني : « أقننا قبلها ثلاثاً ، والجمع المذكور أولى ؛ فإن رواية ثمانى عشرة ليلة عند البخاري ، ورواية شهر عند مسلم ، ورواية نصف شهر عندهما . قال جابر رضي الله عنه كما في « الصحيحين » : « وادهننا من ودكه ، حتى ثابت منه اجسامنا وطلعت » وفي رواية « فأقننا عليه شهراً ونحن ثلاثائة ، حتى سمناً . — قال — واقد رأيتنا نعترف من وقب عينه بالقلال الدهن ، ونقتطع منه القدر كالثور ، أو كقدر الثور ، وأخرجنا من عينه كذا وكذا قلة ودك ، ولقد أخذ أبو عبيدة رضي الله عنه ثلاثة عشر رجلاً ، فأقدم في ثقب عينه ، وأمر أبو عبيدة رضي الله عنه بضلع من أضلعه فنصب ، ونظر الى أطول رجل في الجيش ، أي وهو قيس بن سمد بن عبادة ؛ كما ظنه في « الفتح » ، وأطول حمل جلسه عليه ، ومر من تحته راكباً فلم يصبه — قال جابر رضي الله عنه — : « وتزودنا من لحمه ، وفي رواية أبي حمزة الخولاني « وحملنا منه ما شئنا من قديد وودك في الأسقية والغدائر » .

قال جابر رضي الله عنه : ( فلما قدمنا ) المدينة المنورة ( ذكرنا ذلك ) أي أمر الحوت الذي قذفه البحر ، وأكلنا من لحمه وودكه ، وحملنا من ذلك

( لرسول الله ﷺ فقال ) عليه الصلاة والسلام : ( إن كان بقي معكم ) معشر  
الغزاة من أهل ذلك الجيش ( منه ) - أي من لحم ذلك الحوت - ( فابشوا به )  
- أي بالباقي منه معكم - ( إلينا ) لنا أكل منه ، وفي بعض طرقه في الصحيح ، أن  
النبي ﷺ أكل منه ، ولفظه « فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا  
ذلك له . فقال : هو رزق أخرجه الله لكم ، فهل معكم من لحمه فتطعمونا ؟  
- قال فأرسلنا الى رسول الله ﷺ منه فأكله ، وبهذا تم الدلالة على إباحة  
أكل صيد البحر ؛ حتى الطافي منه ، وإلا فجرد أكل الصحابة منه ، وهم في حالة  
الجماعة ؛ قد يقال : إنه للاضطرار ، ولا سيما وفيه قول أبي عبيدة : « ميتة ، ثم قال :  
لا بل نحن رسل رسول الله ، وفي سبيل الله ، وقد اضطررتم فكلوا ، كما تقدم ،  
وقد أخرجه بهذا اللفظ مسلم من طريق أبي الزبير عن جابر في الصيد ، وكذا  
البخاري في المغازي من هذا الوجه ؛ لكن قال أبو عبيدة : كلوا ، ولم يذكر  
بقيته ، وتقدم أن أبا عبيدة بناه أولاً على إباحة الميتة للمضطر ، فقرر الرسول ﷺ  
أن جهة كونه حلالاً ، ليس بسبب الاضطرار ؛ بل لكونه من صيد البحر ، ففي  
« الصحيحين » « فلما قدمنا المدينة ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : كلوا  
رزقاً أخرجه الله لكم ، وأطعمونا إن كان معكم ، فأناه بعضهم بعضاً فأكله ، فبين  
ﷺ لهم أنه حلال مطلقاً ، وبالغ في البيان بأكله منه ؛ لأنه لم يكن مضطراً ،  
فيستفاد منه إباحة ميتة البحر سواء مات بنفسه ، أو مات بالاصطياد ، وهذا  
مذهب الجمهور ، وعن أبي حنيفة : يكره ، وفرقوا بين ما لقطه البحر فمات ؛  
وبين ما مات فيه من غير آفة ، وتمسكوا بحديث أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه  
« ما ألقاه البحر أو جزر عنه ، فكلوه ، وما مات فيه فطفاً ، فلا تأكلوه » أخرجه  
أبو داود مرفوعاً من رواية يحيى بن سليم الطائفي ، عن أبي الزبير ، عن جابر ،  
ثم قال : رواه الثوري وأيوب وغيرها ؛ عن أبي الزبير موقوفاً ، وقد أسند من

وجه آخر ضيف ، عن ابن أبي ذئب ، عن أبي الزبير ، عن جابر مرفوعاً ،  
وقال أبو عيسى الترمذي : سألت البخاري عنه فقال : ليس بمحفوظ ، و يروى  
عن جابر خلافة . انتهى . قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري لشرح البخاري » :  
ويحيى بن سليم صدوق ؛ وصفوه بسوء الحفظ ، وقال النسائي : ليس بالقوي ،  
وقال يعقوب بن سفيان : اذا حدث من كتابه ؛ فحديثه حسن ، واذا حدث  
حفظاً ؛ يعرف وينكر ، وقال أبو حاتم : لم يكن بالحافظ ، وقال ابن حبان في  
« كتاب الثقات » : كان يخطئ ، وقد توبع على رفعه ، أخرجه الدارقطني ، من  
رواية أبي أحمد الزبيري ، عن الثوري مرفوعاً ؛ لكن قال : خالفه وكيع وغيره ،  
فوقفوه عن الثوري وهو الصواب ، وروى عن ابن أبي ذئب ، وإسماعيل بن أمية  
مرفوعاً ولا يصح ، والصحيح أنه موقوف ، واذا لم يصح إلا موقوفاً ؛ فقد طارضه  
قول الصديق الأعظم ، كما في البخاري تليقاً وغيره « الطافي حلال » ، ورواه موصولاً  
أبو بكر بن أبي شيبة والطحاوي والدارقطني ، من رواية عبد الملك بن أبي بشر ،  
عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنها قال : « أشهد على أبي بكر أنه  
قال : السمكة الطافية حلال ، زاد الطحاوي « لمن أراد أكله » ، وفي رواية  
« أشهد على أبي بكر أنه أكل السمك الطافي على الماء ، والطافي من غير همز ،  
من طفا يطفو اذا علا الماء ، ولم يرسب ، وللدارقطني من وجه آخر  
عن ابن عباس رضي الله عنها عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه « إن الله ذبح  
لكم ما في البحر فكلوه كله ، فانه ذكي ، وكذا قال عمر بن الخطاب رضي الله  
عنه وغيرها من الصحابة رضي الله عنهم .

والقياس يقتضي حله أيضاً ، قال العلامة ابن القيم في « الهدي » في قوله  
تمالي : ( أحل لكم صيد البحر وطامه ) قد صح عن أبي بكر وابن عباس  
وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، أن صيد البحر ما صيد منه ، وطامه ما مات



فيه : وفي الحديث « أحلت لنا ميتتان ودمان ؛ فأما الميتتان فالسمك والجراد ، وأما الدمان فالكبد والطحال » ، قال ابن القيم : حديث حسن ، وإن كان موقوفاً فهو في حكم المرفوع ؛ لأن قول الصحابة : أحل لنا وحرّم علينا ينصرف إلى إحلال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريمه ، ثم قال : والقياس يقتضي حله ؛ لأنه سمك لو مات في البر لا يكل بغير تذكية ، ولو نضب عنه الماء أو نقلته سمكة أخرى فمات لا يكل ، فكذلك إذا مات وهو في البحر . وأطال ابن القيم في الاستدلال على حله وأنه محض القياس في « الهدى » .

ويستفاد من قول جابر رضي الله عنه : أكلنا منه نصف شهر ؛ جواز أكل اللحم ولو أتنن ؛ لأن النبي ﷺ قد أكل منه بمد ذلك ، واللحم لا يبقى غالباً بلا تنن هذه المدة ، لا سيما في الحجاز مع شدة الحر ، لكن يمتثل أن يكونوا ملحوه وقددوه فلم يدخله التنن ، وقد حمل الفقهاء النهي عن أكل اللحم إذا أتنن لتزويه ؛ إلا إن خيف منه الضرر . وقد صرح في « الاقناع » بكراهة أكل اللحم المتتن والنهي خلافاً لـ « المنهي » ، وعند المالكية : يحرم أكل اللحم المتتن كما في « الفتح » واستظهره .

وفي الحديث جواز أكل حيوان البحر مطلقاً ؛ لأنه لم يكن عند الصحابة رضي الله عنهم نص يخص الضبر وقد أكلوا منه . لا يقال : انهم إنما أقدموا عليه بطريق الاضطرار ؛ لأننا نقول بأنهم أقدموا عليه مطلقاً من حيث كونه صيد بحر ، وإنما توقفوا من حيث كونه ميتة ، فدل على إباحة الاقدام على أكل ما صيد من البحر ، ثم بين لهم الشارع آخرها ، أن ميتته أيضاً حلال ، ولم يفرق بين الطافي وغيره . واحتج بعض المالكية بأنهم أقاموا يأكلون منه أياماً ، فلو كانوا أكلوا منه على أنه ميتة بطريق الاضطرار ماداموا عليه ؛ لأن المضطر إذا أكل الميتة يأكل منها بحسب الحاجة ، ثم ينتقل لطلب المباح غيرها . وجمع بعض العلماء

بين مختلف الأخبار في ذلك بحمل النهي على كراهة التنزيه وما عدا ذلك على الجواز .

ولا خلاف بين العلماء في حل السمك على اختلاف أنواعه ، وإنما اختلفوا فيما كان على صورة حيوان البر ، كالآدمي والكلب والخنزير والثعبان ؛ فعند الحنفية وهو قول للشافعية : يحرم ما عدا السمك ، واحتجوا عليه بهذا الحديث ، فإن الحوت المذكور لا يسمى سمكاً ، وفيه نظر ، فإن الخبر ورد في الحوت نصاً . وعن الشافعية الحل مطلقاً على الأصح المنصوص وهو مذهب المالكية ؛ إلا الخنزير في رواية ، وحجتهم عموم قوله تعالى : ( أحل لكم صيد البحر ) وحديث « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » أخرجه مالك وأصحاب السنن ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان وغيرهم ، وعن الشافعية : ما يؤكل نظيره في البر حلال ، وما لا فلا ، واستثنوا على الأصح ما يمش في البر والبحر ، وهو نوتان :

الأول : ما ورد في منع أكله شيء يخصه كالضفدع ، وكذا هو مستثنى عند الامام أحمد للنهي عن قتله ، وذلك من حديث عبد الرحمن بن عثمان التيمي ، أخرجه أبو داود والنسائي وصححه الحاكم ، وله شاهد من حديث ابن عمر عند ابن أبي عاصم ، وآخر عن عبد الله بن عمر ، أخرجه الطبراني في « الأوسط » وزاد : فإن تقيها تسبيح ، وقد استوفيت ذلك في « شرح الآداب » ، واستثنى علماؤنا من حل دواب البحر التمساح ؛ لكونه يمدو بنابه ، وكذا الحية ، فعمد مذهب الامام أحمد إباحة جميع ما في البحر سوى حية وضفدعة وتمساح .

النوع الثاني : ما لم يرد فيه مانع فيحل ؛ لكن بشرط التذكية كالبط وطيير الماء ، ومعمد المذهب اعتبار ذكاة كل حيوان إلا الذي لا يمش إلا في الماء .

## تنبيهات

الأول : نظر الامام ابن القيم في كتابه « الهدي » ، في كون هذه السرية كانت سنة ثمان ؛ لما في « الصحيحين » ، من حديث جابر رضي الله عنه أنه بمهم يرصدون عيراً لقريش . ومن المعلوم أن صلح الحديبية كان في السادسة ، ومن حينئذ لم يكن ليرصد لهم عيراً ، بل كان زمن أمن وهدنة الى حين الفتح - قال - فظاهر هذا الحديث أن هذه السرية كانت قبل الهدنة . انتهى . قلت : ومما يقوي كون هذه السرية كانت قبل الهدنة ما ذكر فيها من القلة والجهد ، والحال أن الصحابة في سنة ثمان كان قد اتسع حلهم وكثر مالهم بفتح خيبر وغيرها ، والجهد المذكور في القصة يناسب ابتداء الامر ؛ فيرجح ذلك .

الثاني : قال الامام ابن القيم في « الهدي » ، أيضاً : قول من قال : إنها كانت في رجب وم غير صحيح ؛ إذ لم يحفظ عن رسول الله ﷺ أنه غزا في شهر حرام ، ولا أغار فيه ، ولا بث فيه سرية ، وقد عير المشركون المسلمين بقتالهم في أول رجب في قصة عبد الله بن جحش وأخي الملاء الحضرمي ، وقالوا : استحل محمد الشهر الحرام ، فأنزله الله تعالى في ذلك ، ( يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير... الآية )<sup>(١)</sup> قال : ولم يثبت هذا بنص يجب المصير اليه ، ولا أجمت الأمة على نسخه ، قال في « النور »<sup>(٢)</sup> : وهو كلام حسن مليح ؛ لكنه على ما اختاره من عدم نسخ القتال في الأشهر الحرم ، وسلفه عطاء ابن أبي رباح ، وشيخه شيخ الاسلام ابن تيمية ، وأهل الظاهر ، والذي عليه الجمهور أنه منسوخ ؛ كما نص عليه علماؤنا وغيرهم . قال في « الاقناع » : وتحريم القتال في الأشهر الحرم منسوخ نصاً ، وكذلك ذكر الحافظ ابن الجوزي في

(١) سورة البقرة الآية : ٢١٧

(٢) في « الذيل لطبقات الحنابلة » لابن رجب : « نور المؤمن وحياته »

كتابه ، المنصع بأ كف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ ، فقال في قوله تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير) (١) : هذه الآية منسوخة بآية السيف .

الثالث : قول جابر رضي الله عنه في بعض رواياته : فلما في الزاد اقتضى رأي أبي عبيدة أن جمع زادم في مزود ، يعني لقصد المساواة بينهم ، مع قوله في الحديث : وزودنا ﷺ جراباً من تمر لم نجد لنا غيره . وظاهرهما متباين ، والجمع بأن الزاد المأم كان قدر جراب ، فلما نفذ وجمع أبو عبيدة الزاد الخالص الذي مسح كل واحد من الجيش ؛ اتفق أنه صار قدر جرايين ، يرشد لهذا ما في البخاري من طريق وهب بن كيسان عن جابر : « خرجنا ونحن ثلاثمائة نحمل أزوادنا على رقابنا ، ففني زادنا حتى كان الرجل يأكل تمره تمره ، وسيأتي في الحديث الخامس والعشرين بقية الكلام على هذا الحديث ؛ فإن الامام رضي الله عنه أخرجه هناك عن سفيان عن عمرو بن دينار عن جابر رضي الله عنه ، والله الموفق .

### الحديث الثاني

١٧ - حدثنا هشيم<sup>هـ</sup> ، قال : أنا أبو الزبير عن جابر

- يعني ابن عبد الله - قال : قال رسول الله ﷺ :

من كذب علي<sup>هـ</sup> متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .

قال رضي الله عنه : ( حدثنا هشيم ) بن بشير الواسطي ( قال : أنا

أبو الزبير ) محمد بن مسلم المكي ( عن جابر ، يعني ابن عبد الله ) الانصاري رضي

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢١٧

الله عنها ( قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كذب ) ، الكذب ضد الصدق ، ( علي ) حال كونه ( متممداً ) غير مخطيء ( فليتبوأ ) — أي فليتخذ لنفسه — ( مقعده ) الذي هيء وأعد له بسبب كذبه علي ( من النار ) المهبودة ، وهي نار جهنم ، فهو أمر بمعنى الخبر ، وبمعنى التحذير أو التهمك أو الدعاء على فاعله ، أي بؤءه الله ذلك .

واعلم أن هذا الحديث متواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الامام الحافظ ابن الجوزي في صدر كتابه « الموضوعات » : هذا حديث متواتر — قال — وله سبب ؛ فروي بسنده عن ابن بريدة عن أبيه قال : « جاء رجل الى قوم في جانب المدينة فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أحكم فيكم برأيي ، وفي أموالكم ، وفي كذا وفي وكذا ، وكان خطب امرأة منهم في الجاهلية ، فأبوا أن يزوجه ، ثم ذهب حتى نزل على المرأة ، فبث القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم : كذب عدو الله ، ثم أرسل رجلا فقال : إن وجدته حياً فاقتله ، وإن وجدته ميتاً فحرقه بالنار . فانطلق فوجده قد لدغ فمات ، فحرقه بالنار ، فعند ذلك قال ﷺ : من كذب علي . الحديث » رواه البغوي ، وأخرج ابن الجوزي الحديث عن بريدة ، ولفظه : « كان حي من بني ليث من المدينة على ميلين ، وكان رجل قد خطب منهم في الجاهلية فلم يزوجه ، فأنام وعليه حلة فقال : إن رسول الله ﷺ كساني هذه الحلة ، وأمرني أن أحكم في أموالكم ودمائكم ، ثم أزهق ، أي سبق ، فنزل على تلك المرأة التي كان يحبها ، فأرسل القوم الى رسول الله ﷺ فقال : كذب عدو الله ، ثم أرسل رجلا فقال : إن وجدته حياً فاضرب عنقه ، وإن وجدته ميتاً فاحرقه بالنار — قال — فجاءه فوجده قد لدغته أفعى فمات ، فحرقه بالنار ، فذلك قول رسول الله ﷺ : من كذب علي .. الحديث » ورواه ابن عدي ، وأخرجه ابن الجوزي

أيضاً عن عبد الله ابن الزبير رضي الله عنها أنه قال يوماً لأصحابه : أندرون ما تأويل هذا الحديث : من كذب عليّ متممداً فليتبوأ مقعده من النار ؟ ذلك أن رجلاً عشق امرأة ، فأنى أهلها مساءً فقال : ان رسول الله ﷺ بعثني اليكم أن أتضيف في أي بيوتكم شئت - قال - وكان ينتظر بيتونة المساء - قال - فأنى رجل منهم النبي ﷺ فقال : إن فلاناً أنا ما يزعم انك أمرته أن يبيت في أي بيوتنا شاء ، فقال : كذب ، يافلان ! انطلق معه ، فان أمكنك الله منه فاضرب عنقه واحرقه بالنار ، ولا أراك إلا قد كفيته ، فلما خرج الرسول ؛ قال رسول الله ﷺ : ادعوه ، فلما جاء قال : إني كنت قد أمرتك أن تضرب عنقه وأن تحرقه بالنار ، فان أمكنك الله منه فاضرب عنقه ، ولا تحرقه بالنار ؛ فانه لا يمدب بالنار إلا رب النار ، ولا أراك إلا قد كفيته ، فجاءت السماء بصيب ، فخرج ليتوضأ فسلمه أفسى ، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ قال : هو في النار .

وقد روى حديث « من كذب عليّ متممداً .. » : بضع وستون نفساً ، منهم العشرة المبشرون بالجنة ، إلا عبد الرحمن بن عوف ، وقال أبو بكر محمد ابن أحمد بن عبد الوهاب الاسفراييني : ليس في الدنيا حديث اجتمع عليه العشرة من أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد لهم النبي ﷺ بالجنة غير حديث : « من كذب عليّ متممداً .. » قال الحافظ ابن الجوزي : ما وقعت اليّ رواية عبد الرحمن ابن عوف الى الآن - قال - ولا عرفت حديثاً رواه عن رسول الله ﷺ أحد وستون نفساً ، أو اثنان وستون إلا هذا الحديث ، وقد رواه الامام أحمد والشيخان وغيرهم من طرق متعددة وروايات ووجوه متباينة ، وسيأتي في هذه الثلاثيات من ذلك عدة روايات ، والله أعلم .

### الحديث الثالث

١٨ - حدثنا هشيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال :  
لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله  
وشاهده وكاتبه .

قال رضي الله عنه قال ( حدثنا هشيم عن أبي الزبير عن جابر ) رضي الله  
عنه ( قال : لمن رسول الله ﷺ ) ، أي أئبد وطرد ( آكل الربا ) إما دعاء  
من رسول الله ﷺ ، أو إخبار من مظان البعد عن رحمة الله ومواطنها ، نازل  
على آكل الربا وواقع عليه . والربا مقصور أصله الزيادة . قال في «المطلع» : ربا  
الشيء يربو ربواً : إذا زاد ، ويثنى ربوان وربيان ، وأرْبى الرجل إذا عمل بالربا ،  
وهو مكتوب في المصحف بالواو ، قال الفراء : إنما كتبه في المصحف كذلك  
لأن أهل الحجاز تعلموا الكتابة من أهل الحيرة ، ولقنهم الربو ، فعلموم صورة  
الخط على لقنهم ، وان شئت كتبه بالياء أو على ما في المصحف أو بالالف ؛ حكى  
ذلك الثعلبي .

واعلم ان الربا محرم من الكبائر ، وهو تفاضل في أشياء ونسأ في أشياء ،  
مختص بأشياء ورد الشرع بتحريمها . وهو نوعان :

النوع الأول: ربا الفضل ، فيحرم في كل مكيل وموزون بيع بمجنسه - ولو  
يسيراً - لا يتأني كيله - كتمر بتمر أو بتمرين - ولا وزنه ، كما دون الأرزة من  
الذهب والفضة ، مطموما كان أو غير مطموم ، فالعلة المحرمة كونه مكبلا أو  
موزوناً . قال الامام أحمد : قياسا على الذهب والفضة . وقيل : العلة المطمومية

للآدمي ، وفي «التقدين» : الثمنيه . فملى الأول تباع بيضة بيضة وبيضتين ،  
وخياره وبطيخة ورمانة بمثلها وبمثلها ؛ لانه ليس مكيلاً ولا موزوناً ، وقد نص  
الامام احمد رضي الله عنه على جواز ذلك - قال - لانه ليس مكيلاً ولا موزوناً ،  
ونقل مهنا وغيره عنه أنه كره بيضة بيضة ، وقال : لا يصلح إلا وزناً بوزن لانه  
طعام ، فملى هذا العلة المطومية ، والاول المذهب ؛ لكن لا يحرم ما يخرج منه  
الصناعة من الصفر والحديد ونحوهما ؛ كالخواتم والسكاكين والابر إلا التقدين .  
قال علماؤنا : والجهل بالتساوي حال المقد ، كالملم بالتفاضل . قال علماؤنا والحنفية :  
علة الربا في الفضة والذهب والوزن والجنس ، فكل ما جمعه الجنس والوزن فالتحريم ثابت  
فيه اذا باعه متفاضلاً ؛ كالذهب والفضة والنحاس والرصاص وما أشبهه ، وفي غير ذلك  
فالعلة فيه الكيل والجنس ، فكل ما جمعه الجنس والكيل ؛ فالتحريم فيه ثابت ، اذا بيع  
متفاضلاً ؛ كالحنطة والشعير والأرز والكرسنة ، ونحو ذلك ، فكل مكيل  
وموزون ؛ لا يباع بجنسه ، إلا حالاً مقبوضاً متساوياً ، سواء كان مطوماً أو غير  
مطوم . وقالت المالكية والشافعية : العلة في الذهب والفضة الثمنية ، فلا ربا  
عندم في الحديد والنحاس ونحوهما . وقالت الشافعية : العلة في بقية الربويات  
المطومية ، فيتمدى الربا الى كل مطوم . وقالت المالكية : العلة فيها كونها تدخر  
للقوت ؛ تصلح له ، فمدوه الى الزبيب ، لأنه كالتمر ، والى القطنية (١) لانها  
كالبر والشعير ، فمثل رمانة ؛ برماتين ، وسفرجلة ؛ بسفرجلتين ، حرام عند  
الشافعية . مباح عند غيرهم .

النوع الثاني : ربا النسبته ، وهو كل شئيين ، ليس أحدهما نقداً ، علة ربا  
الفضل فيها واحدة ؛ كمكيل بمكيل ، وموزون بموزون ، فيشترط في مثل بيع  
حديد بنحاس ، وبر بشعير مثلاً ؛ الحلول والقبض في المجلس ، ويجوز التفاضل

(١) ما سوى الحنطة والشعير والزبيب والتمر ، او هي الحبوب التي تطبخ



حيث اختلف النوع ، وأما إن اختلفت الملة فيها ؛ كما لو باع مكيلا بموزون جاز التفرق قبل القبض والنسأ والتفاضل ، وما كان مما ليس بمكيلا ولا موزون كشياب وحيوان ؛ يجوز النسأ فيه ؛ سواء بيع بجنسه ، أو بغير جنسه متساويا أو متفاضلا .

واقصر بعض العلماء على جريان الربا في ستة أشياء فقط الذهب والفضة والبر والشمير والتمر والملح ، وهو ما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشمير بالشمير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلا بمثل ، يدأ بيد ، فمن زاد أو استزاد ، فقد أربى ، الآخذ والمعطي فيه سواء » رواه الامام أحمد في « المسند » ومسلم في « الصحيح » ومثله عن أبي هريرة وعبادة ابن الصامت وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم ، فاقصر أهل الظاهر على جريان الربا في هذه الستة المذكورة .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : اتفق الناس على تحريم ربا الفضل في الاعيان الستة التي جاءت بها الأحاديث ، وفي آخر حديث عبادة : « فاذا اختلفت هذه الاصناف ، فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدأ بيد ، - قال - وتنازعا فيما سوى ذلك ؛ فطائفة لم تحرم ربا الفضل في غيرها ، وهذا مأثور عن قتادة ، وهو قول أهل الظاهر ، وابن عقيل من أئمة علماء مذهبنا في آخر مصنفاته ، رجع هذا القول ، مع كونه يقول بالقياس . قال ابن عقيل : لأن علل القياس في مسألة الربا ؛ علل ضيقة ، واذا لم يظهر فيه علة امتنع القياس . قال ابن تيمية : وطائفة حرمته في كل مكيلا وموزون ؛ كما يروى عن عمار بن ياسر رضي الله عنه ، وبه أخذ الامام أحمد في المشهور عنه ، وهو قول أبي حنيفة وغيره ، وطائفة حرمته في الطعام ؛ وإن لم يكن مكيلا أو موزونا ، وهذا قول سعيد بن المسيب

والشافعي ، ورواية عن أحمد ، اختارها الموفق ، وهذا قريب من قول مالك :  
القوت وما يصلح أن يدخر للقوت ، ورجح هذا القول ابن تيمية رحمه الله تعالى  
على سائر الأقوال .

(و) لمن صلى الله عليه وسلم (موكله) أي موكل الربا ، بني معطيه ومطعمه ، (و) كذا لمن  
(شاهده) أي شاهد عقده ، (و) كاتبه (لرضاهما به ، وإعطائها عليه ، زاد الطبراني  
من حديث ابن مسعود رضي الله عنه «وم يعلمون ، أي ؛ والحال أن الشاهد  
والكاتب يعلمان أنه ربا ؛ لأن المباشر للمصيبة وكذا المتسبب فيها آثم . وفي  
بعض الروايات «وشاهديه ، بالثنية . والحاصل أن الربا بنوعيه ؛ من أكبر  
الكبائر . وأخرج مسلم وأصحاب السنن وابن حبان في «صحيحه» من حديث  
ابن مسعود رضي الله عنه قال : «لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله ،  
زاد أبو داود والترمذي وصححه ، وابن ماجه وابن حبان «وشاهديه وكاتبه ،  
وروى مسلم حديث جابر المتقدم ولفظه : «لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله  
وكاتبه وشاهديه ، وقال : «م سواء» ، وروى الامام أحمد وأبو يعلى وابن خزيمة  
وابن حبان في «صحيحها» من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : «آكل  
الربا وموكله وشاهداه وكاتبه ؛ إذا علموا به ، والواشمة والمستوشمة للحسن ،  
ولاوي الصدقة ، والمرتد أعرايياً بمد الهجرة ، ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ،  
زاد ابن خزيمة وابن حبان «يوم القيامة» ، وروى الامام أحمد ، والطبراني في  
«الكبير» ، ورجال الامام احمد ؛ رجال الصحيح ، عن عبد الله بن حنظلة  
غسيل الملائكة رضي الله عنها . قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم : «درهم ربا  
يأكله الرجل ؛ وهو يطم ، أشد من ست وثلاثين زنية .

واعلم أن اللمن ؛ أصله الطرد والابعاد من الله تعالى ، ومن الخلق  
السب والدعاء ؛ كما في «النهاية» لابن الاثير وغيره . قال الحجاوي في لغة «اقناعه» :

لعنة لعننا من باب نفع ، طرده وأبعده أو سبه ، فهو لعين وملعون ، والمرأة لعين ، فيجوز لعن نوع الكفار ، والفساق من أصحاب الكبار ؛ كأكلة الربا وشاربي الخمر واللوطية والزناة وتاركي الصلاة ومانعي الزكاة وأضرابهم من أهل الكبار ؛ كما قال تعالى : ( ألا لعنة الله على الظالمين ) وقال صلى الله عليه وسلم : « لعن الله اليهود والنصارى ، وأما لعن كافر معين ، فظاهر المذهب منعه . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : لعن تارك الصلاة على وجه العموم جائز — قال — وأما لعن المعين فالأولى تركها ؛ لأنه يمكن أن يتوب ، والله الموفق .

#### الحديث الرابع

١٩ — حدثنا سفيان بن عيينة ، حدثنا أبو الزبير ، سمعه من جابر : كان ينبذ للنبي ﷺ في سقاء فان لم يكن سقاء ، فتور من حجارة .

قال رضي الله عنه ( حدثنا ) أبو محمد ( سفيان بن عيينة ) - بضم العين المهملة ، وفتح الياء المثناة - تحت - الأولى ، وسكون الثانية ، وفتح النون ، فهاء تأنيث - ابن أبي عمران ، ميمون المكي ، ( حدثنا أبو الزبير ، سمعه ) أي سمع الحديث الآتي ذكره أبو الزبير ( من جابر ) بن عبد الله رضي الله عنها وهو قوله : ( كان ) هذه تفيد كثرة وقوع ما بعدها وهو قوله : ( ينبذ ) أي يطرح التمر ونحوه في الماء ، يقال : نبذت التمر والزبيب ، إذا تركت عليه الماء ؛ ليصير نبيذاً ، انصرف من مفعول ؛ الى فيصل ، وانتبذته ؛ اتخذته نبيذاً ، سواء كان مسكراً أو غير مسكر ، والمراد هنا أنه كان يطرح التمور ( للنبي ﷺ في سقاء ) فيه ماء

يخلو الماء ، وفي مسلم عن عائشة رضي الله عنها « كنا ننبذ لرسول الله ﷺ في سقاء نوكي أعلاه ، فيشربه عشاءً ، ونبذاه عشاءً ، فيشربه غدوةً ، وعند أبي داود من وجه آخر عن عائشة رضي الله عنها « أنها كانت تنبذ للنبي ﷺ غدوةً ، فإذا كان من العشي تعشى فشرب على عشاءه ، فإن فضل صبته ، ثم تنبذ له بالليل ، فإذا أصبح وتعدى شرباً على غدائه ، قالت : نفسل السقاء غدوة وعشية ، ، وفي حديث عبد الله بن الدليمي عن أبيه رضي الله عنه : « قلنا للنبي ﷺ : ما نصنع بالزبيب ؟ قال : انبذوه على عشاءكم ، واشربوه على غدائكم ، أخرجه أبو داود والنسائي . ( فإن لم يكن ) معنا ( سقاء ) ( ف ) كنا ننبذ له ﷺ في ( تور من حجارة ) ، وإنما قيده بكونه من حجارة لأنه قد يكون من غيرها - وهو بفتح المثناة - إناء من حجارة أو من نحاس أو من خشب ، ويقال : لا يقال له تور إلا إذا كان صغيراً ، وقيل : هو قدح كبير كالقدر ، وقيل : مثل الطست ، وقيل : كالأجانة - بكسر الهمزة وتشديد الجيم وبمد الألف نون - وعاء .

ودل الحديث على أن التقيع يسمى نبيذاً ، فيحمل ما ورد في الاخبار بلفظ النبيذ على التقيع . قال المهب : التقيع حلال ما لم يشدد ، فإذا اشتد وغلا حرم ، وشرط الحنفية أن يقذف بالزبد - قال - وإذا نفع من الليل فشرب بالنهار أو بالعكس لم يشدد ، وذكر حديث عائشة المتقدم آنفاً . وأما ما أخرج مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنها : « كان رسول الله ﷺ ينبذ له الزبيب من الليل في السقاء ، فإذا أصبح شربه يومه وليلته من الند ، فإذا كانت مساء شربه أو سقاء الخدم ، فإن فضل شيء أراقه ، ، وقال ابن المنذر : الشراب في المدة التي ذكرتها عائشة يشرب حلواً ، وأما بالصفة التي ذكرها ابن عباس فقد ينتهي إلى الشدة والتليان ؛ لكن يحمل ما ورد من أمر الخدم بشربه على أنه لم

يبلغ ذلك ولكن قرب منه ؛ لأنه لو بلغ ذلك لأسكر ، ولو أسكر لحرم تناوله مطلقاً . انتهى . وقد تعلق بهذا الحديث من قال بجواز شرب قليل ما أسكر كثيره ، ولا يخفى أنه لا حجة فيه أصلاً ، غاية ما فيه أنه بدا فيه بعض تغير في طعمه من حمض أو نحوه فسقاه الخدم . والى هذا أشار أبو داود فقال بعد أن أخرجه : قوله ؛ سقاه الخدم . يريد أنه يبادر به الفساد . انتهى . ويحتمل أن تكون أو في الخبر للتوزيع ، كما جزم به النووي ؛ لأنه قال : سقاه الخدم أو أمر به فأهريق (١) ، أي إن كان بدا في طعمه التغير ولم يشتد سقاه الخدم ، وإن كان اشتد أمر بأهراقه . وحاصله أنه على اختلاف حاله إن ظهر فيه ؛ شدة ؛ صبه ، وإن لم تظهر شدة سقاه الخدم ، أملاً يكون فيه إضاعة مال ، وإعما تركه صلى الله عليه وسلم تنزهاً ، ويجمع بين حديث عائشة وحديث ابن عباس رضي الله عنهم بأن شرب النقيع في يومه لا يمنع شربه في أكثر من يوم حيث لم يشتد .

والذي استقر عليه المذهب أنه يحرم التبيذ والمصير إذا اشتد وإن لم يسكر ، أو تم له ثلاثة أيام ، زاد بعضهم : بلياليها ، وجزم به في « الاقناع » و « المنتهى » ، وإن لم يوجد منه غليان ، إلا أن ينلي قبل ذلك فيحرم ، ولو طبخ قبل التحريم ؛ حل إن ذهب ثلثاه نصاً . وقال الموفق والشارح وغيرهما : الاعتبار في حله عدم الاسكار ، سواء ذهب بطبخه ثلثاه أو أقل أو أكثر . قال في « الفروع » وغيره : وله وضع تمر ونحوه في ماء لتخليته ما لم يشتد ، أو تم له ثلاثة أيام ، نص عليه الامام أحمد رضي الله عنه ، والله أعلم .

(١) هراق الماء وأهرقه وأهراته : أراقه وصبه .

## الحديث الخامس

٢٠ - حدثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي الزبير ، عن

جابر : أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن كسب الحجام

فقال : اعلفه ناضحاً .

قال رضي الله عنه : ( حدثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي الزبير ، عن جابر )  
رضي الله عنه ( أن النبي ﷺ سئل ) بضم السين المهملة ، مبنياً لما لم يسم فاعله ،  
والضمير في سئل يعود الى النبي ﷺ ، محله الرفع على أنه نائب فاعل - ( عن  
كسب الحجام ) أصل الكسب ما يحصل للانسان بسميه ، والكسب : الطلب  
والسمي في طلب الرزق والمعيشة ، والحجام : هو الذي يتماطى لإخراج الدم ،  
( فقال ) ﷺ مجيباً للسائل : ( اعلفه ) - أي الكسب الذي حصل لك بسبب  
إخراج الدم - ( ناضحاً ) ، والجمع نواضح ، وهي الابل التي يستقى عليها ،  
ويجمع ناضح أيضاً على نضاح ، وفي لفظ من ألقاظ هذا الحديث : اعلفه نضاحك ،  
كذا جاء في رواية ، وفسره بعضهم بالريق الذي يكون<sup>(١)</sup> في الابل ، فاللقان  
نضاح ، والابل نواضح ؛ كما في « نهاية ابن الأثير » . وفي آخر « أعلام الموقعين » ،  
للإمام المحقق ابن القيم ما نصه : « سئل صلى الله عليه وسلم عن أجره الحجام  
فقال : اعلفه ناضحاً وأطعمه رقيقك » ذكره الإمام مالك ، وفي مسند الإمام  
أحمد وصحيح مسلم وسنن أبي داود والترمذي من حديث رافع ابن خديج  
رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثمن الكلب خبيث ،  
ومهر البغي خبيث ، وكسب الحجام خبيث » ، وفي الحديث الآخر : « شر الكسب

(١) في الاصل يكوتون : ولله تصيف من الناسخ .

مهر البني ، وثمان الكلب ، وكسب الحجامة ، رواه الامام أحمد ومسلم والنسائي  
 عن رافع ابن خديج أيضاً ، وفي «صحيح البخاري» عن عون بن أبي جحيفة  
 — بالتصغير — قال : « رأيت أبي اشترى حجماً ، فأمر بمحاجمه فكسرت ،  
 فسأته عن ذلك فقال : إن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الدم ، وثمان الكلب ،  
 وكسب الأمة ، ، وقد اختلف في المراد من قوله : نهى عن ثمن الدم ، فقيل :  
 المراد أجرة الحجامة ، وسياق سبب الحديث ظاهر في ذلك ، وهو الذي فهمه  
 الصحابي راوي الحديث . وقيل : هو على ظاهره ، والمراد تحريم بيع الدم ،  
 كما حرم بيع الميتة والخنزير ، وهو ، يعني بيع الدم وأخذ ثمنه حرام إجماعاً ، وأما  
 كسب الحجامة فأكثر السلف والخلف لا يحرمه ولا يحرم أكله ، لا على الحر  
 ولا على العبد ، وهو المشهور من مذهب الامام أحمد ، وفي رواية عنه قال بها  
 فقهاء المحدثين : يحرم على الحر دون العبد . قال ابن دقيق العيد في «شرح  
 العمدة» : والخبيث من حيث هو لا يدل على الحرمة صريحاً ، ولذا جاء في كسب  
 الحجامة أنه خبيث ، ولم يحمل على التحريم لدليل خارجي ؛ وهو أن النبي ﷺ  
 احتجم وأعطى الحجامة أجرة ، وهو في «الصحيحين» من حديث ابن عباس  
 رضي الله عنهما ، ولو كان حراماً لم يمطه ، وحملوا أحاديث النهي على التنزيه  
 والارتفاع عن ذنوب الاكتساب ، والحث على مكارم الأخلاق ومعالج الأمور ،  
 ولو كان حراماً لم يفرق فيه بين الحر والعبد ؛ فإنه لا يجوز للشخص أن يطعم  
 عبده ما لا يحل . وأما اقترانه بثمان الكلب ومهر البني — وهما حرام عند الجمهور ،  
 وسواء كان الكلب مملئاً أو لا ، خلافاً لأبي حنيفة في تجوز بيع الكلب إذا كان  
 فيه منفعة ، وإحدى الروايات عن مالك — فدلالة الاقتران ضئيفة .

قال الخطابي : قد يجمع الكلام بين القرائن في اللفظ ويفرق بينها في  
 المعنى ، ويعرف ذلك من الأغراض والمقاصد ، فأما مهر البني وثمان الكلب فيريد

بالخبيث فيها ، الحرام ؛ لأن الكلب نجس والزنا حرام ، وبذل الموض عليه وأخذه حرام ، وأما كسب الحجام فيريد بالخبيث الكراهية ؛ لأن الحجامة مباحة . وقد يكون الكلام في القمل الواحد ، بمضه على الوجوب وبمضه على الندب ، وبمضه على الحقيقة وبمضه على المجاز ، ويفرق بدلائل الأصول واعتبار معانيها . انتهى . قال الامام ابن القيم : من المواضع التي يظهر فيها ضعف دلالة الاقتران عند تمدد الجمل واستقلال كل واحدة منها بنفسها ، كقوله ﷺ : « لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ولا يقتسل فيه من جنابة » قلت : وما نحن بصده من هذا القبيل ، فان كل جملة من الجمل التي في ضمن هذا الحديث ، مفيدة لمناها وحكما وسيبها وغايتها ، منفردة به عن الجملة الاخرى ، واشتراكها في مجرد المطف لا يوجب اشتراكها فيما وراءه ، والله الموفق .

تنبية : يدخل في عموم الحجام الفاسد والشارط ، وكل من يكون كسبه باخراج الدم ، لا الطبيب والكحال والبيطار ونحوهم ، فلا يدخل هؤلاء في لفظ الحجام ولا معناه . قال الامام ابن القيم في « المهدي » : « حكم النبي ﷺ بجث كسب الحجام ، وأمر صاحبه أن يلفه ناضحه أو رقيقه ، صح عنه ذلك ، وصح عنه أنه احتجم وأعطى الحجام أجره ، فأشكل الجمع بين هذين على كثير من الفقهاء ، وظنوا أن النهي عن كسبه منسوخ بإعطائه أجره ، وبمن سلك هذا المسلك الامام الطحاوي . قال الامام ابن القيم : هذه - يعني دعوى النسخ - دعوى مجردة لا دليل عليها ، فلا تقبل ، فان النبي ﷺ لم يقل : إعطاء الحجام خبيث ، بل إعطاؤه إما واجب وإما مستحب وإما جائز ؛ ولكن هو خبيث بالنسبة الى الآخذ ، وخبثه بالنسبة الى آكله ، فهو خبيث الكسب ، ولا يلزم من ذلك تحريمه - قال - وقد سمي النبي ﷺ الثوم والبصل خبيثين مع إباحة أكلها ، فثبت أجره الحجام من جنس أكل الثوم والبصل ؛ لكن هذا خبيث لرائحته وهذا خبيث لكسبه ، وبالله التوفيق .



## الحديث السادس

٢١ - حدثنا سفيانُ ، حدثنا أبو الزبير ، قال : سمعت جابر

ابن عبد الله يقول : قال رسول الله ﷺ :

لا يَبِيعُ حاضرٌ لبادٍ ، دعوا الناس يرزقُ اللهُ بعضهم

من بعضٍ .

قال رضي الله عنه : ( حدثنا سفيان ) ابن عيينة ( حدثنا أبو الزبير قال :

سمعت جابر بن عبد الله ) رضي الله عنها ( يقول : قال رسول الله ﷺ : لا يبيع

حاضر ) بالبلد ، عارف بالسمر ( لباد ) أي قادم على بلد من غير أهلها ، سواء كان

من أهل البادية أو من أهل القرى ؛ لأن العلة واحدة . قال طاووس : قلت

لابن عباس رضي الله عنها : ما قوله ﷺ حاضر لباد ؟ قال : لا يكون له سمسار .

قال في « القاموس » : السمسار - بالكسر - المتوسط بين البائع والمشتري ،

والجمع سمسرة ؛ والسمسار أيضاً مالك الشيء وقيّمه والسفير بين المحبين ،

وسمسار الأرض العالم بها ، وهي بهاء ، والمصدر السمسرة . انتهى . والمراد هنا

الأول . قال في « المنهجي » وشرحه : وإن حضر بادٍ - أي قدم على بلد انسان من

غير أهلها - لبيع سلعته بسعر يومها وجهل السعر ، وقصده - أي القادم لبيع

سلعته - حاضر بالبلد عارف بالسعر ، وكان بالناس الى السلعة التي حضر القادم

بها ليبيها حاجة ، حرمت مباشرة الحاضر القاصد القادم لبيع سلعته ، البيع له

- أي للقادم بالسلعة - وبطل البيع على الأصح ، سواء رضي أهل البلد بذلك

أولا في الأصح ، فان فقد شيء مما ذكر ، بأن قدم لا يبيع سلمته ، أو ليبيها ولكن لا يجهل السمر ، أو جهله ولكن لم يقصده الحاضر العارف بالسمر ، أو قصده وكان غير عارف بالسمر ، أو كان كذلك ولكن لم يكن بالناس حاجة الى السلمة ؛ صح البيع ، كشراء الحاضر للبادي . وأما إن وجدت هذه الشروط كلها ؛ فالبيع باطل على الأصح ، نص عليه الامام أحمد رضي الله عنه في رواية إسماعيل بن سعيد ، وكذا في مذهب الامام مالك على إحدى الروايتين عنه ، وقال مالك في رواية أخرى : يفسخ العقد عقوبة ، وروي عنه : لا يفسخ ، وكرهه أبو حنيفة والشافعي مع صحته عندهما ، ولا يخفى قوة القول بطلانه لظاهر هذا الحديث . قال علماؤنا وغيرهم : والمعنى في ذلك أن البادي اذا ترك بيع سلمته ربعا باعها برخص وهو القالب ، فتحصل التوسعة على الناس ، بخلاف ما إذا تولى الحاضر ، فانه لا يبيع إلا بسمر البلد ، وقد أشار عليه السلام الى ذلك بقوله : ( دعوا ) - أي اتركوا - ( الناس ) على حالهم في بيعهم وشراهم ، ( يرزق الله ) سبحانه وتعالى ( بعضهم من بعض ) بسبب كساهل بعضهم وسماحة البعض . وفي حديث أبي السائب جد عطاء ابن السائب رضي الله عنه مرفوعاً « دعوا الناس يصيب بعضهم من بعض ، فاذا استنصح أحدكم أخاه فلينصحه ، رواه الطبراني باسناد صحيح ، وذلك لأن أيدي العباد خزائن الملك الجواد ، فلا يمرض لها إلا باذن ، فلا تسمروا ولا تلتقوا الركبان ، ولا يبيع حاضر لباد . وقد روى نهي بيع الحاضر للبادي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة ؛ منهم ابن عباس ، رواه الامام أحمد والشيخان وأصحاب السنن إلا الترمذي ، ومنهم أبو هريرة ، متفق عليه ، ومنهم ابن عمر ، رواه البخاري والنسائي ، ومنهم أنس ، وافظه : « قال : نهيتا أن يبيع حاضر لباد وإن كان أخاه لأبيه وأمه ، متفق عليه ، ولأبي داود والنسائي : « أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يبيع حاضر لباد وإن كان أباه أو أخاه ، ومنهم جابر ، وحديثه المشروح ، رواه مسلم

وأبو داود والترمذي وابن ماجه . فهذه الأحاديث وغيرها مما لم تذكره مع تنوع مخارجها وتباين طرقها مع اتحاد معناها يدل دلالة ظاهرة على ما ذهب اليه الامام أحمد رضي الله عنه ؛ لأن النهي فيها ورد عن نفس البيع ، فلا جرم قلنا بطلانه وعدم صحته حيث وجدت فيه الشروط التي أشرنا اليها . قال في «الفروع» : وإن أشار حاضر على بائٍ ولم يباشر بيعاً لم يكره ، خلافاً لما لك ، ويتوجه : إن استشاره وهو جاهل بالسعر ؛ لزمه بيانه لوجوب النصيح ؛ كما في حديث أبي السائب المتقدم آنفاً ، والله أعلم .

### الحديث السابع

٢٢ - حدثنا سفيان ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، عن النبي ﷺ : أيكم كانت له أرض أو نخل ، فلا يبيعها حتى يعرضها على شريكه .

قال رضي الله عنه : (حدثنا سفيان) هو ابن عيينة ، (عن أبي الزبير) هو محمد بن مسلم المكي ، (عن) أبي عبد الله (جابر) بن عبد الله رضي الله عنها ، (عن النبي ﷺ) أنه قال : (أيكم) معشر الصحابة فمن بعدهم . (كانت له أرض) رابع (أو نخل) يعني بأرضه ، وله فيها شريك ، يدل له قوله في بعض الروايات : أو حائط ، فأراد أن يبيع شيئاً من هذه الاشياء (فلا يبيعها) ولا شيئاً منها (حتى يعرضها على شريكه) المشارك له فيها . وفي (صحيح مسلم) و«سنن أبي داود» و«النسائي» من حديث جابر رضي الله عنه : «أن النبي ﷺ قضى بالشفعة في كل شركة لم تقدم ربعة ، أو حائط ، فلا يحل له أن يبيع حتى يؤذن شريكه ، فإن شاء أخذ وإن شاء ترك ،

فان باعه ولم يؤذنه فهو أحق به ، . وروى عبد الله بن الامام أحمد في : « زوائد المسند » من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه : « أن النبي ﷺ قضى بالشفعة بين الشركاء في الارضين والدور . وفي « صحيح البخاري » عن جابر رضي الله عنه « جعل ، وفي لفظ « قضى النبي صلى الله عليه وسلم بالشفعة في كل مالم يقسم ، فاذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة » . ورواه الامام أحمد وأبو داود وابن ماجه ، وفي لفظ : « إنما جعل النبي صلى الله عليه وسلم الشفعة... الحديث » ورواه الترمذي وغيره ، وفي مسلم من حديثه رضي الله عنه : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشفعة في كل شركة في أرض أو ربيع<sup>(١)</sup> أو حائط ، لا يصلح أن يبيع حتى يعرض على شريكه فيأخذ أو يدع ، فان أبي فشريكه أحق به حتى يؤذنه » .

ففي هذه الاحاديث بيان تفصيل ما أجمله في قوله : « في كل مال » ، يعنى من العقارات ، فلا تجب الشفعة فيما ليس بعقار ؛ كشجر وحيوان مفردين ، وجوهر وسيف ، نعم يؤخذ البناء والعقار تبعاً للأرض . وشذ قوم من الناس فائتها في المنقولات متملئين بموم هذا الحديث مع أن آخره يشعر بأن المراد بالمال العقار ؛ لأنه الذي تدخله الحدود وصرف الطرق .

### تفسيحات

الأول : الشفعة معناها ائمة الزيادة ؛ لأن الشفيع يضم ما يشفع فيه الى نصيبه ، فكانه كان وترأ فصار شفيعاً ، والشفيع فعيل بمعنى فاعل ، وعرفاً : استحقاق الشريك انتزاع حصة شريكه المنتقل عنه من يد من انتقلت اليه . زاد في « الاقناع » : إن كان مثله أو دونه بموض مالي<sup>٢</sup> بشمته الذي استقر عليه المقدم . ولا شفعة لكافر حين البيع - أسلم بعد أو لا - على مسلم ولو ذمياً ، خلافاً للثلاثة .

(١) الربع : الدار بعينها حيث كانت ، جمعها رباع .

قال في « الفروع » : لاشفعة لكافر على مسلم ، نص عليه الامام أحمد رضي الله عنه . قال في « الانصاف » : - وهو المذهب وعليه الأصحاب - وهو من مفردات المذهب . انتهى . وبه قال الحسن والشعبي ، وقد روى الدار قطني في « كتاب الملل » عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لاشفعة لنصراني » ، فهذا يخص عموم ما تعلقوا به من الاحاديث ، وقد بينت وجه المذهب من جهة الدليل والتطليل في « شرح عمدة الأحكام » .

الثاني : يعتبر كون المبيع شقصاً<sup>(١)</sup> مشاعاً ، مع شريك ولو مكاتباً ، من عقار ينقسم قسمة إجبار ، فأما المقسوم المحدود فلا شفعة فيه ، ولا شفعة فيما لا يجب قسمته ؛ كحجام صغير وبشر وطرق وعراص ضيقة ، خلافاً لأبي حنيفة ، وحجة الجمهور قول جابر رضي الله عنه : « إنما جعل النبي صلى الله عليه وسلم الشفعة في كل مالم يقسم . . . الحديث » . وهذه الصيغة في النبي تشعر بقبول القسمة ، فيقال للبصير : لم تبصر كذا ، ويقال للأكمه : لا تبصر كذا ، وإن استعمل كل من الأمرين في الآخر فذلك للاحتمال ، فعلى هذا يكون في قوله : « فيما لم يقسم » إشاراً بأنه قابل للقسمة ، فإذا دخلت إنما المفيدة للحصر اقتضت انحصار الشفعة في القابل للقسمة دون غيره ، ذكره ابن دقيق العيد في « شرح العمدة » ، ولما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لاشفعة في فناء ولا طريق ولا متقبة » ، والمتقبة : الطريق الضيق بين دارين لا يمكن أن يسلكه أحد ، ذكره أبو الخطاب في كتابه « رؤوس المسائل » ، وأبو عبيد في « الغريب » ، وروي عن عثمان رضي الله عنه أنه قال : لا شفعة في بشر ونخل ، ولأن إثبات الشفعة في مثل هذه الأشياء يضر بالبائع ؛ لأنه لا يمكنه أن يتخلص من إثبات الشفعة في نفسه بالقسمة .

(١) الشقص : السهم والنصيب

الثالث : يؤخذ من حديث جابر الذي رواه الامام أحمد والبخاري وغيرهما فاذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة « عدم ثبوتها للجار ، وهو ممتد المذاهب الثلاثة ، وقال أبو حنيفة : تجب الشفعة للجار ، وهو رواية عن أحمد ، إلا أنها مرجوحة بالمرّة .

واستدل من أوجبها للجار بحديث سمرة بن جندب رضي الله عنه ، أنه **ﷺ** قال : « جار الدار أحق بدار الجار » رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي ، ورواه النسائي وأبو يعلى في «مسنده» ، وابن حبان من حديث أنس ، ورواه الطبراني من حديث سمرة أيضاً بلفظ : « جار الدار أحق بالشفعة » ، وبما روى البخاري وأبو داود والنسائي عن أبي رافع مرفوعاً : « الجار أحق بصقبة » ، وبما روى الامام أحمد وأصحاب السنن من حديث جابر مرفوعاً : « الجار أحق بشفعة جاره ، ينتظر بها وإن كان غائباً ؛ بأن كان طريقها واحداً ، والمانعون أجابوا عن هذه الاحاديث بأجوبة ؛ أما ما في البخاري من قوله : « أحق بصقبة » فقد أبهم الحق ولم يصرح به ، فلم يجوز أن يحمل على العموم في مضمرة ؛ لأن العموم يستعمل في المنطوق به دون المضمرة . قال الخطابي وابن الاثير : الصقب - بالصين والصاد - في الاصل القرب ، وقال في « القاموس » الجار أحق بصقبة ؛ أي بما يليه ويقرب منه ، وقال الملقمي في حاشية « الجامع الصغير » : يحتج بهذا الحديث من أوجب الشفعة للجار - قال - ومن لم يثبتها للجار تأول الجار على الشريك ، ويحتمل أن يكون المراد أحق بالبر والمعونة وما في معناها ، بسبب قربه من جاره . وأجابوا عن حديث سمرة بأن أهل الحديث اختلفوا في لقاء الحسن له ، ومن أثبت لقاءه قال : إنه لم يرو عنه إلا حديث العقبة ، وقد رواه الحسن عن سمرة ، وعن حديث « الجار أحق بشفعة جاره ينتظر بها وإن كان غائباً » ، بأن شعبة قال : سها فيه عبد الملك بن سليمان الذي الحديث من روايته ، قال الامام أحمد :

هذا الحديث منكر ، وقال ابن معين : لم يروه غير عبد الملك ، وقد أنكر عليه ، قال الامام محمد الدين في كتابه «منتقى الاحكام» ، ويقوى ضعفه بحديث جابر ، يعني الذي ذكرناه ، فاذا وامت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة ، قال بعض علماء الحنفية : يلزم الشافعية القائلين بحمل اللفظ على حقيقته ، ومجازه أن يقولوا بشفعة الجوار ؛ لأن الجار حقيقة في الجوار ، مجاز في الشريك ، وأجيب عنه ؛ بأن محل ذلك عند التجرد عن القرائن ، وقد قامت القرينة هنا للمجاز ، فاعتبر جمعا بين حديثي جابر وأبي رافع ، فان حديث جابر صريح في اختصاص الشفعة بالشريك ، وحديث أبي رافع مصروف الظاهر اتفاقا ؛ لأنه يقتضي أن يكون الجار أحق من كل أحد ، حتى من الشريك ، ولا قائل به ، فان القائلين بشفعة الجوار ؛ قدموا الشريك مطلقاً ، ثم المشارك في الطريق ، ثم الجار على من ليس بمجاور .

قلت : واختار شيخ الاسلام ابن تيمية ، ثبوت الشفعة للجار ، بشرط أن يكون شريكاً في الطريق ، محتجاً بآخر حديث جابر مرفوعاً : «الجار أحق بشفعة جاره ، ينتظر بها اذا كان غائباً ؛ بأن كان طريقها واحداً ، وتقدم قريباً . قال : وهذا ظاهر كلام الامام أحمد في رواية أبي طالب . حيث قال : « اذا كان طريقها واحداً ، شركاء لم يقتسموا ، فاذا طرقت وعرفت الحدود ؛ فلا شفعة » قال الحارثي من فقهاء مذهبنا : وهذا الصحيح الذي يتعين المصير اليه ، وفيه جمع بين الاخبار ، فيكون أولى بالصواب .

الرابع : يشترط للأخذ بالشفعة ، مع ما تقدم المطالبة بها فوراً ، وأخذ جميع المبيع ، وأن يكون للشفيع ملك الرقبة سابقاً . وعن أبي حنيفة ؛ لا بد من طلبها على الفور ، حتى إن علم وسكت هنيئة ، ثم طلب فليس له ذلك . وعنه رواية أخرى له : ما دام قاعداً في ذلك المجلس ؛ فله أن يطالب بالشفعة ؛ ما لم يصدر منه ما يدل على الاعراض ، من نحو قيام واشتغال بشغل آخر . وعند

مالك : لا ينقطع استحقاقه بسكوته عن الطلب ؛ إلا بعد سنة . وعنه : لا ينقطع إلا أن يأتي عليه من الزمان ما يمل به أنه تارك لها ، فأما طلبها عنده فملى التراخي . وقال الشافعي في « القديم » : إنها على التراخي ، وفي « الجديد » : إنها على الفور . قال الامام أحمد : الشفعة بالمواثبة ساعة يمله ، ودليله حديث عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشفعة كحل العقال » ، وفي لفظ « الشفعة كمنشطة العقال » ، إن قيدت ثبتت ، وإن تركت ؛ فاللوم على من تركها ، قال الامام الموفق ابن قدامة في « مغنيه » : رواه الفقهاء في كتبهم .

اغلامى : لا يحل الكذب والتحيل على إسقاط حق المسلم من الشفعة وغيرها ، ويجب على المشتري تسليم الشقص بالثمن الذي وقع عليه المقد باطناً ، والتحيل على إسقاطها بعد وجوبها حرام بالاتفاق ؛ كما في « مختصر فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية » ، وإنما النزاع في الاحتيايل عليها قبل الوجوب ، ومعمد مذهب الامام أحمد حرمة ذلك ؛ لأنه وسيلة لاسقاط حق المسلم ؛ ولا تسقط ، والله أعلم .

السادس : الاعتبار في إسقاط الشفعة بعد البيع . أما لو أذن الشريك لشريكه في البيع ؛ أو أسقط شفخته قبل البيع ، لم تسقط ، وفيه رواية عن الامام أحمد أنها تسقط باسقاطها ولو قبل البيع ، والمعتمد : لا ، كما لا تسقط بدلالته في البيع ، ورضاه به ، وضمان ثمنه ، ولا بتوكيله فيه لأحدهما في الاصح ، ولا بسلامه على المشتري ، أو دعائه له بالبركة ، أو غيرها ؛ لأنه إن كان بالبركة في البيع ، فهو لنفسه ؛ لأن الشقص يرجع اليه ، وإن كان بغير ذلك ؛ ؛ فهو من توابع السلام ، فيلحق به . والمسقط للشفعة الرضى بتركها بعد وجوبها . ولم يوجد وأمثلاً عدم إسقاط الشفعة باسقاطها قبل البيع ؛ لأنه إسقاط حق ، قبل وجوبه ؛ فلا يسقط ، كما لو أبرأه مما سيقرضه له .



## الحديث الثامن

٢٣ - حدثنا سفيان ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال :  
جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : رأيت كأن  
عنقي ضربت . قال : لم يحدث أحدكم بتلعب الشيطان ؟ .

قال رضي الله عنه : ( حدثنا سفيان ) بن عيينة ( عن أبي الزبير عن جابر )  
رضي الله عنه ( قال : جاء رجل الى النبي ﷺ ) وفي « صحيح » مسلم من  
حديث جابر رضي الله عنه قال : « جاء أعرابي النبي ﷺ » ( فقال ) :  
يا رسول الله ( رأيت ) في المنام ( كأن عنقي ضربت ) ولفظ « صحيح » مسلم « كأن  
رأسي ضرب ، فتدحرج فاشتددت على أثره ، وفي لفظ « صحيح » مسلم عن  
جابر أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه قال لأعرابي جاءه فقال : إنني  
حلمت أن رأسي قطع ، فأنا أتبعه ، فزجره النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي لفظ  
آخر « يا رسول الله ! رأيت في المنام كأن رأسي قطع ، فضحك ، وفي آخر  
« رأيت البارحة فيما يرى النائم ؛ كأن عنقي ضربت وسقط رأسي ، فاتبعته  
فأخذته فأعدته » ( قال ) رسول الله صلى الله عليه وسلم للرجل بعد ما زجره ( لم )  
اللام للتعليل ؛ وما استفهامية ، فهو استفهام إنكاري ، حذف منها الألف للدخول  
حرف الجر عليها ، كـ « عم يتساءلون (١) ؟ فيم كنتم (٢) ؟ لم تبدوا ما لا يسمع ولا يبصر  
ولا يعني عنك شيئاً » (٣) ونظائرها . والسر في حذف الألف من ما الاستفهامية  
عند حرف الجر . كما في « بدائع الفوائد » إرادة مشاكلة اللفظ للمعنى ، فحذفوا  
الألف ، لأن معنى قولهم : فيم ترغب ؟ في أي شيء ؟ إلام تذهب ؟ أي الى أي

(٢) سورة النساء ، الآية : ٩٧

(١) سورة عم ، الآية : ١

(٣) سورة برئ ، الآية : ٤٤

شيء ؟ وحتام لا ترجع ؟ أي الى أي غاية تستمر ؟ فحذفوا الألف مع الجار ، ولم يحذفوها في حال النصب والرفع ، كيلا تبقى الكلمة على حرف واحد ، وإذا اتصل بها حرف الجر ؛ أو اسم مضاف اعتمدت عليه ؛ لأن الخافض والمفوض بمنزلة كلمة واحدة . وربما حذفوا الألف في غير موضع الخفض ؛ ولكن إذا حذفوا الخبر فيقولون : مه يزيد ؟ أي ما الخبر وما الأمر ؟ فلما كثر الحذف في المعنى كثر في اللفظ ؛ ولكن لا بد من ها السكت ليقف عليها .

( يحدث أحدكم ) معشر الناس ( بتلمب الشيطان ) الذي هو إبليس ، ومن زاد خبثه من ذريته . مأخوذ من شطن إذا بمد ، لأنه قد طرد ، وبمد عن رحمة الله ورضاه ، أو من شاط إذا احترق ، لأنه يحرق بنار جهنم ، وبنار العضب ، والابعاد . ولفظ « صحيح » مسلم « لا تخبر بتلمب الشيطان بك في المنام » ، وفي لفظ له « لا تحدث الناس بتلمب الشيطان بك في منامك » ، وفي آخر « إذا لمب الشيطان بأحدكم في منامه فلا يحدث به الناس » ، واللعب ضد الجد ، يقال : لمب - كسمع - لعباً ولعباً ولعباً وتلعباً ولعباً ، وفي الحديث « لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعباً جادا ، أي يأخذه ، ولا يريد سرقة » ؛ ولكن يريد إدخال الهم والقيظ عليه ، فهو لاعب في السرقة ، جاد في الأذية . والمراد هنا بتلمب الشيطان ، أنه يريه في منامه ما يحزنه ، ويدخل عليه الهم والقيظ ، ويخلط عليه في رؤياه ، فهو يتلاعب به ، يقال لكل من عمل عملاً لا يجدي عليه نفعا : إنما أنت لاعب . وفي حديث الاستنجاء : « إن الشيطان يلعب بمقاعد بني آدم » ، أي انه يحضر أمكنة الاستنجاء ويرصدها بالأذى والفساد ؛ لأنها مواضع يهجر فيها ذكر الله ، ويكشف فيها العورات ، فأمر بسترها ، والامتناع من التمرض لنظر الناظرين ومهابة الرياح ورشاس البول ، وكل ذلك من لعب الشيطان .

## تنبيهات

**الأول :** يحتمل أن النبي ﷺ علم أن منام هذا الرجل من الأضغاث بوحى ، أو بدلالة من المنام دلته على ذلك ، أو على أنه من المكروه الذي هو من تخويف الشيطان ، كما في «النهاية» ، كما أشار الى ذلك النووي والمازري وغيرهما .  
وأما العابرون فيتكلمون في كتبهم على رؤيا قطع الرأس ، ويحملونه يدل على مفارقة الرأي ما هو فيه من النعم ، أو مفارقة قومه ، أو زوال سلطانه ، أو تغير حاله في جميع أموره ؛ إلا أن بكرن رقيقاً فيدل على عتق — ه — ، أو مريضاً فيدل على شفائه ، أو مديوناً فيدل على قضاء دينه ، أو لم ينجح فيدفع عنه ، أو يكون مغموماً فيدل على كشف غمه ، أو مهوماً فيدل على تفريج همه ، أو خائفاً فلى أمنه .

**الثاني :** جاء في الرؤيا الصالحة عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث منها : ما رواه الشيخان وأبو داود والترمذي من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الرؤيا الصالحة من الله ، والحلم من الشيطان ، فإذا رأى أحدكم شيئاً يكره فلينبث حين يستيقظ عن يساره ثلاثاً ، وليتوذ بالله من شرها فإنها لا تضره » ، وأخرج الامام أحمد وابن ماجه عن ابن عمر ، وعزي لمسلم أيضاً ، وذكره الحافظ عبد الحق الاشبيلي في جمعه ، وقال الحميدي في جمعه : لم أجده في كتاب مسلم ، وروى الامام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهم عن النبي ﷺ : « الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزءاً من النبوة » ، وفي الحديث الآخر عنه ﷺ : « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » ، رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري ، ومسلم عن عبد الله ابن عمرو بن العاص وأبي هريرة ، والامام أحمد عن أبي رزين العقيلي ،

والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنهم بأسانيد صحيحة . وفي «مسند» الامام أحمد وسنن الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « الرؤيا ثلاث ؛ فبشرى من الله ، وحديث النفس ، وتخويف من الشيطان . فان رأى أحدهم رؤيا تعجبه فليقصها إن شاء ، وإن رأى شيئاً يكرهه فلا يقصه على أحد ، وليقم فليصل » زاد في رواية : « وايستعد بالله فانها لا تضره » ، وأكره الغل ، أي رؤيا الغل ؛ بأن يرى نفسه مغلولاً في النوم ، وهو ما كان في المنق ؛ لأنه إشارة الى تحمل دين أو مظالم أو كونه محكوماً عليه . قال : وأحب القيد يراه الانسان في المنام فيرجليه ؛ لأن القيد ثبات في الدين . وفي «سنن ابن ماجه» من حديث عوف بن مالك مرفوعاً : « الرؤيا ثلاثة ؛ منها تهويل من الشيطان ليحزن ابن آدم ، ومنها ما يهيم به الرجل في يقظته فيراه في نومه ، ومنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » .

الثالث : قال ابن العربي : الرؤيا ادراكات يلقها الله تعالى في قلب الصبد على يد ملك أو شيطان ، إما بأسمائها أي حقيقتها ، وإما بكناها ، وإما تخليطاً . ونظيرها في حال اليقظة ، الخواطر الواردة على فكر الانسان وقلبه ، فانها تأتي على نسق ، وقد تأتي مسترسلة غير محصلة .

وقال المازري : كثر كلام الناس في حقيقة الرؤيا ، حتى قال فيها غير الاسلاميين أقاويل كثيرة منكرة ، لأنهم حاولوا الوقوف على حقائق لا تدرك بالمقل ، ولا يقوم عليها البرهان ، وهم لا يصدقون بالسمع ، فاضطربت أقوالهم . فالاطباء ينسبون الرؤيا الى الاخلاط الأربعة ، وهو أمر لا دليل عليه ، والفلاسفة يزعمون أن صور ما يجري في الأرض هي في العالم العلوي كالنقوش (١) فما حاذى بعض (٢) منها انتقش في قلب النائم .

(١) هي نظرية الاطالون المروفة بنظرة المثل العليا .

(٢) لعلها : بعضاً .

وقال قوم : هي اعتقادات يخلقها الله في النائم ، كما يخلقها في قلب اليقظان ،  
فاذا خلقها فكانه جعلها علماً على أمور أخرى ، فيخلقها في ثاني الحال .  
وتلك الاعتقادات تارة تقع بحضرة الملك فيقع بعدها ما يسر ، أو بحضرة  
الشیطان فيقع بعدها ما يضر .

وفي الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعاً .  
رؤيا المؤمن كلام يكلم به البدر به في المنام . رواه الطبراني والضياء وكذا  
الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » .

وقد فسره بعض السلف بنحو ما تقدم قال : بأن يخلق الله في قلبه ادراكاً  
كما يخلق في قلب اليقظان .  
وبه فسروا قوله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من  
وراء حجاب . » (١)

- قال بعض السلف : « من وراء حجاب ، في منامه . فاذا طهرت النفس من  
الذائل ، انجلت مرآة القلب ، وقابل اللوح المحفوظ في النوم ، وانتقش فيه من  
عجائب النيب ، وغرائب الانباء .  
فإن الصديقين من يكون له في منامه مكالمة ومحادثة ، ويأمره الله وينهاه  
في المنام .

وفي « اعلام الموقعين »: سئل صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى : « لهم البشرى في الحياة  
الدنيا وفي الآخرة » (٢) فقال : هي الرؤيا الصالحة ، يراها الرجل ؛ او ترى له ،  
ذكره الامام احمد . انتهى .

وفي حديث أبي هريرة عند البخاري ، وفي حديث ابن عباس عند مسلم :  
« لم يبق بمدي من النبوة إلا البشريات ؛ الرؤيا الصالحة » .

ومنى ذلك ، أن الرؤيا الصالحة ؛ تهيء في الصحة والبيان على موافقة  
النبوة ، لأن النبوة انقطعت بموته صلى الله عليه وسلم . وقيل : المعنى ؛ انها جزء من

(٢) سورة يونس ، الآية : ٦٤

(١) سورة الشورى ، الآية : ٥١

عليها . لأنها وإن انقطعت ؛ فعملها باق . وقيل : لأنها تشابهها في صدق الاخبار عن الغيب . وقيل : المعنى ؛ ان مدة الوحي كانت ثلاثة (١) وعشرين سنة ، منها ستة أشهر منام ، وذلك جزء من ستة وأربعين . قال الحافظ السيوطي : وهذا عندي من الأحاديث المتشابهة ، التي تؤمن بها ، ونكل معناها .

المراد الى قائله صلى الله عليه وسلم : ولا نخوض في تعيين الجزء المشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم : الرؤيا جزء من ستة وأربعين . وأقل ما ورد في ذلك جزء من ستة وعشرين . وأكثرها جزء من ستة وسبعين ، وبين ذلك أربعين ، وأربعة وأربعين ، وخمسة وأربعين ، وستة وأربعين ، وسبعة وأربعين ، وتسعة وأربعين ، وخمسين وسبعين .

وأصحها مطلقاً ؛ ستة وأربعين ، ويليه السبعون .

وجمع بعضهم بين الروايات ، بان الاختلاف بحسب مراتب الاشخاص . قال القرطبي : المسلم الصادق الصالح يناسب حاله حال الانبياء ، وهو الاطلاع على الغيب بخلاف الكافر والفاسق والمخلط ، كذا قال :

قلت : بل يشابه حال الانبياء في صحة رؤياه وصفاء خاطره واتصال روحه في حال نومه بعالم الملكوت ، والله الموفق .

الرابع : في آداب الرؤيا الصالحة وغيرها .

أما الصالحة ؛ فلها ثلاثة آداب : أن يحمد الله عليها ، وأن يستبشر بها ، وأن يتحدث بها ، لكن لمن يجب دون من يكره .

وأما آداب الرؤيا المكروهة ، فستة أشياء :

الأول : أن يتموذ بالله من شرها .

الثاني : أن يتموذ بالله من الشيطان . الحديث : « إذا رأى أحدكم رؤيا

(١) كذا الاصل : وصوابها : ثلاثة

يكرها فليتحول ولينقل عن يسارة ثلاثاً وليسأل الله من خيرها وليتموذ بالله من شرها ، رواه ابن ماجة بإسناد حسن من حديث أبي هريرة مرفوعاً .  
يعني بقول : اللهم إني أعوذ بك من شر ما رأيت ومن شر الشيطان .  
وفي حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً : « وليستمد بالله من الشيطان ثلاثاً »  
رواه مسلم وأبو داود وابن ماجة .

أي بأن يقول : « أعوذ بالله من شر الشيطان أو من شرها لأنها بواسطته .  
الثالث : أن يتفل حين ينتبه من نومه — عن يساره ثلاثاً ، أي ييصق  
عن جانبه الايسر ثلاث مرات بصقاً خفيفاً كراهة لما رأى وتحقيراً للشيطان الذي  
حضر تلك الرؤيا ؛ وخص اليسار لانه محل الاقدار ، والتثليث لتأكيده .

وهذا ورد في عدة أحاديث في « الصحيحين » وغيرها ، عن عدة من الصحابة .  
وفي آخر الحديث فانه اذا فعل ذلك لاتضره ، أي تلك الرؤيا .

الرابع : أن يتحول عن جنبه الذي كان مضجماً عليه حين رأى ذلك ، الى جنبه الثاني تفاؤلاً بتحويله وانتقاله ، ولجانبه مكان الشيطان ، أن تتحول الرؤيا  
من المكروه الى المبوب ، وتنتقل من المضر الى المسر (١) .

وقد جاء ذلك في عدة أحاديث ، في مسلم وغيره ، ففي حديث جابر عند مسلم مرفوعاً : « ولينحول عن جنبه الذي كان عليه » .

الخامس : أن لا يذكرها لاحد أصلاً ، وقد جاء ذلك في عدة أحاديث في « الصحيحين » وغيرها .  
ففي حديث أبي قتادة عندهما في الرؤيا التي يكرها « ولا يخبر بها أحداً » .

وفي حديث أبي قتادة أيضاً عندهما : « ولا يحدث بها أحداً فانها لاتضره » .  
وفي حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري : « ولا يذكرها لاحد فانها

---

(١) والصواب : الى اليسار

لاتضره . . . وتقدم نهي النبي صلى الله عليه وسلم الرجل الذي تحدث برؤيا ضرب عنقه .

والسر في ذلك النهي ، لأن الحديث بها ، ربما فسرها بمكروه على ظاهر صورتها ، ويكون ذلك محتملا ، فيقع بتقدير الله تعالى : « فان الرؤيا على رجل طائر مالم تعبّر ، فان عبرت وقعت » كما في حديث أبي رزين رضي الله عنه مرفوعا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه

ومعناه أن الرؤيا اذا كانت ، محتملة وجهين ، فعبرت باحدهما وقعت ، على قرب تلك الصفة .

قال أهل التمييز : قد يكون ظاهر الرؤيا مكروهاً ، وتعبيرها محبوب ، وعكسه .

وقال الخطابي من قوله صلى الله عليه وسلم : « الرؤيا على رجل طائر » . هذا مثل ، ومعناه أنه لا يستقر قرارها مالم تفسر .

وفي «النهاية» انها على رجل قدر جارٍ ، وقضاء ماضٍ من خير أو شر ، وان ذلك هو الذي قسمه الله تعالى لصاحبها . من قولهم : اقتسموا داراً فطار سهم فلان في ناحيتها ، أي وقع سهمه ، وخرج .

وكل حركة من كلمة أو شيء يجري لك فهو طائر .

والمراد أن الرؤيا هي التي يعبرها المعبّر الأول ، فكأنها كانت على رجل طائر فسقطت ووقعت حيث عبرت ، كما يسقط الشيء الذي يكون على رجل الطائر بأدنى حركة . انتهى .

قال الطيبي : التركيب من باب التشبيه التمثيلي . شبه الرؤيا بالطائر السريع طيرانه ، وقد علق على رجله شيء يسقط بأدنى حركة .

فينبغي أن يتوهم للشبه حالات متعددة مناسبة هذه الحالات وهي : أن الرؤيا



مستقرة على ما يسوقه التقدير اليه من التعبير ، فاذا كانت في حكم الواقع  
قيض وألهم من يتكلم بتأويلها على ما قدر فيقع سريماً ، وان لم تكن في حكمه لم  
يقدر لها من يعبرها . انتهى .

وقال عبد الغافر الفارسي في « مجمع الثرائب » : اراد انها مطلقة بما قدره  
الله وقسمه ، وطيره له ، مالم تمبر ، أي لا يستقر تأويلها حتى تمبر ، والله أعلم .  
الخامس : مما يطلب عند الرؤيا المكروهة الصلاة .

ففي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « اذا رأى  
أحدكم ما يكره ، فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس » . وفي لفظ البخاري : « فمن  
رأى شيئاً يكرهه فلا يقصه على أحد وایقم فليصل » .

والحكمة في ذلك : أن في الصلاة التحرز عن المكروه ، والاتجاء من كل  
أمر ينوب العبد من الخواف .

السادس : الاستبشار بها . وفي حديث أبي قتادة رضي الله عنه مرفوعاً  
عندهما : « فاذا رأى رؤيا حسنة فليُبشِّر ولا يخبر بها إلا من يحب » .  
قوله فليُبشِّر ، هو بضم المثناة تحت وسكون الموحدة من البشارة .  
وروي بفتح الياء المثناة تحت ، وسكون النون ، من النشر وهو الاشاعة .  
قال القاضي عياض : وهو تصحيف وزاد بمضهم .

سابعاً : وهي (١) قراءة آية الكرسي ، ولم يذكر لذلك مستنداً فان كان أخذه  
من عموم حديث أبي هريرة ، ولا يقربك شيطان ؛ فينتجه . وينبغي أن يقرأها في  
صلاته . وبالله التوفيق .

---

(١) لله : هو ( أي السابع )

## الحديث التاسع

٢٤ - حدثنا سفيان ، قال ابن المنكدر : سمعت جابر ابن عبد الله يقول . ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فقال : لا .

قال رضي الله عنه : ( حدثنا سفيان ) ابن عيينة ( قال ) الامام الحافظ ابو عبد الله محمد ( ابن المنكدر ) - بضم الميم وسكون النون وفتح الكاف وكسر الدال المهملة ، فراء - ابن عبد الله بن المهدي التيمي ، الامام الثقة المجمع على ثقته ؛ وتقدمه في العلم والعمل ، وهو من طبقة عطاء . روى عن أبيه وجابر وابن عمر وابن عباس وأبي أيوب وأبي هريرة وعائشة وخلق من الصحابة رضي الله عنهم . وروى عنه ابو حنيفة ومالك والزهري وشعبة والسفيانان . قال ابن عيينة ابن المنكدر كان من معادن الصدق ؛ يجتمع اليه الصالحون . ذكره الحافظ السيوطي في «طبقات الحفاظ» ، وكذا الحافظ الذهبي وابن مرداس وغيرهم . وذكره الحافظ ابن الجوزي في «صفوة الصفوة» ، ومن كلامه قال : كابدت نفسي أربعين سنة ، حتى استقامت ، وبكى ليلة ؛ فكثرت بكاءه حتى فرغ أهله ، فارتحلوا الى أبي حازم . فجاء اليه ، فقال : ما الذي ابكاك ؛ قد رعت اهلك ، قال : مرت بي آية من كتاب الله «وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون»<sup>(١)</sup>

(١) سورة الزمر ، الآية : ٤٧

فبكى أبو حازم معه ، وقيل له : أي الأعمال أحب إليك ؟ قال : إدخال السرور على المؤمن ، قيل : فما بقي من لذاتك ؟ قال : الأفضال على الإخوان . وقال : الفقيه يدخل بين الله وبين عباده ، فلينظر كيف يدخل . وجزع عند الموت ؛ فقيل له : لم تجزع ؟ قال : أخشى آية من كتاب الله : « وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون » (١) إني أخشى أن يبدو لي ما لم أكن أحتسب .

توفي ابن المنكدر رحمه الله ورضي عنه سنة ثلاثين ومائة ، وقيل : إحدى وثلاثين ومائة .

( سمعت جابر بن عبد الله ) الأنصاري رضي الله عنها ( يقول : . ما سئلت )  
بضم السين المهملة وكسر الهمزة على صيغة المجهول ( رسول الله صلى الله عليه وسلم )  
بالرفع نائب الفاعل ( شيئاً ) مفعول ثان لسأل ، وهكذا رواه مسلم في « صحيحه »  
وكذا البخاري . وفي رواية للبخاري في « الصحيح » وفي « الأدب المفرد » من طريق ابن عيينة ، سمعت ابن المنكدر ، سمعت جابر بن عبد الله - رضي الله عنها -  
« ما سئلت النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء » ، ( قط ) بفتح القاف ، وضم الطاء المهملة مشددة ، وتضم القاف ويخففان . وقط مشددة مجرورة بمعنى الدهر مخصوص بالماضي ، أي فيما مضى من الزمان ، وفيما انقطع من العمر ، فهي ظرف زمان لاستفراق ماضى ، وتختص بالنفي ، يقال . ما فعلته قط . قال في « المعنى » :  
والمامة تقول : لا أفعله قط ، وهو لحن . واشتقاق قط من قططته ، أي قطمته .  
قال الكرماني في « شرح البخاري » : معناه : ما طلب منه صلى الله عليه وسلم شيء من أمر الدنيا فمنعه . قال الفرزدق (٢) :

(١) سورة الزمر ، الآية : ٤٧

(٢) من قصيدته المشهورة :

هذا الذي تعرفه البطحاء وطأته  
والبيت يعرفه والحل والحرم  
زهر الادب « شرح البجاري » ٦٥/١ ، الحماسة « شرح المرزوقي » ص : ١٦٢١  
أمالي المرتضى ٤٨/١ ، والبيان والتبيين ، وعيون الاخبار وغيرها .

ما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاه نعم

قال هذا الفرزدق في الامام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله وسلامه عليهم .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : وليس المراد أنه **صلى الله عليه وسلم** يمطي ما يطلب منه جزماً ؛ بل المراد أنه لا ينطق بالرد ، بل إن كان عنده أعطاه إن كان الاعطاء سائئاً وإلا سكت ، فما سئل عن شيء من أمور الدنيا (فقال) في جواب السائل : ( لا ) أعطيك ذلك الشيء .

وقد ورد بيان ذلك في حديث مرسل أخرجه ابن سعد ، ولفظه : إذا سئل فأراد أن يفعل ، قال : نعم . وإذا لم يرد أن يفعل سكت . وهو قريب من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - : ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً قط ، إن اشتهاه أكل منه وإلا تركه .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : معناه لم يقل : لا ، منماً للمطاء ، ولا يلز من ذلك أن لا يقولها اعتذاراً ، كما في قوله تعالى : « قلت لا أجد ما أحلّمك عليه » (١) ولا يخفى الفرق بين قول : « لا أجد ما أحلّمك عليه » ، وبين لا أحلّمك عليه ، وهو نظير قوله صلى الله عليه وسلم ، في حديث أبي موسى الأشعري ، لما سأل الأشمريون الحملان ، فقال عليه الصلاة والسلام : « ما عندنا ما أحلّمك » ، لكن يشكل عليه أن في بعض ألفاظ حديث أبي موسى المذكور أنه صلى الله عليه وسلم حلف لا يحملهم فقال : « والله لا أحلّمك » ، فيمكن أن يخص من حديث جابر ما إذا سئل ما ليس عنده ، والسائل يتحقق أنه ليس عند ذلك ، أو حيث كان المقام لا يقتضي الاقتصار على السكوت من الحالة الواقعة أو من حال السائل ؛ كأن يكون لم يعرف العادة ، فلو اقتصر في جوابه على السكوت

(١) سورة التوبة ، الآية : ٩٢

مع حاجة السائل ، لتأدى على السؤال مثلا . ويكون القسم على ذلك تأكيدا  
لقطع طمع السائل .

والسر في قوله صلى الله عليه وسلم : « لا أجد ما أحملكم » وقوله : « والله  
لا أحملكم » أن الاول لبيان ان الذي سأله لم يكن موجودا عنده ، والثاني أنه  
لا يتكلف الاجابة الى ما سئل بالقرض مثلا او الاستيهاب ؛ اذ لا اضطرار حينئذ  
الى ذلك .

وفهم بعضهم من لازم عدم قول : لا ، إثبات نعم ، ورتب عليه تحريم البخل؛  
لأن من القواعد انه ﷺ اذا واظب على شيء كان ذلك علامة وجوبه ، ويأتي  
البحث في ذلك في الحديث السادس عشر من حديث جابر إن شاء الله تعالى .

ولا يخفى ان السخاء من محاسن الاخلاق ، بل هو من أعظمها وأجلها .  
والبخل ضده . ومحاسن الاخلاق : العفو ، والجود ، والصبر ، وتحمل الأذى ،  
والرحمة ، والشفقة ، وقضاء الحوائج ، والثوذة ، ولين الجانب ونحو ذلك .  
والمذموم ضد ذلك .

والسخاء : بمعنى الجود ، وهو بذل ما يقتنى بغير عوض . والأصح ؛ ان  
السخاء أدنى من الجود ، ولأنه <sup>(١)</sup> لا يوصف به تعالى ، ويوصف بالجود .

والسخاء : اللين عند الحاجات ، من قولهم : أرض سخاوية : أي ليننة  
التراب . قال القشيري في «الرسالة» : قال القوم <sup>(٢)</sup> : من أعطى البعض فهو سخى ،  
ومن أعطى الاكثر وأبقى لنفسه شيئا ، فهو جواد ، ومن تحمل الضرر وآثر  
غيره بالبلغة فهو مؤثر .

---

(١) لم تكن واضحة في الاصل

(٢) يقصد بهم أهل التصوف

وأما السهروردي في « عوارفه » (١) فقال : السخاء أتم وأكمل من الجود . ويقابل الجود : البخل ، ويقابل السخاء : الشح ، والجواد الذي يتفضل على من يستحق ، ويمطي من لا يسأل ، ويمطي الكثير ، ولا يخاف الفقر ، من قولهم : مطر جواد : اذا كان كثيراً ، و فرس جواد : اذا كان كثير المدو . والجود والبخل يتطرق اليها الاكتساب بطريق المادة ، بخلاف السخاء والشح ، لانهما من ضرورة الغريزية ، فكل سخى جواد بلا عكس . والجود يتطرق اليه الرياء ولا كذلك السخاء ، لانه يقع من النفس الزكية المرتفعة عن الاغراض .

وقال السهروردي أيضاً : الشح الذي يقابل السخاء من لوازم صفة النفس . قال تعالى : « ومن يوق شح نفسه فاؤلئك هم المفلحون » (٢) ، فحكم بالفلاح لمن وقى الشح ، وحكم أيضاً بالفلاح لمن انفق وبذل ، فقال تعالى : « ومما رزقناهم ينفقون - أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » (٣) .

والفلاح جامع لسعادة الدارين . انتهى . وفي « الكرماني شرح البخاري » الفلاح : الفوز والبقاء : وقيل : هو : الظفر وإدراك البغية . قال : وقيل : إنه عبارة عن أربعة أشياء : بقاء بلا فناء ، وغنى بلا فقر ، وعز بلا ذل ، وعلم بلا جهل . قالوا : ولا كلمة في اللغة أجمع للخيرات منه . انتهى .

وظاهر كلام ابن القيم في كتابه « الكلم الطيب والعمل الصالح » المساواة بين الجود والسخاء ، قال فيه : السخي قريب من الله ومن خلقه ومن أهله ، وقريب من الجنة ، وبמיד من النار . والبخيل بعيد من الله ، بعيد من خلقه ، بعيد من الجنة ، قريب من النار . فجود الرجل يحببه الى اصدقاءه ، وبخله يبغضه الى أولاده ، ثم أنشد :

(١) يقصد كتاب « عوارف المعارف » الملحق باحياء علوم الدين للزمزالي

(٢) سورة الحشر ، الاية : ٩

(٣) سورة البقرة ، الاية : ٣ والاية : ٥

ويظهر عيب المرء في الناس بخله ويستره عنهم جيمماً سخاؤه  
تفط بأثواب السخاء فاني أرى كل عيب والسخاء غطاؤه

ثم قال في تعريف السخاء : انه بذل ما يحتاج اليه عند الحاجة ، وأن يوصل ذلك الى مستحقه بقدر الطاقة . وليس كما قال بعضهم : حد الجود بذل الموجود . ولو كان كما قال ، لارتفع اسم السرف والتبذير ، وقد ورد الكتاب بدمها ، وجاءت السنة بالنهي عنها ، ثم قال : واذا كان السخاء محموداً ، فمن وقف على حده سمي كريماً ، وكان للحمد مستوجباً . ومن قصر عنه كان بخيلاً ، وكان للذم مستوجباً وقد روي في أثر ، ان الله عز وجل اقسم بجزته أن لا يجاوره بخيل . وقال بعضهم : السخاء أن تكون بمالك متبرعاً ، وعن مال غيرك متورعاً . وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - : أوحى الله الى ابراهيم الخليل عليه السلام : اندي لم اتخذتك خليلاً ؟ قال : لا ، قال : لأنني رأيت المطاء أحب اليك من الأخذ . وهذه من صفات الرب سبحانه ، فانه يطعم ولا يطعم ، وهو أجود الاجودين ، وأكرم الاكرمين ، وأحب الخلق اليه من اتصف بصفاته ، فانه كريم يحب الكريم .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اكرم من كل كريم ، متصف بآتم الكرم وأكمل الجود ، ومن ثم ما قال ﷺ : لا ، في رد سائل ، مع كونه بادي البشاشة للسائل ، باسم لو فوده ، يهتز للمطاء وبذل الندي ، اسخا من النيث ، وأسرع في فعل الخير من الريح المرسلة . وقد قوّم ما أعطى صلى الله عليه وسلم في يوم واحد فكان خمسمائة الف . قال ابن دحية : وهذا نهاية الجود ، ورحم الله أبي ، عبد الله بن جابر حيث يقول فيه صلى الله عليه وسلم :

هذا الذي لا يتقي فقرا اذا يطمي ولو كثرا لانام وداموا

واذا من الانام أعطى آملا فتحيرت لمطائه الأوهام

## الحديث العاشر

٢٥ - حدثنا سفيان ، عن ابن المنكدر سمع جابراً :  
جئى بأبي يوم أحد ، فوضع بين يدي رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وهو مسجى ، فجعلت أريد أن أكشف عن وجهه  
ينتهي قومي ، فسمع باكياً - وقال مرة : صوت صائحة -  
قال : من هذا ؟ قالوا : ابنة عمرو ، أو أخت عمرو ، قال : فلم  
تبيكين ؟ أو قال : أتبيكين ؟ فإزالت الملائكة تظله بأجنحتها  
حتى رفقتموه .

قال رضي الله عنه (حدثنا سفيان) هو ابن عيينة (عن) محمد (بن المنكدر)  
أنه (سمع جابراً) رضي الله عنه يقول : (جئى) بالبناء للجهر من جاء (بأبي)  
هو عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري الخزرجي ، وتقدم نسبه في ترجمة ابنه  
جابر رضي الله عنها ، شهد عبد الله رضي الله عنه الموقعة مع السبعين ، وهو أحد  
النقباء ، وشهد بدرأ ، وقتل شهيداً (يوم) غزوة (أحد) بضم الهمزة ، وبالحاء  
وبالدال المهملتين .

هو جبل أحمر ليس بذئ شناخيب<sup>(١)</sup> جمع شنخوب ، بضم الشين والحاء  
المجتميتين بينها نون ساكنة فواو فوحدة ، فرع الكاهل ، وقررة الظهر ،

(١) في الاصل « شناخب » والصواب ما أثبتناه . وشناخيب الجبال : رؤوسها .  
وفي هامش الكتاب : والمراد : (أي بليس ذي شناخيب) ليس بذئ شهاب عالية .



والشنعب : الطويل . بين جبل أحد وبين المدينة المنورة اقل من فرسخ ، وهو في شمالها ؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم : « أحد جبل يحبنا ونحبه » ، رواه الشيخان وغيرهما عن عدة من الصحابة - رضي الله عنهم - منهم انس وغيره . قال السهيلي : سمي أحداً لتوحده وانقطاعه عن جبال آخر هناك . وكانت غزوة أحد التي استشهد عبد الله والد جابر - رضي الله عنها - فيها في شوال سنة ثلاث من الهجرة .

قال جابر رضي الله عنه : ( فوضع ) أبي بمد أن جبيء به ( بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ) أي أبي ، أي والحال أنه ( مسجى ) أي منطى ، قال في « القاموس » : تسجية الميت ؛ تغطيته . وفي « المطلع » ، قال الخليل : سجت الميت ؛ غطيته بثوب .

قال جابر - رضي الله عنه - ( فجعلت أريد أن أكشف عن وجهه ) أي وجه أبي لا نظر إليه ( وبينائي ) عن ذلك ( قومي ) يعني كراهية أن ينظر جابر لآبيه ؛ لأنه كان قد مثل به المشركون ، فقد جاء أنهم مثلوا بجميع الشهداء إلا حفظة بن أبي عامر غسيل الملائكة ، فلم يمثلوا به ؛ لأن أباه كان مع المشركين ، فتركوه لاجله .

وروى البخاري من حديث جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ، ثم يقول : أيثم أكثر أخذاً للقرآن ؛ فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد ، وقال : أنا شهيد على هؤلاء ، وأمر بدفنهم بدمائهم ، ولم يصل عليهم ، ولم يفسلهم . قال جابر وكفن أبي عمي<sup>(١)</sup> في نمرة واحدة ، يعني لأن ثيابهم سلبها المشركون عنهم .

(١) في الهامش : قوله : وعمي كأنما أراد به عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام .

وفي « الصحيحين والنسائي » وغيرها : من حديث جابر - رضي الله عنه -  
قال : أصيب أبي يوم أحد فجملت أ كشف الثوب عن وجهه وأبكي ، وجعلوا  
ينهوتني ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينهاني .  
وفي رواية فيها عن جابر : لما كان يوم أحد جئني بأبي مسجى قد مثل به ،  
وفي أخرى جئني بأبي يوم أحد مجدعا ، فوضع بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم  
بنحوه ( فسمع ) النبي صلى الله عليه وسلم ( باكياً ، وقال مرة : صوت صائحة )  
تبكي على أبي عبد الله بن عمرو ( قال : من هذا ؟ ) الباكي ( قالوا : ) هي ابنة  
عمرو ( أخت عبد الله عمه جابر ( أو ) قالوا : ( أخت عمرو ) فنكون عممة  
عبد الله أبي جابر .

وفي « الصحيحين » وغيرها ، من حديث جابر رضي الله عنه ، وجعلت  
فاطمة بنت عمرو تبكيه ( قال : فلم ) استفهام انكاري دخلت عليه اللام الجارة  
فحذفت الألف من ما الاستفهامية ( تبكين أو قال : ) صلى الله عليه وسلم  
( أتبكين ؟ ) .

وفي « الصحيحين » تبكيه أو لا تبكيه ( فما زالت الملائكة تظله ) من  
الشمس ( بأجنحتها ) تكرمه له واظهاراً لفضله ( حتى ) أي إلى أن ( رفتهوه )  
من المكان الذي صرح فيه .

قلت : في هذا الحديث جواز البكاء بعد الموت ؛ لأن جابر رضي الله عنه  
قد بكى على أبيه بعد موته ، فلم ينه النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا مذهب  
الامام أحمد ، وأبي حنيفة ، واختاره أبو بكر الشيرازي ، وكرهه الشافعي  
وكثير من أصحابه بعد الموت ، وخصوصاً فيه قبل خروج الروح ، واحتجوا  
بحديث جابر بن عتيك - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء  
يمود عبد الله بن ثابت ، فوجده قد غلب ، فصاح به رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلم يحيه ، فاسترجع وقال : غلبنا عليك يا أبا الربيع ، فصاح النسوة وبكين ، فجعل ابن عتيك يسكنهن ، فقال صلى الله عليه وسلم : دعهن ، فإذا وجب فلا تبكين<sup>١</sup> باكية ، قالوا : وما الوجوب يا رسول الله ؟ قال : الموت . رواه الامام أحمد ، وأبو داود وهذا لفظه ، والنسائي ، وابن ماجه .

وبحديث ابن عمر رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الميت ليغذب ببكاء أهله عليه . متفق عليه . وهذا إما ما هو بعد الموت ، وأما قبله فلا يسمى ميتاً . قالوا : والفرق بين ما قبل الموت وبعده ، أنه قبل الموت يرجى فيكون البكاء عليه حذراً ، فإذا مات انقطع الرجاء وأبرم القضاء . فلا ينفع البكاء .

واحتج للأول مع حديث جابر بحديث ابن عمر - رضي الله عنها - أنه صلى الله عليه وسلم قال : إن الله لا يعذب بدمع العين ، ولا يحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا - وأشار الى لسانه - أو يرحم . رواه البخاري وهذا لفظه ، ومسلم . وفي البخاري من حديث أنس - رضي الله عنه - قال : شهدنا بنتاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على القبر ، قال : فرأيت عينيه<sup>(١)</sup> تدمعان .

وفي حديث أنس أيضاً ، في قصة موت ابراهيم عليه السلام ابن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ إن العين لتدمع ، وإن القلب ليحزن ، وإنا على فراقك يا ابراهيم لحزونون ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا . متفق عليه .

وفي قصة استشهاد جعفر وأصحابه ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وفيه : وإن عيني رسول الله ﷺ لتذرفان . رواه البخاري . وفي حديث ابن عباس في موت زينب بنت رسول الله ﷺ ، وبكاء النساء ، وإن عمر جمل

(١) في الأصل : عيناه ، وهو خطأ ؛ وما أثبتناه من « صحيح البخاري » :

يصرهن بسوطه ، فآخذ رسول الله ﷺ بيده وقال : مهلا يا عمر ، ثم إيا كن ونميق الشيطان ، ثم قال ﷺ : انه مها كان من العين والقلب فمن الله عز وجل ومن الرحمة ، وما كان من اليد واللسان ؛ فمن الشيطان . رواه الامام أحمد . وعن عائشة الصديقة - رضي الله عنها - أن سمء بن معاذ - رضي الله عنه - لما مات حضره رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمر - رضي الله عنها - قالت : فوالذي نفسي بيده ؛ اني لأعرف بكاء أبي بكر ، من بكاء عمر ، وأنا في حجرتي . رواه الامام أحمد .

وفي حديث اسماء بنت يزيد ؛ في قصة موت إبراهيم ابن النبي ﷺ ، وبكائه عليه ، وقول أبي بكر وعمر : أتبكي ؛ أو ما نهيتنا عن البكاء ؛ قال : ليس عن البكاء نهيت ؛ ولكن نهيت عن صوتين أحققين فاجرين ، صوت عند نممة لهو ولعب ورنه شيطان ، وصوت عند مصيبة لطم وجوه وشق جيوب ورنه شيطان . وهذه رحمة ، ومن لا يرحم لا يرحم . رواه ابن ماجه . والاحاديث في هذا الباب كثيرة جداً .

وكذلك ؛ لما ماتت رقية ، بكت فاطمة بنت النبي ﷺ ، وبكت النساء بعد الموت .

وصح عن الصديق الاعظم ، انه رضي الله عنه قبل النبي ﷺ بعد موته وبكى . وأما ما استدلل به الشافعي ومن وافقه ، فمحمول على البكاء الذي معه نذب ونياحة . ودعوى الشيخ مردودة ؛ لأن قصة جعفر وأصحابه ، كانت في الثامنة ، وكذلك البكاء على زينب عليها السلام ، فانها انما توفيت في الثامنة . ومن ذلك ما في البخاري من قول عمر رضي الله عنه : دعهن يبكين على أبي سليمان ما لم يكن نفع أو لقلقة . والنقع : التراب على الرأس ، والقلقة : الصوت ،

وأبو سليمان : هو خالد ابن الوليد رضي الله عنه . مات في خلافة عمر رضي الله عنه .  
والله تعالى الموفق .

وفي الحديث ؛ جواز الكشف عن وجه الميت بعد موته ، وفيه تسجيته ،  
وفيه ذكر فضائل الشخص ومناقبه ، وفيه فضيلة الجهاد والشهادة . والله التوفيق .

### الحديث الحادي عشر

٢٦ - حدثنا سفيان ، عن ابن المنكدر ، سمع جابر بن  
عبد الله يقول : ولد لرجل منا غلام ، فسماه القاسم ، فقلنا : لا نكنيك  
أبا القاسم ، ولا نتمك عيناً ، فأبى النبي ﷺ ، فذكر ذلك له ،  
فقال : اسم ابنك عبد الرحمن .

قال رضي الله عنه : ( ثنا سفيان عن ) محمد ( بن المنكدر ) أنه ( سمع  
جابر بن عبد الله ) رضي الله عنها ( يقول : ولد لرجل منا ) معشر الأنصار ( غلام )  
أي صبي - بضم أوله - والغلام اسم للذكر من حين يولد ؛ إلى أن يشيب ، أو الطار  
الشارب ؛ ( فسماه ) أي سمى الرجل ابنه ( القاسم ، فقلنا : ) معشر الصحابة  
( لانكنيك <sup>(١)</sup> أبا القاسم ) والكنية : كل اسم صدر بأب أو أم أو ابنة ، يقال :  
كنيته وكنوته بمعنى ( ولا نتمك عيناً ) أي لا قرع عينك ولا ننم عليك بطاعتك  
وموافقتك على هذه التكنية ، يقال : نمة عين ، ونمّ عين ، ونمى عين .  
كما في « النهاية » .

(١) في الهامش : بفتح أوله مع التخفيف . وبضمه مع التشديد .

وفيهما من حديث الحسن ؛ اذا سمعت قولاً ، فرويدا بصاحبه ، فان وافق قول عملاً ؛ فنعم ونعمة عين ، آخيه وأودده ، أي اذا سمعت رجلاً يتكلم في العلم بما تستحسنه ، فهو كاللداعي لك الى مودته وإخائه (١) فلا تمجس حتى تختبر فعله ، فان رأيت حَسَنَ العملِ ، فأجبه الى إخائه ومودته ، وقل له : نَعْمَ وَنُعْمَةَ عَيْنٍ ، أي قره عين ، يعني أقره عينك بطاعتك ، واتباع أمرك .

وفي حديث أبي مريم ؛ دخلت على معاوية فقال : ما أئمننا بك ؟ أي ما الذي أعملك البنا ؛ وأقدمك علينا ؛ وإنما يقال ذلك ، لمن يفرح بلفائه كأنه قال : ما الذي أسرنا وأفرحنا وأقر أعيننا بلفائك ورؤيتك ؟

وفي حديث مطرف ؛ لا تقل نعم الله بك عينا (٢) قال الملامة الزمخشري : الذي منع (٣) مطرف صحيح فصيح في كلامهم ، وعينا نصب على التمييز من الكاف ، والباء للتمدية ، والمعنى : نعمك الله عينا ، أي أنعم عينك وأقرها ، وقد يجذفون الجار ، ويوصلون الفعل فيقولون : نعمك الله عينا . وأما أنعم الله بك عينا ؛ فالباء فيه زائدة ، لأن الهمزة كافية في التمدية ، تقول : نعم زيد عينا ، وأنعمه الله عينا ، قال : ويجوز أن يكون من أنعم ، اذا دخل في النعم ، فيمدى بالباء . قال مطرف خيل اليه (٤) أن انتصاب التمييز في هذا الكلام عن الفاعل ؛

(١) الكلمة مطموسة في الاصل ، وما أثبتناه من اللسان « نعم » وفي الحديث بكامله .

(٢) يظهر ان بقية كلام مطرف قد سقطت من الاصل وهي ؛ فان الله لا ينعم بأحد عينا ، ولكن قل : أنعم الله بك عينا .

(٣) في مصادر أخرى : الذي منع منه ، بزيادة « منه » وهو أوضح .

(٤) كذا في الاصل وهو لا يستقيم ؛ والصواب هو : قال : ولعل مطرفاً خيل اليه ،

كما في غير هذا الكتاب .

فاستعظم ، كما يقولون : نعمت بهذا الأمر عينا للتعمدية (١) فحَسِبَ أن الامر في نعم الله بك عينا كذلك . انتهى .

وحديث جابر هذا في «الصحيحين» وفيها عن جابر رضي الله عنه ؛ أن رجلا من الأنصار ولد له غلام ، فأراد أن يسميه محمدا ، فأتى النبي ﷺ فسأله ، الحديث .

وفيها عنه قال : ولد لرجل منا غلام ، فسماه القاسم ، الحديث (فأتى) الرجل (النبي ﷺ) فذكر ذلك (أي قول قومه الذي قالوه له من أنهم لا يكونونه بأبي القاسم ، ولا ينعمونه عينا (له) أي للنبي صلى الله عليه وسلم ، والجار والمجرور متعلق بذكر . ولفظ البخاري : فأتى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول (٢) الله ولدي غلام فسميته القاسم ، فقالت الانصار : ولا نكنيك ابا القاسم ، ولا ننعملك عينا ، فقال النبي ﷺ : أحسنت الانصار ، سموا باسمي ، ولا تكنوا بكنيتي .

وفي «البخاري» من طريق سالم بن ابي الجعد ، عن جابر رضي الله عنه قال : ولد لرجل منا غلام ، فسماه القاسم ، فقالوا : لانكنيك حتى نسأل النبي ﷺ ، فيجمع بين هذا الاختلاف ، إما بأن بعضهم قال هذا ؛ وبعضهم قال هذا ، وإما أنهم منعوا أولا مطلقاً ، ثم استدركوا ؛ فقالوا : حتى نسأل .

وفي رواية : لانكنيك ابا القاسم ولا كرامة ، فآخبر النبي ﷺ بذلك ، (فقال) النبي ﷺ (اسم ابنتك عبد الرحمن) وفي الرواية الاخرى . فقال : سموا باسمي ، ولا تكنوا بكنيتي ، ويجمع بينها ؛ بأن أحد الراويين ذكر ما لم يذكر الاخر .

(١) كذا في الاصل ، وفي الكلام سقط ، ومقتضى الكلام ان يقول : والباء للتعمدية .

(٢) في الاصل مطبوس .

وفي « البخاري » من حديث أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق ، فقال رجل : يا أبا القاسم ، فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنما دعوت هذا .

وفي رواية دعى رجل بالبقيع : يا أبا القاسم ، فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : لم اعنك . ولا مخالفة بين لفظ كان في السوق ، وكان في البقيع ؛ لأن السوق كان يومئذ بالبقيع ، فذكره تارة باسمه ؛ وتارة باسم محله ، وحينئذ قال عليه الصلاة والسلام : سما باسمي ، ولا تكنوا بكنيتي .

وقوله : ولا تكنوا ؛ بحذف إحدى التائين ، وروى ؛ ولا تكنوا بسكون الكاف ، وفتح المثناة بمدها نون . فيؤخذ من الحديث مشروعية تسمية المؤمن بولده ، ولا يختص بأول الولادة ، وإنما اختار النبي ﷺ للرجل أن يسمى ابنه عبد الرحمن ؛ لأن أفضل الأسماء ؛ عبد الله وعبد الرحمن . قال بعض شراح « المشارق » : لله الأسماء الحسنى ، وفيها فروع وأصول ، أي من حيث الاشتقاق . قال : وللأصول أصول ، أي من حيث المعنى . فأصول الأصول : اسمان ؛ الله والرحمن ، لأن كلا منهما مشتمل على الأسماء كلها ؛ قال الله تعالى : ( قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن (١) ) ، ولذلك لم يقسم بها أحد ، وما ورد من رحمن اليمامة غير وارد ؛ لأنه مضاف ، وقول شاعرهم :

وأنت غوث الورى لا زلت رحمانا

تعال في الكفر وليس بوارد ، لأن الكلام في أنه لم يقسم به أحد ، ولا يرد اطلاق من أطلقه وصفاً ، فانه لا يستلزم التسمية بذلك ، وقد لقب غير واحد ؛ الملك الرحيم ، ولم يقع مثل ذلك في الرحمن ، فاذا تقرر ذلك ظهر أن اضافة العبودية الى كل من الاسمين حقيقة محضة ، فظهر وجه الاختيار ، والله اعلم .

(١) سورة الاسراء ، الاية : ١١٠



## تنبيهات

الاول : الاسم واللقب والكنية ، تشترك الثلاثة في تعريف المدعو بها ، وتفترق في أمر آخر ، وهو أن الاسم إما ان يشمر بمدح أو ذم أو لا ، الاول : اللقب ، وغالب استعماله في الذم ، ولهذا قال تعالى : ( ولا تنازروا بالالقب (١) ) ولا خلاف في تحريم تلقيب الانسان بما يكرهه ، سواء كان فيه أو لا ؛ نعم إذا عرف بذلك واشتهر به كالأعمش والأعرج والأصم والأشتر ، فقد اطرده استعماله على السنة أهل العلم قديماً وحديثاً ، وقد سهل فيه الامام أحمد رضي الله عنه . قال أبو داود في مسائله : سمعت أحمد بن حنبل في الرجل يكون له اللقب لا يعرف إلا به ولا يكرهه ، قال : أليس يقال : سليمان الأعمش ، وحמיד الطويل ؟ فلم ير به بأساً .

وإن لم يشمر لا بمدح ولا ذم ، فإن صدر بأب أو أم فهو الكنية ؛ كأبي هلال وأم فلان . وإن لم يصدر بذلك ، فهو الاسم كزيد وعمرو . وهذا هو الذي كانت تعرفه العرب ، وعليه مدار مخاطباتهم .  
وأما فلان الدين ، وعز الدولة ، وبهاء الدولة ، فلم تكن العرب تعرف ذلك ، وإنما حدث من قبل المعجم ، كما في «تحفة الودود» لابن القيم رحمه الله تعالى .

الثاني : اختلف العلماء رحمهم الله تعالى ، في التكني بأبي القاسم على ثلاثة مذاهب : الاول : المنع مطلقاً سواء كان اسمه محمداً أم لا ، قال في «الفتح» : ثبت ذلك عن الشافعي رضي الله عنه ؛ قال الامام ابن القيم في كتابه «تحفة الودود» : روى البيهقي بسنده عن الربيع بن سليمان ، قال : سمعت الشافعي

(١) سورة الشورى ، الآية : ١١

يقول : لا يحمل لأحد أن يكنّي بأبي القاسم ، سواء كان اسمه محمداً أو غيره .  
قال : وروي نحو قوله هذا عن طاووس ، قال السهيلي : وكان ابن سيرين يكره  
أن يكنّي أحداً أبا القاسم ، كان اسمه محمداً أو لم يكن .

الثاني : الجواز مطلقاً ، ويختص النهي بزمن حياته صلى الله عليه وسلم ،  
واستدل لهذا بما أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» ، وأبو داود ، وابن ماجه ،  
وصححه الحاكم ، من حديث علي رضوان الله عليه ، قال : قلت يا رسول الله !  
إن ولد لي من بعدك ولد أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك ؟ قال : نعم .  
وفي بعض طرقه قال محمد بن علي المعروف بابن الحنفية : فسأني محمداً ،  
وكناني أبا القاسم .

وفي تاريخ ابن أبي خيثمة عن ابن الحنفية قال : قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم لعلي رضي الله عنه : إنه سيولد لك بعدي ولد ، فسمه باسمي وكنه  
بكنيتي ، فكانت رخصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي ، كذا قال .  
قلت : الذي جزم به علماءنا عدم كراهة التكني بأبي القاسم بعد موت  
النبي ﷺ ؛ وإن كان في أصل المذهب ثلاث روايات ، ثالثها : الكراهة لمن  
اسمه محمد فقط ، ولا يجرم خلافاً للشافعي كما في «الفروع» .

ونقل حنبل عن الامام ؛ لا يكنى به ، واحتج بالنهي فظاهره يحرم ،  
ومنع سيدي الشيخ عبد القادر الجيلي في «غنيته» من الجمع ، وأن عن الامام  
أحمد رواية تكره الكنية والتسمية باسم النبي ﷺ وكنيته ، جمعاً وانفراداً ،  
قال في «الفروع» : ومراده انفراداً ، أي الكنية .

قال القاضي علاء الدين المرادوي في «تصحيح الفروع» : الصواب عدم كراهة  
التكني بأبي القاسم مطلقاً بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد وقع فعل  
ذلك من الاعيان ، ورضاهم به يدل على الاباحة .

وفي «الهدى» لابن القيم: الصواب أن التكني بكنيته ممنوع، والمنع في حياته أشد، والجمع بينها ممنوع. انتهى. فظاهره التحريم، والمذهب الإباحية، وهذا مذهب مالك على أنه يباح بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم. قال محمد بن زنجويه في كتاب «الأدب»: سألت ابن أبي أوس؛ ما كان مالك يقول في الرجل يجمع بين كنية النبي صلى الله عليه وسلم واسمه؟ فأشار إلى شيخ جالس مننا فقال: هذا محمد بن مالك، سماه محمداً وكناه أبا القاسم، وكان يقول: إنما ينهى عن ذلك في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، كراهية أن يدعى أحد باسمه أو كنيته، فبليتفت النبي صلى الله عليه وسلم، فأما اليوم فلا بأس بذلك.

الثالث: المنع يختص عن اسمه محمد دون غيره، وهذا إحدى الروايات عن الامام أحمد؛ إلا أنها مرجوحة.

وبالمذهب الأول قال أهل الظاهر، وبالغ بعضهم فقال: لا يجوز لأحد أن يسمى ابنه القاسم لثلاثي أبي القاسم، ودليل هذا المذهب ما رواه الامام أحمد، وأبو داود، وحسنه الترمذي وصححه ابن حبان، من طريق أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه، رفعه: من تسمى باسمي فلا يكتني بكنتي، ومن اكتني بكنتي فلا يقسم باسمي.

ورواه البخاري في «الأدب المفرد»، ولفظه: لا تجمعا بين اسمي وكنتي.

ورواه الترمذي ولفظه: إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يجمع بين اسمه وكنته.

وأخرج الامام أحمد، وابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة، رفعه: لا تجمعا بين اسمي وكنتي.

وأخرج الطبراني من حديث محمد بن فضالة رضي الله عنه، قال: قدم

النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا ابن اسبوعين ، فأني بي اليه فمسح على رأسي  
وقال : سموه باسمي ولا تكنوه بكنتي .

والمتعمد من هذه المذاهب ، اختصاص النهي بالزمن النبوي ؛ لأن بعض  
الصحابة رضي الله عنهم سمي ابنه محمداً وكناه أبا القاسم ، منهم : طلحة ابن  
عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وقد جزم الطبراني أن النبي صلى الله عليه  
وسلم هو الذي كناه ، وأخرج ذلك من طريق عيسى بن طلحة ، عن ظئر محمد  
ابن طلحة . وكذا يقال : أن كنية كل من الحمدنين - ابن أبي بكر ، وابن سعد  
ابن ابي وقاص ، وابن جعفر بن أبي طالب ، وابن عبد الرحمن بن عوف ، وابن  
حاتب بن أبي بلتعة ، وابن الأشعث بن قيس - أبو القاسم . وان آباءهم كنوم  
بذلك ، قال القاضي عياض : وبه قال جمهور السلف والخلف وفقهاء الأمصار .

وأما ما أخرجه أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها ؛ أن امرأة  
قالت : يا رسول الله ! إني سميت ابني محمداً ، وكنيته أبا القاسم ، فذكر لي أنك  
تكره ذلك . فقال : ما الذي أحل أسمي وحرّم كنتي ؟ فقد ذكر الطبراني في  
الايوسط ، أن محمد بن عمران الحنفي ، تفرد به عن صفية بنت شيبه عنها ،  
ومحمد المذكور مجهول . قال في الفتح ، وعلى تقدير أن يكون محفوظاً ؛ فلا  
دلالة فيه على الجواز مطلقاً ؛ لاحتمال أن يكون قبل النهي .

الثالث : سب كراهة ذلك ؛ قال ابن القيم في تحفة الودود ، وللكراهة

ثلاثة مآخذ :

أحدها : أعطى معنى الاسم أمير من يصلح له ، وقد أشار النبي ﷺ إلى  
هذه العلة بقوله : إنما أنا قاسم ؛ أقسم بينكم ، فهو ﷺ يقسم بينهم ما أمره به  
تبارك وتعالى بقسمته ، فلم يكن يقسم كقسمة الملوك الذين يعطون من شأوا ،  
محرمون من شأوا .

الثاني : خشية الالتباس وقت مخاطبة والدعوة ، وقد أشار الى هذه العلة في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : نادى رجل رجلاً بالقبيل ، يا أبا القاسم ، فالتفت اليه رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! لم اعنك ، إنما دعوت فلانا . فقال ﷺ : تسموا باسمي ، ولا تكتنوا بكنتي . متفق عليه .

وتقدم الثالث : اختصاص النهي عن الاشتراك الواقع في الاسم والكنية معاً ، فالعلة التمييز بالاسم والكنية ، فالمصلحة نفس الاختصاص ، والنهي مختص بالمشاركة في ذلك الاختصاص ، كما نهى أن ينقش أحد على خاتمه كنعشه .

قال ابن القيم في « تحفة الودود » بعد ذكره الملل الثلاثة : فعلى المأخذ الأول ، يمنع الرجل من الكنية في حياته ، وعلى المأخذ الثاني ؛ يختص المنع بمجال حياته ، وعلى المأخذ الثالث ؛ يختص المنع بالجمع بين الكنية والاسم ، دون افراد أحدهما ، فالمنع في هذا الباب يدور على هذه المعاني الثلاثة . والله أعلم .

الرابع : تباح التسمية بمحمد وأحمد ، بل وسائر أسماء الأنبياء ، بل التسمية بمحمد لها مزية ، قال ابن عبد البر ، قال ابن القاسم ، قال مالك : سمعت أهل مكة يقولون : ما من أهل بيت فيهم اسم محمد ؛ إلا رزقوا ورزق خيراً ، وذكره ابن مفلح في « الفروع » هكذا .

وقال ابن القيم في « تحفة الودود » : اختلف في كراهة التسمية بأسماء الأنبياء على قولين : أحدهما ؛ أنه لا يكره . قال : وهذا قول الاكثرين وصوبه .

قال : والثاني يكره ، وحكى هذا المذهب الطبري ، وساق الطبري من طريق سالم بن أبي الجعد ؛ كتب عمر رضي الله عنه : لا تسموا أحداً باسم نبي ، واحتج لصاحب هذا القول ، بما أخرجه من طريق الحكم بن عطية ، عن ثابت ،

عن أنس رضي الله عنه ، رفعه ؛ يسمونهم **محمدًا** ، ثم يلعنونهم . وهو حديث ضيف ؛ أخرجه البزار وأبو يعلى أيضاً ، وسنده لين ، قال القاضي عياض : والاشبه أن عمر رضي الله عنه . لما فعل ذلك ، إعطاهما لاسم النبي **ﷺ** ، ثلاثا ينتهك . قال السهيلي في «الروض» ، كان من مذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه كراهة التسمي بأسماء الأنبياء . قال ابن القيم في «تحفة الودود» : وصاحب هذا القول ، قصد صيانة أسماهم عن الابتدال ، وما يمرض لها من سوء الخطاب عند الغضب وغيره ، وكان الامام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قد سمع رجلا يقول لمحمد بن زيد بن الخطاب : يا محمد فعل الله بك وفعل ، فدعاه وقال : لا أرى رسول الله **ﷺ** يسب بك ، فغير اسمه .

وأخرج الامام أحمد ، والطبراني ، من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى ؛ نظر عمر رضي الله عنه الى ابن عبد الحميد - وكان اسمه محمداً - ورجل يقول له : فعل الله بك يا محمد ، فارسل الى ابن زيد بن الخطاب . فقال : لا أرى رسول الله **ﷺ** يسب بك ، فسأه عبد الرحمن ، وأرسل الى بني طلحة - وهم سبعة - ليفرأسماءهم ، فقال له محمد - وهو كبيرهم - : والله لقد ساءني النبي **ﷺ** محمداً ، فقال : قوموا ؛ فلا سبيل اليكم .

قال في «تحفة الودود» : وكان لطلحة عشرة من الولد ، كل منهم : اسم نبي ، وكان للزبير عشرة ، كلهم يسمي باسم شهيد ، فقال له طلحة : أنا سميهم بأسماء الأنبياء ، وأنت سميهم بأسماء الشهداء ؟ فقال له الزبير : فاني أطمع أن يكون نبيّ شهداء ، ولا تطمع أن يكون بنوك أنبياء .

والحاصل جواز التسمية بأسماء الانبياء ، ولا سيما بأسماء نبيينا محمد وأحمد صلى الله عليه وسلم .

وأما ما روي أن من اسمه محمد وأحمد له من الفضائل كذا وكذا ، وأن



سنة أربع ، وصححه النووي في « الروضة » وهو عجيب كما بيته في « شرح فونية  
الصرري » .

وكان الخندق بسطة ونحوها ، وكان سلج الجبل خلف ظهورهم ، والخندق  
من الزاد الى ذباب الى راتج (١) ، وكان قد عمل فيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه  
رضي الله عنهم مستمطين يبادرون قدوم العدو عليهم ، ولم تكن العرب تخندق  
عليها ، وإنما الذي أشار به سلمان الفارسي رضي الله عنه ، قال : يا رسول الله !  
أنا كنا بأرض فارس اذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا ، فاعجبه ذلك . فامرهم صلى  
الله عليه وسلم بالجد ، ووعدهم النصر ان هم صبروا واقوا ، وأمرهم بالطاعة ، قال  
الواقدي : عمل المسلمون في الخندق حتى احكوه في ستة أيام ، وكذا قال ابن  
سعد ( فاقتب ) أي أجابه صلى الله عليه وسلم لما ندب له ابو عبد الله ( الزبير )  
بضم الزاي وفتح الموحدة فثناه فراء ، مصفرا ، ابن العوام ، بن خويلد بضم  
الخاء المعجمة . وفتح الواو ، ابن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي  
المدني . أمه صفية بنت عبد المطلب ، عمه النبي صلى الله عليه وسلم ، أسلت  
وهاجرت الى المدينة .

أسلم الزبير قديماً على يدي أبي بكر الصديق وهو ابن خمسة عشر سنة ،  
وقيل: ستة عشر ، وكان إسلامه بعد اسلام الصديق بقليل . قيل: كان رابعاً أو  
خامساً ، فمذبه عمه بالدخان ليرك الاسلام فلم يفعل ، وهو أحد الشرة المشهود لهم  
بالجنة ، وهاجر الى الحبشة ثم الى المدينة ، وهو أول من سل سيفاً في سبيل الله ،  
شهد المشاهد كلها ( ثم ندب ) النبي ﷺ ( الناس ) يوم احزاب فقال : من يأتينا بخبر  
القوم ؟ ( فاقتب ) أي أجاب ﷺ ( الزبير ) بن العوام فقال : أنا ( ثم ندب )

---

(١) قوله من الزاد ، هو أطم لبني حرام غربي مساجد التتح . وذباب كقرباب  
وكتاب ، اسم جبل بالمدينة . وراتج ، اسم أطم ايضاً . المؤلف



النبي ﷺ ( الناس ) ثالثاً فلم يجبه أحد ( فانتدب ) ، أي أجابه ﷺ ثالثاً  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ) بعد الثالثة : ( ان لكل نبي ) من أنبياء الله  
عليهم الصلاة والسلام ( حوارياً ) ، أي ناصرأ ينصره ( وحواري ) أي ناصري  
( الزبير ) رضي الله عنه .

قال في « المطالع » : معنى الحواري : الناصر ، وقيل : الخالص ، وقيل :  
الحواريون : المجاهدون ؛ وقيل : أصحاب الأنبياء ، وقيل : الذين يصلحون  
للخلافة بعده ، حكاه الحربي عن قتادة ، وقيل : الاخلاء ، حكاه السلمي . هذا  
كله في حواري رسول الله ﷺ .

وأما في أصحاب عيسى عليه السلام ، فقول : أنهم كانوا قصارين ، لأنهم يبيعون  
التياب ، وكانوا أولاً قصارين ، وقيل : صيادين ، وقيل : الحواريون : الملوك ،  
فتصح في الزبير رضي الله عنه صجبة النبي ﷺ ، ونصرته ، واختصاصه ،  
واخلاصه له ، وقيل : المفضل عندي كفضل الحواري في الطعام . وكان ابن عمر  
رضي الله عنها يذهب الى أنه اسم مختص بالزبير دون غيره ، لتخصيصه ﷺ له به  
دون غيره . وهذا الحديث الذي نحن بصدد شرحه ، رواه الشيخان ، والترمذي ،  
من حديث جابر رضي الله عنه ، ولفظه : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يوم الاحزاب : من يأتينا بخبز القوم ؟ فقال الزبير : أنا ، ثم قال : من يأتينا بخبز  
القوم ؟ فقال الزبير : أنا ، ثم قال : من يأتينا بخبز القوم ؟ فقال الزبير : أنا ، ثم  
قال في الثالثة : ان لكل نبي حوارياً ، وإن حواري : الزبير . وفي لفظ لهم ؛ ندب  
النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثلاثاً ، فذكره .

وفي « الصحيحين » ، والترمذي من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنها ،  
قال : كنت يوم الاحزاب جمعت أنا وعمر بن أبي سلمة مع النساء ، يعني نسوة  
النبي صلى الله عليه وسلم ، في أطم حسان بن ثابت ، فنظرت ، فاذا أنا بالزبير على

فرسه يختلف الى بني قريظة ، فلما رجعت قلت : يا ابيه رأيتك مختلف ، قال وهل رأيتني يا بني ؟ قلت : نعم . قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرم ؟ فانطلقت ، فلما رجعت جمع لي رسول الله صلى الله عليه وأبيه فقال : فذاك أبي وأمي .

وفي رواية : في أطم حسان فكان يطأطي لي مرة فأنظر ، واطأطي له مرة فينظر .

وأخرج منه الترمذي قال : جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه يوم قريظة فقال : بأبي وأمي . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وشهد الزبير رضي الله عنه اليرموك ، وفتح مصر . وكثرة ماله ، وسعة تركته مشهور ، وكان - رضي الله عنه - عليه يوم بدر ربيعة صفراء (١) معتجراً بها وهو على الميمنة ، فنزلت الملائكة على سيماه ، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد ، وبيع النبي ﷺ على الموت ، وفي « صفوة الصفوة » لابن الجوزي قال أبو الاسود : أسلم الزبير وهو ابن ثمانين سنين ، وهاجر وهو ابن ثمانين عشرة ، وكان عمه يملقه في حصير ويدخن عليه بالنار ويقول : ارجع الى الكفر ، فيقول : لا أكفر أبداً . وقال نهبك : كان للزبير الف مملوك يؤدون الضريبة فكان يقسمه كل ليلة ، ثم يقوم الى منزله ليس معه منه شيء .

قال ابن الأثير في « جامع الاصول » : كان الزبير أبيض طويلاً ، ويقال : لم يكن بالطويل ولا بالقصير ، يميل الى الخفة في اللحم . ويقال : كان أسمر خفيف العارضين .

---

(١) قوله : ربيعة صفراء ، قال ابن قرقول في « المطالع » : الربيعة كل ثوب يكون لفتين ، وكل ثوب رقيق ، قال واكثر كلام العرب : ربيعة ، ولم يميز البصريون ربيعة ، وأجازها اهل الكوفة « المؤلف » .

قال البرماوي وغيره : وكان يوم الجمل قد ترك القتال وانصرف ، فلحقه جماعة من النواة فقتلوه بوادي السباع بناحية البصرة . وفي « جامع الاصول » لابن الاثير ؛ ان الذي قتله عمير بن جرموز بسفوان من أرض البصرة ، سنة ستة وملايين ، وله أربع وستون سنة ، وقيل : ستون ، وقيل : بضع وخمسون . قال : ودفن بوادي السباع ، ثم حول الى البصرة وقبره مشهور بها ، ومناقبه كثيرة ، ومآثره شهيرة ، وفضائله غزيرة رضي الله تعالى عنه .

( قال سفيان ) ابن عيينة رحمه الله تعالى ورضي عنه ( سمعت ) محمد ( بن المنكدر ) رحمه الله ورضي عنه ( في هذا المسجد ) قال ذلك نفيماً لما توهمه المنمنة من الدلسة ، وبالله التوفيق .

### الحديث الثالث عشر

٢٨ - ثنا سفيان ، قال : انبأنا ابن المنكدر ، أنه سمع جابراً يقول : مرضت فأنازي النبي ﷺ يمودني هو وأبو بكر ماشيين ، وقد أغمى عليّ فلم أكلمه ، فتوضأ فصبّه عليّ ، فأفقت ، فقلت :

يا رسول الله ! كيف أصنع في مالي ولي أخوات ، قال :  
فزلت آية الميراث : « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة » .  
كان ليس له ولد وله أخوات .

قال رضي الله عنه : ( ثنا سفيان ) ابن عيينة ( قال : أنبأنا ) محمد  
 ( ابن المنكدر ) وهذه الصيغة ، يعني أنبأنا ، الرابعة من صيغ الاداء ؛ لأن صيغ  
 الاداء على ثماني مراتب : الاولى ؛ سمعت وحدثني ، الثانية ؛ أخبرني وقرأت عليه ،  
 الثالثة ؛ قرىء عليه وأنا اسمع ، الرابعة ؛ أنبأني ، الخامسة ؛ ناواني ، السادسة ؛  
 شافني ، أي بالاجازة ، السابعة ؛ كتب إلي بالاجازة . ثم عن نحوها من الصيغ  
 المحتملة للسامع وللاجازة ، ولعدم السامع أيضاً . وهذا مثل ؛ قال ، وذكر ، وروى  
 كما في د النخبة وشرحها ، للحافظ ابن حجر ، وقال فيها أيضاً : الانباء من  
 من حيث اللغة واصطلاح المتقدمين ؛ بمعنى الاخبار ، وأما في عرف المتأخرين ؛  
 فهو للاجازة ، فافهم انها من المتقدمين في رتبة أخبارنا ، والله أعلم . ( أنه ) ، أي  
 ابن المنكدر ( سمع جابراً ) رضي الله عنه ( يقول : مرضت ) مرة ( فأنا النبي ﷺ  
 بمودني هو ) ﷺ ( وأبو بكر ) عبد الله بن عثمان ، ابي قحافة بن عامر بن  
 عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . قيل : كان اسمه عبد الكعبة ،  
 فسماه النبي ﷺ عبد الله ، وانما سمي عتيقاً لقول النبي ﷺ : من  
 أراد أن ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبي بكر ، وقيل : سمته به أمه ،  
 وقيل : سمي به لجمال وجهه . وأمّه أم الخير سلمى بنت صخر ، بنت عم أبيه ،  
 ماتت هي وأبوه مسلمين رضوان الله عليهم .

شهد الصديق مع النبي ﷺ المشاهد كلها ، وكان خصيصاً به فلم يفارقه  
 في جاهلية ولا اسلام ، وهو أول الرجال إسلاماً ، وأسلم على يده عثمان بن عفان ،  
 وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن ابي وقاص ، وعبد الرحمن ابن  
 عوف ، وخلائق لا يحصيهم إلا الله ، وهو خليفة رسول الله ﷺ ورضي عن  
 لصديق ، تولى الخلافة يوم الثلاثاء ثلاث عشرة خلت من ربيع الاول سنة  
 احدى عشر ، وهو ثاني يوم مات النبي صلى عليه وسلم . وكان مولده

بعكة بمد القبل بستين وأربعة أشهر إلا أياماً . ومات بالدينية ليلة الثلاثاء ثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بين المغرب والشاء ، وله ثلاث وستون سنة ، وأوصى أن تفضله زوجته أسماء بنت عميس ففعلته ، وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنهم ، ودفن بالحجرة الى جانب النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانت خلافته ستين وأربعة أشهر . يجمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب . روى عنه عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عباس ، وابن عمر ، وابن عمرو ، وأنس بن مالك ، وابو هريرة ، والبراء بن عازب ، وزيد بن ثابت ، وعائشة ، وقيس بن أبي حازم ، وغير هؤلاء من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين .

ومناقب الصديق لا تحصى ، وفضائله لا تستقصى ، روي له عن رسول الله ﷺ مائة حديث واثمان وأربعون حديثاً ، اتفق البخاري ومسلم منها على ستة أحاديث ، وانفرد البخاري بأحد عشر ، ومسلم بحديث واحد . وانما قل أخذ الحديث عنه لقلة مدته بعد النبي ﷺ مع وفور الصحابة رضي الله عنه وعنهم أجمعين . حال كون النبي صلى الله عليه وسلم وصديقه الأعظم في عيادتهم (١) لجا بر رضي الله عنه في مرضه ( ماشيين ) أصل العبادة الزيارة مرة بمد أخرى ، فكل من أتاك مرة بمد أخرى فهو عائد وان اشتهر ذلك في عيادة المريض حتى كأنه مختص به ، وقد تكررت الأحاديث في عيادة المريض وفضائلها والمثني اليها ، وصرح في « الاقناع » من كتب المذهب ، عن ابن حمدان من علمائنا ؛ أن عيادة المريض فرض كفاية . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : الذي يقتضيه النص وجوب ذلك ، واختاره جمع . وترجم البخاري في « صحيحه » باب وجوب عيادة المريض جزم بالوجوب على ظاهر الأمر ، والمراد مرة ، وظاهره ولو من وجع ضرس ورمد ودمل ، خلافاً لأبي المعالي ابن المنجا من علمائنا . وفي

(١) في الاصل : اعادتهم . ولم نر هذا الاستعمال ، وقد تكرر في غير هذا الموضع ، فأبدلناه بعبادة

« الفروع » يستحب ذكر الموت والاستعداد له ، وكذا عيادة المريض وفقاً  
للأئمة الثلاثة قال : وأوجب أبو الفرج ، يعني الشيرازي من أئمة المذهب ،  
وبعض العلماء عيادته ، والمراد مرة ، واختاره الآجري . وفي أواخر « الرعاية »  
فرض كفاية ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : حق المسلم على المسلم خمس ، فذكر  
منها عيادة المريض . متفق عليه . ووقع في رواية مسلم ، خمس تجب للمسلم على  
المسلم ، فذكرها منها . قال ابن بطال : يمتثل أن يكون الأمر على الوجوب  
بمعنى الكفاية ، كاطعام الجائع وفك الأسير ، ويمتثل أن يكون للنسب ،  
للحسب على التواصل والالفة . وجزم الداودي بالأول ، فقال : هي فرض يحمله  
بعض الناس عن بعض . وقال الجمهور : هي في الأصل نداء ، وقد تصل إلى  
الوجوب في حق بعض دون بعض .

وعن الطبري : يتأكد في حق من يرجى بركته ، وتسن فيمن يراعى  
حاله ، وتباح في ما عدا ذلك .

وفي الكافر خلاف المذهب ، المنع منها ، قال ابن بطال : إنما تشرع عيادة  
الكافر إذا رجي إسلامه ، فأما إذا لم يطمع في ذلك فلا . انتهى . واستظهر  
الحافظ ابن حجر في « الفتح » أن ذلك يختلف باختلاف المقاصد ، فقد يقع  
ببيادته مصلحة أخرى . قال الماوردي : عيادة الذمي جائزة ، والقربة موقوفة على  
نوع حرمة تقترب بها من جوار أو قرابة . وظاهر ما نقله في « الفروع » عن  
صاحب « المحرر » جواز عيادة الذمي ، فإنه قال : ظاهر كلام الامام أحمد  
والاصحاب عدم جواز عيادة المتبذع سواء كفر بيادته أو لا . قال في « المحرر » :  
وأما الذمي فتجوز اجابة دعوته ، وترد التحية عليه إذا سلم ، ويجوز قصده  
للبيع والشراء ، فجازت عيادته وتمزيته كالمسلم ، وعكسه من حكم بكفره من  
أهل البدع ، لوجوب هجره . قال القاضي : ولم نهجر أهل الذمة لأننا عقدناها

مهم لمصلحة: بأخذ الجزية ، ولا أهل الحرب للضرر بتركه البيع والشراء ،  
وأما المرتدون فإن الصحابة رضي الله عنهم باينوم بالقتال ، وأي هجر أعظم من  
هذا ؟! ومعمد المذهب عدم جواز عيادة الكافر والمبتدع ، والله الموفق .  
وقد نقل النووي الاجماع على عدم وجوب عيادة المريض ، يعني على  
الاعيان ، كذا في « الفتح » ، وفي « الفروع » ، مانصه ؛ وفي « شرح مسلم » :  
عيادة المريض سنة بالاجماع ، قال في « الفروع » : كذا قال وسواء فيه من يعرفه  
ومن لا يعرفه ، والقريب والاجني ، واختلف العلماء في الأوكد والأفضل  
منها ، كذا قال ، يعني النووي . قال في « الفروع » : ويتوجه أن القريب  
أولى . انتهى .

تمة : في ذكر طرف من الأحاديث الواردة في عيادة المريض  
وفضلها .

في « الصحيحين » ، و « سنن أبي داود » و « ابن ماجه » وغيرها من  
حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : حق المسلم على  
المسلم خمس ؛ رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، واجابة الدعوة ،  
وتشيمت العاطس .

وفي « مسلم » حق المسلم على المسلم ست ، فزاد : واذا استنصحك فانصح  
له . ورواه الترمذي .

وأخرج الامام أحمد والبخاري وابن حبان في « صحيحه » عن أبي سعيد  
الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : عودوا المرضى ، واتبوا  
الجنائز تذكركم الآخرة .

وروى الامام أحمد ، والطبراني ، وأبو يعلى ، وابن خزيمة ، وابن حبان ،  
في « صحيحها » عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

خمس من فعل واحدة ممن كان ضامناً على الله عز وجل ؛ من عاد مريضاً ، أو خرج مع جنازة ، أو خرج غازياً ، أو دخل على إمام يريد تميزه وتوقيره ، أو قدم في بيته فسلم الناس منه وسلم من الناس . وروى أبو داود نحوه من حديث أبي أمامة .

وروى الترمذي وحسنه ، وابن ماجه واللفظ له ، وابن حبان في « صحیحه » ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من عاد مريضاً ناداه مناد من السماء طبت ، وطاب ممثاك ، وتبوات من الجنة منزلاً .

وروى الامام أحمد ، ومسلم واللفظ له ، والترمذي ، عن ثوبان رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : أن المسلم اذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرقفة الجنة حتى يرجع . قيل : يا رسول الله ! وما خرقفة الجنة ؟ قال : جناها . قال الحافظ المنذري : خرقفة الجنة - بضم الخاء المعجمة ، وبمدها راء ساكنة - : هو ما يخترق من نخلها ، أي يجتني .

وروى أبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من توضع فأحسن الوضوء ، وعاد أخاه المسلم محتسباً بُوعِدَ من جهنم سبعين خريفاً ، فقيل : يا أبا حمزة ! ما الخريف ؟ قال : المام .

وروى الترمذي وحسنه ، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من مسلم يموت مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي ، وإن عادته عشية صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح ، وكان له خريف في الجنة .

ورواه أبو داود موقوفاً على علي رضوان الله عليه ، ثم قال : وأسند هذا عن علي من غير وجه صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم رواه مسنداً بمعناه . ولفظ الموقوف : ما من رجل يموت مريضاً ممسياً إلا خرج معه سبعون



ألف ملك يستنفرون له حتى يصبح ، وكان له خريف في الجنة . ومن أتاه مصباحاً خرج معه سبعون ألف ملك يستنفرون له حتى يمسي ، وكان له خريف في الجنة .

ورواه بنحو هذا الامام أحمد ، وابن ماجه مرفوعاً ، وزاد في أوله : إذا عاد المسلم أخاه مشى في خرافة الجنة حتى يجلس ، فاذا جلس غمرته الرحمة . الحديث . وليس عندهما ؛ وكان له خريف في الجنة . ورواه ابن حبان والحاكم بنحوه .

قوله : في خرافة الجنة ، بكسر الخاء المعجمة ، أي في اجتناء نمر الجنة . يقال : خرفت الجنة ، أخرفها ، فشبه ما يحوزه عائد المريض من الثواب ، بما يحوزه المحترف من التمر كما قال ابن الانباري .

وروى الامام مالك بلاغاً ، والامام أحمد مسنداً عن جابر بن عبد الله رضي الله عنها ، قال : قال رسول الله ﷺ : من عاد مريضاً لم يزل يحوض في الرحمة حتى يجلس ، فاذا جلس اغتمس فيها . ورواه البزار وابن حبان في « صحيحه » وكذا رواه الطبراني من حديث أبي هريرة بنحوه ، ورواه ثقات . وروى الامام أحمد باسناد حسن ، والطبراني في « الكبير » و « الاوسط » عن كعب بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من عاد مريضاً خاض في الرحمة ، فاذا جلس عنده استنقع فيها .

ورواه الطبراني أيضاً فيها من حديث عمرو بن حزم رضي الله عنه . وزاد ؛ واذا قام من عنده فلا يزال يحوض فيها حتى يرجع من حيث خرج . واستأده الى الحسن أقرب ، والله الموفق .

قال جابر رضي الله عنه ( وقد أغمى علي ) الواو للحال ، والجملة حالية ، ( فلم أكلمه ) صلى الله عليه وسلم لعدم شعوري به .

وفي رواية في «الصحيحين» عن جابر رضي الله عنه قال : عاذني رسول الله ﷺ ، وأبو بكر في بني سلمة يمسيان ، فوجدني لا أعقل . زاد في رواية الكشميهني من «صحيح البخاري» شيئاً . ففي هذا مشروعية عيادة المريض ولو كان لا يدرك شيئاً لشدة المرض . والاعماء : هو غشي يصيب الانسان تعطل معه قوته الحساسة . وقد ترجم البخاري له في «صحيحه» ، باب : عيادة المغمى عليه . قال ابن المنير : فائدة الترجمة : أن لا يستقد أن عيادة المغمى عليه ساقطة الفائدة لكونه لا يعلم بمأثمه . لكن ليس في حديث جابر التصريح بأنها علما أنه مغمى عليه قبل عيادته ، فلعله وافق حضورهما . واستظهر في «الفتح» من السياق ، وقوع ذلك حال مجيئها ، وقبل دخولها عليه ، ومجرد علم المريض بمأثمه لا تتوقف مشروعية العيادة عليه ، لان وراء ذلك جبر خاطر أهله ، وما يرجي من بركة دعاء السائد ووضع يده على المريض ، والمسح على جسده ، والنفث عليه عند التمويذ ، الى غير ذلك من المصالح (فتوضاً) النبي ﷺ (فصبه) أي صب الماء الذي توضأ به ﷺ (فأفقت) من اغمائي ، وهو من أفاق يفيق ، اذا اتمش من مرضه ، أو صحا من اغمائه ، أو تاب اليه عقله من بمد أن كان غير ذي عقل ، أو اتبه من نومه . ومنه في حديث موسى عليه السلام : فلا أدري أفاق قبلي أم أفاق من غشيته . وفي لفظ : ثم رش علي ، أي من الماء الذي توضأ به ، وقد صرح في «الاعتصام» من «صحيح البخاري» ، بأنه صب عليه نفس الماء الذي توضأ به . وفي عيادة المريض : فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم صب وضوءه علي ، وفي لفظ عند أبي داود : فنفضني في وجهي فأفقت .

وهذا يدل على أن الماء المستعمل في رفع الحدث طاهر ، وهو قول الجمهور ، وقال أصحاب أبي حنيفة : نجس . ولنا على طهارته حديث جابر هذا ، وهو متفق عليه .

ومنها حديث السائب بن يزيد رضي الله عنه ، قال : ذهبت بي خالتي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله! ان ابن اختي وجع ، فمسح رأسي ، ودعاني بالبركة ، ثم توضأ فشربت من وضوئه ، ثم قمت خلف ظهره فنظرت الى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة . متفق عليه أيضاً .

ومنها عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه ، ذكر في حديث صلح الحديبية ، قال : فوافقه ما يتنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده ، وإذا توضأ كادوا يقتلون على وضوئه . رواه البخاري .  
ومنها عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال : أتيت النبي ﷺ بالابطح وهو في قبة له ، فخرج بلال بفضل وضوئه فبين ناضح ونائل ، رواه الامام أحمد واللفظ له .

ورواه البخاري ومسلم من حديث شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت أبا جحيفة يقول : توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل الناس يأخذون فضل وضوئه .

قلت : وطهارة الماء المستعمل في رفع الحدث لا يكاد يسوغ فيها خلاف ، لأنه مما تتوفر الدواعي اليه ، فلو كان نجساً لما ساغ عدم بيانه .

وفي بعض روايات حديث جابر كما في « المسند » و « الصحيحين » ، قال : جاء رسول الله ﷺ بعمودي وأنا مريض لا أعقل ، فتوضأ وصب وضوئه عليّ فمقلت ( فقلت : يا رسول الله كيف أصنع في مالي ؟ ) وفي لفظ : ما تأمرني أن أصنع في مالي ؟ وفي رواية شعبة في « الصحيحين » ، وغيرها : لمن الميراث ؟ إنما يرثي كلاله ( ولي أخوات ) سبع ، أو تسع كما في « الصحيح » وغيره ، قال في « الفتح » : ولم أقف على تسميتهن ( قال ) جابر رضي الله عنه : فلم يرد عليّ شيئاً ،

( فنزلت ) وفي لفظ في « الصحيحين » وغيرها . حتى نزلت ( آية الميراث ) وهي قوله تعالى : « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة » (١) ، وفي لفظ ، فقلت : يا رسول الله ! إنما يرثني كلاله ، فنزلت آية الميراث . قال شعبة : فقلت لحمد ابن المنكدر : « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة » (١) هكذا أنزلت .

وأما ما في « الصحيحين » : فنزلت « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » (٢) كما في رواية ابن خديج ، فقد قيل : انه وهم في ذلك ، وان الصواب أن الآية التي نزلت في قصة جابر هذه الآية الاخيرة من النساء وهي : « يستفتونك » الآية ؛ لأن جابراً ( كان ) يومئذ ( ليس له ولد ) ولا والد ( و ) إنما ( له أخوات ) والكلالة : من لا ولده ولا والد . وقد ذكر البخاري في بعض طرقه ما يشعر بأن قوله : فنزلت « يوصيكم الله في أولادكم » مدرجة من كلام ابن عيينة . قال في « الفتح » : وقد أخرجه الامام أحمد ، عن ابن عيينة ، وزاد في آخره . كان ليس له ولد وله أخوات . قال : وهذا من كلام ابن عيينة أيضاً . قال في « الفتح » : وقد اضطرب في تعيين الآية ، فأخرجه ابن خزيمة بلفظ : حتى نزلت آية الميراث : « ان أمرؤ هلك ليس له ولد » (١) وقال مرة : حتى نزلت آية الكلالة . وأخرجه عبد بن حميد ، والترمذي ، حتى نزلت : « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » (٢) .

قال في « الفتح » : وأما قوله تعالى : ( يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ) (١) فمن آخر ما نزل ، وان الكلالة لما كانت بجملة في آية الموارث ، استفوتوا عنها فنزلت الآية الاخيرة .

(١) سورة النساء ، الآية : ١٧٦

(٢) سورة النساء ، الآية : ١١

ومضى يستفتونك ؛ أي يطلبون الفتيا والفتوى ؛ فيها معنى واحد ، أي جواب السؤال عن الحادثة التي تشكل على السائل . وهي مشتقة من الفتى ، ومنه الفتى وهو الشاب القوي . والكلالة : من لم يرثه أب ولا ابن ، وهذا قول أبي بكر الصديق كما أخرجه ابن أبي شيبة عنه ، وهو قول جمهور العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، قال عمرو بن شرحبيل : ما رأيتمهم إلا توطؤوا على ذلك . وعمرو بن شرحبيل هو أبو ميسرة من كبار التابعين ، وشهرته بكينته أكثر من اسمه . وفي الكلالة أقوال ، وما ذكرناه هو الصحيح وبالله التوفيق .

### تمة في ذكر شيء من آداب عيادة المريض

ينبغي أن تكون من أول المرض ، لحديث : إذا مرض فمده . وقيل : بعد ثلاثة أيام ، لقوله عليه الصلاة والسلام . رواه ابن ماجه باسناد ضيف من حديث أنس ، ورواه البيهقي أيضاً ، ولفظه : كان النبي ﷺ لا يعود مريضاً إلا بعد ثلاث ، وهو حديث ضيف تفرد به سلمة بن علي وهو متروك ، وقال أبو حاتم : حديث باطل ، والطبراني في « الأوسط » عن ابن عباس مرفوعاً ؛ العيادة بعد ثلاث سنة ، وقال الأعمش : كنا نقعد في المجلس فإذا فقدنا الرجل ثلاثة أيام سألنا عنه ، فإن كان مريضاً عدناه .

وأما حديث أبي هريرة مرفوعاً ؛ لا يعاد المريض إلا بعد ثلاث ، فذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، واعترض عليه السيوطي بأن ما ذكرنا من الشواهد ينفي عنه الوضع .

وينبغي أن تكون طرفي النهار بكرة وعشياً ، وتكره وسط النهار ، قال الامام أحمد عن قرب وسط النهار : ليس هذا وقت عيادة ، ونص على أنها تكون في رمضان ليلاً ، لأنه ربما رأى من المريض ما يضعفه ، ولأنه أرفق

بالعائد ، ومن الغريب ما نقله ابن الصلاح عن بعض العلماء أن العيادة تستحب في الشتاء ليلاً وفي الصيف نهاراً ، ولعل الحكمة في ذلك أن المريض يتضرر بطول الليل في الشتاء ويطول النهار في الصيف ، فيحصل له بالعبادة نوع استرواح ، ولم أر ذلك في كلام علمائنا .

وتكون غبا ، يوماً ويوماً ، قال في « الاقناع » ، قال جماعة : وينب بها ، وجزم بها في « المنتهى » ، وفي « الفروع » ، مثله ، ثم قال : وظاهر اطلاق جماعة خلافه ، ويتوجه اختلافه باختلاف الناس ، والعمل بالقرائن وظاهر الحال ، ومرادهم في الجملة ، وهي تشبه الزيارة ، وهذا اختيار الناظم ، لكن قال الحسن : الغب في الزيارة في كل اسبوع مرة ؛ زرغباً تزدد حباً . انتهى .

وحديث : زرغباً تزدد حباً ، رواه البزار والبيهقي من حديث أبي ذر ، وهما والطبراني من حديث أبي هريرة ، والطبراني والحاكم في « المستدرک » من طريق حبيب بن مسلم الفهري ، والطبراني عن ابن عمر ، وابن عمرو ، والدارقطني من حديث عائشة رضي الله عنهم ، وكثرة طرقه تكسبه قوة يبلغ بها درجة الحسن .

وفي حديث : اغبوا في عيادة المريض . أي لا تعودوه في كل يوم لما يجد من تقل المواد . ذكره ابن الأثير في « النهاية » . وفي « الفروع » ، ذكر ابن الصيرفي الحراني في « نوادره » الشمر المشهور :

لا تضجرنَّ عليلاً في مسألة	إن العيادة يوم بين يومين
بل سله عن حاله وادعوا الآلة له	واجلس بقدر فواق بين حلبين
من زار غباً أخاً دامت مودته	وكان ذاك صلاحاً للخطيلين

قال في « الفروع » : ويتوجه اختلافه باختلاف الناس ، فإن من المرضى من يؤثر تطويل بعض الناس عنده ، ويجب تخفيف بعضهم ، ومنهم من يؤثر

التخفيف مطلقاً ، ومنهم من يؤثر التطويل ، فعلى العائد أن يراعي حال المريض ،  
فيفعل الذي يحبه ويؤثره ، فإن كان يؤثر تطويله عنده وزيارته له كل يوم فلا  
يكره له ذلك ، بل يندب والله أعلم .

وينبغي أن يضع يده على المريض ، ويدعو له بالصلاح والماقية ، قالت  
عائشة رضي الله عنها : كان ﷺ إذا عاد مريضاً مسحه يمينه وقال : أذهب  
البأس رب الناس ، واشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يضادر  
سقا . متفق عليه .

والامام أحمد ، وأبي داود وغيرهما ، عن ابن عباس مرفوعاً ؛ ما من مسلم  
يمود مريضاً لم يحضر أجله ، فيقول سبع مرات : أسأل الله العظيم رب العرش  
المظيم أن يشفيك ، إلا عوفي .

وفي « فنون ابن عقيل » رحمه الله تعالى ، إن سألك وضع يدك على رأسه  
للتشفي ، فجدد توبة ، لعله يتحقق ظنه فيك . وقميص تعاطيك ما ليس لك ، وإهمال  
هذا وأمثاله يعمي القلوب ، ويخمر العيوب ، ويعود بالرياء .

وفي « المسند » و « سنن الترمذي » ، و « شعب البيهقي » من حديث أبي  
أمامة ، والطبراني من حديث أبي هريرة ، وابن ماجه من حديث عائشة ،  
والبيهقي من حديث جابر ؛ أن من تمام العيادة أن تضع يدك على المريض . ولم  
يصب ابن الجوزي في ذكره له في « الموضوعات » .

وفي خبر ضعيف : إذا دخلتم على المريض فنفسوا له في أجله . وفي آخر  
من رواية ميمون بن مهران ، عن عمر ، ولم يدر كه ، مرفوعاً : سلوه الدعاء ،  
فإن دعاءه كدعاء الملائكة . رواه ابن ماجه وغيره .

قال الامام أحمد رضي الله عنه : الامراض تمحيص الذنوب ، وقال لمريض  
تمائل : بهنيك الطهور .

وقد روي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً ؛ داووا مرضاكم بالصدقة ، وحصنوا أموالكم بالزكاة ، وأعدوا للبلاء الدعاء . والحديث وإن كان في سنده من رمي بالكذب ، فقد عمل به جماعة من علمائنا وغيرهم ، وهو حسن ومعناه صحيح . والله الموفق .

### الحديث الرابع عشر

٢٩ - ثنا سفيان ، قال : سمعت ابن المنكدر غير مرة يقول : عن جابر ، وكأني سمعته مرة يقول : أخبرني من سمع جابراً ، فظننته سمعه من عبد الله بن محمد بن عقيل بن المنكدر ، وعبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر : أن النبي ﷺ أكل لحماً مشويّاً ثم صلى ولم يتوضأ ، وإن أبا بكر أكل لحماً ثم صلى ولم يتوضأ ، وإن عمر أكل لحماً ثم صلى ولم يتوضأ .

قال رضي الله عنه : ( ثنا سفيان ) بن عيينة ( قال سمعت ) محمد ( بن المنكدر غير مرة ) واحدة ، بل مرات متعددة ( يقول عن جابر ) بن عبد الله رضي الله عنها ، قال سفيان : ( وكأني سمعته مرة ) واحدة ( يقول : أخبرني من سمع جابراً ) رضي الله عنه ، فشك سفيان أن محمد بن المنكدر اثبت بينه وبين جابر واسطة مرة واحدة في تحديته له بهذا الحديث ، قال سفيان رحمه الله ورضي عنه : ( فظننته ) الضمير يعود على محمد بن المنكدر ( سمعه ) أي الحديث الآتي : ( من عبد الله بن محمد بن عقيل بن المنكدر ، وعبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر )



رضي الله عنه ، وحاصله ، ان محمد بن المنكدر حدث به ، نارة عن سماعة من جابر  
 الا واسطة ، ونارة اثبت الواسطة ، وكان الشيخين لم يخرجوا هذا الحديث من هذا  
 وجه لهذا الاضطراب ؛ مع انه غير قادح في صحة الحديث (ان النبي ﷺ أكل  
 لحما) مشويا ومطبوخا (ثم صلى) بعد أكله من اللحم ( ولم يتوضأ ) من أكله  
 اللحم الذي مسته النار (وان أبا بكر) الصديق خليفته على التحقيق (أكل لحما  
 ثم صلى ولم يتوضأ) من ذلك (وان عمر) الفاروق ، أمير المؤمنين ، مؤدي  
 الحقوق (أكل لحما ثم صلى ولم يتوضأ) .

وروى الامام أحمد أيضاً ، من حديث جابر رضي الله عنه أيضاً ، قال :  
 أكلت مع النبي ﷺ ، ومع أبي بكر وعمر خبزاً ولحماً ، فصلوا ولم يتوضؤوا .  
 وعن جابر رضي الله عنه أيضاً قال : كان آخر الأمرين من رسول الله  
 ﷺ ترك الوضوء مما مسته النار . رواه أبو داود والنسائي وغيرهما ، وهو  
 حديث صحيح .

وفي « البخاري » : أكل أبو بكر وعمر وعثمان لحماً ولم يتوضؤوا .  
 وفي « الصحيحين » وغيرهما ، عن ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها ،  
 قالت : أكل النبي ﷺ كنف شاة ، ثم قام فصلى ولم يتوضأ .  
 وفيها عن عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه ، قال : رأيت رسول الله  
 ﷺ يحترق من كنف شاة ؛ فأكل منها ، فدعي الى الصلاة ، فقام وطرح  
 السكين وصلى ولم يتوضأ . وقال البخاري : من كنف شاة ، فألقاها وألقى السكين .  
 وفي « مسلم » عن أبي رافع رضي الله عنه ، قال : أشهد لكنت أشوي  
 لرسول الله ﷺ بطن الشاة ، ثم صلى ولم يتوضأ .

وفي « الصحيحين » من حديث ابن عباس رضي الله عنها ، أن رسول الله  
 ﷺ أكل كنف شاة ثم صلى ولم يتوضأ . زاد مسلم في طريق آخر ؛ ولم يمس

ماء . وفي بعض ألفاظ هذا الحديث ؛ ترمق رسول الله ﷺ كتفا ، وفي آخر  
امتثل النبي ﷺ عرفا من قدر .

وفيها عنه ؛ أن رسول الله ﷺ ، جمع ثيابه ، ثم خرج الى الصلاة ،  
فأتي بهدية خبز ولحم ، فأكل ثلاث لقم ، ثم صلى بالناس وما مس ماء . ولفظ  
البخاري : ولم يتوضأ .

وأخرج عن جابر رضي الله عنه ؛ أنه سأله سعد بن الحارث عن الوضوء  
مما مست النار ، فقال : لا ، قد كنا زمان رسول الله ﷺ لا نجد مثل ذلك من  
الطعام إلا قليلا ، فاذا نحن وجدناه ، لم تكن لنا مناديل ، إلا أكفنا وسواعدنا  
وأقدامنا ، ثم نصلي ولم نتوضأ .

وقد ورد الأمر بالوضوء مما مسته النار ، فروى الامام أحمد ، ومسلم ،  
والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ  
يقول : توضؤوا مما مست النار .

وعن زيد بن ثابت مثله مرفوعاً ، رواه أيضاً ولفظه : الوضوء مما  
مست النار .

ومثل حديث أبي هريرة ، روي عن عائشة ؛ رواه الامام أحمد ، ومسلم ،  
وغيرهما .

فذهب الجمهور من السلف ، عدم نقض الوضوء ، ووجوب الطهارة ؛  
بأكل ما مسته النار ، وهذا مذهب أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعبدالله  
ابن مسعود ، وأبي الدراء ، وابن عباس ، وابن عمر ، وأنس ابن مالك ، وجابر ابن  
عبدالله ، وابن سمرة ، وزيد بن ثابت ، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ،  
وذهب اليه جماهير التابعين ، وهو مذهب الأئمة الأربعة ، وإسحاق بن راهوية ،  
وأبي ثور ، وأبي خيثمة ، وغيرهم .

وذهبت طائفة الى وجوب الوضوء الشرعي ، بأكل ما مسته النار ، وهو مروى عن عمر بن عبد العزيز ، والحسن البصري ، والزهري ، وأبي قلابة ، وأبي مجاز ، واحتجوا بما تقدم من الأحاديث . وحجة الجمهور ، ما قدمنا من الأحاديث بترك الوضوء مما مسته النار . وأجابوا عما تعلقوا به من الأحاديث بجوابين :

أحدهما : أنه منسوخ ، والدليل على نسخه حديث جابر رضي الله عنه ، كان آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ، ترك الوضوء مما مسته النار . وهو صحيح صريح في المقصود .

الثاني : أن المراد بالوضوء هنا ؛ غسل الفم والكفين . ثم إن هذا الخلاف كان في الصدر الأول ، وأما الآن فقد أجمع العلماء على عدم الوجوب . وبالله التوفيق .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : لم يجيء الوضوء في كلام النبي ﷺ إلا والمراد به الوضوء الشرعي ، ولم يرد لفظ الوضوء بمعنى غسل اليد والفم ؛ إلا في لغة اليهود . كما روي ؛ أن سلمان الفارسي رضي الله عنه ، قال للنبي ﷺ : إنا نجد في التوراة ؛ أن من بركة الطعام الوضوء قبله ، فقال ﷺ : من بركة الطعام الوضوء قبله ، والوضوء بعده .

فروع : معتمد مذهب الامام أحمد رضي الله عنه ، نقض الوضوء بأكل لحم الابل ولونيناً ، خلافاً لثلاثة ، والحجة في ذلك لنا ؛ حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه ، أن رجلاً سأل النبي ﷺ : أتوضأ من لحوم الفم ؟ قال : لا ، قال : أتوضأ من لحوم الابل ؟ قال : نعم . رواه الامام أحمد ، ومسلم .

وحدث البراء بن عازب رضي الله عنها ، قال : سئل رسول الله ﷺ

غن الوضوء من لحوم الابل. فقال : توضؤوا منها ، رواه الامام أحمد ، وأبو داود ،  
والترمذي ، وابن ماجه :

قال الامام إسحق بن راهوية : صح في هذا الباب حديثان عن رسول الله  
ﷺ ؛ حديث جابر بن سمرة ، وحديث البراء .

وكذا روي عن الامام أحمد رضي الله عنه ؛ أنه قال : فيه حديثان  
سجحان ؛ حديث البراء ، وجابر بن سمرة .

وقال ابن خزيمة . لم نر خلافا بين علماء الحديث ؛ ان هذا الخبر صحيح  
من جهة النقل ، لمدالة ناقله .

وروي من حديث أسيد بن حضير ؛ أن رسول الله ﷺ قال : توضؤوا  
من لحوم الابل ، ولا تتوضؤوا من لحوم الغنم . وصلوا في مراض الغنم ، ولا تصلوا  
في مبارك الابل . رواه الامام أحمد ، وابن ماجه .

وروى عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ذي الفرة ، قال : عرض أعرابي  
لرسول الله ﷺ وهو يسير ، فقال : يا رسول الله ! تدركننا الصلاة ؛ ونحن في  
أعطان الابل ، فنصلي فيها ، فقال رسول الله ﷺ : لا ، قال : افتوضاً من  
لحومها ؟ قال : نعم . رواه عبد الله بن الامام أحمد في «الزوائد» .

قال بعض العلماء : ذو الفرة لا يدري من هو . وقال ابن حاتم :  
ذو الفرة الطائي له صحبة . وقال العباس الدوري : سمعت يحيى بن معين يقول :  
ذو الفرة من أصحاب رسول الله ﷺ .

وأما ما رواه الدراقطني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ؛ أن رسول الله  
ﷺ قال : الوضوء مما يخرج ، وليس مما يدخل . ففي سننه شعبة مولى ابن  
عباس ، قال مالك والنسائي : إنه ليس بثقة ، وقال يحيى بن معين : لا يكتب

حديثه . وفي إسناده أيضاً الفضل بن المختار ، قال أبو حاتم الرازي : إنه مجهول ، وأحاديثه منكرة ، يحدث بالباطيل ، وقال ابن عدي : لعل البلاء في هذا الحديث من الفضل ، لا من شعبة ؛ لأن له أحاديث منكرة ، وكذا ما يرويه بعض من لا يعرف في علم الحديث ؛ لا وضوء من طعام أحله الله . وهذا لا يعرف . لا يلتفت إليه .

وذهب الى القول ؛ باتقاص الوضوء بأكل لحم الابل ، كذهب الامام أحمد لامام اسحق ابن راهويه ، ويحيى بن يحيى ، وابن المنذر ، وابن خزيمة ، واختاره الحافظ ابو بكر البيهقي ، وحكي عن أصحاب الحديث مطلقاً ، وعن جماعة من الصحابة ، هو أقوى دليلاً من مقابله .

وقد احتج من لم يقل بالنقض بأنه منسوخ بحديث جابر المتقدم : كان آخر امرين من رسول ﷺ ترك الوضوء مما مست النار . ولا يخفى ما فيه ، فانه عام ، وحديث الوضوء من لحوم الابل خاص ، والخاص مقدم على العام . وفي إيجابه ﷺ : الوضوء من لحوم الابل دون لحوم النعم ، ما يرد زعم الزاعم النسخ ، فانه صحيح صريح لا يمتثل التأويل . وبالله التوفيق .

### الحديث الثامن عشر

٣٠ - ثنا سفیان ، ثنا ابن المكندر ، قال : سمعت جابراً يقول :

١. رسول الله ﷺ رجلٌ من الأعراب ، فأسلم ، فبايعه على العجرة ، فلم يلبث أن حم ، جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أقلني . فقال : لا أهلك ، ثم أتاه فقال : أقلني . قال :

لا أقيك ، ثم أتاه فقال : أقتني . قال : لا أقيك ، ففر ، فقال  
 النبي صلى الله عليه وسلم : المدينة كالكبير تنفي خبثها وينصم طيبها .  
 قال رضي الله عنه ( ثنا سفيان ) بن عيينة ( ثنا ) محمد ( بن المنكدر  
 قال : سمعت جابراً ) رضي الله عنه ( يقول : جاء الى رسول الله ﷺ رجل من  
 الاعراب ) لم أر من نبه على اسمه ، ويض ابن البلقيني له في محلين من كتابه في  
 « الافهام لما في البخاري من الابهام » ( فاسلم ) ذلك الاعرابي ( فبايعه ) النبي ﷺ  
 ( على الهجرة ) ، وفي لفظ في « الصحيحين » ، وغيرها ، فبايعه على الاسلام ( فلم  
 يلبث ) ، أي لم يبطئ . ولم يتأخر ، يقال : لبث يلبث لبثاً بسكون الواو ، وقد  
 تفتح قليلاً على القياس . وقيل : اللبث بالسكون ؛ الاسم ، وبالضم ؛ المصدر ( أن  
 حم ) ، أي اعترته الحمى ، وفي رواية في « الصحيحين » : فأصاب الأعرابي وعك  
 بالمدينة ، والوعك : الحمى ، وقيل : أولها ، يقال : وعك المرض وعكا فهو موعوك ،  
 كما في « النهاية » .

وفي رواية في « الصحيحين » ، أيضاً ، فجاء من الند محموماً ( جاء ) الاعرابي  
 بعد أن حم ( الى النبي ﷺ فقال : ) له ( اقتني ) من الهجرة التي بايعتك عليها  
 ( فقال ) له النبي ﷺ ( لا أقيك ) منها ، ( ثم أتاه ) الاعرابي ثانياً ، ( فقال :  
 اقتني . قال : لا أقيك ، ثم أتاه ) ثانياً ( فقال : اقتني . قال : ) ( لا أقيك ) .  
 الاقالة : ابطال ما عاهد وبيع عليه ، قال ابن سيده : الاقالة في البيع : نقضه  
 وإبطاله ، وقال ابن فارس : معنى الاقالة : انك رددت ما أخذت منه ، ورد عليك  
 ما أخذ منك والأفصح : أقله إقالة ، ويقال : قاله ، بغير الف ، حكاه أبو عبيد ،  
 وابن القطاع ، والفواد ، وقطرب ، قال : وأهل الحجاز يقولون : قلته ، فهو  
 مقبول ومقبل ، وهو أجود ، ذكره في « المطلع » ، وحكى اللغتين في

« القاموس » ، وقال : أقلته ، فسخته . واستقاله ؛ طلب اليه أن يقيله ، وأقال الله  
عثرتك وأقالها .

قال في السيرة الشامية المسماة بـ « سبل الهدى والرشاد » : المراد بالاقالة  
هنا ، الاقالة من الاسلام ، وقيل : من الهجرة ، وإلا لكان سار مرتدأ وساغ قتله .  
ولفظ « الصحيحين » : فقال : أقلني ببيعتي ، فأبى ، ثم جاءه فأبى ، ثم جاءه  
فقال : أقلني ببيعتي فأبى ( ففر ) ، أي هرب . ولفظ « الصحيحين » : فخرج  
الأعرابي ( فقال النبي ﷺ : المدينة ) يعني مدينته مكة ، وصار هذا الاسم علما عليها ،  
ولفظ « الصحيحين » : إنما المدينة ( كالكبير ) بكسر الكاف وسكون التحتية ،  
وفيه لغة أخرى ؛ كور بضم الكاف ، والمشهور بين الناس أنه الزق الذي ينفخ  
فيه ، لكن أكثر أهل اللغة قالوا : ان المراد بالكبير : كانون الحداد والصائغ ،  
وقيل : الكبير هو الزق ، والكانون هو الكور . هكذا في « سبل الهدى » .

وقال في « النهاية » : الكبير بالكسر : كبير الحداد ، وهو المني من الطين ،  
وقيل : الزق الذي ينفخ به النار ، والمني : الكور ( تنفي ) بفاء مخففة ، وروي  
بقاف مشددة من التنقية ( حبثها ) بفتح الحاء المعجمة والباء الموحدة والثاء  
المثلثة . وروي بضم الحاء وسكون الموحدة ؛ هو خلاف الطيب ، والمراد هنا ؛  
ملا يليق بها ، ولا يصلح لسكانها ( وينصع ) بنون وصاد مهملتين وعين ، أي  
يخلص ويتميز ( طيبها ) بفتح الطاء المهملة ، وتشديد الياء المثناة التحتية ، وفتح الموحدة ،  
وبكسر الطاء وسكون التحتية . والنصوع الخلوص ، والمعنى : ان المدينة اذا  
نفت الحبث ، تميز الطيب واستقر بها . وروي الاكثر طيبها بالنصب على المفعولية  
على وجهي تشديد التحتية وتخفيفها ، وبالتالي الفوقانية . وفي بعض روايات  
« الصحيح » ينصع بالتحثانية ، كرواية الامام ، ورفع طيبها على الفاعلية ، بل  
هذه الرواية هي التي عليها الممول ، وان كانت الاخرى صحيحة .

قال القاضي عياض : كان هذا مختص بزمانه ، لأنه لم يكن يصبر على الهجرة والمقام معه بها الا من ثبت إيمانه . قال النووي : ليس هذا بظاهر ؛ لان عند مسلم : « لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد ، وهذا والله أعلم زمن الدجال .

قال الحافظ ابن حجر : ويحتمل أن يكون المراد كلاً من الزمنين ، وكان الامر في حياته ﷺ للسبب المذكور ، ويؤيده قصة الاعرابي حيث استقاله ، فانه ﷺ ذكر هذا الحديث مطلقاً به خروج الأعرابي وسؤاله الاقالة عن البيعة ، ثم يكون ذلك في آخر الزمان عندما ينزل الدجال السبخة ؛ فترجف بأهلها ، فلا يبقى متافق ولا كافر إلا خرج اليه .

قال السيد : قد أبد الله عنها أرباب الخبث الكامل ، وهم الكفار ، وأما غيرهم فقد يكون إيماده إن مات بها بنقل الملائكة ، أشار اليه بعض العلماء ، أو المراد أهل الخبث الكامل فقط ، وهم أهل الشقاء لمدم قبولهم الشفاعة ، أو المراد فيما عدا قصة الاعرابي والدجال أنها تخلص النفوس من شرها وظلمات ذنوبها بما فيها من الاثواء أو المشقات ومضاعفة الثواب ؛ إذ الحسنات يذهبن السيئات ، أو المراد من كان في قلبه خبث وفساد ميزته عن القلوب الصادقة ، وأظهرت ما يخفى من عقيدتهم كما هو مشاهد بها ، ويؤيده قوله ﷺ عند رجوع المنافقين في غزوة أحد : « المدينة كالكبير » . ولفظ « الصحيحين » والترمذي من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه ، قال : قال النبي ﷺ : « إنما طيبة تنفي الرجال كما ينفي الكير خبث الحديد » .

قال في « سبل الهدى » : والذي يظهر لي أنها تنفي خبثها بالمعاني الاربية ، وفي حديث عن جابر ، وأبي هريرة وغيرهما عند الامام أحمد وغيره وفي آخره : « والذي نفسي بيده لا يخرج أحد منهم رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه ،

(١) لفظ « الصحيحين » المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد .



ألا إن المدينة كالكبير يخرج الحبث ، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما  
ينفي الكبير خبث الحديد .

قال بعض العلماء : المراد به الخارجون من المدينة رغبة عنها كارهين لها ، وأما  
من خرج لحاجة و تجارة أو جهاد أو نحو ذلك ؛ فليس بداخل في معنى الحديث .  
وفي الحديث دليل على فضل المدينة النبوية ؛ لنفيها أهل الحبث وعدم  
قبولها لهم .

وفي فضائلها عدة أحاديث في أنواع من الفضائل والمناقب ؛ ففي « مسلم »  
عن أبي سعيد مولى المهدي : أنهم أصابهم بالمدينة جهد وشدة ، وأنه أتى أبا سعيد  
فقال له : إني كثير الصيال ، وقد أصابتنا شدة ، فأردت أن أتقل عيالي الى بعض  
الريف فقال أبو سعيد رضي الله عنه : لا تفعل ، ازم المدينة . الحديث .

وفيه أنه ﷺ قال : اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حراماً ، واني  
حرمت المدينة فجعلتها <sup>(١)</sup> حراماً ما بين مآزمتها : أن لا يهراق فيها دم ، ولا يحمل  
فيها سلاح ، اقتال ، ولا تحبظ فيها شجرة إلا لطف ، اللهم بارك لنا في مدينتنا ،  
اللهم بارك لنا في صاعنا ، اللهم بارك لنا في مدنا ، اللهم اجعل مع البركة بركتين ،  
ثم قال ﷺ : « والذي نفسي بيده ما من المدينة شئ ولا ثقب ، الا عليه  
ملك من مكرسانها » . الحديث .

وفي رواية : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يصبر أحد على لأوائها ،  
يعني المدينة ، إلا كنت له شفيماً أو شهيداً يوم القيامة ، إذا كان مسلماً ، ولا يريد  
أحد أهل المدينة بسوء ، إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص ، أو ذوب  
الملح في الماء » .

(١) ساقطة من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونها .

وفي « مسلم » عن زيد بن ثابت رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :  
« إنها ، أي المدينة طيبة تنفي الذنوب ، كما تنفي النار خبث الفضة » . رواه  
البخاري أيضاً ، واللفظ له .

وفي « موطأ الأمام مالك » .. و « صحيح البخاري » .. عن أم المؤمنين  
حفصة بنت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنها ، قالت : قال عمر رضي  
الله عنه : اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتي في بلد رسولك ، فقلت :  
أنى يكون هذا ؟ قال : يأتيني به الله إذا شاء .

وروى الامام أحمد والشيخان عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : لما قدم  
رسول الله ﷺ وعك أبو بكر وبلال وفي لفظ : قدمها وهي أوبأ أرض من  
الحمي ، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم ، وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ .  
قالت : فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال مويأ أبي بكر في بيت واحد ،  
فاستأذنت رسول الله ﷺ في عيادتهم ، فأذن لي ، فدخلت اليهم أعودهم ، وذلك  
قبل أن يضرب علينا الحجاب ، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك ، فدنوت من  
أبي بكر فقلت : كيف تجددك يا أبت ، فقال :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شرك نعله  
قالت : فقلت : والله ما يدري أبي ما يقول ، ثم دنوت الى عامر بن فهيرة  
فقلت : كيف تجددك يا عامر ؟ فقال :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حنقه من فوقه  
كل امرئ مجاهد بطوقه .  
فقلت : والله ما يدري عامر ما يقول . قالت : وكان بلال إذا أدر كتفه  
الحمي اضطجع بفتاء البيت ثم يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شمري هل أبيتن ليلة بواد وحوالي اذخر وجليل

وهل أردن يوماً بيه مجنة وهل يدون لي شامة وطفيل

قالت عائشة : فبحث رسول الله ﷺ فأخبرته وقلت : إنهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى ، فنظر الى السماء وقال : « اللهم حجب الينا المدينة كحجبت مكة أو أشد ، اللهم وصحبها ، وبارك لنا في مداها وصاعها ، واقبل حمانها فاجعلها بالحنفة » . وزاد في رواية بمد بيتي بلال من قوله : « اللهم العن شيبه بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، وأميه بن خلف كما أخرجونا من أرضنا الى أرض الوباء .

وفي « الصحيحين » وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وغيره من الصحابة رضي الله عنهم ، أن رسول الله ﷺ قال : « على أنقاب المدينة ملائكة ، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال » .

وفي « الصحيحين » وغيرهما من حديث أبي هريرة وغيره من الصحابة رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام » . وفي لفظ « خير » ، وفي آخر : « فإن رسول الله ﷺ آخر الأنبياء ، وإن مسجده آخر المساجد » ، وفي آخر أنه ﷺ قال : « فاني آخر الانبياء ، وإن مسجدي آخر المساجد » .

وفي « الصحيحين » أيضاً من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » . وفيها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي » . وقد وقع في رواية ابن عساكر : « ما بين قبري » بدل « بيتي » ، قال في « الفتح » وهو خطأ ، ثم قال : نعم وقع في حديث سعد بن أبي وقاص عند الزار بسند رجاله ثقات ، وعند الطبراني من حديث ابن عمر بلفظ : « القبر » ، فملى هذا المراد بالبيت أحد بيوته لا كلها ، وهو

بيت عائشة - رضي الله عنها - الذي صار فيه قبره . وقد ورد الحديث بلفظ :  
 « ما بين المنبر وبيت عائشة روضة من رياض الجنة » . أخرجه الطبراني في  
 « الأوسط » ، والمراد أنه كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة وحصول  
 السعادة ، بما يحصل من ملازمة حلق الذكر والقرآن ، ولا سيما في عهده عليه  
 الصلاة والسلام ، والأظهر أنه على ظاهره حقيقة ، بأن ينقل ذلك الموضع بينه  
 في الآخرة الى الجنة . وسيأتي ذكر ذلك ، في آخر الثلاثيات ، والله الموفق .

### الحديث السادس عشر

٣١ - ثنا سفيان ، قال : سمع ابن المكندر جابراً يقول :  
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو جاء مال البحرين لقد  
 أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا ، فلما جاء مال البحرين بعد  
 وفاة رسول الله ﷺ . قال أبو بكر : من كان له عند رسول  
 الله ﷺ دين أو عِدَّة ؛ فليأتنا . قال : فجئت ، فقلت : إن  
 رسول الله ﷺ قال :

لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا ثلاثاً .  
 قال : فخذ ، قال : فأخذت . قال بعض من سمعه : فوجدتها  
 خمسمائة ، ثم أتيته فلم يعطني ، ثم أتيت الثالثة فلم يعطني . قلت :

إما أن تعطيني ، وإما أن تبخل عني . قال : أقلت : تبخل عني ،  
أقلت : تبخل عني ؛ وأي داء أدوا من البخل ؟ ما سألتني مرة  
إلا وأردت أن أعطيك .

قال رضي الله عنه : ( ثنا سفيان ) ابن عيينة ( قال : ) أي سفيان ( سمع )  
محمد ( ابن المنكدر جابراً ) رضي الله عنه ( يقول : قال رسول الله ﷺ ) لي  
( لو ) كلمة يؤتى بها للربط لتطبيق ماضٍ بـ ماضٍ ، كقولك : لو زرتني لأكرمته .  
وقوله ﷺ : ( جاء مال البحرين لقد أعطيتك ) ضمير الخطاب لجابر رضي الله  
عنه ، ولهذا لم تجزم لو إذا دخلت على مضارع ، لأن « لو » وضع للماضي لفظاً  
ومعنى ، كقولك : لو يزورني زيد لأكرمه ؛ فهي في الشرط نظير إن في الربط  
بين الجملتين ، لا في الميل ولا في الاستقبال . وأنكر تاج الدين الكندي كون  
« لو » حرف شرط ، وغلط الزمخشري في عدها في أدوات الشرط .

قال الاندلسي في « شرح المفصل » فحكيت ذلك لشيخنا أبي البقاء ،  
فقال : غلط تاج الدين في هذا ، فإن لو تربط شيئاً بشيء كما تفعل إن .

قال الامام ابن القيم في كتابه « بدائع الفوائد » : النزاع لفظي ، فإن أريد  
بالشرط الربط المعنوي الحكمي ؛ فالصواب ما قاله أبو البقاء والزمخشري ، وإن  
أريد بالشرط ما يعمل في الجزئين فليست من أدوات الشرط ، والبحرين ، بلفظ  
التثنية : بلاد مروفة باليمن ، وهو عمل فيه مدن بها منجر .

قال في « شرح مشارق الانوار » والبحرين موضع معروف ، يسلك اليه  
من البصرة ، وكان هذا الحامل لبعض المؤرخين . على قوله : هو ناحية من  
البصرة ، بها مفاص التؤلؤ .

وقال الجوهري في «صاحبه»: البحرين بلد، والنسبة اليها بحراني .  
وقال الأزهري: إنما سمي البحرين؛ لأن في ناحية قراها بحيرة على باب الأحساء  
وقرى هجر، بينها وبين البحر الأعظم الأخضر عشرة فراسخ، وقدرت البحيرة  
ثلاثة أميال في مثلها، ولا يفيض ماؤها وهو ركاك زعاق<sup>(١)</sup>، وهذه النواحي كلها  
بلاد العرب، وهي وراء البصرة، تتصل بأطراف الحجاز، وهي على ساحل  
البحر المتصل باليمن والهند، بالقرب من جزيرة قيس بن عميرة، وهي التي تسميها  
العامة: كبش، ومن قرى البحرين جنابة: بفتح الجيم وتشديد النون، فألف  
فموحدة، فهاء تأنيث: بلدة من أعمال فارس، متصلة بالبحرين عند سيراف، ومنها  
نبع أول القرامطة، ومن قرى: البحرين الأحساء؛ بفتح الهمزة وسكون  
الهاء المهملة، وبعدها سين مهملة، ثم همزة ممدودة، وهي كورة في تلك الناحية،  
فيها بلاد كثيرة، منها جنابه المذكورة، وهجر، والقطفيف، وكان بدو القرامطة  
سنة ست وثمانين ومائتين، فظهر أبو سعيد الجنابي بالبحرين، واجتمع اليه جماعة  
من الأعراب والقرامطة وقوي أمره، فقتل من حوله من أهل تلك القرى،  
وقربوا من نواحي البصرة، فجهز اليهم الخليفة المتضد بالله جيشاً يقاتلهم،  
مقدمهم المباس بن عمرو الفنوي، فتواقموا وقمة شديدة، فانهزم أصحاب المباس  
وأسر هو، وذلك سنة سبع وثمانين ومائتين بالبصرة والبحرين، وقتل أبو سعيد  
الاسرى وأحرقهم، واستبقى المباس ثم أطلقه بعد أيام، وقال له: امض الى  
صاحبك وعرفه مارأيت، فدخل بغداد وحضر بين يدي الخليفة المتضد، فخلع  
عليه. ثم إن القرامطة دخلوا بلاد الشام في سنة تسع وثمانين ومائتين، وجزت  
بين الطائفتين وقعات يطول شرحها، ثم قُتل أبو سعيد المذكور في سنة إحدى  
وثلثمائة، قتله خادم له في الحمام، وقام مقامه ولده أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد  
ولما قتل أبو سعيد كان قد استولى على هجر والقطفيف وسائر بلاد البحرين، ومنها

(١) الزعاق، كقراب: الماء المر القليظ لا يطاق شربه .

قصد أبو ظاهر وعسكره البصرة وملكوها بغير قتال ، بل صدوا إليها ليلاً  
 بسلام الشعر ، فلما حصلوا بها وأحسوا بهم ، ناروا إليهم فقتلوا متولي البلد ،  
 ووضعوا السيف في الناس فهربوا منهم ، وأقام أبو ظاهر ستة عشر يوماً يحمل  
 منها الاموال ، ثم عاد الى بلده ، ولم يزلوا يبيثون في الارض ويكثرون في البلاد  
 الفساد من القتل والسيب والنهب والحريق الى سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، فحج  
 الناس وسلموا في طريقهم ، ثم وافق أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية ، فهبوا  
 أموال الحجاج وقتلوه حتى في المسجد الحرام ، وقلع الحجر الاسود وأنفذه الى  
 هجر ؛ فخرج اليه أمير مكة في جماعة من الاشراف ؛ فقاتلوه فقتلهم أجمعين .  
 وقلع باب الكعبة وأصعد رجلاً ليقلع الميزاب ؛ فسقط الرجل فمات ، وطرح القتلى  
 في بئر زمزم ، ودفن الباقيين في المسجد الحرام من غير كفن ولا غسل ولا صلاة  
 على أحد منهم ، وأخذ كسوة البيت فقسمها بين أصحابه ، ونهب دور أهل مكة ،  
 فلما بلغ ذلك المهدي عبيد الله صاحب افرقيية جد الفاطميين الذين ملكوا مصر  
 بعد ذلك ؛ كتب اليه ينكر عليه ويلومه ويلمونه ، ويقول له : حققت على شيعتنا  
 ودعاة دولتنا الكفر واسم الاحاد لما قد فعلت ، وان لم ترد على أهل مكة وعلى  
 الحجاج ما أخذت منهم ، وترد الحجر الاسود الى مكانه ، وترد كسوة البيت ،  
 وإلا فانا بريء منك في الدنيا والآخرة ، فلما وصله الكتاب أعاد الحجر وما أمكنه  
 من أموال أهل مكة . وقال : احذناه بأمرٍ وردناه بأمر ، وكان قد بذل في رده  
 خمسين الف دينار ، فلم يردوه وردوه بأمر عبيد الله المهدي مجاناً ، وذكروا أنه  
 تفسخ تحته ثلاث جمال قوية من ثقله ، ولما ردوه أعادوه على حمل واحد ضئيف  
 فوصل به سالماً ، ولما أرادوا رده حملوه الى الكوفة وعلقوه بجامها حتى رآه  
 الناس ، ثم حملوه الى مكة وكان مكته عندهم اثنين وعشرين سنة .

ولفظ «الصحيحين» ، لو قد جاء مال البحرين ؛ لقد أعطيتك ( هكذا وهكذا وهكذا ) بيسط يديه ﷺ ثلاث مرات .

( قال ) جابر رضي الله عنه ( فلما جاء مال البحرين ) من قبل الملاء ابن الحضرمي - بكسر القاف - أي من جهته . والملاء بلد ، وابن الحضرمي عبده ، كان عاملاً لرسول الله ﷺ على البحرين ، وأقره الشيخان : أبو بكر وعمر ، رضي الله عنها ، عليها ؛ إلى أن مات سنة أربع عشرة ( بعد وفاة رسول الله ﷺ ) متعلق بجاء . ولفظ «الصحيحين» قبض النبي ﷺ قبل أن يمحي مال البحرين ، فقدم على أبي بكر رضي الله عنه بدمه ( قال أبو بكر ) وفي لفظ في «الصحيحين» : فأمر ، أي أبو بكر رضي الله عنه متادياً فنأدي : ( من كان له عند رسول الله ﷺ ( دين أو عِدَّة ) من الوعد والوعيد ، فالوعد يستعمل في الخير والشر . يقال : وعدته خيراً ؛ ووعدته شراً ، فإذا أسقطوا الخير والشر ؛ قالوا في الخير : الوعد والمدة ، وفي الشر : الإيماذ والوعيد ، وقد أوعدته بوعده ( فليأتنا ) لنقضي دينه الذي كان له على رسول الله ﷺ ، ولنوفي بعهدة النبي ﷺ التي كان قد وعده بها .

( قال ) جابر رضي الله عنه ( فبحثت فقلت ) لأبي بكر رضي الله عنه : ( ان رسول الله ﷺ قال ) لي : ( لو قد جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا ) وقال يديه جميعاً ( ثلاثاً . قال ) أبو بكر رضي الله عنه : ( فخذ ) ولم يسأل الصديق رضي الله عنه جابراً البينة على ما ادعاه على رسول الله ﷺ من المدة ؛ لأنه لم يكن شيئاً ادعاه في ذمة رسول الله ﷺ ، وإنما ادعاه شيئاً من بيت المال ، والقبض ذلك موكول إلى اجتهاد الامام .

قال الكرمانى : الوعد كالشهادة على نفسه . قال المهلب : انجاز الوعد مأموره ، مندوب اليه عند الجميع ، وليس يفرض لاتفاقهم ؛ على أن الموعد



لا يضرب له بما وعده مع الثرماء ، ولا خلاف في ذلك . أنه مستحسن ، وقد  
أثنى الله تعالى على من صدق وعده ووفى بوعده ، وذلك من مكارم الأخلاق .

ولما كان الشارع ﷺ أمر الناس بها ، وندبهم إليها ؛ أدى ذلك عنه خليفته  
الصديق ، وقام فيه مقامه . ومذهب مالك : إن ارتباط الوعد بسبب ؛ وجب الوفاء  
به ، وإلا فلا . فمن قال لآخر : تزوج ولك كذا ، فزوج لذلك ؛ وجب الوفاء  
به ، وكذا : إحلف لا تشتمني ، ولك كذا .

وفي « الفروع » : لا يلزم الوفاء بالوعد ، نص عليه الامام أحمد ، وفاقا  
لابي حنيفة والشافعي ، إلا أنه يحرم بلا استثناء ؛ لقوله تعالى : « ولا تقولن  
شيءا ، (١) الآية ؛ ولأنه في معنى الهبة قبل القبض . قال : وذكر شيخنا ، يعني  
شيخ الاسلام ابن تيمية وجهاً يلزم ، واختاره . قال : ويتوجه أنه رواية من  
تأجيل العارية والصلح عن عوض المثلّف بمؤجل ، ولما قيل للامام أحمد : بم  
يعرف الكذّابون ؛ قال : بخلف المواعيد ، وهذا منتهج ، وقاله من الفقهاء  
ابن شبرمة .

وقال ابن العربي المالكي : أجل من قاله عمر بن عبد العزيز ؛ لقوله  
تعالى : « كبر مقتا ، (١) الآية ، ولخبر « آية المنافق ثلاث : اذا وعد أخلف ،  
الحديث . متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وحسباً على وعد  
واجب ، ولما روى ابو نعيم في « الحلية » من حديث ابن مسعود رضي الله عنه  
مرفوعاً : « المدة عطية » قال في « الفروع » : إسناده حسن . وفي « أوسط  
الطبراني » من حديث علي وابن مسعود رضي الله عنها مرفوعاً : « المدة دين ،

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ٢٣ ، والاية بتامها « ولا تقولن شيئا اني فاعل ذلك

غداً الا ان يشاء الله » .

(١) سورة الصف ، الآية : ٣ ، والاية بتامها « كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفتنون »

في إسناده جهالة . وروى ابن عساكر ، والديلمي عن عبي رضي الله عنه مرفوعاً  
«العدة دين ، ويل لمن وعد ثم أخلف ، ويل لمن وعد ثم خلف ، ويل لمن وعد ثم خلف»  
في إسناده ضعف : وذكر أبو مسعود الدمشقي ، والبرقاني أن مسلماً روى : « ولا يمد  
الرجل صلتة ثم يخلفه » . ورواه ابن ماجه من حديث ابن مسعود بإسناد حسن : « ثم  
لا يني له ؛ فإن الكذب يهدي الى الفجور » وفيه : « والسعيد من وعظ بغيره »  
وفي سنده عبيد بن ميمون ، روى عنه غير واحد ، ووثقه ابن حبان ، وقال  
ابو حاتم : مجهول .

وعن ابن عباس رضي الله عنها مرفوعاً : « لا تمار أخاك ولا تمازحه ،  
ولا تمده ثم تخلفه » . رواه الترمذي وغيره ، وقال : غريب . وروى أبو داود ،  
والترمذي من حديث ابن أرقم رضي الله عنه مرفوعاً : « اذا وعد الرجل أخاه  
ومن نيته أن يني فلم يف ، ولم يجيء لليماد ؛ فلا إثم عليه » . قال الترمذي : غريب  
وقال غيره : إسناده ليس بالقوي .

( قال ) جابر رضي الله عنه : ( فأخذت ) مائة ( قال بعض من سمعه ) :

فمدتها ( فوجدتها ) أي تلك الأخذة ( خمسمائة ) درهم .

وفي لفظ في « الصحيحين » : « فضئ أبو بكر مرة ثم قال لي : عدها ،  
فمدتها ، فاذا هي خمسمائة ، فقال : خذ مثلها » . وفي بعض ألفاظ البخاري :  
« فعد في يدي خمسمائة ، ثم خمسمائة ، ثم خمسمائة » . وفي بعض طرق البخاري ؛  
كما في لفظ الامام هنا : ( ثم أتيت ) - أي أبا بكر بعد أن أعطاني الحفنة الأولى ،  
وقدرها خمسمائة - ثانياً ( فلم يمطني ثم أتيت ) المرة ( الثالثة فلم يمطني ) .

( قلت ) له بمد مجيء المرة الثالثة ولم يمطني : ( إما أن كمطيني ) كمال عدتي  
( وإما أن تبخل عني ) بأن تقول : لا أعطيك بمد المرة الأولى شيئاً فترجحي من  
تطين أملي بالشيء ، فإنه أحد راحتين . ولفظ البخاري : « فقلت له : قد أتيتك

فلم تعطني ، ثم أتيتك فلم تعطني ، ثم أتيتك فلم تعطني ، فاما أن تعطيني ، وإما أن تبخل عني ، . ( قال ) أبو بكر رضي الله عنه : ( أقلت ) بالاستفهام الإنكاري ( تبخل عني ، أقلت : تبخل عني ؟ ) كرره مبالغة في الإنكار لما نسبته الى الصديق الأعظم من البخل ، ثم قال أبو بكر رضوان الله عليه : ( وأي داء أدوأ من البخل ) ولفظ البخاري : « أي داء أدوأ من البخل ، قالها ثلاثاً ( ما سألتني مرة إلا وأردت أن أعطيك ) ولفظ البخاري : « ما مننتك من مرة إلا وأنا أريد أن أعطيك ، أي كمال عدتك ، ولكن أتشاغل عنك ، ثم أعطاه عدته ، فكسل له ألفاً وخمسمائة ؛ لأنه لما عد المرة الاولى فوجدها خمسمائة صار باقي المدة معلوماً . وفي إنكار الصديق الأعظم نسبة البخل اليه مع قوله : « أي داء أدوأ من البخل ، أي لا داء أدوأ منه ، يريد التنفير عنه . والتحذير منه .

والبخل مقابل للوجود ، والشح مقابل للسخط . قال ابن عقيل : البخل يورث التمسك بالوجود ، والمنع من اخراجه لألم يجده ، والشح يفوت النفس كل لذة ، ويجمعها كل غصة . انتهى .

وظاهر كلام أبي بكر الآجري والقاضي أبي يعلى ، أن البخل والشح مترادفان ، وقد ورد في الحديث : أن الشح يحمل على البخل ، عن عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنها<sup>(١)</sup> قال : « خطب رسول الله ﷺ ، فقال : إياكم والشح ، إنما أهلك من كان قبلكم الشح ، أمرم بالبخل فبخلوا ، وأمرم بالقطيعة فقتلوا ، وأمرم بالفجور ففجروا ، . رواه الامام أحمد ، وأبو داود والنسائي والحاكم .

قال الخطابي : الشح أعم من البخل ، فكان الشح جنس ، والبخل نوع . قال المناوي : الشح قلة الافضال بالمال ، فهو رديف البخل أو أشده .

(١) في الاصل عبد الله بن عمرو بن العاص ، والتصحيح من « الترغيب والترهيب »

وفي « آداب ابن مفلح » : أكثر ما يقال : البخل في افراد الامور ،  
والشح عام كالوصف اللازم وما هو من قبل الطبع . قال النووي : الشح أشد  
من البخل وأبلغ في المنع من البخل . وقيل : هو البخل مع الحرص . وقيل :  
البخل بالمال خاصة ، والشح بالمال والمعروف . وقيل : الشح الحرص على ما ليس  
عنده ، والبخل بما عنده .

وفي « آداب ابن مفلح » ما ملخصه : اختلف في تعريف البخيل ، فقيل :  
من منع الزكاة ، روي ذلك عن ابن عمر ؛ فانه قال : من أدى زكاة ماله  
فليس ببخيل .

الثاني : من منع الواجبات من الزكاة والنفقة فهو بخيل ، فلو أخرج الزكاة  
فقط كان بخيلا .

الثالث : الواجبات والمكارات ، فلو أخل بالثاني كان بخيلا ، وهذا قول  
أبي بكر من علمائنا ، وحكاه عن القاضي . روى أبو بكر عن أنس رضي الله  
عنه ، أن النبي ﷺ قال : « برى من الشح من أدى الزكاة ، وقرى الضيف ،  
وأعطى في النائمة » ، فلم ينف عنه وصف الشح إلا عند الأوصاف الثلاثة ، رواه  
أبو يعلى الموصلي ، والطبراني ، والحافظ الضياء . قال القاضي أبو يعلى : ولأن  
هذا حده في اللفظ .

تمة : قد جاء في ذم البخل والشح والتنفير منها ، وفي مدح الجود  
والسخاء والحث على الانفاق بها عدة أحاديث . وقد استعاذ النبي ﷺ من  
البخل ؛ كما في مسلم وغيره من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن النبي  
ﷺ كان يقول : « اللهم إني أعوذ بك من البخل والكسل ، وأرذل العمر ،  
وعذاب القبر ، وفتنة الحيا والمات » ، وفي مسلم من حديث جابر رضي الله عنه ،  
أن رسول الله ﷺ قال : « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا

الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماهم واستحلوا  
محارمهم . وفي « سنن أبي داود » و « صحيح ابن حبان » عن أبي هريرة رضي  
الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « شر ما في الرجل شح هالع ، وجبن  
خالع » .

قوله : شح هالع : أي محزون ، والهلع أشد الفزع .

وقوله : و « جبن خالع » الجبن : شدة الخوف وعدم الاقدام ، ومعناه أنه  
يخلع قلبه من شدة تمكنه منه . وفي « سنن النسائي » و « صحيح ابن حبان »  
و « الحاكم » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :  
« لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً ، ولا يجتمع شح  
وإيمان في قلب عبد أبداً » .

وفي « أوسط الطبراني » عن نافع مولى ابن عمر ، قال : سمع ابن عمر  
رضي الله عنها رجلاً يقول : « الشحيح أعذر من الظالم » فقال ابن عمر :  
كذبت ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الشحيح لا يدخل الجنة » . وروى  
الترمذي وقال : غريب من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، عن النبي  
ﷺ قال : « لا يدخل الجنة خب ولا منان ولا بخيل » .

الخب بفتح الخاء المعجمة وبكسرها : هو الخداع الخبيث . وفي « كبير  
الطبراني » و « الأوسط » وأحد إسناده جيد ، عن ابن عباس رضي الله عنها  
قال : قال رسول الله ﷺ : خلق الله جنة عدن بيده ، ودلى فيها ثمارها ، وشق  
فيها أنهارها ، ثم نظر إليها فقال لها : « تكلمي » فقالت : قد أفلح المؤمنون . فقال :  
وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل » ورواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة من  
حديث أنس رضي الله عنه .

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنها مرفوعاً : « ثلاث مهلكات : شح

مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه ، . الحديث رواه الطبراني في  
« الأوسط » .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « ثلاثة يفضهم الله : الشيخ الزاني ،  
والبخيل ، والمتكبر » . رواه ابن حبان في « صحيحه » ، وفي حديث أبي سعيد  
الخدري مرفوعاً : خصلتان لا يجتمان في مؤمن : البخل وسوء الخلق » رواه  
الترمذي وغيره .

وفي حديث أبي هريرة مرفوعاً : « السخي قريب من الله ، قريب من  
الجنة ، قريب من الناس ، بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله ، بعيد من  
الجنة ، بعيد من الناس ، قريب من النار . ولجاهل سخي أحب الى الله من عابد  
بخيل » رواه الترمذي . وروي عن أبي هريرة مرفوعاً : « ألا إن كل جواد في  
الجنة ، حتم على الله وأنا به كفيل ، ألا وإن كل بخيل في النار ، حتم على الله وأنا  
به كفيل » . قالوا يارسول الله : من الجواد ومن البخيل ؟ قال : الجواد من جاد  
بحقوق الله في ماله ، والبخيل من منع حقوق الله وبخل على ربه ، وليس الجواد  
من أخذ حراماً وافق إسرافاً . رواه الاصبهاني في « الترغيب والترهيب » .

وروى الترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعاً : « إذا كانت أمراؤكم  
خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم ، وأموركم شورى بينكم ؛ فظهر الأرض خير لكم من  
بطنها ، وإذا كانت أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم مغلواكم ، وأموركم الى نسائكم ؛  
فبطن الأرض خير لكم من ظهرها » .

وروي عن ابن مسعود مرفوعاً : « تجاوزوا عن ذنب السخي ؛ فإن الله أخذ  
بيده ما عثر » . رواه ابن أبي الدنيا ، والاصباني .

قال ابن مفلح في أواخر « الآداب » : قيل للاخف بن قيس : ما الجود ؟

قال : بذل الندى ، وكف الأذى . قيل : فما البخل ؟ قال : طلب اليسير ،  
ومنع القليل .

وسئل الحسن عن البخل ، فقال : هو أن يرى الرجل ما ينفقه تلفاً ،  
وما يمسكه شرفاً .

قال أبو التاهية :

وان امرء لم يرتج الناس نفعه      ولم يأمنوا منه الأذى للثيم  
وان امرء لم يجعل البر كنزه      ولو كانت الدنيا له لمديم  
وبالله التوفيق .

### الحديث السابع عشر

٣٢ - ثنا سفيان ، قال عمرو : سمعت جابراً يقول :  
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل نكحت ؟ قلت :  
نعم ، قال : أبكراً أم ثيباً ؟ قلت : ثيب ، قال : فهلاً بكراً  
تلاعبها وتلاعبك ؟ قلت : يا رسول الله ! قتل أبي يوم أحد ،  
وترك تسع بنات ، فكرهت أن أجمع إليهن خرقاء مثلهن ، ولكن  
امرأة تمسطن وتقيم عليهن . قال : أصبت .

قال رضي الله عنه لم (ثنا سفيان) ابن عيينة (قال عمرو) ابن دينار  
تقدمت ترجمته في الحديث الحادي عشر من أحاديث ابن عمر رضي الله عنها  
(سمعت جابراً) رضي الله عنه (يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل

نكحت؟) أي تزوجت يا جابر (قلت: نعم) نكحت (قال: أبكر أم ثيباً) أي نكحت  
بكر أم ثيباً (قلت: ثيب) كذا بالرفع خبر مبتدأ محذوف تقديره التي تزوجتها  
ثيب ، هكذا وقع عند الامام أحمد ، وكذا عند مسلم من طريق عطاء عن جابر ،  
ووقع في «الصحيحين» من طريق شعبة عن محارب عن جابر رضي الله عنه  
قال : قال لي رسول الله ﷺ : ما تزوجت ؟ قلت : تزوجت ، وفي لفظ عندهما :  
هل تزوجت ؟ قلت : نعم . قال : أبكر أم ثيباً ؟ قلت : «ثيباً» بالنصب  
بفعل محذوف تقديره تزوجت ثيباً كما هو موجود في بعض روايات البخاري ،  
بهذا اللفظ: تزوجت ثيباً ، وفي لفظ في «مسلم» عن عمرو بن دينار عن جابر ابن  
عبد الله رضي الله عنها أن عبد الله «هلك» أي مات ، يعني استشهد يوم أحد  
وترك تسع بنات ، أو قال سبماً ، فتزوجت امرأة ثيباً ، فقال لي رسول الله ﷺ :  
يا جابر تزوجت ؟ قال: قلت : نعم ، قال : يبكر أم ثيب ؟ قال : قلت : بل ثيب  
(قال) ﷺ : (فهلأ) تزوجت جارية (بكرأ) ، وفي رواية : أفلا جارية  
بالنصب (تلاعبها وتلاعبك) زاد في رواية في «الصحيحين» : وتضاحكها  
وتضاحكك ، وفي بعض روايات «مسلم» : تضاحكك وتضاحكها وتلاعبك  
وتلاعبها ، وهو مما يؤيد أنه من اللعب ، ووقع عند الطبراني من حديث بن عجرة  
وفيه : وتمضها وتمضك ، ووقع في رواية لأبي عبيد : تداعبها وتداعبك «بالدال  
المجمة بدل اللام كذا في «فتح الباري» ، قلت : والذي يظهر أنه بالدال المهملة  
من المداعبة وهي المازحة والملاعبة ، يقال : داعبه مازحه كما في القاموس ،  
وداعب لاعب ، وأما بالدال المجمة فيقال : تدعبته الجن : أفزعته ، واندعب الماء :  
سال واتصل جريانه ، قال في «المطالع» : المداعبة الملاعبة ، كما جاء في الحديث  
تلاعبها وتداعبها ، واللعبة المزح ، ووقع في رواية محارب بن دينار عن جابر كما  
في الصحيحين : «مالك والمداري» ، ولفظ مسلم : «فأين أنت من المذارى



ولعابها ، فضبط للاكثر بكسر اللام، وهو مصدر من الملاعبة يقال : لاعب لعابا  
 وملاعبة ، مثل قاتل قتالا<sup>(١)</sup> ومقاتلة ، ووقع في رواية المستملي « بضم اللام ،  
 والمراد به الريق ، وفيه اشارة الى مص لسانها ، ورشف شفقتها ، وذلك يقع  
 عند الملاعبة والتقبيل ، وليس هو يبيد كما قال القرطبي . ويؤيد أنه معنى آخر  
 غير المعنى الأول قول شعبة : انه عرض ذلك على عمرو بن دينار ، فقال اللفظ  
 الموافق للجماعة ، وفي رواية مسلم التلويع بانكار عمرو رواية محارب بهذا اللفظ ،  
 ولفظه : انما قال جابر تلاعبها وتلاعبك ، فلو كانت الروايتان متحدتين في المعنى  
 لما أنكر عمرو ذلك ، لأنه كان ممن يميز الرواية بالمعنى ( قلت : يارسول الله قتل  
 أبي ) شهيداً ( يوم ) غزوة ( أحد ) وكانت في الثالثة من الهجرة ( وترك تسع  
 بنات ) وفي رواية : وترك سبع بنات ، أو تسع بنات وهي في « الصحيحين ،  
 ( فكرهت أن أجمع اليهن ) جارية ( خرقاء ) « بفتح الخاء المعجمة وسكون  
 الراء بعدها قاف ، وهي التي لا تحسن العمل بيدها ، وهي تأنيث الأخرق وهو  
 الجاهل بمصلحة نفسه وغيره ، وقيل : الذي لا رفق له ولا سياسة عنده ( مثلهن )  
 لأنهن لا يحسن العمل ( ولكن ) تزوجت ( امرأة ) ثيبا ( تمسطنهن ) أي تسرح  
 شعورهن ( وتقيم عليهن ) وفي لفظ : تقوم عليهن ، أي في غير ذلك من مصالحهن  
 وهو من المام بمد الخالص ( قال ) صلى الله عليه وسلم لجابر رضي الله عنه ( أصبت ) أي بتزويجك  
 امرأة ثيبا قد احتنكت الأمور ومارست الخدمة ، لتقوم على مصالح  
 اخواتك وتجمعين .

قال في « الفتح » : ولم أقف على تسميتهن ، وأما امرأة جابر المذكورة  
 فاسمها : « سهلة بنت مسعود بن أوس بن مالك الأنصارية الأوسية ، ذكره  
 ابن سعد .

(١) في الاصل : مقاتلة . ولله تصحيف من الناسخ .

## تنبيهات

الأول : الثيب من النساء من أزيلت بكارتها ، وقد تطلق على البالغة وإن كانت بكرأ مجازاً واتساعاً ، والمراد هنا الاول . والبكر المدراء ، وهي الباقية المدرة ، والشره ما للبكر من الالتحام قبل الافتضاض . فالبكر : التي لم توطأ واستمرت على حالتها الأولى .

الثاني : دل الحديث على فضيلة تزويج البكر على الثيب ، والحث على ذلك ، وقد ورد بأصرح من ذلك عند ابن ماجه من طريق عبد الرحمن بن سالم بن عتبة ابن عويم بن ساعدة عن أبيه عن جده بلفظ : « عليكم بالأبكار فانهن أعذب أفواهاً وأنتق أرحاماً ، أي أكثر حركة ، والتقى بنون ومثناة الحركة ، ويقال أيضاً للدمى ، ولعله أراد أنها كثيرة الأولاد . وأخرج الطبراني من حديث ابن مسعود نحوه وزاد : و « ارضى باليسير ، ولا يمارضه حديث : « عليكم بالولود » من جهة كونها بكرأ ، فلا يعرف كونها كثيرة الأولاد ، فان الجواب عن ذلك أن البكر مظنة كونها ولوداً ، فيكون المراد بالولود : إما من هي كثيرة الولادة بالتجربة ، وإما بالمظنة ، وإما من كانت نساؤها كثيرة الولادة ، وإما من جربت فظهرت عقيباً ، وكذا الآيسة ، فالخبران متفقان على مرجوحيتها .

الثالث : يؤخذ من الحديث : أنه إذا تراحت مصلحتان ؛ قدم أهمها ، فان جابرأ رضي الله عنه قدم مصلحة أخواته لشفقته عليهن ورحمته لهن على حفظ نفسه وآثرهن على تمام لذته وقضاء وطره ، والتي **وَاللَّهِ** صوب فعله ، ودعى له لأجل ذلك ، فقال : بارك الله لك ، أصبت .

ويؤخذ منه الدعاء لمن فعل خيراً وان لم يتلق بالداعي . وفيه سؤال

الامام أصحابه عن أمورهم وتفقدته أحوالهم ، وإرشاده الى مصالحهم ، وتنبههم على وجه المصلحة ، ولو كان في باب التكاح وفيما يستحى من ذكره .

وفيه مشروعية خدمة المرأة زوجها ، ومن كان منه بسبيل من ولد وأخ وعائلة ، وأنه لا حرج على الرجل في قصده ذلك من امرأته وإن كان ذلك لا يجب عليها ، لكن يؤخذ منه أن المادة جارية بذلك ، فلذلك لم ينكره النبي ﷺ ، قال علماءنا وغيرهم : ليس على المرأة خدمة زوجها في عجن وخبز وطحن وطبخ ونحوه ، نص عليه الامام أحمد لكن الأولى لها فعل ما جرت المادة بقيامها به . وأوجب شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ورضي عنه المعروف من مثلها لمثله ، وأما خدمة نفسها في ذلك فعلها الا أن يكون مثلها لا تخدم نفسها ، وقال أبو ثور : على الزوجة أن تخدم الزوج في كل شيء . وقال ابن حبيب في الواضحة : أن النبي ﷺ حكم على فاطمة عليها السلام بخدمة البيت كلها . وفي الفروع ليس عليها عجن وخبز وطبخ ونحوه ، نص عليه خلافاً للجوزجاني والجوزجاني من أئمة علمائنا وبالله التوفيق .

### الحديث الثامن عشر

٣٣ - ثنا سفيان ، عن عمرو ، سمعه من جابر : كان معاذ يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرجع فيؤمنا . وقال مرة : ثم يرجع فيصلي بقومه ، فأخر النبي صلى الله عليه وسلم ليلة ، قال مرة الصلاة ، وقال مرة العشاء ، فصلى معاذ مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء يؤم قومه ، فقرأ البقرة ، فاعتزل

رجل من القوم فصلي ، فقيل له : أناقتَ يافلانُ ؛ قال : ماناقتُ :  
فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن معاذاً يصلي معك ثم  
يرجع إلينا فيؤمنا ، يارسول الله إنما نحن أصحاب نواضح ، ونعمل  
بأيدينا ، وإنه جاء يؤمنا فقرأ سورة البقرة ، فقال : يامعاذ ،  
أفتان أنت ؟ أفتان أنت ؟ إقرأ بكذا وكذا . قال أبو الزبير :  
بسبع اسم ربك الأعلى ، والليل إذا يغشي . فذكرنا لعمر  
وقال : أراه قد ذكره :

قال رضي الله عنه ( ثمان سفيان ) هو ابن عيينة ( عن عمرو ) هو ابن  
دينار ( سمه ) أي الحديث الآتي ( من جابر ) بن عبد الله رضي الله عنها  
قال : ( كان معاذ ) « بالذال المعجمة » بن جبل بن عمرو بن أوس الخزرجي  
الأنصاري أبو عبد الرحمن ، أسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة ،  
وشهد بدرأ والمشاهد كلها ، وهو أحد الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، وم أربعة : معاذ ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ،  
وأبو زيد « متفق عليه » . روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : والله يامعاذ  
إني أحبك ، قال : والله وأنا أحبك يارسول الله ، قال : فلا تدع أن تقول دبر كل  
صلاة : « اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » . مات سيدنا معاذ بن  
جبل رضي الله عنه بناحية الأردن في طاعون عمواس ، وعمواس « بفتح العين المهملة والميم »  
قرية بين الرملة وبيت المقدس ، نسب الطاعون إليها لأنه أول ما بدا منها ، وكانت  
وفاته سنة ثمان عشرة ، وقيل سبع عشرة ، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، وقيل

ثلاث ، ورجحه النووي ، وقيل أربع ، وقيل غير ذلك ، وكان قد أرسله عمر رضي الله عنها على الشام بعد أبي عبيدة بن الجراح « قاله البرماوي » وقبره شرقي عور بيسان قاطع نهر الاردن في السفح وهو مشهور ، وقد زراه مراراً . وهو أحد السبعة الذين شهدوا العقبة ، وبشبهه النبي ﷺ الى اليمن قاضياً ومعلماً ، وجعل اليه قبض الصدقات من المال الذين في اليمن ، روى عنه عمر وابن عمر ، وابن عباس ، وأنس وغيرهم ، روي له عن رسول ﷺ مائة وسبعة وخمسون حديثاً ، اتفق الشيخان على حديثين ، وانفرد البخاري بثلاثة ، ومسلم بحديث . ومن مناجاته في الليل اذا تهجد : « اللهم قد نامت الميون ، وغارت النجوم ، وأنت حي قيوم ، اللهم طلي الجنة بطي . وهرني من النار ضعيف ، اللهم اجعل لي عندك هدى تؤده الي يوم القيامة ، انك لا تخلف الميعاد . وهو سيد الفقهاء ، فقد قال ﷺ : « أعلم امتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل » . رواه أبو نعيم في « الحلية » من حديث أبي سعيد ، ولفظه : « معاذ بن جبل أعلم الناس بحلال الله وحرامه » ، وروى الطبراني في « الكبير » ، وأبو نعيم في « الحلية » ، عن محمد بن كعب مرسل ان النبي ﷺ قال : « معاذ بن جبل امام العلماء يوم القيامة برتوة » ، وهي بفتح الراء وسكون المثناة الفوقية ، أي : « رمية سهم » ، وقيل بميل ، وقيل بمد البصر ، وقيل بخطوة ، ، وقيل بدرجة ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه « ان معاذ بن جبل كان أمة قاتل الله حنيفاً ، فقبل له : « ان ابراهيم كان أمة قاتل الله حنيفاً ، فقال : ما نسيت ، هل تدري ما الأمة ؟ وما القانت ؟ الأمة الذي يعلم الناس الخير ، والقانت المطيع ، وكان معاذ بن جبل يعلم الناس الخير ، وكان مطيعاً لله ولرسوله » ، وقال شهر بن حوشب : كان أصحاب رسول الله ﷺ اذا تحدثوا وفيهم معاذ ، نظروا اليه هيبة له .

ومن كلام معاذ رضي الله عنه : اذا صليت ؟ فصل صلاة مودع ، لا تظن

انك تعود اليها . وقال : لاغى بك عن نصيبك من الدنيا ، وأنت الى نصيبك من الآخرة افقر ، فأثر نصيبك من الآخرة ، على نصيبك من الدنيا ، حتى ينتظم لك وتزول به معك ، ايها زات . وقال : أخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء ؛ اذا استورن الذهب ، ولبسن رباط الشام ، وعصب اليمن ، فأتعن الغني ، وكلفن الفقير ما لا يجد .

قال في « صفوة الصفوة » : لما أصيب أبو عبيدة رضي الله عنه ، في طاعون عمواس استخلف معاذ بن جبل رضي الله عنه ، واشتد الوجع ، فقال الناس لمعاذ : ادع الله أن يرفع هذا الرجز عنا . قال : انه ليس برجز ، ولكنه دعوة نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم ، وشهادة يختص الله بها من يشاء ( يصلي مع رسول الله ﷺ ) زاد مسلم من رواية « منصور » عن عمرو بن دينار عشاء الآخرة ( ثم يرجع ) أي معاذ ( فيؤثنا ) وفي لفظ فيؤم قومه بموفي رواية « منصور » المذكورة . فيصلي بهم تلك الصلاة ( وقال ) جابر رضي الله عنه : ( مرة ثم يرجع فيصلي بقومه ) وفي رواية : فيصلي بهم الصلاة . أي المذكورة ( فأخر النبي ﷺ ليلة ، قال مرة ) فأخر ( الصلاة وقال مرة ) أخرى فأخر ( المشاء ) أي صلاة المشاء مصيلاً لها .

وفي رواية « الحميدي » عن سفيان بن عيينة : فصلى ليلة مع النبي ﷺ المشاء ( فصلى معاذ ) رضي الله عنه ( مع النبي ﷺ ) وفي رواية « الحميدي » عن ابن عيينة : فصلى ليلة مع النبي ﷺ المشاء . كما في معظم الروايات ( ثم جاء ) معاذ رضي الله عنه ( يوم قومه ) بني سلمة . وفي رواية « الحميدي » عن ابن عيينة : ثم يرجع إلى بني سلمة فيصليها بهم ، وقوم معاذ هم « بنو سلمة » منسوبون الى سلمه - بكسر اللام - بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة - بالسين المهملة والراء والداد المهملة فهما تأنيث بن يزيد<sup>(١)</sup> بفتح المثناة فوق ، بن جشم بن الخزرج والنسبة

(٢) في الإصابة : يزيد .

اليه ؛ سلمى بفتح السين المهملة وفتح اللام — قياساً على نظائره ، هرباً من توالي الكسرات ، وأكثر أصحاب الحديث يكسرون اللام في النسب ، مثلها قبل النسب . وفي رواية الشافعي ، ثم يرجع فيصلها بقومه في بني سلحة ( فقرأ ) معاذ في أول ركعة من صلاته بقومه ، بمد فاتحة الكتاب ( البقرة ) استدلالاً به على من يكره أن يقول : البقرة ، بل يقول سورة البقرة ، أو السورة التي تذكر فيها البقرة ، لكن في رواية : فقرأ سورة البقرة . كما في « مسلم » وغيره ، وللبخاري في « الأدب » فقرأ بهم البقرة ، واستظهر في « الفتح » أن ذلك من تصرف الرواة ، والمراد أنه ابتداء في قراءتها ، وبه صرح مسلم ، ولفظه : « فافتتح سورة البقرة » وفي رواية محارب بن دثار عن جابر : « فقرأ بسورة البقرة أو النساء على الشك » وللإسراج من رواية مسعر عن محارب : « فقرأ البقرة والنساء » بالواو ، فإن كان مضبوطاً ، احتمال أن يكون : قرأ في الأولى بالبقرة ، وفي الثانية بالنساء ، ووقع عند الإمام أحمد من حديث بريدة ، « بأسناد قوي : « فقرأ اقتربت الساعة » وهي شاذة ، إلا أن يحمل على التمديد .

( فاعتزل رجل من القوم ) أي انصرف واحد من الرجال ، ووقع في رواية الإسماعيلي : « فقام رجل فانصرف » وفي رواية : « فتجاوز رجل فصلتي صلاة خفيفة » وغالب الروايات ، بل كلها ، إلا النذر منها ، لم يقع فيها تسمية هذا الرجل نعم روى أبو داود الطيالسي في « مسنده » والبخاري من طريقه ، عن غالب ابن حبيب ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه قال : « مر بحزم بن أبي كعب عماد ابن جبل . وهو يصلي بقومه صلاة ... القصة ، فافتتح بسورة البقرة ، فالتفت مع حزم ناضح له ... الحديث ، قال البخاري : لا نعلم أحداً سمعنا عن حزم بن جابر إلا ابن جابر « انتهى » وقد رواه أبو داود في « السنن » من وجه آخر ، عن طائفة جملة من أصحاب

عن حزم صاحب القصة ، وابن جابر لم يدرك حزما . ورواه ابن لهيعة ، عن أبي الزبير عن جابر فسماه حازما وكأنه صحفه ، وروى الامام أحمد من حديث عن أنس رضي الله عنه قال : كان تماذ يؤم قومه ، فدخل حرام ، وهو يريد أن يسقي نخله ... الحديث . وحرام « بالحاء المهملة والراء » ، بن ملحان خال انس بن مالك واسم ملحان « بكسر الميم » ، مالك بن خالد ، هكذا ذكره غير واحد ؛ ويأتي في الثاني والثلاثين من مسند أنس رضي الله عنه . وفي « الفتح » بعد ذكر حديث أنس عند الامام أحمد ، ظن بعضهم ؛ أنه حرام بن ملحان خال أنس ، وبذلك جزم الخطيب في المهمات ، قال الحافظ ابن حجر : لكن لم اراه منسوبا في الرواية ، ويحتمل أن يكون مصحفا من حزم ، فجمع الروايات ، كما يرمى اليه صنيع ابن عبد البر ، وقيل اسم الرجل المنصرف ؛ سليم ، كما رواه الامام أحمد . اي ابن الحارث من بني سلمة . ووقع عند ابن حزم ان اسمه سلم « بفتح أوله وسكون اللام » ، وكأنه تصحيف . وقد جمع بعضهم بتعدد القصة ، فان لم نقل بالتمد ، فأقوى ما تنسب القصة لسليم بن الحارث من بني سلمة . والله أعلم .

وفيه دليل على جواز مفارقة المأموم للامام ، قال علماءنا : وان أحرم مأموما ، ثم نوى الانفراد لمذر يبيح ترك الجماعة ، كتطويل امام ومرض وغلبة ناس أو شيء يفسد صلاته ، أو خوف على أهل ، أو مال أو فوات رقعة ، ونحو ذلك ، سح ان استفاد بمفارقتة تمجيل لحوقه لحاجته ؛ قبل فراغ إمامه ، فان كان الامام يمجل ؛ ولا يتميز انفراده عنه بنوع تمجيل لم يجز فان زال العذر ، وهو في الصلاة ؛ فله الدخول مع الامام ، كما في « الاقناع » ، وغيره من كتب المذهب .

وكذا استدل الرافعي من الشافعية في « شرح مسند » الامام الشافعي بالحدث على أن للمأموم أن يقطع القدوة ، ويتم صلاته متفردا ، ونازع النووي في



ذلك ؛ بأنه لا دلالة في الحديث عليه . لأنه جاء مصرحاً ، في رواية عند مسلم  
فانحرف رجل ، فسلم ؛ ثم صلى وحده ، وهو ظاهر في أنه قطع الصلاة . لكن  
ذكر الامام الحافظ البيهقي ؛ أن محمد بن عباد شيخ مسلم ، تفرد عن ابن عيينة  
بقوله « سلم ، وان الحافظ من أصحاب بن عيينة ، وكذا من أصحاب شيخه  
عمرو بن دينار ، وكذا من أصحاب جابر ، لم يذكروا السلام . وكأنه فهم أن  
هذه اللفظة ؛ تدل على أن الرجل قطع الصلاة ، لأن السلام يتحلل به من الصلاة ،  
وسائر الروايات ؛ تدل على أنه إنما قطع القدوة فقط ، ولم يخرج من الصلاة ، بل  
استمر فيها منفرداً ، فهذا يبطل قول النووي ، ان فيه دليلاً على قطع الصلاة من  
أصلها ، وباطالها المنذر ، لأنه إنما قطع القدوة بما رضي الله عنه . (فصل) أي أتم  
صلاته منفرداً . وعند أبي حنيفة لا يجوز أن يفرد المأموم بمجال ، فإن فعل ؛ بطلت  
صلاته ، وفي هذا الحديث ؛ وفي صلاته صلى الله عليه وسلم بهم ركعة في الخوف ،  
ثم انتظروهم حتى أتوا لانفسهم ما يرد ذلك .

( قليل له ) أي لذلك الرجل ( أناقت يا فلان ؟ ) « باتبات  
همزة الاستفهام ، وفي بعض النسخ بحذفها » وفي « الصحيحين ،  
وغيرهما : فكان معاذ يتناول منه ، وفي بعض الروايات فكان « بالهمز وتشديد  
التون ، معاذ تناول منه ، أو نال منه . وفي بعض الروايات : فبلغ ذلك معاذاً ،  
فقال انه منافق ( قال ) الرجل : لا والله ( ماناقت ) من النفاق ، وهو اسم  
إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به ، وهو الذي يستركفره ، ويظهر  
إيمانه ، وإن كان أصله في اللغة معروفاً يقال : نافق ينافق منافقة ، ونفاقاً وهو  
مأخوذ من النفاق . أحد جحرة<sup>(١)</sup> اليربوع ، اذا طلب من واحد هرب الى  
الآخر ، وخرج منه . وقيل هو من النفق ، وهو السرب الذي يستتر فيه ،  
استره كفره ، وربما أطلقوا النفاق على الرياء . ومنه حديث : « أكثر منافقي

(١) في الاصل : أجحرة ، وفي القاموس : جحرة جمع جحر .

هذه الامة قرأوها ، فانه أراد بالنفاق هنا الرياء ؛ لاجتماعها في اظهار ما في الباطن  
 خلافه . ( فأتى ) ذلك الرجل ( النبي ﷺ ) وفي لفظ فقال : « لا والله ، أي  
 ما ناققت ، ولآتين رسول الله ﷺ فلا خبرته ، وكان معاذ قال ذلك أولاً ، ثم  
 قاله أصحاب معاذ للرجل ، وفي رواية عند النسائي فقال معاذ : لئن أصبحت  
 لاذكرن ذلك لرسول الله ﷺ ، فذكر ذلك له فأرسل اليه فقال : « ما حملك  
 على الذي صنمت ؟ » ( فقال ) يا رسول الله : ( ان معاذ أ يصلي معك ثم يرجع ) من  
 عندك ( فيؤثنا ) أي يصلي بنا تلك الصلاة التي صلاها معك إماماً ( يا رسول الله  
 إنما نحن أصحاب نواضح ) وهي الابل التي يستقي عليها واحدها ناضح ( ونعمل )  
 أعمالنا وما نحتاج من أشغالنا ( بأيدينا ) لأنه لاخدم لنا ( وانه ) أي معاذ ( جاء  
 يؤثنا فقرأ ) بعد فاتحة الكتاب ( سورة البقرة ، فقال ) النبي ﷺ : ( يا معاذ  
 أفتان أنت أفتان أنت ؟ ) زاد محارب : ثلاثاً ، وهو « بالرفع » مبتدأ وخبر ، وفي  
 رواية : أفتاناً « بالنصب » على أنه خبر لكان المقدره . وفي رواية أبي الزبير :  
 « أريد أن تكون فافتاناً ؟ » . وفي رواية عند الامام أحمد رضي الله عنه من حديث  
 معاذ بن رفاعه ، عن رجل من بني سلمة يقال له سليم أنه أتى النبي ﷺ فقال :  
 يا نبي الله انا نظل في أعمالنا فأتني حين نمسي فنصلي ، فيأتي معاذ بن جبل فينادي  
 بالصلاة فأتني ، فيطول علينا... الحديث . وفيه : يا معاذ لا تكن فتاناً . زاد في  
 حديث أنس « لا تطول بهم » . ومعنى الفتنة هنا ان التطويل يكون سبباً لخروجهم  
 من الصلاة ، وللتكره للصلاة في الجماعة .

وروى البيهقي في « شعب الإيمان » باسناد صحيح عن عمر بن الخطاب  
 رضي الله عنه انه قال : « لا تبغضوا الله الى عباده ، يكون أحدكم إماماً فيطيل على  
 تقوم الصلاة حتى يبغض اليهم ما هم فيه » . قال الداودي : يحتمل ان يريد بقوله

فتان، أي معذب لأنه عذبهم بالتطويل ومنه قوله تعالى : « إن الذين فتنوا  
المؤمنين » (١) ، قيل معناه عذبوهم .

( اقرأ بكذا وكذا قال أبو الزبير ) محمد بن مسلم الأسدي الذي تقدمت  
ترجمته في الاول من أحاديث جابر رضي الله عنه ( بسبح اسم ربك الاعلى والليل  
إذا ينثى ) قال سفیان بن عيينة : ( فذكرنا ) ما قاله أبو الزبير ( عمرو ) بن  
دينار ( فقال ) عمرو ( أراه ) بضم الهمزة أي أظنه يعني عمرا ( قد ذكره ) كما  
قال أبو الزبير ، وكذا في مسلم ولفظه . قال ابن عيينة : فقلت لعمرو : ان  
أبا الزبير حدثنا عن جابر انه قال : « اقرأ بالشمس وضحاها ، والليل إذا ينثى ،  
وسبح اسم ربك الاعلى » فقال عمرو نحو هذا ، وجزم بذلك محارب في حديثه  
عن جابر ، وفي « الصحيحين » من رواية عمرو بن دينار عن جابر : « وأمره  
بسورتين من أوسط المفصل » ، قال عمرو لأحفظها . وفي رواية الليث عن أبي  
الزبير عند مسلم مع الثلاثة المتقدم ذكرها « باسم ربك » زاد ابن جريج عن أبي  
الزبير : « والضحي » أخرجه عبد الرزاق . وفي رواية الحميدي عن ابن عيينة مع الثلاثة  
الأول « والسماء ذات البروج ، والسماء والطارق » وفي « المفصل » أقوال أصحابها  
أنه من أول قاف الى آخر القرآن .

واستدل بهذا الحديث على صحة اقتداء المفترض بالمتنفل ، بناءً على ان  
معاذاً كان ينوي بالاولى الفرض ، وبالثانية النفل ، ويدل عليه ما رواه عبد الرزاق  
الصنعاني والامام الشافعي وابو جعفر الطحاوي والدارقطني وغيرهم ، من طريق  
ابن جريج عن عمرو بن دينار عن جابر في هذا الحديث زاد « وهي له تطوع ولهم  
فريضة » وهو حديث صحيح ، رجاله رجال « الصحيحين » ، وقد خرج ابن  
جريج في رواية عبد الرزاق بسماعه منه فانتفت تهمة تدليسه ، فقول الامام الحافظ

(١) سورة البروج ، الآية : ١٠

ابن الجوزي: انه لا يصح مردود ، وتلميل أبي جعفر الطحاوي له بان ابن عيينة ساقه عن عمرو أتم من سياق ابن جريج ، ولم يذكر هذه الزيادة ليس بقادح في صحته ، لان ابن جريج اسن وأجل من ابن عيينة وأقدم أخذاً عن عمرو منه ولو لم يكن كذلك فهي زيادة من ثقة حافظ ليست منافية لرواية من هو أحفظ منه ولا أكثر عدداً ، فلا معنى للتوقف في الحكم بصحتها . وأما رد الطحاوي لها باحتمال أن تكون مدرجة ، فجوابه: ان الأصل عدم الادراج حتى يثبت التفصيل ، فمما كان مضموماً الى الحديث فهو منه ، ولا سيما اذا روي من وجهين . والأمر هنا كذلك ، فان الشافعي أخرجهما من وجه آخر عن جابر متابعا لعمرو بن دينار عنه ، وقول الطحاوي هو ظن من جابر مردود ، لان جابراً كان فيمن يصلي مع معاذ ، فهو محمول على أنه سمع ذلك منه ، ولا يظن في جابر أنه يخبر عن شخص بامر غير مشاهد الا بان يكون ذلك الشخص أطلمه عليه .

واعلم أن هذه المسألة وهي اقتداء المفترض بالتنقل من مسائل الخلاف ، وقد روي عن الامام أحمد فيها روايتان ، فروى صحة ذلك عنه أبو داود صاحب «السنن» ، واسماعيل بن سعيد . قال الامام موفق « وهو أصح ، ونقل عنه حنبل وأبو الحارث » أنه لا يصح ، اختاره الاكثر من علماء المذهب ، وهو قول الثوري ومذهب أبي حنيفة ومالك وغيرهما ، واحتجوا بحديث : « إنما جعل الامام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه » رواه الامام أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم . قلت : لا دلالة في هذا الحديث على عدم جواز ائتمام المفترض بالتنقل ، لأن المراد به عدم الاختلاف في الافعال لانه إنما ذكر في الحديث الافعال فقال : « اذا سجد فاسجدوا » ، ولهذا صح ائتمام المتنقل بالمفترض ، وأجابوا عن حديث جابر المذكور : بأنه قضية في عين ، فيحتمل أن يكون معاذ بن جبل رضي الله عنه كان يصلي مع رسول الله ﷺ نافلة .

قال المجد في المنتقى ، في قوله ﷺ لماذ : « يا معاذ لا تكن فنانا ، إما أن تصلي ممي ، وإما أن تخفف على قومك » ، رواه الامام أحمد . احتج به من منع اقتداء المفترض بالمتنفل ، لانه يدل على أنه متى صلى معه امتنعت امامته ، وبالاجماع لا يمتنع بصلاة النفل معه ، فلم انه أراد بهذا القول صلاة الفرض ، وان الذي كان يصلي معه كان ينويه نفلا ، كذا قال ، وهذا بعيد ، لانه لا يظن بمعاذ أن يترك فضيلة الفرض خلف أفضل الأئمة في مسجده الذي هو من أفضل المساجد ، فانه قيل من الجائز أن يكون ذلك بأمر النبي ﷺ ، فالجواب هو مع بعده يرد قوله ﷺ : « اذا اقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة . » رواه الامام أحمد ومسلم وأصحاب السنن الاربع ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي رواية للامام أحمد : « فلا صلاة الا التي اقيمت . » ولهذا قال ابن حزم عن المانعين الفرض خلف النفل : هم لا يجيزون لمن عليه فرض ، إذا أقيم أن يصليه متطوعاً ، فكيف ينسبون الى معاذ ما لا يجوز عندهم ؟! وقد يجاب عن هذا بأن أصحابنا لا يمتنون النفل مطلقاً ، وانما يمتنون النفل اذا اقيمت الصلاة التي يريد أن يصلي فرضه مع امامها .

قال أبو جعفر الطحاوي منتصراً لمقدم صحة الفرض خلف النفل : لا حجة في قصة معاذ رضي الله عنه لانها لم تكن بأمر النبي ﷺ ولا تقريره ، كذا قال ، وجوابه أنهم أي الحنفية وكذا أصحابنا لا يختلفون ان رأي الصحابي الذي لم يخالفه غيره حجة . والواقع هنا كذلك ، فان الذين كان يصلي بهم معاذ كلهم صحابة ، وفيهم ثلاثون عقيباً ، وأربعمون بدرياً ، قاله ابن حزم ، قال : ولا يحفظ عن غيرهم امتناع ذلك ، وقال معهم بالجواز عمر وابن عمر وأبو الدرداء وأنس وغيرهم .

قال الطحاوي : لو سلمنا جميع ذلك لم يكن فيه حجة ، لاحتمال أن ذلك

كان في الوقت الذي كانت الفريضة فيه تصلى مرتين ، أي فيكون منسوخا .  
وتعقبه ابن دقيق العيد : بأنه يتضمن اثبات النسخ بالاحتمال وهو لا يسوغ  
وبأنه يلزمه إقامة الدليل على ما ادعاه من إعادة الفريضة . انتهى .  
وكان ابن دقيق العيد لم يطلع على كتاب الطحاوي ، فإنه قد ساق فيه ذلك  
من حديث ابن عمر رفته : « لا تصلوا الصلاة في اليوم مرتين . » ومن وجه  
آخر مرسل : « ان أهل العالمة كانوا يصلون في بيوتهم ، ثم يصلون مع النبي  
ﷺ فبلغه ذلك فنهاهم . »

وقد نظر الحافظ ابن حجر في « الفتح » في الاستدلال بذلك على تقدير  
صحته ، لاحتمال أن يكون النهي عن ان يصلوها مرتين على أنها فريضة ، وبذلك  
حزم البيهقي جمعا بين الحديثين .

قال في « الفتح » : بل لو قال قائل : هذا النهي منسوخ بمحدث معاذ ، لم  
يكن بعيدا ولا يقال : القصة قديمة ، لان صاحبها استشهد بأحد ، لانا نقول :  
كانت أحد في أواخر الثالثة فلا منع أن يكون النهي في الأولى ، والأذن في  
الثانية . كذا قال ، ولا يخفى أنه يرد عليه في ذلك بأولى ما ردد كلام الطحاوي .  
ويشم كلام البيهقي بأنهم كانوا يصلون الفرض مرتين ، على أنه في المرتين  
فرض وهو اثبات لما ادعاه الطحاوي ، كما لا يخفى على من أنعم النظر ، وفي « السنن »  
أنه ﷺ قال للرجلين اللذين لم يصليا معه : « اذا صليتما في رحالكما ثم أتيتما  
مسجد جماعة فصلينا معهم فانها لكما نافلة . » أخرجه من حديث يزيد بن الاسود  
الغامدي ، وصححه ابن خزيمة وغيره . وكان ذلك في حجة الوداع في أواخر حياة  
النبي ﷺ ويبدل على الجواز أمره ﷺ لمن أدرك الأئمة الذين يأتون بمده ويؤخرون  
الصلاة عن ميقاتها ، ان صلوا في بيوتكم في الوقت ثم اجعلوها معهم نافلة .  
ومذهب الامام الشافعي وأبي ثور وابن المنذر صحة الفرض خلف النقل ،

وهو رواية عن الامام أحمد ، وصحح هذا موفق الدين ، وهو قول عطاء  
والاوزاعي واختاره جمع من علمائنا . قال في « الفروع » اختاره في « النصيحة »  
« والتبصرة » ، وشيخنا يعني شيخ الاسلام ابن تيمية وغيرهم .

وفي الحديث استحباب تخفيف الصلاة ، قال علماؤنا: يسن تخفيف الصلاة  
مع اتمامها ما لم يؤثر المأموم التطويل ، فان آثروا كلهم استحب ، واستشكل عليه  
بان الامام قد لا يعلم حال من يأتي فيأتي به بمد دخوله في الصلاة ، فلا ولى إطلاق  
الكرهية إلا إذا كان إمام قوم محصورين راضين ، في مكان لا يدخله غيرهم .  
وفيه دليل على وجوب صلاة الجماعة ولا ينافي ذلك جواز الصلاة منفرداً ،  
ولا ريب أن صلاة الجماعة من أوكد العبادات وأجل الطاعات وأعظم شعائر  
الاسلام ، وقد حض النبي صلى الله عليه وسلم عليها ، وندب أمته اليها . ففي  
واجبة على الأعيان على معتمد مذهب الامام أحمد ، والمتعمد أن من صلى وحده  
لغير عذر تصح صلاته مع إيمه بالترك ، وهذا هو المأثور عن الامام أحمد وأكثر  
أصحابه ، وحملوا قوله **صَلَّى** : « صلاة الرجل في الجماعة تفضل عن صلاته وحده  
بخمسة وعشرين درجة ، وروي بسبع وعشرين درجة » . على غير المذكور ،  
لأن المذكور يكتب له أجره لو كان صحيحاً مقيماً . وجملوه حجة على صحة  
صلاة المنفرد مع ما في حديث قصة معاذ من انفراد الرجل بالصلاة ، وعدم أمر  
النبي صلى الله عليه وسلم له بفعلها ثانياً ، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت  
الحاجة .

وقالت طائفة من قدماء أصحاب الامام أحمد وبعض متأخريهم ، وطائفة  
من السلف : لا تصح حيث لا عذر ، وحملوا حديث التفضيل على المذكور ،  
قالوا : وليس كل معذور يكتب له ما كان يعمل ، بل إنما يكتب لمن كان نيته  
لولا العذر أن يعمل ومن عادته ذلك ، فهذا الذي يكتب له ما كان يعمل . فاما

من لم يكن له نية ولا عادة فكيف يكتب له ما لم يكن من عادته العمل به .  
وقيل ان صلاة الجماعة فرض كفاية ، وقيل سنة مؤكدة . وهذا  
المعروف من أصحاب أبي حنيفة ، وأكثر أصحاب مالك ، وكثير من أصحاب  
الشافعي .

وقد قال بوجوب الجماعة على الأعيان : عطاء والأوزاعي وجماعة من محدثي  
الشافعية وغيرهم ، كابن خزيمة وابن المنذر وابن حبان ، وبالح داود ومن تبعه  
فجعلها شرطاً لصحة الصلاة ، وقد بينت أدلة وجوبه في «شرح العمدة» ،  
وبالله التوفيق .

### الحديث التاسع عشر

٣٤ - ثنا سفيان ، قال : سمع عمرو جابر بن عبد الله ،  
وقال مرة : عمرو سمعه من جابر يقول : قال رسول الله ﷺ :  
الحرب خدعة .

قال رضي الله عنه ( ثنا سفيان ) بن عيينة ( قال ) : ( سمع عمرو ) بن دينار  
( جابر بن عبد الله ) رضي الله عنها ( وقال ) سفيان ( مرة عمرو ) ابن دينار  
( سمعه ) أي الحديث الآتي ( من جابر ) رضي الله عنه ( يقول : قال رسول الله  
ﷺ : الحرب خدعة ) .

ضبط الأصل خدعة ، بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة ، وعن يونس  
ضم الخاء وفتح الدال ، وعن عياض فتحها ، وقال القزاز بفتح الخاء وسكون  
الدال لغة النبي صلى الله عليه وسلم ولقته أفصح اللغات . وقالوا : الخدعة : المرة



الواحدة من الخداع ، فمعناه أن من خدع فيها مرة واحدة عطب وهلك  
ولا عودة له .

قال الجلال السيوطي : خدعه بضم الخاء وفتحها مع سكون الدال ، وبضمها  
مع فتح الدال ، فالفتح مع سكون الدال معناه : أن الحرب ينقضي أمرها بخدعة  
واحدة من الخداع ، يعني أن المقاتل إذا خدع مرة واحدة لم يكن لها إقالة ، وهو  
أفصح الروايات وأصحها . ومعنى الضم مع الاسكان : أنه اسم من الخداع . ومعنى  
ضم الأول وفتح الثاني أن الحرب تخدع الرجال وتمنيهم ولا تفي لهم ، كما يقال  
فلان لعبة وضحكة ، والذي يكثر اللعب والضحك . انتهى .

قال الحافظ ابن حجر والامام النووي : اتفق على أن فتح الخاء وسكون  
الدال أفصح ، حتى قال ثعلب : بلغنا أنها لغة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبذلك  
جزم أبو ذر الهروي والقزاز ، قال أبو بكر بن طلحة : أراد ثعلب أن النبي  
صلى الله عليه وسلم كان يستعمل هذه البنية كثيراً لوجازة لفظها ، ولكونها  
تمطي معنى البينتين الآخرين . انتهى .

قال في الفتح : وأصل الخدع : اظهار أمر واحتمار خلافه . قال السيوطي  
أمر باستعمال الحيلة مها أمكن . وقال ابن المنير : معناه الحرب الكاملة في  
مقصودها البالغة إنما هي المخادعة لا المواجهة ، وحصول الظفر مع المخادعة بغير  
خطر . وفيه التحريض على أخذ الحذر في الحرب والتدب الى خداع الكفار ،  
وان لم يتيقظ الى ذلك لم يأمن أن ينمكس الأمر عليه . قال النووي : وانفقوا  
على جواز الخداع ، أي مخادعة الكفار في الحرب كيفما أمكن ، إلا أن  
يكون فيه تقصض عهد أو أمان فلا يجوز .

قال ابن العربي : الخداع في الحرب ، بل الاحتياج اليه أكد من الشجاعة ،  
قال ويكون بالتورية ، ويكون بالكين ، ويكون بخلف الوعد ، وذلك من

المستثنى الجائز المخصوص من الحرم ، قال : والكذب حرام بالاجماع ، جائز في مواطن بالاجماع ، أصلها الحرب الذي أذن الله فيه وفي أمثاله رفقاً بالمباد لضمهم ، وليس للعقل في تحريمه ولا في تحليله أثر ، إنما هو الى الشرع ، ولو كان تحريم الكذب كما يقوله المبتدعون عقلاً ، والتحريم صفة نفسية كما يزعمون ؛ ما انقلب حلالاً أبداً ، والمسألة ليست ممقولة ، فتستحق جواباً ، وخفي هذا على علمائنا . انتهى .

قال العلامة ابن مفلح في « الآداب الكبرى » : يحرم الكذب لغير إصلاح وحرب وزوجة ، ويحرم المدح والذم بالباطل كذا قال في « الرعاية » .

قال ابن الجوزي : وضابطه ان كل مقصود محمود لا يمكن التوصل اليه إلا بالكذب فهو مباح ان كان ذلك المقصود مباحاً ، وإن كان واجباً فهو واجب ، قال : وهو مراد الأصحاب ، ومرادم هنا لغير حاجة وضرورة ، فانه يجب الكذب إذا كان فيه عصمة مسلم من القتل . وعند أبي الخطاب : يحرم أيضاً ، لكن يسلك أدنى المفسدين لدفع أعلاهما . وذكر ابن عقيل أنه - أي الكذب - حسن حيث جاز لا اثم فيه ، وهو قول أكثر العلماء .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه : المسألة مبنية على القبح العقلي فمن نفاه وقال : لا حكم إلا لله فان الكذب يختلف بحسب مكانه ، ومن أثبتته وقال الاحكام لذات الفعل قبحه لذاته . انتهى .

قال الطبري : إنما يجوز في الماريض دون حقيقة الكذب فانه لا يحل . قال النووي : الظاهر إباحة حقيقة الكذب لكن الاقتضاء على التمرريض أفضل . وفي « الآداب الكبرى » : مما أمكن الماريض حرم الكذب . وهو ظاهر كلام غير واحد ، وصرح به آخرون لمدم الحاجة إذن . وظاهر كلام أبي الخطاب أنه يجوز ولو أمكن الماريض ، قال : والظاهر أنه مراد .

وفي «الهدى» ، للإمام ابن القيم : يجوز كذب الانسان على نفسه وعلى غيره ، إذا لم يتضمن ضرر ذلك الغير إذا كان يتوصل بالكذب الى حقه ، كما كذب الحجاج بن علاط على المسلمين حتى أخذ ماله من مكة من غير مضرة لحقت بالمسلمين من ذلك الكذب ، وأما ما نال من بمكة من المسلمين من الأذى والحزن فمفسدة يسيرة في جنب المصلحة التي حصلت بالكذب ، ولا سيما تكميل الفرح وزيادة الايمان الذي حصل بالخبر الصادق بمد هذا الكذب ، وكان الكذب سبباً في حصول المصلحة الراجعة .

قال : ونظير هذا الامام والحاكم يوم الخصم خلاف الحق ليتوصل بذلك الى استعمال الحق ، كما أوم سليمان بن داود عليها السلام إحدى المرأتين بشق الولد نصفين حتى يتوصل بذلك الى معرفة عين أمه .

قال في «الآداب» : تباح الماريض ، وقيد ابن الجوزي الجواز عند الحاجة ، وقدم في «الرعاية» عند الحاجة وغيرها ، وتكره من غير حاجة ، والمراد بعدم تحريم الماريض لغير الظالم ، وفي الخبر : «ان في الماريض لمندوحة عن الكذب» وهذا ثابت عن ابراهيم النخعي . وقد روي مرفوعاً ، ولكنه ليس في مسند الامام أحمد ولا في الصحاح والسنن ، وإنما رواه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب «الماريض» من حديث عمران بن حصين مرفوعاً . وقد ذكر الامام الوفاق في «المغني» هذا الخبر تمليقاً بصيغة الجزم محتجاً به ولم يعزه الى كتاب .

قال في «الآداب الكبرى» : قال الامام أحمد رضي الله عنه : «الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل» ، قال حنبل : فقلت له يقول النبي ﷺ : الا ان يكون يصلح بين اثنين ، أو رجل لامرأته يريد بذلك رضاها ، وفي الحرب كذلك ،

قال : ابتداء الكذب منهى عنه ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم :  
الحرب خدعة .

قال أبو طالب ، قال أبو عبد الله رضي الله عنه : لا بأس أن يكذب لينجو  
« يعني الأسير » . وذكر حديث : الحرب خدعة ، قال : « وكان النبي صلى الله  
عليه وسلم إذا أراد غزوة ورعى بغيرها ، فلم ير الامام أحمد بذلك بأساً  
في الحرب .

فاما الكذب بينه ؛ فقال النبي ﷺ : « الكذب مجانب الايمان » . وفي  
«مسند» الامام أحمد من حديث أسماء بنت زيد مرفوعاً : « كل الكذب يكتب على  
بني آدم ، إلا ثلاث خصال : إلا رجل كذب لامرأته ايرضيها ، أو رجل كذب  
في خديمة حرب ، أو رجل كذب ما بين امرأين مسلمين ليصلح بينهما » ورواه  
الترمذي بلفظ : لا يحل الكذب ، وفي رواية لا يصلح الكذب .

قال في « الآداب الكبرى » ، وظاهر كلام الامام أحمد والاصحاب ، جواز  
الكذب في الصلح ، بين كافرين . كما هو ظاهر الاخبار ، وأما رواية : بين  
مسلمين فظاهره غير مراد ، لأنه يجوز بين مسلم وكافر لحق المسلم كالحكم بينهما ،  
ثم هو مفهوم اسم ، وفيه خلاف ، ويحتمل اختصاص جواز الكذب في الصلح  
بين المسلمين لظاهر الخبر ، واستظهره في « الآداب الكبرى » ، لأن الكذب إنما  
جاز لمصلحة شرعية ، والقول بأن الصلح بين أهل الكتاب والتأليف بينهم  
مصلحة شرعية يفتقر الى دليل ، والاصل عدمه ، ثم يقال : لو كان مصلحة  
شرعية ؛ لجاز دفع الزكاة في الفرم فيه كالصلح بين المسلمين .

وقال المهلب : الخداع في الحرب جائز كيفما كان ؛ إلا بالايمان واليهود  
والتصريح بالايمان فلا يحل شيء من ذلك .

## الحديث العشرون

٣٥ - ثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابراً : دخل رجل يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب ، فقال له : صليت ؟ قال : لا . قال : صل ركعتين .

قال رضي الله عنه ( ثنا سفيان ) هو ابن عيينة ( عن عمرو ) هو ابن دينار أنه ( سمع جابراً ) هو ابن عبد الله الانصاري رضي الله عنها يقول : ( دخل رجل ) قال الامام النووي في « المبهات » : هو سليك النطفاني ، وقيل النعمان بن قوقل ، وكذا ابن البلقيني في « الافهام » والخطيب في « مبهاته » وغيرهم ، وقال البرماوي في « مبهات العمدة » هو سليك « بضم السين المهملة وفتح اللام وآخره كاف ، بن عمرو ، وقيل بن هدية « بضم الهاء وسكون الدال المهملة وفتح الواو الموحدة » النطفاني « بفتح العين المعجمة والطاء المهملة وبالفاء » نسبة الى غطفان بن سعد بن قيس عبلان « بالعين المهملة » بطن كبير ، وهكذا جاء مصرحاً به في رواية لمسلم ولفظها « جاء سليك النطفاني » ( يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب ) فقال له : يا سليك قم فصل ركعتين وتجاوز فيها ... الحديث ، وقال ابن بشكوال : بعد أن حكى ذلك عن صحيح مسلم ، ومسند « الحميدي » وقيل ابن هدية ، وقال الخطيب : قيل إنه النعمان بن قوقل ، والاصح الاول . قال ابن الامير سليك بن عمرو : ( فقال له ) النبي ﷺ . أي قال للرجل الذي دخل ، والنبي يخطب ، وذلك بعد ما جلس : ( صليت ) هكذا بغير همزة الاستفهام ، وهي مقدرة ( قال لا ) أي ما صليت ( قال ) ﷺ له : ( صل ركعتين ) وفي لفظ قم . وفي رواية عند مسلم : « يا سليك قم

فاركع ركعتين تحية المسجد ، ولفظ فأركع ركعتين في الصحيحين ، وغيرها ، وكذا فصل ركعتين ، وبمدلول هذا الحديث ، أخذ الامام أحمد ، والامام الشافعي ، وأكثر أصحاب الحديث .

قال في « شرح المقنع » ومن دخل والامام يخطب لم يجلس حتى يركع ركعتين يوجز فيهما . وبه قال الحسن ، وابن عيينة ، والشافعي ، وإسحاق ، وأبو ثور ، وابن المنذر .

وقد روى الامام أحمد ، ومسلم ، وأبو داود من حديث جابر رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : اذا جاء أحدكم يوم الجمعة ، والامام يخطب فليركع ركعتين ، وليتجوز فيهما ، فان جلس قبل أن يركع ، استحب له أن يقوم فيركع » .

وروى الامام أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : « أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة ورسول الله ﷺ على المنبر ، فأمره أن يصلي ركعتين ، ولفظ الترمذي وصححه : « أن رجلا جاء يوم الجمعة في هيئة بذء والنبي ﷺ يخطب » .

قال الامام مجد الدين بن تيمية في « منتهى الاحكام » (١) هذا تصريح يضمف ما روي : انه ﷺ أمسك عن خطبته ، حتى فرغ من الركعتين ، ولم يقل بمداد عليه هذا الحديث شريح وابن سيرين والنخعي وقنادة والثوري ومالك والليث وأبو حنيفة ، بل قالوا : يكره أن يركع ، لأن النبي ﷺ قال الذي جاء بتخطي رقاب الناس « اجلس فقد آذيت » رواه أبو داود والنسائي من حديث عبد الله ابن بشر . ورواه الامام أحمد والنسائي وزادا : وآيت « بمد الهزمة وبمدها نون ثنائة تحمية ، أي اخرت الهجي . وآذيت بتخطيك رقاب الناس » وعند ابن خزيمة : فقد آذيت وأوذيت . قالوا ولأن الركوع يشمله عن استماع الخطبة ، فكره كثير

(١) وهو المعروف بـ « المنهى من أخبار المصطفى » .

الاخل ، ولأنه عليه السلام قال : « اذا قلت لصاحبك والامام يخطف أنصت ، فقد نوت » رواه الامام أحمد والشيخان وغيرهم من حديث ابي هريرة ، وروى الامام أحمد وأبو داود من حديث علي رضوان الله عليه قال : « من دنا من الامام فلنا ، ولم يستمع ، ولم ينصت ، كان عليه كفيل من الوزر ، ومن قال : صد ، فقد لنا ، ومن لنا فلا جمعة له ، ثم قال : هكذا سمعت نبيكم عليه السلام » وروى الامام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله عليه السلام : « من تكلم يوم الجمعة والامام يخطف ؛ فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا ، والذي يقول له أنصت ليس له جمعة » .

قالوا : اذا منع من هذه الكلمة ، مع كونها أمرا بمعروف ، ونهيا عن منكر في زمن سير ، فلأن يمنع من الركعتين مع كونها مسنونتين في زمن طويل أولى ، واعتذروا عن الحديث بوجوه ضيفة ، فمن مشهورها : ان هذا مخصوص بذلك الرجل المعين ، الذي هو سليك النطفاني ، قالوا : وإنما خص بذلك لأنه كان فقيرا فأريد قيامه لأجل أن يشاهد فيصدق عليه ، ولا يخفى بعد هذا الجمل مع ما عرف ان التخصيص خلاف الاصل ، ولا سيما مع قوله عليه السلام : « اذا جاء أحدكم يوم الجمعة والامام يخطف ... الحديث » فإنه تعميم مزيل لتوهم التخصيص بالرجل المذكور ، ولهذا قال النووي عن التأويل الذي ذكروه هو تأويل باطل ، وصريح قوله عليه السلام : « اذا جاء أحدكم ... الحديث » هذا بين لا يتطرق اليه تأويل ، قال : « ولا أظن عالماً يبلغه هذا اللفظ صحيحاً فيخافه » .

وفي الحديث جواز الكلام في الخطبة لحاجة ، وللخطيب ولمن يكلمه الخطيب ، وفيه الأمر بالمعروف ، والارشاد الى المصالح في كل حال وموطن ، وأن تحية المسجد ركعتان ، وأنها لا تقوت بمجرد الجلوس ، وأنها لا تسقط في وقت النهي هنا ، ومن جوز ذات السبب محتج بهذا لكل ذات سبب ، ولكن علمنا

خصوصاً هاتين الركتين لورود النض فيها ، وأبقوا النهي على عمومهما فيما عداهما ،  
وما عدا ركتي الطواف لورود الاذن فيها ايضاً ، وبالله التوفيق .

### الحديث الحادي والعشرون

٣٦ - ثنا سفيان . قال : قلت لعمرو ، سمعت جابراً  
يقول : مر رجل في المسجد معه سهام ؟ فقال له النبي ﷺ :  
أمسك بنصالها . قال : نعم .

قال رضي الله عنه ( ثنا سفيان ) ابن عيينة ( قال ) أي سفيان ( قلت  
لعمرو ) ابن دينار ( سمعت ) بالاستفهام المقدر ، أي سمعت ( جابراً ) يعني ابن عبد الله  
الانصاري رضي الله عنها ( يقول : مر رجل في المسجد ) قال الحافظ ابن حجر  
في « الفتح » : « لم أقف على اسمه . انتهى » ولم يذكره النووي في « المبهات » ،  
وبيض له ابن البلقيني ( ممة ) أي مع ذلك الرجل ( سهام ) جمع سهم وهو القدح  
وواحد النبال ، والنبل بفتح النون وسكون الواو بدها لام ، « السهام العربية  
وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها . وفي لفظ في « الصحيحين » : أن رجلاً مر  
في المسجد بأسمه قد أبدى نصولها ( فقال له ﷺ أمسك بنصالها ) جمع نصل  
ويجمع أيضاً على نصول ، والنصل حديد السهم ( قال ) عمرو بن دينار ( نعم )  
سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنها . قال ذلك فبان بقوله نعم إسناد  
الحديث ، وقد أخرجه الشيخان من طريق سفيان وغيره .

وفي رواية أنه ﷺ : أمر أن يأخذ بنصولها كي لا يتخذه مسلماً . فأقادت  
هذه الرواية بيان علة الامر بذلك ، وزوي أيضاً من طريق أبي الزبير عن جابر



رضي الله عنه : ان المار المذكور كان يتصدق بالنبل في المسجد ، وروي من حديث أبي موسى الاشعري رضي الله عنه أيضاً ولفظه : قال رسول الله ﷺ : « اذا مر أحدكم في مسجدنا أو سوقنا ومعه نبل ، فليمسك على نصالها بكفه لا يعقر مسلماً ، رواه مسلم والبخاري وأبو داود وابن ماجه .

قوله : « في مسجدنا أو سوقنا هو تنوع من الشارع ، وليس شكاً من الراوي ، وقوله : لا يعقر ، أي لا يجرح وهو مجزوم نظراً الى أنه جواب الامر ، ويجوز الرفع . قال النووي فيه من الادب : الامساك على النصال عند ارادة المرور بين الناس في مسجد أو سوق أو غيرها انتهى .

والمطلوب انه يستحب لمن معه نبل بادي ان يمك على نصالها ، وفي الحديث اشارة الى تعظيم كثير الدم وقليله ، وتأكيد حرمة المسلم ، وجواز ادخال المسجد السلاح ، وقد روى الطبراني من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال : « نهى رسول الله ﷺ عن قلب السلاح في المسجد ، والمعنى فيه ما تقدم ، كيلا يجرح مسلماً ، وفي رواية : « اذا مر أحدكم في مسجدنا... الحديث فليأخذ بنصالها ، لفظ مسلم : « فليأخذ بنصالها ، فليأخذ بنصالها ، فليأخذ بنصالها ، كرهه للمبالغة في الاحتراز . والله أعلم .

### الحديث الثاني والعشرون

٣٧ - ثنا سفيان ، عن عمرو : سمع جابراً : باع النبي ﷺ مدبراً ، فاشتراه ابن النخام عبداً قبطياً ، مات عام الأول في بدء إمرة ابن الزبير . دبره رجل من الانصار ولم يكن له مال غيره .

قال رضي الله عنه : ( ثنا سفيان ) بن عيينة ( عن عمرو ) ابن دينار أنه  
 ( سمع جابراً ) رضي الله عنه يقول : ( باع النبي ﷺ مدبراً ) بضم الميم وفتح  
 الهمزة المهملة والباء الموحدة مشددة « فراء » ، من التدبير ، وهو مصدر دبر العبد  
 والأمة ، تدبيراً اذا علّق عتقه بموته ، لانه يتق بعد ما يدبر سيده ، والمهمات دبر  
 الحياة ، يقال عتق عن دبر أي بعد الموت ، ولا يستعمل في كل شئ بعد الموت  
 من وصية ووقف وغيره ، بل هو لفظ خص به العتق بعد الموت ، والحديث في  
 « الصحيحين » وغيرهما . ولفظ « الصحيحين » : « عن جابر رضي الله عنه قال  
 دبّر ، وفي لفظ أعتق رجل من الانصار »

قال النووي : يقال له ابو مذكور ، ونقله ابن بشكوال عن رواية مسلم ،  
 وكذا ابن البلقيني في « الافهام » والبرماوي في « مبهات العمدة » غلاماً له وفي  
 لفظ : « بلغ النبي ﷺ ان رجلاً من أصحابه اعتق غلاماً له عن دبر لم يكن له  
 مال غيره ، فقال النبي ﷺ من يشتريه مني ( فاشتره ) أي الغلام ( ابن النخام )  
 كذا في النسخ . وكذا وقع في رواية عند البخاري وغيره ، قال القاضي عياض :  
 والصواب النخام باسقاط ابن ، وهو نعيم بن عبد الله القرشي العدوي ، من أفضل  
 الصحابة (١) ، وانما قيل له النخام « بفتح النون وتشديد الحاء المهملة فألف فميم ، لأن  
 النبي ﷺ قال : « دخلت الجنة فسمت نعمة من نعيم ، والنخمة « بفتح النون  
 وسكون الحاء المهملة وفتح الميم » صوت يخرج من الجوف وهي السعلة ، وقيل  
 النخضة ( عبداً ) بالنصب بدل من الضمير في اشتراه ( قبطياً ) منسوباً الى

(١) اسم قديماً ، يقال : إنه اضلم بعد عشرة انفس قبل اسلام عمر بن الخطاب رضي الله  
 عنه ، وكان يكتم اسلامه ومنعه قومه لشرفه فيهم ، لانه كان ينفق على ارامل بني عددي  
 راسباهم ويمونهم ، فقالوا أتم عندنا على أي دين شئت ، واقم في ربك واكفنا ما انت  
 كاف من أمر أراملنا ، فوالله لا يترضى لك أحداً لا ذهبت انفسنا جميعاً دونك ، وزعموا ان  
 النبي صلى الله عليه وسلم قال له حين قدم عليه : « قومك يأنيم كانوا خيراً لك من قومي -

القبط من أهل مصر ، واسم الغلام « يعقوب القبطي » ، ( مات ) الغلام ( علم  
 الاول ) أي في العام الذي قبل عام تجديد جابر بن عبد الله رضي الله عنها بحديثه  
 هذا ( في يد إمرة ) عبد الله ( بن الزبير ) رضي الله عنها ، هو أبو بكر عبد الله  
 ابن الزبير بن العوام الاسدي القرشي ، وقد تقدم نسبه عند ذكر أبيه في الحديث  
 الثاني عشر .

كناه النبي ﷺ بكنية جده لأمه أبي بكر الصديق ، وسماه باسمه ، وهو  
 أول مولود ولد في الاسلام للمهاجرين بالمدينة ، أول سنة من الهجرة ، ولدته أمه  
 أسماء بقباء ، وأنت به النبي ﷺ فوضته في حجره فدعا بتمره فمضنها ، ثم نقل  
 في فيه وحشكه ، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ، ثم دعا له  
 وبرك عليه . وكان أطلس لا شعر له في وجهه ولا لحية ، وكان كثير الصيام  
 والصلاة ، شها ذا أنفة شديد البأس ، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي بمكة ،  
 وصلبه يوم الثلاثاء لسبع خلت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين ، وقيل اثنين  
 وسبعين ، وكان ببيع له بالخلافة سنة اربع وستين ، وكان قبل ذلك لا يخاطب  
 بالخلافة ، واجتمع على طاعته أهل الحجاز واليمن والمراق وخراسان وغير  
 ذلك ما عدا الشام أو بعضه . وحج بالناس ثماني حجج ، وجدد عمارة الكعبة ،  
 فجعل لها بابين على قواعد ابراهيم ، وادخل فيها ستة أذرع من الحجر ، لما  
 حدثته خالته أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها عن النبي ﷺ .

وكانت بيعة ابن الزبير بعد موت يزيد بن معاوية ، وكان ابن الزبير لم يبايع

---

- لي ، قال بل قومك خير يارحول الله ، قومك أخرجوك الى الهجرة ، وقومي حبسوني عنها ،  
 وكانت هجرة نعيم عام خير ، وقيل ايام الحديبية ، وقيل اقام بمكة الى يوم الفتح .  
 واستشهد باجتادين سنة ثلاثة عشر في آخر خلافة الصديق ، وقيل يوم اليرموك ، في رجب  
 سنة خمس عشرة في خلافة عمر رضي الله عنهم اجمعين .

يزيداً فوجد عليه وجداً شديداً ، فلما مات يزيد بويج لابن الزبير بالخلافة ، ولم يبق خارجاً عنه إلا الشام ومصر ، فانه بويج بها لمعاوية بن يزيد ، فلم تستمر مدته ، فلما مات أطاع أهلها ابن الزبير أيضاً ، ثم خرج مروان ابن الحكم فطلب على الشام ثم مصر واستمر الى أن مات سنة خمس وستين ، وقد عهد الى ابنه عبد الملك .

والأصح كما قال الذهبي : ان مروان لا يبعد من امراء المؤمنين ، بل هو باغ خارج على ابن الزبير ، فانه أقام بمكة خليفة الى أن تغلب عبد الملك فجهز لقتاله الحجاج في أربعين ألفاً ، فحصره بمكة شهراً ، ورمى عليه بالمنجنيق ، فخذل ابن الزبير أصحابه ، وتسلموا الى الحجاج فظفر به ثم قتله وصلبه في التاريخ المار . وكان ابن الزبير فارس قريش في زمانه ، له المواقف المشهورة . وقد أخرج أبو يعلى الموصلي في « مسنده » عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنها قال : « احتجم النبي ﷺ فلما فرغ قال لعبد الله : اذهب بهذا الدم فارقه حيث لا يراك أحد ، فلما ذهب به شربه ، فلما رجع قال : ما صنعت بالدم ؟ قال : عمدت الى أخفى موضع علمته فجعلته فيه . قال : لملك شربته ؟ قال نعم . قال : وويل للناس منك ، وويل لك من الناس ، فكانوا يرون ان القوة التي به من ذلك .

قال عمرو بن دينار : مارأيت مصلياً أحسن صلاة من ابن الزبير ، وقال البكالي : اني لأجد في الكتاب المنزل ان ابن الزبير فارس الخلفاء ، وكان ابن الزبير يصلي في الحجر والمنجنيق يصيب طرف ثوبه فما يلتفت اليه . وقال مجاهد : « ما كان باب في الصلاة يمجز الناس عنه إلا تكلفه ابن الزبير ،

ولقد جاء سيل طبق البيت فجعل يطوف سباحة ، وكان صواماً قواماً ، طويل الصلاة ، مواصلاً للرحم ، شجاعاً ، قسم الدهر ثلاث ليال ، ليلة يصلي قائماً حتى الصباح (١) ، وكان لا ينازع في ثلاث : شجاعة وبلاغة وعبادة ، وكان صيئناً اذا

(١) كذا في الاصل ، لم يذكر بقية الاصنام الثلاث .

خطب ، تجاوبت الجبلان ، وهو أول من كسى الكعبة الديباج ، وكانت كسوتها المسوح والانطاع ، وكان لابن الزبير مائة غلام يكلم كل غلام منهم بلغة اخرى ، وكنت اذا نظرت الى ابن الزبير في أمر دنياه قلت هذا رجل لم يرد الله طرفه عين ، واذا نظرت اليه في أمر دينه قلت هذا رجل لم يرد الدنيا طرفه عين . وأخرج ابن عساكر عن هشام ابن عروة بن الزبير قال : كان أول ما أفصح به عمي عبد الله بن الزبير وهو صغير السيف ، فكان لا يعضه من فيه ، وكان أبوه اذا سمع ذلك منه يقول : أما والله ليكون لك منه يوم ويوم وأيام .

وأخرج عبد الرزاق عن الزهري قال : « لم يحمل الى رسول الله ﷺ رأس قط الى المدينة ، ولا يوم بدر ، وحمل الى أبي بكر رأس ، فكره ذلك » . وأول من حملت اليه الرؤوس عبد الله بن الزبير . كذا قال ، والذي في «الشامية» وغيرها من السير : ان أول رأس حمل في الاسلام رأس عدو الله أبي جهل ، وحمل اليه أيضاً ﷺ رأس سفیان بن خالد الهذلي ، حمله عبد الله بن أنيس ، وحمل اليه أيضاً رأس كعب بن الأشرف ، ورأس أبي عزة ، ورأس مرحب اليهودي ، كما رواه الامام أحمد ، وكذا رأس المنسي الكذاب ، كما ذكره بعضهم ، وعصماء بنت مروان ، ورفاعة ابن قيس ، أو قيس بن رفاعه ، وأول مسلم حمل رأسه عمرو بن الحنظلي الخزاعي رضي الله عنه ، وهذا يرد ما رواه أبو داود في مراسيله عن الزهري ، والله التوفيق .

وروي لابن الزبير رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ ثلاثة وثلاثون حديثاً ، وروى عنه أخوه عروة ، وابن أبي مليكة ، وعباس بن سهل ، وثابت ابن سهل البناني ، وعطاء وعبيدة السلماني ، وخلائق آخرون .

وفي أيامه كان خروج المختار الكذاب الذي ادعى النبوة ، فجهز ابن الزبير لقتاله ، الى ان ظفر به سنة سبع وستين فقتله . ومناقب ابن الزبير كثيرة وما أثره

غزيرة ، وفيها ذكرنا كفاية ( دره ) أي در يقوب القبطي ( رجل من الأنصار )  
وهو أبو مذكور المتكلم ذكره ( ولم ) أي والمطل أن لم ( يكن له ) أي لأبي  
مذكور ( ملخيره ) أي غير يقوب القبطي ، فباعه ~~بدره~~ لنسيم بن عبد الله رضي  
لنعمته بثمانمائة درم ، الظاهر بالدرام البطنية أو الطبرية ، لأن الدرهم كانت مختلفة ،  
بطنية منسوبة إلى طلك يقال له رأس البخل ، كل درهم ثمانية دوانف ، وطبرية  
منسوبة إلى طبرية الشام ، كل درهم أربعة دوانف ، فلما كان في زمن بني أمية ،  
وقبل زمن عمر ، والاول أشهر ، جموا الموزنين : وهما اثنا عشر دنانيراً وقسموها .  
فباع الدرهم ستة دوانف ، وأجمع أهل الصر الاول على هذا ، ثم أرسل النبي  
ﷺ ثمن البعد الذي دره أبو مذكور وهو ثمانمائة درم إليه .

### تفسيحات

الأول : قال بمضمون هذا الحديث الامام أحمد ، والامام الشافعي ، ومن  
وافقهما ، فصححوا بيع المدبر ولو أمة ، ولو في غير دين ، ولهيبته ووقفه ، وسواء  
كان التدبير مقيداً ، كأن مت من مرضي هذا فانت حراً ، أو مطلقاً .  
وقال أبو حنيفة : لا يصح بيعة اذا كان التدبير مطلقاً ، وان كان مقيداً من  
سفر أو مرض بيته فيسه جائز .

وقال مالك : لا يجوز بيعة في حال الحياة ، ويجوز بيعة بعد الموت ، ان كان  
على السيد دين ، وان لم يكن عليه ، وكان يخرج من الثلث ؛ عتق جميعه ، وان لم  
يحتمله الثلث ؛ عتق ما يحتمله ، ولا فرق عند مالك بين المطلق والمقيد .

الثاني : يعتبر خروج المدبر من الثلث بعد الديون ، ومؤن التحجير يوم موت  
السيد ، سواء دره في الصحة أو في المرض ، فان لم يف الثلث بها وبولدها اقرع  
بينها ، فأيها خرجت له القرعة عتق ان احتمله الثلث ، وإلا عتق منه بقدره ،

فان فضل من التث بعد عتقه شيء كل من الآخر ، وان اجتمع التث والتديير في المرض قدم التث .

الثالث : لو باع المدر أو زال ملكه عنه بنحو هبة مثلاً ، ثم عاد الى ملكه عاد التديير ، لانه علق التث بصفة فلم يبطل هذا التطبيق بالبيع حيث عاد الى ملكه ، كالتطبيق بدخول الدار ، وعند الشافعية : لا يعود التديير بعوده الى ملكه والله الموفق .

### الحديث الثالث والعشرون

٣٨ - ثنا سفيان عن عمرو ، عن جابر ، عن النبي ﷺ : **يُخرج الله من النار قوماً فيُدخلهم الجنة** .

قال رضي الله عنه : ( ثنا سفيان ) ابن عيينة ( عن عمرو ) ابن دينار ( عن جابر ) ابن عبد الله رضي الله عنها ( عن النبي ﷺ : يخرج ) بضم الياء المثناة من تحت من أخرج ( الله ) بالرفع فاعل ( من النار ) متعلق بيخرج ( قوماً ) مفعول به ( فيدخلهم ) الله جل وعلا ( الجنة ) دار النعيم المقيم ، بعد اخراجهم من نار الجحيم .

واخرجه الشيخان من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها أيضاً بلفظ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان الله يخرج قوماً من النار بالشفاعة ، فيدخلهم الجنة » . وأخرج البخاري عن عمران بن حصين ، عن النبي ﷺ قال : « يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ ، ويدخلون الجنة ، ويسمون الجنةيين » . وأخرج الطبراني عن عبادة بن الصامت ان رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي

بيده إني لسيد الناس يوم القيامة بغير فخر ، وما من الناس الا وهو تحت لوائي يوم القيامة ، ينتظر الفرج ، وان ممي لواء الحمد ، أمشي ومعني الناس حتى آتي باب الجنة ، فاستفتح ، فيقال : من هذا ؟ فأقول : محمد ، فيقول : مرحبا بمحمد ، فاذا رأيت ربي خررت له ساجداً شكراً ، فيقال : ارفع رأسك قل تمط ، واشفع تشفع ، فيخرج من قد أجرم برحمة الله وشفاعتي ، ، وأخرج أبو داود والترمذي والحاكم والبيهقي ، وصححه من حديث أنس رضي الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ : « شفاعتي لأهل الكبار من أمي » ، وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال : « شفاعتي لأهل الكبار من أمي » .

قال ابن عباس : السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب ، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله ، والظالم لنفسه وأهل الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد ﷺ ، وأخرج الترمذي والحاكم والبيهقي عن جابر رضي الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ : « شفاعتي لأهل الكبار من أمي » ، قال جابر رضي الله عنه : « من زادت حسناته على سيئاته ، فذاك الذي يدخل الجنة بغير حساب ، ومن استوت حسناته وسيئاته فذاك الذي يحاسب حساباً يسيراً ، ثم يدخل الجنة ، وإنما شفاعة رسول الله ﷺ لمن أوبق نفسه ، وأطبق ظهره » .

وأخرج الامام أحمد والطبراني ، واللفظ له واسناده جيد ، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنها ، عن النبي ﷺ قال : « خيرت بين الشفاعة أو يدخل نصف أمي الجنة ، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفي ، أما انها ليست للمؤمنين المتقين ، ولكنها للمذنبين الخاطئين المتلوثين » ورواه ابن ماجه من حديث أبي موسى الأشعري بنحوه .

إذا علمت هذا فاعلم أن اخراج من أدخل النار من عصاة هذه الامة منها ، وادخلهم الجنة برحمة أرحم الراحمين ، أو شفاعة خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ،



أو شفاعة غيره من النبيين والصديقين ، والملاء العاملين ، والشهداء والمقرين  
أو نحو ذلك ، أصل من أصول أهل السنة ، يجب اعتقاده ، وانه صحيح واقع  
لنصوص الصريحة ، والخبار الصحيحة ، وخالف في ذلك الخوارج والمعتزلة ،  
فقالوا : من دخل النار لا يخرج منها أبداً ، بل عندهم كل من دخلها لا يخرج  
منها أبد الآباد .

قال الامام ابن القيم في كتابه « حادي الأرواح الى منازل الأفراح » :  
السنة المستفيضة أخبرت بخروج من في قلبه مثقال ذرّة من إيمان ، دون الكفار ،  
وأحاديث الشفاعة من أولها الى آخرها صريحة بخروج عصاة الموحدين من النار ،  
وان هذا حكم مختص بهم دون الكفار ، وهي التي ينكرها أهل الابتداع  
ويكذبون بها .

وفي « البخاري » عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب فقال :  
انه سيكون في هذه الأمة قوم يكذبون بالرجم وبالذجال ، ويكذبون بطلوع  
الشمس من مغربها ، ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا . وفي  
حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : « من كذب بالشفاعة فلا نصيب له فيها »  
رواه سميد بن منصور والبيهقي وغيرها . وروى البيهقي عنه أنه قيل له : « إن  
قوماً يكذبون بالشفاعة » قال : لا تجالسوا أولئك » ، وأخرج البيهقي عن أنس  
رضي الله عنه أيضاً قال : يخرج قوم من النار ، ولا نكذب بها كما يكذب بها  
أهل حروراء ، « أي الخوارج » .

وهذا أصل ثابت ، والأحاديث فيه متضافرة ، والأخبار متواترة ،  
والإيمان به واجب ، والتكذيب به بدعة مضلة ، عاقابنا الله تعالى من البدع والفتن  
ما ظهر منها وما بطن ، وبالله التوفيق .

## الحديث الرابع والعشرون

٣٩ - ثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابراً قال : كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة فقال لنا رسول الله ﷺ : أنتم اليوم خير أهل الأرض .

قال رضى الله عنه : ( ثنا سفيان ) بن عيينة ( عن عمرو ) بن دينار أنه ( سمع جابراً ) رضى الله عنه ( قال كنا ) معشر الصحابة الذين مع النبي ﷺ ( يوم الحديبية ) - بحاء مهمله مضمومة ، فдал مهمله مفتوحة ، فمشاة تخنية ساكنة ، فوحدة مكسورة ، فتحية مفتوحة مخففة - عند أهل اللغة وبعض أهل الحديث ، وقال أكثر أهل الحديث : مشددة ، قال النووي : وهما وجهان مشهوران ، قال في «المطالع» ضبطنا التخفيف عن المتقين ، وأما عامة الفقهاء والمحدثين فيشددونها ، وقال البكري : أهل المراق يشددون ، وأهل الحجاز يخففون ، وقال النحاس : سألت كل من لقيت ، فمن أثنى به وبلمه عن الحديبية فلم يختلفوا على قراءتها مخففة ، قال أحمد بن يحيى : لا يجوز فيها غيره ، ونص في «البارع» على التخفيف ، وحكى التشديد ابن سيدة في «المحكم» ، قال في «تهذيب المطالع» ولم أره لغيره ، وأشار بعضهم الى أن التثقيب لم يسمع من فصيح ، وذلك أن المنسوب ، بابه يكون في المنسوب اليه ، نحو الاسكندرية ، وأما الحديبية فلا تعقل فيها النسبة ، ويا النسب في غير المنسوب قليلا ، ومع قلته موقوف على السماع .

والحديبية : مكان يسمى بيئر كانت هناك ثم عرف المكان كله بذلك ، وهو قريب من مكة ، أكثره في الحرم وبينه وبين مكة نحو مرحلة واحدة ، ومن

المدينة تسع مراحل ، وكانت غزوة الحديبية سنة ست في ذي القعدة على الصحيح .  
( ألفاً ) واحدة ( وأربمائة ) ورواه البخاري ومسلم وغيرهما عن عمرو بن دينار  
أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنها ... الحديث .

وفي « الصحيحين » وغيرهما من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال : « كان  
أصحاب الشجرة ألفاً وثمانمائة » ، وأخرج مسلم والترمذي والنسائي من حديث  
أبي الزبير أنه سمع جابر رضي الله عنه يسأل : كم كانوا يوم الحديبية ؟ قال :  
« كنا أربع عشرة مائة ، فبايعناه ﷺ ، وعمر رضي الله عنه أخذ بيده ، تحت  
الشجرة وهي سمرة » ، وكذا في حديث معقل في « صحيح » مسلم ولفظه : « لقد  
رأيتي يوم الشجرة والنبي ﷺ يبايع الناس ، وأنا رافع غصناً من أغصانها عن  
رأسه ، ونحن أربع عشرة مائة » .

واختلفت الروايات في عدة من كان مع رسول الله ﷺ يومئذ ، فقبل  
ألف وثمانمائة ، وقيل ألف وأربمائة ، وقيل ألف وخمسمائة .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : والجمع بين هذا الاختلاف أنهم كانوا  
أكثر من ألف وأربمائة ، فمن قال : إنهم ألف وخمسمائة جبر الكسر ، ومن قال :  
م ألف وأربمائة ألفاً ، ويؤيد هذا قول البراء في رواية عنه : كنا ألفاً وأربمائة  
أو أكثر ، واعتمد على هذا الجمع النووي ، وأما البيهقي فالإلى الترجيح ، وقال :  
إن رواية من قال ألفاً وأربمائة أرجح ، ووقع في رواية معقل بن يسار عن  
سلة بن الأكوح عند ابن سعد : زهاء ألف وأربمائة ، وهو ظاهر في عدم  
التحديد ، وأما قول عبد الله بن أبي أوفى : كنا ألفاً وثلثمائة كما رواه البخاري  
ومسلم فيحمل على ما اطلع عليه ، واطلع غيره على زيادة ناس لم يطلع هو عليهم ،  
وزيادة الثقة مقبولة ، أو العدد الذي ذكره عدد المائة ، والزيادة عليها من الاتباع

من الخدم والنساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم ، وأما قول ابن اسحق : انهم كانوا سبعمائة ، فلم يوافق عليه .

قال الامام ابن القيم في « الهدي » : ما ذكره ابن اسحق غلط بـسـيـن ، وما استدل به من أنهم نَحروا سبعين بدنة ، البدنة جاءت اجزاؤها عن سبعة وعن عشرة لا يدل على ما قاله ، فانه قد صرح : أن البدنة في هذه العمرة عن سبعة ، فلو كانت السبعين عن جميعهم كانوا أربعمائة وتسعين رجلاً ، وقد قال جابر في تمام الحديث الذي استدل به ابن اسحق بمينه : انهم كانوا ألفاً وأربعمائة ، هذا وقد جزم ابن عقبة : بأنهم كانوا ألفاً وستمائة ، وفي حديث سلمة بن الاكوع عند ابن أبي شيبه ألفاً وسبعمائة ، وحكى ابن سعد أنهم كانوا ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرين ، وهذا إن ثبت تحديدهم ؛ ورواه ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنها ، وفيه رد على ابن دحية ، حيث زعم : أن سبب الاختلاف في عددهم ، ان الذي ذكر عددهم لم يقصد التحديد ، وإنما ذكره بالحدس والتخمين .

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه ( فقال لنا ) : معشر من كان معه في الحديبية من أصحابه ( رسول الله ﷺ ) أنتم اليوم خير أهل الارض ) يعني : أهل بيعة الرضوان .

وقد أخرج الامام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي من حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنها ، ومسلم عن أم بشر رضي عنها أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة » ، وروى الامام أحمد بسند رجاله ثقات ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « لما كان يوم الحديبية ؛ قال رسول الله ﷺ : لا توقدوا ناراً بالليل ، فلما كان بعد ذلك قال : أوقدوا واصطنموا ، فانه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم » .

وكان أول من بايع النبي ﷺ يومئذ أبو سنان الأسدي ، فقال للنبي

ﷺ : « ابسط يدك أبيك . فقال النبي ﷺ : علام تبايعني ؟ قال : على ما في نفسك ، زاد ابن عمر قال : وما في نفسي قال : اضرب بسبني بين يديك حتى يظهر لك الله أو أقتل . فبايعه وبايعه الناس على بيعة أبي سنان .

وأخرج البيهقي عن أنس ، وابن اسحق عن ابن عمر رضي الله عنهم قال : لما أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان ، كان عثمان رسول رسول الله ﷺ الى أهل مكة ، فبايع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم إن عثمان في حاجتك وحاجة رسولك » فضرب بأحدى يديه على الأخرى ، فكانت يد رسول الله ﷺ لثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم . فلما نظر سهيل بن عمرو ، وحويطب ابن عبد العزى ، ومكرز بن حفص ، ومن كان معهم من عيون قريش من سرعة الناس الى البيعة ، وكشميرم الى الحرب ، اشتد رعبهم وخوفهم ، وأسرعوا الى القضية ، ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه : أن المشركين من أهل مكة قد قتلوه لا أصل له ، بل هو طيب (١) ، فهادن قريشاً يومئذ .

وفي « صحيح » مسلم والترمذي والنسائي من حديث جابر رضي الله عنه قال : فبايعناه « يعني النبي ﷺ » غير جد بن قيس الانصاري ، اختفى تحت بطن بيميره ، وعند ابن اسحاق قال جابر رضي الله عنه : « فكأنني أنظر اليه لاصفاً بابط ناقتة ، قد ضبأ اليها » ، وهو بفتح الصاد المعجمة والموحدة مهموز بمعنى اختفى بها ، يستتر بها من الناس ، فهذا مستثنى فليس له فضيلة ، وكان يرمى بالانفاق ، وقد عده الحافظ ابن الجوزي في كتابه « منتخب المنتخب » في المناققين ، ونزل في حقه في غزوة تبوك ما يشعر بذلك ، وهو ابن عمه البراء بن معرور ، وكان سيد بني سلمة ، بكسر اللام في الجاهلية .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لبني سلمة : من سيدكم ؟ قالوا : الجد

(١) كذا في الاصل ويقصد : حمي .

ابن قيس على بخل فيه ، قال : وأي داء أدوأ من البخل ! ثم قال : بل سيدكم عمرو بن الجوح . وقيل : أنهم قالوا : يا رسول الله : من سيدنا ؟ قال : سيدكم بشر بن البراء بن معرور . ومال اليه ابن عبد البر ، ويدل للأول قول شاعر الأنصار :

وقال رسول الله والحق قوله	لمن قال منا من تسموه سيداً ؟
فقالوا له : جد بن قيس على التي	يبخله فيها ، وإن كان أسوداً
فتى ما تخطى خطوة لدنيّة	ولا مد يوماً ما الى سواة يدا
فسود عمرو بن الجوح لجوده	وحق لعمره بالندي أن يسوداً
إذا جاءه السؤال أنهب ماله	وقال خذوه انه فائد غدا
ولو كنت يا جد بن قيس على التي	على مثلها عمرو ، لكنت المسوداً

قال ابن الأثير في « جامع الأصول » : أبو عبد الله الجد بن اقيس بن صخر الانصاري السلمي هو خال جابر بن عبد الله ، يقال : انه مات في خلافة عثمان . والله أعلم .

تنبيهه : قال ابن عبد البر : ليس في غزوات النبي ﷺ ما يعدل بدرأ ، أو يقرب منها إلا غزوة الحديبية ، وهذا هو الراجح عندنا ، وأما منكلموا الأشاعرة فقدّموا غزوة أحد في الفضيلة على الحديبية ، فزعموا أن غزوة أحد هي التي تلي غزوة بدر في الفضيلة ، والأول أولى ، والله أعلم .

### الحديث الخامس والمشعرون

٤ - ثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابراً يقول : قال رجل يوم أحد : إن قتلت فأين أنا ؟ قال في الجنة ، فألقى

تمراتٍ كُنَّ في يده فقاتل حتى قتل ، وقال غير عمرو :  
تَحَلَّى من طعام الدنيا .

قال رضي الله عنه ( ثنا سفيان ) ابن عيينة ( عن عمرو ) ابن دينار أنه  
( سمع جابرًا ) رضي الله عنه ( يقول : قال رجل ) قال الخطيب : هو عمير بن  
الحمام - بضم الحاء المهملة والياء المخففة فألف فيم - الأنصاري ، ذكره الامام  
النووي في « مبهاته » ( يوم ) غزوة جبل ( أحد ) المتقدم ذكره في الحديث العاشر  
من أحاديث جابر رضي الله عنه ، وهو بقرب المدينة الشريفة ، قال النووي في  
« تهذيبه » : على نحو ميلين . وفي الحديث : « ان أحدًا على ترعة من ترع الجنة ،  
وفي لفظ : « على باب من أبواب الجنة » ، ويقال : ان فيه قبر هارون أخي  
موسى بن عمران عليها السلام ، قلت : وهذا ليس بشيء ، وإنما كان عليه السلام  
يكثر ذكره في التشبيه به ، كحديث : « من صلى على جنازة وحضرها ، كان له  
قيراطان ، أذناهما مثل أحد ، مع أن في الأرض من الجبال ما هو أكبر منه ،  
لأنه عليه السلام كان يحبه كما سبق ، وقيل : لأنه يتصل في امتداده واتساعه الى الأرض  
السابعة السفلى .

تنبيه : عمير بن الحمام الأنصاري ، الذي ذكره الخطيب أنه الرجل  
المبهم في هذا الحديث ، استشهد يوم بدر ، ولهذا قال النووي تبمسًا للخطيب :  
وكانت قصته يوم بدر لا يوم أحد . قال ابن البلقيني في « الأفيام » : قيل : ان هذا  
الرجل يعني المبهم في الحديث ، هو عمير بن الحمام . كذا قاله ابن بشكوال ، قال  
لكنه ساق ما لا حجة فيه ، فأخرج ما يقتضي ان ذلك كان في بدر ، من  
طريق مسلم عن أنس رضي الله عنه ، وساق فيه : أن عمير بن الحمام  
بعد الوعد بالجنة ، أخرج تمراتٍ ، فجعل يأكل منهن ، ثم قال : « لئن حيت

حتى آكل تمراتي هذه ، انها لحياة طويلة ، تم قاتل حتى قتل . قال ابن بشكوال:  
ووقع في حديث جابر ان هذا كان يوم أحد . وفي حديث أنس: ان ذلك كان يوم  
بدر ، والله أعلم أي ذلك كان .

وفي «أسد الغابة» ، أن عمير بن الحمام قتل بيدر ، وهو أول قتييل من  
الأنصار في الاسلام في حرب ، وكان رسول الله ﷺ قد آخى بينه وبين عبيدة  
بن الحارث ، فقتلا يوم بدر جميعاً ، قتله خالد بن الأعم ، فعلى هذا يكون تفسير  
ما في قصة جابر بن عمر بن الحمام فليطلب . انتهى .

وفي «الشامية» ، قال ابن إسحق وغيره : ثم تراحف الناس ؛ يعني يوم بدر ،  
ودنا بعضهم من بعض ، فخرج رسول الله ﷺ الى الناس فحرضهم ، فقال :  
«قوموا الى الجنة عرضا السموات والارض ، والذي نفسي بيده ، لا يقاتلهم اليوم  
رجل ، فيقتل صابراً محتسباً ، مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة» ، فقال - كما  
في «صحيح مسلم» وغيره من حديث أنس - عمير بن الحمام ، أخو بني سلمة ،  
وفي يده تمرات يأكلهن : «بخ بخ يا رسول الله ! عرضا السموات والارض ؟ !  
قال : نعم . قال : أما بيني وبين ان أدخل الجنة ، إلا أن يقتلني هؤلاء ؟ ! . وفي رواية  
قال : لئن حبيت الى أن آكل تمراتي هذه ، انها لحياة طويلة ، ثم قذف التمرات  
من يده ، وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قتل .

وذكر ابن جرير ان عميرا قاتل وهو يقول :

ركضنا الى الله بنير زاد      إلا التقى وعمل المباد  
والصبر في الله على الجهاد      وكل زاد عرضة التفتاد  
غير التقى والبر والرشاد

قال ابن عقبة : فكان أول قتييل قتل من المسلمين ، وقال ابن سعد : أول  
قتيل قتل : مهجع مولى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، والجمع ما أشرنا اليه :



ان أول قتيل من الانصار عمير ، واما أول قتيل مطلقا فمجع .

( إن قتلت ) شهيداً في يومي هذا ( فأين أنا ؟ ) أي الى أي الدارين أصير؟  
( قال ) صلى الله عليه وسلم : ان قتلت مقبلاً غير مدبر ، صابراً محتسباً : فأنت ( في الجنة )  
المهودة التي عرضها السموات والارض ( فألقى ) الرجل ( تمرات ) قليلة ( كن  
في يده ) يأكل ممنه . وقال : « يخ يخ ، جنة عرضها السموات والارض ، ما بيني  
وبين أن أدخلها إلا أن يقتلني هؤلاء » ( فقاتل ) في سبيل الله ، لاعلاء كلمة الله  
( حتى قتل ) « بالبناء للمجهول » أي حتى قتله اعداء الله صابراً محتسباً ، مقبلاً  
غير مدبر ، مصداقاً بوعد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . وهذا أعني حديث جابر باللفظ  
المذكور في « الصحيحين » وسنن النسائي وغيرها .

( وقال غير عمرو ) بن دينار عن جابر رضي الله عنه : ( تخلى ) ذلك الرجل أي  
تفرغ ( من طعام الدنيا ) يقال : « تخلى منه وعنه » إذا أتركه رغبة عنه ، لأنه  
بالنسبة الى طعام الجنة لا يبعد ، وإن كان هو في نفس الامر شيئاً ، لذيداً لخلوته ،  
فطعام الجنة أشهى وألذ : « كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا : هذا الذي رزقنا  
من قبل وأتوا به متشابهاً » (١) .

وفي الحديث : « ان من قتل في سبيل الله فهو في الجنة » قال الله تعالى : « إن  
الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله ،  
فيقتلون ويقتلون ، وعداً عليه حقا » (٢) وقال تعالى : « يا أيها الذين امنوا هل  
أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في  
سبيل الله ، بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم  
ذنوبكم ، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ، ومساكن طيبة في جنات  
عدن ، ذلك الفوز العظيم » (٣) الى قوله : وبشر المؤمنين . قال ابن عباس

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥ . (٢) سورة التوبة ، الآية : ١١١ ، وفي الاصل :  
زيادة : « الى قوله : « وبشر المؤمنين » ، وهو خطأ لأن هذه الزيادة في سورة الصف .

(٣) سورة الصف ، الايات : ١٠ - ١٢ .

رضي الله عنها : انهم قالوا : لو نعلم أحب الاعمال الى الله لمعلمناها ، فنزلت هذه الآية .

وفي « الصحيحين » و« السنن » من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . قال : قيل : يا رسول الله أي الناس أفضل ؟ فقال ﷺ : « مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله ، قالوا : ثم من ؟ قال : مؤمن في شعب من الشعب ، يتقى الله ، ويدع الناس من شره » . وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مثل الجاهد في سبيل الله - والله أعلم بمن يجاهد في سبيله - كمثل الصائم القائم ، وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة ، أو يرجه سالماً مع أجر أو غنيمة » وفي رواية « إن توفاه ، بان الشرطية لا المصدرية ، رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

وقد قال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه : أخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا : « من قتل منا سار الى الجنة ، رواه البخاري وغيره . وفي حديث المقدم بن معدى كرب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له في أول دفعة ، ويرى مقعده من الجنة ، ويحار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الباقوة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقاربه » رواه ابن ماجه ، والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح غريب . والاحاديث في هذا الباب كثيرة جداً .

### الحديث السادس والعشرون

٤١ - ثنا سفيان ، قال : سمع عمرو جابراً يقول : بمثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثمائة راكب ، أميرنا

أبو عبيدة بن الجراح ، فأقننا على الساحل حتى فني زادنا ، حتى  
أكلنا الخبط ، ثم إن البحر ألقى دابة يقال لها : العنبر ، فأكلنا  
منه نصف شهر حتى صلحت أجسامنا ، فأخذ أبو عبيدة ضلعاً  
من أضلاعه فنصبه ، ونظر الى أطول بئر ، فجاز تحته ، وكان  
رجل نحر ثلاث جزر ، ثم ثلاث جزر ، ثم ثلاث جزر ، فنهاه  
أبو عبيدة .

قال رضي الله عنه : ( ثنا سفيان ) بن عيينة ( قال : ) أي سفيان ( سمع  
عمرو ) بن دينار ( جابراً ) رضي الله عنه ( يقول : بمننا ) أي أرسلنا ، يقال : بمنته  
كمنه اذا أرسله ( رسول الله ﷺ في ثلثمائة راكب ) من المهاجرين والانصار ،  
فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين ( أميرنا ) أمين الأمة ( أبو عبيدة )  
عامر بن عبد الله ( ابن الجراح ) رضي الله عنه .

تقدمت ترجمته في الحديث الاول من « مسند » جابر بن عبد الله رضي الله  
عنها ، وتقدم شرح هذا الحديث هناك ، ولكن أحلنا هناك على تمام الكلام عليه  
هنا ، وتقدم هناك ذكر الخلاف في كون هذه السرية ، كانت في الثامنة من  
الهجرة ، وفي كونها كانت في شهر رجب من السنة المذكورة .

( فأقننا على الساحل ) أي سيف البحر وشاطئه ، سمي بذلك لأن الماء سحله ،  
وكان القياس مسحولاً ، ومعناه ذو ساحل من الماء اذا ارتفع المد ثم جزر ، فحذف  
ما عليه ( حتى ) أي الى أن ( فني ) كرضي وسمى فاندم ( زادنا ) الذي تزودناه  
لسفرنا من الطعام ، فأنهى الحال بنا والمجاعة ( حتى أكلنا الخبط ) « بفتح الخاء

المجمعة ، ما يسقط من ورق الشجر ، اذا خبط بالنعى اتلفه الابل ، قال في  
« المطالع » : الخبط هو ورق السمر ، ومنه دقيقاً ، وخبطا ، وخبظ ، ضرب  
بالمصا ليسقط ، فيلثونه بالماء فيأكلونه ، كما في رواية ، وكنا نضرب بمصينا الخبط ،  
ثم نبله بالماء فنأكله . انتهى .

قال جابر رضي الله عنه ( ثم ) بعد إقامتنا بالساحل خمسة عشر يوماً ( ان  
البحر القى ) منه ( دابة ) وهو حوت قذفه البحر ( يقال لها ) أي لتلك الدابة  
( المنبر ) قال في « النهاية » : هي سمكة بحرية يتخذ من جلدها التراس ، ويقال  
للتراس : عنبر .

تمة في ذكر المنبر وهو الطيب المعروف ، جاء في الحديث عن ابن عباس  
رضي الله عنهما : سئل عن زكاة المنبر فقال : « إنما هو شيء دسره البحر ، أي  
دفعه ورمى به . وفي الحديث : « المنبر ليس بركاظ فلا زكاة فيه » ، خلافاً للحسن ،  
لأن الذي يستخرج من البحر لا يسمى ركاظاً ، لفنة ، ولا عرفاً ، بل هو لمن  
وجده ، وهو شيء يقذفه البحر بالساحل ، وهو نبات يخلفه الله في قمره وجنباة  
أو نبع عين فيه ، أو شجر ينبت في البحر ، فينكسر فليقيه الموج الى الساحل ،  
أو روث دابة بحرية ، ذكر ذلك بعض أهل العلم .

وقال القزويني : زعموا ان بقرأ تطلع من البحر ، ترعى الزرع ، روئها  
المنبر ، والله أعلم بصحة ذلك ، فان الناس ذكروا ان المنبر ينبت في قمر البحر ،  
فان صح ماقلوه ، فروث هذا الحيوان ، ينفع الدماغ والحواس والقلب .

قال داود الانطاكي في « تذكرته » : الصحيح ان المنبر عيون بقمر البحر ،  
تقذف دهنيته ، فاذا فارت وصارت على وجه الماء جمدت ، فيلقها البحر على  
الساحل ، وقيل : طل يقع على البحر ثم يجتمع ، وقيل : روث سمك . قال :

وهذا خرافات ، لأن السمك يبلمه فيموت ، ويقذف السمك في أجوافه . انتهى .

قال الامام ابن القيم : والدنبر أفخر أنواع الطيب بعد المسك ، وأخطأ من قدمه عليه ، قال : وضروبه كثيرة ، وألوانه شتى : أبيض ، وأشهب ، وأصفر ، وأحمر ، وأخضر ، وأزرق ، وأسود وهو الأجود .

قال : ومن منافعه : انه يقوي القلب والحواس والدماع . أخرجه ابن النجار في «تاريخه» ، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها . انتهى . وفي «تذكرة» : داود : أجوده الاشهب العطر ، يليه : الازرق ، فالاصفر ، فالفستقي . قال : والذي يمضغ ويمط ولم يقطع خالص . وغيره رديء ، ويفش بالحص ، والاذن ، والشمع ، ولا يعرف تركيبه إلا الحدائق . وموضعه بحر عمان ، والمنذب ، وساحل الخليج المغربي ، وكثيراً ما يقذف بنيسان . وتبلغ القطعة منه الف مثقال ، وخالصه يوجد فيه أظفار الطيور ، لانها تنزل عليه فيجذبها .

قال : وهو حار في الثانية ، يابس في الاولى ، ينفع سائر امراض الدماغ الباردة طبعاً ، وغيرها خاصة ، ومن الجنون ، والشقيقة ، والزلات ، وأمراض الاذن ، والانف ، وعلل الصدر ، والسعال ، والربو ، والغثي ، والحققان ، وقروح الرئة ، وضعف المعدة ، والكبد ، والاستسقاء ، واليرقان ، والطحال ، وامراض الكلى ، والرياح الغليظة ، والفالج ، والالتقوة ، والمفاصل ، والنساء ، شماً وأكلاً . وكيف كان فهو أجمل المفردات فيما ذكر ، شديد التفريح ، خصوصاً بمثله بنفسج ونصفه صمغ ، ويحفظ الارواح ، وينعش القوى ، ويعيد ما أذهبه الدواء والجماع ، ويهيج الشهوتين ، وان لوزم بماء المسل أعاد الشهوة بمدايئس ، وكذا ان مزج<sup>(١)</sup> به مع الغالية .

ومن خواصه : ان الطلاء به عند الفعل ، يجدد اللذة مالا يمكن بمده

(١) في الاصل : مزوج ، ، والتصحيح من « التذكرة » .

المفارقة ، ودخانها يطرد الهوام ، ويصلح الهواء ، ويمنع الوباء . والمبلوغ منه سهك رديء . وشربته دائق وهو يحدث الما شرى في الحرور ، ويصلحه الكافور ، ويضر المي ويصلحه الصنغ ، وهو بادزهر<sup>(١)</sup> السموم مطلقاً ، وإذا خلي عنه المعجون ضمف مطلقاً . والله أعلم .

قال جابر رضي الله عنه : ( فأكلنا منه ) أي من الحوت الذي يقال له العنبر الذي القاه البحر ( نصف شهر ) تقدم الكلام على هذا ، واختلاف الروايات فيه ، وطريق الجمع بينها في الحديث الاول من مسند جابر ( حتى صلحت أجسامنا ) وسمناً ( فأخذ أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعه<sup>(٢)</sup> فنصبه ) أي أقامه ( ونظر الى أطول بمير ) فأركبه أطول رجل في الركب ، قيل : هو قيس بن سعد بن عبادة ( فجاز تحته ) ما يطأطىء رأسه . قال جابر رضي الله عنه : ( وكان رجل ) وهو قيس بن سعد بن عبادة ، ابن دليم الأنصاري الخزرجي ، الجواد بن الجواد ( نحر ثلاث جزر ) ، وفي لفظ : ثلاث جزائر . والجزائر والجزر جمع جزور ، وفيه نظر ، فان جزائر جمع جزيرة ، والجزور إنما يجمع على جزر « بضمين » فلمله جمع الجمع كما في « الفتح » ( ثم ) نحر ( ثلاث جزر ثم ) نحر ( ثلاث جزر فنهاه أبو عبيدة ) ابن الجراح . وكان قيس بن سعد رضي الله عنها اشترى الجزر من اعرابي جبني ، كل جزور بوسق من تمر ، يوفيه إياه في المدينة .

وفي « الفيليات » : لما رأى قيس بن سعد ماباناس من الجهد قال : من يشتري مني تمرأ بجزر أنحرها ههنا وأوفيه التمر بالمدينة ؟ فجمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : واعجبا لهذا القلام ! لامل له يدان في مال غيره . فوجد قيس رجلا من جهينة ، فقال قيس : بعني جزراً وأوفيك شقة تمرأ بالمدينة ، قال

(١) في الاصل : بازهر ، والتصحيح من « تذكرة داود » .

(٢) وعلى هامش الاصل : والضلع بكسر الضاد المجمة وفتح اللام ، وسكنتها تم ، مؤنثة ، وجمها اضلاع وضلوع ، وهي عظام الجنين .

الجبيني : والله ما أعرفني بنسبك ، أما انه يبني وبين سعد خلة ، سيد أهل يثرب ، فابتاع منه خمس جزائر ، كل جزور بوسق ، من تمر يشترط عليه البدوي ، تمر ذخرة مصلبة من تمر آل دليم ، فيقول قيس : نعم .

قال الجبني : فأشهد لي ، فأشهد له نفرأ من الانصار ، ومهم نفر من المهاجرين ، فقال عمر : لا أشهد هذا يدان ولا مال له ، إنما المال لأبيه ، فقال الجبيني : والله ما كان سعد ينحني<sup>(١)</sup> بابنه في شقة « بكسر الشين المعجمة » الشظية والقطعة من تمر . قال : وأرى وجهاً حسناً ، وفملاً شريفاً ، فأخذ قيس الجزر فنحرها لهم في مواطن ثلاث ، كل يوم جزوراً ، والاصح ما في « الصحيحين » : كل يوم ثلاث جزر ، فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره وقال : تريد أن تحفر ذمتك ولا مال لك .

وفي رواية من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه ، أن أبا عبيدة رضي الله عنه قال لقيس : عزمت عليك أن لاتنجر ، أتريد أن تحفر ذمتك ولا مال لك ؟ فقال قيس رضي الله عنه : يا أبا عبيدة ، أترى أبا ثابت وهو يقضي ديون الناس ، ويحمل الكل ويطعم في الجماعة ، لا يقضي عني شقة من تمر تقوّم مجاهدين في سبيل الله ؟ فكاد أبو عبيدة يلين له ويتركه ، حتى جعل عمر يقول له : اعزم عليه ، فعزم عليه ، وأبى عليه أن ينجر ، فبقيت جزوران معه ، فقدم المدينة بهما يتماقبون عليها ، وبلغ سعد بن عباد ما كان أصاب الناس من الجماعة ، فقال رضي الله عنه : ان يكن قيس كما أعرف ، فسوف ينجر للقوم ، فلما قدم قيس بن سعد بن عباد لقيه أبوه ، فقال ما صنعت في جماعة القوم حيث أصابتهم ؟ قال : نحرت . قال : أصبت ، ثم ماذا ؟ قال : نحرت . قال : أصبت ، ثم ماذا ؟ قال : أصبت ، ثم ماذا ؟ قال : نحرت . فقال من هناك ؟ قال أبو عبيدة

(١) وعلى هامش الاصل: قوله ينحني عليه وهو بفتح التحتية وسكون الحاء المعجمة، بمعنى يسلمه.

ابن الجراح ، قال : ولم ؟ قال : انه لا مال لي ، وانما المال لأبيك ، قال : فلك أربعة حوائط ، أدنى حائط منها مجذّ خمسين وسقا ، وكتب بذلك كتابا ، واشهد أبا عبيدة وغيره ، وقدم الجني مع قيس فأوفاه شقته ، وحمله وكساه .  
وعند ابن خزيمة عن جابر قال : بلغ رسول الله ﷺ فعل قيس فقال :  
« ان الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت » ولما بلغ سعد بن عباد ما قال عمر  
وسؤال أبا عبيدة بالعزم على قيس أن لا ينحر ، جاء الى رسول الله ﷺ فقال :  
من يذرفني من ابن الخطاب ؟ يبخل عليّ ابني . وتقدم الكلام على فقه هذا  
الحديث ، وبالله التوفيق .

### الحديث السابع والعشرون

٤٢ - ثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابر بن عبد الله ، قال :  
لما نزلت : قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم .  
قال رسول الله ﷺ : أعوذ بوجهك ، فلما نزلت : ومن تحت  
أرجلكم قال رسول الله ﷺ : أعوذ بوجهك ، فلما نزلت : أو  
يلبسكم ... الى بعض . قال : هذه أهون وأيسر

قال رضي الله عنه : ( ثنا سفيان ) ابن عيينة ( عن عمرو ) بن دينار أنه  
( سمع جابر بن عبد الله ) الانصاري رضي الله عنها ( قال : لما نزلت ) هذه الآية  
الكريمة من سورة الانعام ( قل هو القادر على أن يبعث عليكم ) معشر أمة محمد  
ﷺ ( عذابا من فوقكم )<sup>(١)</sup> من الصيحة والريح والحجارة والطوفان ، كما د

(١) سورة الانعام ، الآية : ٦٥



وتمود ، وقوم لوط ، وقوم نوح ، وأصحاب الفيل ، ( قال رسول الله ﷺ :  
أعوذ بوجهك ) زاد في رواية : الكريم ( فلما نزلت ) الآية الثانية وهي قوله  
تعالى : ( ومن تحت أرجلكم )<sup>(١)</sup> من الخسف والرجفة ، كفارون وقوم شعيب  
( قال رسول الله ﷺ : أعوذ بوجهك ) الكريم ( فلما نزلت : أو يلبسكم الى ...  
بعض )<sup>(٢)</sup> أي يلبسكم شيماً أي يخلطكم فرقا مختلفين ، قال أبو عبيدة : شيماً وفرقا ،  
واحدتها « شيمة » وقال ابن عباس رضي الله عنها في قوله شيماً : الاهواء المختلفة ،  
ويذيق بعضكم بأس بعض ، بالحرب والقتل في الفتنة ( قال ) ﷺ : ( هذه  
أهون وأيسر ) وفي رواية في « الصحيحين » : « هذا أهون ، أو هذا أيسر ،  
الشك من الراوي ، والضمير يعود على الكلام الاخير ، وفي كتاب « الاعتصام ،  
من صحيح البخاري : « هاتان أهون أو أيسر ، أي خصلة الالباس ، وخصلة  
اذاقة بعضهم بأس بعض .

وقد روى ابن مردويه ، من حديث ابن عباس رضي الله عنها ، ما يفسر به  
حديث جابر رضي الله عنه ، واغظه : « عن النبي ﷺ قال : دعوت الله أن يرفع  
عن أمي أربعاً ، ورفع عنهم اثنتين ، وأبي أن يرفع عنهم اثنتين ، دعوت الله أن  
يرفع عنهم الرجم من السماء ، والخسف من الأرض ، وان لا يلبسهم شيماً ، وأن  
لا يذيق بعضهم بأس بعض ، ورفع عنهم الخسف والرجم ، وأبي أن يرفع  
عنهم الاخرين . »

فيستفاد من هذه الرواية المراد بقوله : من فوقكم ، ومن تحت أرجلكم ،  
ويستأنس له أيضاً بقوله تعالى : « أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر ، أو يرسل  
عليكم حصاباً ، »<sup>(٣)</sup> ووقع أصرح من ذلك عند ابن مردويه ، من حديث أبي بن كعب  
رضي الله عنه ، قال في قوله تعالى : « عذاباً من فوقكم ، قال : الرجم » أو من  
تحت أرجلكم ، الخسف .

(١) سورة الانعام ، الآية : ٦٥

(٢) سورة الاسراء ، الآية : ٦٨

ويروى ان المراد بالفوق أئمة السوء ، وبالتحت خدم السوء ، رواه  
السدي عن ابن عباس ، وقيل المراد بالفوق : حبس المطر ، وبالتحت : منع الثمرات ،  
والاول هو المتعمد .

وفي الحديث دليل على أن الخسف والرجم لا يقمان في هذه الأمة ، وفيه  
نظر ، فقد روى الامام أحمد ، والطبري ، من حديث أبي بن كعب في هذه الآية  
« قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم » (١) قال : « هن أربع ، وكلهن  
واقع لا محالة ، قضت اثنتان بمد وفاة نبيهم بخمس وعشرين سنة ، لبسوا شيئا ،  
وذاق بعضهم بأس بعض ، وبقيت اثنتان ، واقمتان لا محالة : الخسف والرجم .  
وقد أعل هذا الحديث : بأن أبي بن كعب لم يدرك سنة خمس وعشرين  
من الوفاة النبوية ، فكأن حديثه انتهى عند قوله : لا محالة ، والباقي كلام بمض  
الرواة . وأعل أيضاً : بأنه مخالف لحديث جابر وغيره .

وأجيب بان طريق الجمع : ان الاعادة المذكورة في حديث جابر وغيره ،  
مقيدة بزمان مخصوص ، وهو وجود الصحابة ، والقرون الفاضلة ، وأما بمد  
ذلك فيجوز وقوع ذلك فيهم .

وقد روى الامام أحمد ، والترمذي من حديث سميد بن أبي وقاص رضي  
الله عنه ، قال : سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ؛ قل هو القادر الى  
آخرها ، فقال : أما إنها كائنة ، ولم يأت تأويلها بمد ، وهذا يحتمل أن لا يخالف  
حديث جابر : بأن المراد تأويلها : ما يتملق بالفتن ونحوها ، وعند الامام أحمد  
أيضاً باسناد صحيح ، من حديث صحار « بالهملتين أوله مضموم مع التخفيف ،  
العبيدي رفعه » ، قال : « لا تقوم الساعة حتى يخسف بقباثل ... الحديث .

وللترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « يكون في آخر  
الامة خسف ، ومسح ، وقذف ، » ولابن أبي خيثمة من طريق هشام بن الغازي

(١) سورة الانعام ، الآية : ٦٥

ابن ربيعة الجرشي ، عن أبيه ، عن جده ، رفته : « يكون في أمي الخسف والقذف ، والمسح ، وذكر فيه أيضاً عن علي عند الترمذي ، وعن عثمان ، وعن أبي هريرة ، وعن ابن مسعود ، وابن عمر ، وابن عمرو ، وسهل ابن سعد ، عند ابن ماجه . وعن أبي أمامة ، عند الامام أحمد . وعن قتادة ، عند ولده . وعن أنس عند البزار . وعن عبد الله بن بسر ، وسعيد بن أبي راشد ، عند الطبراني . وعن ابن عباس ، وابي سعيد ، عنده في «الصغير» . وفي أسانيدھا مقال غالباً ، كما في «الفتح» . لكن يدل مجموعها : على أن لذلك أصلاً ، ويحتمل في طريق الجمع أيضاً ، أن يكون المراد : ان ذلك لا يقع لجميعهم ، وان وقع لا فراد منهم ، غير مقيد بزمان ، كما في خصلي المدو الكافر ، والسنة العامة ، فانه ثبت في «صحيح» مسلم ، من حديث ثوبان رفته في حديث أوله : « إن الله زوى لي مشارق الارض ومغاربها ، وسيلغ ملك أمي ما زوى لي منها .. الحديث وفيه : « واني سألت ربي أن لا يهلك أمي بسنة عامة ، وان لا يسلط عليهم عدواً من غير أنفسهم ، وان لا يلبسهم شيماً ، ويذيق بعضهم بأس بعض ، فقال يا محمد : اني اذا قضيت قضاء فانه لا يرد ، واني أعطيتك لامتك ان لا أهلكهم بسنة عامة ، وان لا أسلط عليهم عدواً من غيرهم ، فيستبيح بيضتهم ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً .

وأخرج الطبري من حديث شداد نحوه ، باسناد صحيح : « فلما كان تسليط المدو الكافر قد يقع على بعض المؤمنين ، لكنه لا يقع عموماً . كذلك الخسف والقذف ، ويؤيد هذا الجمع ، ما روى الطبري من مرسل الحسن قال : ولما نزلت قل هو القادر<sup>(١)</sup> الآية ، سألت النبي صلى الله عليه وسلم ربه ، فهبط جبريل فقال : يا محمد : انك سألت ربك أربماً ، فأعطاك اثنتين ، ومنمك اثنتين : أن يأتيهم عذاب من فوقهم ، أو من تحت أرجلهم فيستأصلهم ، كما استأصل الأمم الذين كذبوا أنبياءهم ، ولكنه يلبسهم شيماً ، ويذيق بعضهم بأس بعض ، وهذان

(١) سورة الانعام ، الآية : ٦٥

عذابان لأهل الاقرار بالكتب ، والتصديق بالأنبياء ، . انتهى .  
وقد وردت الاستعاذة من خصال أخرى : منها عن ابن عباس ، عند ابن  
مردويه مرفوعاً ، « سألت ربي لأمتي أربما ، فأعطاني اثنين ، ومنعني اثنين ،  
سأته : أن يرفع عنهم الرجم من السماء ، والفرق من الارض ، فرفعهما ... الحديث .  
ومنها حديث سعد بن أبي وقاص ، عند مسلم مرفوعاً : « سألت ربي أن لا يهلك  
أمتي بالفرق ، فأعطانيها ؛ وسأته أن لا يهلكهم بالسنة فأعطانيها ، وسأته أن لا يجعل  
بأسهم بينهم فمنعنيها ، وعند الطبري ، من حديث جابر بن سمرة نحوه ، لكن بلفظ :  
« أن لا يهلكوا جوعاً » .

وهذا أيضاً مما يقوي الجمع المذكور ، فإن الفرق والجوع ، قد يقع لبعض  
دون بعض ، لكن الذي حصل منه الأمان : ان يقع عاما . وعند الترمذي ، وابن  
مردويه ، من حديث خباب نحوه ، وفيه : « أن لا يهلكنا بما أهلك الامم قبلنا ،  
وكذا في حديث نافع بن خالد الخزازي ، عن أبيه ، عند الطبري ، وعند الامام  
أحمد ، من حديث أبي بصرة نحوه . لكن قال : بدل خصلة الاهلاك . « أن  
لا يجمعهم على ضلالة » وكذا الطبري من مرسل الحسن ، ولا بن أبي حاتم ، من  
حديث أبي هريرة رضي الله عنه رفعه : « سألت ربي لأمتي أربما ، فأعطاني ثلاثا ،  
ومنعني واحدة ، سأته أن لا يكفر أمتي جملة فأعطانيها ، وسأته أن لا يظهر  
عليهم عدواً من غيرم فأعطانيها ، وسأته أن لا يعذبهم بما عذب به الامم قبلهم  
فأعطانيها . وسأته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها ، وللطبري من طريق السدي  
مرسلا نحوه .

ودخل في قوله : بما عذب به الامم قبلهم ، الفرق كقوم نوح وفرعون ،  
والهلاك بالريح كما د ، والحسف كقوم لوط وقارون ، والصيحة كقوم  
ثمود ،

وأصحاب مدين ، والرجم كأصحاب القيل ، وغير ذلك مما عذبت به الامم  
عموماً .

وإذا جمعت الخصال المستعاد منها ، من هذه الاحاديث التي سقناها ، بلغت  
نحو العشرة ، وفهم من الحديث ، ومما سقناه من الاحاديث ، من كونه صلى الله عليه وسلم : سأل  
رفع الخصلتين الاخيرتين ، فأخبر بأن ذلك قد قدر من قضاء الله ، وأنه لا يردان  
القضاء والقدر . لاراد لمحتومه . وأما ما زاده الطبراني ، من طريق ابي الزبير عن  
جابر ، في حديثه بمد قوله : « هذا أيسر » قال : « ولو استعاده لأعاده ، فمحمول  
على أن جابراً لم يسمع بقية الحديث ، وحفظه سعد بن أبي وقاص وغيره ،  
ويحتمل أن يكون قائل : ولو استعاده من بعض رواه ، دون جابر رضي الله عنه  
والله أعلم .

### الحديث الثامن والعشرون

٤٣ - ثنا سفيان ، عن عمرو ، ذكروا الرجل يهملُ  
بعمرة فيحل ، هل له أن يأتي قبل أن يطوف بالصفاء والمروة ؟ فسألت  
جابر بن عبد الله فقال : لا حتى يطوف بين الصفا والمروة ،  
وسألت ابن عمر ، فقال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطاف بالبيت  
سبعاً ، وصلى خلف المقام ركعتين ، وسعى بين الصفا والمروة ،  
ثم قال : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة .

قال رضي الله عنه : ( ثنا سفیان ) بن عيينة ( عن عمرو ) بن دينار ( ذكروا الرجل ) اذا أحرم ( يُهيلُ ) أي يرفع صوته محرماً ملبياً ( بمرة فيجعل ) بأن يطوف بالبيت ( هل له أن يأتي ) يعني امرأته ( قبل أن يطوف ) أي يسمى ( بالصفاء والمروة ؟ ) أي بينها ، قال عمرو بن دينار ( فسألت جابر بن عبد الله ) رضي الله عنهما عن ذلك : ( فقال ) جابر : ( لا ) يأتي امرأته ( حتى يطوف ) يعني يسمى ( بين الصفاء والمروة ) سبعة أشواط ، لأنه لا يفرغ من عمرته إلا بالطواف بالبيت سبماً ، وبالسعي بين الصفاء والمروة سبماً ، ثم يحلق أو يقصر ، فيحلق له كل شيء كان قد منع منه باحرامه ، لأنه قد حل منه ، قال عمرو بن دينار ( وسألت ) أبا عبد الرحمن عبد الله ( بن عمر ) رضي الله عنهما عن ذلك ( فقال ) ابن عمر رضي الله عنه : ( قدم رسول الله ﷺ ) مكة المشرفة ( فطاف بالبيت سبماً وصلى خلف المقام ) يعني مقام إبراهيم ( ركعتين ، وسعى بين الصفاء والمروة ) سبعة أشواط ( ثم قال ) ابن عمر رضي الله عنهما : ( لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ) وتقدم شرح هذا الحديث في الثاني عشر من أحاديث ابن عمر رضي الله عنها .

### الحديث التاسع والعشرون

٤٤ - ثنا سفیان ، عن عمرو ، عن جابر : كنا نزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل .

قال رضي الله عنه : ( ثنا سفیان ) ابن عيينة ( عن عمرو ) بن دينار ( عن

جابر) بن عبد الله رضي الله عنها (١) قال: (كنا) معشر الصحابة (نزل) أي نزع بعد الايلاج، لنزل خارج الفرج، (على عهد رسول الله ﷺ) أي في زمنه، هو بين أظهرهم (والقرآن ينزل) عليه، ووقع في رواية «الكشميني» من «صحيح» البخاري: كان يمزل «بضم أوله، وفتح الزاي، على البناء للمجهول، وكان ابن عينة حدث به مرتين، وأسقط في رواية: «على عهد رسول الله، وقصر على قوله: «كنا نزل، والقرآن ينزل»، قال سفیان حين روى هذا الحديث: «ولو كان شيئاً ينهى عنه، لنهاها عنه القرآن»، قد أخرج هذه الزيادة مسلم عن إسحاق بن راهوية، عن سفیان ولفظه: «كنا نزل والقرآن ينزل، قال سفیان: لو كان شيئاً ينهى عنه الخ. فهذا ظاهر في أن سفیان قاله استنباطاً، وأوم كلام الامام الحافظ أبي عبد الله عبد الغني المقدسي في «عمدته» ومن تبعه ان الزيادة المذكورة من نفس الحديث، فأدرجها فيه، وليس الأمر كذلك، كما بينت ذلك في «شرح العمدة» واذا قال الصحابي: كنا نفعل الشيء الفلاني، في زمن النبي ﷺ كان له حكم الرفع عند الاكثر، لأن الظاهر اطلاع النبي ﷺ على ذلك، وإقراره عليه، لتوفر دواعيهم على سؤالهم إياه عن الاحكام. وأما اذا لم يصفه لزمن النبي ﷺ ففيه خلاف: فعند قوم له حكم الرفع أيضاً، وما هنا

(١) وعلى هامش الاصل: هكذا وقع في «المسند» في النسخ المتأخرة والذي في «الصحيحين» وغيرهما قال عمرو بن دينار واخبرني عطاء: انه سمع جابراً فهو من الاحاديث التي تنزل فيها عمرو بن دينار، فانه سمع الكثير من جابر نفسه، ثم ادخل بينها في هذا واسطة، وهو عطاء، وقد تواردت الروايات من اصحاب سفیان على ذلك الا ما وقع في «مسند الامام احمد» في النسخ المتأخرة، فانه ليس في الاستناد عطاء، لكن اخرجها ابو نعيم من طريق «المسند» باثباته وهو المتمد، فيكون هذا الحديث بهذا الاعتبار رباعياً، لا من الثلاثيات فتنبيه له، ويحتمل ان يكون رواه عمرو بن دينار اولاً بواسطة عطاء، ثم سمع من جابر وبالعكس، فعُدث به مرة هكذا، ومرة هكذا وعلى كل حال هو من زريد الاسانيد والله أعلم.

من الاول ، فان جابر أ رضي الله عنه صرح بوقوعه في عهده ﷺ ، وقد وردت عدة طرق تصرح باطلاعه على ذلك ، ولهذا قال جابر : « والقرآن ينزل ، أي فعلناه في زمن التشريع وولو كان حراماً لم يقر عليه ، والى هذا يشير كلام ابن عمر رضي الله عنها : « كنا نتقي الكلام والانبساط الى نساءنا ، هية أن ينزل فينا شيء على عهد رسول الله ﷺ ، فلما مات النبي ﷺ تكلمنا وانبسطنا ، أخرجه البخاري .

وأخرج مسلم ، من طريق أبي الزبير ، عن جابر رضي الله عنه قال : « كنا نزل في عهد رسول الله ﷺ ، فبلغ ذلك نبي الله فلم ينهنا ، ومن وجه آخر عن أبي الزبير ، عن جابر ، أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال : « ان لي جارية وأنا أطوف عليها ، وأنا أكره أن تحمل ، فقال : اعزل عنها إن شئت ، فانه سيأتها ما قدر لها ، فلبث الرجل ، ثم أتاه فقال : ان الجارية قد حبلت ، قال : قد أخبرتك . ووقعت هذه القصة عنده من طريق سفیان بن عيينة باسناد له آخر الى جابر ، وفي آخره فقال : « أنا عبد الله ورسوله » وأخرجه الامام أحمد ، وابن ماجه ، وابن أبي شيبة بسند آخر ، على شرط الشيخين بمناه ، ففي هذه الطريق من التصريح ببلوغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، واطلاعه عليه ، ما أغنى عن الاستنباط ، ولا سيما بالاذن في بعض الطرق بفعله ، وان أشمر السياق بأنه خلاف الاولى .

وفي « الصحيحين » وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة بني المصطلق ، فسبينا كرائم العرب ، فطالت علينا العزبة ، ورغبنا في الفداء ، فاردنا أن نستمتع ونمزل ، فقلنا : نفعل ورسول الله ﷺ بين أظهرنا لانسأله ، فسألنا رسول الله ﷺ فقال : « لا عليكم أن لاتفعلوا ، ما كتب الله عز وجل خلق نسمة هي كائنة الى يوم القيامة ، إلا



ستكون ، . وفي لفظ قال لنا : « وانكم لتفعلون ، وانكم لتفعلون ، مامن نسمة كائنة الى يوم القيامة إلا هي كائنة » . وفي آخر : « لاعليكم ان لاتفعلوا ذلك فانما هو القدر ، أو إنكم لتفعلون ، لاعليكم أن لاتفعلوا » .

وأخرج مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال : « كنا نفل على عهد رسول الله ﷺ ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فلم ينهنا » . وقد أخرج الامام احمد ؛ والبخاري ؛ وصححه ابن حبان ؛ من حديث انس بن مالك رضي الله عنه : « ان رجلا سأل عن العزل ؛ فقال النبي ﷺ : « لو ان الماء الذي يكون منه الولد أهرقت على صخرة ؛ لأخرج الله منها ولداً » . وله شاهدان في « الكبير » للطبراني .

وقد اختلف السلف في حكم العزل ؛ قال ابن عبد البر : لاخلاف بين العلماء أنه لايمزل عن الزوجة الحرة إلا باذنها ؛ لأن الجماع من حقها ؛ ولها المطالبة به ؛ وليس الجماع إلا مالا يلحقه عزل . وواقفه في نقل هذا الاجماع ابن هبيرة من علمائنا ؛ وعبارته ؛ واجمعوا على ان للمالك العزل عن أمته ؛ وان لم يستأذنها ؛ واجمعوا على أنه ليس له العزل عن الحرة إلا باذنها . انتهى .

وتمقب بأن المعروف عند الشافعية : ان المرأة لاحق لها في الجماع أصلا ، ثم في خصوص هذه المسألة عند الشافعية خلاف مشهور في جواز العزل عن الحرة بغير اذنها . قال النزالي وغيره : يجوز وهو المصحح عند المتأخرين ؛ واحتج الجمهور لذلك بحديث عن عمر ؛ أخرجه الامام أحمد ؛ وابن ماجه بلفظ : « نهى عن العزل عن الحرة إلا باذنها » . وفي اسناده ابن لهيعة . والوجه الآخر للشافعية : الجزم بالمنع اذا امتنعت . وفيما اذا رضيت وجهان : أصحابها الجواز . هذا في الحرة . وأما الأمة ؛ فان كانت زوجة فهي مرتبة على الحرة ؛ ان جاز فيها ؛ ففي الأمة أولى ؛ وان امتنع فوجهان : أصحابها الجواز تحمزا من إرقاق الولد . وان كانت

سرية جاز بلاخلاف عندم إلا في وجه حكاة الروياني منهم في المنع مطلقاً ؛ كذهب ابن حزم . وان كانت السرية مستولدة ؛ فالراجح الجواز فيها مطلقاً ، لأنها ليست راسخة في الفرائض . هذا تحرير مذهبهم كما ذكره الحافظ ابن حجر في «الفتح» .  
وانتفتت المذاهب الثلاثة : على ان الحرة لا يمزول عنها إلا باذنها ؛ وان الأئمة يمزول عنها بغير إذنها ؛ واختلفوا في المزوجة : فصد المالكية كذهبنا يحتاج الى اذن سيدها ؛ وهو قول أبي حنيفة أيضاً ؛ وقال أبو يوسف ومحمد : الاذن لها . وهي رواية عن الامام أحمد . وعنه باذنها .

قال الامام العلامة ابن مفلح في « فروعه » : ويجرم المزل بلا اذن حرة ، وسيد أمة ، وقيل واذنها ، وقيل بياح مطلقاً ، وقيل عكسه ، ولا اذن لسريته . وفي ام الولد وجهان : قلت : المتمد هي سرية فله العزل عنها . قال علماءنا : واذا عن له أن ينزع قبل الانزال ، لا على قصد الانزال خارج الفرج ، لم يحرم في الكل .

### تنبيهات

الأول : يجب عليه العزل عن الكل بدار حرب ، ولو بلا اذن لئلا يستولى على ولده . كما في « الاقناع » وفي «المنتهى» بسن . قال العلامة مرعي<sup>(١)</sup> في «غايته» : يكون العزل في دار الحرب وجوباً ، إن حرم ابتداء النكاح . وأما ان جاز ابتداء النكاح فيسن العزل ، وكذا في « شرح المنتهى » لمرض .

الثاني : أنكر بعض علماء الشافعية التفصيل بين حرمة العزل عن الحرة إلا باذنها ، وعدم الحرمة عن السرية . وقال : أتى هذا والجواب : ان عند عبد الرزاق ، بسند صحيح ، عن ابن عباس رضي الله عنها . قال : تستأمر المرأة

(١) في الاصل : قال العلامة : م ع .

في العزل ، ولا تستأمر الأمة السرية ، فان كانت أمة تحت حر ، فعليه أن يستأمرها  
وهذا نص في المسألة . فلو كان مرفوعا ، لم يجز العدول عنه .

الثالث : اختلف في الوطاء : هل للمرأة حق فيه أولا ؟ فذهبنا لما حق  
في الوطاء . وقد استنكر ابن العربي من المالكية القول بمنع العزل عمن يقول  
بان المرأة لا حق لها في الوطاء . ونقل عن مالك : ان لها حق المطالبة به ؛ اذا  
قصد بتركه إضرارها . وعن الشافعي وأبي حنيفة : لا حق لها فيه ؛ إلا في وطئة  
واحدة ، يستقر بها المهر . قال : فاذا كان الامر كذلك ، فكيف يكون لها حق  
في العزل ؟ فان خصوه بالوطئة الاولى فيمكن ، وإلا فلا يسوغ فيما بعد ذلك إلا  
على مذهب مالك . بالشرط المذكور . « انتهى » .

قال في « الفتح » : وما نقله عن الشافعي غريب ، والمعروف عند أصحابه  
ان لا حق لها أصلا . نعم جزم ابن حزم بوجوب الوطاء ، وبتحريم العزل ،  
واستند الى حديث جدامة <sup>(١)</sup> بنت وهب <sup>(٢)</sup> ان النبي ﷺ سئل عن العزل .  
فقال : « ذلك الوأد الخفي » أخرجه مسلم . وهذا معارض مجديين : أحدهما  
أخرجه النسائي ، والترمذي ، وصححه من طريق معمر ، عن يحيى بن أبي كثير  
عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان ، عن جابر رضي الله عنه . قال : « كانت لنا  
حواري ، وكنا نمزل ، فقالت اليهود : ان تلك المؤودة الصغرى ، فسئل رسول الله  
ﷺ عن ذلك . فقال : كذبت اليهود : لو أراد الله خلقه لم يستطع رده ،  
وأخرجه النسائي من طريق هشام ، وعلي بن المبارك وغيرهما ، عن يحيى ، عن

(١) وعلى هامش الاصل : « بضم الجيم وبالذال المهملة ، ويروى بالذال المعجمة ايضا ،

وقال الدارقطني هو يميني بالمعجمة ، تصحيف » .

(٢) وعلى هامش الاصل : وكانت تحت انيس بن قنادة من بني عمرو بن عوف روت عنها

عائشة . رضي الله عنها

محمد بن عبد الرحمن ، عن أبي مطيع ابن رفاعة ، عن أبي سعيد نحوه ، وعن أبي هريرة نحوه أيضاً ، والحديث الثاني في النسائي ، من وجه آخر ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة . وهذه طرق يقوى بعضها ببعض . ويجمع بينها وبين حديث جدامة ، بحمل حديث جدامة في التنزيه ، وهذه طريقة البيهقي .

ومنهم من ضعف حديث جدامة بأنه ممرض ، بما هو أكثر طرقاته ؛ وكيف يصرح بتكذيب اليهود في ذلك ، ثم يثبت ؛ وهذا دفع للاحاديث الصحيحة بالتمام . والحديث صحيح لا ريب فيه ، والجمع ممكن .

ومنهم من ادعى أنه منسوخ ، ورد بعدم معرفة التاريخ :

وقال الطحاوي : يحتمل أن يكون حديث جدامة على وفق ما كان عليه الأمر أولاً من موافقة أهل الكتاب ؛ لأنه كان صلى الله عليه وسلم يجب موافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل عليه ، ثم أعلمه الله بالحكم ، فكذب اليهود فيما كانوا يقولونه . وتعقبه ابن رشد ، ثم ابن العربي ، بأنه لا يجوز شيء تبعاً لليهود ، ثم يصرح بتكذيبهم فيه .

ومنهم من رجح حديث جدامة لثبوته في « الصحيح » وضمف مقابله بأنه حديث واحد اختلف في إسناده ، فاضطرب ، ورد بأن الاختلاف إنما يقدح حيث لا يقوى بعض الوجوه ، فمضى قوي بعضها عمل به ، وهو هنا كذلك ، والجمع ممكن

ورجح ابن حزم العمل بحديث جدامة بأن أحاديث غيرها موافق أصل الاباحة ، وحديثها يدل على المنع . قال : فمن ادعى أنه أبيض بعد أن منع ؛ فعليه البيان .

وتعقب بأن حديثها ليس صريحاً في المنع ؛ إذ لا يلزم من تسميته وأداً

خفياً على طريق التشبيه أن يكون حراماً ، وخصه بمضمم بالعزل عن الحامل ؛ لزوال المعنى الذي كان يحذره الذي يمزل من حصول الحمل ، لكن فيه تضييع للحمل ؛ لأنه يفتنوه ، فقد يؤدي العزل الى موته ، أو الى ضعفه المفضي الى موته ، فيكون وأداً خفياً ، وجموعوا أيضاً بين تكذيب اليهود في قولهم : المؤثودة الصغرى ، وبين إثبات كونه وأداً خفياً في حديث جدامة بأن قولهم : المؤثودة الصغرى يقتضي أنه وأد ظاهر ، لكنه صغير بالنسبة الى دفن المولود بعد وضعه حياً ، فلا يمرض قوله : إن العزل وأد خفي ؛ فإنه يدل على أنه ليس في حكم الظاهر أصلاً ، فلا يترتب عليه حكمه . وإنما جعله وأداً من جهة اشتراكها في قطع الولادة .

وقال بمضمم : قوله : الواد الخفي ، ورد على طريق التشبيه ، لأنه قطع طريق الولادة قبل مجيئه ، فأشبهه قتل الولد بعد مجيئه .

وقال الامام ابن القيم : الذي كذبت فيه اليهود ، زعمهم أن العزل لا يتصور معه الحمل أصلاً ، وجموله بمنزلة قطع النسل بالواد ، فأكذبهم وأخبر أنه لا يمنع الحمل إذا شاء الله خلقه ، وإذا لم يرد خلقه لم يكن وأداً حقيقة ، وإنما سماه وأداً خفياً في حديث جدامة ؛ لأن الرجل إنما يمزل هرباً من الحمل ، فأجرى قصده لذلك مجرى الواد ، لكن الفرق بينها ؛ أن الواد ظاهر بالبلبشرة ، اجتمع فيه القصد والفعل . والعزل يتعلق بالقصد صرفاً ، فلذلك وصفه بكونه خفياً ؛ فهذه عدة أجوبة أشار اليها في « الفتح » .

الرابع : اختلفوا في علة النهي عن العزل ، فقيل : لتفويت حق المرأة ، وقيل : لمائدة القدر ، وهذا هو الذي يقتضيه معظم الأخبار الواردة في ذلك ،

والأول مبني على صحة الخبر ، المفرق بين الحرة والأمة ؛ وقد علل علماؤنا تحريم  
العزل ، لأن لها في الولد حقا ، وعليها في العزل ضرر ، فلم يجز إلا باذنها ، وقاسوا  
على ذلك سيد الأمة واستوجه في « الناية » أن العزل عن الأمة مع ضررها ، يحرم  
بلا إذنها . والله أعلم .

### الحديث الثلاثون

٤٥ - ثنا سفيان ، عن عمرو وابن المنكدر ، سمعا  
جابرأ يزيد أحدهما على الآخر ، قال : قال رسول الله ﷺ :  
دخلت الجنة ، فرأيت فيها قصرأ أو دارأ ، فسمعت فيها صوتأ ،  
فقلت : لمن هذا ؟ فقيل : لعمر ، فأردت أن أدخلها ، فذكرت  
غيرتك يا أبا حفص ، فبكى عمر ، وقال مرة : فأخبر بها عمر ،  
فقال : يا رسول الله ، وعليك بنا ؟

قال سفيان : سمعته ، ابن المنكدر وعمرو سمعا جابرأ .

قال رضي الله عنه : ( ثنا سفيان ) بن عيينة ( عن عمرو ) بن ديناو ( و ) محمد  
( بن المنكدر ) أنها ( سمعا جابرأ ) رضي الله عنه ( يزيد أحدهما على الآخر . قال )  
جابر رضي الله عنه ( قال رسول الله ﷺ : دخلت الجنة ) يحتمل أن يكون  
دخوله لها يقظة أو مناما ، وقد جاء الحديث بهذا اللفظ في « الصحيحين » وغيرها ،  
وجاء فيها ~~كثيرها~~ . قال رسول الله ﷺ : رأيتي دخلت الجنة . وفي لفظ :

بيننا أنا نائم ، رأيتني في الجنة . وهذا يمين أحد الاحتمالين في اللفظ الذي أخرجه الامام هنا ، بأنه كان مناماً ( فرأيت فيها ) أي الجنة ( قصرأ ) زاد في رواية في « الصحيحين » من ذهب ( أو دارأ ) وفي رواية فيها : دخلت الجنة ، ورأيت فيها دارأ أو قصرأ . والقصر : المنزل أو كل بيت من حجر ، والحصن ( فسمعت فيها ) أي الجنة ( صوتاً ) وفي لفظ خشفة – بفتح الخاء والشين المجتمعتين والفاء ، فباء تأنيث – صوت حركة ليس بالشديد ، قاله أبو عبيد .

وقال الفراء : الواحد بتحرك الشين المعجمة الحركة ، كما في « المطالع » وفي « القاموس » : الخشف والخشفة ويحرك : الصوت والحركة والحس الخفي ، أو الخشفة : صوت ديب الحيات ، وصوت الضبع ، وقد غلب عليه السهولة .

قال رسول الله ﷺ : لما سمع الصوت ، فقلت : من هذا ، فقال : هذا بلال... لحديث ، وفيه : ( فقلت لمن هذا ) القصر . قال الملقمي في « حاشية الجامع الصغير » الظاهر أن المخاطب له بذلك جبريل أو غيره من الملائكة . انتهى . قلت : وكأنه لم يستحضر حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عند ابن أبي الدنيا مرفوعاً : دخلت الجنة فاذا فيها قصر أبيض ، قال : قلت لجبريل : لمن هذا القصر ؟ قال لرجل من قريش ، فرجوت أن أكون أنا ، فقلت : لأبي قرشي ( فقيل ) أي قال جبريل عليه السلام : هو ( لعمر ) بن الخطاب رضي الله عنه ، ولا ينافي حديث أنس هذا حديثه في « الصحيحين » . أنه ﷺ قال : دخلت الجنة فاذا أنا بقصر من ذهب ، فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا لشاب من قريش ، فظننت أتي أنا هو ، فقلت : ومن هو ؟ قالوا : لعمر بن الخطاب .

وفي « الصحيحين » من حديث جابر رضي الله عنه : فأتيت على قصر مربع . ف من ذهب .

قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه « حادي الأرواح الى منازل الافراح »

وهذا أي حديث أنس الذي عند ابن أبي الدنيا إن كان محفوظاً ، فيأضه : نوره وإشراقه وضيأؤه .

وقال الحسن : قصر من ذهب لا يدخله إلا نبي ، أو صديق ، أو شهيد ، أو حكم عدل ، يرفع بها صوته .

وقال الاعمش عن مالك ابن الحارث عن أبي سمي ، قال : ان في الجنة قصوراً من ذهب ، وقصوراً من فضة ، وقصوراً من لؤلؤ ، وقصوراً من ياقوت ، وقصوراً من زبرجد ( فأردت أن أدخلها ) أي تلك الدار .

وفي لفظ في « الصحيحين » وغيرها ، فأردت أن أدخله فأنظر إليه ، أي القصر ( فذكرت غيرتك يا أبا حفص ) النيرة — بفتح النين المجمة وسكون التحتية بمدها راء — قال القاضي عياض وغيره : هي مشتقة من تغير القلب ، وهيجان الغضب ، بسبب المشاركة فيما به الاختصاص ، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين ، هذا في حق الآدمي . وأما في حق الله تعالى . فقال الخطابي : أحسن ما يفسر به في حديث أبي هريرة ، وهو قوله **وَاللَّهُ تَعَالَى** : وغيره الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه .

قال عياض : ويمتثل أن تكون النيرة في حق الله تعالى الإشارة إلى تغيير حال فاعل ذلك ، وقيل : النيرة في الأصل الحمية والانفة ، وهو تفسير بلازم التفسير ، فرجع إلى الغضب ، وقد نسب سبحانه وتعالى إلى نفسه في كتابه العزيز الغضب والرضى .

قال ابن العربي : التفسير محال على الله بالدلالة القطعية ، فيؤول بالوعيد ، أو العقوبة بالفاعل ، ونحو ذلك .

ومذهب السلف : الإيمان بما أخبر بالمنى الذي أراد ، لا كما يخطر في عقول البشر ، ومن أشرف وجوه غيرته تعالى اختصاصه قوماً بمصمته ، يعني لمن ادعى شيئاً من ذلك لنفسه ، عاقبه تعالى .



وأشدّ الآدميين غيرة رسول الله ﷺ ؛ لأنه كان يبار الله ولدينه ، ولهذا كان لا ينتقم لنفسه ( فبكا عمر ) بن الخطاب رضي الله عنه .

وروي من حديث أنس ، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنها ، ولفظ حديث أبي هريرة : قال رسول الله ﷺ : بينا أنا نائم رأيتني في الجنة ، فإذا امرأة تتوضأ الى جانب قصر ، فقلت : لمن هذا ؟ قالوا : لعمر ، فذكرت غيرته فوليت مدبراً ، فبكى عمر رضي الله عنه .

( وقال ) جابر رضي الله عنه ( مرة ، فأخبر ) بالبناء لما لم يسم فاعله ( بها ) أي بالرؤيا ( عمر ) بالرفع نائب الفاعل ( فقال ) عمر رضي الله عنه ( يا رسول الله ، عليك يبار ) ( رفع المثناة ، مبنياً لما لم يسم فاعله .

وفي لفظ حديث أبي هريرة في « الصحيحين » وقال : عليك أثار يا رسول الله ؟ بالبناء للمعلوم . وفي رواية : قال أبو هريرة : فبكى عمر ونحن جميعاً في ذلك المجلس مع رسول الله ﷺ . قال عمر : بأبي أنت يا رسول الله ، عليك أثار ؟ بالتصريح بأداة الاستفهام الانكاري ، أخرج البخاري ومسلم .

وفي « الصحيحين » من حديث جابر رضي الله عنه ، فقال عمر : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، عليك أثار ؟ بالتصريح بأداة الاستفهام أيضاً . ( قال سفيان ) بن عيينة ( سمته ) أي الحديث المتقدم ذكره من محمد ( بن المنكدر ، و ) من ( عمرو ) بن دينار ، وهما ( سمما جابراً ) رضي الله عنه صرح بذلك ، لنفي توهم التدليس بالتمنّة .

### تنبيهات

الأول : في هذا الحديث دليل على منقبة سيدنا عمر رضي الله عنه ، وفيه أن من علم من صاحبه خلقاً لا ينبغي أن يمرض لما ينافره ، وفيه أن رسول الله ﷺ كان يعلم أن عمر كان شديد الغيرة .

واعلم أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، هو عمر الفاروق  
ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن  
عدي بن كعب بن لؤي بن غالب ، كما تقدم في نسب ابنه عبد الله رضي الله عنها ،  
القرشي المدوي وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم  
ويعرف هاشم بندي الرحمين .

قال الامير ابن ما كولا : ومن قال فيه : بنت هشام فقد أخطأ .

أسلم سيدنا عمر رضي الله عنه سنة ست من النبوة ، وقيل : سنة خمس  
بمد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة ، ويقال : به تمت الأربعمون ، وظهر  
الاسلام يوم إسلامه ، وسمي الفاروق لذلك ، وشهد المشاهد كلها مع النبي  
صلى الله عليه وسلم .

وهو أول خليفة دعي بأمر المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ للمسلمين  
وأول من جمع القرآن في الصحف ، والصحيح الصديق ، وأول من جمع الناس  
على قيام رمضان ، وكان أبيض تملوه حمرة ، وقيل : آدم طوالاً أصلع ، شديد  
حمرة العينين ، في عارضه خفة ، أعسر يسر<sup>(١)</sup> ، يخضب بالحناء والكتم ، قام بالأمر  
بعد موت الصديق بمهده اليه ، ونصه عليه .

وفي « الترمذي » من حديث جابر رضي الله عنه ، قال : قال عمر رضي الله  
عنه لأبي بكر رضي الله عنه : يا خير الناس بعد رسول الله ﷺ ، فقال  
أبو بكر : أما إنك إن قلت ذلك ، فلقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما طلعت  
الشمس على رجل خير من عمر .

وقال ﷺ كما في حديث ابن عمر عند الترمذي : اللهم أعز الاسلام بأحب  
هذين إليك ، بأبي جهل ، أو بعمر بن الخطاب . قال : فكان أحبها اليه عمر .  
قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(١) أي يعمل بكتنا يديه .

وأخرج الترمذي من حديث ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ قال : إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه .

قال ابن عمر : ما نزل بالناس أمر قط ، فقالوا فيه ، وقال فيه عمر ، أو قال : ابن الخطاب ، شك خارجه إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر . قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

وأخرج أبو داود من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : وضع الحق على لسان عمر يقول به ، وروى الترمذي من حديث عقبه بن عامر مرفوعاً : لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب ، وقال : حديث حسن غريب .

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : لقد كان فيمن كان قبلكم من الأمم ناس محدثون ، من غير أن يكونوا أنبياء ، فإن يكن في أمي أحد ، فإنه عمر .

قال ابن وهب تفسير محدثون : ملهمون ، وأخرجه مسلم من حديث عائشة ، والترمذي ، وقال : حسن صحيح . وقال ابن عينة : محدثون : مفهمون . وأخرج البخاري ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : مازلنا أعزة منذ أسلم عمر .

وفي «الصحيحين» و«سنن الترمذي» و«النسائي» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول بينما أنا نائم رأيت الناس يمرضون عليهم<sup>(١)</sup> فقص ، ففنا ما يبلغ الثدي ، ومنها ما يبلغ دون ذلك ، وعرض عليّ عمر بن الخطاب وعليه قيض يجره ، قالوا : فما أولته يا رسول الله ؟ قال : الدين .

(١) كذا في الاصل : وفي «صحيح مسلم» يمرضون وطيم قص .

وفي «الصحيحين» ، والترمذي أن رسول الله ﷺ قال : بينا أنا نائم أتيت بقدر ابن ، فشربت منه حتى إنني لأرى الري يخرج من أظفاري ، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب قال من حوله ، فما أولته يارسول الله ؟ قال : العلم . وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : بينا أنا نائم رأيتني على قلب وعلها دلو ، فنزعت منها ما شاء الله ، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ، ذنوباً أو ذنوبين . وفي نزعه ضعف ، والله يغفر له ، ثم استحالت عربة<sup>(١)</sup> فأخذها عمر بن الخطاب ، فلم أر عبقرياً من الناس ينزع عمر ، حتى ضرب الناس بمطن ، وأخرجاه من حديث ابن عمر .

قال في «النهاية» عبقرى القوم : سيدهم وكبيرهم وقويمهم ، والاصل في المبقرى فيما قيل : إن عبقر قرية يسكنها الجن فيما يزعمون ، فكلما رأوا شيئاً فائقاً غريباً مما يصعب عمله ويدق ، أو شيئاً عظيماً في نفسه ؛ نسبوه اليها ، فقالوا : عبقرى ، ثم اتسع فيه حتى سمي به السيد والكبير .

وقوله : يفري فريته<sup>(٢)</sup> ، أي يعمل عمله ويقطع قطعه . ويروى : يفري فريه ، بسكون الراء والتخفيف ، ويحكى عن الخليل أنه أنكر التثقيل ، وغلط قائله وأصل الفري : القطع ، يقال : فريت الشيء أفريه فريباً ، إذا شققته وقطعته للإصلاح ، فهو مفري ، وأفريته إذا شققته على جهة الافساد .

والمطن : مبرك الابل حول الماء ، يقال : عطنت الابل فهي عاطنة ، وعواطن ، إذا سقيت وبركت عند الجياض لتقاد الى الشرب مرة اخرى ، وأعطنت الابل اذا فطنت بها ذلك مثلاً ، لاتساع الناس في زمن عمر رضي الله عنه ومافتح عليهم من الامصار .

(١) القرب : الدلو العظيمة .

(٢) لقد نقل المؤلف رواية مسلم ، وشرح هنا ما في رواية البخاري ، وهو قوله : فاستحالت غرباً لم أر عبقرياً يفري فريه .

وفي الترمذي من حديث بريدة رضي الله عنه قال : حرج رسول الله ﷺ في بعض منازيه ، فلما انصرف جاءت جويرة سوداء ، فقالت : إني كنت نذرت إن رذك الله سالماً أن أضرب بين يديك بالدف ، وأتقى ، فقال لها : ان كنت نذرت فأضربي وإلا فلا ، فقالت : نذرت ، فجملت تضرب ، وزاد رزين : وتقول :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع  
وجب الشكر علينا ما دعانا لله داع

ثم اتفقا ، فدخل أبو بكر رضي الله عنه وهي تضرب ، ثم دخل علي رضي الله عنه وهي تضرب ، ثم دخل عثمان رضي الله عنه وهي تضرب ؛ ثم دخل عمر رضي الله عنه فأقت الدف تحت استها وقعدت عليه ، فقال رسول الله ﷺ : إن الشيطان ليخاف منك يا عمر ، إني كنت جالساً وهي تضرب ، فدخل أبو بكر وهي تضرب ، ثم دخل علي وهي تضرب ، ثم دخل عثمان وهي تضرب ، فلما دخلت أنت يا عمر أقت الدف وجلست عليه . قال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب .

وفي « الصحيحين » من حديث سمد ابن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما تفيك الشيطان سالماً فجاً إلا سلك فجاً غير فجع ، وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة أيضاً .

والاحاديث في فضله كثيرة ، ومناقبه ومزاياه غزيرة ، وقد كناه النبي ﷺ أبا حفص ، وذلك لما قال ﷺ في أسارى الكفار بيد : ان رجلاً من بني هاشم قد أخرجوا كرهاً لأحاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي أحداً من بني هاشم فلا يقتله . قال أبو حذيفة : أنقتل أبانا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس ، والله لئن لقيته لأجتمه السيف ، فبلغ النبي ﷺ ذلك ، فقال : يا أبا حفص بضرب وجه عم النبي ﷺ بالسيف ، فقال عمر : والله انه لأول يوم كثناني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص . رواه ابن الجوزي وغيره .

والحفص في اللثة ولد الأسد، ويلقب بالفاروق، لأن الله فرق به بين الحق والباطل، ولما هاجر عمر رضي الله عنه إلى المدينة هاجر جهرأ، وقال لمشركي قريش: من أراد أن تشكله أمه، ويترمل زوجته فليقتني وراء هذا الوادي، فما تبعه منهم أحد، وذلك بعد ما تقلد سيفه وتكعب قوسه، وطاف بالكعبة سبماً، ثم صلى ركعتين عند المقام، ثم أتى حلق المشركين من قريش واحدة واحدة، فقال: شأهت الوجوه، من أراد أن تشكله أمه الخ. أخرجه ابن عساکر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: ما علمت أحداً هاجر إلا مختلفياً، إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما تم بالهجرة تقلد سيفه... الخبر.

قال الامام النووي وغيره: شهد عمر رضي الله عنه مع النبي ﷺ المشاهد كلها.

وأخرج ابن سعد والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه. قال: كان إسلام عمر فتحاً، وكانت هجرته نصراً. وأخرج ابن سعد والحاكم عن حذيفة رضي الله عنه قال: لما أسلم عمر كان الإسلام كالرجل المقبل لا يزداد إلا قرباً، فلما قتل عمر كان الإسلام كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعداً.

وأخرج ابن سعد عن صهيب رضي الله عنه قال: لما أسلم عمر ظهر الإسلام ودعا إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقاً، وطفنا بالبيت واتصفنا بمن غلظ علينا، ورددنا عليه بعض ما يأتي به. وكان رضي الله عنه شديداً على الكفار والمنافقين، ووافق ربه في أحكام معروفة مأثورة.

ولي رضي الله عنه بعد أبي بكر رضي الله عنه باستخلافه إياه عشر سنين وستة أشهر ونصف شهر، ففتح الله به الفتح، ودون الفواوين، ورتب الناس في ذلك، وحج بالناس عشر سنين متوالية، وحج في آخرهن بأسماء المؤمنين؛

وهو أول من نور المساجد أصلاة التراويح ، وأول قاض في الاسلام ، فان  
الصدّيق ولاء القضاء في خلافته .

قتل عمر رضي الله عنه شهيداً سنة ثلاث وعشرين من الهجرة . طعنه  
أبو لؤلؤة ، فيروز غلام المغيرة بن شعبة في صلاة الصبح ست طعنات ، فمكث  
ثلاث ليال ومات يوم الاربعاء لثمان ليال بقيت من ذي الحجة ، وهو ابن ثلاث  
وستين سنة .

روي له عن رسول الله ﷺ خمسمائة وتسعة وثلاثون حديثاً . اتفق  
« الشيخان » على تسعة وعشرين ، وانفرد البخاري بأربع وثلاثين ، ومسلم  
بأحد وعشرين .

وفي « جامع الاصول » : إن أبا لؤلؤة لعنه الله طعن سيدنا عمر رضي الله  
عنه مصدر الحاج بالمدينة يوم الاربعاء لأربع بقين من ذي الحجة ، سنة ثلاث  
وعشرين ، ودفن يوم الاحد غرة المحرم ، سنة أربع وعشرين ، وصلى عليه صهيب ،  
ودفن الى جانب أبي بكر الصدّيق رضي الله عنها في الحجرة الشريفة عند النبي  
صلى الله عليه وسلم .

روى عنه أبو بكر وباقي العشرة رضي الله عنهم ، وابنه عبد الله وأبو هريرة  
وابن عباس وابن الزبير وأنس بن مالك وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ، ومن  
التابعين علقمة بن وقاص الليثي ، ومالك بن أوس ، الحدثان ، وهما ممدودان  
من الصحابة .

ونفيل في نسبه ، بضم النون وفتح الفاء ، ورياح بكسر الراء وبالياء التحية  
والحاء المهملة ، وقرط ، بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة ، ورزاح تقدم  
ضبطه في ترجمة ابنه عبدالله ، وتقدم ضبط بعض هذه الاسماء ، والله أعلم .

الثاني : قال الخطابي رحمه الله تعالى في قوله ﷺ ، كما في « الصحيحين » ،

وغيرهما من حديث أبي هريرة : رأيتني في الجنة ، فاذا امرأة تتوضأ الى جانب قصر : ان هذه اللفظة تصحيف ، وعزا القرطبي هذا لابن قتيبة ، وارتضاء ابن بطال . قال : لان الحور طاهرات لا وضوء عليهن ، وكذا كل من دخل الجنة ، لا يلزمه طهارة ، وقد استدل الداوودي بهذا الحديث على أن الحور في الجنة يتوضآن ويصلين .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : ولا يلزم من كون الجنة لا تكليف فيها بالعبادة أن لا يصدر من أحد من العباد باختياره ما شاء من أنواع العبادة .  
الثالث : دل على أن الجنة موجودة الآن ، وكذا الحور العين ، وهذا الحق الذي لا محيد عنه .

قال الامام ابن القيم في كتابه « حادي الارواح » : لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ ، والتابعون وتابعهم ، وأهل السنة والحديث قاطبة ، وفقهاء الاسلام ، وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك واثباته ، مستندين في ذلك الى نصوص الكتاب والسنة ، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم الى آخرهم ، فانهم دعوا الأمم اليها ، وأخبروا بها الى أن نبتت نابضة من القدرية والمعتزلة ، فانكرت أن تكون الآن مخلوقة ، وقالت بل الله ينشئها يوم الماد ، وحلمهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضوا به شريعة فيما يفعله الله ، وانه ينبغي أن يفعل كذا ، ولا ينبغي له أن يفعل كذا ، وقاسوه سبحانه على خلقه في أفعاله ، فهم مشبهة في الأفعال ، ودخل التجهم فيهم ، فصاروا مع ذلك مطلة في الصفات ، وقالوا : خلق الجنة قبل الجزاء عبث ، فانها تصير مطلة مدداً متطاولة ، ليس فيها سكانها .

قلوا : ومن المعلوم أن ملكاً لو اتخذ داراً وأعد فيها ألوان الأظمة والآلات والمصالح ، وعطّلها من الناس ، ولم يمكنهم من دخولها قروناً متطاولة لم



يكن ما فعله واقفاً على وجه الحكمة ، ووجد العقلاء سبيلاً الى الاعتراض عليه .  
قال ابن القيم : فحجروا على الرب تعالى بمعولهم الفاسدة وآرائهم الباطلة ،  
وشبهوا أفضاله بأفهامهم ، وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي  
وضعوها للرب ، وحرّفوها عن مواضعها ، وضلّوا ، وبدّعوا من خالقهم فيها ،  
والتزموا لها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء .

ولهذا صار السلف يذكرون في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان ،  
ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة  
لا يختلفون فيها .

قال أبو الحسن الأشعري في كتابه «مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين» ،  
جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة ، الاقرار بالله وملائكته وكتبه  
ورسوله ، وما جاء من عند الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، لا يردون من ذلك شيئاً . قال فيه : ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان ،  
وقد قال تعالى : « ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى » (١)  
وقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى ، ورأى عندها الجنة ، كما في «الصحيحين» ،  
من حديث أنس رضي الله عنه في صفة الاسراء ، وفي آخره ، ثم انطلق بي  
جبريل حتى أتى سدرة المنتهى ، ففشيها ألوان لا أدري ما هي . قال : ثم دخلت  
الجنة ، فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ ؛ وإذا ترابها المسك .

قال في «المطالع» فسروا الجنابذ بالقباب ، واحدها جنبذة بالضم ، والجنبذة  
ما ارتفع من البناء .

وفي «صحيح مسلم» عن عائشة رضي الله عنها في حديث الكسوف ، وفيه :  
ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً ، حين رأيتموني تأخرت .

(١) سورة النجم ، الآيات : ١٤-١٦

وفي « الصحيحين » من حديث ابن عباس رضي الله عنهما . قال : انخفضت الشمس على عهد رسول الله ﷺ ، فذكر الحديث وفيه ، فقالوا : يا رسول الله ، رأيناك تناولت شيئاً في مقامك ، ثم رأيناك تكلمت ، فقال : إني رأيت الجنة ، وتناولت عنقوداً ، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أر منظرأ كالיום قط أظع ، ورأيت أكثر أهلها النساء . قالوا : بم يا رسول الله . قال : يكفرون . قيل : أيكفرون بالله ؟ قال : يكفرون الشير ، ويكفرون الاحسان ، لو أحسنت الى إحداهن الدهر كله ، ثم رأيت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط .

وفي « البخاري » عن أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما في حديث الكسوف . قال ﷺ : دنت مني الجنة حتى لو اجترأت عليها لجتكم بقطاف من قطافها . . . الحديث ، وروى مسلم من حديث جابر بنحوه ، وروى الامام أحمد وأبو داود والنسائي من حديث بن عمر بنحوه . وقد ذكر الله قصة خلق آدم وإسكانه الجنة وإهباطه له منها ، وكرر ذلك في كتابه المزبور ، وعلى كل حال فالحق الذي عليه أهل السنة والجماعة ، أن الجنة والنار موجودتان الآن .

وقد قال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه في كتابه الذي يرد فيه على الجهمية والزنادقة . قال رضي الله عنه : هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر ، وأهل السنة التمسكين بمروتها ، المروفين بها ، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب نبينا ﷺ الى يومنا هذا .

قال : وأدركت من أدركت ، من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها ، فمن خالف هذه المذاهب ، أو طعن فيها ، أو عاب قائلها ؛ فهو مخالف مستدع ، خارج عن الجماعة ، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق ، وسافر رضي الله

عنه أقوالهم ، الى أن قال : وقد خلقت الجنة وما فيها ، و خلقت النار وما فيها ، خلقتها الله عز وجل ، و خلق الخلق لها ، لا يفنيان ولا يفنى ما فيها أبداً . فان احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل : « كل شيء هالك إلا وجهه » (١) ونحو هذا من متشابه القرآن ، قيل له : كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك ، والجنة والنار خلقتا للبقاء ، لا للفناء ولا للهلاك ، وهما من الآخرة ، لا من الدنيا ، والخور العين لا يمتن عند قيام الساعة ، ولا عند النفخة ولا أبدأ ، لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ، ولم يكتب عليهن الموت ، فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع ، وقد ضل عن سواء السبيل .

وقال في رواية أبي جعفر الطائي محمد بن عوف ابن سفيان الحمصي - قال الخلال عنه : إنه حافظ ، إمام في زمانه ، معروف بالتقدم في العلم والمعرفة ، وكان الامام أحمد رضي الله عنه يعرف له ذلك - فمن زعم أنها لم يخلقها ، فهو مكذب برسول الله ﷺ وبالقرآن ، كافر بالجنة والنار ، يستتاب ، فان تاب وإلا قتل . وقال الامام أحمد في رواية عبدوس بن مالك المطار ، وذكر رسائنه في السنة ، قال فيها : والجنة والنار مخلوقتان ، كما جاء عن رسول الله ﷺ : « اطلمت في الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا ، واطلمت في النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا ، فمن زعم أنها لم تخلقها ؛ فهو مكذب بالقرآن ، وأحاديث رسول الله ﷺ ، قال : ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار ، الى غير ذلك من النقول عن الأئمة والرسول . وبالله التوفيق .

(١) سورة القصص ، الآية : ٨٨

مسند أبي حمزة أنس بن مالك الانصاري رضي الله عنه

خادم رسول الله ﷺ

وعدة الاحاديث الثلاثيات الواقعة في مسند

سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه

من مسند

سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه : مائة وأربعة وستون حديثاً

ونبدأ أولاً بترجمة أنس بن مالك رضي الله عنه ، فنقول :

هو أنس بن مالك ، بن النضر - بالضاد المعجمة - بن ضمضم - بفتح  
مجمتين - ابن زيد ، بن حرام - بالحاء والراء المهملتين - الانصاري ، الخزرجي ؛  
- بالحاء المعجمة والزاي فراء بمدها جيم - النجاري - بالنون والجيم المشددة  
والراء ، لأنه من ولد النجار ، وهو تيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج .  
قيل : سمي به لأنه احتس بقدم ، وقيل : لأنه ضرب رجلاً بقدم ، والخزرج  
هذا هو الخزرج الاكبر ، وهو أخو الاوس ، والانصار كلهم من أولاد الاوس  
والخزرج ، من الازد . سماهم الله تعالى بذلك لما نصروا رسول الله ﷺ وآووه ،  
وهم جمع نصير ، كاشراف وشريف ، ونسب اليه بلفظ الجمع على غير قياس ،  
لخروجه مخرج العلم عليهم . قال ابن الاثير : الاكثر والاعرف ان واحد  
الانصار مرفوض ، وأنه كواحد مسمى الجمع ، فنسب اليه على لفظه قطعاً ،  
كنسبتهم الى مدائن : مدائي .

ولما قدم النبي ﷺ المدينة ، كان عمر أنس رضي الله عنه عشر سنين ،  
أو تسعاً أو ثمانية على خلاف في ذلك ، فخدم النبي ﷺ مدة اقامته بالمدينة ، وهي

عشر سنين ، وقبل تسع سنين ، وكان انس رضي الله عنه يعرف بخادم رسول الله ﷺ ، وكان هو يتسمى بذلك ، ويفتخر به ، وكناه رسول الله ﷺ : أبا حمزة - بالخاء المهمله والزاي - بقلة حريفة ، تسمى حمزة . ويقال فيها حموضة ، ويكنى أيضاً ؛ ابا ثمامة - بضم المثناة وتخفيف الميم - نقله ابن عساكر ، وابن الاثير .

وأمه أم سليم بنت ملحان - بكسر الميم وبالخاء المهمله - وفي « البخاري ومسلم » وغيرهما عن أنس رضي الله عنه . قالت أم سليم رضي الله عنها : يا رسول الله خادمك أنس ، ادع الله له . فقال : « اللهم أكثر ماله وولده ، وبارك له فيما أعطيته ، ولبخاري : دخل النبي ﷺ على أم سليم ، فآتته بتمر وسمن ، فقال : « أعيديوا سمنكم في سقائه ، وتمركم في وعائه ، ثم قام الى ناحية البيت فصلى غير المكتوبة ، فدعا لأم سليم وأهل بيتها ، فقالت أم سليم : يا رسول الله إن لي خويصة . قال : ما هي . قالت : خادمك أنس . قال : فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا به . اللهم ارزقه مالاً وولداً ، وبارك له ، فاني لمن أكثر الانصار مالاً . وحدثني ابتي أمية : أنه دفن لصلي الى مقدم الحجاج البصرة ، بضع وعشرون ومائة . ويروي : خويصتك أنس ، ومعنى الخويصة : ما يختص به ، وأصله خاصة ، فصخرته لصخر سنة يومئذ . وروى الترمذي عن أبي خلدة قال : قلت لابي العالية سمع أنس من رسول الله ﷺ ؟ قال : خدمه عشر سنين ، ودعا له النبي ﷺ كان له بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين ؛ وكان فيها ريحان يجيء منه ريح المسك ، واسم أبي خلدة خالد بن دينار ، وهو ثقة عند أهل الحديث ، وأدركه انس بن مالك وروى عنه .

وحمل أنس رضي الله عنه حديثاً كثيراً ، فروى له الفا حديث ومائتان وستة وثمانون حديثاً ، اتفق الشيخان على مائة وثمانية وستين . وانفرد البخاري

بثلاثة وثمانين ، ومسلم بأحد وستين ، فهو أحد المكثرين .  
 مات رضي الله عنه بالبصرة ، في موضع يعرف بقصر أنس خارجها ، على  
 فرسخ ونصف منها ، وهو آخر من مات بها من الصحابة رضي الله عنهم ، سنة  
 إحدى وتسعين أو اثنين أو ثلاث . وعمره مائة وثلاث سنين ، أو سنة أو سنتان  
 روى عنه الزهري ، وابن سيرين ، وقتادة ، وثابت ، وحيد ، وجماعة من أولاده  
 وأولاد أولاده ، وخلق كثير من التابعين رضي الله عنه .

### الحدث الاول

٤٦ - حدثنا اسماعيل ، يعني ابن ابراهيم بن عليّة ، ثنا  
 عبد العزيز ، يعني ابن صهيب ، عن أنس بن مالك أن النبي  
 ﷺ رأى صبيانا ونساءً مقبلين ، قال عبد العزيز : حسبت أنه  
 قال : من عرس ، فقام نبي الله ﷺ ممثلاً ، فقال : اللهم أنتم  
 من أحب الناس إليّ ، اللهم أنتم من أحب الناس إليّ ، اللهم  
 أنتم من أحب الناس إليّ ، يعني الأنصار .

قال الامام أحمد رضي الله عنه : ( حدثنا ابو بشر ( اسماعيل يعني ابن  
 ابراهيم ) بن مقسم الأسدي ، مولام من أسد خزيمية ويعرف بـ ( ابن عليّة )  
 بضم العين المهملة وفتح اللام ، وتشديد الياء تحتها ققطان ، وهي أمه ، الحافظ الثبت  
 المتقن . روى عن عبد العزيز بن صهيب ، وأيوب السخيتاني ، وابن عون ، وسليمان  
 التيمي ، وحيد الطويل ، وعنه ابن جريج ، وشعبة ، وحماد بن زيد ، وابن

مهدي ، والامام أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وعلي بن المديني ، واسحاق  
ابن راهويه ، وبندار ، ومسدد ، ويعقوب الدورقي وغيرهم .

قال شعبة : ابن عليّة سيد المحدثين ، وريحانة الفقهاء . وقال الامام أحمد:  
اليه المنتهى في التثبت بالبصرة . وقال غندر : ليس أحد مقدم عليه في الحديث .  
وقال ابن معين : كان ثقة ، مأموناً ، صدوقاً ، ورعاً ، تقياً . وقال قتيبة :  
كانوا يقولون : الحفاظ أربعة ؛ ابن عليّة ، وعبد الوارث ، ويزيد بن فديع ،  
ووهب . وقال أبو داود : ما أحد من المحدثين إلا قد أخطأ إلا ابن عليّة ، وبشر  
ابن الفضل . وقال ابن المديني : كان ثقة في الحديث حجة . ولد سنة عشرين  
ومائة ، ومات ببغداد ، سنة ثلاث وتسعين ومائة . ( ثنا عبد العزيز يعني ابن  
صهيب ) هو أبو حمزة البصري البناي ، بضم الباء الموحدة وبالنونين بينها ألف ،  
وبنائة بطن من قريش كما في «الكرماني» وقال ابن الأثيري « جامع الأصول » :  
المنسوبون الى بنائة وهم ولد سعد بن لؤي ، وأم سعد اسمها بنائة ، وقيل : بل  
هي أمة لسعد ، كانت حضنت بنيه ، وقيل : بنائة أم بني سعد بن ضبيعة بن  
نزار . قال : ومن ينسب اليهم ثابت البناي وغيره . فأما عبد العزيز بن صهيب  
البناي فليس منسوباً الى القبيلة ؛ وإنما قيل له البناي لأنه كان ينزل سكة  
بنائة بالبصرة . انتهى . وقال ابن قتيبة : عبد العزيز وأبوه كانا مملوكين ؛ وأجاز  
إياس بن معاوية شهادة عبد العزيز وحده .

( عن أنس ) ابن مالك رضي الله عنه ( ان النبي ﷺ رأى صبيانا )  
جمع صبي ، ويجمع أيضاً على صبوان ، وعلى صبوة وصبية ، والواو القياس ، وان كانت  
الياء أكثر استعمالاً ، والصبي من لم يفطم بعد ، والمراد هنا : رأى غلماناً من اهل  
( ونساء ) جمع امرأة من غير لفظها ، ويجمع أيضاً على نسوة ، بالكسر والقسم ،  
ونسوان ونسون كنساء بالكسر لا غير . ( مقبلين ) حال من الصبيان والنساء ،

وغلب المذكر لشرفه ، ولأنه الاصل . ( قال عبد العزيز ) بن صيب ( حسب )  
بفتح الحاء وكسر السين المهملتين ، أي ظننت ( أنه ) أي أنس بن مالك رضي الله  
عنه ( قال ) مقبلين ضد مدبرين ( من عرس ) لهم ( فقام النبي ﷺ ) لما رآهم  
مقبلين ( مئلا ) بضم أوله وسكون الميم الثانية ، بعدها مثلثة . وضبط أيضاً بفتح  
الميم الثانية وتشديد المثلثة . ويروى بكسر التاء المثلثة وفتحها ، أي منتصباً قائماً .  
هكذا شرح . قال في « النهاية » : وفيه نظر من جهة التصريف . وفي رواية  
فمثل قائماً<sup>(١)</sup> ، ولا يرد حديث : « من سره أن يمثل له الناس قياماً ، فليتبوأ مقعده  
مقعه من النار » أي يقومون له قياماً ، وهو جالس ، يقال : مثل الرجل يمثل  
مثولاً إذا انتصب قائماً ، لأنه بمنزل عن هذا ؛ لأن قيامه صلى الله عليه وسلم انما  
هو لسروره بهم . وأما المنهي عنه : انما هو زبي الاعاجم وهو أن يجلس الرئيس  
ويتمثل الرجال بين يديه قياماً ، على آتم خضوع وأدب ، والحامل عليه الكبر  
وإذلال الناس . ( فقال ) النبي ﷺ : ( اللهم ) الميم عوض من النداء ولهذا  
لا يجتمعان الا ضرورة ، كقول الشاعر :

أقول : يا اللهم يا اللهم .

ولا تستعمل الا في الطلب ، فلا يقال : اللهم غفور رحيم  
بل يقال : اغفر لي وارحمني . واختلف في الميم المشددة من آخر  
الاسم ، فقال سيبويه : زيدت عوضاً من حرف النداء . ويسمى

(١) وعلى هامش الاصل : وفي « البخاري » : تمتنا بضم الميم ، بعدها ميم ساكنة ومنتاة  
مفتوحة ، فنون ثعلبية ، بعدها الف ، أي : قام قياماً قوياً مأخوذاً من التنة ، بضم الميم وهي  
القوة ، أي قام اليهم مسرعاً مشتداً في ذلك ، فرحاً بهم ، وقال ابو مروان بن سراج ، ورجه  
القرطبي : انه من الامتنان ، لان من قام له النبي صلى الله عليه وسلم واكرمه بذلك ، فقد  
امتن عليه بشيء لا أعظم منه . وتقل ابن بطال عن القاسمي قال : قوله تمتناً ، يعني متفضلاً  
عليهم بذلك ، فكأنه قال : يمتن عليهم بحجة . ووقع في رواية اخرى : متيناً ، بوزن عظيم ،  
أي قام قياماً مستوياً ، منتصباً طويلاً . وفي رواية : قام لهم مثيلاً بوزن عظيم أيضاً ، وهو  
فصل من مائل .



ما كان من هذا الضرب عوضاً؛ إذ هو في غير محل المحذوف ، فإن كان في محله سمي بدلاً؛ كالألف في قام وباع، فإنها بدل عن الواو والياء، ولا يجوز عند سيبويه أن يوصف هذا الاسم أيضاً ، فلا يقال : اللهم الرحمن الرحيم ارحمني ، والضمة التي على الهاء ضمة الاسم المتأدى المفرد ، فإن التقدير : يا الله ، وفتحت الميم لسكونها ، وسكون الميم التي قبلها . وهذا من خصائص هذا الاسم الكريم . كما اختلف بالتالي القسم ، وبدخول حرف النداء عليه مع لام التعريف . ويقطع همزة وصله في النداء ، وتفخيم لاهه وجوباً غير مسبوقه بحرف إطباق . وقيل : الميم عوض عن جملة محذوفة ، والتقدير : يا الله أمينا بخير ، أي اقصدا ، ثم حذف الجار والمجرور ، وحذف المفعول ، فبقي التقدير : يا الله أم ، ثم حذفوا الهمزة لكثرة دوران هذا الاسم في الدعاء على ألسنتهم فبقي يا اللهم ، وهذا قول الفراء ، وهو يجوز دخول ياء عليه ، واحتج بقول الشاعر :

أقول يا اللهم يا اللهيا      أردد علينا شيخنا مسلماً

ويقول الآخر :

اني إذا ما حدثت أمثا      أقول يا اللهم يا اللهيا

والمشهور الأول .

( أنتم ) معشر الأنصار ( من أحب الناس إلي ) من هنا للتبميز ، ووقع في « صحيح مسلم » من طريق ابن علية ، عن عبد العزيز : اللهم انهم ، أي الانصار . وتقديم لفظ الام للتبرك ، أو للاستشهاد بالله في صدقه ، كما في « الفتح » . ( اللهم أنتم من أحب الناس إلي ، اللهم أنتم من أحب الناس إلي ) كرهه ثلاثاً لمزيد التأكيد ، وفي « مسلم » : كررها مرتين . وفي رواية ابن علية ، عن عبد العزيز عنده : أعادها ثلاث مرات . ( يعني ) بقوله **صلى الله عليه وسلم** : أنتم من أحب الناس إلي ( الأنصار ) وهم : الأوس والخزرج رضي الله عنهم . جمع ناصر ،

كأصحاب جمع صاحب ، أو جمع نصير ، كأشراف وشريف . واللام للمهد ، الى  
أنصار رسول الله ﷺ . وكانوا قبل ذلك يعرفون : بابني قبيلة ، اسم امرأة ، بقاف  
مفتوحة ، وباء تَحْنَانِيَّة ساكنة . وهي الأم التي تجمع القبيلتين ، فسماهم النبي ﷺ  
الأنصار ، فصار ذلك علماً عليهم ، وأطلق ذلك على أولادهم وحلفائهم  
ومواليهم . وخصوصاً بهذه المنقبة العظيمة ؛ لما فازوا به دون غيرهم من القبائل من  
إيواء النبي ﷺ ومن معه ، والقيام بأمرهم ، ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم ،  
وإيثارهم إياه في كثير من الأمور على أنفسهم . فكان صنيمهم ذلك موجباً  
لمفاداتهم جميع الفرق الموجودين من عرب وعجم ، والمداوة بحجر البفض ، ثم  
كان ما اختصوا به مما ذكر موجباً للحسد ، والحسد يحجر البفض ، فلهذا جاء  
الحث على حبهم ، والتحذير من بفضهم ، حتى جعل ذلك آية الايمان والنفاق ، كما  
في « الصحيحين » ، وغيرها ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال  
رسول الله ﷺ : « آية الايمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار ،  
وفي « الترمذي » ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ  
قال : « لا يبغض الأنصار أحد يؤمن بالله واليوم الآخر » قال الترمذي :  
حديث حسن صحيح . ورواه مسلم أيضاً ، من حديث أبي سعيد الخدري ومن  
حديث أبي هريرة رضي الله عنها ، قال في « الفتح » : قوله : آية الايمان ، هو  
همزة ممدودة ، وباء تَحْنَانِيَّة مفتوحة ، وهاء تأنيث ، والايان مجرور بلاضافة ،  
هذا هو المتمد في ضبط هذه الكلمة في جميع الروايات ، في « الصحيحين » ،  
و « السنن » ، و « المستخرجات » ، و « المسانيد » . والآية : العلامة ، ووقع في  
« إعراب الحديث » لأبي البقاء المكبري : انه الايمان ، بهمزة مكسورة ، ونون  
مشددة ، وهاء والايان مرفوع خبر إن ، قال والتقدير : أن الشأن الايمان حب  
الأنصار ، وهذا تصحيف منه .

وفي « الصحيحين » وغيرهما ، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنها قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول في الانصار : « لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق ، فمن أحبهم أحبه الله ؛ ومن أبغضهم أبغضه الله ، فمعلم أنه لا يقع حب الانصار إلا للمؤمن . فان قيل : هل يكون من أبغضهم منافقاً ؛ وإن صدق بالله وكتابه ورسوله ؛ واعترف بأن ما جاء به الرسول حق من عند الله ؛ فالجواب : من أبغض الانصار من جهة كونهم آووا الرسول ومن معه ونصروه ؛ أثر ذلك في تصديقه ؛ ودل ذلك على دسيسة باطنية ، وعلّة كفرية ، في صميم قلبه ، وسويداء لبّه . ويقرب هذا الحمل زيادة أبي نعيم في « المستخرج » في حديث البراء : « من أحب الانصار فبحي أحبهم ؛ ومن أبغض الانصار فببغضه يبغضهم » وقد يقال : اللفظ خرج على معنى التحذير والترهيب . فلا يراد ظاهره ، ومن ثم لم يقابل الايمان بالكفر الذي هو ضده ؛ قابله بالنفاق ، إشارة الى أن الترغيب والترهيب إنما خوطب به من يظهر الايمان ، أما من يظهر الكفر فلا ، لانه مرتكب ما هو أشد من ذلك ، فجعل رسول الله ﷺ حب الانصار آية الايمان ، وبغضهم آية النفاق ، تنويها بمعظم فضلمهم ، وتنبيها على كريم فعلهم ، وان كان من شاركهم في معنى ذلك مشاركاً لهم في الفضل المذكور ، كل بقسطه . وقد ثبت في « صحيح مسلم » ، عن علي رضوان الله عليه ، ان النبي ﷺ قال له : « لا يحبك الا مؤمن ، ولا يبغضك الا منافق » ، وهذا جار باطراد في أعيان الصحابة رضي الله عنهم ، لتتحقق مشترك الايمان ، لما لهم من حسن النماء في الدين .

قال صاحب « المفهم » : وأما الحروب الواقعة بينهم ؛ فان وقع من بعضهم بغض لِبعض ؛ فذاك من غير هذه الجهة ؛ بل للأمر الطارىء الذي اقتضى المخالفة ، ولذلك لم يحكم بعضهم على بعض بالنفاق ، وانما كان حالهم في ذلك حال

المجاهدين في الاحكام ، للمصيب أجران ، وللمخطيء أجر واحد .  
 وفي (الصحيحين) وغيرها ، من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه ، قال قال رسول  
 الله ﷺ : « اللهم اغفر للانصار ، ولأبناء الانصار ، ولأبناء أبناء الانصار » ورواه  
 الترمذي ، وزاد : « ولنساء الانصار » وقال : حديث حسن غريب من هذا الوجه . وفي  
 رواية البخاري ، عن عبد الله بن الفضل ، أنه سمع أنس بن مالك يقول : حزنتم  
 على من أصيب من أهلي بالحرة ؛ فكتب الى زيد بن ارقم ، وبلغته شدة حزني ،  
 يذكر أنه سمع النبي ﷺ يقول : « اللهم اغفر للانصار » فذكره ، فسأل أنسا  
 بعض من كان عنده ، عن زيد فقال : هو الذي يقول له رسول الله ﷺ : « هذا  
 الذي أوفى الله له بأذنه » وفي الترمذي : ان زيد بن أرقم ، كتب الى أنس بن  
 مالك يعزبه فيمن أصيب من أهله وبني عمه يوم الحرة ، فكتب اليه : اني أبشرك  
 ببشرى من الله ، اني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهم اغفر للانصار ،  
 ولذراري الانصار ، ولذراري ذراريهم » وقال هذا حديث حسن صحيح . وفي  
 مسلم ، عن أنس رضي الله عنه ، ان رسول الله استغفر للانصار وأحسبه قال :  
 « ولذراري الانصار ، ولوالى الانصار » لا أشك فيه .

وفي (الصحيحين) ، و«سنن الترمذي» من حديث انس رضي الله عنه ، أن  
 رسول الله ﷺ قال : « ان الانصار كبريتي وعييتي ، وان الناس سيكثرون  
 ويقولون فاقبلوا من محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئتهم » . وفي لفظ : « واعفوا عن  
 مسيئتهم » وفي الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وحسنه أن  
 رسول الله ﷺ قال : « ألا إن عييتي التي آوي اليها أهل بيتي ، وان كبريتي  
 الانصار ، فاعفوا عن مسيئتهم ، واقبلوا من محسنهم » .

قوله : عييتي بفتح العين المهملة ، وسكون المثناة تحت ، فوحدة مفتوحة :  
 زنبيل من آدم ، وما يجعل فيه الثياب ، ومن الرجل موضع سره ، كما في

« القاموس ». وفي « النهاية » قوله : عيني أي : خاصتي ، وموضع سرّي ، والعرب  
تكني عن القلوب والصدور بالمياب ، لأنها مستودع السرائر ، كما أن المياب  
مستودع الثياب. وقال في قوله : كرشني وعييتي : أراد انهم بطانته ، وموضع سرّه  
وأمانته ، والذين يعتمد عليهم في أموره . واستعمار الكرش والميعة لذلك ، لان  
المجتر يجمع علفه في كرشه ؛ والرجل يضع ثيابه في عييته ، وقيل : أراد  
بالكرش الجماعة ، أي جماعتي وصحابتي . يقال : عليه كرش من الناس ، أي  
جماعة . وبالله التوفيق .

### الحديث الثاني

٤٧ — ثنا اسماعيل ، ثنا سليمان التيمي ، ثنا أنس ، قال : عطس  
رجلان عند النبي ﷺ ، فشمّت أو قال : فسمّت — أحدهما  
وترك الآخر ، فقيل : هما رجلا نبط ، فسمّت — أو قال :  
فسمّت — أحدهما وتركت الآخر ؟ فقال : إن هذا حمد الله  
عز وجل ، وإن هذا لم يحمّد الله ، قال سليمان : أراه نحواً  
من هذا .

قال رضي الله عنه : ( ثنا ) ابو بشر ( اسماعيل ) بن ابراهيم بن عليّة قال :  
( ثنا ) ابو المتمر ( سليمان ) بن طرخان بفتح الطاء المهملة والراء وبالضمة المعجمة  
فنون ( التيمي ) نسبه الى بني تيم ، وكان مولى لبني مرة ، ونازلاً بينهم ، فلما  
تكلم بأبيات القدر أخرجوه قبله بنوا تيم وقدّموه ، فصار إمامهم ، ونسب اليهم .

سمع أنس بن مالك رضي الله عنه ، والحسن البصري ، وأبا عثمان النهدي ، وأبا  
نضرة . روى عنه ابنه المعتمر ، والثوري ، وشعبة ، قال في « جامع الاصول »  
عنه : كان اماماً ربانياً ، زاهداً ورعاً عالماً . قال يحيى بن سعيد : ما جلست الى  
أحد كان أخوف لله منه . قال رقية بن مصقلة : رأيت رب العزة في المنام ، فقال:  
وعزتي وجلالي ؛ لأكرم من منى سليمان التيمي ، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة.  
قال الحافظ ابن الجوزي في « صفوة الصفوة » : كان سليمان التيمي من البسّاد  
المجاهدين ، يصلي الغداة بوضوء المشاء الآخرة ، وكان هو وابنه المعتمر ؛  
يدوران بالليل في المساجد ، فيصليان مرة في هذا ، ومرة في هذا ، حتى يصبحا .  
قال المعتمر : مكث أبي أربعين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً ، ويصلي الصبح  
بوضوء المشاء . وقال حماد بن زيد : ما أتينا سليمان التيمي في ساعة يطاع الله  
فيها الا وجدناه مطيعاً ، ان كان في ساعة صلاة وجدناه مصلياً ؛ وان لم تكن  
ساعة صلاة وجدناه إما متوضئاً ، أو عائداً لمريض ، أو مشيعاً لجنائزة ، أو قاعداً  
يسبح في المسجد ، وكنا نرى انه لا يعصي الله . وقال المعتمر : قال لي أبي حين  
حضره الموت : يا معتمر حدثني بالرخص ؛ لعلي ألقى الله وأنا حسن الظن به .  
وقال رقية : رأيت سليمان التيمي في المنام ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال غفر لي ،  
وأدناني وقربني وغلفني ، وقال : هكذا أفعل بآباء ثلاث وثمانين رحمة الله  
ورضي عنه .

قال سليمان التيمي ( ثنا أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( قال عطس ) بفتح  
الطاء المهملة في الماضي ، وبكسرهما وضمها في المضارع ( رجلان ) قال في « الفتح »  
في حديث أبي هريرة ، عند النجاري في « الألب المفرد » وصححه ابن حبان ،  
احدها أشرف من الآخر ، وان الشريف لم يحمده ، وللطبراني من حديث سهل  
ابن سعد : انها عامر بن الطفيلي وابن أخيه ( عند النبي صلى الله عليه وسلم ،

فسمت ( بفتح الفاء والشين المعجمة والميم المشددة : قال ابن مفلح في « الأداب الكبرى » : التسميت بالمعجمة هي الفصحى ، ومنها أبعادك الله عن الشهادة ، قال ابن الانباري : كل داع بخير فهو مشمت ؛ ( أو قال : فسمت ) بالسين المهملة قال في « الفتح » : وقع في رواية الامام احمد ، عن سليمان التيمي ، فسمت أو سميت ، بالشك في المعجمة والمهملة ، وهو من التسميت . قال الخليل وأبو عبيد وغيرهما : يقال : بالمعجمة والمهملة . قال ابن الانباري : والعرب تجعل الشين والسين في اللفظ الواحد بمعنى . انتهى .

قال في « الفتح » : وهذا ليس مطرداً ، بل هو في مواضع معدودة ، قال : وقد جمعها شيخنا مجد الدين صاحب « القاموس » في جزء لطيف . وقال ثعلب : الاختيار انه بالمهملة ، لأنه مأخوذ من السميت ، وهو القصد والطريق القويم . ورجحه ابن دقيق العيد . وقال القزاز : التسميت : التبريك ، والعرب تقول : سمته : اذا دعا له بالبركة ، وسمت عليه : اذا برك عليه ، وفي الحديث ؛ في قصة تزويج علي بفاطمة : سميت عليها ، أي دعا لها بالبركة . ونقل ابن التسين ، عن أبي عبد الملك قال : التسميت بالمهملة أفصح ، وهو من سميت الابل في المرعى اذا جمعت فمناه على هذا : جمع الله شملك ، وتعقبه : بأن سميت الابل انما هو بالمعجمة ، وكذا نقله غير واحد انه بالمعجمة ، فيكون معنى سمته : دعا له بأن يجمع شمله . وقيل : بالمعجمة من الشهادة ، وهي فرح الشخص بما يسوء عدوه ، فكأنه دعا له أن لا يكون في حال من يشمت به ، أو أنه إذا حمد الله أدخل على الشيطان ما يسوءه ، فسمت هو بالشيطان . وقيل : هو من الشوامت جمع شامته ، وهي القائمة ، يقال : لارك الله له شامته ، أي قائمة .

وقال ابن العربي في « شرح الترمذي » : تكلم أهل اللغة على اشتقاق اللفظين ولم يبينوا المعنى فيه ، وهو بدعي . وذلك ان العاطس ينحل كل عضو في

رأسه ، وما يتصل به من العنق ونحوه ، فكأنه اذا قيل له يرحمك الله ؛ كأن معناه أعطاك الله رحمة يرجع بها بدنك الى حاله قبل العطاس ، ويقيم على حاله من غير تغيير . فان كان التسميت بالمهملة ؛ فمعناه : رجع كل عضو الى سمته الذي كان عليه . وان كان بالمججمة ؛ فمعناه : صان الله شوامته ، أي قوائمه التي بها قوام بدنه عن خروجها عن الاعتدال . قال : وشوامت كل شيء قوائمه التي بها قوامه ، فقوام الدابة بسلامة قوائمها التي ينتفع بها اذا سلت ، وقوام الآدمي بسلامة قوائمه التي بها قوامه وهو رأسه ، وما يتصل به من عنق وصدر كما في « الفتح » وفي « مفتاح دار السعادة » ، للامام ابن القيم روح الله روحه : التسميت بالمهملة : تفصيل من سمت الذي يراد به حسن الهيئة والوقار ، فيقال : لفلان سمت حسن ، فمضى سمت العاطس ؛ وقبرته وأكرمته وتأدبت معه بأدب الله ورسوله في الدعاء له ، وقيل : سمته ، دعا له أن يميده الله الى سمته قبل العطاس من السكون والوقار وطمأنينة الاعضاء ، فان في العطاس من انزعاج الاعضاء واضطرابها ، ما يخرج العاطس عن سمته ، فاذا قال له السامع يرحمك الله ، فقد دعا له ان يميده الله الى سمته وهيئته . وأما بالمججمة فقال ابن السكيت وجمع : إنه بمعنى التسميت وانها لغتان ، ذكره في كتاب « القلب والابدال » ، ولم يذكر أيها الأصل ، ولا أيها البدل . وقال أبو علي الفارسي : المهملة الأصل في الكلمة ، وعكس تلميذه ابن جني . ثم قال في « مفتاح دار السعادة » : ومما كان في الجاهلية يتطيرون به ويتشاءمون منه ؛ العطاس ، كما يتشاءمون البوارح والسوانح . قال رؤبة بن العجاج يصف فلاة :

قطمها ولا أهاب العطاسا .

وقال امرؤ القيس :

وقد اعتدى قبل العطاس بهيكل شديد مسد الجيب نعم المنطق

أراد : أنه تنبه للصيد قبل أن ينتبه الناس من نومهم ، لئلا يسمع عطاساً



فيتشأم به . وكانوا اذا عطس من يحبونه قالوا له : عمرأ وشباباً ، واذا عطس من يكرهونه قالوا له : ورياً وقحاباً . والوري كالرمي داء يصيب الكبد فيفسدها ، والقحاب كالسعال وزناً ومعنى ، فكان الرجل اذا سمع عطاساً ، فتشأم به ، يقول : بك لابي ، أي أسأل الله أن يجعل شؤم عطاسك بك لابي ، وكان تشاؤمهم بالعطسة الشديدة أشد . فلما جاء الله بالاسلام ؛ وأبطل برسوله ﷺ ما كان عليه الجاهلية الطغام من الضلال والبهتان والآثام ، نهى أمته عن التشاؤم والتطير ، وشرع لهم أن يجعلوا مكان الدعاء على العاطس بالمكروه ، دعاء له بالرحمة . ولما كان الدعاء على العاطس نوعاً من الظلم والبنفي ، جعل الدعاء له بلفظ الرحمة المنافي للظلم ، وأمر العاطس أن يدعو لسامعه ومشتمه بالمغفرة والهداية وإصلاح البال . فيقول : يغفر الله لنا ولكم ، ويهديكم الله ويصلح بالكم . فالدعاء بالهداية لأنه اهتدى الى طاعة الرسول ، ورغب عما كانت عليه الجاهلية ، فدعاه أن يثبت الله عليها ، ويهديه اليها ، وكذلك الدعاء بإصلاح البال ، وهي كلمة جامعة . وأما الدعاء بالمغفرة ، فجاء بلفظ يشمل العاطس والمشتم ، فيقول : يغفر الله لنا ولكم ، ليتحصل من مجموع دعوتي العاطس والمشتم لها المغفرة والرحمة معاً ، فصولات الله وسلامه على المبعوث بإصلاح الدنيا والآخرة . انتهى ملخصاً . وقد ذكرت في كتابي : « غذاء الالباب لشرح منظومة الآداب » ، من ذلك طرفاً صالحاً من راحمه وفهمه ظفر بما يريد والله أعلم .

( أحدهما ) ﷺ ( وترك الآخر ) فلم يشتمه ( فقيل ) بالبناء للمجهول ، والسائل عن ذلك هو العاطس الذي لم يحمده ، وقع كذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في « الأدب المفرد » للبخاري ولفظه : فسأله الشريف . وكذا في رواية عند البخاري عن أنس رضي الله عنه : عطس رجلان عند النبي ﷺ فشمت أحدهما ، ولم يشمت الآخر ، فقال الرجل : شمت هذا ولم تشمتني . قال في

« الفتح » : وهذا قد يكثر على ما في حديث سهل بن سعد ان الشريف المذكور ، هو عامر بن الطفيل ، فانه كان كافراً ، ومات على كفره ، فيعد أن يخاطب النبي ﷺ بقوله : يا رسول الله كما في رواية ، ويحتمل ان تكون القصة لعامر ابن الطفيل غير المذكور ، ففي الصحابة عامر بن الطفيل الأسلمي ، له ذكر في الصحابة ، وحديث رواه عنه عبد الله بن بريدة الأسلمي . حدثني عمي عامر بن الطفيل ، وفي الصحابة أيضاً عامر بن الطفيل الأزدي ، ذكره وثيمة في كتاب « الردة » وأورد له مرثية في النبي ﷺ ، فان لم يكن في حديث سهل بن سعد ما يدل على أنه العامري المشهور ؛ احتتمل أن يكون احد هذين .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : ثم راجعت «معجم الطبراني» فوجدت سياق حديث سهل بن سعد ، الدلالة الظاهرة على أنه عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب ، الفارس المشهور ، وكان قدم المدينة وجرى بينه وبين ثابت ابن قيس بحضرة النبي ﷺ كلام ، ثم عطس ابن أخيه فحمد فسمته النبي ﷺ ثم عطس عامر فلم يحمد فلم يسمته فسأله . (ها) أي العاطسان (رجلان عطسا) أي كل واحد منها قد عطس (فشمت أو قال فسمت) بالمعجمة أو المهملة (أحدهما وتركت الآخر) فلم تشمته ، أي فلائي شيء فعلت هذا ؟ (فقال) ﷺ (ان هذا) الذي شمته (حمد الله عز وجل) فاستحق بحمده لربه أن يشمت (وان هذا) الذي لم أشمته (لم يحمد الله) عز وجل عقب عطاسه فاستحق أن لا يشمت (قال سليمان) التيممي رحمه الله ورضي عنه (أراه) بضم الهمزة وفتح الراء والهاء بعد الألف ، أي أظنه يعني الحديث الذي سمته من أنس بن مالك رضي الله عنه (نحواً) بالنصب مفعول ثان لأرى ، والأول : الضمير في أراه (من هذا) الحديث الذي سفته إن لم يكن عنه . وفي « الأدب المفرد » للبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « ان هذا ذكر الله فذكرته ، وأنت نسيت الله

فنسيتك ، ، وقد يطلق النسيان ويراد به الترك . قال الحلبي : الحكمة في مشروعية الحمد للماطس أن العاطس يدفع الأذى من الدماغ الذي فيه قوة الفكر ، ومنه منشأ الأعصاب التي هي معدن الحس ، وبسلامته تسلم الأعضاء ، فيظهر بهذا أنها نعمة جليلة ، يناسب أن تقابل بالحمد لما فيه من الاقرار لله بالخلق والقدرة ، وإضافة الخلق اليه سبحانه لا إلى الطبائع .

وفي الحديث دليل على أن التشميت إنما يشرع لمن حمد الله تعالى ، قال ابن العربي : وهو يجمع عليه ، وفي « صحيح مسلم » ، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً : « إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمته ، وإن لم يحمد الله فلا أشمتوه » . قال النووي : ومقتضى هذا الحديث أن من لم يحمد الله لم يشمت . قال في « الفتح » : هو منطوقه ، لكن هل النهي فيه للتحريم أو التنزيه ؟ الجمهور على الثاني . قال يحيى بن أبي كثير عن بعضهم : حق على الرجل إذا عطس أن يحمد الله تعالى ، وأن يرفع صوته ، وأن يسمع من عنده ، وحق عليهم أن يشمتوه . انتهى . فإن شمت من لم يحمد كره . ويؤخذ من الأحاديث : أن الماطس لو أتى بلفظ آخر غير الحمد لا يشمت ، كما في « صحيح البخاري » وغيره : « إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله ، وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله ، فإذا قال له : يرحمك الله ؛ فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم ، فإن زاد : ويدخلكم الجنة عرفها لكم ، فلا بأس به ، لأنه روي عن الحسن أنه قاله ، كما ذكر في « الآداب » لابن مفلح . وظاهر الأحاديث وجوب الحمد على الماطس ، لثبوت الأمر الصريح به . ولكن نقل النووي الاتفاق على استحبابه .

وأما لفظه : فنقل ابن بطلال وغيره ، عن طائفة ان لا يزيد على الحمد لله ، وعن طائفة يقول : الحمد لله على كل حال ، كما جاء عن ابن عمر ، وقال : هكذا علمنا رسول الله ﷺ ، أخرجه البزار والطبراني ، وأصله في الترمذي ، وعند

الطبراني من حديث أبي مالك الأشعري رفعه : إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله على كل حال ، ومثله عند أبي داود . وللإمام أحمد والنسائي من حديث سالم بن عبيد رفعه : « إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله على كل حال ، أو الحمد لله رب العالمين » وعن طائفة يقول : الحمد لله رب العالمين . كما ورد في حديث ابن مسعود ، رواه البخاري في « الأدب المفرد » والطبراني . وورد الجمع بين اللفظتين ، فعند البخاري في « الأدب المفرد » عن علي رضوان الله عليه قال : « من قال عند عطسة سمها الحمد لله رب العالمين على كل حال ، لم يجد وجع الضرس ولا الأذن أبداً ، وهو موقوف ، رجاله ثقات . ومثله لا يقال من قبل الرأي ، فله حكم الرفع . وقد أخرجه الطبراني من وجه آخر عن علي مرفوعاً بلفظ : « من بادر العاطس بالحمد ؛ عوفي من وجع الخاصرة ؛ ولم يشك ضرسه أبداً » وسنده ضعيف . وللبخاري في « الأدب المفرد » والطبراني بسند لا بأس به ، عن ابن عباس قال : « إذا عطس الرجل فقال : الحمد لله . قال الملك : رب العالمين ، فإن قال : رب العالمين . قال الملك : يرحمك الله ، وعن طائفة ما زاد من الثناء فيما يتعلق بالحمد كان حسناً . فقد أخرج أبو جعفر في « التهذيب » بسند لا بأس به ، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : « عطس رجل عند النبي ﷺ فقال الحمد لله ، فقال له النبي ﷺ : يرحمك الله ، وعطس آخر فقال : الحمد لله رب العالمين ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، فقال : ارتفع هذا على هذا تسع عشرة درجة » وأخرج ابن السني بسند ضعيف ، عن أبي رافع قال : « كنت مع رسول الله ﷺ . فعطس فدخل يدي ، ثم قام فقال شيئاً لم أفهمه ، فسألته فقال : أتاني جبريل فقال : إذا أنت عطست فقل : الحمد لله لكرمه ، الحمد لله لمزة جلاله ، فإن الله عز وجل يقول : صدق عبدي ثلاثاً ، مغفور له . »

ولا أصل لما اعتاده كثير من الناس من استكمال قراءة الفاتحة بعد قوله الحمد لله رب العالمين ، وكذا المدول عن الحمد الى أشهد أن لا إله إلا الله ، أو تقديمها على الحمد ، فهو مكروه . وفي « الأدب المفرد » للبخاري عن مجاهد ، ان ابن عمر رضي الله عنها سمع ابنه عطس ، فقال : أب فقال وما أب ؟ ان الشيطان جعلها بين العطسة والحمد » وأخرجه ابن أبي شيبة بلفظ : اش بدل أب ، ونقل ابن بطل عن الطبراني : ان العاطس يتخير بين أن يقول الحمد لله ؛ أو يزيد رب العالمين ، أو على كل حال ، والذي يتحرر من الأدلة أن كل ذلك مجزي ، لكن ما كان أكثر ثناء ؛ كان أفضل بشرط أن يكون مأثوراً .

وأما التسميت ، فداره على عدة الفاظ : يرحمك الله ، ويهديك الله ، ويصلح بالكم ، وبدون زيادة : ويصلح بالكم ، وبزيادة : ويدخلكم الجنة عرفها لكم ، ويفخر الله لنا ولكم . وكان ابن عمر اذا عطس فقيل له : يرحمك الله ، قال : برحمتنا الله وإياكم ، ويفخر لنا ولكم ، وقال الامام أحمد : التسميت يهديك الله ويصلح بالكم ، وقال : هذا عن النبي ﷺ من وجوه . وذكر القاضي : أنه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظان : أحدهما يهديك الله ، والثاني يرحمكم الله . كذا قال . وصوب شيخ الاسلام ابن تيمية ، ويفخر الله لكم . قال القاضي : ويختار أصحابنا ، يهديك الله ، لأن معناه يديم هدايتكم . واختار بمض العلماء : يفخر الله لنا ولكم . وقال مالك والشافعي : يخير بين هذا ؛ وبين يهديك الله ويصلح بالكم . وفي « الأدب المفرد » للبخاري بسند صحيح ، عن أبي حمزة بالجيم : سمعت ابن عباس رضي الله عنها اذا شمت يقول : عافانا الله وإياكم من النار ، ويرحمكم الله . وفي «الموطأ» عن نافع ، عن ابن عمر : أنه كان اذا عطس فقيل له : يرحمك الله ، قال : يرحمنا الله وإياكم ، ويفخر لنا ولكم . قال ابن دقيق العيد : ظاهر الحديث أن السنة لاتأدى إلا بالمخاطبة . وأما ما اعتاده كثير من الناس من قولهم للرئيس : يرحم الله سيدنا

فخلاف السنة . قال : وبلغني عن بعض الفضلاء ، انه اذا شمت رئيساً فقال له :  
يرحمك الله ياسيدنا ، فجمع بين الأمرين وهو حسن .

### ( فروع ) :

الأول : تشميت عطس مسلم حمد ، واجابته فرض . ومن جمع كفاية ،  
وقيل : فرض عين مطلقاً ، وقال به ابن مزين من المالكية ، وجمهور أهل الظاهر ،  
وقال ابن أبي حمزة : قال جماعة من علمائنا : إنه فرض عين ، وقوله الامام ابن القيم  
في « حواشي السنن » ، فقال : جاء بلفظ الوجوب الصريح ، ولفظ الحق الدال  
عليه ، ولفظ على الظاهرة فيه ، وبصفة الأمر التي هي حقيقة فيه ، ويقول  
الصحابي : أمرنا رسول الله ﷺ قال : ولا ريب أن الفقهاء اثبتوا وجوب أشياء  
كثيرة بدون مجموع هذه الأشياء ، وذهب عبد الوهاب من المالكية الى أنه  
مستحب ، ويجزى الواحد عن الجماعة ، وهو قول الشافعية ، والراجح أنه فرض  
كفاية ، وهو مذهب معظم الحنابلة والحنفية والمالكية . والله أعلم .

ومن آداب العاطس : أنه اذا عطس خمر وجهه ، وغض صوته ، ولا يلتفت  
يميناً وشمالاً ، وحمد الله جهراً ؛ بحيث يسمع جلسه ليشمته .

الثاني : اذا نسي العاطس الحمد لم يذكره جلسه ، لكن يعلم الصغير أن  
يحمد الله ، وكذا حديث عهد باسلام ونحوه . ذكره علماؤنا وهو ظاهر قوله  
ﷺ : « واذا لم يحمد فلا تشمتوه » ، وقال الامام النووي من الشافعية : يستحب  
لن حضر من عطس فلم يحمد أن يذكره الحمد ، ليحمد فيشمته ، وقد ثبت ذلك  
عن ابراهيم النخعي ، وهو من باب النصيحة ، والامر بالمعروف . وزعم ابن  
العربي : انه جهل من فاعله ، وخطأه النووي واستصوب الاستحباب . قالوا : ولو

جمع بينها فقال : الحمد لله ، يرحمك الله ، جمع جهاتين : لإزامة نفسه مالا يلزمها ، وإيقاعه التشميت قبل وجود الحمد من العاطس .

وحكي أن رجلا عطس عند الأوزاعي فلم يحمد ، فقال له : كيف يقول من عطس ؟ فقال : الحمد لله ، فقال يرحمك الله . ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : « من سبق العاطس بالحمد ، أمن من الشوص واللوص والملوص ، وهذه أوجاع تختلف في بعضها ، ذكره ابن الاثير في « النهاية » وغيره ، قال في « التمييز » وغيره . والحديث ضعيف . وقد نظمه بعضهم في قوله :

من يستبق عاطساً بالحمد يأمن من شوص ولوص وعلوص كذا وردا  
عنيت بالشوص ذا الرأس ثم بما يليه ذا البطن والخرس اتبع رشدا  
وفي بعض الكتب : وهو أولى

فالداء في الخرس شوص ، ثم في أذن

لوص وفي البطن علوص كذا وجدا

قال في « القاموس » : الشوص : وجع الخرس والبطن ، وقال في الملوص كسنثور النخمة ووجع في البطن ، وقال في اللوص : وجع الاذن أو البخر ، ومثل ذلك في « النهاية » .

الثالث : لا يجب تشميت جماعة ، منهم الذي ، فلا يجب ولا يستحب ، فان قيل له : يهديكم الله جاز . فقد أخرج أبو داود وصححه الحاكم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : « كانت اليهود يتماطسون عند النبي ﷺ وجاء أن يقول : يرحمكم الله ، فكان يقول يهديكم الله ويصلح بالكم » .

ومنهم : الصبي اذا عطس ؛ فانه يدعى اه بأن يقال : بورك فيك وجبرك الله .

ومنهم : الشابه فلا تشمت الاجنبي ولا يشمتها .

ومنهم المذكوم فانه يشتمه ثلاث مرات ، وفي « الادب المفرد للبخاري » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : « شتمه واحدة ، وثنتين ، وثلاثاً ، فما كان بعد ذلك فهو زكام » هكذا اخرج موقفاً ، واخرجه ابو داود كذلك ، ولفظه : « شمت أخاك » ورفعه غير واحد ، والاحاديث بذلك متضافرة ، ويدعو له بمد الرابعة بالمافية .

#### فائدتان :

الاولى : قال ابن هبيرة ، قال الرازي من الاطباء : العطاس لا يكون أول مرض أبدأ ، إلا أن يكون زكمة ، قال : فاذا عطس الانسان استدل بذلك من نفسه على صحة بدنه ، وجودة هضمه ، واستقامة قوته ، فينبغي له أن يحمد الله ، ولذلك أمره رسول الله ﷺ ان يحمد الله تعالى .

الثانية : ذكر الحافظ ابن حجر في « الفتح » : ان ابن عبد البر قد أخرج بسند جيد عن ابي داود ، وهو سليمان ابن الاشعث السجستاني ، الامام الحافظ من أصحاب الامام أحمد ، وأحد نقلة مذهبه وهو صاحب « السنن » انه كان في سفينة ، فسمع عاطساً على الشط حمد ، فاكثرى قارباً بدرم ، حتى جاء الى العاطس فشمته ثم رجع فستل عن ذلك ، فقال : لعله يكون بحباب الدعوة فلما رقدوا سمعوا قائلاً يقول في أهل السفينة : إن أباداود اشترى الجنة من الله بدرم ، رحمه الله ورضى عنه آمين .



### الحديث الثالث

٤٨ - ثنا هشيم ؛ قال أنا حميد ، عن أنس بن مالك قال :  
أن كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله  
صلى الله عليه وسلم فتنتطق به في حاجتها .

قال رضي الله عنه : ( ثنا هشيم ) بن بشر السلمي الواسطي الامام الحافظ ،  
تقدمت ترجمته في أول الحديث الأول ، من مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنها  
( قال : أنا ) أبو عبيدة ( حميد ) بن أبي حميد ، واسم أبي حميد ، مختلف فيه ،  
فقيل : عبد الرحمن ، وقيل : طرخان ، وقيل : مهران الخزاعي البصري ، مولى  
طلحة الطلحات المعروف بالطويل . قال الأصمعي : رأيت حميداً ؛ فلم يكن بالطويل ؛  
ولكن كان في جيرانه رجل يعرف بحميد القصير ، فقيل له : حميد الطويل ،  
ليعرف من الآخر . وقيل : كان طويل اليدين ، تابعي . سمع أنس بن مالك ، وثابت  
البناني ، والحسن ، وعكرمة ، ونافع وعنه : ابن عليّة ، وهشيم ، والحفادان ، وزهير  
ابن معاوية ، والسفيانان ، وشعبة . قال أبو حاتم : أكبر أصحاب الحسن قتادة  
وحميد ، وقال حماد بن سلمة : لم يدع حميد لثابت علماً إلا ووعاه وسمعه منه .  
وقال ابن الأثير في « جامع الاصول » : هو كثير الحديث ، واسع الرواية . روى  
عنه حماد بن سلمة ، وابن المبارك ، والانساري . وقال : ولد سنة ثمان وستين ،  
ومات سنة ثلاث وأربعين ومائة . وقال الجلال السيوطي في « طبقات الحفاظ » : مات  
حميد وهو قائم يصلي ، في جماد الاولى ، سنة أربعين ومائة ، وقيل : اثنتين وأربعين  
وقيل : ثلاث ( عن أنس بن مالك ) رضي الله عنه انه ( قال : أن ) بفتح الهمزة

وسكون النون، أي لأن ( كانت ) وحينئذ تكون اللام في جواب قسم مقدر ، أو بلا تقدير اللام ، وأن مخففة من الثقيلة ( الأمة ) بفتح الهمزة والميم المخففة ، خلاف الحرة ، والجمع إماء وآم . قال الشاعر :

مخلة سوء أهلك الدهر أهلها فلم يبق فيها غير آم خوالف

والنسبة إليها اموي ، وتصغيرها أمية . وفي «المسند» و«صحيح البخاري» : كانت الأمة . زاد البخاري : والمبد (من أهل المدينة) ، ولفظ البخاري : من إماء أهل المدينة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام ، فاللام فيها للبعد ، وهي علم على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بالغلبة لا بالوضع ، ولا يجوز نزع « ال » منها إلا في نداء أو إضافة ، وجمعا : مدن ومدن ومدائن بالهمز ودونه ، فمن جعلها فيلة من قولهم : مدن بالمكان إذا أقام ؛ همز ؛ ومن جعلها مفعلة من دين إذا ملك ، لم يهمز ، كما لم يهمز معايش ( لتأخذ ) الأمة وكذا المبد ( بيد رسول الله ﷺ فتنتلق ) أي تذهب ( به ) أي برسول الله ﷺ ( في حاجتها ) ولفظ البخاري : « فتنتلق به حيث شئت » . وفي لفظ : « فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شئت » . وفي « صحيح مسلم » من حديث أنس رضي الله عنه : « ان امرأة كان في عقلها شيء ، فقالت يا رسول الله : ان لي اليك حاجة ؛ فقال : يا أم فلان ، انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك ، فضلا معها في بعض الطرق ، حتى فرغت من حاجتها » ، والسكك جمع سكة بالكسر : الطريق المستوي .

وهذا الحديث يدل على حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم ، ومكارم أخلاقه ، وتواضعه ، وعلى تعظيمه لأهل المدينة ، وتوقيرهم واحتشامهم ، أما تعظيمه لأهل المدينة وتوقيره لهم فهم من الأنصار ، وتقدم طرف صالح في مناقبهم ، وما نوه به رسول الله ﷺ من فضائلهم ، والحث على جههم ، والتحذير من

بعضهم . وأما مكارم أخلاق رسول الله ﷺ وحسن خلقه وتواضعه ، فهو معلوم عند ذوي الفهوم ، لأنه منبع الاحسان والمكارم ، وينبوع المعارف والمراحم ، فكل مكرمة وجدت ، فهي من بعض مكارمه ، وكل رحمة حدثت ، فهي من طرف مراحمه .

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى : من تأمل تدبير النبي ﷺ أمرَ بواطن الخلق وظواهرهم ، وسياسة الخاصة والعامة ، مع عجب شمالكه ، وبدائع سيره ، فضلاً عما أفاضه من العلم ، وقرره من الشرع ، دون تعلم سبق ، ولا ممارسة تقدمت ، ولا مطالعة للكتب ، لم يمر في رجحان عقله ، وثقوب فهمه لأول وهلة . وقد روى داود بن المهبر عن ابن عباس رضي الله عنها رفعه : « أفضل الناس أعقل الناس » . قال ابن عباس : وذلك نبيكم صلى الله عليه وسلم . ونقل ابن قتيبة في « الموارف » عن بعض الأكارب قال : اللب والعقل مائة جزء ، تسعة وتسعون في النبي ﷺ ، وجزء في سائر الناس . انتهى . وما بالاك بمن يقول الله جل ثناؤه فيه : « وإنك لعلی خلق عظيم » (١) . ولما سئلت عائشة الصديقة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ ؛ قالت : « كان خلقه القرآن ، يرضى لرضاه ، وينضب لفضبه ، لم يكن فاحشاً ولا متفاحشاً » (٢) الحديث رواه مسلم ، والترمذي والنسائي وغيرهم . وروى الامام أحمد والخرائطي وأبو يعلى الموصلي ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما بشت لأتعمم الأخلاق » ، وفي لفظ : « لأتعم حسن الأخلاق » ، ورواه البزار بلفظ : « لأتعم مكارم الأخلاق » ، وروى أبو داود عن أنس رضي الله عنه قال : « ما رأيت رجلاً اتقى رسول الله ﷺ فنحى رأسه عنه ؛ حتى يكون الرجل هو الذي ينزع ، وما رأيت رجلاً أخذ بيد رسول الله ﷺ فنزع يده ؛ حتى يكون الرجل هو الذي ينزع » . ويدخل في حسن الخلق : التحرز من

(١) سورة الفلم ، الآية : ٤

(٢) في « مسلم والترمذي » : لم يكن فاحشاً ولا متفاحشاً .

الشح والبخل والكذب ، وغير ذلك من الاخلاق المذمومة . ويستعمل في حسن الخلق : التجب الى الناس في القول والفعل ، والبذل وطلاقة الوجه مع الأقارب والأجانب ، والتساهل في جميع الامور ، والتسامح فيما يلزم من الحقوق ، وترك التقاطع والتهاجر ، واحتمال الاذى من الاعلى والاذى من ادناه ، مع اقامة البشر ، وحسن التلقي . فهذه الخصال تجمع محاسن الاخلاق ، ومكارم الشيم . ولقد كان جميع ذلك في رسول الله ﷺ ، ولهذا وصفه الله تعالى بقوله : « وإنك لملئ خلق عظيم » (١) فهو مستول على هذه الاخلاق ، ومستعمل عليها ، لفظه على مقتضية ذلك . قال الجنيد رحمه الله : إنما كان خلقه ﷺ عظيماً ؛ لأنه لم يكن همه سوى الله تعالى . وقال الحلبي : إنما وصف خلقه بالمعظم ؛ مع أن الغالب وصف الخلق بالكرم ؛ لأن كرم الخلق يراد به الساحة والدمائة ؛ ولم يكن ﷺ مقصوراً على ذلك ، بل كان رحيماً بالمؤمنين ، رفيقاً بهم ، شديداً على الكفار ، غليظاً عليهم ، مهيباً في صدور الأعداء ، منصوراً بالرعب منهم مسيرة شهر ، فكان وصف خلقه بالمعظم ليشمل الانعام والانتقام . وقيل : إنما وصف بالمعظم ، لاجتماع مكارم الاخلاق فيه . والله تعالى الموفق .

#### الحديث الرابع

٤٩ - ثنا هشيم ، قال : أنا عبد العزيز بن صهيب وإسماعيل ، أنبأنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .

قال رضي الله عنه : ( ثنا هشيم قال : أنا عبد العزيز بن صهيب ، و )

(١) سورة : الفلم ، الاية : ٤

حدثنا (إسماعيل) بن عتبة قال: (أبنا عبد العزيز) بن صهيب ، فلامام أحمد شيخان في هذا الحديث ، كل منها يروي عن عبد العزيز (عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال : قال رسول الله ﷺ : من كذب علي متعمداً) للكذب علي" (فليتبوأ مقعده من النار) أي ينزل منزله منها ويتخذها ، قيل : على طريق الدعاء ، أي بؤاه الله ذلك ، وخرج مخرج الأمر . وقيل: بل هو على الخبر ، وانه استحق ذلك واستوجه ، وتقدم الكلام عليه في الحديث الثاني من مسند جابر ابن عبد الله رضي الله عنه .

#### الحديث الخامس

٥٠ - ثنا هشيم ، قال : أنا حميد ، عن أنس بن مالك ،

قال : لما دخل النبي ﷺ بزینب بنت جحش ، أولم فأطعمنا خبزاً ولحماً .

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم قال : أنا حميد) الطويل (عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال) أنس : (لما دخل النبي ﷺ ب) أم المؤمنين (زينب بنت جحش) بن رثاب بكسر الراء ، وبمدها همزة ، وبالباء الموحدة ، ابن يعمر ، بفتح المثناة التحتية والميم ، ابن صبرة ، بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة ، بن مرة ، بن كبير ، ضد صغير ، بن غنم بفتح العين المعجمة وسكون النون ، ابن دودان ، بضم الدال المهملة الاولى ، ابن أسد بن خزيمعة الأُسدية وأما أميمة بنت عبد المطلب ، عممة النبي ﷺ ، وكانت زينب رضي الله عنها قبل دخول النبي ﷺ بها ، عند مولاه زيد بن حارثة ، فطلقها زيد رضي الله

عنه ، فزوجها الله سبحانه لنبيه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم من فوق سبع سموات ، وأنزل عليه في محكم كتابه العزيز : « فلما قضى زيد منها وطراً زوجنا بها ، (١) فقام فدخل عليها بلا استئذان ، وكانت تفخر بذلك على سائر أزواجه صلى الله عليه وسلم ، تقول : زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله من فوق سبع سمواته . وفي صحيح مسلم من حديثها رضي الله عنها ، أنها لما انقضت عدتها ، قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة : اذهب فاذا كرتي لها ، فقالت : ما كنت لاحد شيئاً حتى أوامر ربي ، وقامت الى مسجد لها فأنزل الله على نبيه : « فلما قضى زيد منها وطراً زوجنا بها ، (١) فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن . وحديث افتخارها بذلك في البخاري وغيره . قال الحافظ ابن الجوزي في « المنتخب » : دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ثلاث من الهجرة ، وتوفيت بالمدينة سنة عشرين ، ودفنت بالبيع .

(أولم) هذا محله الجزم جواب لما ، أي لما دخل ﷺ بزَيْنَب بنت جحش رضي الله عنها أولم عليها بشاء ، والوليعة : اسم لطعام العرس خاصة ، لا تقع على غيره ، وقال بعض الفقهاء : انها تقع على كل طعام ، والأول : قول أهل اللغة وهم أعرف بلسان العرب وموضوعاته . وفي « المستوعب » : وليعة الشيء كاله وجمعه ، وسميت دعوة العرس وليعة لاجتماع الزوجين كما في « المطلع » . وفي « الصحيحين » عن أنس رضي الله عنه قال : « ما أولم النبي صلى الله عليه وسلم على نبي . من نسائه ما أولم على زينب ، أولم بشاة ، ولفظ مسلم : ما أولم على امرأة من نسائه اكثر وأفضل مما أولم على زينب ، فقال ثابت البناني بم أولم؟ قال : (ف) قد (أطمعنا) معشر أصحابه (خبراً ولحماً) ولفظ مسلم قال : « أطمعهم خبزاً ولحماً حتى

(١) سورة الاحزاب ، الآية : ٣٧

تركوه ، وترجم لهذا البخاري : « باب من أولم على بعض نسائه أكثر من بعض ، وأشار ابن بطال الى أن ذلك لم يقع قصداً لتفضيل بعض النساء على بعض ، بل باعتبار ما اتفق ، وأنه لو وجد الشاة في كل منهن لا ولم بها ، لأنه ﷺ كان أجود الناس ، ولكن لا يبائع فيما يتعلق بأمور الدنيا في التأتق . وقال بعضهم : لعله ﷺ فاضل بين ولأنم نسائه لبيان الجواز . وقال الكرماني : لسبب في تفضيل زينب في الوليمة على غيرها ، كان للشكر لله على ما أنعم به عليه من تزويجه اياها بالوحي .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : ونفي أنس أن يكون لم يؤلم على غير زينب بأكثر مما أولم عليها ، محمول على ما انتهى اليه علمه ؛ أو لما وقع من البركة في وليمتها ، حيث اشبع المسلمين لحماً وخبزاً من الشاة الواحدة ، واستظهر أن يكون صلى الله عليه وسلم أولم على ميمونة بنت الحارث بأكثر من ذلك ، لأنه لما تزوجها في عمرة القضية (١) بمكة ، طلب من أهل مكة ان يحضروا وليمتها فامتنعوا ، يقتضي أن يكون ما أولم به عليها أكثر من شاة ، لوجود التوسعة عليه في تلك الحالة ، لان ذلك كان بعد فتح خيبر ، وقد وسع الله على المسلمين منذ فتحها عليهم . كذا قال . قلت : من الممكن ان يكون صلى الله عليه وسلم انما طلب حضور أهل مكة لوليمة ليقدم لهم طعاماً قليلاً ، فتظهر فيه البركة حتى لا يمكن نفاذه وفراغه ممجزة له ليؤمنوا به ، ويصدقوه ولم ار ذلك منقولاً .

(فروع) :

الأول : وليمة المرس سنة مؤكدة ، وأخرج الطبراني من حديث وحشي ابن حرب رضي الله عنه رفعه : « الوليمة حق » وفي مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « شر الطعام طعام الوليمة ، يمنها من باتها ، ويدعى

(١) وتسمى : عمرة القضاء .

اليها من يأبأها ، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله ، وكان أبو هريرة يقول كما في صحيح مسلم : « بش الطام طام الوليمة ، يدعى لها الأغنياء ، ويترك المساكين ، ومن لم يأت الدعوة فقد عصى الله ورسوله . »

وروى الامام أحمد من حديث بريدة قال : لما خطب علي فاطمة رضوان الله عليهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه لا بد للمروس من الوليمة ، وسنده لا بأس به . قال ابن بطلال : قوله صلى الله عليه وسلم : « الوليمة حق ، ليست يبطل ، بل يندب اليها ، وهي سنة فضيلة ، وليس المراد بالحق الوجوب ، ثم قال ابن بطلال : لا أعلم أحداً أوجها . كذا قال . وغفل عن رواية في مذهبه بوجوبها نقلها القرطبي ، وقال : مشهور المذهب انها مندوبة ، ونقل ابن التين رواية بالوجوب في مذهب الامام أحمد ، والذي في « المغني » للامام الموفق : انها سنة ، بل وافق ابن بطلال في نفي الخلاف بين أهل العلم في ذلك ، قال : وقال بمض الشافعية : هي واجبة ، لان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بها عبد الرحمن ابن عوف ، ولأن الاجابة اليها واجبة ، فكانت واجبة . وأجاب بأنه طعام لسرور حادث ، فأشبهه سائر الأطعمة ، والأمر محمول على الاستحباب بدليل ما ذكرناه ، ولكونه أمره بشاة ، وهي غير واجبة اتفاقاً . قال في « الفتح » : ولمض الذي أشار اليه ، يعني الموفق ، وجه معروف عندهم . وقد جزم به سليم الرازي وقال : إنه ظاهر نص الامام ، ونقله عن النص ايضاً أبو إسحاق في « المذهب » وهو قول أهل الظاهر كما صرح به ابن حزم .

الثاني : يجزىء في الوليمة الشيء اليسير ، كدّين من شمير ، ويسن أن لا تنقص عن شاة ، والأولى الزيادة عليها ، كما في « الصحيحين » وغيرهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لما تزوج : « أولم ولو بشاة » فيستفاد من السياق طلب تكثير الوليمة من



يقدر ، قال عياض : أجمعوا على ان لا حد لاكثرها ، وأما أقلها فكذلك . ومها تيسر أجزاء ، والمستحب أنها على قدر حال الزوج ، ولولا ثبوت أنه صلى الله عليه وسلم أولم على بمض نسائه بأقل من الشاة ؛ لكان يمكن أن يستدل بحديث أنس في قصة عبد الرحمن رضي الله عنها على أن الشاة أقل ما يجزى . عن الموسر . وفي « الصحيح » : « أنه صلى الله عليه وسلم أولم على بمض نسائه بمدئين من شعير » . وروى الامام أحمد ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه في قصة صفية : « أنه صلى الله عليه وسلم جعل وليتها التمر والاقط والسمن » .

الثالث : تستحب الوليمة بالدخول ، وجرت العادة قبله بيسير . وقد اختلف السلف في وقتها : هل هو عند المقد ؛ أو عقبه ، أو عند الدخول ؛ أو عقبه ، أو موسع من ابتداء المقد الى انتهاء الدخول ، على أقوال ، متمد مذهبنا ما ذكرناه . وحكى القاضي عياض : أن الأصح عن المالكية استحبابه بمد الدخول . وعن جماعة منهم : أنه عند المقد . وعن ابن حبيب عند المقد ومد الدخول . وعند الشافعية : عند الدخول . واستحب بمض المالكية أن تكون عند البناء ، ويقع الدخول عقبها . وعليه عمل الناس . كما نقلناه عن مذهبنا . والله أعلم .

الرابع : الاجابة الى وليمة العرس واجبة ، وقد نقل ابن عبد البر ، ثم عياض ، ثم النووي وغيرهم : الاتفاق على القول بوجوب الاجابة لوليمة العرس . وفيه نظر : نعم المشهور من أقوال العلماء الوجوب ، وصرح جمهور علمائنا كالشافعية بأنها فرض عين ، ونص عليه مالك ، وعن بمض الحنابلة والشافعية انها مستحبة . وذكر اللخمي المالكي : ان ذلك مذهبهم . وكلام صاحب « الهداية » من الحنفية تقتضي الوجوب ، مع تصريحه بأنها سنة ، فكأنه أراد انها وجبت بالسنة ، وليست فرضا كما هو المعروف من قواعدهم . وعن بمض الحنابلة والشافعية انها فرض

كفاية ، وإنما تجب الإجابة على مشد المذهب . إذا عينه داع مسلم يجرم هجره ،  
ومكسبه طيب في اليوم الاول ، وهي حق للداعي ، تسقط بفوهه ، وقدم في  
« الترغيب » : لا ياتزم القاضي حضور وليمة عرس . ومنع ابن الجوزي في « المنهاج »  
من إجابة ظالم وفاسق ومبتدع ، ومفاخر بها ، أو فيها مبتدع يتكلم بيدعة إلا  
رادّ عليه . وكذا إن كان فيه مضحك بفحش أو كذب ، وإلا أبيع إذا كانت  
قليلا . وإن كان المدعو مريضاً أو معذوراً لم تجب عليه الإجابة ، كعبد لم يأذن  
له سيده ، وإلا وجبت لما تقدم من الاحاديث . وفي حديث ابن عمر مرفوعاً :  
« احيوا هذه الدعوة إذا دعيت لها » . وكان ابن عمر يأتي الدعوة في العرس وغير  
العرس ، ويأتيها وهو صائم . متفق عليه . ورواه ابو داود وزاد : « فإن كان مفطراً  
فليطعم ، وإن كان صائماً فليدع » ، وفي « مسلم » : « من دعى الى وليمة عرس  
فليجب » ، وفي « مسند الامام احمد » و « صحيح مسلم » و « سنن أبي داود » و « ابن  
ماجة » من حديث جابر مرفوعاً : « إذا دعى أحدكم الى طعام فليجب ، فإن شاء  
طعم وإن شاء ترك » .

الخامس : قد علم أن الإجابة لوليمة العرس واجبة إن عينه أول مرة ، قال  
في « الفروع » : « وتستحب ثاني مرة ، وتكره في الثالثة . ونقل حنبل عن الامام  
رضي الله عنه : إن أحب أجاب ، ولا يجيب في الثالث . واستحب سيدنا الشيخ  
عبد القادر في « الفتن » إجابة وليمة عرس ، وكره حضور غيرها ؛ إن كان كما  
وصف عليه السلام يمنع المحتاج ، ويحضر القوي . واستدل من عين لإجابة الوليمة وقتاً  
وم الخنابلة والشافعية بما روى ابو داود والنسائي من حديث قتادة عن عبد الله  
ابن عثمان الثقفي ، عن رجل من ثقيف . كان ينيء عنه . قال البخاري عن قتادة :  
إن لم يكن اسمه زهير بن عثمان ، فلا أدري ما اسمه ، قال البخاري : ولا تصح  
لزهير صحبة ، وفي « جامع الاصول » : زهير بن عثمان الأعرابي عن قتادة في أهل

البصرة ، قال ابن عبد البر : روى عن النبي ﷺ حديث الوليمة وليس له غيره ، وفي استاده نظر ، يقال : إنه مرسل . انتهى - أن النبي ﷺ قال : « الوليمة أول يوم حق ، والثاني معروف ، والثالث رياء وسمعة ، وهو ضيف . ولكن له شواهد منها : عن أبي هريرة رضي الله عنه مثله ، أخرجه ابن ماجه ، ومنها عن أنس رضي الله عنه مثله ، أخرجه ابن عدي ، والبيهقي . ومنها : عن ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ : « طعام أول يوم حق ، وطعام يوم الثاني سنة ، وطعام الثالث سمعة ، ومن سمع سمع الله به » ، وهذه كلها مرفوعة . ومنها عن ابن عباس رضي الله عنها مرفوعاً : « طعام في العرس يوم سنة ، وطعام يومين فضل ، وطعام ثلاثة أيام رياء وسمعة » أخرجه الطبراني . وهذه الأحاديث وإن كان كل منها لا يخلو عن مقال ؛ فإن مجموعها يدل على أن للحديث أصلاً ، وقد وقع في أثناء حديث أبي داود والدارمي ، قال قتادة : « بلغني عن سعيد بن المسيب أنه دعي أول يوم فأجاب ، ودعي ثاني يوم فأجاب ، ودعي ثالث يوم فلم يجب ، وقال : هذا رياء وسمعة ، واعلم أن أصحابنا أطلقوا الكراهة في اليوم الثالث ، وقال بعض العلماء : إنما يكره إذا كان المدعو في الثالث هو المدعو في الاول ، وكذا صورته الروياني من الشافعية ، واستبمده بعض متأخري فقهاءهم . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » وليس يبيد .

#### الحديث السادس

٥١ - ثنا هشيم ، عن حميد ، عن أنس : أن النبي

صلى الله عليه وسلم صلى في بُرْدِ جَبْرَةِ ، قال : أحسبه عقد بين طرفيها .

قال رضي الله عنه : ( ثنا هتيم ) بن بشير السلمي ( عن ) أبي عبيدة ( حميد )  
ابن أبي حميد ( عن ) أبي حمزة ( انس ) بن مالك رضي الله عنه ( أن النبي ﷺ صلى  
في برد ) — بضم الموحدة وسكون الراء ، بعدها دال مهملة — قال الجوهري :  
هو كساء مربع فيه صفر ، يلبسه الاعراب ، والجمع برود . وفي « القاموس » ،  
البرد — بالضم — : ثوب مخطط ، والجمع أبراد وبرود ، واكسية يلتحف بها ،  
الواحدة بها . انتهى ( حبرة ) قال الجوهري : الحبرة وزن عنبة : برد يماني . قال  
المهروي : موشاة<sup>(١)</sup> مخططة . وقال الداودي : لونها أخضر ، لأنها لباس أهل الجنة .  
كذا قال . وقال ابن بطلال : هي من برود اليمن ، يصنع من قطن ، وكانت أشرف  
التياب عندم . وقال القرطبي : سميت حبرة : لأنها تحجر ، أي تزين ، والتجبير  
الزئين والتحسين . وفي « المطالع » البرد المحبر : المزين ، ومنه حلة حبرة ، وبرد  
حبرة ، وهي عصب اليمن ، وذكر كلام الداودي ان الحبرة ثوب أخضر . انتهى .  
( قال ) أنس رضي الله عنه : ( أحسبه ) يعني النبي ﷺ ، أي أظنه ( عقد  
بين طرفيها ) أي : إما باعتبار كونها بردة ؛ أو لأجل لفظ حبرة ، فإنه مؤنث .  
وإنما عقد بين طرفي برده ﷺ لأنه لم يكن عليه سراويلات ؛ فمقد بين طرفي  
البردة ليكون أستر .

والظاهر من سياق هذا الحديث : انه لم يكن عليه سوى البرد . فدل على  
صحة الصلاة في ثوب واحد . وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله  
عنه ، ان سائلا سأل رسول الله ﷺ عن الصلاة في الثوب الواحد فقال : « أو  
لكل ثوبان » زاد البخاري : ثم سأل رجل عمر فقال : « اذا وسع الله عليكم  
فأوسموا ، يجمع الرجل عليه ثيابه ؛ يصلي الرجل في إزار ورداء ، في إزار و قميص ؛  
في إزار و قباء ، و سراويل و رداء ، في سراويل و قميص ، في سراويل و قباء ، في  
تبان و قباء ، في تبان و قميص . قال : وأحسبه قال : في تبان و رداء ، وفي

(١) في الاصل : موشية .

« الصحيحين » عن أبي الزبير المكي ، أنه رأى جابر بن عبد الله رضي الله عنها يصلي في ثوب متوشحاه ، وعنده ثيابه ، قال جابر : انه رأى رسول الله ﷺ يصنع ذلك : ولفظ البخاري : ملتحفاً بدل متوشحاه . قال الزهري : الملتحف هو المتوشح ، وهو المخالف بين طرفيه ، وهو الاشتغال على منكبيه . وفي بعض طرقه عن محمد بن المنكدر ، قال : صلى جابر بن عبد الله في إزار قد عقده من قبل قفاه ، وثيابه موضوعة على المشجب . وهو - بكسر الميم وسكون الشين المعجمة وفتح الجيم بمدّها موحدة - : عيدان تضم رؤوسها ، ويفرج بين قوائمها ، توضع عليها الثياب وغيرها . وقال ابن سيدة : المشجب والشجاب : خشبات ثلاث يعلق عليها الراعي دلوه وسقاه . ويقال في المثل : كان كالمشجب من أين قصده وجدته . انتهى . فقال له قائل : تصلي في إزار واحد ؟ قال : إنما صنمت ذلك ليراني أحق مثلك ، وأينا كان له ثوبان على عهد رسول الله ﷺ . وفي طريق آخر : رأيت النبي ﷺ يصلي كذا ، زاد البخاري قوله : قد عقده من قبل قفاه ، وأينا كان له ثوبان الى آخره . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : كان الخلاف في منع جواز الصلاة في الثوب الواحد قديماً . روى ابن أبي شيبة ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لا تصلين في ثوب واحد ، قال : ثم استقر الأمر على الجواز . وفي « سنن » أبي داود والنسائي ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أنه سأل أخته أم حبيبة أم المؤمنين رضي الله عنها : هل كان رسول الله ﷺ يصلي في الثوب الذي مجامع فيه ؟ قالت : نعم إذا لم يرَ فيه أذى .

وفي الحديث إشارة الى وجوب ستر العورة في الصلاة . وقد ذهب الجمهور الى أن ستر العورة من شروط الصلاة ، وعن بعض المالكية : التفرقة بين الذاكِر والناسي ، ومنهم من أطلق كونه سنة لا يبطل تركها الصلاة ، واحتج

بأنه لو كان شرطاً في الصلاة لأخص بها ، ولافتقر الى النية ، وكان المأجز المريان كالمأجز عن القيام ، ينتقل الى القعود والجواب عن الأول النقص بالإيمان ، فهو شرط في الصلاة ، ولا يختص بها ، وعن الثاني : باستقبال القبلة فإنه لا يقتصر لنية . وعن الثالث على ما فيه : بالمأجز عن القراءة ، ثم التسبيح ، فإنه يصلي ساكناً . قال النووي : ذهب أكثر أهل العلم : ان الفخذ عورة . وعن الامام مالك ، وكذا عن الامام أحمد ، في رواية : ان المورة القبل والذبر فقط ، وبه قال أهل الظاهر ، وابن جرير ، والاصطخري . ونظر في « الفتح » في ثبوت ذلك عن أبي جرير ، لانه ذكر المسألة في « تهذيبه » ورد على من زعم أن الفخذ ليست بمورة . وبالله التوفيق .

### تنبيهات

الأول : هذا الحديث مما لحقه وزاده الحافظ ضياء الدين المقدسي رحمه الله تعالى ورضي عنه ، من ثلاثيات « مسند الامام أحمد » رضي الله عنه ماخرجه الحب اسماعيل بن عمر المقدسي رحمه الله تعالى . ولم أر هذا الحديث في « الصحيحين » مع أنه على شرطها . نعم حميد الطويل مدلس ، والبخاري يخرج له ما صرح فيه بالتحديث ، وهنا لم يصرح بالتحديث . بل قال عن أنس ، والنعنة مظنة الدلسة . والله أعلم .

الثاني : ورد في الحديث عن جابر بن سمرة رضي الله عنه انه قال : « رأيت رسول الله ﷺ وعليه حلة حمراء ، فجلت انظر اليه والى القمر ، فلهو عندي أحسن من القمر » رواه الترمذي ، وابن الجوزي وغيرهما . وفي « الصحيحين » من حديث البراء بن عازب رضي الله عنها : « كان رسول الله ﷺ مربوعاً ، ورأيت في حلة حمراء ما رأيت شيئاً أحسن منه » وفي أبي داود ، من حديث هلال بن عامر عن أبيه : « رأيت النبي ﷺ يحطب بمنى على بغير ، وعليه برد

احمر ، استاده حسن . ورواه الطبراني باسناد حسن عن طارق المحاربي ، لكن قال : بسوق ذي الحجاز . قال الامام المحقق ابن القيم في « الهدى » : وقد غلط من ظن ان الحلة كانت حمراء بحثا لا يخالطها غيرها ؛ وانما الحلة الحمراء : بردان يمانيان ، منسوجان بخطوط حمراء مع الأسود ، كسائر البرود اليمنية ، وهي معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط ؛ وإلا فالاحمر البحت نهي عنه أشد النهي . انتهى .

وقد تلخص من أقوال السلف في لبس الثوب الأحمر سبعة أقوال :  
الأول : الجواز مطلقاً . جاء عن علي وطلحة وعبد الله بن جعفر والبراء وغير واحد من الصحابة . وعن سعيد ابن المسيب والنخعي والشعبي وأبي قلابة وأبي وائل وطائفة من التابعين .

الثاني : المنع مطلقاً . لما أخرج ابن ماجة من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : نهى رسول الله ﷺ عن المقدم ، وهو بالفناء وتشديد الدال المهملة : المشيع بالصفرة . فسره في الحديث . وعن عمر رضي الله عنه : انه اذا رأى على الرجل ثوباً ممصراً ضربه وقال له : دعوا هذا للنساء . أخرجه الطبري . وأخرج ابن أبي شيبة ، من مرسل الحسن : « الحجر من زينة الشيطان ، والشيطان يحب الحجر ، ووصله أبو علي ابن السكن ، وأبو أحمد بن عدي ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب » من رواية أبي بكر الهذلي . وهو ضعيف ، عن الحسن ، عن رافع بن زيد الثقفي ، رفعه : « ان الشيطان يحب الحجر ، فأياكم والحجر ، وكل ثوب ذي شهرة » ، وأخرجه ابن مندة . والحديث ضعيف . وقال ابن الجوزقاني : إنه باطل . وأخرج أبو داود ، والترمذي وحسنه ، والبراز من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « مر على رسول الله ﷺ رجل ، وعليه ثوبان أحمران ، فسلم عليه ، فلم يرد عليه النبي ﷺ » ، وأخرج أبو داود عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال : « خرجنا

مع رسول الله ﷺ في سفر ، فرأى على رواحلتنا أكسية فيها خطوط عين حمر فقال : ألا أرى هذه الحجرة قد غلبتكم؟! قال : فقمنا سراعاً فزغناها حتى نفر بعض إبلتنا ، وفي سند هذا الحديث راوٍ لم يسم .

الثالث : يكره لبس الثوب المشبع بالحجرة دون ما كان صبغه خفيفاً ، جاء ذلك عن عطاء وطاووس ومجاهد ، وكان الحجة فيه حديث ابن عمر رضي الله عنهما في المقدم .

الرابع : يكره لبس الاحمر مطلقاً لقصد الزينة والشهرة ، وتجوز في البيوت والمهنة . جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما . وهذا يشبه قول الامام مالك في ترخيصه في المصفر والمزعفر في البيوت ، وكرهته لها في الحافل .

الخامس : يجوز لبس ما كان صبغ غزله ثم نسج ، ويمنع ما صبغ بمد النسج . جنح اليه الخطابي ، واحتج بأن الحلة الواردة في الاخبار في ايسه ﷺ ، الحلة الحمراء إحدى حلل اليمن ، وكذلك البرد الاحمر ، وبرود اليمن يصنع غزلهما ثم ينسج .

السادس : اختصاص النهي بما يصبغ بالمصفر لورود النهي عنه ، ولا يمنع ما صبغ بغيره من الاصباغ ، ويمكر عليه حديث المغرة في حديث الاسدية قالت : كنت عند زينب أم المؤمنين ونحن نصبغ ثياباً لها بمغرة ، اذ طلع النبي ﷺ فلما رأى المغرة رجع ، فلما رأت زينب ذلك غسلت ثيابها ، ووارت كل حمرة ، فجاء فدخل ، أخرجه أبو داود . وفي سنده ضعف .

السابع : تخصيص المنع بالثوب الذي يصبغ كله . وأما ما فيه لون آخر غير الاحمر ، من بياض وسواد وغيرها فلا . وعلى ذلك تحمل الاحاديث الواردة في الحلة الحمراء ، فان الحلل اليمانية غالباً تكون ذات خطوط حمر وغيرها . قال الامام ابن القيم : كان بعض العلماء يلبس ثوباً مشبعاً بالحجرة ، ويزعم انه يتبع السنة ،



وهو غلط ، فان الحلة الحمراء من برود اليمن ، والبرود لاتصيح أحمر صرفاً .  
وقال الطبري : الذي أراه جواز لبس الثياب المصبغة بكل لون ، إلا أني لأحب  
لبس ما كان مشبهاً بالحمرة ، ولا لبس الأحمر مطلقاً ظاهراً فوق الثياب ، لكونه  
ليس من لباس أهل المروءة في زماننا ، فان مراعاة زي الزمان من المروءة مالم  
يكن إثمًا ، وفي مخالفة الزي ضرب من الشهرة ، وبالله التوفيق .

### الحديث السابع

٥٢ - ثنا هشيم ، عن حميد ، عن أنس : أن النبي  
صلى الله عليه وسلم ، كان يطوف على جميع نسائه في ليلة  
بفسل واحد .

قال رضي الله عنه : ( ثنا هشيم عن حميد ) الطويل ( عن أنس ) بن مالك  
رضي الله عنه ( ان النبي ﷺ كان يطوف على جميع نسائه ) كفى بالطواف عن  
الجماع على عاداته بالتكنية عن الامور المستغفمة . ولفظ مسلم : « كان يطوف على  
نسائه بفسل واحد » . وقال البخاري عن قتادة ، عن أنس : « كان النبي ﷺ  
يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة » ، قال  
قتادة : قلت لأنس أو كان يطيقه ؟ قال : كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين ( في  
ليلة ) وفي لفظ للبخاري : « كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة » ، وله يومئذ  
تسع نسوة ( بفسل واحد ) لم يذكر في صحيح مسلم عدد النسوة ، ولا ذكر  
البخاري الفسل . وذكر البخاري في « الترجمة » : في غسل واحد ، اشارة الى  
ما ذكرناه في هذا الحديث ، وان لم يكن منصوفاً فيما أخرجه البخاري . كما

جرت به عادته ، ولما كان من لازم جماعهن في الساعة الواحدة ، أو الليلة الواحدة ، عود الجماع بلا غسل ، صلح أن يقول : في غسل واحد ، والمراد بالساعة الواحدة ، قدر من الزمان ، لا ما اصطلاح عليه أهل الهيئة . وقال الامام ابن القيم في كتابه : « روضة المهين ونزهة المشتاقين » : ربما كان صلى الله عليه وسلم يطوف عليهن بغسل واحد ، وربما كان يقتسل عند كل واحدة منهن .

وقوله : في عدد نسائه صلى الله عليه وسلم وهن إحدى عشرة ، وفي الرواية الاخرى : تسع نسوة . وجمع ابن حبان في « صحيحه » بين الروايتين : بأن حمل ذلك على حائنين ، لكنه وم في قوله : ان الأولى كانت في أول قدومه المدينة ، حيث كان تحته تسع نسوة ، والحالة الثانية في آخر الامر ، حيث اجتمع عنده إحدى عشرة امرأة ، كما في « الفتح » وموضع الووم منه : أنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة لم يكن تحته امرأة سوى سودة ، ثم دخل على عائشة بالمدينة ، ثم تزوج ام سلمة ، وحفصة ، وزينب بنت خزيمة ، في الثالثة والرابعة ، ثم تزوج زينب بنت جحش في الخامسة ، وتقدم عن « منتخب » الحافظ ابن الجوزي ، انه صلى الله عليه وسلم تزوج بها بعد سنة ثلاث من الهجرة . وكذا قال البرماوي : انه تزوجها في الرابعة ، ثم جويرة في الخامسة ، ثم صفية وام حبيبة ، وميمونة - على ما في الطقمي وغيره - في السابعة<sup>(١)</sup> ، وهو لأن جميع من دخل بهن من الزوجات بعد الهجرة على المشهور .

واختلف في ريمانة ، وكانت من سبي بني قريظة : فجزم ابن اسحق : بأنه عرض عليها أن يتزوجها ، ويضرب عليها الحجاب ، فاخترت البقاء في ملكه . والاكثر على انها ماتت قبله في سنة عشر ، وكذا ماتت زينب بنت خزيمة بعد دخولها عليه بقليل . قال ابن عبد البر : مكثت عنده شهرين أو ثلاثة ، فعلى هذا لم يجتمع عنده من الزوجات اكثر من تسع ، مع السوداء كانت وهبت يومها لعائشة ،

---

(١) وعلى هامش الأصل : والذي يظهر أن تزويجه صلى الله عليه وسلم بأم حبيبة كان قبل السابعة كما نعلم من السير .

فلهذا رجحت رواية التسع على الاحدى عشرة . لكن تحمل رواية الاحدى عشرة على ضم مارية وريحانة الى الزوجات ، وأطلق عليهن لفظ نسائه تقليباً . وقد ذكر الحافظ الهمياطي في « سيرته » : ان جميع من اطلع عليه من ازواجه رضي الله عنهم ، ممن دخل بها ، أو عقد عليها فقط ، أو طلقها قبل الدخول ، أو خطبها ولم يعقد عليها ، فبلغت ثلاثين . وانكره الامام ابن القيم عليه . وقد جاء عن أنس رضي الله عنه : انه رضي الله عنه تزوج خمس عشرة ، دخل منهن باحدى عشرة ، ومات عن تسع : وهن سودة وعائشة وحفصة وام سلمة وزينب بنت جحش وام حبيبة وجويرة وصفية وميمونة ، فهؤلاء مات رضي الله عنهم وهن في عصمته . وكان رضي الله عنه يقسم لثمان منهن ، وأما سودة رضي الله عنها فلم يكن يقسم لها ، فانها وهبت نوبتها لعائشة رضي الله عنها . تبتني بذلك رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة .

وفي الحديث دليل على فضيلة الجماع وقوة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك ، وانه اعطي قوة ثلاثين رجلاً . وفي رواية : أربعين بدل ثلاثين في الجماع . وفي « صفة الجنة » لأبي نعيم من طريق مجاهد : من رجال أهل الجنة . وروي من حديث عبد الله بن عمرو رفته : « أعطيت قوة أربعين في البطش والجماع » ، وأخرج الامام أحمد والنسائي وصححه الحاكم ، من حديث زيد بن أرقم رفته : « إن الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة ، في الأكل والشرب والجماع والشهوة » . وفي « سنن الترمذي » من حديث قتادة عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع » ، قيل : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يطبق ذلك ؟ قال : يعطى قوة مائة ، هذا حديث صحيح . وبهذا يعلم أن قوة نبينا صلى الله عليه وسلم في الجماع ؛ تزيد على قوة سليمان بن داود عليها السلام ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم يكون قد اعطي قوة ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف رجل من أهل الدنيا في الجماع . وفي

« الصحيح » ، أن سليمان عليه السلام طاف في ليلة واحدة على تسمين امرأة . قال القاضي عياض في « الشفاء » : لم تزل العرب والحكام تمدح بقلة الغذاء من الأكل والشرب والنوم ؛ وتدم بكثرة ذلك ؛ لأن كثرة الأكل والشرب ؛ دليل على النهم والحرص والشرة . وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والآخرة ، جالب لادواء الجسد ، وخبثارة النفس (١) وامتلاء الدماغ ، وقلته دليل على القناعة ، وملك النفس . وقع الشهوة . مسبب للصحة ، وصفاء الخاطر ، وحدة الذهن . كما أن كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف . ثم قال : وما اتفق على التمدح بكثرته ووفوره ؛ النكاح ؛ فإنه متفق عليه شرعاً وعادة ، فإنه دليل الكمال وصحة الذكورية ، ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة ، والتهاجد به سيرة ماضية . وفي حديث أنس رضي الله عنه ، أنه ﷺ قال : « فضلت على الناس بأربع : بالسخاء والشجاعة ، وكثرة الجماع ، وقوة البطش » ، قال في « الشفاء » : وإنما كانت العرب تمدح بكثرة النكاح لدلالته على الرجولية ؛ وفيه دليل على كثرة النساء لمن قدر على المدل بينهن . وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : أفضل هذه الأمة أكثرها نساء . وفي لفظ : خير هذه الأمة أكثرها نساء . قال في « الفتح » : قيد بهذه الأمة ليخرج مثل سليمان عليه السلام ، فإنه كان أكثر نساء . وكذلك أبوه داود . ووقع عند الطبراني ، من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : « تزوجوا فإن خيركم ما كان أكثر نساء » ، قيل : المعنى خير أمة محمد من كان أكثر نساء من غيره ، بمن يتساوى معه فيما عدا ذلك من الفضائل ، والذي يظهر أن مراد ابن عباس بالخير ؛ النبي ﷺ ، وبالأمة أخصاء أصحابه ، وكأنه أشار إلى أن ترك التزويج مرجوح ؛ إذ لو كان راجحاً ما آثر النبي ﷺ عليه غيره ، وكان - مع كونه أخشى الناس لله ؛ واعلمهم به - يكثر التزويج لمصلحة

(١) في القاموس : خثرت نفسه : غثت واختلطت .

تبليغ الاحكام التي لا يطلع عليها الرجال . ولاظهار المعجزة البالغة في خرق العادة ، لكونه كان لا يمجذ ما يشبع به من القوت غالباً ، وإن وجد فكان يؤثر بأكثره ، ويصوم كثيراً ويواصل ، ومع ذلك فكان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة ، ولا يطلق ذلك إلا مع قوة البدن ؛ وقوة البدن تامة لما يقوم به من استعمال المقويات ، من ما كول ومشروب ، وهي عنده نادرة أو معدومة .

وفيه دليل على أن القسم لم يكن واجباً عليه ﷺ . وهو قول طوائف من العلماء ، منهم : الامام الحافظ ابن الجوزي من علمائنا ، والاصطخري من الشافعية ، وفي «الاقناع» : ظاهر كلامهم أنه ﷺ في وجوب القسم والتسوية بين الزوجات كغيره . وظاهر كلام ابن الجوزي : انه غير واجب . انتهى . والمشهور عند علمائنا كالشافعية ، والأكثر الوجوب . والجواب عن الحديث ، بأن ذلك كان باستطابتهن ، أو كان الدوران في يوم القرعة للقسم ، قبل أن يقرع بينهما ، أو كان من خصائصه ، وأن الله خصه بمجاز دورانه عليهن في ساعة ، أو كان الدوران بعد العصر . قال ابن العربي : إن الله خص نبيه بأشياء ، منها : انه أعطاه ساعة في كل يوم ، لا يكون لازواجه فيها حق ، يدخل فيها على جميعهن فيفعل ما يريد ، ثم يستقر عند من لها التوبة . وكانت تلك الساعة بعد العصر ، فان اشتغل عنها كانت بعد المغرب . وفي حديث عائشة في «الصحيح» : « كان رسول الله ﷺ اذا انصرف من العصر دخل على نسائه ، فيدنو من إحداهن ، فدخل على حفصة فاحتبس أكثر ما كان يحتبس ، الحديث . وفيه : انه ﷺ خص بالزيادة على نكاح الأربعة . قال علماؤنا كغيرهم : وأبيح له ﷺ أن يتزوج بأي عدد شاء . وفي «الرعاية» : كان له أن يتزوج بأي عدد شاء ، الى أن نزل قوله تعالى : « لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج » <sup>(١)</sup> انتهى . قال في «الاقناع» ، ثم نسخ يعني عدم الحل والتبدل ؛ لتكون المنة لرسول الله ﷺ

(١) سورة الاحزاب ، الآية : ٥٢ وقد وردت في الاصل : لا تحل . وهي قراءة أبو عمرو ويعقوب .

بترك التزوج عليهن . فقال تعالى : «إنا أحللتنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن ، (١) الآية . لكن الواقع انه ﷺ لم يتجدد له تزوج امرأة بعد القصة المذكورة ، وهي قوله تعالى «لا يحل لك النساء من بعد» (٢) قال ابن عباس ومن وافقه : «ان ذلك وقع مجازة لمن على اختيارهن إياه ، لكن روى الترمذي ، والنسائي ، عن عائشة رضي الله عنها : «ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء ، وأخرج ابن أبي حاتم ؛ عن أم سلمة مثله . فهذا يدل على نسخ المتع . وبالله التوفيق .

#### الحديث الثامن

٥٣ - ثنا هشيم ؛ عن عبد العزيز ، عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان إذا دخل الخلاء قال : اللهم إني أعوذ بك من الخُبْثِ والخبائث .

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم عن عبد العزيز) بن صهيب (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (ان رسول الله ﷺ كان) تفيد تكرار هذا القول منه ﷺ مع تكرار الفعل ، كما هو الغالب على دلالة كان . وقد تفيد مجرد وقوع مدخولها من غير تكرار ، وهو من غير الغالب ( اذا دخل الخلاء ) أي أراد أن يدخل المكان الممدد لقضاء الحاجة . وفي «الأدب المفرد» للبخاري : عن أنس رضي الله عنه ، كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يدخل

(١) سورة الاحزاب ، الآية : ٥٠ .

(٢) سورة الاحزاب ، الآية : ٥٢ .

الخلاء، والخلاء ممدود المكان الذي يتوضأ فيه ، سمي بذلك لكونه يتخلى، أى يتفرد فيه. قاله الجوهري. وقال أبو عبيد : يقال لموضع الغائط: الخلاء، والمذهب ، والمرفق ، والمرحاض . وفي رواية في « الصحيحين » أيضاً : « كان إذا دخل الكنيف ، وهو بمعنى الخلاء ، سمي بذلك ؛ لانه يكنف من دخله ، أى يستره . قال في « القاموس » الكنيف كأمر: المرحاض (قال: اللهم) تقدم ان الميم عوض عن ياء النداء ولهذا لا يجمع بينها في اختيار الكلام (إني أعوذ) أي أتحرز وأتحصن .

قال الامام ابن القيم في كتابه « بدائع الفوائد » : أعلم ان لفظه عاذ وما تصرف منها ، تدل على التحزر والتحصن والاتجاء ، وحقيقة معناها الهروب من شيء تخافه الى من يمصمك منه ، ولهذا يسمى الاستعاذ به معاذاً ، كما يسمى ملجأ ، وفي الحديث : « لما دخل النبي ﷺ على ابنة الجون ، فوضع يده عليها قالت : أعوذ بالله منك ، فقال : لقد عذت بمعاذ ، الحقي بأهلك ، فمضى أعوذ : التجأ واعتصم وأتحرز . وفي أصله قولان : أحدهما مأخوذ من الستر ، لان العرب تقول للبيت الذي في أصل الشجره ؛ قد استتر بها : « عوذ » بضم العين المهملة وتشديد الواو مفتوحة . فكأنه لما عاذ بالشجرة ، واستتر بأصلها وظلها ، سمي عوداً ، فكذا المأخذ قد استتر من عدوه بمن استعاذ به . الثاني : أنه مأخوذ من اللزوم والمجاورة ، لأن العرب تقول للحم اذا لصق بالمظم فلم يتخلص منه : عوذ ، لأنه اعتصم به ، واستمسك بالمعاذ به ، واعتصم وئزمه ( بك ) يا الله لا بفيرك ، وأجرى عليه ضمير الخطاب لاستشماره قربه منه (١) ، وانه معه بملءه وحفظه له جل شأنه ( من الخبث ) قال الحافظ عبد الغني المقدسي الجماعيلي : في « عمدة الاحكام » بضم الخاء المعجمة ، والباء الموحدة فثلثة ، جمع خبيث ( والخبائث ) جمع خبيثة . قال الخطابي : لا يجوز غيره ، وغلط من سكن الباء

(١) في الاصل : ومنه .

الموحدة ، وتمقب : بأنه يجوز الاسكان ؛ كما في نظائره مما جاء عى هذا الوجه ،  
 ككتب ورسل وسبل ، فعلى هذا يكون قد استماذ من ذكر ان الشياطين  
 وإناتهم ، وإنما كان ﷺ يستميد مع المصمة والحفظ والعناية الحاصلة له من  
 البارى جل وعلا اظهاراً للمبودية ، ويجبر بذلك للتشريع والتعليم . وقد روى هذا  
 الحديث الممري من طريق عبد العزيز بن المختار ، عن عبد العزيز بن سبب بلفظ  
 الامر ، قال : « اذا دخلتم الخلاء فقولوا : باسم الله ، أعوذ بالله من الخبث والخبائث »  
 واستاده على شرط مسلم ، وفيه زيادة التسمية . قال الحافظ ابن حجر : ولم  
 أرها في غير هذه الرواية . انتهى . قلت : لعله أراد : لم يرها في الحديث المذكور ،  
 وهو حديث أنس بن مالك ، والا فقد روى ابن ماجه والترمذي ، من حديث  
 علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ستر ما بين الجن وعورات بني آدم  
 « اذا دخل أحدكم الخلاء أن يقول : بسم الله » وروى سعيد بن منصور حديث  
 أنس ، فذكر « بسم الله » ، أعوذ بالله من الخبث والخبائث ، قال الامام أحمد رضي  
 الله عنه : ما دخلت المتوضأ ولم أقلها إلا أصابني ما اكره . وروى أبو داود وابن  
 ماجه من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن هذه  
 الحشوش محتضرة ، فاذا دخل أحدكم فليقل : اللهم إني أعوذ بك من الخبث  
 والخبائث ، الحشوش جمع حش ، وهي في الأصل : البساتين ، كانوا يقضون  
 الحاجة فيها ، ثم سمي به موضع قضاء الحاجة . والمحتضرة : التي تمضرها الشياطين  
 ولذلك أمر بذكر الله والاستعاذة قبل دخولها ، ليكون ذلك حصناً  
 ومعاداً منها .

ويستحب أن يقدم رجله اليسرى دخولا ، واليمنى خروجاً ، لأن اليمين  
 لما شرف ، واليسرى لما خبت ، والخروج من محل الخبث يمن في الجملة ، عكس  
 مسجد ومنزل ، وروى ابن جاجة من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً :



« لا يمجز أحدكم إذا دخل مرفقه أن يقول : اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس ، ، الخبث الخبث ، الشيطان الرجيم ، قال في « المطلع » : الرجس : القدر ، والنجس اسم فاعل من نجس بنجس فهو نجس ، كفرح يفرح فهو فرح . وقال الفراء : إذا قالوه مع الرجس أتيموه إياه فقلوا : رجس نجس بكسر النون وسكون الجيم ، وهو من عطف الخاص على العام ، فإن الرجس النجس : الشيطان الرجيم ، قد دخل في الخبث والخبائث ، لأن المراد بهم الشياطين .

### تنبيهات

الأول : حديث أنس هذا رواه الجماعة .

الثاني : ضبط لفظ الخبث والخبائث الذي ذكرناه عن الحافظ عبد النبي في « عمدته » وصوبه الخطابي ، صرح جماعة من الأئمة وأهل المعرفة : بأن الباء في الخبث ساكنة ، منهم أبو عبيد ، إلا أنه يقال : إن ترك التخفيف أولاً لئلا يشبه بالمصدر . قال في « الفتح » : وقع في نسخة ابن عساكر ، يعني من « صحيح البخاري » قال أبو عبد الله ، يعني البخاري : ويقال : الخبث باسكان الموحدة ، فإن كانت مخففة من الحركة ؛ فقد تقدم توجيهه ، يعني أنه جمع خبيث لذكران الشياطين ، وإن كان بمعنى المفرد فمناه كما قال ابن الأعرابي : المكروه ؛ قال : فإن كان من الكلام فهو الشتم ؛ وإن كان من الملل فهو الكفر ؛ وإن كان من الشراب فهو الضار ؛ وعلى هذا فالمراد بالخبائث : المماصي ، أو مطلق الافعال المذمومة ؛ ليحصل التناسب . قال : ولهذا وقع في رواية الترمذي وغيره : « أعوذ بالله من الخبث والخبث ، أو الخبث والخبائث ، هكذا على الشك الأول بالاسكان مع الافراد ، والثاني بالتحريك مع الجمع ، أي من الشيء المكروه ، ومن الشيء المذموم ، أو ذكران الشياطين وإناتهم . انتهى . وقال في « المطلع » : الخبث باسكان الباء ،

قال أبو عبيد : هو الشر ، وقال ابن الانباري : هو الكفر ، والخبائث : الشياطين .  
وقال الداودي : الخبث الشيطان ، والخبائث المعاصي ، قال : وقيل : الخبائث إناث  
الجن ، والخبث بضم الباء ذكورهم جمع خبيث . وقيل : استماد من الخبث نفسه  
الذي هو الكفر ، ومن الخبائث التي هي الاخلاق الخبيثة .

الثالث : يسن للمتخلي اذا خرج أن يخرج برجله اليمنى ويقول : غفرانك ،  
الحمد لله الذي أذهب عني الاذى وعافاني ؛ لما روت عائشة رضي الله عنها قات :  
كان رسول الله ﷺ اذا خرج من الخلاء قال : غفرانك ، رواه الامام أحمد ،  
وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه . قال الترمذي : انه حديث حسن غريب .  
وروي ابن ماجه ، من حديث أنس رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ  
اذا خرج من الخلاء قال : الحمد لله الذي أذهب عني الاذى وعافاني ، وذكره  
الامام أحمد .

وكان نوح عليه السلام يقول : الحمد لله الذي أداقني لذته ، وأبقى في منعمته ،  
وأذهب عني آذاه .

الرابع : المراد بالخلاء : محل قضاء الحاجة ، حتى لو بال أو تفوط في  
نحو إناء ، لكن إن كان قضاء الحاجة في الأمكنة الممدة لذلك قال الذكر  
المشروع عند إرادة دخولها ، وإلا فيقوله عند الشروع في ذلك ، كرفع ثيابه .  
وبالله التوفيق .

### الحديث التاسع

٥٤ - ثنا هشيم قال : أنا عبيد الله بن أبي بكر ، بن

أنس ، عن جده أنس بن مالك ، قال : قال : رسول الله ﷺ :  
إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : وعليكم

قال رضي الله عنه : ( ثنا هشيم قال : أنا عبيد الله بن أبي بكر ، بن أنس )  
بن مالك الأنصاري النجاري ، ثقة ثبت من رجال « الصحيحين » ( عن جده  
أنس بن مالك ) وفي « البخاري » حدثنا أنس بن مالك يعني جده رضي الله عنه  
( قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا سلم عليكم ) معشر المسلمين  
( أهل الكتاب ) من اليهود والنصارى ( فقولوا ) في الرد عليهم ( وعليكم )  
كذا رواه عبيد الله عن جده مختصراً ، ورواه قتادة عن أنس أمه منه ، أخرجه  
مسلم ، وأبو داود والنسائي من طريق شعبة عنه بلفظ : « إن أصحاب النبي ﷺ  
قالوا : إن أهل الكتاب يسلون علينا ، فكيف نرد عليهم ؟ قال : قولوا : وعليكم ،  
وتقدم هذا الحديث والكلام عليه في الرابع من مسند ابن عمر رضي الله عنها ،  
لكن بلفظ : « إذا سلم عليكم اليهودي فأنما يقول : السام عليك » ... الحديث .

### الحديث العاشر

٥٥ - ثنا هشيم قال : قال عبيد الله بن أبي بكر ،  
أخبرنا أنس ويونس ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله  
ﷺ : أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً . قيل : يارسول الله !  
هذا نصرته مظلوماً ، فكيف أنصره ظالماً ؟ قال : تجزئه ،  
نعمه ، فإن ذلك نصره .

قال رضي الله عنه : ( ثنا هشيم قال : قال عبيد الله بن أبي بكر ) بن أنس  
ابن مالك رضي الله عنه ( أخبرنا أنس ) بن مالك يعني جده رضي الله عنه ، قال  
هشيم ( و ) قال ( يونس ) هو : ابن عبيد بن دينار البصري ، أحد الأعلام ،  
قال في « الوافي بالوفيات » : رأى أنس بن مالك ، وروى عن إبراهيم التيمي ،  
والحسن البصري ، وابن سيرين ، وحמיד بن هلال ، وزباد بن جبير ، وعمرو  
بن سعيد الثقفي ، وثابت البناني ، ونافع ، وعدة . هو ثقة حافظ ثبت ، ورع رأس  
في السلم والعمل ، له مناقب كثيرة . توفي سنة تسع وملائين ومائة . روى له  
الجماعة ، وروى عنه الثوري وشعبة والحامدان والسفيانان وهشيم وغيرهم . وقد  
قال أبو حاتم في يونس : هو أكبر من سليمان التيمي ، ولا يبلغ التيمي منزلة  
يونس ، وقال سعيد بن عامر : ما رأيت رجلاً قط أفضل من يونس بن عبيد  
رحمه الله تعالى ( عن ) أبي سعيد ( الحسن ) بن أبي الحسن ، واسم أبي الحسن  
يسار البصري ، من سبي ميسان ، مولى زيد بن ثابت . ولد لسنتين بقينا من  
خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المدينة ، وقدم البصرة بعد مقتل عثمان  
ابن عفان رضي الله عنه ، ورأى عثمان ، وقيل : إنه لقي علياً بالمدينة ، وأما  
بالبصرة فلم تصح رؤياه له ؛ لأنه كان في وادي القرى ، متوجهاً نحو البصرة  
حين قدم علي رضي الله عنه البصرة . ويقال : إن الحسن لقي طلحة ، وعائشة ،  
ولم يصح له منها سماع . وروى عن غيرها من الصحابة مثل أبي بكر التقي ،  
وأنس بن مالك ، وسمرة بن جندب ، وابن عمر ، وقيس بن عاصم ، وجندب  
ابن عبد الله ، ومقل بن يسار ، وعمرو بن تغلب ، بالثنائة والغبين المعجمة  
وكسر اللام . وعبد الرحمن بن سمرة ، وأبي برزة الأسلمي ، وعمران بن  
الحصين ، وعبد الله بن مغفل وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم . قال الفضيل  
بن عياض : سألت هشام بن حسان ، كم أدرك الحسن من الصحابة ؟ قال :

مائة وثلاثين . وعن الحسن قال : غزونا غزوة الى خراسان معنا فيها ثلاث مائة من أصحاب رسول الله ﷺ ، وقد روى الحسن عن أمه أم سلمة رضي الله عنها ، في غسل بول القلام ، في كتاب الطهارة من « سنن أبي داود » ، وقد حضر يوم الدار ، وعمره أربع عشرة سنة . وتقدم أن أباه يسار : بفتح المثناة تحت ، وبعدها سين مهملة ، من سي ميسان : بفتح الميم ، وسكون التحتية . وبالسين المهملة ؛ قال السمعاني : هي بليدة بأسفل البصرة . وكان المغيرة بن شعبة رضي الله عنه افتتحها ، قال ابن سعد : خيرة<sup>(١)</sup> فدفع الى المدينة ، فاشترته الربيع . بالتصغير . بنت النضر ، بالضاد المعجمة ، عممة أنس بن مالك فأعتقته ، ويروى عن الحسن أنه قال : كان أبواي لرجل من بني النجار ، فتزوج امرأة من بني سلمة ، فساقها إليها من مهرها فأعتقتها . كذا قال . لكن المشهور أن أمه واسمها خيرة ، بالخاء المعجمة المفتوحة ، وبعدها مثناة من تحت ساكنة ، كانت مولاة لأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، زوج النبي ﷺ ، قالوا : فربما خرجت أمه في شغل فيسكي ، فتمطيه أم سلمة تديها فيدر عليه ، فيرون أن تلك الفصاحة والحكم من بركة ذلك . قال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح من الحسن البصري ، ومن الحجاج بن يوسف الثقفي . فقيل له : فأيهما كان أفصح ؟ قال : الحسن . ونشأ بوادي القرى ، وكان أجمل أهل البصرة . وحكى الأصمعي ، عن أبيه قال : ما رأيت أعرض زناً من الحسن ، كان عرض زنده شبراً .

تنبية : أكثر العلماء والحفاظ من أئمة هذا الشأن ، أنكروا سماع الحسن البصري من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وتمسك به من الأئمة المتأخرين والحفاظ المتبرين جماعة ، منهم شيخ الاسلام ابن تيمية ، وأثبتته جماعة من الحفاظ أيضاً ، منهم الامام الحافظ ضياء الدين المقدسي الحنبلي في « المختارة » . فانه قال : الحسن روى عن علي رضي الله عنه . وقيل : لم يسمع

(١) أي : أمه خيرة .

منه . وتبعه على هذه العبارة : الحافظ بن حجر في « أطراف المختارة » . وقد علمت أن الحسن ولد لستين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه بانفاق ، وكانت أمه خيرة مولاة أم سلمة رضي الله عنها ، فكانت تخرجه الى الصحابة يباركون عليه ، وأخرجته الى عمر رضي الله عنه ، فدعاه بقوله : اللهم فقهِه في الدين ، وحببه الى الناس . ذكره الحافظ جمال الدين المزي في « التهذيب » ، وأخرجه العسكري في « كتاب المواعظ » بسنده ، وتقدم أنه حضر يوم الدار وله أربع عشرة سنة ، كما ذكره المزي وغيره . ومن المعلوم أنه من حين بلغ سبع سنين أمر بالصلاة ، فكان يحضر الجمعة والجماعة ، فكيف يستنكر سماع الحسن من علي ؟! مع اجتماعه بالصحابة كل يوم في المسجد خمس مرات من حين ميّز الى أن بلغ أربع عشرة سنة؛ مع أن أمير المؤمنين كان يزور أمهات المؤمنين ، ومنهن أم سلمة رضي الله عنها ، والحسن في بيتها هو وأمه . وأيضاً فقد ورد عن الحسن البصري ما يدل على سماعه من علي رضي الله عنه ، فقد أورد المزي في « التهذيب » من طريق أبي نعيم ، عن يونس بن عبيد قال : سألت الحسن ، قلت : يا أبا سعيد : إنك تقول : قال رسول الله ﷺ وانك لم تدريه ؟ قال : يا ابن أخي لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد قبلك ، ولولا منزلتك مني ما أخبرتك ، إني في زمان كما ترى ، وكان في عمل الحجاج ، كل شيء سمعته أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو عن علي بن أبي طالب ، غير أنني في زمان لا أستطيع أن اذكر عليّاً .

وقد روى الامام أحمد في « المسند » : ثنا هشيم ، ثنا يوسف ، عن الحسن ، عن علي رضي الله عنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : رفع اقلم عن ثلاثة : عن الصغير حتى يبلغ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المصاب حتى يكشف عنه » . وأخرجه الترمذي وحسنه ، والنسائي والحاكم ، وصححه الضياء

المقدسي في « المختارة » : قال الحافظ زين الدين العراقي في « شرح الترمذي » :  
قال علي بن المديني : الحسن رأى علياً بالمدينة وهو غلام . وقال أبو زرعة : كان  
الحسن يوم بويج لعلي بن أربع عشرة سنة ، ورأى علياً بالمدينة ، ثم خرج الى  
الكوفة والبصرة ، ولم يلقه الحسن بعد ذلك . وقال الحسن : رأيت الزبير يبايع  
علياً . انتهى كلام العراقي .

وقد روى الدارقطني عدة أحاديث عن الحسن عن علي ، وكذلك النسائي  
روى عن الحسن عن علي ، وروى الطحاوي من أحاديث الحسن عن علي قال :  
« ليس في مس الذكر وضوء » ، وقد روى جماعة من المصنفين عدة أحاديث عن  
الحسن عن علي رضوان الله عليه ، قال الحافظ ابن حجر في « تهذيب التهذيب » :  
قال يحيى بن معين ؛ لم يسمع الحسن من علي بن أبي طالب . قيل : ألم يسمع من  
عثمان ؟ قال : يقولون عنه : رأيت عثمان قام خطيباً . وقال غير واحد : لم يسمع من  
علي . وقد روى عنه غير حديث ، وكان علي لما خرج بعد قتل عثمان ، كان  
الحسن بالمدينة ، ثم قدم البصرة فسكنها الى أن مات .

قال الحافظ ابن حجر : ووقع في « مسند » أبي يعلى الموصلي قال : حدثنا  
جويرة بن اسير قال : أخبرنا عقبة بن أبي الصهباء الباهلي قال : سمعت الحسن  
يقول : سمعت علياً قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل أمي مثل المطر » ... الحديث .  
قال محمد بن الحسن بن الصيرفي : هذا نص صريح في سماع الحسن من علي  
رضي الله عنه ، ورجاله ثقة ، جويرة وثقه ابن حبان ، وعقبة وثقه الامام أحمد  
وابن معين .

وجلالة الحسن البصري وإمامته ، وزهده وورعه مالا يخفى ، ومناقبه  
ومآثره لا تحصى . قال ابن خلكان كفيده : كان الحسن من سادات التابعين  
وكبرائهم وجمع كل فن ، من علم وزهد ، وورع وعبادة . قال أبو بردة : أدركت

الصحابة فما رأيت أحداً أشبه بهم من الحسن . وقال خالد بن رباح الهذلي :  
سئل أنس ابن مالك رضي الله عنه عن مسألة فقال : سلوا مولانا الحسن ، فقيل له في  
ذلك ، فقال : انه قد سمع وسمعتنا ، فحفظ الحفظ ونسينا . وقال سليمان التيمي :  
الحسن شيخ أهل البصرة . وقال ابراهيم بن عيسى : مارأيت أطول حزناً من  
الحسن ، ومارأيتسه قط إلا حسبته حديث عهد بمصيبة . وقال غيره : لو رأيت  
الحسن لقلت : قد بث عليه حزن الخلائق . وقال يزيد بن حوشب : مارأيت  
أخوف من الحسن ، وعمر ابن عبد العزيز ، كأن النار لم تخلق إلا لها . وقال  
ابن أسباط : مكث الحسن ثلاثين سنة لم يضحك ، وأربعين سنة لم يعزح .

ومن كلامه : نضحك ولعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا ! فقال: لا أقبل  
منكم شيئاً . وقال : ماسمع الخلائق بيوم قط أكثر عورة بادية ، وعيناً باكية ،  
من يوم القيامة ، المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته ، لا يأمن شيئاً حتى  
يلبغ الله .

ومن كلامه : يا ابن آدم بع دنياك بأخرتك ترجمها جميعاً ، ولا تبع آخرتك  
بدنياك فتخسرهما جميعاً . وقال : حادثوا هذه القلوب فانها سريمة الدثور ،  
واقدعوا<sup>(١)</sup> هذه النفوس فانها طلعة ، ان هذا الحق جهد الناس ، وحال بينهم وبين  
شهواتهم ، وانما صبر على الحق من عرف فضله ، ورجا عاقبته .

ومآثر الحسن البصري كثيرة جداً ، رحمه الله ورضي عنه . توفي بالبصرة  
مستهل رجب سنة عشر ومائة ، وكانت جنازته مشهودة . قال حميد الطويل :  
توفي الحسن عشية الخميس ، وأصبحنا يوم الجمعة ففرغنا من أمره ، وحملناه بمد  
صلاة الجمعة ودفناه ، فتبع الناس كلهم جنازته ، واشتملوا به فلم تقم صلاة العصر  
بالجامع ، قال : ولا أعلم أنها تركت مذ كان الاسلام إلا يومئذ ، لأنه لم يبق في

(١) وعلى هامش الاصل : قوله : وأقدعوا، قدعه كمنه كفه ، وقدع فرسه : كبه .



المسجد من يصلي العصر . وكان أعمي على الحسن قبيل موته ثم آفاق فقال : لقد  
 بهنموني من جنات وعيون ومقام كريم . وقال رجل قبل موت الحسن لابن  
 سيرين : رأيت كان طائراً أخذ أحسن حصة بالمسجد ؟ فقال : إن صدقت رؤياك  
 مات الحسن . فلم يكن إلا قليلا حتى مات الحسن ، ولم يحضر ابن سيرين جنازته  
 لشيء كان بينها . ثم توفي ابن سيرين بعده بمائة يوم . والله أعلم .

( قالوا ) يعني أنس بن مالك رضي الله عنه ، والحسن البصري رحمه الله :  
 فارسه الحسن ، ولكنه متصل الاسناد مرفوع ، من حديث أنس رضي الله عنه ،  
 ورواه البخاري في « صحيحه » : ثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا هشيم ، أخبرنا  
 عبيد الله بن أبي بكر بن أنس ، وحميد الطويل سمع أنس بن مالك رضي الله عنه  
 يقول : ( قال رسول ﷺ : انصر أخاك ) وأخرجه أبو نعيم في « المستخرج »  
 من الوجه الذي أخرجه البخاري ، من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعا بلفظ :  
 « أعن أخاك » ، أي في الدين ، والنصرة الاعانة ، يقال : نصره ينصره نصراً ، اذا  
 أعانه على عدوه ، وشد منته حال كونه الأخر المحتاج الى النصرة ( ظالماً ) بأن تمنمه  
 من الظلم ، من تسمية الشيء بما يؤول اليه ( أو مظلوماً ) بأن تعينه على ظلمه ،  
 وتخلصه منه ( قيل ) وفي « البخاري » : قالوا . وفي لفظ عند البخاري : فقال  
 رجل . وبعضهم فسره بأنس ( يارسول الله هذا ) إشارة الى مافي الذهن من  
 الرجل الذي أمر ﷺ بنصرته ( نصرته ) في حال كونه ( مظلوماً ) بالاعانة  
 والخلص من ظالمه ( فكيف أنصره ) حال كونه ( ظالماً ؟ ) يارسول الله ( قال )  
 ﷺ ( تحجزه ) بفتح التاء المثناة من فوق ، من حجزه يحجزه حجزاً أو حجازة :  
 أي منعه وكفه ، فالحجز أي ( تمنمه ) من ظلمه ، وتحول بينه وبينه ، ولفظ  
 البخاري : « تأخذ فوق يديه » . قال شراحه : أي تمنمه من الظلم ، قالوا :  
 ولفظة فوق مقحمة ، أو ذكرت إشارة الى الاخذ بالاستملاء والقوة . وفي رواية

الاسماعيلي من حديث حميد عن أنس رضي الله عنه قال : « تكفنه عن الظلم فذاك نصره إياه » ، ورواه الترمذي أيضاً . وفي بعض ألفاظه عند البخاري والترمذي فقال : « فقال رجل يارسول الله انصره اذا كان مظلوماً ، أفرأيت ان كان ظالماً كيف أنصره ؟ قال : تحجزه أو تمنعه عن الظلم ( فان ذلك نصره ) . ورواه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً ، إن كان ظالماً فليمنه ؛ فانه له نصرة ، وإن كان مظلوماً فلينصره » . وقال ابن بطال : النصر عند العرب الاعانة . وتفسيره لنصر الظالم بمنعه من الظلم ، من تسمية الشيء بما يؤول اليه ، وهو من وجيز البلاغة . وقال البيهقي : معناه ان الظالم مظلوم في نفسه ، فيدخل فيه ردع المؤمن عن ظلمه لنفسه حساً ومعنى ، فلو رأى إنساناً يريد أن ينجب نفسه ، لظنه ان ذلك يزيد مفسدة ظلمه لئلا مثلاً ؛ فمنه من ذلك ؛ وكان ذلك نصراً له ، واتحد في هذه الصورة الظالم والمظلوم .

### تنبيهات

الأول : أصل الظلم الجور ، ومجازة الحد ، ومعناه الشرعي : وضع الشيء في غير موضعه الشرعي . وقيل : التصرف في ملك الغير بغير إذنه . وقد نقل هذا عن أبياس بن معاوية ، والظلم نوعان :

أحدهما : ظلم النفس ، وأعظمه الشرك كما قال تعالى : « إن الشرك لظلم عظيم » (١) فان الشرك جعل الخلق بمنزلة الخالق ، فعبدته وتألّمه ، فوضع الاشياء في غير موضعها ، واكثر ما ذكر في القرآن من وعيد الظالمين ؛ إنما أريد به الشركون ،

(١) سورة لقمان ، الآية : ١٣

كما قال تعالى : « والكافرون هم الظالمون » (١) . ثم يليه المعاصي على اختلاف  
أجناسها من كبار الذنوب وصغارها .

الثاني : ظلم العبد لغيره ، وفي الحديث القدسي الذي رواه أبو ذر عن  
النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل انه قال : « يا عبادي إني حرمت الظلم على  
نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » ، رواه الامام أحمد ، ومسلم ، والترمذي ،  
وابن ماجة . وقد قال ﷺ في خطبته في حجة الوداع : « إن دماءكم وأموالكم  
وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا .  
وفي رواية : ثم قال : « اسمعوا متى تعيشوا ، ألا لا تظالموا ، ألا لا تظالموا ،  
إنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه » . وفي « الصحيحين » ، من حديث ابن  
عمر رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : « الظلم ظلمات يوم القيامة » ورواه  
الامام أحمد ، والطبراني في « الكبير » ، والبيهقي في « شعب الایمان » ، بلفظ : « اتقوا  
الظلم » . وفي لفظ : « يا أيها الناس اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة » .  
ورواه الامام أحمد أيضاً ، والبخاري في « الأدب المفرد » ، ومسلم في « صحيحه » ،  
من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها مرفوعاً ، وفي « الصحيحين » عن أبي  
موسى الأشمري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ انه قال : « ان الله ليملي للظالم  
حتى إذا أخذه لم يقفئه » ، ثم قرأ : « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي  
ظالمة » (٢) .

الثاني : الظالم : هو الممتدي ، والمظلوم : المتمدى عليه . وعلى الظالم أن  
ينزع عن ظلمه ، ويدفع للمظلوم ظلامته ان كانت مالية ، لامكان المفاوضة عنها ، أو

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٥٤

(٢) سورة هود ، الآية : ١٠٢

يتحلله من تلك الظلّامة . وفي « صحيح البخاري » ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ انه قال : « من كانت عنده مظالم لأخيه فليتحللها منها ، فانه ليس ثم دينار ولا درهم ، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته ، فان لم تكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرح عليه » . قال في « الآداب الكبرى » .  
 اذا اغتاب إنساناً ؛ إن علم به المظلوم استحلّه ؛ وإلا دعاه واستغفر ولم يعلمه .  
 وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية : انه قول الاكثرين . قال في « الآداب » : ذكر غير واحد : ان تاب من قذف انسان أو غيبته قبل علمه به ، هل يشترط لتوبته إعلامه والتحلل منه ؟ على روايتين . واختار القاضي أبو يعلى : أنه لا يلزمه ، لما روى الخلال بإسناده ، عن أنس مرفوعاً : « كفارة من اغتاب ، أن يستغفر له ، ولأن في إعلامه ادخال غم عليه . قال القاضي : فلم يجز ذلك ، وكذا قال الشيخ عبد القادر قدس الله سره : إن كفارة الاغتيال ما روى أنس... الحديث . وخبر أنس المذكور ، ذكره ابن الجوزي في « الموضوعات » مع أنه ذكره في « الحدائق » وقال : إنه لا يذكر فيها إلا الحديث الصحيح . وقال ابن عبد البر في كتاب « مهجة المجالس » : قال حذيفة رضي الله عنه : « كفارة من اغتابه ان تستغفر له » . وقال عبد الله بن المبارك لسفيان ابن عيينة : التوبة من الغيبة أن تستغفر لمن اغتابه ، فقال سفيان ابن عيينة : بل تستغفره مما قلت فيه ، فقال ابن المبارك : لا تؤده مرتين . ومثل قول ابن المبارك ، اختار شيخ الاسلام ابن تيمية ، وابن الصلاح من الشافعية في فتاويه ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية بعد أن ذكر الروايتين في المسألة المذكورة ، قال : كل مظلمة في المرض ، من اغتاب صادق ، وبهت كاذب ، فهو في معنى القذف ، اذ القذف قد يكون صادقاً فيه ، فيكون في الغيب غيبة ، وقد يكون كاذباً فيكون بهتاً ، قال : واختار أصحابنا انه لا يعلمه ، بل يدعو له دعاء يكون إحساناً اليه في مقابلة مظلمته . قال في « الآداب » : وهذا أحسن من

إعلامه ، فان في إعلامه زيادة إيذاء له . فان تضرر الانسان بما علمه من شتمه أبلغ من تضرره بما لا يعلم ، ثم قد يكون ذلك سبب المدوان على الظالم أولاً ، إذ النفوس لا تقف غالباً عند الانصاف والمدل ، فيض هذا ، في إعلامه هذان الفسادان ، مع زوال ما بينها من كمال الألفة والمحبة ، أو تجدد القطيعة والبغضة ، مع أن الله أمر بالجماعة ، ونهى عن الفرقة ، وليس في إعلامه فائدة إلا تمكينه من استيفاء حقه ، كما لو علم فان له أن يعاقب ، إما بالمثل إن أمكن ، أو بالتعزير ، أو بالحد ، وإذا كان في الإبقاء من الجنس مفسدة ، عدل الى غير الجنس كما في « القذف » وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه : سئلت عن نظير هذه المسألة ، وهو أن رجلاً تعرض لامرأة غيره ؛ فزنى بها ، ثم تاب من ذلك ، وسأله زوجها عن ذلك فأنكر ، فطلب استحلافه ، فان حلف على نفي الفعل ؛ كانت يمينه غموساً ، وإن لم يحلف قويت التهمة ، وإن أقر جرى عليه وعليها من الشر أمر عظيم ، قال : فاقبته أنه يضم الى التوبة فيما بينه وبين الله تعالى الاحسان الى الزوج بالدعاء والاستغفار ، أو الصدقة عنه ، ونحو ذلك مما يكون بازاء إيذائه له في أهله ، فان بازناها تطلق حق الله ، وحق زوجها من جنس حقه في عرضه ، وليس هو مما يجبر بالمثل كالدماء والاموال ، بل هو من جنس القذف الذي جزاؤه من غير جنسه ، فتكون توبة هذا ، كتوبة القاذف ، وتعمريضه كتعمريضه ، وحلفه على التعمريض كحلفه ، وأما لو ظلمه في دم أو مال ؛ فانه لا بد من إيفاء الحق ؛ فان له بدلا . وقد نص الامام أحمد رضي الله عنه على الفرق بين توبة القاتل ، وتوبة القاذف . قال : وهذا الباب ونحوه ، فيه خلاص عظيم ، وتفريج كربات النفوس ، من آثار المعاصي والمظالم ، فان الفقيه كل الفقيه الذي لا يؤيس الناس من رحمة الله عز وجل ، ولا يجربهم على معاصي الله تعالى ، وجميع النفوس تذب ، فتعريفها بما يخلصها من الذنوب

بالتوبة، والحسنات الماحيات، كالكفارات والمقوبات؛ من أعظم فوائد الشريعة.  
وبالله التوفيق .

الثالث : نصر المظلوم فرض كفاية ، وتعين فرضيته على السلطان ، وقد دل الحديث على أن المؤمن مأمور أن ينصر أخاه ، والمسلم أخو المسلم في الدين ، وكل شيئين بينها اتفاق يطلق عليها اسم الاخوة ، ويتناول قوله ﷺ : - أنصر أخاك - كل مسلم من ذكر وأنثى وحر وعبد وبالغ ومميز .

وأخرج أبو داود من حديث أبي طلحة الانصاري ، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم ، عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من إمريء مسلم يخذل امرءاً مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمة ، وينتقص فيه من عرضه ، إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته ، وما من إمريء ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمة ، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته . »

وأخرج الامام احمد من حديث أبي أمامة بن سهل عن أبيه عن النبي ﷺ قال : « من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره ؛ أذله الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة . »

وأخرج البزار من حديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال : « من نصر أخاه بالنيب وهو يستطيع نصره ؛ نصره الله في الدنيا والآخرة . »  
ومن ذلك كذب المسلم لأخيه ، فلا يحمل له أن يحدته فيكذبه ، بل لا يحدته إلا صدقاً .

وروى أبو الشيخ في « كتاب التوبيخ » عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : « أمر بعبد من عباد الله يضرب في قبره مائة جلدة ، فلم يزل يسأل ويدعو حتى صارت جلدة واحدة ، فأمتلأ قبره عليه ناراً ، فلما ارتفع عنه وأفاق ؛ قال علام جلدتوني ؟ قالوا : إنك صليت صلاة بغير طهور ، ومررت

على مظلوم فلم تنصره . وروى أبو الشيخ أيضاً من حديث ابن عباس رضي الله عنها مرفوعاً ، قال الله تبارك وتعالى : « وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم في عاجله وآجله ، ولأنتقمن بمن رأى مظلوماً فقدر أن ينصره فلم يفعل » .

الرابع : جاء في عدة أحاديث إجابة دعوة المظلوم ؛ ففي « الصحيحين » وغيرهما من حديث ابن عباس رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ بعث معاذاً الى اليمن ، فقال : « اتق دعوة المظلوم ؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » .

وأخرج الامام أحمد ، والترمذي وحسنه ، وابن ماجه ، وابن خزيمة وابن حبان في « صحيحهما » وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا ترد دعوتهم ، الصائم حتى يفطر ، والامام العادل ، ودعوة المظلوم ، يرفعها الله فوق الغمام ، وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : « وعزتي لأنصرك ولو بعد حين » .

وروى الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنها ، قال : قال رسول الله ﷺ : « اتقوا دعوة المظلوم ؛ فإنها تصعد الى السماء كأنها شرارة » قال الحاكم : رواه متفق عليهم ، إلا عاصم بن كليب ، فاحتج به مسلم وحده .

وروى الامام أحمد بإسناد حسن ، عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : « دعوة المظلوم مستجابة ، وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه » . وروى الامام أحمد أيضاً عن أبي عبد الله الأسدي قال : سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : « دعوة المظلوم ولو كافراً ليس دونها حجاب » .

وروي الطبراني في « الصغير » و « الأوسط » عن أمير المؤمنين علي بن

أبي طالب رضوان الله عليه قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله : اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرًا غيري ، والله تعالى الموفق . »

### الحديث الحادي عشر

٥٦ - ثنا هشيم ، قال : أنا عبد العزيز ، وإسماعيل ، عن عبد العزيز ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « تسحروا فان في السحور بركة . »

قال رضي الله عنه : ( ثنا هشيم ) بن بشير الواسطي ( قال أنا عبد العزيز ) بن صهيب ( و ) قال الامام أحمد : حدثنا ( إسماعيل ) هو ابن عليّة ، وقد قدمت ترجمته في الحديث الأول من « مسند أنس رضي الله عنه » ( عن عبد العزيز ) المذكور ( عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه قال : ( قال رسول الله ﷺ : « تسحروا فان في السحور بركة » ) ورواه الشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه ، كلهم من حديث أنس . ورواه النسائي أيضاً من حديث أبي هريرة ، وحديث بن مسعود رضي الله عنها ، ورواه الامام أحمد أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

قال ابن الاثير في « نهايته » السحور بالفتح : اسم لما يتسحر به من الطعام والشراب ، وبالضم : المصدر ، أي الفعل نفسه ، وأكثر ما يروى بالفتح ، وقيل : إن الصواب بالضم ، لانه بالفتح الطعام المأكول في السحر . والبركة والأجر والثواب في الفعل لافي الطعام . انتهى .

وفي « المطلع » و « المطالع » : السحور بالفتح : اسم ما يؤكل في السحر ،



وبالضم : اسم الفعل ، وأجاز بعضهم أن يكون اسم الفعل بالوجهين ، والأول أشهر . انتهى .

قال الحافظ بن حجر : هو بفتح السين وبضمها ، لأن المراد بالبركة : الأجر والثواب ، فيناسب الضم ، لأنه مصدر بمعنى التسحر ، أو البركة لكونه يقوي على الصوم ، وينشط له ويحفف المشقة فيه ، فيناسب بالفتح ، لأنه ما يتسحر به ، وقيل : البركة ما يتضمن من الاستيقاظ والدعاء في السحر .

والأولى أن البركة في السحور تحصل بمجاهات متعددة ، وهي اتباع السنة ، ومخالفة أهل الكتاب ، والتقوي به على العبادة ، والزيادة في النشاط ، والتسبب بالصدقة على من يسأل إذ ذاك ، أو يجتمع معه على الأكل ، والتسبب المذكور والدعاء ، وفيه فطنة الإجابة وتدارك نية الصوم لمن أغفلها قبل أن ينام .

وقال ابن دقيق العيد : هذه البركة يجوز أن تعود إلى الأمور الأخروية ، فإن إقامة السنة توجب الأجر وزيادته ، ويحتمل أن تعود إلى الأمور الدنيوية ، كقوة البدن على الصوم ، وتيسره من غير إضرار بالصائم .

قال : وما يطل به استحباب السحور ، المخالفة لأهل الكتاب ، لأنه ممتنع عندهم ، وهذه أحد الوجوه المقتضية للزيادة في الأجر الأخروية وقال أيضاً : وقع للمتصوفة في مسألة السحور كلام من جهة اعتبار حكمة الصوم ، وهو كسر شهوة البطن والفرج ، والسحور قد يباين ذلك .

قال : والصواب أن يقال : ما زاد في المقدار حتى يعدم هذه الحكمة بالكلية ، فليس بمستحب ، كالذي يضمه المترفون من التائق في الأكل وكثرة الاستعداد لها ، وما عدا ذلك تختلف مراتبه .

( فروع ) :

الأول : قال علماؤنا كالشافعية : يدخل وقت السحور بنصف الليل ،

وفيهِ نظر ، لأنه مضاف الى السحر ، وهو قبيل الصبح ، ومن ثم خصه بعضهم  
بالسدس الأخير ، والمراد : الأكل والشرب في ذلك الوقت ، لأن التسحر تفعل من  
السحر الذي هو قبيل الفجر ، فهو مصوغ من لفظه ، فإنه من معاني تفعل  
كثدي إذا أكل في القدوة ، وتمشى إذا أكل عشية .

الثاني : تحصل فضيلة السحور بأكل أو شرب ؛ لحديث أبي سعيد رضي  
الله عنه مرفوعاً : « ولو أن يجرع جرعة من ماء » وفيه عبد الرحمن بن زيد بن  
أسلم ، ضعيف ، رواه الامام أحمد وغيره .

وروى الامام أحمد ايضاً من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً : « من  
أراد أن يصوم فليتسحر ولو بشيء » .

وكال فضيلة السحور تحصل بالأكل ؛ لحديث عمرو بن العاص رضي الله  
عنه مرفوعاً : « إن فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر » رواه  
أحمد ومسلم وغيرهما ، والأمر به تندب .

قال في « الفروع » : ولا يجب السحور ، حكاه ابن المنذر وغيره إجماعاً ،  
ويدل على كونه تندب قوله **تندب** : « فإن في السحور بركة » وعند الطبراني عن  
أبي أمامة مرفوعاً : « ولو بتمر ، ولو بجبات زبيب » . وفي حديث عن أبي هريرة  
رضي الله عنه كما في « الفردوس » : « ثلاثة لا يحاسب عليها العبد ، أكلة السحر ،  
وما أفطر عليه ، وما أكل مع الاخوان » .

الثالث : يسن تأخير السحور ما لم يخش طلوع الفجر الثاني ، ويكره  
تأخير الجماع مع الشك في طلوع الفجر ، أي يكره الجماع وقتئذ لا الأكل  
والشرب .

قال الامام أحمد : إذا شك في الفجر يأكل حتى يستيقن طلوعه . قال  
الآجري وغيره : ولو قال لالمين : أرقبا الفجر ، فقال أحدهما : طلع ، وقال

الأخر : لم يطلع ؛ أكل حتى يتفقا . قال في « الفروع » : يسن تأخير السحور إجماعاً ما لم يخش طلوع الفجر اتفاقاً .

الرابع : « يسن تمجيل الفطر ، وفي « الصحيحين » عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر . » وروى الامام أحمد ، والترمذي وحسنه ، وابن خزيمة وابن حبان في « صحيحهما » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله عز وجل : إن أحب عبادي اليّ أعجلهم فطراً » والله اعلم .

### الحديث الثاني عشر

٥٧ - ثنا هشيم ، عن حميد الطويل قال : سمعت أنس

بن مالك يقول : رأيت خاتم النبي ﷺ من فضة .

قال رضي الله عنه ( ثنا هشيم عن حميد الطويل ) المتقدمة ترجمته في الحديث الثالث من « مسند أنس » ، ( قال ) أي حميد ( سمعت أنس بن مالك ) رضي الله عنه ( يقول : رأيت خاتم النبي ﷺ ) الذي كان متخماً به ، ويقال : خاتم ، بوزن ساباط ، ويجوز بفتح تاء خاتم وكسرها ، وفي لغة رابعة وهي : خيتام ، بوزن يطار ، وزاد صاحب « القاموس » ، خامسة ، وهي الختم محرّكة ، وسادسة وهي : الخاتيام ، وزاد بعضهم سابعة ، وهي : ختام ، وثامنة وهي : خيتوم .

ونظماً الحافظ ابن حجر في « الفتح » ، قال :

خذ نظم عدّ لئات الخاتم انتظمت ثمانية ما حواها قط نظام

خاتم خاتم ختم خاتم وختم م خاتيام وخيتوم وخينام

ثم زاد بيتاً ثالثاً :

وهمز مفتوح تاء تاسع وإذا ساغ القياس أتم العشر خاتماً  
واقصر كثير من العلماء على أربعة ، والحق أن الختم والخاتم مختص بما  
يختم به ، وجمع الخاتم خواتم وخواتيم ، وكان خاتم النبي ﷺ الذي رآه أنس  
بن مالك رضي الله عنه ( من فضة ) لا من ذهب ، فيباح خاتم الفضة ولو زادت  
زقته على مثقال .

قال ابن حمدان من علمائنا في «رعايته» : ويسن دون مثقال ، وظاهر  
كلام الامام أحمد والاصحاب : لا بأس بأكثر من ذلك ، لضعف خبر بريدة ،  
وهو أن النبي ﷺ سئل عن الخاتم ، من أي شيء اتخذ ؟ قال : « من فضة  
ولا تمة مثقالاً » ، رواه الامام أحمد واصحاب «السنن» . قال الامام أحمد :  
حديث منكر .

قال في «الفروع» : والمراد ما لم يخرج عن المسادة ، وإلا حرم ، لأن  
الأصل التحريم ، خرج المعتاد لفعله ﷺ وفعل الصحابة رضي الله عنهم .  
قال في «الفروع» : قال الامام أحمد رضي الله عنه في خاتم الفضة للرجل :  
ليس به بأس اتفاقاً ، واحتج بأن عمر رضي الله عنها كان له خاتم ، وهذا رواه  
أبو داود وغيره ، وأنه كان في اليسرى ، ورواه عن النبي ﷺ ، وسواء كان  
ذا سلطان أو لا ؛ لضعف خبر أبي ریحانة ، وهو ما رواه الامام أحمد في «المسند» ،  
ثنا يحيى بن غيلان ، ثنا الفضل بن فضالة ، ثنا عياش بن عباس ، عن أبي الحصين  
الميثم بن شقي أنه سمعه يقول : خرجت أنا وصاحب لي يسمى أباطامر ، رجل  
من المافرن لنصلي بإبلياء ، وكان قاضيه رجلاً من الأزدي يقال له : أبو ریحانة من  
الصحابة رضي الله عنهم . قال أبو الحصين : فسبقني صاحبي الى المسجد ، ثم  
أدركته فجلست الى جنبه ، فسألني هل أدركت قصص أبي ریحانة ؟ فقلت : لا ،  
فقال : سمعته يقول :

نهى رسول الله ﷺ عن عشرة : عن الوشر<sup>(١)</sup> والوشم ، والتنف ، وعن مكامة<sup>(٢)</sup> الرجل الرجل بغير شعار ، ومكامة المرأة المرأة بغير شعار ، وأن يجعل الرجل في أسفل ثوبه حريراً مثل الأعاجم ، وأن يجعل على منكبه حريراً مثل الأعاجم ، وعن النهي ، وعن ركوب النمر ، ولبوس الخاتم إلا لذي سلطان .  
ورواه أبو داود والنسائي .

قال في « الفروع » : حديث جيد حسن ، لم يصفه ابن الجوزي في « جامع المسانيد » ، ولما بلغ الامام أحمد في حديث أبي ریحانة الخاتم إلا لذي سلطان ، تبسم كالتعجب وقدم في « الرعاية » أن التخم بالخاتم مستحب ، وحزم ابن تيمم من علمائنا : أنه يكره بقصد الزينة ، وذكره في « الرعاية » قولاً واحداً .

### تنبيهات

الأول : في « الصحيحين » من حديث أنس رضي الله عنه قال : كان خاتم رسول الله ﷺ من ورق ، وكان فسه حبشياً ، كذا في « مسلم » ، وقال البخاري : وكان فسه منه ، ولم يقل : حبشياً .

وفي « الصحيحين » من حديث أنس أيضاً : أنه رأى في يد رسول الله ﷺ خاتماً من ورق ، وفيها عنه : كان خاتم رسول الله ﷺ في هذه . وأشار الى الخنصر من يده اليسرى ، ولم يقل البخاري : من يده اليسرى .

وفي « مسلم » : أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً من فضة في يمينه ، فيه فص حبشي ، كان يجعل فسه مما يلي كفه . وفي رواية من حديث أنس : كان

(١) الوشر : تحديد المرأة أسنانها وترقيقها .

(٢) المكامة : أن يضاجع الرجل الرجل لا ستر بينهما .

خاتمته من فضة ، وفي رواية أبي داود من طريق زهير بن معاوية عن حميد : من فضة كله . فهذا نص في أنه كله من فضة .

وأما ما أخرجه أبو داود والنسائي ، من طريق أياس بن الحارث بن مسيقب عن جده قال : كان خاتم النبي ﷺ من حديد ملوياً ، عليه فضة ، فربما كان في يدي . قال : وكان مسيقب على خاتم النبي ﷺ ، يعني كان أميناً عليه ، فيحمل على التمدد .

وقد أخرج له ابن سعد شاهداً مرسلان عن مكحول : أن خاتم رسول الله ﷺ كان من حديد ملوي ، عليه فضة ، غير أن فضه بادٍ ، وآخر مرسلان عن إبراهيم النخعي مثله ، دون ما في آخره ، وثالثاً من رواية سعيد بن عمرو بن سعيد ابن الماص : أن خالد بن سعيد ، يعني ابن الماص ، أتى وفي يده خاتم ، فقال رسول الله : ما هذا ؟ اطرحه ، فطرحه ، فاذا خاتم من حديد ملوي ، عليه فضة . قال : فما نقشه ؟ قال : محمد رسول الله . قال : فأخذه فلبسه . ومن وجه آخر عن سعيد بن عمرو المذكور أن ذلك جرى لعمرو بن سعيد أخي خالد بن سعيد وقد قال النقاشي في « كتاب الأحجار » : خاتم الفولاذ مطردة للشيطان ، إذا لوى عليه فضة ، كذا في « الفتح » . وقد نص علماؤنا على كراهية خاتم الحديد . قال في « الفروع » : يكره للرجل والمرأة خاتم الحديد ، وصفر ، ونحاس ، وورصاص . نص عليه الامام أحمد في رواية جماعة ، ونقل مهنا عنه رضي الله عنه : اكره خاتم الحديد لانه حلية أهل النار ، وسأله الأثرم عن خاتم الحديد ، فذكر خبر عمرو بن شعيب : أن النبي ﷺ قال لرجل : « هذه حلية أهل النار » . وابن مسعود قال : لبسة أهل النار . وابن عمر رضي الله عنها قال : ما طهرت كف فيها خاتم من حديد .

وروى الامام أحمد في « المسند » : ثنا يحيى ، عن ابن عجلان ، عن عمرو

بن شبيب ، عن أبيه عن جده : أن النبي ﷺ رأى على رجل من أصحابه خاتماً من ذهب ، فأعرض عنه ، فألقاه واتخذ خاتماً من حديد ، فقال : « هذا شر ، هذا حلية أهل النار » . فألقاه واتخذ خاتماً من ورق ، فسكت عنه ، حديث حسن . ورواه الامام أحمد أيضاً من طريق أخرى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولم يقل فيه : حلية أهل النار ، ومن لم يقل بكراهة خاتم الحديد كالشافعية ، استدل للإباحة بقوله ﷺ : « التمس ولو خاتماً من حديد » . ولا دلالة فيه على الإباحة ؛ إذ لا يلزم من الاتخاذ الاستعمال ، إذ ليس كل ما جاز اتخاذه جاز استعماله كما لا يخفى ، والله سبحانه وتعالى الموفق .

الثاني : يحرم خاتم الذهب على الذكور اتفاقاً ، كما في « الفروع » ، قال . وذكره بعضهم إجماعاً ، وبياح للنساء إجماعاً .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل ، فنزعه فطرحة ، وقال : « يمد أحدكم إلى جمرة من نار جهنم فيجعلها في يده » . فقيل للرجل بعد أن ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتمك انتفع به ، فقال : لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحة رسول الله ﷺ . ورواه الشيطان أيضاً من حديث البراء ، ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهم ، وروى الامام أحمد ، والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنها مرفوعاً : « من مات من أمتي وهو يلبس الذهب حرم الله عليه ذهب الجنة » .

وفي « سنن أبي داود » و « النسائي » من حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، قال : رأيت رسول الله ﷺ أخذ جريراً ، جعله في يمينه ، وذهباً جعله في شماله ، ثم قال : « إن هذين حرام على ذكور أمتي » . وفي « سنن النسائي » عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن رجلاً قدم من نجران

الى رسول الله ﷺ وعليه خاتم من ذهب ، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال :  
« إنك جشني وفي يدك حجرة من نار » .

الثالث : قال أكثر العلماء : يباح التختم بالمعيق ، وقيل : يستحب ،  
ومشى عليه في « المستوعب » و « التلخيص » وابن تميم ، وقدمه في « الرعاية »  
و « الآداب » و « الفروع » ، وجزم به في « المنتهى » واختيار ابن الجوزي  
الإباحة .

قال الحافظ ابن رجب في « كتاب الخواتم » : ظاهر كلام الاكثر :  
لا يستحب ، قال : وهو ظاهر كلام الامام أحمد رضي الله عنه في رواية مهنا ،  
وقد سأله ما السنة ، يعني في التختم ، قال : لم تكن خواتيم القوم إلا فضة . قال  
المقبلي : لا يصح في التختم بالمعيق عن النبي ﷺ شي ، وقد ذكر الحافظ ابن  
رجب جل الاحاديث الواردة في ذلك في « كتابه » وأعلها ، وكذا ما روي في  
« الياقوت والمعيق » ، كما مر (١) .

قال في « القاموس » . خرز أحمر يكون باليمن وبسواحل بحر  
رومية ، منه جنس كدر كزاز يجري من اللحم المملح ، وقال : ين تختم به سكنت  
روعه عند الخصام ، وانقطع عنه الدم من أي موضع كان .

تممة : استحب علماؤنا لبس الخاتم في خنصر يده اليسرى اقتداء  
بالنبي ﷺ . قال الدارقطني وغيره : المحفوظ أنه ﷺ كان يتختم في يساره ، وفي  
« الانصاف » من كتب المذهب : لا فضل في لبسه في اليسرى على اليمنى كعكسه ،  
قدمه في « الرعاية الكبرى » وتابعه في « الفروع » و « الآداب الكبرى »  
و « الوسطى » ثم قال : والصحيح من المذهب : أن التختم في اليسار أفضل .  
نص عليه الامام أحمد في رواية صالح ، والفضل بن زياد . قال الامام أحمد  
رضي الله عنه : هو أقر وأثبت ، وأحب إلي .

(١) أي عبق على وزن أمير .



قال الحافظ ابن رجب : وقد أشار بمض أصحابنا الى أن التخم في اليسار  
كان آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ، والله أعلم .

### الحديث الثالث عشر

٥٨ - ثنا هشيم : عن حميد قال : ثنا أنس بن مالك ،  
قال : لما اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم صفيّة ، أقام  
عندها ثلاثاً ، وكانت ثيباً .

قال رضي الله عنه : ( ثنا هشيم ) بن بشير ( عن حميد ) الطويل ( قال :  
ثنا أنس بن مالك ) رضي الله عنه ( قال : لما اتخذ رسول الله ﷺ صفيّة ) بنت حبي ،  
بضم الحاء المهملة ، وفتح المثناة تحت ، بمدّها مثلها مشدودة ، تصغير حي ،  
ومجرز كسر الحاء أيضاً ، ابن أخطب ، بفتح الهززة وسكون الحاء المعجمة ،  
ابن سميه بفتح السين وسكون العين المهملتين وفتح المثناة تحت ، من بني إسرائيل ،  
من سبط هارون بن عمران ، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، ومفصول  
اتخذ محذوف تقديره : زوجة ، يعني لما أعتقها ﷺ وجعل عتقها صداقها كما يأتي  
قريباً ، فهي إحدى أمهات المؤمنين ، وكانت قبله عند سلام بن مشكم ، وكان  
شاعراً ، ففارقها ، ثم تزوجها كنانة بن أبي الحقيق ، فقتل يوم خيبر ، فزوجها سيد  
المرسلين ، وخير العالمين ، نبيه الأمين ﷺ على عمر الأيام والشهور والسنين ،  
( أقام ) صلى الله عليه وسلم ( عندها ) أي عند صفيّة دون سائر نسائه ( ثلاثاً )  
من الليالي بأيامها أيام الزفاف .

قال أنس رضي الله عنه : ( وكانت ) صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها ، لما تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم ( ثيباً ) لأنها كانت مع كنانة بن أبي الحقيق ، فقتل يوم خيبر ، فسباها النبي ﷺ ، ولما تزوج النبي ﷺ أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد عمرو بن مخزوم القرشية المخزومية ، أقام عندها ثلاثة أيام ، وقال : إنه ليس بك هوان على أهلك ، فإن شئت سميت لك ، وإن سميت لك سميت لنسائي . رواه الامام أحمد ، ومسلم ، وأبو داود وابن ماجه .  
ورواه الدارقطني ولفظه : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها حين دخل بها : ليس بك هوان على أهلك ، ان شئت أقت عندك ثلاثاً خالصة لك ، وإن شئت سميت لك وسميت لنسائي . قالت : تقيم معي ثلاثاً خالصة . وفي رواية : أنه صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يخرج أخذت أم سلمة بثوبه ، فقالت : إن شئت زدتك وحاسبتك به ، للبكر سبع ، وللثيب ثلاث ، رواه مسلم .

وفي « الصحيحين » عن أنس رضي الله عنه قال : من السنّة إذا تزوج البكر على الثيب ، أقام عندها سبعمائة وقسم ، وإذا تزوج الثيب على البكر ، أقام عندها ثلاثاً وقسم ، قال أبو قلابة : لو شئت لقلت : إن أنسا رفعه الى النبي ﷺ . وقد صرح برفعه ابن خزيمة ، وابن حبان ، والدارقطني .

قال الامام ابن القيم في « المهدي » : وهذا الذي قاله أبو قلابة ، قد جاء به مصرحاً عن أنس ، كما رواه البزار في « مسنده » : من طريق أيوب السخيتاني عن أبي قلابة ، عن أنس : أن النبي ﷺ جعل للبكر سبعمائة ، وللثيب ثلاثاً ، وكذا رواه غيره . انتهى .

وفي هذا حجة على الكوفيين في تسويتهم بين البكر والثيب في الثلاثة فقط ، وعلى الأوزاعي في قوله : للبكر ثلاث ، وللثيب يومان . وفيه حديث مرفوع عن عائشة رضي الله عنها ، أخرجه الدارقطني بسند ضعيف جداً ، وخص

من عموم الحديث ما لو أرادت الثيب أن يكمل لها السبع ؛ فاته إذا أجابها سقط  
حقها من الثلاث ، وقضى السبع لغيرها .

قال علماؤنا ومن وافقهم: ويقم عند الثيب ثلاثاً ، وإن شاءت - وقيل : أو  
هو - سبعمائة ؛ فمل وقضى الكل ؛ لحديث أم سلمة رضي الله عنها .

تنبه : قد تكلم بعض العلماء في حكمة اختصاص البكر بسبع ، والثيب  
بثلاث ، فقيل : هو حق للمرأة على الزوج لأجل إيناسها به ، وإزالة الحشمة  
عنها لتجده ، ولهذا لما كانت البكر أشد نفوراً ، وأبعد إيناساً ؛ زيدت على  
الثيب لتقدم ارتياضها وألفها للرجال في الجملة .

وفي « شرح الوجيز » من متأخري علمائنا : إنما خصت البكر بالزيادة ؛  
لأن حياتها أكثر ، والثلاث مدة معتبرة في الشرع ، والسبع لأنها أيام الدنيا ،  
وما زاد عليها متكرر ، وحينئذ يقطع الدور . انتهى .

وقيل : حق للزوج على المرأة ، وليس بشيء ، وأفرط بعض المالكية  
فجعل مقامه عندها عذراً في إسقاط الجمعة .

وقال ابن دقيق العيد : وهو ساقط منافٍ للقواعد .

وفي « الفتح » للحافظ ابن حجر : يكره أن يتأخر في السبع أو  
الثلاث عن صلاة الجمعة وسائر أعمال البر التي كان يفعلها . نص عليه الشافعي .  
وقال الرافعي : وهذا في النهار ، وأما في الليل فلا ، لأن المنسوب لا يترك له  
الواجب ، فعدوا هذا من الأعذار في ترك الجمعة ، وهذا على أصلهم ومذهبهم ،  
من كون الجمعة سنة أو فرض كفاية على الخلاف ، وأما على قواعد مذهبنا ؛  
فليس هذا عذراً في ترك الجمعة ولا جماعة ، اللهم إلا أن تخاف عليها ضرراً ،  
والله الموفق .

## الحديث الرابع عشر

٥٩ - ثنا هشيم ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق صفية بنت حبي ، وجعل عتقها صداقتها .

قال رضي الله عنه : ( ثنا هشيم ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس )  
بن مالك رضي الله عنه ( أن رسول الله ﷺ أعتق صفية بنت حبي ) بن أخطب  
لما سبها يوم خيبر في أول السابعة من الهجرة ( وجعل عتقها ) من الرق  
( صداقتها ) أخذ بهذا الامام أحمد رضي الله عنه .

قال الامام ابن القيم في « الهدي » : ثبت عنه ﷺ أنه أعتق صفية ، وجعل  
عتقها صداقتها ، قيل لأنس بن مالك : ما أصدقها ؟ قال : أصدقها نفسها ، وقد  
ذهب الى جواز ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وفعله  
أنس رضي الله عنه ، وهو مذهب أعلم التابعين وسيدهم سعيد بن المسيب ، وأبي  
سلمة عبد الرحمن ، والحسن البصري ، والزهري ، واسحق . انتهى .

وفي « الفتح » للحافظ ابن حجر : انه ذهب الى القول بصحة ذلك أيضاً  
ابراهيم النخعي ، وطاووس ، ومن فقهاء الامصار النووي ، وأبو يوسف ،  
فكل هؤلاء قال : إذا أعتق أمته وجعل عتقها صداقتها ، صح العتق والمقد والمهر  
على ظاهر الحديث .

وفي قول أنس رضي الله تعالى عنه : مهرها نفسها ما يدفعه وم التوميين ؛

فانه أخبر أن المجهول مهرأ هو نفس التتق ، فني « البخاري ، و « مسلم ،  
 « والنسائي ، « ابن ماجه » ، عن أنس رضي الله عنه : أن النبي ﷺ أعتق  
 صفيه ثم تزوجها ، فقال له ثابت : ما أصدقها ؟ قال : نفسها ، أعتقها وتزوجها .  
 وفي رواية عبد العزيز بن صهيب ، سمعت أنسأ قال : سبى النبي ﷺ صفيه ،  
 فأعتقها وتزوجها ، فقال ثابت لأنس : ما أصدقها ؟ قال : نفسها ، فأعتقها .  
 هكذا أخرجه البخاري في المازي من « صحيحه » . وفي رواية حماد بن ثابت ،  
 وعبد العزيز ، عن أنس في حديث قال : وصارت صفيه لرسول الله ﷺ ، ثم  
 تزوجها وجعل عتقها صداقها ، فقال عبد العزيز لثابت : يا أبا محمد أنت سألت  
 أنسأ ما أمهرها ؟ قال : أمهرها نفسها ، فتبسم ؛ فهذا ظاهر جداً في أن المجهول  
 مهرأ هو نفس التتق .

وأجاب من لم يقل بمقتضى هذا الحديث بأجوبة ، منها : بأنه أعتقها بشرط  
 أن يتزوجها ؛ فوجب له عليها قيمتها ، وكانت معلومة فتزوجها بها .  
 ومنها : أن نفس التتق هو المهر ، ولكن هذا من خصائصه ، وجزم بذلك  
 الماوردي من الشافعية .

وقال آخرون: قوله: أعتقها وتزوجها ، معناه أعتقها ثم تزوجها ، فلما لم  
 يعلم أنس أنه ساق لها مهرأ ، قال : أصدقها نفسها ، أي لم يصدقها شيئاً فيما أعلم ،  
 ولم ينف أصل الصداق .

ومن ثم قال أبو الطيب الطبري من الشافعية ، وابن المرابط من المالكية ،  
 ومن تبعها : إن أنسأ قال ما قاله ظناً من قبل نفسه ، ولم يرفعه ، وربما تعلقوا بما  
 أخرجه البيهقي ، من حديث أميمة ، ويقال : أمة الله بنت رزينة ، عن أمها ، أن  
 النبي صلى الله عليه وسلم أعتق صفيه ، وخطبها وتزوجها ، وأمهرها رزينة ، وكان  
 أتى بها سبيبة من قريظة والنضير ، وهذا لا تقوم به حجة ؛ لضعف إسناده

وبعارضة ما أخرج الطبراني ، وأبو الشيخ ، من حديث صفيّة نفسها قالت :  
أعتقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل عتقي صدّاقتي ، ورواه الأثرم أيضاً ،  
وهذا موافق لحديث أنس ، وفيه رد على من قال : إن أنساً قال ذلك بناءً  
على ما ظنه .

قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » : وقد خالف البيهقي في هذا  
الحديث ما عليه كافة أهل السير ، من أن صفيّة من سي أهل خير ، لا من سي  
قريظة والنضير .

قال في « الفتح » : وممن قال بقول الامام أحمد من الشافعية : ابن حبان ،  
صرح بذلك في « صحيحه » ، قال ابن دقيق العيد : الظاهر مع الامام أحمد ومن  
واقفه ، والقياس مع الآخرين ، فيتردد الحال بين ظن نشأ عن قياس ، وبين ظن  
نشأ عن ظاهر الخبر ، مع كون ما تحتمله الواقعة من الخصوصية ، وهي وإن  
كانت على خلاف الأصل ، لكن يتقوى ذلك بكثرة خصائص النبي صلى الله عليه  
وسلم في النكاح .

وممن جزم بأن ذلك كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم ، يحيى ابن أكرم ، أخرج  
البيهقي ، وكذا نقله المزني عن الشافعي . قلت : ولقد أكثروا الكركبة (١) ،  
وأجلبوا بنجيلهم ورجلهم ، على رد هذا الحديث الصحيح بأقيسة جولية ، وتخييلات  
فكرية لا طائل تحتها ، ومادل عليه الصحيح هو الصحيح ، وما صنعه الشارع ثم  
خادمه من بعده ، وهو أنس بن مالك راوي الحديث ، هو معناه الصريح ، ولهذا  
قال ابن القيم : هذا هو الموافق للسنة ، وأقوال الصحابة والقياس ؛ فانه كان يملك  
رقبتها ومنفعتها ، فأزال ملكه عن رقبته ، وأبقى ملك المنفعة بعقد النكاح ؛ فهو  
أولى بالجواز مما لو أعتقها واستثنى خدمتها .

(١) لعله يعصد بذلك الضجة .

## تفسيحات

الأول : معتمد مذهب الامام أحمد رضي الله عنه أنه اذا قال لأمتيه القن ، أو المدبرة ، أو المكاتبه ، أو أم ولده أو المطلق عتقها على صفة بشرط كونها تحمل له ، إذن أعتقتك وجعلت عتقك صداقك ، أو جعلت عتق أمي صداقها ، أو صداق أمي عتقها ، أو قد أعتقتها وجعلت عتقها صداقها ، أو أعتقتها على أن عتقها صداقها ، أو أعتقتك على أن أزوجك ، وعتقتك صداقك ؛ صح بشرط كونه متصلا ، نص عليه الامام أحمد رضي الله عنه ، وأن يكون بحضرة شاهدين ؛ نص عليه أيضاً .

الثاني : الصداق المذكور في قوله : وجعل عتقها صداقها ؛ هو الموضع المسمى في عقد النكاح ، وما قام مقامه ، وفيه خمس لغات : فتح الصاد المهملة وكسرها ، وصدقة : بفتح الصاد المهملة وضم الـدال المهملتين ، وصدقة : بسكون الـدال مع ضم الصاد وفتحها كما في « المطلق » وله ثمانية أسماء : الصداق ؛ والمهر ؛ والنحلة ، والفريضة ؛ والأجر ؛ والمقر بضم العين المهملة وسكون القاف ؛ والجباء بكسر الحاء المهملة ممدوداً ؛ والملائق ؛ ونظما صاحب « المطلق » في قوله :

صداق ومهر نحلة وفريضة جباء وأجر ثم عقر علائق

والأصل في مشروعية الصداق : الكتاب ، حيث قال تعالى : « وأحل لكم ماوراء ذلكم أن تبتنوا بأموالكم محصنين غير مسافحين »<sup>(١)</sup> وقوله : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة »<sup>(٢)</sup> « وآتوهن أجورهن فريضة »<sup>(٣)</sup> والسنة كما في قوله

(١) سورة النساء ، الآية : ٢٤

(٢) سورة النساء ، الآية : ٤

(٣) سورة النساء ، الآية : ٢٤

صلى الله عليه وسلم : « الشمس ولو خاتماً من حديد » ، وقد أجمع المسلمون على مشروعيته .

الثالث : لا يتقدر الصداق على الصحيح ، وقد حكى ابن عبد البر الاجماع على ذلك ؛ لقوله تعالى : « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً » (١) قال أبو صالح : القنطار مائة رطل ، وهو عرف الناس الآن ، وقال أبو سعيد الخدري : ملء مسك ثور ذهباً ، وعن مجاهد : سبعون ألف مثقال ، وروى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : خرجت وأنا أريد أن أسهب عن كثرة الصداق ، فذكرت هذه الآية ، وروى أبو حفص بإسناده أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أصدق أم كلثوم ابنة علي من فاطمة الزهراء رضوان الله عليهم أجمعين ألفاً ، وقد نقل القاضي عياض الاجماع على أن مثل الشيء الذي لا يتمول ولا له قيمة لا يكون صداقاً ، وقد خرق هذا الاجماع أبو محمد بن حزم ، فقال : يصح بكل ما يسمى شيئاً ونحو حبة من شعير ، وأقل ما ورد من الصداق ، ما عند الدارقطني من حديث أبي سعيد في المهر ولو على سواك من أراك ، وأقوى شيء ورد في ذلك حديث جابر عند مسلم : كنا نستمع بالقبضة من التمر والدقيق على عهد رسول الله ﷺ ، حتى نهى عنها عمر .

قال البيهقي : إنما نهى عمر عن النكاح إلى أجل ، لاعتق قدر الصداق .

قال في « الفتح » : وهو كما قال . قلت : الذي اعتمده علماؤنا كالمشافعية : كل ما صح ثمناً أو أجرة ، صح أن يكون مهراً ، وإن قل من عين أو دين ومؤجل ومنفعة معلومة ، كرقابة غنمنا مدة مملعة ، مخاطبة ثوب ، لاملأ يتمول عادة ، كحبة حنطة وشعير .

نعم ، قال في « الاقناع » : يجب أن يكون له نصف يتمول عادة ، ويبدل

(١) سورة النساء ، الآية : ٢٠



الموض في مثله عرفاً ، والمراد نصف القيمة ، لانصف عين الصداق .  
وفي « شرح الوجيز » : ظاهر إطلاع الامام أحمد وعامة علمائنا أنه لا فرد  
بين أن يكون له نصف متمول ، أولاً ، وشرط الخرق أن يكون له نصف  
بمحصل ، وتبعه على ذلك الامام الموفق في « المغني » .

قال الامام ابن القيم « في الهدي » : ثبت في « صحيح مسلم » عن عائشة  
رضي الله عنها : كان صداق النبي ﷺ لأزواجه ثنتي عشر أوقية ونشأ ، قالت:  
أندري ما النش ؟ قال أبو سلمة : لا . قالت : نصف أوقية ؛ فذلك خمسمائة  
درهم ، ورواه الامام احمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما علمت رسول الله  
ﷺ نكح شيئاً من نسائه ، ولا أنكح شيئاً من بناته على أكثر من ثنتي عشر  
أوقية . قال الترمذي : حديث حسن صحيح . والأوقية أربعون درهماً .

وفي « الصحيح » من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن  
النبي ﷺ قال لرجل : « تزوج ولو بخاتم من حديد ، وفي « مسند الامام احمد ،  
من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ : إن أعظم النكاح بركة أسره  
مؤنة . وأما أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها فأمرها النجاشي أربعة آلاف ،  
ومهرها من عنده ، وبعت بها مع شرحبيل بن حسنة ، ولم يبعث رسول الله ﷺ  
بشيء كما في « مسند الامام احمد » و « سنن النسائي » وغيرها ، فكل هذه  
الأحاديث وأضعافها بما لم نذكره ؛ يدل على عدم اعتبار تحديد الصداق .

وقال الامام مالك : لا يكون المهر أقل من ربع دينار ، أو ثلاثة دراهم ،  
أو قيمتها ، ومذهب أبي حنيفة : أن أقله عشرة دراهم . وقال بعضهم : أقله خمسة  
دراهم ، ولا دليل على هذه الأقوال ، من كتاب ، ولا سنة ، ولا إجماع ، ولا  
قياس ، ولا قول صحابي . وهذا سيد الثابطين سعيد بن المسيب زوج ابنته على

درهمين ، ولم ينكر عليه أحد ، بل عد ذلك في مناقبه وفضائله ، ولا سبيل الى إثبات المقادير إلا من جهة صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم . انتهى كلام الهدى ، ملخصاً .

قال المازري : قاسه مالك على القطع في السرقة . قال القاضي عياض : تفرد بهذا مالك عن الحجازيين ، لكن مستنده الالتفات الى قوله تعالى : « أن تبشروا بأموالكم » (١) ، وبقوله : « ومن لم يستطع منكم طولا » (٢) فانه يدل على أن المراد ماله بال مال من المال ، وأقله ما استبيح به قطع العضو المحترم .

قال القاضي : وأجزه الكافة بما تراضى عليه الزوجان ، أو من القدر اليه بما فيه منفعة . كالسوط والنمل ، وإن كانت قيمته أقل من درهم ، قال : وبه قال يحيى بن سعيد الانصاري ، وأبو الزناد ، وربيعة ، وابن أبي ذئب وغيرهم من أهل المدينة غير مالك ومن تبعه ، وابن جريج ، ومسلم بن خالد من أهل مكة ، والاوزاعي في أهل الشام ، والليث في أهل مصر ، والثوري ، وابن أبي ليلى وغيرهما من المراقبين ، غير أبي حنيفة ومن تبعه ، والشافعي ، وداود ، وقهسب أصحاب الحديث ، وابن وهب من المالكية .

قال القرطبي : استدل من قاسه بنصاب السرقة بأنه عضو آدمي محترم فلا يستباح بأقل من كذا ، قياساً على يد السارق ، وتمتبه الجمهور بأنه قياس في مقابلة نص ، فلا يلتفت اليه ، وبأن اليد تقطع وتبين ، ولا كذلك الفرج ، وبأن القدر المسروق يجب على السارق رده مع القسط عند الجمهور ، ولا كذلك المصدق ، وقد ضمت جماعة من المالكية هذا القياس ، فقال أبو الحسن الأشعري : قياس قدر الصداق بنصاب السرقة ليس بالبين ، لأن اليد إنما قطعت في ربيع دينار ،

(١) سورة النساء ، الآية : ٢٥

(٢) سورة النساء ، الآية : ٢٤

نكالا للمعصية ، والنكاح مستباح بوجه جائز ، ونحوه لأبي عبد الله ابن الفخار  
منهم وغيره . والله أعلم .

### الحديث الخامس عشر

— ثنا هشيم ، قال : أنا علي بن زيد ، عن أنس بن  
مالك قال : سمعته يحدث ، قال : شهدت وليمتين من نساء  
رسول الله ﷺ ، فما أطمعنا فيها خبزاً ولا لحماً ، قال : قلت :  
فه ؟ قال : الحيس ، يعني التمر والأقط ، والسمن .

قال رضي الله عنه : ( ثنا هشيم قال : أنا ) أبو الحسن ( علي بن زيد ) بن  
جدعان القرشي التيمي البصري ، بمدني في تابعي البصريين ، وهو مكِّي ، نزل  
البصرة ، وكان مكفوفاً ، روى عن أنس بن مالك ، وأبي عثمان النهدي ، وسعيد  
بن المسيب . وروى عنه شعبة ، والسفيانان ، والحمادان ، وهشيم وغيرهم . ولد  
أعمى ، وكان من أوعية الملم ، وفيه تشيع . قال البخاري وأبو حاتم : لا يحتج  
به ، وضعفه الامام أحمد ، وابن عينة وغيرهما . وقال أبو زرعة : ليس بقوي ،  
وقال يحيى : ليس بشيء ، وروى عنه أنه قال : ليس بذلك القوي ، وقال أحمد  
المجلي : كان يتشيع ، وليس بالقوي . وقال الدارقطني : لا يزال عندي فيه لين .  
وقال الترمذي : صدوق ، وصحح له حديثاً في السلام ، وحسن له غير ما حديث ،  
وقال : ربما رفع الموقوف ، توفي سنة تسع وعشرين ومائة ( عن ) أبي حمزة  
( أنس بن مالك ) رضي الله عنه ( قال : ) أي علي بن زيد المذكور ( سمعته ) أي

انس بن مالك رضي الله عنه ( يحدث ، قال : شهدت وايمتين من ) ولائم ( نساء رسول الله ﷺ ، فما أطعمنا ) رسول الله ﷺ ( فيها ) أي الوليمة ، يعني كل واحدة منها ، والمعنى شهد وليمة امرأتين من نساء النبي ﷺ ( خبزاً ولا لحماً ) يعني أنه شهد وايمتين موصوفتين بهذه الصفة ؛ فلا ينافي أنه شهد وليمة زينب كما تقدم . ولا وليمة ميمونة بنت الحارث ( قال ) علي بن زيد ( قلت ) لأنس بن مالك رضي الله عنه : حيث أنه ﷺ ما أطعمكم في وليمته خبزاً ولا لحماً ( فه ) الفا . رابطة لتضمن الكلام شرطاً مقدراً ، وما حرف استفهام ، حذف ألفه للاتياز بهاء السكت ، أي فما أطعمكم في الوليمة حيث لا خبز ولا لحم ؟ ( قال : ) أطعمنا ( الحيس ) قال أهل اللغة : الحيس : يؤخذ التمر فينزع نواه ، ويخلط بالأقط أو الدقيق أو السويق ، وإذا جعل فيه السمن لم يخرج عن كونه حيساً ، ولهذا قال مفسراً للحيس : ( يعني التمر ) المزروع النوى ( والأقط ) وفي « المطالع » الحيس خليط بالتمر والسمن ، وقال بعضهم : ربما جعلت فيه خميرة . وقال ابن وضاح : هو التمر ينزع نواه ويخلط بالسويق ، والاول أعرف . انتهى كلام « المطالع » ، قال في « المطلع » ، ذكر ابن سيده في « محكمه » في الأقط أربع لغات : سكون القاف مع فتح الهمزة ، وضمها ، وكسرها ، وكسر القاف مع فتح الهمزة ، قال : وهو شيء يعمل من اللبن الخبيض . وقال ابن الاعرابي : يعمل من ألبان الأبل خاصة ( والسمن ) المعروف .

### ببهمات

الأول : إحدى الوليمتين المذكورتين في هذا الحديث ؛ وليمة صفية بنت يحيى بن أخطب ، إحدى أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ؛ في « مسند الامام أحمد » و « صحيح مسلم » من حديث أنس رضي الله عنه في قصة صفية : أن النبي ﷺ

جمل وليمتها التمر والأقط والسمن. وفي رواية: « أن النبي ﷺ أقام بين خيبر والمدينة ثلاث ليال بيني بصفية، فدعوت المسلمين الى وليمته، ما كان فيها خبز ولا لحم، وما كان فيها إلا أن أمر بالانطاع فبسطت، ثم ألقى عليها التمر والأقط والسمن؛ فقال المسلمون: إحدى أمهات المؤمنين، أو ما ملكت يمينه، فقالوا: إن حجبتها فهي إحدى أمهات المؤمنين، وإن لم يحجبها، فهي مما ملكت يمينه، فلما ارتحل وطأ لها خلفه، ومد الحجاب، متفق عليه.

وأما الثانية: فيحتمل أن تكون وليمة أم سلمة رضي الله عنها؛ فقد أخرج الطبراني في « الأوسط » من طريق شريك، عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال: أولم رسول الله ﷺ على أم سلمة بتمر وسمن، فلو صح هذا لكان صريحاً في المقصود، ولكنه وم من شريك. لأنه كان سبي الحفظ، أو من الراوي عن شريك، وهو جندل بن والف؛ فان مسلماً، والبزار ضعفاً، وقواه أبو حاتم الرازي، والبستي، وإنما المحفوظ من حديث حميد عن أنس: أن ذلك في قصة صفة بنت حبي.

وفي « المسند » و « سنن أبي داود » و « الترمذي » و « ابن ماجه » عن أنس رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ أولم على صفة بتمر وسويق.

**الثاني:** هذا الحديث وإن كان من هذا الطريق لا ينهض الى رتبة الصحة؛ فقد ذكرنا ما رواه الاملم أحمد في « المسند »، وما في « الصحيحين » من قصة صفة ما يعضده، واهه أعلم.

## الحديث السادس عشر

٦١ - ثنا هشيم ، قال : أنبأنا حميد ، عن أنس بن مالك .

قال : قال نبي الله ﷺ : دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي ،  
فاذا هي الغميصاء ابنة ملحان ، أم أنس بن مالك .

قال رضي الله عنه : ( ثنا هشيم ، قال : أنبأنا حميد ) الطويل ( عن أنس  
ابن مالك ) رضي الله عنه ( قال : قال نبي الله ﷺ : دخلت الجنة ) أي رأيت  
أني دخلت الجنة ، ويحتمل أن يكون دخوله لها يقظة : كما تقدم نظيره في  
الحديث الثلاثين من « مسند جابر بن عبد الله » رضي الله عنها ( فسمعت خشفة  
بين يدي ) أي أمامي .

والخشفة : بفتح الخاء وسكون الشين المجتمين ففاء ، وتحرك الشين  
أيضاً كما في « القاموس » .

قال في « المطالع » : الخشف والخشفة : صوت حركة ليس بالشديد . وقال  
الفراء : هو الصوت . وفي « القاموس » : الخشف والخشفة ويحرك : الصوت  
والحركة والحس الخفي ، أو الخشفة : صوت ديبب الحيات ، وصوت الضبع ،  
وقد غلب عليه السهولة ( فاذا هي ) أي تلك الخشفة التي سميتها ( الغميصاء ) بضم  
الغين المعجمة ، وفتح الميم ، وبالصاد المهملة والمد ( ابنة ملحان ) بكسر الميم ،  
وسكون اللام ، وبالحاء المهملة ، واسم ملحان : مالك بن خالد بن زيد بن حرام  
ابن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار .

وقد اختلف في اسمها ؛ فقيل : سهلة ، وقيل : رُميلة ، وقيل : مليكة ،  
وقيل : ان اسمها الغميصاء ، وقيل : الرميضاء بضم الراء بدل الفين المحجية ،  
وقيل : غير ذلك . وقد روي في الحديث ؛ فاذا هي الرميضاء . والرمص والتمص  
متقارب . قيل : انها من رمص العين ، والغميصاء : من انكسار العين .

وفي « النهاية » : غمضت عينه ، مثل رمضت ، وقيل : الغمض : الياض  
منه ، والرمص : الجاري . والغميصاء : تصغير الغمضاء ، وبه سميت أم سليم ،  
وهي ( أم أنس بن مالك ) رضي الله عنها ، تزوجها مالك بن النضر أبو أنس بن  
مالك ، فولدت له أنساً ، ثم قتل عنها مشركاً ، وأسلمت ، فخطبها أبو طلحة وهو  
مشرك ، فأبت ودعته الى الاسلام فأسلم ، فقالت : إني أتزوجك ولا آخذ منك  
سداقاً لاسلامك ، فتزوجها أبو طلحة ، فولدت له عبد الله ، وأبا عمير الذي كان  
يقول له النبي ﷺ : يا أبا عمير ما فعل النغير .

وفي « سنن النسائي » : أن أبا طلحة خطب أم سليم ، فقالت : والله  
ما مثلك يا أبا طلحة يرد ، ولكنك رجل كافر ، وأنا امرأة مسلمة ، ولا يحل لي  
أن أتزوجك ، فان تسلم فذاك مهري ، ولا أسألك غيره ، فأسلم فكان  
ذلك مهرها .

قال ثابت : فما سمعنا بامرأة قد كانت أكرم مهراً من أم سليم ،  
فدخلت به .

### تنبيهان

الاول : حديث أنس هذا أخرجه الامام أحمد ، ومسلم وانفذه : دخلت  
الجنة فسمعت خشفة . قلت : من هذا ؟ قالوا : هذه الغميصاء بنت ملحان أم  
أنس بن مالك .

وفي « الصحيحين » من حديث جابر رضي الله عنه ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « رأيتني دخلت الجنة ، فإذا أنا بالريمضاء امرأة أبي طلحة » .

وفي « الصحيحين » من حديث أنس رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ كان لا يدخل في المدينة بيت امرأة غير بيت أم سليم ، إلا على أزواجه ، فقيل له ؛ فقال : « إني أرحمها ، قتل ممي أخوها . وفي رواية قال : كان رسول الله ﷺ لا يدخل على أحد من النساء إلا على أزواجه ، إلا أم سليم ؛ فإنه كان يدخل عليها ، فقيل له في ذلك ، فذكر الحديث ، وكأنه أراد على الدوام والاقامة : كان صلى الله عليه وسلم يدخل على أم حرام ، وهي خالة أنس كما في « الصحيحين » .  
الثاني : قد علم من الحديث أن التميمياء ، وهي أم سليم أنها أم أنس ابن مالك ، وهذا لا خلاف فيه بين أهل النقل والحديث .

وأما ما وقع في بعض كتب الشافعية « كوسيط الامام الغزالي » تبساً للامام الصيدلاني منهم ، ومحمد بن يحيى ، وصاحب البحر من أنها جدة أنس ؛ فقلط كما قاله الامام النووي وغيره من أهل العلم والاتقان ، وبالله التوفيق .

شهدت أم سليم أحداً وُحِيناً ، روى عنها ابنها أنس وعائشة ، وأم سلمة ، وخولة بنت حكيم ، وأبو أمامة بن سهل وغيرهم . روي لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة عشر حديثاً ؛ انفقا على حديث ، وانفرد البخاري بآخر ، ومسلم باثنين ، والله أعلم .

### الحديث السابع عشر

٦٢ - ثنا هشيم ، قال : أنا حميد الطويل ، عن أنس بن

مالك : أن النبي ﷺ كسرت رباعيته يوم أحدٍ وشُجَّ في جبهته



حتى سال الدم على وجهه ، فقال : كيف يفلح قوم فعلوا هذا  
بنبيهم وهو يدعوهم الى ربهم عز وجل ، فنزلت هذه الآية :  
ليس لك<sup>(١)</sup> : الآية .

قال رضي الله عنه : ( ثنا هشيم ، قال : أنا حميد الطويل ، عن أنس بن  
مالك ) رضي الله عنه : ( أن النبي صلى الله عليه وسلم كسرت ) بضم الكاف  
وكسر السين المهمة مبنياً للمجحول ( رابعيته ) بتخفيف الراء . وزن ثمانية ،  
وهي السن التي تلي الناب من الاسنان . قال ابن سينا : لا يجتمع في حيوان  
ناب وقرن مآ .

قال في «المطالع» : الرابعة من الاسنان هي السن التي بين الثنية والناب ،  
وهي أربعة محيطات بالثنايا : اثنان من فوق ، واثنان من أسفل ، والذي كسر  
رابعة النبي صلى الله عليه وسلم عتبة بن أبي وقاص لعنه الله ، فانه رمى النبي ﷺ  
بأربعة أحجار ، فكسر حجر منها رابعيته اليمنى السفلى ، وجرح شفته  
السفلى .

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» : والمراد بكسر الرابعة وهي السن  
التي بين الثنية والناب ، أنها كسرت ، فذهب منها فرقة ولم تقلع من أصلها ،  
وذلك ( يوم ) وقعة ( أحد ) وكانت في شوال ، سنة ثلاث بانفاق الجمهور .

قال ابن إسحق كما رواه الطبراني بسند رجاله ثقات : خرج رسول الله  
ﷺ من المدينة يوم الجمعة ؛ فأصبح بالشعب من أحد فالتقوا يوم السبت في  
النصف من شوال ، وفي «الفتح» عنه : أن الوقعة كانت لاحدى عشرة ليلة  
خلت منه .

(١) خورة آل عمران ، الآية : ١٢٨

وأحد - بضم الهمزة والحاء وباللاد المهملتين - جبل أحمر ، بينه وبين المدينة أقل من فرسخ ، وهو في شمالها ( وشج ) وَشَجَّ ( في جبهته ) . والشجَّة : الجراحة في الرأس ، أو الوجه خاصة . قال في «المطلع» : الشجة المرة ؛ من شجه يشجه فهو مشجوج وشجيج ، إذا جرحه في رأسه أو وجهه ، وقد يستعمل في غير ذلك من الأعضاء . والجهة : موضع السجود من الوجه ، أو مستوى ما بين الحاجبين إلى الناحية ( حتى سال الدم ) من شجته ( على وجهه ) الشريف صلى الله عليه وسلم ، والذي شجه عليه الصلاة والسلام ، عبد الله بن شهاب الزهري ، وأسلم بعد ذلك ، ورماه يؤمئذ عبد الله بن قنينة - بفتح القاف وكسر الميم وبمداها همزة - فشج وجنته الشريفة ، فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته وَوَجَّ ، وعلاه بالسيف وكان عليه درعان ، فوق وَوَجَّ في حفرة أمامه على جنبه ، وهي من الحفر التي عملها أبو عامر الفاسق ليقع فيها المسلمون وهم لا يملون ، فأغمي عليه وَوَجَّ ، كما رواه ابن جرير عن قتادة ، فأخذه علي بن طالب رضوان الله عليه ، ورفع له طلحة رضي الله عنه حتى استوى قائماً ؛ فبحشت<sup>(١)</sup> ركبته ، ولم يصنع سيف بن قنينة شيئاً إلا وهن الضربة وثقل السيف ، وقد مكث صلى الله عليه وسلم يحد وهن الضربة على عاتقه شهراً أو أكثر من شهر ، ودثته ، أي رماه جماعة كثيرة من المشركين بالحجارة حتى وقع لشقه . روى الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه أن ابن قنينة لما رمى النبي صلى الله عليه وسلم قال : خذاها وأنا ابن قنينة ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أفتألك<sup>(٢)</sup> الله » فسلط الله تعالى عليه تيس الجبل ، فلم يزل ينطحه حتى قطمه قطعة قطعة .

وروى أبو نعيم عن نافع بن عاصم قال : الذي أدمى وجه رسول الله وَوَجَّ

(١) الجمش : سجع الجهد وشمسه من شيء يصيبه ، كالخدش .

(٢) أي أذله الله وسفزه .

عبد الله بن قثمثة ، رجل من هذيل ، فسلط الله عليه تيساً فنطحه حتى قتله .  
وروى عبد الرزاق في « تفسيره » : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا  
على عتبة بن أبي وقاص حين كسر ربا عيته ودمى وجهه ، فقال : « اللهم لا يحل  
عليه الحول حتى يموت كافراً ، فما حال عليه الحول حتى مات كافراً  
الى النار . »

ورواه أبو نعيم من وجه آخر عن ابن عباس رضي الله عنها ، وروى  
الحاكم عن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه أنه لما رأى ما فعل عتبة بن أبي  
وقاص برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا رسول الله ! من الذي فعل بك هذا ؟  
قال : عتبة بن أبي وقاص . قلت : أين توجه ؟ فأشار الى حيث توجه ، فضربت  
حتى ظفرت به ، فضربته بالسيف فطرحت رأسه ، فزلت فأخذت رأسه  
وسيفه ، وجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لي : رضي الله  
عنك ، مرتين .

وروى الخطيب في « تاريخ بغداد » عن الحافظ محمد بن يوسف القرطبي  
قال : بلغني أن الذين كسروا ربا عية رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يولد لهم  
صي فنت له ربا عية .

قال السهيلي : ولم يولد من نسل عتبة ولد يبلغ الحلم إلا وهو أتم أبخر (١)  
يعرف ذلك في عقبه .

قال الامام ابن القيم في كتابه « بدائع الفوائد » : قال بعض العلماء  
بالأخبار : إنه استقرى نسله ، فلا يبلغ أحد منهم الحلم إلا أبخر أو أتم ، يعرف  
ذلك فيهم . قال : وهو من شؤم الآباء على الأبناء .

قال : واختلف فيما وقع لني صلى الله عليه وسلم من هذا ونحوه ، فقيل :

---

(١) يقال : أتم فاه يتمه : ألقى مقدم أسنانه ، والبصر : نى الفم .

هو قبل نزول قوله تعالى : « والله يمصك من الناس »<sup>(١)</sup> ، وقيل : العصمة الموعود بها عصمة النفس من القتل ، لا عصمة من أذام بالكلية ، بل أبقى الله تعالى لرسوله ثواب ذلك الأذى ، ولائمه حسن التأسي به ، إذا أؤذي أحدم ؛ ذكر ما جرى عليه صلى الله عليه وسلم ، فتأسى وصبر ، وللمؤذنين الأشقياء الأخذة الراهية . ( فقال ) صلى الله عليه وسلم ، وهو يسلمت<sup>(٢)</sup> الدم عن وجهه الشريف ( كيف يفلح ) من الفلاح ، وهو الفوز بالبقاء ، والخلود في النعم المقيم . ويقال للفائز : مفلح ، ولكل من أصاب خيراً : مفلح ، فهي من الكلمات الجامعة لخيري الدنيا والآخرة ، كالمافية ، والسعادة ( قوم فملوا هذا بنبيهم ) وقد أخرج الامام أحمد ، ومسلم ، والترمذي ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رابعيته يوم أحد ، وشح في رأسه ، فجعل يسلمت الدم عن وجهه ويقول : كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ، وكسروا رابعيته .

قال ابن الأثير في « جامع الأصول » : سلمت الدم عن الجرح إذا مسحه ( وهو ) الواو للحال ، أي والحال أنه ، أي نبيهم ( يدعوم الى ) طاعة ( ربه ) عز وجل ( ودينه القويم ) ، وصراطه المستقيم الذي به يحصل الفوز والفلاح ، والرضى والنجاح ، والخلد والنعم والبقاء في جوار الكريم ، فيأبون إلا شركاً وكفراً ، وقطيعة وغدراً ، وعكوفاً على الاصنام وارتكاباً للجرائم والآثام ، ( فزلت هذه الآية ) الكريمة . وهي قوله تعالى : ( ليس لك .... الآية )<sup>(٣)</sup> .

وفي « المسند » و « صحيح مسلم » و « سنن الترمذي » ، أنزل الله عز وجل :

(١) سورة المائدة ، الآية : ٦٧

(٢) أي يمح . (٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٨

« ليس لك من الامر شيء ، أو يتوب عليهم » (١) الآية . أي أو يعذبهم فانهم ظالمون ، أي فهم وان استحقوا العذاب بفعلهم القبيح ، وارتكابهم الخطأ الصريح ، والكفر الفضيح ؛ فحللنا يسعهم ، وأنت عبد مأمور ، ورسول مرشد الى الايمان ومكارم الاخلاق ومعالى الأمور .

والمعنى أن الله مالك أمرهم ، فاما أن يهلكهم ويكتبهم ، أو يتوب عليهم إن أسلوا ، أو يعذبهم إن أصروا ، وأنت عبد مأمور بانذارهم وجهادهم . وقيل : المعنى ليس لك من أمرهم شيء ، إلا أن يتوب عليهم فتسر بذلك ، أو يعذبهم فتستغنى منهم .

وأخرج الامام أحمد ، وابن أبي شيبة ، من حديث أنس نحو ما تقدم ، وفيه : فهم ﷺ أن يدعو عليهم ، فزلات ، فكف رسول الله ﷺ عن الدعاء عليهم .

وعلق البخاري حديث أنس ولم يسنده ، إنما قال : وقال حميد وثابت ، عن أنس : شج النبي ﷺ : يوم أحد ، فقال : « كيف يفلح قو شجوا نبيهم ، فزلت » ليس لك من الامر شيء ، (١) .

وأخرج الامام أحمد ، والبخاري ، والترمذي والنسائي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، قال رسول الله ﷺ : « اللهم المن فلاناً وفلاناً وفلاناً ، وقد سحام الامام أحمد ، والترمذي ، وكذا البخاري في رواية مرسلة ، وم : صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، والحارث بن هشام ، فزلت . وزاد الامام أحمد ، والترمذي في آخر الحديث ؛ فنيب عليهم كلهم ، وأشار الى قوله في بقية الآية : « أو يتوب عليهم » (١) .

وللامام أحمد أيضاً من طريق محمد بن عجلان ، عن نافع ، عن ابن عمر :

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٨

كان رسول الله ﷺ يدعو على أربة ، فزات . قال : وهدام الله للاسلام ، وكان الرابع : عمرو بن العاص ، فقد عزاه السهلي لرواية الترمذي ، لكن قال في « الفتح » : لم أره في الترمذي .

وفي « السيرة الشامية » : ان الرابع أبو سفيان بن حرب ، ويحتاج نقله هنا الى تحرير .

وفي « الشفاء » للقاضي عياض : أن النبي ﷺ لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد ، شق ذلك على أصحابه شديداً ، وقالوا : لو دعوت عليهم ، فقال : « إني لم أبث لماناً ، ولكني بثت داعياً ورحمة ، اللهم إهد قومي فانهم لا يعلمون » .

قال القاضي : أنظر ما في هذا القول من جماع الفضل ، ودرجات الاحسان وحسن الخلق ، وكرم النفس ، وغاية الصبر والحلم ، إذ لم يقتصر ﷺ على السكوت عنهم حتى عفا ، ثم أشفق عليهم ورحمهم ، ودعا وشفع لهم فقال : « اللهم اغفر واهد ، ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله : « لقومي » ، ثم اعتذر عنهم بحملهم فقال : « فانهم لا يعلمون » .

## تمت

الأولى : كان السبب في غزوة أحد أنه لما أصيب من أصيب من كفار قريش أصحاب القليب ورجع فلهم<sup>(١)</sup> الى مكة ، مشى عبدالله بن أبي ربيعة ، وعكرمة ابن ابي جهل ، وصفوان بن أمية في رجال من قريش بمن أصيب أبائهم وأبناءهم وإخوانهم يوم بدر ، وكلموا أبا سفيان بن حرب أن يخرج بهم ، لهم أن يدركوا نأرم ، فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحاديثها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة ، فخرجوا وأبو سفيان قائم ، ومعه زوجته

(١) أي المتهمز منهم .

هند بنت عتبة بن ربيعة ، وفيهم ظمآن ونساء منهم ، وم ثلثة آلاف ، ومهم ماثنا  
 فرس قد جنبوها ، وعلى الميمنة خالد بن الوليد ، وعلى الميسرة عكرمة ابن أبي  
 جهل ، وعلى الخليل صفوان بن أمية ، وقيل : عمرو بن العاص ، وعلى الرماة  
 عبد الله بن ربيعة ، وكانوا مائة ، وفيهم سبعمائة دارع ، وخمس عشرة ظعينة .  
 وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف من أصحابه ، ونزل على  
 أحد ، ورجع عنه عبد الله ابن أبي بن سلول في ثلثمائة ، فبقي صلى الله عليه وسلم  
 في سبعمائة .

قال الواقدي : وكان فيهم مائة دارع ، وأمر صلى الله عليه وسلم على الرماة  
 - وكانوا خمسين رجلا - عبد الله بن جبير ؛ بضم الجيم وفتح الموحدة ، بن النعمان بن  
 أمية ، بن امرئ القيس ، واسمه البرك بن ثعلبة بن عمرو بن عوف الانصاري ،  
 شهد العقبة ، ثم شهد بدرأ ، واستشهد يوم أحد .

قال ابن عبد البر : لا أعلم له رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم .  
 وكان صلى الله عليه وسلم لما يسمع بزول المشركين قرب أحد ؛ قال لأصحابه : «إني  
 والله رأيت خيراً ، رأيت بقرأ تذبح ، ورأيت في ذبابة سفي ثلماً ، ورأيت أني  
 أدخلت يدي في درع حصينة ، فأما البقر فهم ناس من أصحابي يقتلون ، وأما الثلم  
 فهو رجل من أهل بيتي يقتل ، والدرع الحصينة أو ثلماً المدينة ، فان رأيتم أن  
 تقيموا بالمدينة وتركوا حيث نزلوا ، فان أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن دخلوا  
 علينا قاتلناهم فيها . وقال عبد الله بن أبي : والله ما جاءنا عدو قط فخر جنا إليهم ،  
 إلا أصابوا منا ، ولادخلوا علينا إلا أصابنا منهم ، وكان في المسلمين أناس لم يشهدوا  
 بدرأ يجون لقاء المدو ؛ ويرغبون في الشهادة فقالوا : يا رسول الله أخرج بنا إليهم  
 لئلا يظنوا أنا خفناهم ، أو أصابنا جين ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلبس لامة  
 حربيه وخرج عليهم ، فندموا وقالوا : استكرهناك يا رسول الله ، ولم يكن لنا ذلك ،

فان شئت فاقمد بالبلد ، فقال ﷺ : « ما ينبغي لني اذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل ، وكان ﷺ أمر الرماة أن لا يبرحوا من مكانهم الذي جعلهم فيه حتى يرسل لهم وإن انهزم القوم ، فلما التقى الجمعان ؛ هزم المسلمون المشركين . فقال الرماة لما رأوا ذلك : الغنيمة الغنيمة ، فقد ظهر أصحابكم ، فما تنتظرون ؟ فقال أميرم عبد الله بن جبير : أنسيتم ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : والله لنا تين الناس فلنصيبن الغنيمة ، فلما أتوم صرفت وجوههم ، فاقبلوا منهزمين ، فذاك إذ يدعوهم الرسول في أحرام ، فلم يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر ، وصار أصحاب رسول الله ﷺ ثلاثة فرق ، فرقة قتلوا ، وفرقة جرحى ، وفرقة هزموا .

الثانية : اختلف في عدة من ثبت معه ﷺ ، فقيل : اثني عشر رجلاً ، كما في « البخاري » ، وغيره عن البراء بن عازب رضي الله عنها .

وفي « البخاري » ، وأبي نعيم ، والاسماعيلي ، عن معتمر بن سليمان التيمي ، عن أبيه قال : سمعت أبا عثمان النهدي يقول : لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الاماكن التي يقاتل فيها غير طلحة وسعد .

قال سليمان : قلت : وما علمك بذلك ؟ قال : عن حديثها ، يعني ان سمداً وطلحة خيرا أبا عثمان بذلك .

قال في « الفتح » : ويعكر على هذا ماورد أن المقداد كان ممن بقي معه .

وفي « صحيح مسلم » : عن أنس قال : أفرد رسول الله ﷺ يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش ، وهذا أيضاً محمول على بعض المقامات والأحوال ؛ لجولانهم في القتال ، وعند محمد بن سعد أنه ثبت معه أربعة عشر رجلاً : سبعة من المهاجرين : فيهم أبو بكر الصديق .

وقال البلاذري : ثبت معه من المهاجرين أبو بكر ، وعمر ، وعلي ،



وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، والزيبر بن العوام ، وأبو عبيدة بن الجراح . ومن الأنصار : الحباب بن المنذر ، وأبودجانة ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، والحارث بن الصمة ، وأسيد بن حضير ، وسعد بن معاذ . وقيل : وسهل بن حنيف . انتهى .

وكذا أبو طلحة لما في « الصحيحين » ، عن أنس رضي الله عنه قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن رسول الله ﷺ ، وأبو طلحة بين يدي رسول الله ﷺ مجوَّب عليه بحجفته (١) .

وكان أبو طلحة : رجلاً رامياً ، شديد الرمي ، فنثر كنانته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يزل يرمي بها ، وكسر بوشة قوسين أو ثلاثة ، وكان الرجل يمر بالجمعة من النبل ، فيقول صلى الله عليه وسلم : انثرها لأبي طلحة ... القصة ، فهو لاء ستة عشر رجلاً : ثمانية من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار رضي الله عنهم أجمعين ، ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وبالله التوفيق .

الثالثة : روى أبو داود والطيالسي ، وابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال : ذلك اليوم كله لطلحة ، ثم أنشأ يحدث . قال : كنت بمن فاء إلى رسول الله ﷺ يوم أحد ، فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله ﷺ دونه . قال : أراه قال : يحميه . قال : قلت : كن طلحة حيث فاتني ما فاتني ، فقلت : يكون رجل من قومي أحب إليّ وبين وبين رسول الله ﷺ رجل لا أعرفه ، وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه ، وهو يحفظ المشي خطفاً لا أخطفه ، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح ، فأنهت إلى رسول الله ﷺ وقد كسرت رباعيته وشج وجهه ، وقد دخل في وجنته حلقتان من حلق المغفر . فقال رسول الله ﷺ : « عليكما صاحبكما » يعني طلحة ،

(١) في الاصل : يجوب عنه بحجفته ، وما أثبتناه في « صحيح البخاري » . والحفة :

الترس إذا كان من جلد ليس فيه خشب ولا عقب .

وقد نزع الدم ، فتركناه ، وذهبت لانزع ذلك من وجه رسول الله ﷺ .  
 فقال أبو عبيدة : أقسمت عليك بحقي لما تركتني ، فتركته ، وكره أن يتناولها  
 بيده فيؤذي رسول الله ﷺ ، فأزم عليه بقمه ، فاستخرج إحدى الحلقتين ،  
 ووقعت ثنيتته مع الحلقة ، وذهبت لأسنع ما صنع ، فقال : أقسمت عليك بحقي  
 لما تركتني ، ففعل كما فعل في المرة الأولى ، فوقعت ثنيتته الأخرى مع الحلقة ،  
 فكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتماً (١) . قال : فأصلحنا من شأن رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أتينا طلحة في بعض تلك الحفائر ، فاذا به بضع  
 وسبعون - أو أقل أو أكثر - من طعنة وضربة ورمية ، وإذا هو قد قطعت  
 أصبعه ، فأصلحنا من شأنه .

وروي أن طلحة رضي الله عنه أصيب يومئذ في رأسه ، فنزف الدم حتى  
 غشي عليه ، فنضج أبو بكر الماء في وجهه حتى أفاق ، فقال : ما فعل رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم . قال : خيراً ، هو أرسلني إليك . قال : الحمد لله ، كل مصيبة  
 بعمه جليل .

وروي أن الدم نزع من وجنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزع  
 الحلقتان ، فجعل مالك بن سنان يأخذ الدم بفيه ويمججه ويزدرد (٢) منه ، فقال له  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتشرب الدم ؟ قال : نعم يا رسول الله . فقال  
 صلى الله عليه وسلم : « من مس دمه دمي لم تصبه النار » . وفي « مستدرک  
 الحاكم » : من حديث عائشة بنت سعد عن أبيها رضي الله عنها ، قال : لما جال  
 الناس يوم أحد تلك الجولة تنحيت ، فقلت : أذود عن نفسي ، فاما أنجو ، وإما  
 أن أستشهد ، فاذا رجل مخمّر وجهه قد كاد المشركون أن يركبوه ، فملا يده

(١) الهم : إنكار الثنايا من أصلها .

(٢) أي يتلغ منه .

من الحصى ، فرمام به ، وإذا بيني وبينه المقداد ، فأردت أن أسأله عن الرجل ، فقال لي : يا سمد ، هذا رسول الله يدعوك ، فقامت ولكأنه لم يصبني شيء من الأذى ، فأتيته . فقال : أين كنت اليوم يا سمد ؟ فقلت : يا رسول الله حيث رأيت ، فأجلسني أمامه ، فجعلت أرمي وأقول : اللهم سهمك فارم به عدوك ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم استجب لسعد ، اللهم سدد لسعد رميته ، إيه سمد ، فذاك أبي وأمي ، وبهذا ونحوه تعلم الخلاف في ذكر عدد من ثبت معه ، وأنه بحسب المقامات والأماكن ، والكر والفر ، وأن كل من رجع إلى الرسول وآب إليه وانضم عليه قبل انفضاض القتال وخلص المعركة ؛ فهو ممن ثبت معه ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم ثبت مكانه لم يزل عنه .

فقد روى البيهقي من حديث المقداد رضي الله عنه ، وذكر حديثاً طويلاً في يوم أحد ، فقال : فأوجعوا والله فينا قتلاً ذريعاً ، ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نالوا ، لا والذي بمتي بالحق إن زال رسول الله صلى الله عليه وسلم شبراً واحداً ، وإنه أفي وجه العدو ، وتوفي إليه طائفة من أصحابه مرة ، وتفترق مرة عنه ، فربما رأيت قائماً يرمي عن قوسه ، ويرمي بالحجر ، وثبتت معه طائفة . ويقال : إنه ثبت معه ثلاثون رجلاً كلهم يقول : وجهي دون وجهك ، ونفسي دون نفسك ، وعليك السلام غير مودع . وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : إن ابن مسعود رضي الله عنه ، ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ .

الرابعة : لما اختل نظام الرماة ، ونحووا من المكان الذي أمرم بالمقام به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصرفت وجوههم ، وهبت الريح الدبور بمد أن كانت صبا ، صرخ الشيطان لعنه الله تعالى : أي عبادة الله أخراكم ، فرجعت أولى المسلمين فاحتلت هي وأخراهم ، وهم يظنون أنهم من العدو ، وكان

غرض إبليس اللعين أن يقتل المسلمون بعضهم بعضاً ، وصرخ اللعين عند جيل عيين من قرب أحد - وقد تصور في صورة جمال (١) بن سراقه رضي الله عنه - إن محمداً قد قتل ثلاث مرات ، فلم يشك فيه أنه حق ، والحال أن جمال إلى جنب أبي ردة يقاتل أشد القتال ، فكان ذلك سبب ذهول المسلمين ، وعدم ثباتهم ، فلما تبين كذب اللعين ، وعرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أقبلوا إليه ، ولما رأوه سالماً فرحوا فرحاً شديداً ، وكانهم لم يصبهم شيء حين رأوه سالماً ، ونهضوا به ونهض معهم نحو الشعب ومعه أبو بكر وعمر وعلي ومن تقدم ذكرهم . وقال صلى الله عليه وسلم لهم : « إني أخشى أن يأتي أبي بن خلف من خلفي ، فإذا رأيتموه فأذوني به . » وكان صلى الله عليه وسلم لا يلتفت في القتال وزاءه ، فلما أسند في الشعب أدركه وهو مقنع في الحديد يركض فرسه ، وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : أين محمد ؟ لا نجوت إن نجبا ، فاستقبله مصعب بن عمير بقي رسول الله بنفسه ، فقتل مصعباً رضي الله عنه ، فأراد بعض الصحابة أن يعترض له ، فقال صلى الله عليه وسلم : « دعوه وخلوا طريقه . » فلما دنا من الرسول قال الخبيث : يا كذاب ؛ أين تفر ، فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ، ويقال : من الزبير بن العوام ، فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتفض بها انتفاضة تطاير عنه أصحابه تطاير الذباب عن البعير إذا انتفض ، ولم يكن أحد يشبه رسول الله ﷺ إذا جد الجدد ، ثم استقبلها ، فطمته في عنقه . وفي لفظ : في رقوته من فرجة سابعة البيضة والدرع ، فتدأ منها مراراً عن فرسه ، أي مال ، وجمل يخور ، أي يصوت كما يخور الثور ، فرجع إلى قومه . فقال : قتلتني والله محمد ، فقالوا : ذهب

(١) كذا الأصل ، وفي « القاموس » وكزبير : ابن سراقه الضمري ، وجميل

الاشجبي : صحابيان .

والله فؤادك ، والله إن بك بأس ، ما أجزعك ؟! وفي لفظ : أنه ﷺ خدشه في عنقه خدشاً غير كبير ، فاحتقن الدم ، فلما قال أبي لقومه ما قال ، وأجابوه بما أجابوه ، وقالوا : إنما هو خدش ، ولو كان هذا الذي بك بعين أحدنا ما ضره . فقال : لا ، واللأت والزيمى ، لو كان هذا الذي بي بأهل ذي الحجاز ، أي وهو سوق عند عرفة . وفي لفظ : بريعة ومضر لما أتوا أجمون ، إنه قد كان قال لي بمكة : أنا أقتلك ؛ فوالله لو بصق علي لقتلني ، فأت عدو الله بسرف وهم قافلون . وقال ﷺ يومئذ : « اشتد غضب الله عز وجل على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله » متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وفي « البخاري » من حديث ابن عباس رضي الله عنها قال : « اشتد غضب الله على من قتله النبي في سبيل الله » وفي لفظ : « اشتد غضب الله على من قتله نبي » هكذا أخرجها البخاري موقوفين .

وروى محمد بن عمر الواقدي ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنها قال : مات أبي بن خلف بيطن رابع ، فاني لأسير بمد هدوء من الليل . إذا نار تاجج لي ، فبمها ، فاذا رجل يخرج منها في سلسلة يجذبها ، يصبح : المطش المطش ، وإذا رجل يقول : لانسقه ، فان هذا قتيل رسول الله ﷺ أبي بن خلف ، وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه في ذلك :

لقد ورث الضلالة عن أبيه	أبي يوم بارزه الرسول
أتيت إليه تحمل رمّ عظم	وتوعده وأنت به جهول
وقد قتلت بنوا النجار منكم	أمية إذ يفوث يا عقيل
وتبّ ابناربيعة إذ أطاعا	أبا جهل لأمها المبول
وأقلت حارث لما اشتغلنا	بأسر القوم، أسرته قليل

وقال حسان أيضاً :

ألا من مبلغ عني أيثاً      لقد ألقيت في سحق السمير  
تمنى بالضلالة من بريد      وتقسم ان قدرت مع النذور  
تمنيك الاماني من بريد      وقول الكفر يرجع في غرور  
فقد لاقتك طمئة ذي حفاظ      كريم البيت ليس بذي فجور  
له فضل على الأجيال طراً      إذا نابت ملمات الأمور

الغامسة : جملة من أكرمه الله عز وجل بالشهادة من الصحابة الكرام يوم أحد سبعين شهيداً ، وكان صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة ، سبعين أسيراً ، وسبعين قتيلاً ، فقتل من المهاجرين في أحد ، ستة ، وأربعة من الأنصار .

وقد روى ابن أبي شيبة ، والترمذي وحسنه ، والنسائي ، وابن سعد ، وابن جرير ، وابن جبان ، والبيهقي وغيرهم ، عن علي رضي الله عنه قال : جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، إن الله تعالى قد كره ما صنع قومك في أخذهم فداء الأسرى ، يعني أسرى بدر ، وقد أمرك أن تخيبرهم بين أمرين : إما أن يقدموا فتضرب أعناقهم ، وبين أن يأخذوا منهم الفداء ، على أن يقتل منهم عدتهم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، فذكر لهم ذلك ، فقالوا : يا رسول الله ، عشارنا وإخواننا نأخذ منهم الفداء ، فنتقوى به على قتال عدونا ، ويستشهد منا عدتهم ؛ فليس في ذلك ما نكره ، وبالله التوفيق .

### الحديث الثامن عشر

٦٣ - ثنا هشيم : أنبأنا يحيى بن أبي إسحاق وعبد العزيز

بن صهيب وحميد الطويل : عن أنس بن مالك أنهم سمعوه يقول :  
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يلبي بالحج  
وبالعمرة جميعاً .

قال رضي الله عنه ( ثنا هشيم ، أنبأنا ) كل واحد من هؤلاء الثلاثة ، وم :  
( يحيى بن أبي إسحاق ، وعبد العزيز بن صهيب ، وحميد الطويل ، عن أنس  
بن مالك ) رضي الله عنه ( أنهم ) أي الثلاثة المتقدم ذكرهم ( سمعوه ) أي أنس  
بن مالك رضي الله عنه ( يقول : سمعت رسول الله ﷺ يلبي ) من التلبية ، وهي  
قولك لمن دعاك : لبيك ، يقال : لبي بغير همز ، وهو الاصل ، ولبياً بالهمز : لفة  
( بالحج ) بفتح الحاء المهملة وكسرها ، لفتان مشهورتان ، وهو لفة : عبارة عن  
القصد ، وحكي عن الخليل أنه كثرة القصد الى من تمظمه ، ثم تعرف استعماله  
في القصد الى مكة المشرفة للنسك ؛ فهو اسم لأفعال مخصوصة ( و ) بـ ( العمرة )  
وهي لفة الزيارة ، وشرعا : زيارة البيت بأفصالها المخصوصة ( جميعاً ) بأن يقول :  
لبيك اللهم بالحج والعمرة ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك  
والملك ، لا شريك لك .

وعلى ظاهر هذا الحديث يكون ﷺ حج قارنا ، وهو الصحيح الذي  
لا شك فيه ، ولا وهم يمتريه .

قال الامام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه : لا أشك أن النبي ﷺ  
كان قارناً : والتمتع أحب إلي ، أي لمن لم يسق الهدي ، فإنه لم يختلف قوله  
رضي الله عنه : أن من جمع الحج والعمرة في سفرة واحدة ، وقدم في أشهر الحج  
ولم يسق الهدي ، ان التمتع أفضل ، بل هو المسنون ؛ لأمر النبي ﷺ  
أصحابه بذلك .

وأما من ساق الهدى ، فهل القران أفضل له أم التمتع ؟ فمته في ذلك روايتان .

وأما من أفردهما في سفرتين ، أو اعتمر قبل أشهر الحج وأقام الى الحج ؛ فهذا أفضل من التمتع ، وهو قول الخلفاء الراشدين ، وقول الامام أحمد وغيره ، وبعض أصحاب مالك ، والشافعي ، وغيرهم .

واعلم ان معتمد مذهب الامام أحمد أن افضل الأنساك : التمتع ، ثم الافراد ثم القران .

قال رضي الله عنه : الذي نختاره التمتع ؛ لأنه آخر ما أمر به النبي ﷺ وهو يعمل لكل واحد منها ، أي الحج والعمرة على حدة ، هكذا في رواية صالح .

وقال أبو داود : سمعته يقول : نرى التمتع أفضل ، وسمعته قال للرجل أراد ان يحج عن أمه : تمتع أحب الي .

وقال إسحق بن ابراهيم : كان اختيار أبي عبد الله الدخول بعمرة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدى ، ولا حملت معكم » قال : وسمعته يقول : العمرة كانت آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعند الحنفية : القران أفضل . وعند المالكية والشافعية : الافراد أفضل . قال الحنفية : ما اختاره الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فهو أفضل . قلنا : هذا صحيح ، لولا ما يعارضه من أمره لاصحابه بالتمتع ، والتأسف على سوقه الهدى في قوله صلى الله عليه وسلم : « لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدى ، ولا حملت معكم » .

والحاصل انه صلى الله عليه وسلم حج قارنا ، وبالله التوفيق .



## تلبّيات

الأول : هذا الحديث صحيح متفق عليه ، ولفظه :

قال أنس : سمعت النبي ﷺ يلبّي بالحج والعمرة جميعاً ، يقول : « لبيك عمرة وحجاً » . وعن أنس رضي الله عنه أيضاً قال : خرجنا فصرخ بالحج ، فلما قدمنا مكة أمرنا رسول الله ﷺ أن نجعلها عمرة ، وقال : « لو استقبلت من أمري ما استدبرت ل جعلتها عمرة ، لكني سقت الهدى وقرنت بين الحج والعمرة » . رواه الامام أحمد .

وفي « المسند » و « صحيح البخاري » ، و « سنن أبي داود » و « ابن ماجه » : عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو بوادي لعقيق يقول : « أناني آت من ربي فقال : صل في هذا الوادي المبارك ، وقل : عمرة في حجة » ، وفي رواية للبخاري : « وقل عمرة وحجة » .

الثاني : التلبية سنة عند الامام أحمد ، والشافعي . قال في « الفروع » : إن الحج عبادة بدنية ، ليس في آخرها نطق واجب ، فكذا أولها ، كصوم ، بخلاف الصلاة .

قال : ويتوجه احتمال وجوب التلبية ، والاعتبار بما نواه ، لا بما سبق به لسانه ، وعند الامام الشافعي : انها واجبة في وجه ، حكاه الماوردي عن ابن خيران ، ابن أبي هريرة ، وأنه يجب بتركها دم .

وقال الحنفية : إذا اقتصر على النية ولم يلب لا ينقذ إحرامه ؛ لأن الحج نضمن أشياء مختلفة فلا وتركها ، فأشبهه الصلاة ، فلا يحصل إلا بالذكر في أوله . وقال المالكية : لا ينقذ الاحرام إلا بنية مقرونة بقول أو فعل متعلقين به ، كالتلبية والتوجه الى الطريق ، فلا ينقذ بمجرد النية ، وقيل : ينقذ ، قاله عند ، وصفة تلبيته صلى الله عليه وسلم كما تقدم : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك

لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك ، وهو مروى عن الامام مالك .

قال في « الفروع » : الاحرام لا ينمقد إلا بنية ، وللشافعي قول ضعيف ينمقد بالتلبية ، ونية النسك كافية ، نص عليه ، يعني الامام أحمد ، وفاقاً للمالك والشافعي .

وفي « الانتصار » رواية : مع تلبية أو سوق هدي ، وفاقاً لأبي حنيفة . قال : واختارها شيخنا ، يعني شيخ الاسلام ابن تيمية ، وقاله جماعة من المالكية ، وحكى قولاً للشافعي ، وبعضهم حكى قولاً : يجب ، وحكى عن مالك وجماعة من الشافعية : يمتد مع النية التلبية .

والمتمدد أن التلبية سنة لا واجبة ، ويسن ابتداؤها عقب إحرامه ، وذكر نسكه فيها ، وذكر العمرة قبل الحج للقارن - فيقول : لبيك عمرة وحجاً - والاكثر منها ، ورفع الصوت بها .

ويسن الدعاء بعدها ، فيسأل الله الجنة ، ويمودبه من النار ، ويدعو بما أحب ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

ومتمدد المذهب جواز الزيادة على تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقد روى الاثرم ، وابن المنذر ، وابن أبي شيبة : أنه كان من تلبية عمر رضي عنه : لبيك ذا النعماء والفضل الحسن ، لبيك مرغوباً ومرهوباً اليك .

الثالث : التمتع : أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج ويفرخ منها ، ثم يحرم بالحج من مكة أو قريب منها ، وسمي تمتعاً لتمتع صاحبه بمحظورات الاحرام بين النسكين ، وهذا الافضل عند الامام أحمد .

وعند الامام أبي حنيفة القران أفضل .

وصفته : أن يحرم بالحج والعمرة معاً ، أو يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها

الحج قبل الشروع في طوافها ، إلا لمن معه الهدي ؛ فيصح ولو بعد السعي ويصير  
قارناً ، ولا يعتبر لصحة إدخال الحج على العمرة الاحرام به في أشهره .  
وعند الامام مالك والشافعي الافراد أفضل .  
وصفته : أن يحرم بالحج مفرداً ، فإذا فرغ منه اعتمر عمرة الاسلام إن  
كانت باقية عليه .

الرابع : اختلف الفقهاء في القارن ، هل يطوف طوافين ويسمى سميين ،  
أم يكفيه طواف واحد ؟  
مذهب الاثمة الثلاثة : يكفيه طواف واحد وسمي واحد ، وعمل العمرة  
دخل في الحج ، كما يدخل الوضوء في الغسل .

ومذهب الامام أبي حنيفة : أنه يطوف طوافين ويسمى سميين ، فيطوف  
ويسمى للعمرة أولاً ، ثم يطوف ويسمى للحج ثانياً ، وإذا فعل القارن محظوراً  
فعليه فديتان .

وقد روي مثل هذا عن علي وابن مسعود رضي الله عنها ، لكن الاحاديث  
الصحيحة والأخبار الصريحة تبين أن سيد العالم صلى الله عليه وسلم إنما طاف  
طوافاً واحداً وسمي سميّاً واحداً .

كما في « الصحيحين » من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : خرجنا مع  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « من كان معه هدي فليهل بالحج مع  
العمرة ، ثم لا يحمل منها شيئاً » . وقالت فيه : فطاف الذين كانوا أهلوا بالعمرة  
بالبيت ، وبين الصفا والمروة ، ثم طافوا طوافاً آخر بعد أن رجعوا من منى  
لحجهم . قالت : وأما الذين جمعوا الحج والعمرة ؛ فأما طافوا طوافاً واحداً .

وفي « مسلم » عنها ، أنه قال لها رسول الله ﷺ : « يسمك طواف لحجك  
وعمرتك » .

وفي « الصحيحين » أنه ﷺ قال لها: « يسمك لحجك وعمرتك ، يكفيك طوافك لحجك وعمرتك ، قد حلت من حجك وعمرتك جميعاً ... » الحديث .  
وقد صح عنه ﷺ أنه قال : « دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة »  
وإذا دخلت في الحج لم تحتاج الى عمل زائد على عمله ، كما إذا دخل الوضوء في  
الفصل ، والله علم .

### الحديث التاسع عشر

٦٤ - ثنا هشيم قال : أنبأنا حميد ، عن ثابت ، عن  
أنس ، واظنتي قد سمعته من أنس أن رسول الله ﷺ مرَّ  
برجل يسوق بدنة فقال : اركبها ، قال : إنها بدنة . قال :  
اركبها ، مرتين أو ثلاثاً .

قال رضي الله عنه ( ثنا هشيم قال : أنبأنا حميد ) الطويل ( عن ) أبي محمد  
( ثابت ) البناني ، بن أسلم ، تابعي ، من أعلام البصرة وثقاتهم ، اشتهر بالرواية  
عن أنس بن مالك ، وصحبه أربعين سنة .

وروى عن ابن عمر ، وابن الزبير ، وأبي بردة الأسلمي ، وعمر بن أبي  
سلمة وغيرهم .

وروى عنه شعبة ، وحماد بن سلمة ، وحماد بن زيد ، وحميد الطويل وغيرهم .  
وكان محدثاً إماماً ثقة حافظاً مأموناً صحيح الحديث .

قال أبو حاتم : أثبت أصحاب أنس ، الزهري ، ثم ثابت ، ثم قتادة .

قال بكر بن عبد الله المزني : من أراد أن ينظر الى أعبد أهل زمانه ،  
فليُنظر الى ثابت البناني ، فما أدركنا الذي هو أعبد منه .  
وقال ثابت قدس الله روحه : كابدت الصلاة عشرين سنة ، وتعمت بها  
عشرين سنة .

وكان يصلي في كل ليلة ثلاثمائة ركعة ، فإذا أصبح ضمدت قدماه ، فبأخذها  
بيده فيعصرها ثم يقول : مضى المابدون ، وقطع بي ، والهفاه .  
وكان يقرأ القرآن في كل يوم وليلة ، ويصوم الدهر .  
وقال له أنس بن مالك رضي الله عنه : ما أشبه عينيك بعيني رسول الله ﷺ ،  
فما زال يبكي حتى عمشت عيناه . واشتكى ثابت عينه ، فقال له الطبيب : اضمن لي  
خصلة تبرأ عينك . قال : لا تبك . قال : وما خير عين لا تبكي ؟ وكان يقول :  
ما شيء أجده في قلبي ألدّ عندي من قيام الليل . وقال ابنه : ذهبت ألقين أبي  
وهو في الموت ، فقلت : يا أبه ! قل : لا إله إلا الله ، فقال : يا بني خلعني ، فاني في  
وردي السادس أو السابع . وقال جسر : أنا والله الذي لا إله إلا هو - أدخلت ثابتاً  
البناني لحده وممي حميد الطويل ، فلما سوّينا عليه سقطت لَبِيئَةٌ ، وإذا أنا به يصلي  
في قبره ، فقلت للذي ممي : ألا ترى ؟ فقال : اسكت ، فلما فرغنا أتينا ابنته ،  
فقلنا لها : ما كان عمل ثابت . قالت : ما رأيتم ، فأخبرناها . قالت : كان يقوم  
الليل خمسين سنة ، فإذا كان السحر قال في دعائه : « اللهم إن كنت أعطيت أحداً  
من خلقك الصلاة في قبره فأعطنيها .

مات ثابت سنة ثلاث وعشرين ومائة ، وقيل : سبع وعشرين ، وله ست  
وثمانون سنة ( عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ، وهذا الحديث بهذا السند على  
هذا النمط ليس هو من الثلاثيات ، وإنما يكون من الثلاثيات باعتبار قول حميد  
الطويل ( وأظني قد سمعته ) أي الحديث الآتي ذكره ( من أنس ) بن مالك من

غير واسطة ثابت النبي رحمة الله تعالى ( أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ  
برجل ) .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : لم أقف على تسميته ، ولم يتعرض له  
السيرماوي في « مهبات العمدة » ، وبيض له جلال الدين البلقيني في « مهبات  
البخاري » ، من حديث أبي هريرة وأنس رضي الله عنها ( يسوق بدنة ) زاد  
مسلم : مقلدة بقلادة في عنقها . قال الجوهري : التقليد أن يملق في العنق شبيء .  
ليعلم أنها هدي .

والبدنة تقع على الجمل والناقة ، والبقرة وهي بالابل أشبه ، وكثير استعمالها  
فيما كان هدياً .

وفي « المطلع » : قال كثير من أهل اللغة : البدنة تطلق على البعير والبقرة .  
وقال الأزهري : تكون من الابل والبقر والغنم .

وقال صاحب « المطالع » ، وغيره : البدنة والبدن ، هذا الاسم يختص بالابل  
اعظم أجسامها .

وللمفسرين في قوله تعالى : والبدن جعلناها لكم ،<sup>(١)</sup> ثلاثة أقوال :

أحدها . أنها الابل ، وهو قول الجمهور .

الثاني : أنها الابل والبقر ، قاله جابر وعطاء .

الثالث : أنها الابل والبقر والغنم .

ومعتمد مذهب الامام أحمد أنه إذا نذر بدنة وأطلق أجزأته بقرة . وإن  
نوى شيئاً لزمه مانواه ، ولا بد في أجزاء البدنة الواجبة من الابل أن تكون تم  
لها خمس سنين ودخلت في السادسة ، وأن تكون بصفة ما يجزىء في الأضحية ،  
ومن البقر حيث أجزأت عن البدنة أن تكون تم لها سنتان وطعنت في الثالثة .

(١) سورة الحج ، الآية : ٣٦

( فقال ) صلى الله عليه وسلم للرجل الذي يسوقها : ( اركبها ) لتخالف  
بركوبك لها الجاهلية في ترك الانتفاع بالسائبة ، والوصيلة ، والحمام .  
واوجب بمضمهر ركوبها لهذا المعنى عملاً بظاهر الأمر ، وحمله الجمهور على  
الارشاد لمصلحة دنيوية ، واستدلوا بأنه صلى الله عليه وسلم أهدي ولم يركب ،  
ولم يأمر جميع الناس بركوب الهدايا ، وجزم علماءنا أن له الركوب لحاجة فقط  
بلا ضرر ، ويضمن نقصها إن نقصت .

قال في « الفروع » : وله ركوبه ، أي الهدى لحاجة ، وعنه ، أي عن الامام  
أحمد مطلقاً ، أي لحاجة وغيرها . قطع به في « المستوعب » و « الترغيب » وغيرها  
بلا ضرر ، ويضمن نقصه . قال : فظاهر « الفصول » وغيره إن ركبه بمد  
الضرورة ونقص . انتهى .

وجزم النووي من الشافعية في « الروضة » كأصلها بجواز الركوب مطلقاً ،  
ونقله في « المجموع » عن القفال والماوردي ، ونقل فيه عن أبي حامد وغيره  
تقييده بالحاجة ، كمتهم مذهبنا ، ودليله ما أخرجه الامام أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ،  
والنسائي من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً : « اركبها بالمروف إذا أُلجئت  
إليها حتى تجد ظهراً » ، فهذا خير صحيح مقيد ، والمقيد يقضي على المطلق ، ولأنه  
شئ . خرج عنه لله فلا يرجع فيه ، ولو أبيع النفع لغير ضرورة أبيع استئجاره ،  
ولا يجوز ذلك اتفاقاً .

( قال ) : وفي لفظ : فقال الرجل : ( إنها بدنة ) أي هدي ( قال ) : وفي  
لفظ : فقال ، بزيادة الفاء : ( اركبها ) كرر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، يعني  
أمر الرجل بركوب بدنته ( مرتين أو ثلاثاً ) من المرات ، كذا في « صحيح مسلم »  
بالشك . وقال البخاري : ثلاثاً من غير شك ، وفي آخرها قال : اركبها ، وبلك ،  
قالها في الثانية أو الثالثة .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما رجل يسوق بدنة مقلدة ، قال له رسول الله ﷺ : « ويلك اركبها » . فقال : بدنة يارسول الله ؟ قال : « ويلك اركبها ، ويلك اركبها » .

قال أبو هريرة رضي الله عنه كما في « البخاري » : فلقد رأيته راكبها يسائر النبي ﷺ .

قوله ﷺ للرجل : « ويلك » بالنصب على الفعل المطلق بفعل من معناه محذوف وجوباً ، أي أئزمه الله ويلا ، وهي كلمة تقال لمن وقع في الهلاك ، أو لمن يستحقه ، أو هي بمعنى الهلاك ، أو المشقة من الحزن أو المذاب ، أو وادٍ في جهنم أو بئر فيها ، أو باب لها ، أقوال .

وإنما دعا بها النبي ﷺ على الرجل ، لعدم مبادرته وامتنال أمره ، تأديباً لأجل مراجعته له مع عدم خفاء الحال عليه ، ويحتمل أنها إنما جرت على لسانه ﷺ على ما اعتيد في لغة العرب في مخاطبة بعضهم بعضاً من غير قصد لموضوعها ، كما في : « تربت يداك » ونظائرهما .

وقيل : إن الرجل كان قد أشرف على الهلاك من الجهد ، وكلمة ويل تقال لمن أشرف على الهلاك أو وقع في هلكة ، فالمعنى : أشرفت على الهلاك فاركب ، فهي على هذا إخبار .

وفي حديث أنس أيضاً عند الامام أحمد ، والنسائي : أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة ، وقد أجهده المشي . فقال : « اركبها » ، قال : إنها بدنة ، قال : « اركبها » ، قال : إنها بدنة ، فقال له ﷺ في الثالثة أو الرابعة : « اركبها ويحك أو ويلك » ، رواه الترمذي ، وهو في « البخاري » في باب هل ينتفع الواقف بوقفه ، كذلك ، والله أعلم .



## الحديث العشرون

٦٥ - ثنا معتمر بن سليمان قال : قال أبي : حدثنا أنس ،  
حسبته قال : عطس عند النبي ﷺ رجلان ، فشمّت أحدهما ، أو  
قال : سمّت ، وترك الآخر ، فقيل : رجلان عطس أحدهما  
فشمّت ولم يُشمّت الآخر . فقال : إن هذا حمد الله .

قال رضي الله عنه : ( ثنا معتمر بن سليمان ) بن طرخان التيمي البصري  
الامام القدوة الحافظ .

روى عن أبيه ، وخالد الحذاء ، وعبد الملك بن عمير ، ومنصور بن المعتمر .  
وروى عنه الامام احمد بن حنبل ، وإسحق بن راهويه ، وعلي بن المديني ،  
والقنبي ، ويحيى بن معين ، وخلق .

توفي رحمه الله تعالى سنة سبع وثمانين ومائة .

( قال ) المعتمر ( قال أبي ) سليمان بن طرخان ، بفتح الطاء المهملة والراء  
وبالطاء المعجمة فنون قبلها ألف ، وتقدمت ترجمته في الحديث الثاني من « مسند  
أنس » رضي الله عنه .

( حدثنا أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( حسبته ) وفي رواية شعبة ، عن  
سليمان التيمي هذا ، قال : سمّت أنساً ( قال : عطس ) بفتح الطاء المهملة في الماضي  
وبكسرها وضمها في المضارع ( عند النبي صلى عليه وسلم رجلان ) تقدم أنها  
عامر بن الطفيل وابن أخيه ( فشمّت ) النبي ﷺ ( أحدهما ) بالسين المعجمة ( أو  
قال : سمّت ) أحدهما بالسين المهملة ( وترك الآخر ) لم يشمته .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري في «الأدب المفرد»  
 وصححه ابن حبان ، أحدهما أشرف من الآخر ؛ وإن الشريف لم يحمده (فقيل)  
 أي قال العاطس الذي لم يحمده ، كما وقع في حديث أبي هريرة المذكور ، ولفظه :  
 فسأله الشريف ، ها (رجلان : عطس أحدهما فشمّت) بضم الشين المعجمة ،  
 وكسر الميم المشددة مبنياً لما لم يسم فاعله ( ولم يُشمت ) بضم الياء المثناة تحت  
 وفتح الشين المعجمة والميم مبنياً للمجهول ( الآخر ) بالرفع نائب الفاعل ، أي إنك  
 شمت أحداً دون الآخر ، يعني دوني ، يعني ما السبب الحامل على هذا الفرق  
 بيننا ؟ ( فقال ) ﷺ : ( إن هذا ) الذي شمته ( حمد الله ) تعالى عقب أن عطس ،  
 فشمته ، وهذا لم يحمده فلم أشمته .

وتقدم الكلام على هذا الحديث في الحديث الثاني من «مسند أنس»  
 ابن مالك رضي الله عنه ، وإنما أعاده هنا لاختلاف شيخه فيه ، فشيخ الامام أحمد  
 رضي الله عنه في الحديث المذكور أولاً ، إسماعيل بن عليّه ، وشيخه في هذا  
 معتمر بن سليمان ، والله الموفق .

### الحديث الحادي والعشرون

٦٦ - ثنا معتمر ، عن حميد ، عن أنس ، قال : كان  
 رسول الله ﷺ ، يحب أن يليه المهاجرون والانصار في  
 الصلاة .

قال رضي الله عنه ، ( ثنا معتمر ) بن سليمان التيمي ( عن حميد ) الطويل  
 ( عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( قال : كان رسول الله ﷺ يحب أن

عليه ) أي يقرب منه ( المهاجرون والانصار في الصلاة ) وتام الحديث عن  
الامام أحمد ، وابن ماجه ، والحاكم : « ياخذوا عنه » . وفي بعض ألفاظه :  
« ليحفظوا عنه » أي فروضها وأماضها وهياتها ، فيرشدون به الجاهل ، وينبهون  
الناقل ، وجهه صلى الله عليه وسلم ، إما بأخباره للصحابي انه يحبه ، وهذا الظاهر ، أو علم  
الصحابة رضي الله عنهم محبته لذلك بقريته .

وقد روى الامام احمد ، ومسلم ، وأصحاب « السنن » من حديث ابن  
مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليأتي منكم أولو الاحلام والنهي ،  
ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، وإياكم وهيشات الاسواق » .

وروى الامام أحمد ، ومسلم والنسائي ، وابن ماجه عن ابن مسعود أيضاً  
رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول :  
« استروا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ، إني منكم أولو الاحلام والنهي ، ثم  
الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » .

قوله صلى الله عليه وسلم : « ليأتي » هو بكسر اللامين بينها ياء مشناة تحت مفتوحة ، ثم  
نون مخففة من غير ياء قبل النون ، ويجوز إثبات الياء مع تشديد النون للتأكيد  
ومن حق هذا اللفظ أن يمحذف منه الياء ؛ لانه على صيغة الامر ، وقد وجد  
بإثبات الياء وسكونها في سائر كتب الحديث ، والظاهر أنه غلط .

وأولو الاحلام : هم العقلاء البالغون .

والنهي بضم النون : جمع نهي بالضم المقل ، سمي بذلك لأنه ينهى عن  
القبائح .

قال ابن سيد الناس : الاحلام والنهي : بمعنى واحد ، وهي العقول . وقال  
بعضهم : المراد بأولي الاحلام البالغون ، وبأولي النهي العقلاء .

وفي « النهاية » أي ذوو الالباب ، واحداً حلم بالعكس ، كأنه من

الحلم الذي هو الأناة والتثبت في الأمور ، وذلك من شعار العقلاء ، والنهي :  
المقول .

وقوله : ثم الذين يلونهم ، أي يقربون منهم في هذا الوصف ، كالمراهقين ،  
ثم الصبيان المميزين .

وقوله : وإياكم وهيشات الاسواق ، هو بفتح الهاء وسكون التنخيسة  
وإعجام الشين .

والأسواق جمع سوق ، أي اختلاطها ، والمنازعة فيها والخصومات والاضط  
فيها ، والفتن التي تقع فيها ، وارتفاع الأصوات من أهلها .

وقال الخطابي : هي ما يكون في الاسواق من الجلبة ، وارتفاع الاصوات ،  
وما يحدث فيها من الفتن ، وأصله من الهوش ، وهو الاختلاط .

وقوله : ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم . قال في « النهاية » : أي اذا تقدم  
بعضهم على بعض في الصف ؛ تأثرت قلوبهم ، ونشأ الخلف ، أي عن التواد  
والألفة . الى التباغض والمداوة .

وروى مسلم وأصحاب « السنن » عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ،  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في أصحابه تأخراً ، فقال لهم : « تقدموا  
فأتعوا بي ، وليأتكم بكم من وراءكم ، ولا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله  
عز وجل » .

وروى أبو داود في « سننه » من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنها ،  
وصححه الحاكم وابن خزيمة ، أن رسول الله ﷺ قال : « أقيموا الصفوف ،  
وحاذوا بين المناكب ، وسدوا الخلل ، ولا تذرُوا فرجات للشيطان ،  
ومن وصل صفاً وصله الله ، ومن قطع صفاً قطعه الله ، ورواه الامام أحمد  
والطبراني وغيرهم .

(فروع) :

الأول : إذا اجتمع في الصلاة أنواع ، سن تقديم رجال أحرار ، ثم عبيد ،  
الأفضل فالأفضل ، ثم صبيان كذلك ، ثم خنثى كذلك ، ثم نساء .  
وان وقفت المرأة مع رجال ، لم تبطل صلاة من يليها ومن خلفها ، خلافا  
للحنفية . وفي رواية تبطل . وقيل : وصلاة من هو أمامها ، ولا تبطل صلاتها  
اتفاقا . وعند الحنفية لا أمر الرجل قصداً بتأخيرها ، فترك الفرض ؛ بطلت صلاته ،  
ولما أمرت هي ضمنا ؛ أثمت فقط .

قال في « الفروع » : فزادوا على الكتاب فرضاً بخبر واحد ، واعتذروا  
بأنه مشهور ؛ فيلزمهم فرضية الفاتحة والطمأنينة وغير ذلك ، والصف التام من  
النساء ، لا يمنع اقتداء من خلفهن من الرجال ، خلافا للحنفية ؛ فتبطل صلاتهم  
عندهم ، ولو كانوا مائة صف لتأكد إساءتهم في الموقف ، بخلاف امرأة في صف  
رجال ، فإن أبا يوسف ومحمداً أبطلا صلاة اثنين عن جنبيها ، وثالث خلفها  
بمآذيتها .

وفي « مسند الامام احمد » : كان عليه السلام يجعل الرجال قدام الغلمان ، والغلمان  
خلفهم ، والنساء خلف الغلمان .

ولأبي داود عن أبي مالك الاشعري رضي الله عنه : ألا أحدثكم بصلاة  
النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : فأقام السلام ، وصف الرجال ، وصف خلفهم الغلمان ، ثم صلى  
بهم ، فذكر صلاته .

الثاني : يسن للامام أن يسوي الصفوف بمحاذاة المناكب والأكعب ،  
دون أطراف الأصابع ، فيلتفت عن يمينه قائلاً : اعتدلوا وسواوا صفوفكم .

وفي « المغني » للامام الموفق وغيره : يقول : استووا رحمكم الله تعالى ،  
وعن يساره كذلك ؛ لأن تسوية الصف من تمام الصلاة .

قال الامام أحمد رضي الله عنه : ينبغي أن تقام الصفوف قبل أن يدخل الامام ، ويسن أن يكمل الأول فالأول ، وتراص المأمومين ، وسد خلل الصفوف ، فلو ترك القادر الصف الأول فالأول ، كره ، وظاهر كلام علمائنا يحافظ على الصف الأول وإن فاته ركعة ، لا إن خاف فوت الجماعة ، وكما قرب من الامام فهو أفضل ، وكذا قرب الأفضل ، وقرب الصف من الامام أفضل ، وللافضل تأخير المفضول ، كالصبي لا البالغ ، والصلاة مكانه ، لأن آيتاً رضي الله عنه نحى قيس بن عباد وقام مكانه ؛ فلما صلى قال : يا بني لا يسوؤك الله ، فاني لم آتتك الذي آتيت بجمالة ، ولكن رسول الله ﷺ قال : « كونوا في الصف الذي يلي ، . وإني نظرت في وجوه القوم فمرفقهم غيرك ، رواه الامام أحمد ، والنسائي باسناد جيد .

الثالث : الصف الأول ما يقطعه المنبر وفاقاً ، يعني أول صف يلي الامام سواء قطعه المنبر أو لا ، وقيل : أول صف قام يلي الامام لا ما تخلله شيء فقطعه ، كمنبر ومقصورة ، وقيل : المراد به من يسبق الى الصلاة ، ولو صلى آخر الصفوف ، قاله ابن عبد البر .

قال النووي : القول الأول هو الصحيح ، وبه صرح المحققون ، والقولان الاخيران غلط صريح . انتهى .

قال العلماء في الحوض على الصف الأول : المسارعة الى خلاص الذمة ، والسبق لدخول المسجد ، والقرب من الامام ، واستماع قراءته ، والتعلم منه ، والفتح عليه ، والتبليغ عنه ، والسلامة من اختراق المارة بين يديه ، وسلامة البال من رؤية من يكون قدأمه ، وسلامة موضع سجوده من أذيال المصلين . وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال : « لو يعلم الناس ما في النداء والصف الاول ، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا » .

وروى الامام أحمد باسناد لا بأس به ، والطبراني وغيره ، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله وملائكته يصلون على الصف الاول » . قالوا : يا رسول الله ، وعلى الثاني ؟ قال : « إن الله وملائكته يصلون على الصف الاول » . قالوا : يا رسول الله ، وعلى الثاني ؟ قال : وعلى الثاني . وقال صلى الله عليه وسلم : « سوا صفوفكم ، وحاذوا بين مناكبكم ، ولينوا في أيدي إخوانكم ، وسدوا الخلل ، فان الشيطان يدخل فيما بينكم بمنزلة الحذف » . يعني أولاد الضأن الصغار .

والحذف : بالحاء المهملة والذال المعجمة مفتوحين وبمدهما فاء .

وفي « ابن ماجه » و « النسائي » ، و « صحيح ابن خزيمة » ، و « الحاكم وصححه » ، عن الرباض بن سارية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ : كان يستنفر للصف المقدم ثلاثاً ، وللثاني مرة .

ولفظ النسائي ، كابن حبان : كان يصلي على الصف الاول مرتين . وفي لفظ : كان يصلي على الصف المقدم ثلاثاً ، وعلى الثاني واحدة .

وروى الامام أحمد باسناد جيد ، عن النعمان بن بشير رضي الله عنها ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله وملائكته يصلون على الصف الاول ، أو الصفوف الأول » .

الرابع : تسوية الصف من تمام الصلاة ، كما في « الصحيحين » ، من حديث أنس مرفوعاً ، ولفظه : قال صلى الله عليه وسلم : « سوا صفوفكم » ، فان تسوية الصف من تمام الصلاة » .

وفي رواية للبخاري : « فات تسوية الصفوف من إقامة الصلاة » . وقد  
 ترجم البخاري في « صحيحه » باب إثم من لم يتم الصفوف .  
 قال ابن رشد المالكي : أورد فيه حديث أنس : ما أنكرت شيئاً إلا أنكم  
 لا تقيمون الصفوف ، يشير الى حديث بشير بن يسار ، عن أنس بن مالك رضي  
 الله عنه ، قدم المدينة . فقال له : ما أنكرت منا منذ يوم عهدت رسول الله ﷺ ؟  
 قال : ما أنكرت شيئاً إلا أنكم لا تقيمون الصفوف ، أخرجه البخاري ، وتعقب  
 بان الإنكار قد يقع على ترك السنة ، فلا يدل ذلك على حصول الإثم .

والمراد بإقامة الصفوف وتسويتها ؛ اعتدال القائميين بها على سمت واحد ،  
 ويراد بها أيضاً سدد الخلل الذي في الصف ، وقد أوجبها بعضهم ، ومع القول  
 بأن التسوية واجبة ؛ فصلاة من خالف ولم يستو صحيحة ؛ لاختلاف الجهتين ،  
 ويؤيد ذلك أن أنساً مع إنكاره عليهم لم يأمرهم بإعادة الصلاة ، وأفرط ابن حزم  
 الظاهري فجزم بالبطالان ، ورد عليه بأنه خرق للاجماع ؛ فقد نقل بعضهم  
 الاجماع على عدم الوجوب ، ونوزع مدعي الاجماع بما صح عن عمر أنه ضرب  
 قدم أبي عثمان النهدي لإقامة الصف ، وبما صح عن سويد بن عقلة قال : كان  
 بلال يسوي منا كبنا ، ويضرب أقدامنا في الصلاة ، وبأن عمر وبلالاً ما كانا  
 يضربان أحداً على ترك غير الواجب ، وفيه نظر ؛ لجواز أنها كانا يريان التعزير  
 على ترك السنة ، والله أعلم .

### الحديث الثاني والعشرون

٦٧ - ثنا معتمر ، عن حميد عن أنس قال : لم يكن  
 في رأس رسول الله ﷺ ولحيته عشرون شعره بيضاء ، وخضب  
 ابو بكر بالحناء والسكتم ، وخضب عمر بالحناء .



قال رضي الله عنه : ( ثنا معتمر ) بن سليمان التيمي ( عن حميد ) الطويل ( عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( قال : لم يكن في ) شعر ( رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم و ) شعر ( لحيته ) الشريفة ( عشرون شعرة بيضاء ) .

اعلم ان الناس تكلموا على شبيهه صلى الله عليه وسلم ، وبينوا ما هو الصحيح من ذلك ، وقد ورد في ذلك عدة أخبار . فأخرج الترمذي في « الثمائل النبوية » عن ابن أمير المؤمنين عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنها ، قال : كان شبيهه صلى الله عليه وسلم نحو عشرين شعرة بيضاء في مقدمه . ورواه ابن ماجه في « سننه » .

وفي رواية ابن سعد : لم يبلغ ما في لحينه ﷺ من الشيب عشرين شعرة . وفي « مسلم » من حديث أنس رضي الله عنه ، وقد سئل ، هل خضب رسول الله ﷺ ؟ إنه لم ير من الشيب إلا قليلاً . وفي رواية : لم يبلغ ما يخضب ، وذلك لأن المادة أن القليل من الشعر الأبيض إذا بدا في اللحية لم يسادر الى خضبه حتى يكثر ، ومرجع الكثرة والقلة في ذلك الى العرف .

وفي « مسلم » عن عاصم الأحول ، عن ابن سيرين ، عن أنس رضي الله ﷺ عنه ، هل كان رسول الله ﷺ خضب ؟ قال : لم يبلغ الخضاب ، كان في لحيته شعرات بيض .

وفيه عن ثابت البناني قال : سئل أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن خضاب رسول الله ﷺ ، فقال : لو شئت أن أعد شمطات <sup>(١)</sup> كنت في رأسه فعلت . قال : ولم يخضب . ورواه في « البخاري » ، وقال : في لحيته بدل رأسه . وفي « مسلم » عنه : إنما كان البياض في عنقه <sup>(٢)</sup> ، وفي الصدغين ،

(١) الشمط : بفتحين ، بياض شعر الرأس يخالطه سواد ، والرجل أنشط .

(٢) العنقة : شعرات بين الشفة السفلى والذقن .

والرأس نبد (١) . ورواه « البخاري » ، إلا أنه لم يذكر المنفقة من حديث أنس ، ولا ذكر التبذ .

وفي « مسلم » أيضاً ، عن أبي جحيفة قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه منه بيضاء ، ووضع بعض أصابعه على عنقته . وجاء في رواية : كان شبهه صلى الله عليه وسلم لا يزيد على عشر شعرات . وفي رواية : أربع عشرة شعرة . وفي أخرى عشر .

وأخرج البخاري في « صحيحه » عن جرير بن عثمان أنه سأل عبد الله ابن بسر صاحب النبي ﷺ ، قال : رأيت النبي ﷺ كان شيخاً ؛ قال : كان في عنقته شعرات بيض . فمقتضى حديث عبد الله هذا أن شبهه ﷺ كان لا يزيد على عشر شعرات ؛ لا يراده بصيغة القلة . وأوما حميد في روايته الى عنقته سبع عشرة . وروي أيضاً عن ثابت ، عن أنس قال : ما كان في رأس رسول الله ﷺ ولحيته إلا سبع عشرة ، أو ثمان عشرة . وروى ابن خيثمة عن أنس قال : لم يكن في لحية رسول الله ﷺ عشرون شعرة بيضاء . قال حميد : كن سبع عشرة . وروى الحاكم من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن أنس قال : لو عددت ما أقبل من شبهه ﷺ في رأسه ولحيته بما كنت أزيدهن على إحدى عشرة . وقد جمع البدر العيني في « شرح البخاري » ، بين الروايات بأنها تدل على أن شعراته البيض لم تبلغ عشرين شعرة . والرواية الاخرى توضح أن ما دون العشرين كان سبع عشرة ، فتكون المشرة على عنقته والزائد عليها في بقية لحيته لأنه قال : لم يكن في لحية رسول الله ﷺ عشرون شعرة بيضاء ، واللحية : تشمل المنفقة وغيرها . وكون المشرة على المنفقة ؛ بحديث عبد الله بن بسر ، والبقية بالأحاديث الأخرى في بقية لحيته . وحاصل ما اعتمده - أميره - أنها سبع عشرة شعرة ، منها

(١) أي شبه يسير من التيب .

عشرة على العنقفة، وسبعة في بقية لحيته . وإذا كان شبيه **ببص** هـ — ذا قدره ؛ لم يخضب ، لأن المادة أن الشيب القليل لا يبادر الى خضبه حتى يكثُر ، ومرجع الكثرة والقلة في ذلك الى العرف .

(و) لكن (خضب أبو بكر) الصديق رضي الله عنه (بالحناء) — بالمد والتشديد شجر معروف — وهو جمع، واحده حنّاء ، وقال الفراء : جمع الحناء : حنّان — بالكسر — يقال : حنّأت رأسي — مهموزاً — وحنّأه تخميناً وتخنّئة .

والبئر نأ — بضم التحتية وفتح الراء ممدودة — يقال : يرنا ، أي صبغ بالبئر نأ ؛ وهو الحناء ، وهو نبت كالسدر ببلاد العرب — بالعين المهملة — وهو كثير معروف ببلاد مصر وغيرها ، ورقه شبيه بورق الآس ، يؤخذ في كل عام مرتين ، وأصله يسمى البلند — كسمند — ونوره أبيض . وإذا أطلقت الفاغية ، فالمراد زهره ، والحناء ، فورقه ، وليس لميدانه نفع . وأجوده الخالص الحديث ، وتبطل قوته بعد أربع سنين . ولا يمكن سحقه بدون الرمل ، فينبغي ترويقه عند استعماله ، وليس في الخضبات أكثر سراباناً منه ؛ إذا خضبت به الرجل أو اليد اشتدت حمرة البول بعد عشرة درج ، فبذلك يطرد الحرارة ، ويفتح السدد ، وهو يصلح الشعر خصوصاً بالكسفرة (١) والزفت .

فائدة : نقل الامام ابن القيم في «الهدى» وابن مفلح في «الآداب الكبري» وسبط ابن الموصفي في «الروضة الفناء في منافع الحناء» وغيرهم : ان الحناء إذا خضب به أسفل الرجلين أول خروج الجدري ؛ أمن على العينين منه . وقال داود الانطاكي في «تذكرته في الطب» : إن الحناء إذا جمل بماء الورد ويسير المصفر والزعفران ، ولطخ به أسفل الرجلين عند مبادئ الجدري ؛ حفظ العين منه . (والكنم) بفتح الكاف والتاء المشددة ، والمشهور التخفيف كما في «نهاية ابن الأثير» — وهو : نبت يخلط مع الوسمه ويصبغ به الشعر ، وقيل : هو الوسمه .

(١) كذا في الاصل وفي «القاموس» : الكزبرة : من الابازير ، والكسبرة : نبات الجلبان .

قال في « النهاية » : ويشبه أن يقال : استعمال الكتم مفرداً من الحناء ، قال : لأن الحناء إذا خضب به مع الكتم جاء أسود ، وقد صح النهي عن السواد . قال : فعمل الحديث بالحناء أو الكتم على التحخير ، ولكن الروايات على اختلافها بالحناء والكتم . انتهى .

وفي « القاموس » : الكتم محرّكة - والكتمان - بالضم - نبت يخلط بالحناء ، ويخضب به الشعر ، فيبقى لونه . قال : وأصله إذا طبخ بالماء كان منه مداداً للكتابة . وفي « لغة الاقناع » للشيخ موسى الحجاوي : الكتم - بفتح التين - نبت فيه حمرة : يخلط بالوسمة ويختضب به للسواد ، وقد قيل : هو الوسمة . وفي « كتب الطب » : انه نبات الجبال ، ورقه كورق الآس ، يخضب به مدقوقاً ، وله ثمرة قدر الفلفل ويسود إذا نصح ، وقد يتصر منه دهن يستصبح به في البوادي . انتهى . في هذا ما يدل على خلاف ما في « النهاية » كما هو مشاهد معلوم ؛ فالصديق الأعظم كان يخضب بالحناء والكتم معاً . قال في « الفتح » : والكتم نبات باليمن يخرج الصبغ ، أسود يميل الى الحمرة ، وصبغ الحناء أحمر ، فالصبغ بهما معاً يخرج بين السواد والحمرة . انتهى .

( وخضب ) أمير المؤمنين ( عمر ) بن الخطاب رضي الله عنه ( بالحناء )  
وحده من غير كتم . وفي « صحيح مسلم » من حديث أنس رضي الله عنه قال :  
اختضب أبو بكر بالحناء والكتم ، واختضب عمر بالحناء بمحنا ، قال في « الفتح » ،  
قوله : محنا - بموحدة مفتوحة وحاء مبهمة ساكنة بعدها مثناة - أي صرفاً . فهذا  
يشعر بأن أبا بكر كان يجمع بين الحناء والكتم دائماً .

وفي « صحيح البخاري » من حديث أنس أيضاً قال : قدم النبي ﷺ المدينة وليس في أصحابه أشمط غير أبي بكر ، فظفها بالحناء والكتم . زاد في حديث آخر : حتى قنالونها . وقال فيه : فكان أسن أصحابه أبو بكر

قوله: أشمط: أي شمره بياض وسواد، وثوب أشمط: ملون بالبياض والسواد. وقول أنس في الحديث الذي تقدم آنفاً: لو شئت أن أعد شمطات لحيته، يعني النبي صلى الله عليه وسلم، أي لعلت. المراد بالشمطات: الشعرات التي ظهر فيهن البياض، فكان الشعر البياض مع ما يجاورها من شعرة سوداء ثوب أشمط.

وقوله: حتى قنا لونها، أي احمر. يقال: قنا لونها يقنو قنوا وهو أحمر قاني. قال في «القاموس»: صوابه بالهمز، ووم الجوهري في جملة إياه من المقصور. يقال: قنا - كنع - قنوا، اشتدت حرته.

### تنبيهان

الأول: اختلف العلماء في خضابه صلى الله عليه وسلم وعدمه؛ لاختلاف الأحاديث الواردة عن الصحابة رضي الله عنهم؛ ففي «الصحاحين»، عن أنس رضي الله عنه وقد سأله ابن سيرين أخضب النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: لم يبلغ من الشيب إلا قليلاً. وفي رواية: لم يبلغ ما يخضب. وفي لفظ عند الترمذي في «المائل»: لم يبلغ ذلك إنما كان شيباً. وفي لفظ: شيئاً، أي يسيراً في صدغيه. وفي لفظ في «الصحاحين»، من حديثه أيضاً: لو شئت أن أعد شمطات لحيته، أي لعلت، أو لمدتها. زاد مسلم: ولم يخضب صلى الله عليه وسلم. وفي «البخاري ومسلم»، أيضاً، عن أنس أيضاً رضي الله عنه قال: يكره أن ينتف الرجل الشعرة البيضاء من رأسه ولحيته. قال: ولم يخضب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إنما كان البياض في عنقه، وفي الصدغين، وفي الرأس نبذ<sup>(١)</sup>. ولم يذكر البخاري المنفقة من حديث أنس، ولا النبذ. وفي «مسلم» عن أنس أيضاً: وسئل عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ما شأنه الله ببيضاء؛ المنفي البياض المؤدي إلى الشين: المستفاد من قوله: ما شأنه الله، أي بلحية بيضاء ونحوه، أي لم يغير شيبه شيئاً من حسنه. وفي لفظ: ما شأنه الشيب. وفي آخر: بالشيب.

(١) أي شيء يسير من الشيب.

فهذه الاخبار تدل صريحاً وظاهراً ومفهوماً على أنه ﷺ لم يخضب .  
وروى الترمذي في « الشائل النبوية » من حديث أبي رمثة رضي الله عنه :  
ورأيت الشيب - أي من لحية رسول الله ﷺ - أحمر . فيحتمل ان احمراره  
لقربه من البياض ؛ فان الشعر اذا قرب شيبه ضرب الى الحمرة ، أو بسبب  
الخضاب ، وهو المناسب للذكره في باب الخضاب . قال الترمذي : هذا أحسن شيء  
روي في هذا الباب ، وأفسر ، أي أكشف وأبين ، لأن الروايات الصحيحة أن  
النبي ﷺ لم يبلغ الشيب انتهى كلام الترمذي . وروي في « الشائل » أيضاً :  
سئل أبو هريرة رضي الله عنه : هل خضب رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم . قال  
الترمذي : وروى أبو عوانة عن أم سلمة - قلت : وكان الترمذي أشار بهذا الى  
ما في « الصحيحين » وغيرها من حديث عبد الله بن موهب - قال : « دخلت على أم  
سلمة رضي الله عنها ، فأخرجت شعراً من شعر رسول الله ﷺ مخضوباً » . هذا  
لفظ البخاري . وزاد ابن ماجه والامام أحمد : بالحناء والكتم . وفي رواية : كان  
مع أم سلمة من شعر لحية النبي ﷺ مخضوباً . وفي لفظ : إن أم سلمة أرته شعر  
رسول الله ﷺ أحمر . وهو في « الصحيحين » وغيرها . عن عثمان بن عبد الله  
ابن موهب قال : أرسلني أهلي الى أم سلمة بقدر من ماء فيه شعر من شعر النبي ﷺ  
وكان اذا أصاب الانسان عين أو شيء ، بمث اليها الخضبة ، يعني إناء من الأواني .  
قال : فاطلمت في الجلجل - أي بجمين مضمومتين بينها لام وآخره أخرى :  
شبيء شبه الجرس - قال : فرأيت شمرات حمراً . وفي رواية : مخضوباً . قال  
الاسماعيلي : ليس في هذا أن النبي ﷺ هو الذي خضبه ؛ بل يحتمل أن يكون  
احمر بعمده لما خالطه من طيب فيه صفرة ، فغلبت به الصفرة . قال : فان كان  
كذلك ، وإلا فعديث أنس أن النبي ﷺ لم يخضب أصح . كذا قال . والذي  
أبداه احتمالاً ؛ رواه مسلم موصولاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه : بأن شعر  
النبي صلى الله عليه وسلم إنما احمر من الطيب .

قال في « الفتح » : وكثير من الشهور التي تنفصل عن الجسد ، اذا طال الهد يؤول سوادها الى الحمرة . وما جنح الاسماعيلي اليه من الترجيح خلاف ما جمع به الطبري ، وحاصله: ان من جزم بأنه خضب ، كما في ظاهر حديث أم سلمة وحديث ابن عمر رضي الله عنها أنه خضب بالصفرة ، وحديث أبي هريرة المتقدم ، وكذا ما رواه الترمذي في « الشائل » من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : رأيت شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم مخضوباً . حكى ما شاهده ، وكان ذلك في بعض الاحيان ، ومن نفى ذلك - كأنس فيما تقدم - فهو محمول على الأكثر الأغلب من حاله صلى الله عليه وسلم .

وقد أخرج الامام أحمد ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي من حديث جابر ابن سمرة رضي الله عنه قال : ما كان في رأس النبي صلى الله عليه وسلم ولحيته من الشيب إلا شمرات ، كان إذا ادهن واراهن الدهن . قال في « الفتح » : فيحتمل أن يكون الذين أثبتوا الخضاب شاهدوا الشعر الابيض ، ثم لما اراه الدهن ظنوا انه خضبه . ولا يخفى أن رواية « الشائل » عن أنس أنه رأى شعر النبي صلى الله عليه وسلم مخضوباً ، تخالف بظاهرها ما في « الصحيحين » وغيرهما . وما تقدمه في « الشائل » بأنه صلى الله عليه وسلم لم يخضب ، فاما أن يحكم بشنوذها أو تحمّل على ما رواه الدار قطني في : « رجال مالك وقرائبه » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : لما مات النبي صلى الله عليه وسلم ، خضب من كان عنده شيء من شعره ليكون أبقى لها . فيحمل على أن شعراته المطهرة كانت عند أبي طلحة ، أو أم أنس أم سليم رضي الله عنهم ، خضبها أبو طلحة أو زوجته ، فرآه أنس كذلك ، هذا ، وقد أنكر الامام احمد رضي الله عنه إنكار أنس رضي الله عنه انه خضب ، وذكر حديث ابن عمر رضي الله عنها عند أبي داود والنسائي : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلبس النمال السبئية ، ويصفر

لحيته بالورس والزعفران . قال نافع : وكان ابن عمر يفعل ذلك . قال ابن مفلح :  
حديث حسن . وقال أبو مالك الأشجعي عن أبيه : كان خضابنا مع رسول الله  
صلى الله عليه وسلم بالورس والزعفران . رواه الامام احمد .

وروى الامام أحمد من حديث أبي رمثة رضي الله عنه قال : كان النبي  
صلى الله عليه وسلم يخبض بالحناء والكم ، وكان شعره يبلغ كتفيه أو منكبيه .  
وفي لفظ للامام احمد والنسائي وأبي داود : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم مع  
أبي وله لمة بها ردة من حناء ، قوله : ردة - بالمين المهملة - أي لطح ، يقال :  
به ردة من دم أو زعفران ، كذا في « منتقى الأحكام » للامام مجد الدين بن تيمية .  
وفي رواية ذكرها الترمذي في « الثمائل » : ردة - بفتح الراء وسكون  
الذال المهملة فنين معجمة - وفي « القاموس » : إنه جمع ردة - بالتحريك أو  
التسكين - وهو الوحل الشديد . وروي : ردة - بالمهملة قال القاري في  
« شرح الثمائل » : هو لطح من الزعفران أو أثر الطيب ، كما في « القاموس » .  
وقال جماعة : هو بالمهملة الصنع ، وبالمعجمة الطيب الكثير . قال : وفي بعض نسخ  
« الثمائل » المصححة : من حناء - بالمد - . والشك الواقع في « الثمائل » بين  
المعجمة والمهملة ، من إبراهيم بن هارون شيخ الترمذي ، ووافق الامام مالك  
أنساً في إنكار الخضاب .

قال الامام النووي : والخيار انه صلى الله عليه وسلم خضب في وقت ؛ لما دلت عليه  
الاحاديث ولا يمكن تركها ولا تأويلها ، وتركه صلى الله عليه وسلم في معظم الأوقات ؛ فأخبر  
كل بما رأى وهو صادق .

الثاني : اختلف أهل العلم سلفاً وخلفاً في الخضاب ، هل هو مسنون  
مندوب اليه ، أولاً ؟

قال علماؤنا : يسن خضاب الشيب بالحناء والكم ، ولا بأس بورس



وزعفران ، ويكره بسواد . فان حصل بالخصاب تدليس في بيع أو فكاح ؛ حرم .  
 قال في « الفروع » : ويختضب . ونقل ابن هاني عن الامام أحمد : كأنه فرض .  
 وقال الامام أحمد : اختضب ولو مره ، وقال : ما أحب لأحد إلا أن يفسير  
 الشيب ، ولا يتشبه بأهل الكتاب . وقال الامام المجد في « المحرر » ، وغيره :  
 خصابه بغير سواد من حمرة وصفرة سنة ، نص عليه الامام أحمد وفقاً للامام  
 الشافعي . ويكره بسواد وفاقا ، نص عليه . وفي « المستوعب » ، للسامري ،  
 و « الثنية » للشيخ عبد القادر ، و « التلخيص » ، وغيرها : في غير حرب ، ولا  
 يحرم . وظاهر كلام أبي المالي : يحرم ، وهو متجه ، وللشافعية خلاف .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : من العلماء من رخص  
 في الخضب بالسواد في الجهاد ، ومنهم من رخص فيه مطلقاً ، قال : والأولى  
 كراهته ، وجنح النووي الى أنها كراهية تحريم ، قال : وقد رخص فيه  
 طائفة من السلف ، منهم : سعد بن أبي وقاص ، وعقبة بن عامر ، والحسن والحسين ،  
 وجريز ، وغير واحد من الصحابة رضي الله عنهم ، واختاره ابن أبي عاصم في  
 كتاب « الخضب » له . قلت : وكذا الحافظ ابن الجوزي . وأجاب ابن أبي عاصم  
 عن حديث ابن عباس - رفته : « يكون قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام ،  
 لا يجدون ريح الجنة » وفي لفظ : « لا يريحون رائحة الجنة » رواه أبو داود ،  
 والنسائي ، وابن حبان في « صحيحه » ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد . قال  
 في « الآداب » اسناده جيد - بأنه لا دلالة فيه على كراهة الخضب بالسواد ، بل  
 فيه الاخبار عن قوم هذه صفتهم . وعن حديث جابر : وجنبوه السواد . بأنه  
 في حق من صار شيب رأسه مستشئنا ، ولا يطرد ذلك في حق كل أحد .  
 انتهى .

قال في « الفتح » : ويشهد لما قاله ابن أبي عاصم ، ما أخرجه عن ابن شهاب

أنه قال : كنا نخضب بالسواد إذ كان الوجه جديداً ، فلما نفض الوجه والاسنان تركناه . قوله : نفض . أي تغير ، ومنه حديث عثمان : سلس بولي ونفضت أسناني . أي قلت وتحركت . وأصل النفض الحركة ، يقال : نفض رأسه ، إذا تحرك ، وأنفضه ، إذا حركه .

ومن العلماء من فرق في ذلك بين الرجل والمرأة ؛ فأجازه لها دون الرجل ، واختاره الحلبي من الشافعية . وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : « إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقوم » . وللإمام أحمد بسند حسن عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على مشيخة من الانصار بيض لحام ، فقال : « يا معشر الانصار ! حمّروا أو صقّروا وخالفوا أهل الكتاب » . وأخرج الطبراني في « الاوسط » نحوه من حديث أنس . وفي « كبير الطبراني » من حديث عتبة ابن عبد الله رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ يأمر بتغيير الشعر مخالفة للاعاجم . وفي « النسائي » من حديث ابن عمر رضي الله عنهما رفته : « غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود ، ورجاله ثقات ، وأخرجه الطبراني في « الاوسط » من حديث عائشة ، وزاد : « والنصارى » وروى الامام أحمد وأصحاب « السنن » من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أحسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكم » وقد قيل للإمام أحمد رضي الله عنه : ما نستحي نخضب فقال : سبحان الله ! سنة رسول الله ﷺ ، وإني لأرى الشيخ المنضوب فأفرح به . وفي « الفتح » للحافظ ابن حجر : نقل عن الامام أحمد أنه - أي الخضب - يجب . وعنه : يجب ولو مرة . وعنه : لا أحب لأحد أن يترك الخضب ويتشبه بأهل الكتاب . انتهى . والله أعلم .

## الحديث الثالث والعشرون

٦٨ - ثنا معتمر ، عن حميد ، عن أنس عن النبي ﷺ قال : إذا سقطت لقمةٌ أحدكم ، فليأخذها فليمسح ما بها من الأذى ، ولا يدعها للشيطان .

قال رضي الله عنه : ( ثنا معتمر ) بن سليمان التيمي ( عن حميد ) الطويل ( عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( عن النبي ﷺ ) أنه ( قال : إذا سقطت لقمة أحدكم ) معشر الأمة ( فليأخذها ) من الموضع الذي سقطت اللقمة فيه ؛ إذا لم تقع على موضع نجس ؛ فإنها تنجس إذا كان ثمَّ رطوبة ، وحينئذ لا بد من غسلها . بما يزيل النجاسة عنها ، إن أمكن . فان تعذر ؛ أطعمها نحو هرة ( فليمسح ) - بفتح الفاء ، وسكون اللام ، وفتح الياء المثناة من تحت فيم ساكنه - من مسح . وفي رواية : فليُمسح - بضم الياء - أي ينحى ( ما ) را ( بها ) أي بتلك اللقمة ( من الأذى ) من نحو تراب ، وليأكلها ( ولا يدعها ) أي يتركها ( للشيطان ) كأنه لما تركها أطاع الشيطان في ذلك ، وأضاع نعمة الله .

والقصد بذلك ؛ ذم حال التارك ، وتنبيهه على تحصيل نقيض غرض الشيطان واستحقاره . والحديث رواه الامام أحمد ، ومسلم ، والنسائي ، وابن ماجه ، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها ، وزاد فيه : « ولا يمسح يده بالتمديد ، حتى يلمعها أو يلمعها ؛ فانه لا يدري في أي طعامه البركة » ، قوله : يلمعها الاولى - بفتح المثناة التحتية - من لَمَعَ ، والثانية - بضمها - من أَلَمَقَ ، أي يلمعها غيره . وزاد فيه النسائي من هذا الوجه : « ولا يرفع الصحيفة حتى يلمعها أو يلمعها » .

والامام أحمد من حديث ابن عمر نحوه بسند صحيح . ولمسلم نحوه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، لكن رواه عن محمد بن حاتم وأبي بكر بن نافع العبدي ، قالوا : حدثنا بهز ، حدثنا حماد بن سلمة ، ثنا ثابت ، عن أنس رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ كان إذا أكل طعاماً لعق أصابعه الثلاث . قال : وقال : « إذا سقطت لقمة أحدكم فليعط عنها الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان » . وأمرنا أن نسلت<sup>(١)</sup> القصصة ؛ قال : « فانكم لا تدرون في أي طعامكم البركة » ، وأخرجه مسلم أيضاً بنحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

قال ابن دقيق العيد : جاءت علة هذا - أي أخذ اللقمة وعدم تركها للشيطان - مبينة في بعض الروايات : انه لا يدري في أي طعامه البركة . وقال عياض : إنما أمر بذلك لئلا يتهاون بقليل الطعام . قال النووي : معنى قوله : في أي طعامه البركة . أن الطعام الذي يحضر الانسان فيه بركة ، لا يدري أن تلك البركة فيما أكل ، أو فيما بقي على أصابعه ، أو فيما بقي في أسفل القصعة ، أو في اللقمة الساقطة ؛ فينبغي أن يحافظ على هذا كله ، لتحصيل البركة . وقد وقع عند مسلم في رواية أبي سفيان عن جابر في أول الحديث : « إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه ، حتى يحضره عند طعامه . فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليعط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان » .

( قوله ) في حديث مسلم : وأمرنا أن نسلت القصصة . قال الخطابي : السلط : تتبع ما يبقى في القصعة ، وهي الصحفة ، والمراد الاناء الذي فيه الطعام . قال النووي : والمراد بالبركة ما يحصل به التغذية ، وتسلم عاقبته من الأذى ، ويقوي على الطاعة ، والطمع عند الله . وفي الحديث : المحافظة على عدم إهمال شيء من فضل الله ، كالأكل والمشروب وإن كان تافهاً حقيراً في المرف . وفي حديث مسلم ، رد على من كره لعق الأصابع استقذاراً . نعم ،

(١) أي نسح .

يُحصل ذلك لو فعله في أثناء الأكل ، لأنه يمس أصابعه في الطعام وعليها أثر ريقه .  
قال الخطابي : عاب قوم أفسد عقلم الترفه ، فزعموا أن لعق الاصابع مستقبح ،  
كأنهم لم يملوا أن الطعام الذي لعق بالأصابع أو المصحفة جزء من أجزاء  
ما أكلوه ، وإذا لم يكن سائر أجزائه مستقذراً ؛ لم يكن الجزء اليسير منه  
مستقذراً ، وليس في ذلك أكثر من مصبه أصابعه بباطن شفتيه . ولا يشك عاقل  
في : أن لا بأس بذلك ؛ فقد يعض الانسان فيدخل أصبعه في فيه ، فذلك أسنانه  
وباطن فيه ، ثم لم يقل أحد : ان ذلك قذارة أو سوء أدب . وقال ابن القيم في  
« الهدي » : كان النبي ﷺ إذا فرغ من طعامه لعق أصابعه ، ولم تكن لهم  
متاديل يمسحون بها أيديهم . قال : ولم تكن عادتهم غسل أيديهم كلما أكلوا .  
قال : ولا عبرة بكراهة الجهال للفق الاصابع استقذاراً . نعم ، لو كان  
ذلك في أثناء الأكل فينبغي اجتنابه ، لأنه يمس أصابعه ، وعليها أثر ريقه . انتهى .  
فائدة : وقع في حديث كعب بن عجرة عند الطبراني في « الأوسط »  
صفة لعق الاصابع ، ولفظه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بأصابعه  
الثلاث : بالإبهام ، والتي تليها ، والوسطى . ثم رأيت يلمق أصابعه الثلاث قبل أن  
يمسحها : الوسطى ، ثم التي تليها ، ثم الإبهام . قال الزين المراقي في « شرح  
الترمذي » : كأن السر فيه أن الوسطى أكثر تلويثاً ؛ لأنها أطول ، فيبقى فيها  
من الطعام أكثر من غيرها ، ولأنها لطولها أول ما ينزل في الطعام . ويحتمل أن  
الذي يلمق يكون بطن كفه الى جهة وجهه ؛ فاذا ابتداء بالوسطى انتقل الى  
السبابة على جهة يمينه ، وكذلك الإبهام . انتهى . وفي هذا الأخير تأمل لا يخفى .  
تمة : روى ابن ماجه في « سننه » والحكيم الترمذي عن أم المؤمنين  
عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت : دخل علي رسول الله ﷺ البيت ، فرأى  
كسرة ملقاة ، فأخذها فمسحها ، ثم أكلها وقال : « يا عائشة ! أحسني جوار نعم  
الله فانها ما نفرت عن قوم فمادت إليهم » .

## الحدث الرابع والعشرون

٦٩ - ثنا معتمر ، عن حميد ، عن أنس بن مالك ، قال :  
 حجم أبو طيبة رسول الله ﷺ ، وأعطاه صاعاً من طعام ،  
 وكلم أهله فخفضوا عنه .

قال رضي الله عنه : ( ثنا معتمر ) بن سليمان التيمي ( عن حميد ) الطويل  
 ( عن أنس بن مالك ) رضي الله عنه ( قال : حجم أبو طيبة ) - بفتح الطاء ،  
 وسكون الياء التحتية ، وبالباء الموحدة - اسمه نافع الحجام مولى محبسة -  
 بضم الميم ، وفتح الحاء المهملة ، وتشديد الياء التحتية مسكورة ، فصاد مهملة -  
 ابن مسعود الأنصاري ، صحابي معروف . وقيل : اسمه دينار ، وقيل : ميسرة ،  
 ( رسول الله ﷺ ) - بالنصب مفعول حجم - وفي رواية في « الصحيحين » ،  
 عن أنس : أنه سئل عن أجر الحجام فقال : احتجم رسول الله ﷺ ، حجمه  
 أبو طيبة ( وأعطاه ) رسول الله ﷺ ( صاعاً ) . وفي « الصحيحين » : فأمر له  
 بصاعين ( من طعام ) ، وفي بعض طرق البخاري : بصاع . وفيها عن أنس  
 رضي الله عنه قال : دعا رسول الله ﷺ غلاماً لنا حجاماً ، فحجمه ، فأمر له  
 بصاع ، أو مد ، أو مدين ، والمراد بالطعام في هذا الحديث : التمر .

والحجامة - بالكسر - مشتقة من الحجم وهو المص ، والحجام : المصاص ،  
 والحجم والمهجمة - بكسر الميم - الآلة التي يحجم بها ، والحجامة - ككتابة -  
 الحرفة .

وقد احتجم ﷺ مراراً ، وكان اختلاف الروايات في القدر المدفوع للحجام بحسب تعدد الحجامة ؛ فتارة كان يأمر له بصاعين ، وأخرى بصاع ، وأخرى بمد ، وأخرى بمدين ، بحسب مقتضى الحال . وعند البخاري من طريق شعبة عن حميد : فأمر له بصاع ، أو صاعين ، أو مدين . قال في «الفتح» : الشك من شعبة . وأخرج البخاري أيضاً من طريق مالك عن حميد بلفظ : فأمر له بصاع من تمر ، ولم يشك ، وأفاد تمييز ما في الصاع من الطعام .

(وكلم) ﷺ (أهله) أي مواليه ، كما في رواية البخاري . قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» : مواليه : بنو حارثة على الصحيح ، ومولاه منهم محبصة ابن مسعود . وإنما جمع الموالي وكذا الأهل مجازاً ، كما يقال : بنو فلان قتلوا رجلاً ، ويكون القاتل منهم واحداً ، مع أنه لا يبعد أن يكون مشتركاً بين جماعة ، أو المراد مولاه وأتباعه . (خففوا عنه) من خراجه - بفتح الخاء المعجمة - وهو ما يوظف على المملوك كل يوم ، وكان مقداره صاعين أو ثلاثة .

ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند الترمذي في «الشمائل» : أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا حجماً - أي وهو أبو طيبة - فحججه ، فسأله ﷺ : كم خراجك ؟ فقال : ثلاثة أصع ، فوضع عنه صاعاً ، وأعطاه أجره . وفي رواية قال : صاعان . قال في «شرح الشمائل» : وهذا هو السبب في الشك الماضي في قدر المدفوع . قال في «الفتح» : في حديث ابن عمر عند شيبان : خراجه كان ثلاثة أصع ، وكذا لأبي يعلى عن جابر . فإن صح ؛ جمع بينها بأنه كان صاعين وزيادة ، فمن قال : صاعين ؛ النفي الكسر ، ومن قال : ثلاثة ؛ جبره .

### نمات

في حديث أنس المذكور الأولى : زيادة على ما هنا : وقال صلى الله عليه وسلم : « إن أفضل ما تدأوتهم به الحجامة ، أو هو من أمثل دوائكم » . انتهى . وفي «موطأ» مالك : بلغه أن رسول الله ﷺ قال : « إن كان دواء يبلغ الداء ؛

فان الحجامة تبلغه . وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « إن كان في شيء مما تداويتم به خير فالحجامة . » وأخرج النسائي من حديث أنس : « خير ما تداويتم به الحجامة . » ومن طريق مستمر عن حميد بلفظ : « أفضل . »

قال في « الفتح » : قال أهل المعرفة : الخطاب بذلك لأهل الحجاز ؛ ومن في منام من أهل البلاد الحارة ؛ لان دماء رقيقة ، وتميل الى ظاهر الايدان ؛ لجذب الحرارة الخارجة لها الى سطح البدن . ويؤخذ من هذا أن الخطاب أيضاً لفير الشيوخ ؛ لقلة الحرارة في أبدانهم . وأخرج الطبري بسند صحيح عن ابن سيرين ، قال : إذا بلغ الرجل أربعين سنة لم يحتجم . قال : وذلك أنه يصير من حيثئذ في انتقاص من عمره ، وانحلال من قوى جسده ، فلا ينبغي أن يزيد ، وهنا باخراج الدم . انتهى . قال في « الفتح » : وهو محمول على من لم تميم حاجته اليه ، وعلى من لم يعتده ، قال ابن سينا في « أرجوزته » :

ومن يكن تعود الفصادة فلا يكن يقطع تلك المادة

ثم أشار الى أنه يقلل ذلك بالتدرج إلى أن يتقطع حكمه في عشر الثمانين . انتهى . وفي « شرح الشائل للقاري » ، قال : وفصل بعض أهل الفضل هنا تفصيلاً فقال : إنما واظب النبي ﷺ على الاحتجام ، وأمر به وبين فضله ، ولم يفتصد ولم يأمر به ، مع ان التلفد ركن عظيم في حفظ الصحة الموجودة ، ورد الصحة المفقودة ؛ لأن مزاج بلده يقتضي ذلك ؛ من حيث أن البلاد الحارة تغير الأمزجة تغيراً عجيباً ، كبلاد الزنج والحبشة ؛ فانها في غاية الحرارة ، فلهذا تسخن المزاج وتجففه ، وتحرق سائر البدن . وبهذه الملة تجمل الوان أهلها سوداء ، وشعورهم الى الجمودة ، وتدقق أسافل أبدانهم ، وتطيل وجوههم ، وتكبر أنوفهم ، وتحفظ



أعينهم ، أي تخرج مقلة العين ، أو تعظمها ، كما القاموس . فيخرج مزاج أدمغتهم عن الاعتدال ، فتظهر أفعال النفس الناطقة فيهم من الفرح والطرب وصفاء الأصوات ، والغالب عليهم البلادة لفساد أدمغتهم . قال : وفي مقابلة هذه البلاد في المزاج بلاد الترك فإنها باردة رطبة ، تبرد المزاج وترطبه ، وتجعل ظاهر البدن حاراً شديد الاتهاب ؛ لأن الحرارة تميل من ظاهر البدن الى الباطن هرباً من ضدها التي هي برودة الهواء ، كالحال في زمن الشتاء ، فان الحرارة الغريزية تميل الى باطن البدن لبرودة الهواء ، فتجود بذلك الهضم ، وتقل الأمراض ، ولهذا العلة قال بقراط : الأجواف في الشتاء أسخن ماتكون بالطبع ، والنوم أطول ما يكون . وقال أيضاً : أسهل ما يكون لإحمال الطعام على الأبدان في الشتاء ، فلماذا صار الغذاء الغليظ يسهل انهضامه ، كالهريس ، واللحوم الغلاظ ، والخبز الفطير ، وهذه كلها في الصيف على عكس ما ذكر في الشتاء ، لأن الحار الغريزي المصحح للغذاء مائل الى ظاهر البدن بالمجانسة ميل الجنس الى الجنس ؛ فلذلك يفسد الهضم ، وتكثر الامراض . والقصد من هذا أن بلاد الحجاز لما كانت حارة يابسة ، فالحرارة الغريزية بالضرورة تميل الى ظاهر البدن بالمناسبة التي بين مزاجها ومزاج الهواء المحيط بالابدان ، فتبرد بواطن الابدان ، وبهذا السبب يدمنون أكل المسل والتمر واللحوم في حرارة القيظ ، ولا يضرهم لبرد أجوافهم ، وكثرة التحلل . واذ كانت الحرارة ماثلة من باطن البدن الى ظاهره ، لم يمتثل البدن الى الفصد ، لأنه إنما يجذب الدم من أعماق العروق وبواطن الأعضاء ، وإنما تمس الحاجة الى الاحتجام ، لأن الحجامة تجذب الدم من ظاهر البدن فحسب . فافهم هذه الدقيقة التي أشار اليها صاحب الشرع عليه السلام بنور النبوة . وقال الموفق البغدادي الطبيب : الحجامة : تنقي سطح البدن اكثر من الفصد ، والفصد لأعماق البدن ، والحجامة للصبيان والبلاد الحارة أولى من الفصد ، وآمن

غائلة . ولهذا وردت الاحاديث بذكر هادون الفصد ، ولأن العرب غالباً ما كانت تعرف إلا الحجامة .

وقال الامام المحقق في « المهدي » : التحقيق في أمر الفصد والحجامة أنها يختلفان باختلاف الزمان والمكان والمزاج ؛ فالحجامة في الازمان الحارة والاماكن الحارة التي دم أصحابها في غاية النضج أنفع ، والفصد بالعكس ، ولهذا كانت الحجامة أنفع للصبيان ، ولين لا يقوى على الفصد . ولهذا قال فقهاؤنا : الحجامة أنفع من الفصد في بلد حار ، وما في معنى الحجامة ، كالتشريط ، والفصد بالعكس والله أعلم .

#### الثانية : متى تكون الحجامة ؟

قال علماؤنا : كره الامام أحمد رضي الله عنه الحجامة يوم السبت والاربعاء ، وتوقف في الجمعة ، نقله حرب وأبو طالب . قال في « الفروع » : وفيه خبر متكلم فيه . انتهى . والخبر الذي أشار اليه هو حديث ابن عمر رضي الله عنها عند ابن ماجه رفته في أثناء حديث ، وفيه : « فاحتجموا على بركة الله تعالى يوم الخميس ، واحتجموا يوم الاثنين والثلاثاء ، واجتنبوا الحجامة يوم الاربعاء والجمعة والسبت والاحد » . أخرجه من طريقين ضعيفين ، وله طريق ثالثة ضعيفة أيضاً عند الدارقطني في « الافراد » ، وأخرجه بسند جيد عن ابن عمر موقوفاً ، قاله في « الفتح » . وقال : نقل الخلال عن الامام أحمد انه كره الحجامة في الايام المذكورة ، وإن كان الحديث لم يثبت ، وحكي أن رجلاً احتجم يوم الاربعاء فأصابه برص لكونه تهاون بالحديث .

وأخرج أبو داود من حديث أبي بكر رضي الله عنه أنه كان يكره الحجامة يوم الثلاثاء ، وقال : إن رسول الله ﷺ قال : « يوم الثلاثاء يوم الدم ، وفيه ساعة لا يرقأ فيها الدم » . وورد في عدد من الشهر أحاديث : منها ما أخرجه

أبو داود من حديث أبي هريرة رفعه : « من احتجم لسبع عشرة ، وتسع عشرة ، وإحدى وعشرين ، كان شفاءً من كل داء » وهو من رواية سعيد بن عبد الرحمن الجمحي عن سبيل بن أبي صالح ؛ وسعيد وثقه الأكثر ؛ وإينه بمضهم من قبل حفظه ؛ وله شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنها عند الامام أحمد والترمذي ، ورجالہ ثقات ، لكنه معلول . وشاهد آخر من حديث أنس عند ابن ماجه ، وسنده ضعيف . وهو عند الترمذي من وجه آخر عن أنس ؛ لكن من فضله صلى الله عليه وسلم .

قال في « الفتح » : ولكون هذه لم يصح منها شيء ؛ قال حنبل بن إسحاق : كان الامام أحمد يحتجم ؛ أي وقت حاج به الدم ؛ وأي ساعة كانت . وعند الأطباء إن أنفع الحجامة ما يقع في الساعة الثانية أو الثالثة ، وأن لا يقع عقب استفراغ من حمام ، أو جماع أو غيرهما ، ولا عقب شبع ولا جوع ، قال في « الفتح » : وقد اتفق الأطباء على أن الحجامة في النصف الثاني من الشهر ، ثم في الربع الثالث من أرباعه ، أنفع من الحجامة في أوله وآخره . قال الموفق البغدادي : وذلك أن الأخلط في أول الشهر وفي آخره تسكن ، فأولى ما يكون الاستفراغ في أثنائه .  
الثالثة : في الموضع الذي يحتجم الانسان فيه من البدن ؛ وقد احتجم صلى الله عليه وسلم في عدة مواضع من بدنه الشريف .

وقد ورد في فضل الحجامة في الرأس حديث ضعيف أخرجه ابن عدي من طريق عمر بن رباح ، عن عبدالله بن طاووس ، عن أبيه ، عن ابن عباس رضي الله عنها رفعه : « الحجامة في الرأس تنفع من سبع : من الجنون ، والجذام ، والبرص ، والنماس ، والصداع ، ووجع الضرس ، والعين » . وعمر متروك ، رماء الفلاس وغيره بالكذب ؛ لكن قال الأطباء : إن الحجامة وسط الرأس نافعة جداً ، وثبت أنه ﷺ فعلها . وفي « الصحيحين » من حديث عبدالله بن بجمينه رضي الله عنه أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم احتجم بلحني جمل من طريق مكة وهو محرم في وسط رأسه قال البخاري ، وقال الانصاري : أخبرنا هشام بن حسان ، حدثنا عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم في رأسه . قوله : بلحني جمل من طريق مكة ، وقع في بعض الروايات بثنية لحني جمل ، وفي بعضها بالافراد ، واللام مفتوحة ، ويجوز كسرهما ، وفتح جيم جمل : اسم موضع بطريق مكة ، ذكره البغوي في « مجمه » في اسم العقيق وقال : هي بئر جمل التي وردت في حديث أبي جهم في التيمم . قال ابن وضاح وغيره : هي بقعة معروفة ، وهي عقبه الجحفة على سبعة أميال من السقيا ، وزعم بعضهم أن المراد بلحني جمل : الآلة التي احتجم بها ، أي احتجم بمظلم جمل ، وهو وم ، والأول المتمد .

وقوله : في وسط رأسه . وهو بفتح السين المهملة . ويجوز تسكينها ، أي متوسطه ، وهو ما فوق اليافوخ فيما بين أعلا القرنين . قال الليث : كانت هذه الحجامة في فأس الرأس ، وأما التي أعلاه فلا ؛ لأنها ربما أعمت . وأخرج ابن سعد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه . أنه وضع يده على المكان الناقية من الرأس فوق اليافوخ فقال : هذا موضع محجم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي « شرح الشمائل للقاري » : روي في الحجامة في الحبل الذي إذا استلقى الانسان أصابته الارض من رأسه ، أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إنها شفاء من سبعين داء » .

وقال ابن سينا : إن الحجامة في القفا تورث النسيان حقاً . ونقله حديثاً ولفظه : « مؤخر الدماغ موضع الحفظ وتضعفه الحجامة » . قال بعض العلماء : إن ثبت هذا الحديث ؛ فهي إنما تضعفه إذا كانت لغير ضرورة ، أما لقلب الدم فهي نافعة طبياً وشرعاً ؛ فإنه صلى الله عليه وسلم احتجم في عدة أماكن بحسب

الحاجة . وقد أخرج الامام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمع ثلاثاً : واحدة على كاهله ، وثنيتين على الأذعنين . والكاهل - بكسر الهاء - ما بين الكتفين ، وهو مقدم الظهر بما يلي العنق . والاذعانان : عرقان في جانبي العنق .

وروى ابن ماجه عن علي رضوان الله عليه قال : نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم بحجامة الاذعنين والكاهل . وروى أبو داود أنه صلى الله عليه وسلم احتجم في وركه .

قال أهل الطب : حجامة الاذعنين تنفع من أمراض الرأس والوجه ؛ كالآذنين ، والعينين ، والاسنان ، والانف ، والحلق ، وتنوب عن فصد العرق المسمى بالقيفال النافع من علل الرأس والرقبة إذا كثر الدم أو فسد . قالوا : والحجامة على الكاهل تنفع من وجع المنكب ، وتنوب عن فصد الباسليق النافع فصدته من حرارة الكبد ، والطحال ، والرئة ، والشوصة ، وذات الجنب ، وسائر الامراض الدموية العارضة من أسفل الركبة الى الورك ، والله تعالى أعلم .

### الحديث الخامس والعشرون

٧٠ - ثنا معتمر ، عن حميد ، عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ من أتم الناس صلاة وأوجزم .

قال رضي الله عنه : ( ثنا معتمر ) بن سليمان التيمي ( عن حميد ) الطويل ( عن أنس ) ابن مالك رضي الله عنه ( قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتم الناس ) أي أتم الناس ( صلاة وأوجزم ) صلاة مع الاتمام

والإيجاز : الخفة مع الاقتصاد ، وكلام وجيز : أي خفيف مقتصد .  
 وفي « الصحيحين » من حديث مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه :  
 ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوجز في الصلاة ويتم . وفي رواية عنه أن  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أخف الناس صلاة في تمام . وعنه ، كما في  
 « مسلم » وغيره : ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ، ولا أتم صلاة من رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم . وروى ابن أبي شيبة من طريق أبي مجاز ، قال : كانوا  
 أي الصحابة رضي الله عنهم ، يتمون ويوجزون ، ويبادرون الوسوسة . فيبن  
 العلة في تخفيفهم ، وأما تخفيف النبي صلى الله عليه وسلم فلم يكن لهذه العلة ؛  
 لمصمته صلى الله عليه وسلم من الوسوسة ، بل كان تخفيفه لحدوث أمر يقتضيه ،  
 من بكاء صبي ، ومراعاة حال المأموم .

قال ابن دقيق العيد : التطويل والتخفيف من الأمور الاضافية ، فقد  
 يكون الشيء خفيفاً بالنسبة الى عادة قوم ، طويلاً بالنسبة لمادة آخرين .

قال في « الفتح » : وأولى ما أخذ حد التخفيف من الحديث الذي أخرجه  
 أبو داود ، والنسائي ، عن عثمان بن أبي العاص : أن النبي صلى الله عليه وسلم  
 قال له : « أنت إمام قومك ، وأقدر القوم بأضعفهم » . إسناده حسن ، وأصله في  
 « مسلم » ولفظه عند مسلم : « أم قومك . فمن أم قوماً فليخفف ؛ فإن فيهم  
 الكبير ، وإن فيهم الضعيف ، وإن فيهم المريض ، وإن فيهم ذا الحاجة . وإذا صلى  
 أحدكم وحده فليصل كيف شاء » . وفي « مسلم » أيضاً ، عن عثمان بن أبي  
 العاص أيضاً رضي الله عنه قال : آخر ما عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 « إذا أمت قوماً فأخف بهم الصلاة » ، وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة  
 رضي الله عنه : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا أم أحدكم الناس فليخفف ؛  
 فإن فيهم الصغير والكبير ، والضعيف ، والمريض . وإذا صلى وحده فليصل كيف

« شاء » . زاد مسلم في رواية : « وذا الحاجة » وفي أخرى : « الضعيف والسقيم » ولم يقل البخاري الصغير . وفي « الصحيحين » عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ما صليت خلف أحد أوجز صلاة من صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام ، كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم متقاربة . زاد مسلم : وكانت صلاة أبي بكر متقاربة . فلما كان عمر بن الخطاب مد في صلاة الفجر . قال العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا صلى أحدكم للناس فليخفف » وفي لفظ من حديث أبي هريرة مرفوعاً عند البخاري ومسلم وغيرها : « إذا أم أحدكم الناس فليخفف » أي على المأمومين ؛ فلا يطيل القيام لطول القراءة ، بل يخفف القراءة والأذكار ، بحيث لا يقتصر على الأقل ، ولا يستوفي الاكمل المستحب للمنفرد ؛ من طوال المفصل وأوساطه ، وأذكار الركوع والسجود .

وقال الكرماني في « شرح البخاري » : التخفيف هو بحيث لا يفوته شيء من الواجبات ، كذا قال . وفي « الفروع » عن شيخ الإسلام ابن تيمية : ليس للامام ان يزيد على القدر المشروع ، وينبغي أن يفعل غالباً ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله غالباً ، ويزيد وينقص للمصلحة ، كما كان صلى الله عليه وسلم يزيد وينقص أحياناً . انتهى .

وربما كان صلى الله عليه وسلم يطيل الصلاة جداً ، كما في « صحيح مسلم » عن قرعة ، قال : أتيت أبا سعيد الخدري وهو مكثور (١) عليه . فلما تفرق الناس عنه قلت : إني لا أسألك عما سألك هؤلاء عنه ، أسألك عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : مالك في ذلك من خير ! فأعادها عليه ؛ فقال : كانت صلاة الظهر تقام ، فينتلق أحدنا إلى البقيع فيقضي حاجته ، فيتوضأ ثم يرجع إلى المسجد . ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الركعة الأولى .

(١) المكثور : الغلوب ، أو الذي كثر عليه الناس قهروه .

## الحديث السادس والعشرون

٧١ - ثنا عباد بن عباد ، وغسان بن مضر ، عن سعيد

بن يزيد بن مسلمة قال : قلت لانس ابن مالك : أكان رسول  
الله صلى الله عليه وسلم يصلي في نعليه ؟ قال : نعم .

قال رضي الله عنه : ( ثنا عباد بن عباد ) بن حبيب بن المطلب الأزدي  
أبو معاوية البصري .

روى عن أبي حمزة الضبيعي ، وهشام بن عروة ، وعاصم الأحول ،  
وسعيد بن يزيد ، وطائفة .

وروى عنه الامام احمد ، وقتيبة ، ومسلم ، ومسدد ، ويحيى بن معين ،  
وجماعه ، آخرهم ابن عرفة .

قال الامام أحمد : ليس به بأس ، وكان رجلاً عاقلاً أديباً . قال ابن سعد :  
كان معروفاً بالطلب ، حسن الهيئة ، ولم يكن بالقوي في الحديث . وقال يحيى بن  
معين : ثقة ، واحتج به جماعة . مات سنة إحدى وثمانين ومائة . ولكونه ليس  
من أهل الضبط والاتقان ، قرنه الامام أحمد رضي الله عنه بغسان ؛ فقال :  
( وغسان ) - بفتح الغين المعجمة ، وتشديد السين المهملة - فألف فتون ( بن مضر )  
- بضم الميم ، وفتح الصاد المعجمة - كلاهما ( عن ) أبي مسلمة ( سعيد بن يزيد  
بن مسلمة ) الأزدي البصري ، ويقال : الطاحي - بفتح الطاء مشددة ، فألف  
وكسر الحاء المهملتين القصير .

سم أنس بن مالك رضي الله عنه ، وأبا نضرة ، ونقرأ من التابعين



سمع منه شعبية ، وحماد بن زيد، وغيرهما (قال) أبو مسلمة المذكور : (قلت  
لأنس ابن مالك) رضي الله عنه : (أكان رسول الله ﷺ يصلي في نعليه ؟ )  
ثنية نعل ، وهي موشة .

قال ابن الأثير : هي التي تسمى الآن تاسومة .

وقال ابن العربي : لباس الأنبياء ، وإنما اتخذ الناس غيرها لما في أرضهم من  
الطين ، وقد تطلق النعل على كل ما يقي القدم . قال صاحب « المحكم » : النعل  
والنحلة : ما وقيت به القدم .

(قال) : أي أنس بن مالك رضي الله عنه (نعم) أي كان صلى الله عليه  
وسلم يصلي في نعليه ، قال ابن بطال : هو محمول على ما إذا لم يكن فيها نجاسة ،  
ثم هي من الرخص ، كما قال ابن دقيق العيد ، لا من المستحبات ، لأن ذلك لا يدخل  
في معنى المطلوب من الصلاة ، وهو وإن كان من الملابس المستحبات ، إلا أن  
ذلك لا يدخل في معنى المطلوب من الصلاة ، وهو وإن كان من ملابس الزينة ،  
إلا أن ملابسة الأرض التي تكثر فيها النجاسات قد تقصر به عن هذه المرتبة .

وإذا تمارضت مصلحة مراعاة التحسين ، ومراعاة إزالة النجاسة ، قدمت  
الثانية ؛ لأنها من باب دفع المفسد ، والأخرى من باب جلب المصالح .

قال : إلا أن يرد دليل بالحاقه بما يتحمل به ؛ فيرجع اليه ويترك هذا  
النظر . انتهى .

وقد روى أبو داود والحاكم من طريق شداد ابن أوس مرفوعاً : « خالفوا  
اليهود فانهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم » . وفي لفظ : « إن اليهود لا يصلون  
في نعالهم فخالقوهم » .

قال شيخ الإسلام في « فتاويه المصرية » : الصلاة في النملين ، وكذلك  
سائر ما يلبس من حذاء وجمجم ، وزربول ، وخف ، وغير ذلك ؛ جائز .

قال : وفي « الصحيحين » عن أنس رضي الله عنهما : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في نعليه ، فمن استحج الصلاة في النعلين ؛ فلاجل قصد مخالفة اليهود .

وفي « السنن » أيضاً : أنه صلى الله عليه وسلم صلى في نعليه ، وصلى أصحابه في نعالهم ، فخلع نعليه فخلعوا نعالهم ، فلما سلم قال : « لم خلمتم نعالكم ؟ » قالوا : رأيناك خلعت نعليك فخلعنا نعالنا . فقال : « إن جبريل أتاني فأخبرني أن فيها أذى ، فإذا أتى أحدكم المسجد فلينظر في نعليه ، فإن كان فيها أذى ؛ فليدلكما بالتراب ، فإن التراب لهما طهور . »

فصند شيخ الاسلام ابن تيمية الصلاة في النعال سنة . وقال الناظم محمد ابن عبد القوي شيخه (١) . الاولى الصلاة حافيا ، وذكر في « الآداب الكبرى » عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : « اذا خلع نعليه في الصلاة خلصه الله تعالى من ذنوبه حتى يلقاه كهيئته يوم ولدته أمه » رواه أبو محمد الخلال .

قال القاضي أبو يعلى : هذا يدل على فضل خلع النعل في الصلاة ، ويحتمل أن يكون قال ذلك في خلع نعل كان فيها أذى .

قال في « الفروع » : ذكر القاضي الاستحباب ، وعدمه ؛ للخبرين . وقد روى الخلال ، وابن عدي في « الكامل » وابن مردويه في « تفسيره » من حديث أبي هريرة ، والعقيلي من حديث أنس رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ قال : « خذوا زينة الصلاة ، قلنا : يارسول الله ، وما زينة الصلاة ؟ قال : البسوا نعالكم وصلوا فيها . » وهذا الحديث ضعيف جدا .

قال العلامة ابن مفلح في « الآداب الكبرى » : واليونيني في « مختصرها »

(١) اي شيخ ابن تيمية ، فقد درس عليه العرييه .

بمد إيراد حديث أبي هريرة : هذا يدل على أنه تستحب الصلاة في النعال ، كقول الشيخ ابن تيمية قدس الله روحه .

وفي « صحيح مسلم » عن جابر بن عبد الله رضي الله عنها قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : في غزوة غزوناها : استكثروا من النعال ؛ فإن الرجل لا يزال راكباً ما امتل ، يعني انه شبيه بالراكب في خفة المشقة ، وقلة التعب ، وسلامة الرجل من أذى الطريق ، قاله النووي .

وقال القرطبي : هذا كلام بليغ ، ولفظ فصيح ، بحيث لا ينسج على منواله ، ولا يؤتى بمثاله ، وهو إرشاد الى المصلحة ، وتنبية على ما يخفف المشقة ، فإن الحافي المديم للمشي يلقي من الآلام والمشقة بالثار وغيره ما يقطعه عن المشي ، ويمتنع من الوصول الى مقصوده ، بخلاف المتمتل ؛ فانه لا يمتنع عن إدامة المشي فيصل الى مقصوده كالراكب ؛ فلذلك شبهه به حتى إنه ﷺ أمر المتمتل أن يوسع للحافي عن جادة الطريق .

فقد روى الخلال من حديث جابر رضي الله عنه موقوعاً : ليوسع المتمتل للحافي عن جُدَدِ الطريق ؛ فإن المتمتل بمنزلة الراكب ، والى هذا أشار ابن عبد القوي في « منظومة الآداب » بقوله :

ويحسن الاسترجاع في قطع ششمه وتخصيص حافٍ بالطريق المهد  
يعني أنه يستحب المتمتل أن يفسح لأخيه الحافي في الطريق ، ويخصه بالمشي فيها ، ويمدله هو عنها لأجل أخيه رافة منه ولطفاً ومودة ، وحرصاً على إيصال النفع لأخيه المسلم ، ودفع الضرر عنه ، وامثالاً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم .

وقوله : ويحسن الاسترجاع ، يقرأ الاسترجاع في عبارته بالنقل للوزن ، والاسترجاع : حكاية قول المصاب : إنا لله وإنا اليه راجعون .

وقد روى أبو محمد الخلال أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا انقطع شمع أحدكم فليسترجع فإنها مصيبة » ، ورواه البزار وابن عدي . وفي « صحيح مسلم » عن أبي سعيد ، وأبي هريرة رضي الله عنهما أنها سما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما يصيب المؤمن من وصب ، ولا نصب ، ولا نسقم ، ولا حزن حتى المهم بهم ، إلا كثر الله به من سيئاته » .

والوصب والنصب : التنب ، وقد ورد عن النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم : « إن من أصيب بمصيبة فذكرها ولو بعد مدة طويلة ، فجدد لها استرجاعاً وصبراً ؛ جدد الله له ثواباً وأجرأ » .

فروى الامام أحمد في « المسند » عن سيدنا الحسين بن الامام علي رضوان الله عليهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها ، وإن طال عهدها ، فيحدث لذلك استرجاعاً ، إلا جدد الله له عند ذلك ، فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب بها . ورواه ابن ماجه بنحوه .

وشمع النمل - بكسر الشين المعجمة ، وسكون المهملة - أحد سيوره ، وهو الذي يدخل بين الأصبعين ، ويدخل طرفه في الثقب الذي في طرف النمل المشدود في الزمام ، وهو السير الذي يعقد فيه الشمع ، والجمع شموع ، مثل : حمل وحمول .

قال الحافظ ابن حجر في قول أنس رضي الله عنها ، كما في « صحيح البخاري » : إن نمل النبي صلى الله عليه وسلم كان لها قبالات . القبال - بكسر القاف وبالموحدة - زمام النمل ، وهو سيرها الذي يكون بين الأصبعين الوسطى والتي تليها ، وشراك النمل الذي على ظهر القدم .

قال المسقلاني : القبال هو الزمام الذي يعقد فيه الشمع الذي يكون بين أصبعي الرجل ، وذكر الجزري أنه كان لنمل رسول الله صلى الله عليه وسلم

سيران ، يضع احدهما بين إبهام رجله والتي تليها ، ويضع الآخر بين الوسطى والتي تليها ، ويجمع السيرين الى السير الذي على وجه قدمه صلى الله عليه وسلم ، وهو الشراك .

وأخرج الترمذي في « الثمائل » ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالة ، وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، قال : وأول من عقد عقداً واحداً عثمان رضي الله عنه ، أي اتخذ قبالةً واحداً ، إشارة الى بيان الجواز ، وأن لبسه صلى الله عليه وسلم كان على وجه المعتاد لا على قصد العبادة للمباد ، وذلك لما تقرر في الأصول أن أفعاله صلى الله عليه وسلم ثلاثة : مباح ، ومستحب ، وواجب . فلم يبين ذلك لعثمان رضي الله عنه لتوهم كراهة الاقتصار على قبالة واحد ، أو أنه خلاف الأولى ؛ لأنه خلاف ما كان صلى الله عليه وسلم عليه وصاحبه ، وبه علم أن ترك لبس النملين ولبس غيرهما غير مكروه ، كما بين ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية ، وأن الصحابة رضي الله عنهم لما تفرقوا في البلاد ؛ كان يلبس كل واحد من زي بلده الذي هو فيه ، والله سبحانه وتعالى الموفق .

### الحديث السابع والعشرون

٧٢ - ثنا زياد بن الربيع أبو خدّاش اليمصدي ، قال : سمعت أبا عمران الجوني يقول : سمعت أنس بن مالك يقول : ما عرف اليوم شيئاً مما كنا عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فقلنا : فأين الصلاة ؟ قال : أولم تصنعوا في الصلاة ما قد علمتم ؟

قال رضي الله عنه : ( ثنا زياد بن الربيع ) وكنية زياد ( أبو خدّاش )  
 - بفتح الحاء المعجمة وتشديد الدال المهملة ، فألف فشين معجمة - ( اليحمدي )  
 - بفتح المثناة التحتية ، وسكون الحاء المهملة ، وضم الميم - ( قال : سمعت  
 أبا عمران الجوني ) - بفتح الجيم ، وسكون الواو وبالنون - منسوب إلى الجون  
 بطن من كندة ( يقول : سمعت أنس بن مالك ) رضي الله عنه ( يقول : ما أعرف )  
 قد يراد بالمعرفة العلم ، ومنه قوله تعالى : « بما عرفوا من الحق » (١) أي علموا ،  
 وهي من حيث أنها علم مستحدث ، أو انكشاف بعد لبس أخص من العلم ؛ لأنه  
 يشمل غير المستحدث ، وهو علم الله تعالى ، ويشمل المستحدث ، وهو علم  
 العباد ، ومن حيث أن المعرفة يقين وظن أعم من العلم ؛ لاختصاصه حقيقة باليقين .  
 وقال جمع : إن المعرفة مرادفة للعلم .

قال في « شرح التحرير » : فاما أن يكون مرادهم غير علم الله تعالى ، وإما  
 أن يكون مرادهم بالمعرفة أنها تطلق على القديم ، ولا تطلق على المستحدث ، والأول  
 أولى . انتهى .

وتطلق المعرفة على مجرد التصور الذي لا حكم معه ، فتقابل العلم ، ومن  
 حيث كون المعرفة انكشاف بعد لبس ، يعني أنها مسبوقه بجهل ؛ امتنع إطلاقها  
 على الله تعالى ؛ فلا يوصف بأنه عارف .

قال ابن حمدان في « نهاية المبتدئين » : علم الله تعالى لا يسمى معرفة ، حكاية  
 القاضي اجماعاً . انتهى . ( اليوم شيئاً مما كنا عليه ) من العبادات وسلامة الصدر ،  
 وأراد نفي الصفات ، لا نفي الذوات من العبادات ( على عهد رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم ) أي الزمن الذي كان فيه عليه الصلاة والسلام .

وسبب قول أنس ذلك ؛ ما أخرجه ابن سعد في « الطبقات » عن ثابت

(١) سورة المائدة ، الآية : ٨٣

البناني قال : كنا مع أنس بن مالك رضي الله عنه ، فأخر الحجاج الصلاة ،  
فقام أنس يريد أن يكلمه ، فنهاه إخوانه شفقة عليه منه ، فركب دابته ؛ فقال في  
سيره ذلك . والله ما أعرف شيئاً مما كنا عليه على عهد رسول الله ﷺ إلا شهادة  
أن لا إله إلا الله .

( قال ) أبو عمران الجوني : ( فقلنا ) لأنس بن مالك لما قال ذلك : ( فأين  
الصلاة ؟ ) . وفي رواية ، قيل : الصلاة ؟ . أي فانها شيء . مما كان على عهده ﷺ  
وهي باقية ، فكيف يصح هذا السلب العام ؟ .

فأجاب أنس رضي الله عنه عن هذا بقوله ، حيث ( قال : أولم تصنعوا في  
الصلاة ما قد علمتم ؟ ) فانهم غيروها أيضاً بأن أخرجوها عن الوقت ، والذي قال  
لأنس ذلك ؛ رجل يقال له : أبو رافع ، بينه الامام أحمد رضي الله عنه في روايته  
لهذا الحديث ، عن روح ، عن عثمان بن سعيد ، عن أنس : فذكر نحوه ، فقال :  
أبو رافع ، يا أبا حمزة ، ولا الصلاة ؟ فقال له أنس : قد علم ما صنع الحجاج  
في الصلاة .

وفي الرواية التي أخرجها ابن سعد : لقد جعلتم الظهر عند المغرب ، أفنلك  
كانت صلاة رسول الله ﷺ ؟ .

وأخرج البخاري عن الزهري ، قال : دخلت على أنس بن مالك رضي الله  
عنه بدمشق وهو يبكي ، فقلت ما يبكيك ؟ قال : لا أعرف شيئاً مما أدركت ،  
أي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا هذه الصلاة ، وهذه الصلاة  
قد ضيقت . قال الملب : المراد بتضييعها تأخيرها عن وقتها المستحب ، لا أنهم  
أخرجوها عن الوقت ، كذا قال .

قال في « الفتح » : قد صح أن الحجاج وأميره الوليد وغيرها ، كانوا  
يؤخرون الصلاة عن وقتها ، والآثار في ذلك مشهورة ، منها ما رواه عبد الرزاق

عن ابن جريج ، عن عطاء قال : أخر الوليد الجمعة حتى أمسى ، فجئت فصليت الظهر قبل أن أجلس ، ثم صليت العصر وأنا جالس ، أي وهو يخطب ، وإنما فعل عطاء ذلك خوفاً على نفسه من القتل .

### فوائد :

الاولى : كان قدوم أنس بن مالك رضي الله عنه دمشق الشام في إمارة الحجاج على العراق ، قدمها شاكياً من الحجاج للخليفة ، وهو إذ ذاك الوليد بن عبد الملك ، وإطلاق أنس رضي الله عنه في قوله : ما أعرف اليوم شيئاً مما كنا عليه على عهد رسول الله ﷺ ؛ محمول على ما شاهدته من أمر الشام والبصرة خاصة ، وإلا فقد قدم المدينة المنورة ، كما في « البخاري » وغيره ، وعمر ابن عبد العزيز أميرها حينئذ ، وكان على طريقة أهل بيته من بني أمية في تضييع الصلاة عن وقتها ، حتى أخبره عروة ، عن بشير بن أبي مسعود ، وعن أبيه بالنص على الاوقات ، فكان يحافظ بمد ذلك على عدم إخراج الصلاة عن وقتها ، ومع ذلك كان يراعي الأمر معهم ، فيؤخر الظهر الى آخر وقتها ، وقد أنكر أنس رضي الله عنه ذلك أيضاً .

قلت : والذي أنكره عروة على عمر بن عبد العزيز رحمه الله ورضي عنه ، إنما هو تأخير صلاة العصر ، لا الظهر ، كما في « الفتح » وغيره ، لأن تأخير صلاة الظهر الى آخر وقتها لا كراهة فيه ، بخلاف وقت العصر .

الثانية : قد جاءت الاخبار ، وصحت الآثار ، عن النبي المختار ﷺ وعن أصحابه الاخيار بالنهي عن تأخير الصلاة عن وقتها .

ففي « صحيح مسلم » وغيره عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال لي رسول



الله ﷺ : « كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها ، أو يمتنون الصلاة عن وقتها . قال : قلت : فما تأمرني ؟ قال : صل الصلاة لوقتها ، فإن أدركتها معهم فصل ، فإنها لك نافلة » .

وفي لفظ آخر : يا أبا ذر ، إنه سيكون بمدي أمراء يمتنون الصلاة ، فصل الصلاة لوقتها ... الحديث .

وفي « المسند » و « الصحيحين » وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يصلي المصير والشمس مرتفعة حية ، فيذهب الذهاب إلى العوالي ، فيأتيهم والشمس مرتفعة .

وللبخاري : وبمد العوالي من المدينة على أربعة أميال أو نحوه ، وكذلك للإمام أحمد وأبي داود معنى ذلك .

وفي « مسلم » عن أنس رضي الله عنه قال : صلى رسول الله ﷺ بنا العصر ، فأتاه رجل من بني سلمة ، فقال يا رسول الله : إنا نريد أن ننحر جزوراً لنا ، وإنا نحب أن ننحرها . قال : نعم ، فانطلق وانطلقنا معه ، فوجدنا الجزور لم ننحر ، فننحرت ، ثم قطعت ، ثم طبخ منها ، ثم أكلنا قبل أن تنيب الشمس .

وفي « المسند » و « الصحيحين » عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال : كنا نصلي العصر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ننحر الجزور فنقسم عشر قسم ، ثم تطبخ ، فنأكل لحماً نضيجاً قبل منيب الشمس .

وفي « مسند الإمام أحمد » و « وسنن ابن ماجة » من حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بكرؤا بالصلاة في يوم النيم . فإن من فاتته صلاة المصير حبط عمله » .

الثالثة : لما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز ، أمر بالصلاة في أوقاتها ، وملاً الأرض عدلاً ، ورد المظالم ، وأحيا السنن . وقد قال زيد بن أسلم رضي الله عنه : ما صليت وراء إمام بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الفتي ، يعني عمر بن عبد العزيز ؛ فكان يتم الركوع والسجود ، ويحفف القيام والقعود . وقد سئل محمد بن علي بن الحسين عن عمر بن عبد العزيز ، فقال : هو نجيب بني أمية ، وإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده ، وكان العلماء مع عمر ابن عبد العزيز تلامذة .

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إن الدنيا لا تنقضي حتى يلي رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر ، وكان يقول أيضاً رضي الله عنه : يولد من ولدي رجل بوجهه شجة ، يملأ الأرض عدلاً . أخرجه الترمذي .

وعمر بن الخطاب جد عمر بن عبد العزيز من قبل أمه ، فإن أم عمر ابن عبد العزيز أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، والشجة التي كانت بوجه عمر بن عبد العزيز ضربة دابة في وجهه وهو غلام ، فجعل أبوه عبد العزيز يمسح الدم عن وجهه ويقول : إن كنت أشج بني أمية إنك لسعيد . وقد قال الثوري : الخلفاء خمسة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعمر بن عبد العزيز . أخرجه أبو داود .

ولما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز ، كتب الى سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم يكتب اليه بسيرة عمر بن الخطاب بالصدقات : وكتب اليه : إنك إن عملت بمثل عمل عمر في زمانه ورجاله في مثل زمانك ورجالك ؛ كنت عند الله خيراً من عمر .

وعن المغيرة أن عمر بن عبد العزيز لما استخلف جمع بني مروان ، فقال : إن رسول الله ﷺ كانت له فذك ينفق منها على صغير بني هاشم ، ويزوج منها أيتهم ،

وإن فاطمة سأله أن يجعلها لها ، فأبى ، فكانت كذلك حياة أبي بكر ، ثم أقطعها مروان ، ثم صارت لعمر بن عبد العزيز ، فأريت أن أمراً من رسول الله ﷺ فاطمة ؛ ليس لي بحق ، وإني أشهدكم أنني قد رددتها على ما كانت عليه زمن رسول الله ﷺ .

ولد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بجلوان ، قرية بمصر ، وأبوه أميناً عليها ، سنة إحدى وستين ، وقيل : ثلاث وستين ، ويبيع بالخلافة بمهد من سليمان ابن عبد الملك في صفر ، سنة تسع وتسعين ، فثك خليفة ستين وخمسة أشهر ، نحو خلافة الصديق الأعظم رضي الله عنه ، وتوفي بدير سمان - بكسر السين المهملة - من أعمال حمص لثلاثين من شهر رجب ، سنة إحدى ومائة ، وله تسع وثلاثون سنة وستة أشهر ، وكانت وفاته بالسلم لما تبرم بنو أمية منه لتشديده عليهم ، وانزاع الأموال من أيديهم مما اغتصبوه واستولوا عليه من المظالم بغير حق ، وكان قد أهمل التحرز ، فرحمه الله ورضي عنه آمين .

### الحديث الثامن والعشرون

٧٣ - ثنا اسماعيل بن إبراهيم ، ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يمتنين أحدكم الموت لضرٍ نزل به ، فإن كان ولا بد متمنياً الموت فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي .

قال رضي الله عنه ( ثنا اسماعيل بن ابراهيم ) المعروف بابن عليّة ( ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك ) رضي الله عنه ( قال : قال رسول الله ﷺ : لا يتمنين ) فلا ناهية ، ويتمنين : مجزوم ، والنون للتأكيّد لمزيد النهي .  
 وفي رواية : لا يتنى ، وهذه الرواية للاكثر من الرواة ، في « الصحيحين » ،  
 وغيرها . فقيل : المراد بلا : نافية لفظاً ، وهي على معنى النهي ، وقيل : بل هي ناهية ، وأشبعت الفتحة . وفي رواية : لا يتمنّ ( أحدكم ) معشر الأمة ( الموت ) أي لا يدعُ به من قبل أن يأتيه ، إشارة الى الزجر عن كراهته إذا حضر اثلاً يدخل فيمن كره لقاء الله .

وحكمة النهي عن ذلك أن في طلب الموت قبل حلوله نوع اعتراض ومراغمة للقدر ، وإن كانت الآجال لا تزيد ولا تنقص ، فإن تمّ الموت لا يؤثر في زيادتها ولا نقصها ، ولكنه لما دل على تبرمه وانزعاجه ، وعدم صبره واحتماله للعوارض الدنيوية ، نهى الشارع عنه ، ومن ثم قال معللاً للنهي : ( لضر نزل به ) من فاقة أو محنة بمدوّ ، ونحوه من مشاق الدنيا .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : الصبر على المصائب واجب بانفاق آئمة الدين ، وإنما اختلفوا في وجوب الرضى . انتهى .

فيتأكد - في حق من ابتلي بمصيبة ، أو ضرر في بدنه ، أو ماله ، أو ولده ، ونحو ذلك - الصبر ، وجس النفس عن الانزعاج ، وكف اللسان عن التسبم والاعوجاج ، فإن الامور بيد عالم السر وأخفى ، وهو الحكيم القادر ، لا اراد لما قضى ، ولا مانع لما أعطى ، فإن الله كتب السعادة والشقاء ، والآجال والارزاق في بطون الأمهات ، فلا زيادة ولا نقص ، ولا تقديم ولا تأخير ، فمن صبر واحتسب فاز ، ومن جزع ولم يصبر آثم ولم يحصل على حقيقة ولا مجاز .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما ،

عن النبي ﷺ أنه قال : « ما يصيب المسلم من نصب ، ولا وصب ، ولا هم ، ولا حزن ، ولا أذى ، ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفر الله بها من خطاياها . »  
فان خاف ضرراً أو فتنة في دينه فلا كراهة في تمنى الموت حينئذ ؛ لمفهوم هذا الحديث ،  
وقد فعله أئمة من السلف .

لذلك نقل العلامة ابن مفلح في « الآداب الكبرى » : قال المروزي : قال  
أبو عبد الله : يعني الامام أحمد رضي الله عنه ، كأنك بالموت وقد فرق بيننا ،  
مأعدل بالفقر شيئاً ، أنا أفرح اذا لم يكن عندي شيء ، إني لأنتمى الموت صباحاً  
ومساءً ، أخاف أن أفتن في الدنيا . قال مسروق : إنما تحفة المؤمن قبره .

وقد روى الطبراني ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنها قال : قال  
رسول ﷺ : « تحفة المؤمن الموت » . وفي حديث آخر : « الموت ريحانة المؤمن »  
وفي آخر : « الموت غنيمة المؤمن » . وفي آخر : « الموت تحفة لكل مسلم » .  
وروى الامام أحمد ، وابن أبي شيبة ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أنه  
قيل له : ما تحب لمن تحب ؟ قال : الموت .

وروى ابن أبي شيبة ، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، قال : أتمنى  
لحبيبي أن يمجل موته . وعن مسروق : ما من شيء خير للمؤمن من لحمد قد  
استراح فيه من هموم الدنيا ، وأمن من عذاب الله .

قال الخطابي : انشدنا بعض أصحابنا لمنصور بن إسماعيل :

قد قلت إذ مدحوا الحياة فأكثروا في الموت ألف فضيلة لا تعرف  
منها أمان لقاءه بلقاءه وفراق كل معاشر لا ينصف  
وقال الخطابي أيضاً : قال الجاحظ : قد أبدع العباس بن الأحنف

في قوله :

يبكي رجال على الحياة وقد أفنى دموعي شوقي الى الأجل

أموت من قبل أن يغيرني الدهر فاني من عملي على وجل  
وقال بعضهم :

جزا الله عنا الموت خيراً فإنه أبر بنا من بر أم وأرأف  
بمجل تخليص النفوس من الأذى ويدني من الدار التي هي أشرف  
(فان كان) أحدكم معشر الأمة ، من ذكر وأتى غير كاف عن السؤال :  
(ولا بد) له أن يرى (متمنياً) أي طالب (الموت ؛ فليقل) أمر إرشاد وندب : (اللهم)  
أي يا الله (أحيني ما كانت الحياة) أي مدة دوام كون الحياة ، (خيراً لي)  
من الموت .

قال المراقي : لما كانت الحياة حاصلة وهو منتصف بها ؛ حسن الاتيان بما ،  
أي ما دامت الحياة متصفة بالخيرية . انتهى .

وقال الحافظ ابن رجب - في شرح حديث عمار ، المشهور : اللهم  
بملك الغيب - ما حاصله : اعلم أن الحاجات التي يطلبها العبد من الله عز وجل  
نوعان :

أحدها : ما علم أنه خير محض ، كسؤاله خشيته وطاعته وتقواه ، وسؤاله  
الجنة والاستعاذة به من النار ؛ فهذا يطلب من الله بغير تردد ولا تعليق بالمصلحة ؛  
لأنه خير محض ومصلحة خالصة .

الثاني : ما لا يعلم ، هو خير للعبد ام لا ؛ كاللوت والحياة والفتى والفقير  
والولد والأهل وسائر حوائج الدنيا التي تجهل عواقبها ؛ فهذه لا ينبغي أن  
يسأل الله منها إلا ما يعلم فيه الخير للعبد ؛ فإن العبد جاهل بمواقب الأمور ، وهو  
مع هذا عاجز عن تحصيل مصالحه ودفع مضاره ؛ فيتمين أن يسأل حوائجه من هو  
عالم قادر . ولما كان من نزل به الضر وعجز عن الصبر ، لا مندوحة له عن الدعاء ،  
ليتخلص بالوت من ضحك الحياة وضيق العيش ، وهو جاهل بما هو حاصل له ،

وبما يلقاه بعد موته ؛ أرشده الرسول الناصح والطبيب الرؤوف المانح الى ما هو  
خير من محض تمني الموت فقال : وليقل : ( وتوفني ) أي أمتني ( إذا كانت  
الوفاة خيراً لي ) من الحياة .

والوفاة : الموت ، وتوفاه الله : قبض روحه . وأما قوله تعالى في حق عيسى  
عليه السلام : « يا عيسى إني متوفيك » (١) قيل : متوفي أجلك ومؤخرك الى  
أجلك المسمى عندي ، عاصماً لك من قتلهم ، أو قابضك من الأرض - من توفيت  
مالي - أو متوفيك نائماً ؛ إذ روي أنه رفع نائماً ، أو مماثك عن الشهوات المائقة  
عن العروج الى عالم الملكوت .

قال العراقي : ولما كانت الوفاة معدومة في حال التمني ؛ لم يحسن أن يقول :  
ما ، بل أتى بأذا الشرطية ، أي اذا آل الحال الى أن تكون الوفاة بهذا  
الوصف . انتهى .

وفي حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه : أن النبي ﷺ كان يدعو  
بهؤلاء الدعوات : اللهم بلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق ، أحيني ما علمت  
الحياة خيراً لي ، وتوفني اذا علمت الوفاة خيراً لي .

اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وكلمة الحق في الغيب  
والرضى ، والقصد في الفقر والغنى ، وأسألك نيماً لا ينفد ، وقرّة عين لا تنقطع ،  
وأسألك الرضى بعد القضاء ، وبرد الميث بعد الموت ، وأسألك لذة النظر الى  
وجهك ، والشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة . اللهم زينا  
بزينة الايمان ، واجعلنا هداة مهتدين . رواه الامام أحمد ، والنسائي ، والحاكم .  
فقد تضمن هذا الحديث النوعين معاً ، فإنه لما سأل الموت والحياة قيد ذلك

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٥٥

ما يعلم الله فيه الخيرة لعبده ، ولما سأل الخشية وما بعدها مما هو خير صرف؛ جزم به ولم يقيده بشيء .

وفي « صحيح البخاري » من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً : لا يتمنى أحدكم الموت ، إما محسناً فلعله أن يزداد ، وإما مسيئاً فلعله أن يستعقب .  
واسلم : لا يتمنى أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه . إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله ، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً .  
وزاد الامام أحمد في رواية له : إلا أن يكون قد وثق بعمله .

وله أيضاً : لا تتمنوا الموت ، فإن هول المظلم شديد ، وإن من السعادة أن يطول عمر العبد ويرزقه الله الآناة .

وأكثر الروايات إما محسناً ، بالنصب بتقدير : إما أن يكون . ووقع في رواية عبدالرزاق عند الامام أحمد بالرفع فيها ، وهي واضحة . وقوله : يستعقب ، أي يسترضي بالاقلاع والاستغفار ، والاستعقاب : طلب الاعتاب ، والهمزة للازالة ، — أي يطلب إزالة العتاب — من عاتبه اذا لامه . وأعبته : أزال عتابه ، قال الكرماني في « شرح البخاري » : وهو مما جاء على غير القياس ، إذ الاستفعال إنما ينبنى من الثلاثي لا من المزيد فيه . انتهى .

وقد علل النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن تمني الموت بان العبد إن كان محسناً ، فحياته يرجو أن يزداد بها إحساناً ، وإن كان مسيئاً فانه يرجو أن يستعقب ، يعني يزيل العتب عنه بالتوبة والآناة قبل الموت .

وقد جاءت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بفضيله طول العمر في الطاعة ، ففي الترمذي انه صلى الله عليه وسلم سئل : أي الناس خير ؟ قال : من طال عمره وحسن عمله ، وسئل : أي الناس شر ؟ قال : من طال عمره وساء عمله .



وفي «مسند الامام أحمد»: أن نفرأ ثلاثة أسلموا فكانوا عند طلحة ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثاً ، فخرج فيه أحدهم فاستشهد ، ثم بعث بعثاً آخر فخرج فيه آخر فاستشهد ، ثم مات الثالث على فراشه ، قال طلحة : فرأيتهم في المنام في الجنة ، فرأيت الميت على فراشه أمامهم ، ورأيت الذي استشهد آخرأ يليه ، ورأيت الذي كان أولهم آخرم . فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فقال : وما أنكرت من ذلك ؟ ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمّر في الاسلام لتسيبجه وتكبيره وتهليله .

وفي رواية قال : أليس قد مكث هذا بعده سنة ؟ قالوا : بلى ! قال : وأدرك رمضان فصامه ؟ قالوا : بلى ! قال : وصلى كذا وكذا سجدة في السنة ؟ قالوا : بلى ! قال : فلما بينها أبعد مما بين السماء والأرض .

وذكر الحافظ ابن رجب ؛ أنه قيل لبعض السلف : طاب الموت ، فقال : يا ابن أخي ! لا تفعل ، اساعة تمش فيها تستغفر الله خير لك من موت الدهر . وقيل لشيخ من السلف : تحب الموت ؟ قال : لا ، قد ذهب الشباب وشهره ، وجاء الكبر وخيره ، فاذا قتلت : بسم الله ، وإذا قدمت قلت : الحمد لله ، فأنا أحب أن يبقى لي هذا . ولهذا كان كثير من السلف يبكي عند موته تأسفاً على انقطاع أعماله الصالحة .

وفي «الترمذي» عن النبي صلى الله عليه وسلم : ما أحد يموت إلا ندم إن كان محسناً أن لا يكون ازداد ، وإن كان مسيئاً أن لا يكون قد استعذب .

وقد رُئي بعض الموتى من السلف في منام فسئل عن حاله ، فقال : قد قدمنا على أمر عظيم نعم ولا نفعل ، وتعملون ولا تعملون ، والله لتسيبجة أو تسيبجتان ، أو ركمة أو ركمتان في نسخة عملي أحب إلي من الدنيا وما فيها .

وأما الرواية التي في «المسند» : «لا يتمنى أحدكم الموت إلا من وثق بعمله»

فهي تدل على أن من له عمل صالح يثق به فله أن يتمنى الموت . وقد كان كثير من السلف يتمنى الموت ، وهم أقسام :

منهم من يحمله على ذلك حسن الظن بالله حباً للقاءه ، إما لما عندهم من كثرة الطاعات ، أو لما عندهم من محبة الله عز وجل ، فيحسن ظنه به ، كما قال بعض السلف : لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقاً الى الله ، وحباً للقاءه . فقيل له : أفعل ثقة أنت من عملك ؟ قال : لا ، ولكن لحيي إياه ، وحسن ظني به ، أفتراه يمدني وأنا أحبه ؟

ومنهم من يتمناه خشية الفتنة في الدين ، فهذا جائز عند أكثر العلماء ، وقد ذكرنا كلام الامام أحمد في ذلك ، وقد تمتأه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها ، فانه قال : اللهم ! إنه قد كبرت سنّي ، ورق عظمي ، وانتشرت رعبي ، فاقبضني اليك غير مضيع ولا مفتون ، فاستشهد في ذلك الشهر .  
وسأل عمر بن عبد العزيز من ظن به إجابة الدعاء أن يدعو له بالموت لما نقلت عليه الرعية ، وخشي العجز عن القيام بحقوقهم .

وفي الحديث الشريف : وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون .  
وفي «المسند» عن محمود بن لبيد رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : اثنتان يكرهما ابن آدم؛ يكره الموت والموت خير للمؤمن من الفتنة ، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب .

ومنهم من يتمناه من غير ضر ولا فتنة ، فان كان بمن وثق بعمله حباً لله وشوقاً الى لقاءه ؛ جاز ، وكذا تمني الموت عند حضور أسباب الشهادة اغتناماً لها ، والمنهي عنه في الحديث ان يتمنى الموت لضر نزل به ، وهذا اذا لم يثق بعمله يكون كالمستجير من الرمضاء بالنار ؛ لأنه لا يدري لعله يهجم بمد الموت على ما هو أعظم وأشد مما هو فيه . فأما إن وثق بعمله ؛ فقد تمتناه للضر بعض السلف ، وقد ورد تمليل

النهي عن تمنى الموت بأن هول المطلع شديد ، فتمنيه من نوع تمنى وقوع البلاء قبل نزوله ، ولا ينبغي ذلك .

وقد سمع ابن عمر رضي الله عنها رجلا يتمنى الموت فقال : لا تتمن الموت فانك ميت ، ولكن سل الله العافية ، فان الميت يكشف له عن هول عظيم هو هول المطلع ، ويرى عالماً آخر لا عهد له به .

وكان الحسن البصري يقول عند موته : نفيسة ضعيفة ، وهول عظيم ، فان الله وإنا إليه راجعون .

وقد كان كثير من السلف يتمنى الموت في صحته ، فلما نزل به كرهه لشدة ، منهم : أبو الدرداء ، وسفيان الثوري ، فما الظن بغيرهما ؟ والله تعالى الموفق .

### الحديث التاسع والعشرون

٧٤ -- ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، ثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : نهى نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يتزعفر الرجل أن يتزعفر الرجل .

قال رضي الله عنه : ( ثنا إسماعيل بن إبراهيم ) قال : ( ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك ) رضي الله عنه ، ( قال : نهى نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يتزعفر الرجل ) وفي رواية : نهى عن التزعفر للرجال ، واللفظ الأول في «الصحيحين» و «السنن» ، واللفظ الثاني رواه شعبة ، عن ابن علية عند النسائي ، وروي مطلقاً ؛ نهى عن التزعفر ، وكان رواه اختصره ، وإلا فقد رواه عن إسماعيل فوق المشرة من الحفاظ مقيداً بالرجل ، وعلى كل فالمطلق محمول على المقيد ،

فذهب الامام أحمد رضي الله عنه كراهة التزعفر للرجال وجهاً واحداً ؛ للنهي المتفق عليه .

قال في «الفروع» : حمل الخلال النهي عن التزعفر على بدنه في صلاته ، وحمله صاحب «المحرر» على التطيب به والتخطق به ؛ لأن خير طيب الرجال ما خفي لونه ، وظهر ريحه . انتهى .

قال في «الفتح» : واختلف في النهي عن التزعفر ، هل هو لرائحته لكونه من طيب النساء ، ولهذا جاء الزجر عن الخلوq ؟ أو لونه فيلتحق به كل صفرة ؟

وقد نقل البيهقي عن الشافعي أنه قال : أنهى الرجل الخلال بكل حال أن يتزعفر ، وآمره إن تزعفر أن يفسله . قال : وأرخص في المصفر . قال : لأنني لم أجد أحداً نهى عنه ؛ إلا ما قال علي : نهائي ، ولا أقول : نهاكم . انتهى .  
وقد نص الامام أحمد في رواية عنه على عدم كراهة لبس المزعفر . وفي «نظم الآداب» :

ولا تكرهن في نصه ما صبغته من الزعفران البحت لون المورّد

والزعفران : نبت معروف ، قال في «القاموس» : إذا كان في بيت ؛ لا يدخله سام أبرص . وزعفر : صبغه بالزعفران ، وقوله : البحت ؛ أي المحض الذي ليس معه غيره ، ولون المصبوغ به يكون مورّداً .

ومن أسماء الزعفران : الورد ، والورد من الخليل : ما بين الكيت والأشقر ، فاللون المورّد ما كان بين الحمرة والصفرة ، ودليل هذه الرواية - يعني عدم كراهة لبس المزعفر - ما روى الامام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما ؛ أنه كان يصبغ ثيابه وبدنه بالزعفران ، فقيل له : لم تصبغ ثيابك ، وتدهن

بالزعفران؟ فقال: لا، رأيتُه أحب الأصباغ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.  
وكان يدهن به، ويصنع به ثيابه.

ورواه أبو داود، والنسائي، وفي لفظها: ولقد كان يصنع ثيابه به كلها،  
حتى عمامته.

وفي «الآداب»: ويكره له، أي الرجل، المصفر. زاد في «الرعاية»: في  
الأصح. وكذا المزعفر على الأظهر، وفيه وجه: يكره في الصلاة فقط، وهو  
ظاهر ما في «التلخيص»، وقطع في «شرح المقنع» - للإمام شمس الدين ابن أبي  
عمر رحمة الله - بالكراهة.

وفي «الفروع»: يكره للرجل لبس المزعفر، والمصفر، والأحمر  
المصمت. وقيل: لا، ونقله الأكثر في المزعفر، وهو مذهب ابن عمر وغيره  
وفاقاً للإمام مالك. وذكر الآجري والقاضي وغيرهما تحريم المزعفر للرجل،  
وهو مذهب أبي حنيفة، والشافعي - رضي الله عنها - لكن الذي استقر عليه  
مذهب الإمام أحمد وأصحابه الآن كراهية لبس المزعفر، كما حزم به في  
«الاقناع»، و«المنتهى»، و«الغاية»، وغيرها.

تنبيه: كراهية المصفر أشد من كراهية المزعفر.

وفي «منظومة الآداب»:

وأحمر قانٍ والمصفر فاكرهن لبس رجالٍ حسبُ في نص أحمد  
فيكره للرجال لبس المصفر في الأصح. قال في «الاقناع»: إلا في  
الإحرام فلا يكره. انتهى.

ودليل الكراهة ما روى الإمام أحمد، ومسلم في «صحيحه»: نهى  
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لباس المصفر. روياه من حديث علي.

وفي « صحيح مسلم » عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنها - قال :  
رأى النبي صلى الله عليه وسلم علياً ثوبين مصفرين ، فقال : إن هذه من ثياب  
الكفار فلا تلبسها .

وروى أبو داود عن عمران بن حصين ؛ أن نبي الله صلى الله عليه وسلم  
قال : لا أركب الأرجوان ، ولا ألبس المصفر . قال في « الفروع » : كرهه  
الإمام أحمد المصفر للرجال كراهية شديدة . قاله إسماعيل بن سعيد .

وفي « صحيح مسلم » عن ابن عمر - رضي الله عنها - رأى النبي صلى  
الله عليه وسلم علياً ثوبين مصفرين ، فقال : أأمك أمرتك بهذا ؟ (١) قلت :  
أغسلها ؟ قال : بل أحرقها (٢) . قال البيهقي : لو بلغ ذلك الشافعي لقال به اتباعاً  
للسنة كماداته .

وقد كرهه المصفر جماعة من السلف ، ورخص فيه جماعة ، فمن قال بدم  
كراهية المصفر ؛ الأئمة الثلاثة ، والموفق من علمائنا وغيره ، ومن قال بالكراهة  
من الشافعية ، الحلبي . قال البيهقي : واتباع السنة هو الأولى . انتهى . يعني  
أن الأولى الكراهة ، لهذه النصوص . وقال النووي في « شرح مسلم » : أتقن  
البيهقي المسألة . انتهى .

ورخص الإمام مالك في المزعفر والمصفر في البيوت ، وكرهه في المحافل ،  
والله الموفق .

---

(١) لم يكن الاصل واضحاً ، وما أثبتناه من « صحيح مسلم » .

(٢) الامر باحراقها - كما في « شرح مسلم » - عقوبة وتغليظ ، لجره وزجر غيره عن

مثل هذا .

## الحديث الثلاثون

٧٥ - ثنا إسماعيل ، عن عبد العزيز ، عن أنس  
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا دعا أحدكم فليعزم  
في الدعاء ولا يقل : اللهم إن شئت فأعطني ، فإن الله  
لا مستكره له .

قال رضي الله عنه : ( ثنا إسماعيل ) أي ابن عبيدة ( عن عبد العزيز ) أي  
ابن صهيب ( عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( قال : قال رسول ﷺ : إذا  
دعا أحدكم ) معشر الأمة بخير محض من خيري الدنيا والآخرة ( فليعزم ) بلام الأمر ( في  
الدعاء ) وفي «المسند» أيضاً ، «والصحيحين» و«النسائي» : فليعزم المسألة بدل الدعاء ، أي  
فليطلب طلباً جازماً لا شك فيه ، ويجتهد في عقد قلبه على الجزم بمحصول مطلوبه ،  
فإن من لوازم الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب .

وقد روى الترمذي ، والحاكم ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن  
النبي ﷺ : أنه قال : ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ؛ واعلموا أن الله  
لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه . قال الحاكم : مستقيم الإسناد .

وروى الامام احمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها بإسناد  
حسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القلوب أوعية وبعضها أوعية  
من بعض ، فإذا سألت الله عز وجل أيها الناس ؛ فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة ،  
فإن الله لا يستجيب أعبداً عن ظهر قلب غافل ( ولا ) يلقه بنحو مشيئة ، فلا

(يقول : اللهم ! إن شئت فأعطني ) بهمة قطع ، من أعطى يمطي ، أي لا يشترط مشيئة الله تعالى في دعائه لمطائه ، فانه من اليقينيات ، فلا وجه لتعليقه بشرط (فان الله) لا يفعل إلا ما يشاء ؛ (فلا مستكره له) فيستحيل أن يكرهه أحد على شيء .  
قال ابن عبد البر : لا يجوز لأحد أن يقول : اللهم ! أعطني إن شئت ، وغير ذلك من أمور الدنيا والدين ، لأنه كلام مستحيل لا وجه له ، فحمله النهي على التحريم .

وقال النووي : النهي محمول على الكراهة .

وفي رواية عند مسلم : ولكن ليعزم المسألة ، وليعظم الرغبة ، فان الله لا يتعاطمه شيء .

وفي رواية للبخاري : إنه يفعل ما يشاء لا مكره له .

وللدعاء شروط وآداب كثيرة ، ومن أهمها ما ذكره ؛ فلذلك افردته بالذكر اهتماماً بشأنه .

ومن أهمها أيضاً ؛ أن يكون في أزمته الاجابة ، فان الدعاء إذا كان عقب عبادة كان أرجى للقبول ؛ لأن النبي ﷺ أمر أن يكون دعاء الاستخارة عقب ركعتين يركعهما من غير الفريضة ، وقال : الدعاء لا يرد بين الأذان والاقامة ، فان وافق الدعاء وقتاً من أوقات الاجابة ، كالثالث الأخير من الليل ، وعند الأذان وبين الأذان والاقامة ، وادبار الصلوات ، وعند صمود الامام المنبر يوم الجمعة حتى تقضى الصلاة ، وآخر ساعة بعد العصر منه<sup>(١)</sup> ، وصادف خشوعاً في القلب ، وانكساراً بين يدي الرب ، وتضرعاً وعزماً في الدعاء ، ورقة وخضوعاً ، واستقبال الداعي القبلة ، وكان على طهارة ، فمثل هذا الدعاء لا يرد أبداً ، لا سيما حيث كان بالأدعية المأثورة عن سيد العالم ﷺ .

(١) أي من يوم الجمعة .



## الحديث الواحد والثلاثون

٧٦ - ثنا اسماعيل ، ثنا عبد العزيز قال : سأل قتاده أنساً ، أي دعوة كان أكثر يدعوها النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كان أكثر دعوة يدعوها رسول الله ﷺ يقول : اللهم . « ربنا آتنا ... » الآية (١) .

قال رضي الله عنه : ( ثنا إسماعيل ) بن عليّة ( ثنا عبد العزيز ) بن صبيب ( قال : سأل قتادة ) وهو ابن دعامة بن قتادة ، أبو الخطاب السدوسي ، الأعمى الحافظ البصري الأكمه أحد الأعلام المشهورين (٢) بالحفظ والاتقان ، قال بكر ابن عبد الله المزني : من أراد أن ينظر الى أحفظ أهل زمانه فليُنظر الى قتادة ، ما أدركنا الذي هو أحفظ منه .

قال قتادة : ما سمعت أذناي شيئاً قط إلا وعاء قلبي . وقال : لا يقبل قول إلا بعمل ، فمن أحسن العمل قبل الله قوله .

روى قتادة عن عبد الله بن سرجس ، وأنس ، وأبي الطفيل ، وسعيد ابن المسيب ، والحسن ، وابن سيرين ، وخلق من الصحابة والتابعين . وروى عنه أبو حنيفة ، وأيوب ، وشعبة ، وأبو عوانة ، ومسعر ، والاوزاعي ، وحماد ابن سلمة .

قال سعيد بن المسيب : ما أتاني عراقي أحفظ من قتادة . وقال الامام أحمد : كان قتادة أحفظ أهل البصرة ، لم يسمع شيئاً إلا حفظه . وقرئ عليه (١) سورة البقرة ، الآية ٢٠١ . وللفظ الآية : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » . (٢) في الاصل : المشهورة .

صحيفة جابر مرة واحدة فحفظتها، وكان من العلماء ، وقال غيره : كان قتادة يهم  
 بالتقدير . ولد سنة ستين، ومات سنة سبع عشرة ومائة بواسط ، رحمه الله تعالى ،  
 ( أنسا ) مفعول سأل ، و قتادة الفاعل ، فقال قتادة لأنس رضي الله عنه (١) :  
 ( أي دعوة ) من الدعوات ( كان أكثر ) دعوة ( يدعوها النبي ﷺ )  
 في غالب أوقاته ؟ ( قال : ) أنس رضي الله عنه ( كان أكثر دعوة يدعوها رسول  
 الله ﷺ ) في غالب أوقاته وأكثر مهاته ( يقول : اللهم ربنا ) أي ياربنا ( آتنا )  
 بعد الهزمة ، أي أعطنا ( الآية ) (٢) بالنصب مفعول لفعل محذوف ، أي أقول  
 الآية ، أو آتم الآية ، وبالرفع على أنها مبتدأ ، أو خبر لمبتدأ .

وفي رواية : ذكر الآية بتامها ، كما في « الصحيحين » وغيرها ، وقد  
 اختلفت عبارات السلف في تفسير الحسنة ، فقيل : هي العلم والعبادة في الدنيا ،  
 وقيل : الرزق الطيب ، واللم النافع ، وفي الآخرة الجنة ، وقيل : هي العافية في  
 الدنيا والآخرة ، وقيل : الزوجة الصالحة ، وقيل : حسنة الدنيا الرزق الحلال  
 الواسع ، والعمل الصالح ، وحسنة الآخرة المغفرة والثواب ، وقيل : حسنة  
 الدنيا العلم والعمل به ، وحسنة الآخرة تيسير الحساب ودخول الجنة ، وقيل :  
 من آتاه الله الاسلام والقرآن ، والأهل والمال والولد ، فقد آتاه الله في الدنيا  
 حسنة وفي الآخرة حسنة .

ونقل الثعلبي عن سلف الصوفية أقوالاً حاصلها : السلامة في الدنيا والآخرة ،  
 واقتصر في « الكشاف » على ما نقل الثعلبي عن علي رضوان الله عليه ؛ أنها في

(١) وعلى هامش الاصل : لا يقال : هذا ليس بثلاثي لكون عبد العزيز أسند السؤال لقتادة ؛  
 لأننا نقول : إن قتادة باشر سؤال أنس رضي الله عنه بحضور عبدالعزیز بن صهيب كما لا يخفى ؛  
 فزال مالطه ينتلج في صدر من لم يتفهم . « المؤلف » .  
 (٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٠١ وتقدم لفظ الآية .

الدنيا المرأة الصالحة ، وفي الآخرة الحور ، وقوله : وقنا عذاب النار .  
المرأة السوء .

وقال ابن كثير : الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ،  
ودار رجة ، وزوجة حسنة ، وولد بارٍّ ، ورزق واسع ، وعلم نافع ، وعمل  
صالح ، ومركب هنيء ، وثناء جميل ، إلى غير ذلك مما اشتملته عباراتهم ، فانها  
كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا .

وأما الحسنة في الآخرة ؛ فألاها دخول الجنة ، وتوابه من الأمن من  
الفرع الأكبر في المرصات ، وتيسير الحساب ، وغير ذلك من أمور الآخرة .  
وأما الوقاية من عذاب النار؛ فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا، من اجتناب  
الحرام ، وترك الشبهات . انتهى كما في « الفتح » .

وقيل: الحسنة في الدنيا : الصحة ، والأمن ، والكفاية ، والولد الصالح ،  
والزوجة الصالحة ، والنصرة على الأعداء ، وفي الآخرة ؛ الفوز بانثواب ، والخلاص من  
العقاب ( وكان أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( إذا أراد أن يدعو بدعوة ) واحدة  
( دعا بها ) أي بهذه الدعوة لاشتمالها على خيري الدنيا والآخرة ، فانه إذا فسرت  
حسنة الدنيا بالسلامة أو العافية أو السعادة شملت كل خير ، وإذا فسرت حسنة  
الآخرة بالفوز أو الفلاح ونحوهما فكذلك ( و ) كان ( إذا أراد أن يدعو بدعاء )  
كثيراً أكثر من دعوة ( دعا بها ) أي بالدعوة المذكورة ، وهي : اللهم ربنا ! آتنا  
في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ( فيه ) أي في ذلك  
الدعاء محافظة من أنس على المأثور عن الرسول المعصوم ، ولكونها آية محكمة من  
كلام رب العالمين ، ولا يكفار النبي ﷺ من الدعاء بها . والمداومة على ذلك منه  
تشعر بعزية هذه الدعوة ، والله الموفق .

## الحديث الثاني والثلاثون

٧٧ - ثنا إسماعيل ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك قال : كان معاذ يؤم قومه ، فدخل حرام وهو يريد أن يسقي نخله ، فدخل المسجد ليصلي مع القوم ، فلما رأى معاذاً طولاً ؛ تجوز في صلاته ولحق بنخله ، فلما قضى معاذ الصلاة ، قيل له : إن حراماً دخل المسجد .

قال رضي الله عنه : ( ثنا إسماعيل ) بن عليّة ( عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك ) رضي الله عنه ( قال : كان معاذ ) بن جبل سيد الفقهاء . وحامل لوأثمهم الى الجنة ، وتقدمت ترجمته مع شرح هذا الحديث في شرح الحديث الثامن عشر من «مسند جابر» بن عبد الله رضي الله عنها ( يؤم قومه ) بني سلمة ( فدخل حرام ) هكذا في سائر الروايات غير منسوبة ، فظن بعضهم أنه حرام بن ملحان خال أنس ، وبذلك جزم الخطيب في «المبتهات» . قال في «الفتح» : ولم أره منسوبة في الرواية ، قال : ويحتمل أن يكون تصحيحاً<sup>(١)</sup> من حزم بن أبي كعب . وفي «مبتهات البرماوي» ، أنه حرام - بالحاء المهملة والراء - بن ملحان خال أنس بن مالك .

واسم ملحان - بكسر الميم - : مالك بن خالد بن زيد بن حرام التجاري الانصاري . شهد بدرأ وأحداً ، واستشهد يوم بدر مع معونة مع المنذر بن عمرو ، وعامر بن فهيرة . قتله عامر بن الطفيل ، وكان ذلك في صفر من الرابعة<sup>(٢)</sup> (وهو)

(١) في الاصل : تصحيف ، وهو خطأ .

(٢) وعلى هامش الاصل : أقول : الذي حررناه خلاف ذلك .

أي حرام ( يريد أن يسقي نخله ) أي بصدد ذلك ، والجملة حالية ( فدخل المسجد ) أي مسجد بني سلمة ( ليصلي مع القوم ) صلاة العشاء أو المغرب ( فلما رأى ) حرام ( معاذاً طوّل ) الصلاة بما ابتدأها به من قراءة سورة البقرة أو غيرها ، على ما في بعض الروايات انها : « اقتربت » ( تجوز ) حرام ( في صلاته ) أي فارق معاذاً و صلى لنفسه صلاة خفيفة ( ولحق بنخله ) ليسقيه ، أو لكونه خاف على الماء في النخل ، فانه كان قد أرسله على النخل ، فخاف عدم استيعابه ، أو عدم حصول المقصود ، أو نحو ذلك ، وهذا مما يؤيد قول من قال : إنهما واقعتان ، فما مر في حديث جابر واقعة ، وما هنا في حديث أنس واقعة أخرى ، وأيضاً الاختلاف في الصلاة ، هل هي العشاء أو المغرب ؟ والاختلاف في السورة ، هل هي البقرة أو اقتربت ؟ وبالاختلاف في عذر الرجل ، هل هو لأجل التطويل فقط ؟ أو لأنه جاء من العمل وهو تعب<sup>(١)</sup> ؟ أو لكونه أراد أن يسقي نخله ؟ وقد استشكل هذا بأنه لا يظن بمعاذ رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم يأمره بالتخفيف ، ثم يعود الى التطويل ، ويحاج عن هذا بأنه كان قرأ أولاً بالبقرة ، فلما نهاه قرأ باقتربت ، وهي طويلة بالنسبة الى السور التي أمره أن يقرأ بها آخرأ ( فلما قضى معاذ ) رضي الله عنه ( الصلاة قيل له ) أي قال له بعض من حضره : ( إن حراماً دخل المسجد ) فيه طي ، تقديره : فدخل معك في الصلاة ، ثم فارقك ، وتجوز في صلاته ولحق بنخله . فقال معاذ : إنه منافق ، أيمجل في الصلاة من أجل سقي نخله ؟ قال : فجاء حرام الى النبي ﷺ ومعاذ عنده ، فقال : يا نبي الله ! اني أردت أن أسقي نخلاً لي ، فدخلت المسجد لأصلي مع القوم ، فلما طوّل تجوزت في صلاتي ، ولحقت بنخلي أسقيه . فزعم أني منافق . فأقبل النبي ﷺ على معاذ فقال : أفنان أنت ؟ أفنان أنت ؟ لا تطول بهم . اقرأ بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها ، ونحوهما . هذا تمام حديث أنس . رواه الامام أحمد باسناد صحيح .

(١) في الاصل : ثعبان ، وهو خطأ . قال في « القاموس » : هو تعب وتمعب

وروي أيضاً باسناد صحيح أيضاً عن بريدة الأسلمي - رضي الله عنه - أن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - صلى بأصحابه العشاء فقرأ فيها : اقتربت الساعة ، فقام رجل من قبل أن يفرغ فصلي وذهب ، فقال له معاذ قولاً شديداً ، فأتى النبي ﷺ واعتذر إليه وقال : إني كنت أعمل في نخل وخفت على الماء ، فقال رسول الله ﷺ - يعني لمعاذ - : هل بالشمس وضحاها ، ونحوها من السور ؟ .

وقول معاذ : إنه منافق ، من شدة غضبه عليه ، لظنه أنه آثر سقي نخله على الصلاة ، ولما علم النبي ﷺ بذلك لام معاذ رضي الله عنه ، وقال له : أفنان أنت ؟ ومعنى الفتنة هنا : ان التطويل يكون سبباً لخروجهم من الصلاة ، ولتكره الصلاة في الجماعة .

وقد روى البيهقي في «الشعب» باسناد صحيح ، عن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ؛ أنه قال : لا تبتعضوا الله الى عبادته ، يكون أحدكم إماماً فيطيل على القوم الصلاة ، حتى يبتعض اليهم ما هم فيه ، وبالله التوفيق .

### الحديث الثالث والثلاثون

٧٨ - ثنا إسماعيل ، ثنا عبد العزيز ، عن أنس قال : كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء قال : أعوذ بالله من الخُبث والخبائث .

قال رضي الله عنه : ( ثنا إسماعيل ) بن عليّة ( ثنا عبد العزيز ) بن صهيب ( عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( قال ) أنس : ( كان نبي الله ) محمد ﷺ إذا دخل الخلاء ) أي أراد أن يدخل المكان المعد لاقضاء الحاجة ( قال : أعوذ

بالله من الخبث) بضم الخاء المعجمة ، والباء الموحدة ، فثلاثة جمع خبيث (والجباث) جمع خبيثة ، وتقدم هذا الحديث بعينه وشرحه في الثامن من «مسند أنس» ؛ لكن أخرجه هناك من حديث هشيم ، عن عبد العزيز ، عن أنس ، فلم يختلف من سنده إلا شيخ الامام رضي الله عنه ، فإنه هناك هشيم ، وهنا إسماعيل ابن إبراهيم بن عليّة ، ولفظه هناك: اللهم إني أعوذ بك .

### الحديث الرابع والثلاثون

٧٩ - ثنا إسماعيل ، ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن

أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يضحى بكبشين ، قال أنس : وأنا أضحي بكبشين .

قال رضي الله عنه : ( ثنا إسماعيل ) بن عليّة ( ثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك ) رضي الله عنه ( قال : كان رسول الله ﷺ ) تقدم ان كان هذه تفيد التكرار والدوام والكثرة ( يضحى ) أي يذبح أضحيته وقت الضحى ، والضحاء بالفتح والمد ، هو إذا علت الشمس الى ريع السماء فما بعده ، والضحوة ؛ ارتفاع أول النهار . والضحي بالضم والقصر ؛ فوّه ، وبه سميت صلاة الضحى . والأضحية فيها أربع لغات : ضم الهمزة ، وكسرها ، وتشديد الياء ، وضحيّة بوزن سريّة ، والجمع ضحايا ، وأضحاة . والجمع أضحي ، كأرطاة وأرطى . وقال الفراء : الاضحى يذكر ويؤنث ، تقول : دنا الأضحى ، ودنت الأضحى . والأصاحي : جمع أضحية أيضاً ( بكبشين ) متعلق بيضحي ، والكبش : فحل الضأن في أي سن كان ، وقيل : هو كبش إذا أثنى ، وقيل : إذا أربع ، والجمع : أكبش ، وكباش . وتام الحديث كما هو عند الامام أحمد ، والبخاري ، ومسلم ،

و(السنن) ، من حديث أنس رضي الله عنه : أملحين أقرنين ، فرايته واضعاً رجله على صفاحها يسمي ويكبر ، فذبحها بيده .

والأمّح - بالحاء المهملة - الذي فيه سواد وبياض ، والبياض أكثر ، ويقال : هو الأغبير ، وقال الخطابي : الأمّح هو الأبيض الذي في خلد صوفه طبقات سود . ويقال : هو الأبيض الخالص ، قاله ابن الأعرابي ، وبه تمسك علماؤنا فقالوا : الأفضل الأشهب ، وهو الأمّح وهو الأبيض ، أو ما يياضه أكثر من سواده ، فأصفر ، فأسود .

قال الامام احمد رضي الله عنه : بمجني البياض ، وقال : أكره السواد . وقيل : المراد بالأمّح : الذي ينظر في سواد ، ويأكل في سواد ويمشي ، في سواد ، ويرك في سواد ، أي ان مواضع هذه منه سواد ، وما عدا ذلك أبيض . واختلف في اختيار هذه الصفة ، فقيل : لحسن منظره ، وقيل : لشحمه وكثرة لحمه . واستدل بالحديث على اعتبار العدد في الأضحية ، ومن ثمّ ( قال أنس ) بن مالك رضي الله عنه : ( وأنا أضحي بكبشين ) اثنين اقتداء برسول الله ﷺ . ولهذا قال علماؤنا ومن وافقهم : زيادة عدد في جنس أفضل من المغالاة مع عدمه ، فبدنتان بتسمة أفضل من بدنة بمشرة ، ورجح شيخ الاسلام ابن تيمية البدنة والحالة هذه على البدنتين ، والخصي راجح على النعجة ، ورجح « الموفق » الكبش على سائر الغنم ، وسبع شياه أفضل من بدنة .

وأفضل ذبح الأضحية أول يوم من وقته ، ثم ما يليه ، وآخره آخر اليوم الثاني من أيام التشريق عندنا ، كالحنفة والمالكية . وقالت الشافعية : آخره آخر الثالث من أيام التشريق . وحكى الروياني من الشافعية : أن من أراد أن يضحى بأكثر من واحد ، فالمتحج له أن يفرق ذلك على أيام النحر ، قال الامام النووي : وهذا أرفق بالمساكين ، لكنه خلاف السنة . انتهى .



وفي الحديث دليل على كون التضحية بالذبح أفضل من الأنتى ، وهو قول احمد والشافعي ، وفي « اختلاف الأئمة » امون الدين أبي المظفر ابن هبيرة : فعول كل جنس أفضل من إنائه . وفيه استحباب التضحية بالأقرن ، وأنه أفضل من الأجم مع الاتفاق على جواز التضحية بالأجم ، وهو الذي لاقرن له .  
( فروع ) :

الأول : أول وقت الأضحية يوم العيد بمد أسبق صلاة في البلد ، فان فاتت الصلوات بالزوال ؛ ضحى إذن ، أو بمد قدرها بمد حلها في حق من لا صلاة في موضعه .

وقال أبو حنيفة : لا يجوز لأهل الامصار الذبح حتى يصلي الامام العيد ، فأما أهل القرى فيجوز لهم بمد طلوع الفجر .

وقال مالك : وقت الذبح بمد الصلاة والخطبة وذبح الامام .

وقال الشافعي : وقته إذا مضى من الوقت مقدار ما يصلي فيه ركعتين ويخطب خطبتين بمدما .

واتفقوا على جواز ذبح الأضحية ليلا ونهاراً في وقتها المنروع لها ؛ إلا مالكا ، فانه قال : لا يجوز ذبحها ليلا ، وأبو حنيفة يكرهه مع جوازه . قلت : وهكذا مذهبنا ، فانه يكره تنزيهاً ذبح الأضحية في ليلتي التشريق ، والله أعلم .

الثاني : لا تصح الأضحية إلا من الابل والبقر والغنم ، فلا تجزىء بالوحشي ولا بمن أحد أبويه وحشي ، وأفضلها : أسمن ، وأغلى ثمناً ، وذكر وأنتى سواء ، ولا يجزىء إلا الجذع من الضأن وهو ماله ستة أشهر ، والثني مما سواء . فثني الابل ما كمل له خمس سنين ، وبقر سنتان ، ومعر سنة . وهذا المذهب بلا ريب .  
وقالت الشافعية : جذع الضأن ماتم له سنة وطعن في الثانية ، وثني المعز كالنقر ماتم له سنتان وطعن في الثالثة .

وقال العبادي منهم : لو أجدع ولد الضأن قبل السنة ، أي سقطت أسنانه ؛  
أجزأ ، كما لو تمت السنة قبل أن يجذع ، ويكون ذلك كالبلوغ ، إما بالسن أو  
الاحتلام . وهكذا قال البغوي : الجذع من الضأن : ما استكمل السنة أو  
أجدع قبلها .

الثالث : الأضحية سنة مؤكدة ، ويكره تركها لقادر عليها ، وليست  
واجبة إلا أن يندرها . وكانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو حنيفة : هي واجبة على كل مسلم مقيم مالك لنصاب من أي  
الاموال كان .

واتفق الثلاثة على كونها سنة ، إلا أن مالكاً قال : الحاج الذي يبنى  
لا أضحية عليه ، وماعدها من المسلمين فعلى كل من قدر عليها من أهل الأمصار  
والقرى والمسافرين . وقال : هي مسنونة غير مفروضة مع إيجابه لها على من ذكر .

الرابع : يُسِن لمن ضحى أن يأكل ثلث أضحيته الأذن ، ويهدي ثلثها  
الأوسط ولو لغني ، ويتصدق بثلثها الأفضل ولو منذورة أو مميّنة . قال الامام  
أحمد رضي الله عنه : وكان من شमार الصالحين تناول لقمة من الأضحية من كبدها  
أو غيرها تبركاً .

وأما إن كانت الأضحية لیتيم ، فلا يتصدق الولي ، ولا يهدي منها شيئاً ،  
بل يوفرها له .

فإن أكل المضحي كل أضحيته ، أو أهداها كلها إلا أوقية تصدق بها ،  
جاز ، لأنه تجب الصدقة بيمضها نيئاً على فقير مسلم .

وقال أبو حنيفة : له أن يأكل من أضحيته ، ويطعم الفقراء والاغنيا .  
ويدخر ، ويستحب أن لا ينقص الصدقة عن الثلث .

وقال مالك : يأكل منها ، ويطعم فقيراً وغنياً ، وحرأً وعبداً ، ونيئاً ومطبوخاً ، ويكره أن يطعم منها يهودياً أو نصرانياً ، وليس لما يأكل منها ويطعم حد ، قال : والاختيار أن يأكل الاقل ، ويقسم الاكثر ، ولو قيل : يأكل الثلث ويقسم الباقي لكان حسناً . ومذهب الشافعي كمنهنا . وقيل : عنده يأكل النصف ، ويتصدق بالنصف . والله أعلم .

تتمة : في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم سمي عند ذبح أضحيته وكبر ، أي قال : بسم الله والله أكبر ، وأنه صلى الله عليه وسلم وضع رجله الشريفه — أي اليمنى — على صفاحها — أي الكبشين — يعني على صفحة كل واحد منها عند الذبح .

والصفاح بكسر الصاد المهملة ، وتخفيف الفاء وآخره حاء مهملة : الجوانب والمراد الجانب الواحد من وجه الأضحية ، وإنما ثني إشارة الى أنه فعل ذلك في كل منها ، فهو من إضافة الجمع الى المثنى بارادة التوزيع .

وفي الحديث استحباب ذبح المضحي أضحيته بيده ، ولا خلاف في مشروعية ذلك ، وإنما الخلاف في وجوبه .

وقد اتفقوا على جواز التوكيل فيها ولو للقادر ؛ نعم عند المالكية رواية بدم الاجزاء مع القدرة ، وعند اكثرهم يكره ، لكن يستحب أن يشهدها . ويجوز أن يوكل في ذبحها كتابياً مع الكراهة عند الثلاثة ، وقال مالك : لا يجوز أن يذبحها إلا مسلم .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : يستحب اذا ذبح أن يقول : وجهت وجهي الى قوله : وأنا من المسلمين . قال الامام أحمد : يسمي ويكبر حين يحرك يده بالذبح ويقول : اللهم هذا منك ولك . ولا بأس بقوله : اللهم تقبل من

فلان ، نض عليه الامام أحمد . وذكر بمضمم أنه يقول : اللهم تقبل مني كما تقبلت  
من ابراهيم خليلك ، والله أعلم<sup>(١)</sup> .

### الحديث الخامس والثلاثون

٨٠ - ثنا اسماعيل ، ثنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالك  
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لبس الحرير في  
الدنيا لم يلبسه في الآخرة .

قال رضي الله عنه ( ثنا اسماعيل ) بن ابراهيم ( ثنا عبد العزيز ) بن صهيب  
( عن أنس بن مالك ) رضي الله عنه ( قال : قال رسول الله ﷺ : من لبس  
الحرير ) ومثل اللبس افتراشه ، واستناده اليه ، واتكاؤه عليه ، وتوسده ، وتطبيقه ،  
وستر الجدر به ، غير الكعبة المشرفة - زادها الله تشريقاً - وكلام أبي المصالي  
يدل على أنه محل وفاق . وذكر في « الفروع » أن تحريم نحو الاستناد والاتكاء  
خلاف الخفية .

والحرير معروف ، وهو عربي ، وسمي بذلك لخلوصه ، يقال لكل شيء

---

(١) وجدنا الحديث التالي مكتوباً على هامش بحث الاضية من المخطوطة ، بخط آخر ،

وغير مندرج في سياق البحث :

وعن أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال : ما عمل آدمي من عمل يوم النحر أحب الى الله من اهرق الدم ، وانها  
لتأتي يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها ، وإن الدم ليقع من الله بكم قبل أن يقع  
من الارض ، فطيبوا بها نفساً . رواه الترمذي وابن ماجه ، وحسنه الترمذي ، والحاكم  
وصححه . « المؤلف »

خالص : محرر ، وحررت الشيء خلصته من الاختلاط بغيره . وقيل : هو فارسي معرّب ( في ) الحياة ( الدنيا ) من الرجال المكلفين لغير عذر ، ( لم يلبسه ) أي الحرير ( في الآخرة ) وفي رواية : إن يلبسه في الآخرة ، وزاد النسائي في رواية له : ومن لم يلبسه في الآخرة لم يدخل الجنة ، قال الله تعالى : « لباسهم فيها حرير » (١) .

وهذه الزيادة مدرجة في الخبر ، وهي موقوفة على عبد الله بن الزبير رضي الله عنها ، كما بين ذلك النسائي . وكذا أخرجه الاسماعيلي من طريق علي بن الجعد ، عن شمبة ، ولفظه : فقال ابن الزبير - من رأيه - ومن لم يلبس الحرير في الآخرة لم يدخل الجنة ، وذلك لقوله تعالى : « ولباسهم فيها حرير » (١) وقد جاء مثل ذلك عن ابن عمر أيضاً ، أخرجه النسائي من طريق حفصة بنت سيرين ، عن خليفة ابن كعب ، قال خطبنا ابن الزبير ، فذكر الحديث المرفوع ، وزاد ، قال : فقال ابن عمر : إذا والله لا يدخل الجنة ، قال الله : « ولباسهم فيها حرير » (١) ؛ لكن أخرج الامام أحمد ، والنسائي وصححه الحاكم ، من طريق داود السراج ، عن أبي سعيد ، فذكر الحديث وزاد : وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو . وهذا يحتمل أن يكون أيضاً مدرجاً ، وعلى تقدير ثبوته مرفوعاً ، فهو من العام الخصوص بالمكلفين من الرجال ، للأدلة الأخرى بجوازه للنساء .

وقد جاء الوعيد على لبس الحرير في عدة أحاديث : فمنها هذا الحديث الذي نحن بصدد شرحه عن أنس بن مالك ، متفق عليه .

ومنها ما في « الصحيحين » وغيرها من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : لا تلبسوا الحرير ، فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة .

(١) سورة الحج ، الآية : ٢٣

وفي « الصحيحين » من حديث عمر رضي الله أيضاً قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنما يلبس الحرير من لا خلاق له ، زاد البخاري ، وابن ماجه وغيرها : في الآخرة .

والامام أحمد ، والنسائي ، وابن حبان ، والحاكم ، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - مرفوعاً : من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة .  
وفي « صحيح البخاري » عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال :  
نما نارسول الله ﷺ أن تشرب في آنية الذهب والفضة ، وأن تأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج ، وأن تجلس عليه .

وفي قوله : وأن تجلس عليه حجة قوية لمن قال بمنع الجلوس على الحرير ، وهو قول الجمهور ، خلافاً لابن الماجشون ، والكوفيين ، وبمض الشافعية . وأجاب بمض الحنفية بأن لفظه : نهى ليس صريحاً في التحريم ، وبمضهم باحتمال أن يكون النهي ورد عن مجموع اللبس والجلوس ، لا عن الجلوس بمفرده . هذا مع أن ابن بطلال قال في « شرح البخاري » : هذا الحديث نص في تحريم الجلوس على الحرير . وقال في « الفتح » : بل هو ظاهر في التحريم وليس بنص .

وقد أخرج ابن وهب في « جامعه » من حديث سمع بن أبي وقاص رضي الله عنه ، قال : لأن أقعد على جمر الفضا أحب الي من أقعد على مجلس من حرير .  
وقد أخرج الامام أحمد ، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه ، مرفوعاً : لا يستمتع بالحرير من يرجو أيام الله .

وروى الامام أحمد أيضاً ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، مرفوعاً : إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا يرجو أن يلبسه في الآخرة .

قال الحسن : فما بال أقوام يبلغهم هذا عن نبيهم ، يجمعون حريراً في ثيابهم وبيوتهم ؟

وأخرج الامام أحمد أيضاً عن أبي أمامة رضي الله عنه ، مرفوعاً : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس حريراً ولا ذهباً .

تنبيهه : أجمعت الأمة على تحريم لبس الحرير للرجال ، وإباحته للنساء . واختلف في علة تحريمه على الرجال على رأيين مختلفين : أحدهما: الخيلاء ، والثاني: كونه ثوب رفاهية وزينة ، فيليق بزي النساء دون شامة الرجال . ويحتمل علة ثالثة وهي : التشبه بالمشركين . قال ابن دقيق العيد : وهذا قد يرجع الى الاول لأنه من سمة المشركين ، والله الموفق .

#### الحديث السادس والثلاثون

٨١ - ثنا اسماعيل ، ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك قال : دخل رسول الله ﷺ المسجد وحبل ممدود بين ساريتين ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : لزينب تصلي ، فإذا كسلت أمسكت به . فقال : حلّوه ، ثم قال : ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا كسل أو فتر فليقمعد .

قال رضي الله عنه : ( ثنا اسماعيل ) ابن عليّة ( ثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك ) رضي الله عنه ( قال : دخل رسول الله ﷺ المسجد ) أل فيه للهد ، أي مسجده الشريف ( وحبل ) وهو السبب الذي يربط به ( ممدود ) صفة لحبل ، والجملة حالية ( بين ساريتين ) من سواري المسجد . قال الجوهرى : هي الاسطوانة . والاسطوانة بالضم ، معرب استون ، أفعوالة ، أو فملوانة . والمراد:

عمودين ، من قوائم المسجد ( فقال ) ﷺ ( ما هذا ؟ ) أي الجبل الممدود ،  
يعني لمن هذا ؟ ولأني شيء مد هذا الجبل بين هاتين الساريتين ؟ ( قالوا ) أي  
من حضر وعلم من الصحابة رضي الله عنهم ، هذا ( لزينب ) أي بنت جحش ،  
وتقدمت ترجمتها في الحديث الخامس من «مسند أنس» رضي الله عنها. ولأبي داود ،  
قالوا : لجنة بنت جحش ، ولابن خزيمة : ليمونة بنت الحارث قال في «الفتح» :  
وهي رواية شاذة ، والرواية الصحيحة الأولى كما في «المسند» و«المصحيح» ، وأبي  
داود ، والنسائي ، وابن ماجه ( تصلي ) ما دامت نشطة ( فاذا كسلت ) وفي  
رواية : اذا فترت بالثناة ، بمعنى كسلت عن القيام لشدة تعبها ، وكثرة نصبها لربها  
( أمسكت به ) لتقوم وتستعين بذلك على طول القيام والعبادة ( فقال ) صلى  
الله عليه وسلم : ( حلوه ) أي الجبل من بين الساريتين ، وفي رواية : لا ،  
أي لا يكون هذا الجبل ، أولاً يحمد هذا الفعل ، هذا ان كانت لا نافية ،  
ويحتمل أن تكون ناهية ، أي لا تفعلوا مثل هذا ( ثم قال ) صلى الله عليه وسلم  
( ليصل ) اللام للأمر و ( أحدكم ) فاعل ( نشاطه ) بفتح النون ، أي مدة  
نشاطه ، يعني مدة خفته له ، وإيثار فعله بخفة وسرعة ورغبة من غير تكاف  
ولا تخامل . قال في «القاموس» : نشط كسمع ، نشاطاً بالفتح فهو ناشط  
ونشيط ؛ أي طابت نفسه للعمل . أي ليصل أحدكم ما طابت نفسه للعمل من غير  
تكاسل ولا ثقل ( فاذا كسل ) عن الصلاة ( أو فتر ) أي صار ذا فتور ، وهو  
ضعف وانكسار ، يقال : افتر الرجل فهو مفتر : إذا ضعفت جفونه وانكسر  
طرفه ( فليقم ) أي ، فاذا فتر في أثناء قيامه فليقم ويتم صلاته قاعداً ، أو إذا  
فتر بعد فراغ بعض تسليماته ؛ فليات بما بقي من نوافله قاعداً ، أو فليترك حتى  
يحدث له نشاط ، فلا يصلي إذا غلبه النوم حتى يعقل ما يقول ويفعل .

وفي «الصحيحين» ، و «أبي داود» ، و «الترمذي» ، و «النسائي» ، و «ابن



ماجة ، ، عن عائشة رضي الله عنها ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : إذا نمس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم ، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس ، لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه . ولفظ النسائي : إذا نمس أحدكم وهو يصلي فليتنصرف ، فلهله يدعو على نفسه وهو لا يدري .

وفي « صحيح البخاري » من حديث أنس رضي الله عنه ، ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا نمس أحدكم في الصلاة فليمن ؛ حتى يعلم ما يقرؤه . وقد قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : السنة - والذي لا إله إلا هو - بين العالي والجاني ، فاصبروا عليها رحمكم الله ، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى ، وهم أقل الناس فيما بقي ، الذين لم يذهبوا مع أهل الأتراف في أترافهم ، ولا مع أهل البدع في بدعهم ، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم . فكذلك إن شاء الله فكرونا .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : إياكم والغلو في الدين ، فاعلموا أهللكم الذين من قبلكم بالغلو في الدين ، رواه الامام أحمد ، والنسائي .

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : لا تشددوا فيشدد الله عليكم ؛ فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، ففعل بقاياهم في الصوامع والأديار (١) ، رهبانية ما كتبناها عليهم ، فنهى رسول الله ﷺ عن التشدد في الدين ، وأخبر أن تشديد العبد على نفسه بالزيادة على المشروع ، هو السبب لتشديد الله عليه ، إما بالقدر وإما بالشرع ، فالتشديد بالشرع ؛ كما يشدد على نفسه بالنذر الثقيل ، فيلزمه الوفاء به ، وبالقدر ؛ كفعل أهل الوسوسة ، فانهم شددوا على أنفسهم فشددت عليهم بالقدر ، حتى استحکم ذلك وصار صفة لازمة لهم .

وقال أبي بن كعب : عليكم بالسبيل والسنة ، فانه ما من عبد على السبيل

(١) في الاصل الديارات . قال في « القاموس » : الدبر : جمه أديار .

والسنة ذكر الله فاقشعر جلده من خشية الله إلا تحاثت عنه خطاياها كما يتحاث  
عن الشجرة اليابسة ورقها ، وإن اقتصاداً في سبيل سنة خير من اجتهاد في  
خلاف سبيل سنة ، فاحرصوا إذا كانت أعمالكم اقتصاداً أن تكون على منهاج  
الأنبياء وسنتهم . وبالله التوفيق .

تنبه : هذا الحديث وما بعده مما ذكرناه ، أصل عظيم في الاقتصاد ،  
وهو التوسط والمدل بين جانبي الإفراط والتفريط من الفعل والقول ، قال  
شيخ الاسلام ابن تيمية : دين الله تعالى بين الغالي والجاني والحقيقة هي المهلكة  
والحسنة بين سيئين .

وفي « الصحيحين » من حديث أنس رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال :  
يَسِّرُوا وَلَا تَمَسِّرُوا ، وَبَشِّرُوا وَلَا تَنْفَرُوا .

وفي « سنن أبي داود » من حديث سهل بن أبي أمامة ، أنه دخل هو  
وأبوه على أنس بن مالك رضي الله عنه بالمدينة ، في زمان عمر بن عبد العزيز  
وهو أمير المدينة ، فإذا هو يصلي صلاة خفيفة ذفيفة — أي بالذال المعجمة  
المفتوحة ، ففائين بينها تحنانية ، فباء تأنيث — بمعنى خفيفة لا إطالة فيها ولا  
تكلف ولا رياء ، كأنها صلاة مسافر ، أو قريباً منها ، فلما سلم قال : يرحمك  
الله ، أ رأيت هذه الصلاة المكتوبة ، أو شيء تنفلته ؟ قال : إنها للمكتوبة ، وإنها  
لصلاة رسول الله ﷺ ، ما أخطأت لإشياء سهوت عنه ، ثم قال : إن رسول  
الله ﷺ قال : لا تشددوا ... الحديث .

وفي « الصحيحين » وغيرهما ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : كانت  
عندي امرأة من بني أسد ، فدخل علي رسول الله ﷺ ، فقال : من هذه ؟  
قلت : فلانة ، لا تنام من الليل ، تذكر من صلاتها . قال : مه ، عليكم من

الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يملّ حتى تملّوا . وكان أحب الدين ما داوم (١)  
عليه صاحبه .

وفي رواية لمسلم : أن الحولاء بنت تويت مرت بها (٢) وعندها رسول الله  
ﷺ ، فقلت : هذه الحولاء بنت تويت ، وزعموا أنها لا تنام الليل ، فقال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم : لا تنام الليل ! خذوا من العمل ما تطيقون ، فوالله  
لا يسأم الله حتى تسأموا .

وفي «الموطأ» مرسلًا ، عن إسماعيل بن أبي حكيم ، أنه بلغه أن رسول  
الله ﷺ سمع امرأة من الليل تصلي ، فقال : من هذه ؟ قيل : الحولاء بنت تويت ،  
لا تنام الليل ، فكره ذلك حتى عرفت الكراهية في وجهه ، ثم قال : إن الله  
لا يملّ حتى تملّوا . اكلفوا من العمل ما لكم به طاقة .

قوله: الحولاء - هو بفتح الحاء المهملة، وسكون الواو، وبالمد. وتويت: بضم التاء  
المثناة فوق، وفتح الواو، وسكون الياء التحتية، فتاء فوقها تقطنان وهي الحولاء بنت  
تويت، ابن جبيب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، القرشية، الأسيديّة . أسلت بعد  
الهجرة ، وبايعت النبي ﷺ وهاجرت إليه ، وكانت من المتحجرات في العبادة .  
روت عنها عائشة رضي الله عنها ، وقالت عائشة : إن الحولاء استأذنت على النبي  
ﷺ ، فأذن لها وأقبل عليها ، فقلت : يا رسول الله ! أتقبل على هذه هكذا  
الاقبال؟! فقال : إنها كانت تأتينا في زمن خديجة ، وإن حفظ المهد من الإيمان ،  
ويقال : إن هذا الحديث ورد في غير الحولاء والله تعالى أعلم .

وقوله: لا يملّ حتى تملّوا، المراد بهذا الحديث: أن الله لا يملّ أبدًا، ملّتم أو لم تملّوا،  
فجري مجرى قولهم : حتى يشيب الغراب ، ويبيض القمار ، وقيل معناه: إن الله لا

(١) في الاصل : ما دام .

(٢) أي بعائشة رضي الله عنها .

يطرَحُ حَتَّى تَرَكُوا الْعَمَلَ لَهُ ، وَتَزْهَدُوا فِي الرَّغْبَةِ ، فَسُمِّيَ الْفَعْلَيْنِ مَلَاً ، وَكِلَاهُمَا  
لَيْسَ بِمَلَلٍ ، كَمَا دَاةُ الْعَرَبِ فِي وَضْعِ الْفَعْلِ إِذَا وَافَقَ مَعْنَاهُ ، نَحْوُ قَوْلِهِ :  
ثُمَّ أَضْحَوْا لَعِبِ الدَّهْرِ بِهِمْ      وَكَذَاكَ الدَّهْرُ يُوَدِّي بِالرَّجَالِ

فَجَعَلَ إِهْلَاكَه إِيَّامَ لَبِياً ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ : أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْطَعُ عَنْكُمْ فَضْلَهُ ، حَتَّى  
تَمْلُؤُوا سُؤَالَه ، فَسُمِّيَ فَعْلُ اللَّهِ مَلَاً ، وَلَيْسَ بِمَلَلٍ عَلَى جِهَةِ الْإِزْدِوَاجِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى :  
« فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ » (١) ، وَكَقَوْلِهِ : « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا » (٢)  
وَهَذَا سَائِعٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ ، وَكَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ ، وَيُسَمَّى مَا كَانَ مِثْلَ هَذَا :  
مَشَاكَلَةً .

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شَرًّا ، وَلِكُلِّ شَرِّهِ فِتْرَةٌ ، فَإِنْ كَانَ (٣)  
صَاحِبُهَا سَدَّدَ وَقَارَبَ فَارْجَوْهُ ، وَإِنْ أَشِيرَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ فَلَا تَعْدُوهُ .

وَفِي كِتَابِ الْحَافِظِ أَبِي الْحَسَنِ رِزِينَ بْنِ مَعَاوِيَةَ الْمُبْدَرِيِّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : كَانَتْ مَوْلَاةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، خَبِرَ عَنْهَا أَنَّهَا  
تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لِكُلِّ عَامِلٍ شَرًّا ،  
وَلِكُلِّ شَرِّهِ فِتْرَةٌ ، فَمِنْ صَارَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي ؛ فَقَدْ أَهْتَدَى ، وَمَنْ أَخْطَأَ  
فَقَدْ ضَلَّ .

وَفِيهِ أَيْضاً عَنْ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :  
لَنْ يَنْجِيَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ ، قَالُوا : وَلَا أَنْتَ ؟ قَالَ : وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ  
بِرَحْمَةٍ مِنْهُ ، فَسَدَّدُوا وَقَارَبُوا ، أَغْدُوا وَرَوْحُوا شَيْئاً مِنَ اللَّجْجَةِ ، وَالْقَصْدُ

(١) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، الْآيَةُ : ١٩٣

(٢) سُورَةُ الشُّورَى ، الْآيَةُ : ٤٠

(٣) لَمْ تَكُنْ كَانَ فِي الْأَصْلِ ، وَالتَّصْحِيحُ مِنْ « التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ » .

القصدي تبلغوا . وإن أحب الاعمال ، ما داوم عليه صاحبه وإن قل ، فاكفروا من  
المعمل ما تطيقون ، فإن الله لا يمل ؛ حتى تملوا .

وفيه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :  
خير الامور أوساطها .

ومعنى هذا : إن لكل خصلة محمودة طرفين مذمومين ، مثل السخاء وسط  
بين البخل والتبذير ، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور ، والانسان مأمور أن  
يجتنب كل وصف مذموم ، وتجنبه بالتخلي عنه ، والبعد منه ، فكما ازداد منه  
بمداً ؛ ازداد منه تخلياً وتمرياً ، وأبعد الجهات والأماكن والمقادير من كل  
طرفين ، فانما هو وسطها ، لأن الوسط أبعد الجهات من الاطراف ، وهو غاية  
البعد عنها ، فاذا كان في الوسط ؛ فقد ترمى عن الاطراف المذمومة ؛ بقدر  
الامكان ، فهذا كان خير الامور أوساطها . كما في « جامع الأصول » للعلامة ابن  
الاثير . رحمه الله تعالى .

وفي أواخر كتاب « الروح » للامام المحقق ابن القيم : الاقتصاد خلق محمود  
يتولد من خلقين : عدلٍ وحكمةٍ ، فبالعدل يتعدل في المنع والبذل ، وبالحكمة ؛  
يضع كل واحد منها موضعه الذي يليق به ، فيتولد من بينهما الاقتصاد ، وهو  
وسط بين طرفين مذمومين . كما قال تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك  
ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً » (١) وقال تعالى : « والذين إذا أنفقوا  
لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً » (٢) يعني كما أن التبذير مذموم ؛  
فكذلك الشح مذموم ، وبين هذين الطرفين الجود والكرم . والله سبحانه  
وتعالى أعلم .

(١) سورة الاسراء ، الآية : ٢٩

(٢) سورة الفرقان ، الآية : ٦٧

## الحديث السابع والثلاثون

٨٢ - ثنا إسماعيل ، ثنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالك قال : أُقيمت الصلاة ورسول الله ﷺ نجيّ لرجل في المسجد ، فما قام للصلاة حتى نام القوم .

قال رضي الله عنه : ( ثنا ) أبو بشر (إسماعيل) بن عليّة (ثنا عبد العزيز) ابن صهيب ( عن أنس بن مالك ) رضي الله عنه ( قال : أُقيمت ) - بضم الهمزة - مبنياً للمجهول ( الصلاة ) بالرفع نائب الفاعل ، أي صلاة العشاء كما بينه حماد ، عن ثابت عن أنس ( ورسول الله ﷺ نجيّ لرجل ) وفي لفظ : يناجي رجلاً ، والواو في قوله : ورسول الله ، واو الحال . قال في «الفتح» : لم أقف على اسم هذا الرجل ، وذكر بعض الشراح ؛ أنه كان كبيراً في قومه ، فأراد أن يتألفه على الاسلام ، قال : ولم أقف على مُستند ذلك . انتهى . وتقدم الكلام على النجوى في الحديث الخامس من «مسند ابن عمر» رضي الله عنها ، فراجعه هناك تظفر بجملة أحكامها . وكان رسول الله ﷺ نجيّاً لذلك الرجل ( في المسجد ) أي في مسجده الشريف ، فواله ، فيه لامهد الذهني : ( فما قام ) ﷺ ( للصلاة حتى نام القوم ) وفي لفظ في «الصحيحين» : حتى نام بمض القوم ، زاد شعبة ، عن عبد العزيز : ثم قام أي البمض الذي نام فصلى . أخرجه مسلم ، وكذا هو عند البخاري في الاستئذان<sup>(١)</sup> من «صحيحه» ، وكذا في مسند إسحاق بن راهوية ، وابن حبان من وجه آخر عن أنس ، وهو يدل على أن النوم المذكور لم يكن مستغرقاً ،

(١) أي في باب الاستئذان .

ويرشد الى كون النوم كان يسيراً ، أنه وقع بين إقامة الصلاة وبين الاحرام بها .  
وفي بعض الروايات : حتى نفس بعض القوم بين الإقامة والاحرام . وفي  
الحديث جواز الفصل بين الإقامة والاحرام لحاجة ، وأما اذا كان لغير حاجة  
فمكروه . قال الزين بن المنير : لفظ الخبر يشعر بأن المناجاة كانت لحاجة النبي  
ﷺ ، لقول أنس : والنبي ﷺ يناجي رجلاً ، ولو كانت لحاجة الرجل ؛ لقال  
أنس : ورجل يناجي النبي ﷺ . انتهى . واعترضه في « الفتح » : بأن هذا  
ليس بلازم ، وفيه غفلة منه عما في « صحيح مسلم » بلفظ : أقيمت الصلاة ، فقال  
رجل : لي حاجة ، فقام النبي ﷺ يناجيه .

### الحديث الثامن والثلاثون

٨٣ - ثنا إسماعيل ، ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن  
أنس بن مالك : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ،  
أخذ أبو طلحة بيدي ، فانطلق بي إلى رسول الله ﷺ فقال :  
يا رسول الله ! إن أنساً غلام كَيْسٌ فليخدمك . قال : فخدمته  
في السفر والحضر . والله ما قال لي لشيء صنعت لم صنعت هذا ،  
ولا لشيء لم أصنعه لم تصنع هذا هكذا .

قال رضي الله عنه : ( ثنا إسماعيل ) بن عليّة ( ثنا عبد العزيز بن صهيب ،  
عن أنس بن مالك ) رضي الله عنه : ( لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ) النبوية  
مهاجرًا من مكة المشرفة إليها ( أخذ أبو طلحة ) واسمه زيد بن سهل بن الأسود ابن

خرام بن عمرو بن زيد مائة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار ، الانصاري  
 النجاري ، مشهور بكنيته ، شهد العقبة الأخيرة مع السبعين ، ثم شهد بدرًا وما  
 بعدها من المشاهد ، وهو زوج أم أنس ابن مالك ، كما تقدم في ترجمة « الفيضاء »  
 في الحديث السادس عشر من مسند أنس وكان أبو طلحة من الرماة المذكورين ،  
 قال ﷺ : لصوت أبي طلحة في الجيش خير من فثة . وفي لفظ : خير من مائة  
 رجل ، وكان يسرد الصوم كثيراً ، بعد وفاة النبي ﷺ ، يقال : إنه سرد  
 الصوم أربعين سنة . روي عنه ابن عباس ، وأنس بن مالك ، وزيد بن خالد ،  
 وغيرهم . روي له عن النبي صلى الله عليه وسلم : اثنان وسبعون حديثاً ،  
 اتفقا على حديثين ، وانفرد البخاري بحديث ، ومسلم بآخر . مات أبو طلحة  
 سنة إحدى وثلاثين ، وقيل : سنة اثنين وثلاثين ، وقيل : أربع وثلاثين ،  
 وهذا يخالف كونه سرد الصوم أربعين سنة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا أن  
 يقال : إنه جبر الكسر .

روي أنس أن أبا طلحة رضي الله عنها ، قرأ سورة براءة ، فأثى على  
 قوله تعالى : « انفروا خفافاً وثقالاً » (١) فقال : لا أرى ربنا إلا  
 يستنفرنا شباباً وشيوخاً ، يابني جهزوني ، فقالوا : يرحمك الله ، لقد غزوت مع  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات ، ومع عمر حتى مات ، فدعنا ننفر عنك .  
 فقال : لا ، جهزوني ، ففزا البحر فمات في البحر ، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه  
 فيها إلا بعد سبعة أيام ، فدفنوه فيها وهو لم يتغير .

قال النووي : رواه البيهقي باسناد صحيح ، ورواه ابن أبي شيبة في  
 « مصنفه » عن الحسن ، وعطاء . وقيل : إنه مات بالمدينة وهو ابن سبعين  
 سنة . رحمه الله ورضي عنه « بيدي » متعلق بأخذ ( فانطلق ) أبو طلحة ( بي

(١) سورة التوبة ، الآية : ٤١



إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ! إن أنساً ( يعني نفسه )  
( غلام كتيّس ) أي عاقل كما في « النهاية » .

وقال في « المصباح » : الكيس وزان قتلّس : الظرف والفظنة ، والكيتيس مثقلاً :  
اسم فاعل ، وجمعه أكياس ، مثل جيد وأجيد ( فليخدمك ) الفاء سببية ، واللام  
لام الامر ، وهي من الأدنى الى الأعلى ، فتكون دعائية ، أي فاتمخذه لك خادماً  
يخدمك ، فاتمخذه صلى الله عليه وسلم خادماً ( قال ) أنس رضي الله عنه ( فخدمته )  
صلى الله عليه وسلم عشر سنين . كما عند الامام احمد والبخاري وغيرهما ، وهو  
كذلك في معظم الروايات .

ووقع عند « مسلم » ، من طريق إسحاق بن أبي طلحة ،  
عن أنس رضي الله عنه ؛ والله لقد خدمته تسع سنين ، ولا مفايرة بينها ، لأن  
ابتداء خدمته كان بعد قدومه ﷺ المدينة ، وبعد تزويج أم سليم بأبي طلحة ،  
وإنما تزوجت أم سليم بأبي طلحة بعد قدوم النبي ﷺ بمدة أشهر ، كما في  
« الفتح » لأنها بادرت الى الاسلام ، ووالد أنس حي ، فمرف بذلك فلم يسلم ،  
فخرج في حاجة له فقتله عدوه له . وكان أبو طلحة قد تأخر إسلامه ، فانفق أنه  
خطبها ، فاشترطت عليه أنه يسلم ، فأسلم ، كما أخرجه ابن سعد باسناد حسن ،  
فملى هذا تكون مدة خدمة أنس تسع سنين وأشهرأ ، فالنبي الكسر مرة وجبره  
أخرى ، هكذا في « الفتح » . ( في السفر والحضر ) أشار بالسفر إلى ما وقع في  
الغازي من البخاري وغيره عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ طلب من أبي  
طلحة لما أراد الخروج الى خيبر من يخدمه ، فأحضره له أنساً ، فأشكل هذا الحديث  
على الحديث الاول ؛ لأن بين قدومه المدينة وبين خروجه الى خيبر نحو ست سنين .  
وأجيب بأنه طلب من أبي طلحة من يكون أسن من أنس وأقوى على الخدمة في  
السفر ، فمرف أبو طلحة من أنس القوة والكفاءة على ذلك ، فأحضره ، فلهذا

قال أنس رضي الله عنه : فخدمته في الحضر والسفر ( والله ما قال لي ) : أف قط .  
قال الراغب : أصل الأف : كل مستقذر من وسخ ، كقلامة الظفر ،  
وما يجري مجراها ، ويقال ذلك لكل مستخف به ، ويقال أيضاً عند تكره الشيء .  
وعند التضجر من الغير ، واستعملوا منها الفعل كأفقت بفلان ، وفي أف عدة  
لغات : الحركات الثلاث بغير تنوين ، وبالتنوين ، وقد وقعت هذه الرواية وهي :  
ما قال لي : أف قط في « الصحيحين » وغيرهما ، لكن وقع في مسلم هنا : أفأ  
بالنصب والتنوين ، وهي موافقة لبعض القراءة الشاذة ، وهذا كله مع ضم الهمزة  
والتشديد ، وعلى ذلك اقتصر أكثر الشراح كما في « الفتح » .

قال : وذكر أبو الحسن الزناتي فيها لغات كثيرة : فبلغها تسعاً وثلاثين ،  
ونقلها ابن عطية وزاد واحدة ، فأكملها أربعين ، وملخص ذلك الستة المتقدمة  
وبالتخفيف كذلك ستة أخرى ، وبالسكون مشدداً ومخففاً ، وزيادة هاء  
ساكنة في آخره مشدداً . وأفأ ، بالامالة ، وبينين ، وبلا إمالة : الثلاثة بلا تنوين ،  
وأفو بضم ثم سكون . وأفى بكسر ثم سكون ، فذلك اثنتان وعشرون ، وهذا  
كله مع ضم الهمزة ، ويجوز كسرهما وفتحها . فأما بكسرهما : ففي إحدى عشرة :  
كسر الفاء وضما مشدداً مع التنوين وعدمه أربعة ، ومخففاً بالحركات الثلاث مع  
التنوين وعدمه ستة ، وأفى بالامالة والتشديد . وأفأ بفتح الهمزة فهي ست : بفتح  
الفاء وكسرهما مع التنوين وعدمه ، وبالسكون ، وبألف مع التشديد ، والتي  
زادها ابن عطية : أفاه بضم أوله وزيادة ألف وهاء ساكنة ، وقرئ من هذه  
اللغات ست : كلها بضم الهمزة ، فأكثر السبعة بكسر الفاء مشدداً بغير تنوين ،  
ونافع وحفص كذلك ، لكن بالتنوين ، وابن كثير وابن عامر بالفتح والتشديد  
بلا تنوين .

قال أنس رضي الله عنه : وما قال لي ( لشيء صنعته لم ) أي لأبي شييء .

(صنعت هذا؟) زاد في لفظ كذا ، وفي لفظ : ما علمته ، قال لشيء صنعته لم فملت كذا وكذا؟ (ولا) قال (لشيء لم أصنعه: لَمْ) أي لأي شيء (لَمْ تصنع هذا هكذا؟).

وفي لفظ : لَمْ لم تصنع هذا كذا؟ ويستفاد من هذا ترك العتاب على ما فات ، لأن هناك مندوحة عنه باستثناء الأمر به إذا احتيج إليه .  
وفائده : تنزيه اللسان عن الزجر والذم ، واستئلاف خاطر الخادم بترك معاقبته ، وكل ذلك من الأمور التي تتعلق بحظ الإنسان .  
وأما الأمور اللازمة شرعاً فلا يتسامح فيها ، لأنها من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وفي رواية لمسلم : ولا قال لي لشيء : لَمْ فملت وهلا فملت؟ وفي رواية له أيضاً : لشيء مما يصنعه الخادم .

وهذا من مكارم أخلاق النبي ﷺ ، ومحاسن شيمه وسمة كرمه وحله ، وتفويض أمره لعالم سره وجهره . وملاحظة تقدير ربه وإجراء الأمر على وفق إرادة مالك أمره وكسبه ، فانه عليه الصلاة والسلام كان أحسن الناس خلقاً وخلقاً ، وأكرمهم شيماً ، وأعرقهم صدقاً ، وناهيك من شهد له بمعظم خلقه العظيم الحكيم بقوله سبحانه : «وانك لعلی خلق عظیم» (١) .

قال الحسن البصري : حقيقة حسن الخلق بذل المعروف ، وكف الأذى ، وطلاقة الوجه .

وقال القاضي عياض : هو مخالطة الناس بالجميل .  
وقال في «الفتح» : حسن الخلق : اختيار الفضائل ، واجتناب الرذائل .  
وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن ، يفضب لفضبه ويرضى لرضاه .

(١) سورة الفلم ، الآية : ٤

وتفصيل هذا أنه كان صلى الله عليه وسلم يتصف بكل صفة حميدة مذكورة فيه ،  
 ويحتجب كل حصلة ذميمة مسطورة فيه .  
 وعلى كل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً ، وأكرمهم شيئا  
 بلا محال ، والله ولي الافضال .

تنبيه : جوز الحافظ ابن حجر وغيره من الشراح أن عدم التأنيف  
 والتب والاعتراض على أنس رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من كمال  
 أدب أنس ، وهذا بعيد جداً لأمر :  
 الاول : أن الحديث إنما ذكر في حسن أخلاق سيد العالم وصفوة بني  
 آدم ، وعظيم حلمه ، وسمة بالله صلى الله عليه وسلم .

الثاني : أن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كما في « المسند » وغيره : ولا  
 عاب عليّ شيئاً قط ، ولا أمرني بأمر وتوانيت عنه أو ضيمته فلامني ، ولا لامني  
 أحد من أهله إلا قال : دعوه ، فلو قدر أو قضي كان .

وفي « صحيح مسلم » « كالمسند » عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً ، فأرسلني يوماً لحاجة فقلت : والله لا  
 أذهب ... الحديث .

الثالث : ان أنساً يومئذ غلام صغير ، عمره نحو عشر سنين ، يبعد أن  
 يخدم عشر سنين مع صغر سنه ولا يقع منه ما يتوجب تأنيفه ولا لومه ولا  
 تسيفه ، وبالله التوفيق .

### الحديث التاسع والثلاثون

٨٤ - ثنا إسماعيل ، ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن  
 أنس بن مالك قال : اصطنع رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتماً ،

فقال : إما قد اصطنعنا خاتماً ونقشنا فيه نقشنا ، فلا ينقش  
أحد عليه .

قال رضي الله عنه ( ثنا اسماعيل ) هو ابن عليّة ( ثنا عبد العزيز بن صهيب ،  
عن أنس بن مالك ) رضي الله عنه ( قال : اصطنع ) أي أمر ( رسول الله ﷺ )  
أن يصنع له الصانع ( خاتماً ) كما يقول : كتبت ، أي أمر أن يكتب له ، والطاء  
بدل من تاء الافتعال لاجل الصاد ، وجزم الحافظ ابن سيد الناس أن اتخاذ  
الخاتم للنبي ﷺ كان في السنة السابعة ، وجزم غيره بأنه كان في السادسة ،  
ويجمع بأنه كان في أواخر السادسة وأوائل السابعة ؛ لأنه إنما اتخذهُ ﷺ عند  
إرادته مكاتبه الملوك ، وكان إرساله الكتب (١) في مدة الهدنة ، وكانت الهدنة  
في ذي القعدة ، سنة ست ، ورجع إلى المدينة في ذي الحجة ، ووجه الرسل في  
الحرم من السابعة ، وكان اتخاذ الخاتم قبل إرسال الرسل إلى الملوك ( فقال )  
ﷺ لأصحابه : ( إنا قد اصطنعنا خاتماً ونقشنا ) أي أمرنا الصانع أن ينقش  
( فيه نقشنا ) وقوله اصطنعنا ونقشنا : بصيغة الجمع ، وهي للتعظيم هنا ، والمراد أي  
اتخذت ، والمراد نقشنا فيه اسمنا ، يعني أمرنا أن ينقش فيه : محمد رسول الله ، ثم  
قال ﷺ : ( فلا ينقش أحد ) منكم ( عليه ) أي على نقشه ؛ يعني لا ينقش أحد  
على خاتمه : محمد رسول الله ، وفي لفظ : فلا ينقش أحد على نقشه ، أي مثل  
نقشه ؛ لثلاث تقوت مصلحة نقش اسمه الشريف بوقوع الاشتراك .

وقد أخرج ابن أبي شيبة في « المصنف » عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه  
نقش على خاتمه عبد الله بن عمر ، وكذا أخرج عن سالم بن عبد الله بن عمر :  
أنه نقش اسمه على خاتمه ، وكذا القاسم بن محمد .

(١) في الاصل : وكان إرساله إلى الكتب .

وأخرج عن حذيفة وأبي عبيدة رضي الله عنهما : أنه كان نقش خاتم  
كل منها : الحمد لله .

وعن علي : لله الملك . وعن إبراهيم النخعي : بالله . وعن مسروق : بسم الله .  
وعن السبطي : لا بأس بنقش ذكر الله على الخاتم .

قال النووي : وهو قول الجمهور ، ونقل عن ابن سيرين وبعض أهل  
المع كراهته . انتهى .

وقد أخرج ابن أبي شيبة بسند صحيح ، عن ابن سيرين : أنه لم يكن يرى  
بأساً أن يكتب الرجل في خاتمه : حسي الله ونحوها ؛ فهذا يدل على عدم ثبوت  
الكراهة عنه ، ويمكن الجمع بين هذا وبين ما نقله النووي عنه ، بأن الكراهة  
حيث يخاف عليه أن يجمه جنياً أو حائضاً ، أو في حالة الاستنجاء بالكف التي هو  
فيها ، والجواز حيث حصل الأمن من ذلك ، فلا تكون الكراهة لذاتها ، بل  
من جهة ما يمرض لذلك ، كما في « الفتح » ، وصرح علماؤنا بذلك .

وفي « منظومة الآداب » لابن عبد القوي :

ومن لم يرضه في المدخول إلى الخلاء فمن كتب قرآن وذكر به اسدد  
والمراد منع كراهة ، يعني للتنزيه .

وفي « الاقتناع » و « الناية » : يكره أن يكتب عليه يعني الخاتم ذكر الله  
تعالى من قرآن أو غيره . زاد في « الناية » : وكذا على دراهم ، ولم يقيد  
بمدخول الخلاء .

وفي « الفروع » : نقل اسحق ، أظنه ابن منصور : لا يكتب فيه ذكر الله .  
قال اسحق ابن راهويه : لا يدخل الخلاء فيه .

قال ابن قندس في « حواشي الفروع » : يمتثل أن تكون ما مصدرية ،  
يكون المعنى لدخول الخلاء فيه . انتهى .

قال في « الفروع » : ولعل الامام أحمد رضي الله عنه كرهه لذلك . قال :  
 وعنه ، أي عن الامام أحمد : لا يكره دخول الخلاء بذلك ، فلا كراهة نصاً .  
 قال في « الفروع » : ولم أجد للكراهة دليلاً ، وهي تقتصر الى دليل ،  
 والأصل عدمه ، ونقل هذا في « الانصاف » ، وسوب عدم الكراهة . وفي حديث  
 منكر أنه ﷺ كان إذا دخل الخلاء وضع خاتمه . رواه ابن ماجه ، وأبو داود  
 وقال : حديث منكر

وقال الامام أحمد رضي الله عنه : الخاتم إذا كان فيه اسم الله يجهل في  
 باطن كفه ويدخل الخلاء .  
 ومذهب مالك والشافعي عدم الكراهة ، والله أعلم .

### تنبيهان

الأول : كان نقش خاتمه ﷺ ثلاثة أسطر : محمد سطر ، ورسول سطر ،  
 والله سطر .

قال الحافظ ابن حجر والبدر الصبي عن الاسماعيلي : إن محمداً سطر أول ،  
 والسطر الثاني رسول ، والثالث الله .

قلت : وبه تعلم فساد زعم من زعم أن لفظ الجلالة في السطر الاول ،  
 ورسول في السطر الثاني ، ومحمد في السطر الثالث ، وأن ذلك من خصوصياته  
 عليه الصلاة والسلام .

الثاني : ظاهر ما في « الصحيحين » ، وغيرها أنه لم يكن مكتوب على خاتمه  
ﷺ سوى محمد رسول الله ، من غير زيادة على ذلك . لكن أخرج أبو الشيخ  
 في أخلاق النبي ﷺ ، من رواية عروة بن البرند ، بكسر الموحدة والراء  
 بعدها نون ساكنة ثم دال مهملة ، عن عذرة بفتح العين المهملة وسكون الزاي

بمدها راء ، ابن ثابت ، عن ثمامة ، عن أنس رضي الله عنه قال : كان فص خاتم رسول الله ﷺ حبشياً ، مكتوب عليه : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وعرعرة ضعفه علي بن المدني ، وزيادته هذه شاذة ، والذي « في الصحيحين » : أصح ، وتقدم الكلام على أحكام الخاتم في الحديث الثاني عشر من « مسند أنس » ، رضي الله عنه ، وبالله التوفيق .

### الحديث الأربعون

٨٥ - ثنا إسماعيل ، ثنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالك قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يوجز الصلاة ويكملها .

قال رضي الله عنه : ( ثنا إسماعيل ) بن عليّة ( ثنا عبد العزيز ) بن صهيب ( عن أنس بن مالك ) رضي الله عنه : ( قال : كان النبي ﷺ يوجز ) أي يخفف ( الصلاة ) ويقصرها ، ويقتصد فيها ( ويكملها ) بإدائها أركانها وواجباتها ، ومكملاتها من السنن القولية والفظوية ، فمن سلك طريقه ﷺ في الإيجاز والتمام فقد أحسن . وقد روى ابن أبي شيبة من طريق أبي مجلد ، قال : كانوا - أي الصحابة رضي الله عنهم - يتمون ويوجزون ، يبادرون الوسوسة . وتقدم هذا الحديث في الخامس والعشرين عن المتصر ، عن حميد عن أنس ، ولفظه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتم الناس صلاة ، وأوجزهم . ومر شرحه هناك .



## الحديث الواحد والأربعون

٨٦ - ثنا إسماعيل ، ثنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالك ،  
أن رسول الله ﷺ غزا خيبراً ، قال : فصلينا عندها صلاة الغداة  
بِغَلَسٍ ، فركب رسول الله ﷺ ، وركب أبو طلحة ، وأنا  
رديفُ أبي طلحة ، فأجرى رسول الله ﷺ ، في زقاق خيبر ،  
وإن ركبتي لَتَمَسُّ فخذ رسول الله ﷺ ، وانحسرَ الأزارُ  
عن فخذ رسول الله ﷺ ، فاني لأرى بياضَ فخذِ نبي الله  
ﷺ ، فلما دخل القرية قال : اللهُ أكبر ، خربت خيبرُ ؛  
إنا إذا نزلنا ساحة قوم ، فساء صباحُ المنذرين ، قالها ثلاث  
مرات . قال : وقد خرج القوم الى أعمالهم ، فقالوا : محمد ! قال  
عبد العزيز : قال بعض أصحابنا . قال : فأصبناها عنوة ، فجمع  
السبي ، قال : فجاءَ دحيةُ فقال : يا نبي الله ! أعطني جاريةً  
من السبي ، قال : اذهب فخذ جارية ، قال : فأخذَ صفية بنت  
حِيسَى بنِ أخطب ، قال : فجاءَ رجل الى النبي ﷺ فقال :  
يا رسول الله ! أعطيت دحيةَ صفية بنت حِيسَى سيدةَ قريظة

والنضير ، ما تصلحُ إلا لك ، قال : ادعوهُ بها ، فجاء دحيةُ  
بها ، فلما نظر إليها النبي ﷺ قال لدحية : خذْ لك جارية من  
السَّبِي غيرها . ثم إنَّ النبي ﷺ أعتقها فتزوجها . قال : فقال  
له ثابت : يا أبا حمزة ! ما أصدَقها ؛ قال : نفسها ، أعتقها ،  
حتى إذا كان بالطريق جهزتها أم سليم ، فأهدتها له أم سليم من  
الليل ، فأصبحَ النبي ﷺ عروساً ، فقال : من كان عنده شيءٌ  
فليجئني به ، وبسطَ نطماً ، فجعل الرجل يجيء بالتمر ، وجعل  
الرجل يجيء بالسمن ، قال : وأحسبُه قد ذكرَ السَّويقَ .  
قال : فحاسُوا حينئذٍ ؛ فكانت وايمه رسول الله ﷺ .

قال رضي الله عنه : ( ثنا إسماعيل ) هو ابن إبراهيم ابن عليَّة ( ثنا عبد العزيز )  
بن صهيب ( عن أنس بن مالك ) رضي الله عنه : ( أن رسول الله ﷺ غزا ) أصل  
الغزو قصد العدو في دارم ؛ يقال : غزا يغزوا غزواً ، والاسم الغزاة ، فهو غازٍ ،  
والجمع غزاة ، وغزوىً - بفتح الغين المعجمة وضمها مع التشديد - ( خيراً )  
- بفتح الخاء المعجمة ، فتحية ساكنة ، فوحدة مفتوحة ، فراء - وزن جعفر :  
اسم ولاية مشتملة على حصون ومزارع ونخل كثير ، على ثلاثة مراحل من  
المدينة ، على يسار الخارج من الشام . والخير بلسان اليهود : الحصن ، ولذا  
سميت خيبر ؛ كما في الشامية ، وقيل : إنها سميت باسم أول من نزلها ، وهو  
خير أخو يثرب ، ابنا قينان ، بن مهلايل ، بن أرم ، بن عبيد ، وهو  
أخو عاد .

وكانت غزوة خيبر في أول السابعة ؛ كما جزم بذلك أئمة المغازي ، كابن إسحق ، وابن عقبة ، وابن القيم ، وغيرهم ، إما في محرم وإما في صفر ، والراجح أنه سار إليها في محرم من السنة السابعة ، خلافاً للإمام مالك وابن حزم ، حيث جملاه في السادسة ، واستخلف عليه السلام على المدينة نائلة - بضم النون وفتح الميم وسكون التحتية - ابن عبد الله الليثي ، كذا قال ابن هشام . والصحيح أنه استخلف سباع - بكسر السين المهملة - بن عرفة - بيمين مهملة فراء ساكنة ، ففاء مضمومة ، فطاء مهملة ، كما رواه الإمام أحمد ، والبخاري في « التاريخ الصغير » ، وابن خزيمة والطحاوي والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه . وأخرج صلى الله عليه وسلم معه من نسائه أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها .

وأخرج الامامان ؛ الامام الشافعي والامام أحمد ، وابن إسحق ، والشيخان من طرق عن أنس رضي الله عنه ، قال : سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر ، فأنهى إليها ايلاً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طرق قوماً لم يفر عليهم حتى يصبح ، فاذا سمع أذاناً أمسك ، وإن لم يسمع أذاناً غار عليهم حين يصبح .

( قال ) أنس رضي الله عنه : ( فصلينا عندها ) أي عند خيبر ( صلاة الغداة ) أي الصبح . والغداة بالضم : ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس ( بقلس ) - بفتح القين المعجمة واللام فسین مهملة - أي بظلمة . قال في « النهاية » : القلس : الظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح ، وفيه حجة لمن يرى التظليل في صلاة الفجر ، وتقديمها في أول الوقت ، ولا سيما مع ما في « الصحيحين » من حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت : لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الفجر فبشده معه نساء من المؤمنات ، متلفعات بمروطهن ، ثم يرجن الى بيوتهن ،

ما يعرفه أحد من الغلس ، هذا مع ماورد من طول قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة الصبح ، وهذا أظهر الروايتين من مذهب الامام أحمد ، وفاقاً لمالك والشافعي . والذي استقر عليه المذهب : الأفضل التغليس ، وفي قول مرجوح عندنا : الاسفار ، وفاقاً لأبي حنيفة ، لغير حاج بمزدلفة . قال الحنفية في تعريف الاسفار ؛ بحيث يقدر على قراءة مسنونة ، وإعادتها ، وإعادة الوضوء قبل طلوع الشمس لو ظهر سهو ، ولهم في الاسفار بسنة الفجر خلاف .

ولن قال بالتغليس - وم الجمهور - حديث : أول الوقت رضوان الله ، وأوسط الوقت رحمة الله ، وآخر الوقت عفو الله . رواه ابن عدي والدارقطني وغيرها .

وفي « المسند » و « الصحيحين » وغيرها ، من حديث أبي برزة رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتل من صلاة الغداة حين يعرف أحداً جليسه .

واحتج الحنفية للاسفار بما رواه الترمذي عن رافع بن خديج رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أسفروا بالفجر فانه أعظم للأجر . ورواه الامام أحمد بلفظ : أصبحوا بالصبح فانه أعظم لأجوركم ، أو أعظم للأجر . قال الترمذي : حديث صحيح وهو محمول عند من قال بالتغليس على ما إذا تأخر الجيران ؛ لما روى سعيد الأموي بإسناده في « المنازى » ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً الى اليمن ، قال له : إذا كان الشتاء فصل الفجر في أول وقتها ، ثم أطل القراءة . وإذا كان في الصيف فأسفر بالصبح ، فان الليل قصير ، والناس ينامون .

وقد روى أبو داود من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، أنه **ﷺ** أسفر بالصبح مرة ، ثم كانت صلاته بمد بالغلس حتى مات لم يمد الى أن يسفر .

وحمل الشافعي وغيره حديث : أسفروا بالفجر ، على أن المراد بذلك تحقق طلوع الفجر . وحمله الطحاوي على أن المراد الأمر بتطويل القراءة فيها حتى يخرج من الصلاة مسفراً . والله أعلم .

قال أنس رضي الله عنه : ( فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ) بعد ما فرغ من صلاة الفجر دابته ( وركب أبو طلحة ) زيد بن سهل دابته ، قال أنس : ( وأنارديف أبي طلحة ) على دابته . والرديف والرديف : أن يكون راكباً خلف الراكب . وأصل الرديف المعجز . ومنه أخذ ، يقال : ردفته أردفه ؛ ركبت خلفه . وأردفته ؛ أركبته خلفي ( فأجرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في زقاق ) كغراب ؛ سكة ( خير ) يذكر ويؤث ، قال الاخفش والفراء : أهل الحجاز يؤثون الزقاق ، والطريق ، والسبيل ، والصراط ، والسوق . وتميم تذكر ذلك كله ، والجمع أزقة ، وهي الطرق بين الدور نافذة كانت أو غير نافذة . قال أنس : ( و ) الحال ( إن ركبتني ) وهي موصل ما بين أسافل أطراف الفخذ وأعلى الساق . كما في « القاموس » . قال في « المطلع » : الركبة معروفة ، وجماركبات - بضم الكاف وفتحها وسكونها - وكذلك كل اسم على فملة صحيح العين غير مشدد ؛ وقد قرئ . بالثلاث قوله تعالى : « وم في الثمرات آمنون » (١) ( لتتمس ) أي تلمس ، والمس : مصدر مس الشيء . إذ لمسه . قال في « القاموس » : مسته بالكسر ، أمسه مساً ومسيساً ، أي لمسته . وقال : لمسه يلمسه ويلمسه ، مسه بيده ، والجارية جامعا ( فخذ رسول الله ﷺ ) قال في « المطلع » : الفخذ مؤنثة ، وهي بفتح الفاء وكسر الخاء المعجمة ، ويجوز فيها كسر الفاء ، كما قيل ، ويجوز إسكان الخاء مع فتح الفاء وكسرها ، قال ابن سيده وغيره من أهل اللغة : وهذه اللغات الأربع جارية في كل اسم أو فعل ثلاثي عينه حرف حلق مكسور ،

(١) سورة نبا ، الآية : ٣٧

كشده . و حروف الخلق ستة : الحاء ، والمين ، والحاء ، والنين ، والهمزة ، والهاء .  
لا فيما لامه حرف خلق ؛ كبلع وسمع ونحوهما .

وهذا يشعر بشدة القرب من أبي طلحة رضي الله عنه لرسول الله ﷺ .  
قال أنس رضي الله عنه : ( وانحسر ) أي انكشف ( الازار ) وهو الملحفة ،  
ويؤث . وهو المستزر ، كما في « القاموس » : المراد هنا ما يستر أسفل البدن ،  
ويقابله الرداء وهو ما يستر أعلى البدن . ونقل الامام ابن القيم عن الواقدي : أن  
إزار النبي ﷺ من نسج عمان . وكان طوله أربعة أذرع وشبراً ، في ذراعين . انتهى .  
قال الامام أحمد رضي الله عنه : السراويل أستر من الازار ، ولباس القوم كان  
الازار ، وجمع الازار : آزرّة وازر ( عن فخذ رسول الله ﷺ ) لما أجرى الدابة  
( فاني لأرى بياض فخذ النبي ﷺ ) وفي رواية في « الصحيحين » : ثم حسر  
رسول الله ﷺ الازار عن فخذ حتى إني أنظر الى بياض فخذ النبي ﷺ ،  
وبه تعلم عدم ثبوت ما رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي بسند ضعيف عن أنس  
رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله ﷺ يوم خيبر على حمار مخطوم برس من  
ليف ، وتحته إكاف من ليف ، قال ابن كثير : الذي ثبت في « الصحيح » أن  
رسول الله ﷺ أجرى في زقاق خيبر حتى انحسر الازار عن فخذ . فالظاهر  
من هذا أنه كان يومئذ على فرس لا على حمار ، قال : ولعل هذا الحديث — إن  
كان ثابتاً — محمول على أنه ركب في بعض الايام وهو محاصرهما . انتهى .  
وقد قيل : ان مدة إقامة النبي ﷺ بخيبر ستة أشهر .

روى الطبراني في « الاسط » عن ابن عباس رضي الله عنها ، أن رسول الله  
ﷺ أقام بخيبر ستة أشهر يجمع بين الصلاتين . وروى البيهقي عنه أربعين يوماً ،  
وسنده ضعيف . وعلى كل فلا يبعد أن يكون ﷺ في بعض أيامه ركب حماراً  
ولاسيما بعد ما غنموا من حير خيبر ما غنموا . ( فلما دخل ) ﷺ ( القرية ) وهي من  
المساكن والأبنية : الضياع ، وقد تطلق على المدن ، ومنه حديث : أمرت بقرية

تأكل القرى: هي مدينته ﷺ ، ومعنى آكلها القرى: ما يفتح على أيدي أهلها من المدن ، ويصيون من غنائمها .

وأول ما ابتدأ به ﷺ من حصون خيبر بأهل النطاة<sup>(١)</sup> ، وأول حصن حاصره ﷺ من حصون النطاة حصن ناعم ، بالنون والعين المهملة ، فقاتل ﷺ يومئذ أشد القتال، وظاهر بين درعين، وبيضة ومغفر ، وهو على فرس له يقال له: الطرب ، وفي يده قناسة وترس . وهذا يؤيد حمل حديث أنس عند الترمذي على أن ركب الحمار كان في غير حالة القتال . وأول حصن فتحه - حصن ناعم ، ثم حصن الصمصم بن معاذ - من حصون النطاة ، وكان حصن الصمصم أكثر حصون خيبر طعاماً وودكا وماشية ومتاعاً ، وكان فيه خمسة آلاف مقاتل ، فأقام عليه صلى الله عليه وسلم عشرة أيام ، ثم فتحه الله تعالى على نبيه ، ولما قدم صلى الله عليه وسلم على خيبر وأجرى فرسه في زقاقها ( قال : الله اكبر ، خربت خيبر ) تفاؤلاً واستبشاراً بما وعده ربه جل وعلا في قوله : « وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه »<sup>(٢)</sup> أي خيبر ، فإن هذه السورة - يعني سورة الفتح - نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين مكة والمدينة في قوله من الحديدية ، فأعطاه الله تعالى فيها خيبر ، ولهذا قسم مغنمها على أهل البيعة من أهل الحديدية . ثم قال صلى الله عليه وسلم: ( إنا إذا نزلنا ساحة ) أي فناء ( قوم ) والساحة : الموضع المتسع أمام الدار ، وقال الازهري : هي فضاء بين دور الحي ( فساء ) أي بش ( صباح المنذرين ) بفتح الذال المعجمة ، اسم مفعول . ولما كثرت الفارات في وقت الصباح ، وهجوم الأعداء ساعتئذ ، سمّوا الفارة نفسها صباحاً ، وإن وقعت في وقت آخر . ( قالها ) أي قوله : إنا إذا نزلنا ساحة قوم... الخ ( ثلاث مرات ) تفاؤلاً وإرهاباً للأعداء . ( قال أنس ) رضي الله عنه ( و ) كان ( قد خرج القوم ) من أهل خيبر. قال الواقدي : كانت يهود لا يظنون قبل ذلك أن رسول الله ﷺ يفرهم ؛ لمنهم وسلاحهم وعددهم ، فلما أحسوا بمخروجه ﷺ إليهم ،

(١) النطاة : علم لخير ، وقيل : حصن بها ، واشتقاقها من النطو وهو البعد .

(٢) سورة الفتح ، الآية : ٢٠ .

كانوا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفواً، ثم يقولون : محمد يفزونا ! هيات ! هيات ! فكان ذلك شأنهم ، فلما نزل ﷺ بساحتهم لم يتحركوا تلك الليلة ، ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس ، فأصبحوا وأفسدتهم تحفّق ، وفتحوا حصونهم غادين ، معهم المساحي والكرازين والمكاتل .

والمساحي بمهملتين : جمع مسحاة ؛ آلة من آلات الحرث ، والميم زائدة ، لأنه من السحي ، وهو الكشف والازالة . والكرازين جمع كرز - بفتح الكاف والزاي ، وبكسرهما ، وبالنون ، ويقال بالميم عوضاً عن النون - الفأس . والمكاتل جمع مكتل - بكسر الميم وفتح الفوقية - القفة الكبيرة التي يحول فيها التراب وغيره ، سميت بذلك لتكتل النبي فيها ، والتكتل : هو تلاصق بعض الشيء ببعض .

( الى أعمالهم ) على عادتهم ، فلما نظروا الى رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وأثروا هارين الى حصونهم ، فقيل لهم : مالكم ويلكم ( فقالوا محمد ) نازل بساحتكم قد صبّحكم ( قال عبد العزيز ) ابن صهيب ( قال بعض أصحابنا ) أراد به ثابت البناني فيما يظهر ، فإن مسلماً في « صحيحه » ذكره من طريق عبد العزيز عن أنس ، فذكر قول عبد العزيز : قال بعض أصحابنا ، وأعقبه برواية ثابت عن أنس ، قال : كنت رديف أبي طلحة يوم خيبر ، وقدمي تمس قدم رسول الله ﷺ ، قال : فأتينا حين بزغت الشمس ، وقد أخرجوا مواشيهم وأخرجوا بفؤوسهم ومكاتلهم ومرورهم ، فقالوا : محمد والحجيس .

قوله : ومرورهم ، أي حبالهم ، وفي « البخاري » : هذا محمد والحجيس ، محمد والحجيس ، فلجؤوا الى الحصن . وفي بعض طرقه : واه محمد . والحجيس بلفظ اسم أحد أيام الأسبوع ، يروى بفتح السين المهملة ورفها ، فالتفتح على أنه مفعول معه ، والرفع على المطف ، والحجيس : هو الجيش العظيم ، ويسمى خميساً لاقسامه الى مقدمة ، وساقة ، وميمنة وميسرة ويسميان الجناحين ، وقلب .



هذا هو الصحيح ، لا من أجل تخميس القيمة ، لان ذلك إسلامي ، وقد كان الجيش يسمى خميساً في الجاهلية قبل الاسلام كما هو معلوم ، والله أعلم . ( قال ) أنس رضي الله عنه : ( فأصبناها ) أي خيبر ( عنوة ) - بفتح العين المهملة ، وسكون النون ، وفتح الواو - أي قهراً وغلبة . وقد تكرر ذكره في الحديث ، وهو اسم من عنا يعنو ؛ إذا ذل وخضع . والعنوة : المرة منه ، كأن المأخوذ بها يخضع ويذل ، فانه صلى الله عليه وسلم بعد ما أخذ حصن الصعب ، تحولت يهود الى حصن الزبير بن الموام رضي الله عنه ، أي الذي صار في سهمه بمدذك وهو من حصون النطاة أيضاً ، وهو في رأس قلة ، فحاصره رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ، فجاء يهودي يدعى عزال ، فقال : يا أبا القاسم ! تؤمّيتني على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النطاة ، وتخرج الى أهل الشق ، فان أهل الشق قد هلكوا رعباً منك ، فأمنه صلى الله عليه وسلم على أهله وماله ، فقال اليهودي : لو كنت أقت شهرأ ما بالوا . لهم دبول ، وهي الأنهر الصغيرة تحت الأرض ، يخرجون بالليل فيشربون منها ، ثم يرجعون الى قلتهم فيمتنعون منك ، فان قطعت عنهم شربهم اصحروا لك ، فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دبولهم فقطعها ، فلما قطع عليهم مشاربهم خرجوا وقاتلوا أشد قتال ، وقتل من المسلمين يومئذ نفر ، وأصيب من اليهود يومئذ عشرة ، وافتتحه رسول الله ﷺ ، فكان آخر حصون النطاة . ثم تحول ﷺ الى الشق ، وبه حصنات : حصن أبي ، وحصن البراء ، ويقال له : حصن الزال ، فبدأ ﷺ بحصن أبي فأخذه ، ثم حصن الزال فأخذه ، فتحول يهود الى حصون الكيبة ، بكاف فثناة فوقية ، وقال أبو عبيد : بناء مثلثة مكسورة ، فتحية ساكنة ، فوحدة ، فهاء تأنيث ، وقيل : لأنها بالتصغير ، وهي ثلاثة حصون : القموص ، والوطيح ، والسلام ، وأعظمها القموص ، وكان حصناً منيعاً ، وهو بالقاف المفتوحة ، فميم مضمومة ،

فواو ، فصاد مهملة ، كصبور ، وقيل : بالغين والضاد المعجمتين ، وذكر ابن عقبة :  
 أن رسول الله ﷺ حاصر القموص قريباً من عشرين ليلة ، ففتحه الله سبحانه  
 وتمال على يد سيدنا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، ومنه سببت أم المؤمنين  
 صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها ، كما في « الفتح » ، و « سيرة ابن إسحاق »  
 وغيرها ، وفي كلام بعض أهل السير ما يشعر أن صفية إنما سببت من السلام ،  
 فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمد القموص حاصر الوطيح والسلام ، ويقال  
 له السلام أيضاً ، وهو حصن بن أبي الحقيق ، وكانا من حصون الكتيبة ،  
 ومكث على حصارها أربعة عشر يوماً ، وجملوا لا يخرجون من حصونهم . قال  
 في « المهدي » : حتى تم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينصب عليهم المنجنيق ،  
 وفي كلام بمضمون : أنه نصبه ولم يرم به ، فلما أيقنوا بالهلكة ، سأله صلى الله عليه  
 وسلم الصلح ، فأرسل ابن أبي الحقيق إلى رسول الله ﷺ : أنزل فأكلك ؟  
 فقال صلى الله عليه وسلم : نعم ، فنزل ابن أبي الحقيق ، فصالح رسول الله ﷺ  
 على حقن دماء المقاتلة ، وترك الذرية لهم ، ويخرجون من خيبر ونخلها وأرضها  
 بذرايرهم ، وعلى الصفراء والبيضاء ، أي الذهب والفضة ، والكراع والحلقة ،  
 وعلى البرز ، إلا ثوباً على ظهر إنسان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كنتموني شيئاً ، فقالوا : نعم ، فصالحوه  
 على ذلك ، على أنهم إن كتموه شيئاً فلا ذمة لهم ولا عهد ، فنيوا الجلد الذي  
 كان فيه حلي بني النضير ، وعقود الدر والجوهر الذي حلوا به . قال في « المهدي » :  
 فقال رسول الله ﷺ لم حبي بن أخطب : ما فعل مسك - أي جلد - حبي ؟  
 يعني الذي جاء به من النضير ، قال : أذهبته النفاق والحروب ، قال : المهد  
 قريب ، والمال أكثر من ذلك ، وقال عليه الصلاة والسلام لكنانة والريبع ابني  
 أبي الحقيق بمد أن كناه الكنز : إنكما إن كنتماني شيئاً فاطلمت عليه استحللت

به دماء كما وذرايريكما؟ فقالا : نعم ، فأخبر الله عز وجل نبيه ورسوله ﷺ بموضمه ، فقال لكتانة : إنك لمختراً بأمر السماء ، فدعا صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأنصار ، فقال : اذهب إلى قدام كذا وكذا ، ثم ائت النخل فانظر نخلة عن يمينك أو عن يسارك ، فانظر نخلة مرفوعة فائتني بما فيها ، فجاءه بالآنية والأموال ، فقوتت بمشرة آلاف دينار ، فضرب أعناقها ، وسبأ أهلها بالنكت الذي نكتناه . ولما جمع رسول الله ﷺ الغنائم التي غنمت قبل الصلح ، وأموال من انتقض عهدهم بالنكت ، وسبأ الذراري والنساء ( فجمع ) صلى الله عليه وسلم ( السبي ) الذي سبأه من أهل خيبر من الذرية والنساء ( قال ) أنس رضي الله عنه : ( فجاء دحية ) - بكسر الدال ، وسكون الحاء المهملتين ، وبالتحتية - وقال ابن ماكولا : هو بفتح الدال . ابن خليفة ، بن فروة ، بن فضالة ، بن زيد ، ابن امرئ القيس ، بن الخزرج ، وابن زيد مناة ، بن عامر ، بن بكر ، بن عامر الأكبر ، بن عوف ، بن غدره ، بن زيد اللات ، بن رفيدة ، بن ثور ، بن كلب ، الكلبى ، من كبار الصحابة ، لم يشهد بدرأ ، وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد ، وبشئ رسول الله ﷺ إلى قيصر في الهدنة في السادسة ، وهو الذي كان ينزل جبريل عليه السلام في صورته . نزل دحية الشام ، وبقي إلى أيام معاوية . روى عنه الشعبي ، وعبد الله بن شداد بن الهاد ، وخالد بن يزيد بن معاوية ، ومنصور وغيرهم ( فقال : يا بى الله ! أعطني جارية من السبي ) وكان ﷺ لا يرد سائلاً كما تقدم ( قال ) له النبي ﷺ : ( اذهب فخذ جارية ، قال ) أنس فذهب دحية ابن خليفة الكلبى ( فأخذ صفية بنت حيي بن أخطب ) قال في « الفتح » : قيل : وكان اسمها قبل ذلك زينب ، وإنما سميت صفية لأنها صارت من الصفي ، والصفي : ما كان يصطفيه رسول الله ﷺ لنفسه من الثنيمة قبل أن تقسم ، وكانت عروساً حديثة عهد بالدخول على كتانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وكانت قبله عند سلام

ابن مشكم فطلقها ، فزوجها كنانة ، فقتله النبي ﷺ لئلا ينكته ( قال ) أنس ( فجاء رجل إلى النبي ﷺ ) قلت : لم أر من سمى هذا الرجل ( فقال : يا رسول الله ! أعطيت دحية ) الكلبي ( صفية بنت حبي ) ابن أخطب ( سيدة ) بني ( قريظة و ) بني ( النضير ) جمالاً وكلاً وشرفاً وحسباً ، والله ( ما تصلح ) لأحد ( إلا لك ) لجمالها وكاملها وحسبها وأدبها ( قال ) ﷺ : ( ادعوه ) أي دحية ( بها ) أي بصفية بنت حبي ، فدعاه ( فجاء ) دحية ( بها ) أي بصفية ( فلما نظر ) أي أمن النظر ( إليها النبي ﷺ ) أعجبته ( فقال ) لدحية : ( خذ ) لك ( جارية من السي غيرها ) وخل هذه عنك ، فأخذ دحية أخت كنانة بنت الربيع ، ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا أن يذهب بصفية إلى رحله ، فمر بها بلال وسط القتلى ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وقال : أذهبت الرحمة منك يا بلال ؟ وفي رواية : أن بلالا جاء بصفية و بنت عم لها ، فمر على قتلى يهود ، فلما رأتهم بنت عم صفية ، صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها ، فلما رآها رسول الله ﷺ قال : غيوا عني هذه الشيطانة ، وقال بلال : أنزعت منك الرحمة يا بلال حتى تمر بامرأتين على قتلى رجالهما ؟ ثم دفع بنت عم صفية لدحية الكلبي ، واصطفي صفية لنفسه بمد أن عرض عليها الاسلام فأسلت ( ثم إن النبي ﷺ أعقبها ) أي صفية ( فزوجها ) روي عنها أنها قالت : انتهيت إلى رسول الله ﷺ وما من الناس أحد أكره إلي منه ؛ قتل أبي وزوجي وقومي ، فقال : يا صفية ! أما أنا أعتذر إليك مما صنعت بقومك ، إنهم قالوا لي : كذا وكذا ، وقالوا في : كذا وكذا ، وما زال يستنر لي حتى ذهب ذلك من نفسي ، فما قتت من مقعدي ومن الناس أحد أحب إلي منه .

قال الامام ابن القيم في كتابه « روضة المهين ونزهة المشتاقين » : دفعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أم سليم تصنها وتهينها وتمتد في بيتها ، يعني

خبابها كما رواه أبو داود ولفظه : قال : وقع في سهم دحية جارية جميلة ، فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أروس ، ثم دفعها الى أم سليم تصنعها وتهيئها وتمتد في بيتها ، وهي صفة بنت حبي . انتهى . قلت : ورواه مسلم في «صحيحه» بلفظ حديث أبي داود ، إلا أنه قال : وأحسبه قال : وتمتد في بيتها ، وهي صفة بنت حبي . انتهى . قال (١) فقال له ( أي لأنس بن مالك ( ثابت ) البناني ( يا أبا حمزة ) بالحاء المهملة والزاي ، وتقدم في ترجمة أنس رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ هو الذي كناه بذلك ؛ ببقلة حريفة ، تسمى حمزة ، ويقال : إن فيها حموضة ( ما أصدقها؟ ) أي شبيهة أصدق صفة بنت حبي ( قال ) أنس لثابت : أصدقها ( نفسها أعتقها ) فجعل عتقها صداقها ، وتقدم الكلام على هذا مستوفى في الرابع عشر من «مسند أنس» رضي الله عنه ( حتى إذا كان ) رسول الله ﷺ ( بالطريق ) راجعاً من خير الى المدينة ( جهزتها ) أي هيأت صفة ، وصنعتهما بما يصلحها ( أم سليم ) بنت ملحان ، وهي أم أنس رضي الله عنهم ، والجهاز بفتح الجيم : اسم للشبيء المدني ، ومنه قوله تعالى : « فلما جهزهم بجهازهم » (٢) ومنهم من أجاز كسر الجيم ، ومنهم من منعه ، وفي الحديث قام بجهازه ؛ يعني رحله ومتاع سفره . وتجهز رسول الله ﷺ : أعد جهازه للغزو ، من زاد وعدة وغير ذلك مما يصلحه ويحتاج اليه .

وفي بعض السير أنه ﷺ لما قطع سنة أميال من خير ، أراد أن يمرس بها ، فأبت ، فوجد في نفسه ، فلما وصل الصباء مال الى دومة هناك ، فطاوعته . فقال لها : ما حملك على إباتك حين أردت في المنزل الأول ؟ قالت : يا رسول الله ! خشيت عليك قرب يهود ، وهذا المحل الذي أردت ( فأهدتها له أم سليم من الليل ، فأصبح النبي ﷺ عروساً ) يقال : أعرس الرجل فهو معرس ؛ إذا دخل

(١) اي عبد العزيز . كذا في الهامش .

(٢) سورة يوسف ، الآية : ٨٠ .

بمرآته عند بنائها ، قال في « النهاية » : يقال للرجل عروس ، كما يقال للمرأة .  
 فهو اسم لها عند دخول أحدهما بالآخر ، ولم تلحقه تاء التأنيث وان كان مؤنثاً ؛  
 لقيام الحرف الرابع مقامه ( فقال ) صلى الله عليه وسلم في صبيحة ذلك اليوم : ( من كان ) منكم  
 مشر الصحابة ( عنده شئ ) من المأكول ( فليجئ به ) أي بذلك الشئ  
 الذي عنده من المأكول ( وبسط نطما ) قال في « القاموس » : النطع بالكسر  
 وبالفتح وبالتحرير ، وكعب : بساط من الأديم يعني الجلد ، والجمع أنطاع ونطوع  
 ( فجعل الرجل يجيئ بالتمر ، وجعل الرجل يجيئ بالسمن ، قال ) عبد العزيز :  
 ( وأحسبه ) أي أحسب أنس بن مالك رضي الله عنه ( قد ذكر السويق ) فقال :  
 وجعل الرجل يجيئ بالسويق ، قال في « المطلع » « كالمطالع » : السويق : قمح أو شعير  
 يقلى ثم يطحن فيتزود ، قال ابن دريد : وبنو المنبر يقولونه بالصاد ، ( قال :  
 فحاسوا حيساً ) والحيس : هو أن يؤخذ التمر فينزع نواه ويخلط بالأقط أو  
 الدقيق أو السويق ، وإذا جعل فيه السمن لم يخرج عن كونه حيساً ، كما مر في الحديث  
 الخامس عشر من « مسند أنس » رضي الله عنه ( فكأنت ) هذه ( وليمة رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم ) على صفة بنت حبي بن أخطب كما تقدم في الحديث المذكور .  
 وتقدم حكم الولىمة أيضاً في الحديث الخامس من « مسند أنس بن مالك » رضي  
 الله عنه ، وتقدم أن الصحابة رضي الله عنهم قالوا : هل اتخذ رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم صفة سرية أو زوجة ؟ فقالوا : إن حججها فهي إحدى زوجاته ،  
 وإلا فهي مما ملكت يمينه ، فلما ركب صلى الله عليه وسلم جعل ثوبه الذي ارتدى  
 به على ظهرها ووجهها ، ثم شد طرفه تحته ، فتأخروا عنه في المسير ، وعلما أنها  
 إحدى نسائه . ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذها ليحملها على الرحل ، أجلته  
 صفة ان تضع قدمها على فخذها ، فوضعت ركبها على فخذها ثم ركبت .

ولىمة بنائه صلى الله عليه وسلم بها ، بات أبو أيوب ليلته قائماً قريباً من قبة صلى الله عليه وسلم ،

أخذاً بقائم السيف حتى أصبح ، فلما رأى رسول الله ﷺ كبير أبو أيوب حين  
 رآه قد خرج ، فسأله : مالك يا أبا أيوب ؟ قال له : أرقنت ليلتي هذه يا رسول الله  
 لما دخلت بهذه المرأة ، ذكرت أنك قتلت أباهما وزوجها ؛ وعامة عشيرتها ، فخفت  
 أن تتالك ، فضحك ﷺ وقال له معروف . زاد بعضهم أنه قال يومئذ : اللهم !  
 احفظ أبا أيوب كما بات محفظي ، قال السهيلي : فحرس الله أبا أيوب بهذه  
 الدعوة ؛ حتى صارت الروم تحرس قبره ، فانه غزا مع يزيد سنة خمسين ، فلما  
 بلغوا القسطنطينية مات أبو أيوب رضي الله عنه هناك ، فأوصى يزيد أن يدفنه  
 بأقرب موضع من الروم ، فركب المسلمون ومشوا به ؛ حتى وجدوا مكاناً فدفنوه  
 فيه ، فسألتهم الروم عن شأنهم ، فأخبروهم أن هذا من أكابر المسلمين ، من  
 أصحاب النبي ﷺ ، فقالت الروم ليزيد : ما أحقك وأحق من أرسلك ! أمنت  
 أن ننشئه بمدك ؛ فنحرق عظامه ، فحلف لهم يزيد ؛ لئن فعلوا ذلك ؛ ليهدمن  
 كل كنيسة بأرض العرب ، وينش قبور معظمهم ، فحلفوا له بما يعطيونه ،  
 ليكرمن قبره وليحرسنه ما استطاعوا . وقد فتح الله القسطنطينية على يد السلطان  
 محمد الثاني رحمه الله . وصار قبر أبي أيوب الآن في دار ومقر سلطنة الاسلام ،  
 وكنائته وبيضة الايمان ، ومقر سلطنة الدولة العثمانية معظماً مبجلًا ؛ بما لا مزيد  
 عليه - والله الحمد - والله أعلم .

### الحديث الثاني والأربعون

٨٧ - ثنا محمد بن فضيل قال : أنبأنا الأعمش ، عن  
 أنس ، قال : كانت درعُ النبي صلى الله عليه وسلم مرهونةً ،  
 ما وجد ما يفكها حتى مات .

قال رضي الله عنه: (ثنا محمد بن فضيل) بضم الفاء وفتح الضاد المعجمة وسكون التحتية - بن غزوان الضبي مولا، هو المحدث الحافظ، أبو عبد الرحمن الكوفي. روى عن أبيه، وعن الأعمش، وعطاء وإبراهيم المجري وغيرهم. وعنه الامام أحمد، وإسحق والأشج وغيرهم، وكان من علماء هذا الشأن. ذكره الحافظ الذهبي في «طبقات الحفاظ» وكذا الجلال السيوطي. وثقه يحيى ابن معين. وقال الامام أحمد: إنه حسن الحديث، فيه تشيع، وقال أبو داود: كان شبيهاً. توفي سنة أربع وتسعين ومائة.

وقال ابن برداس الحنبلي في «نظم طبقات المحدثين والحفاظ»: مات سنة خمس وتسعين ومائة، لأنه رمز بقصد لموت جماعة، فقال: وابن فضيل هكذا يا صاحبي.

(قال) أي محمد بن فضيل (أبنا) سليمان بن مهران (الأعمش) الأسدي الكاهلي مولا - وكاهل: بطن من أسد بن خزيمه - أبو محمد الكوفي أحد أعلام الاسلام، وأئمة هذا الشأن. ولد سنة ستين بأرض الرمي، فجيء به حميلاً الى الكوفة، فاشترى رجل من نبي كاهل فأعتقه، كذا في «جامع الاصول» للعلامة ابن الاثير. والذي في «وفيات الأعيان» لابن خلكان، أن إبا الأعمش قدم الكوفة وامرأته حامل، فولدته بها، وان مولده سنة ستين، وقيل: أنه ولد يوم قتل الحسين رضي الله عنه. وذلك يوم عاشوراء، سنة إحدى وستين. قال: فكان أبوه حاضرًا قتل الحسين. وعده ابن قتيبة في «المعارف» في جملة من حملت به أمه سبعة أشهر. رأى أنس ابن مالك وحفظ عنه، وأبا بكرة، وروى عن عبد الله بن أبي أوفى، وزيد بن وهب، وأبي وائل، وزر بن حبيش، ومجاهد، وخلق. وروى عنه أبو حنيفة، وأبو إسحاق السبيعي، وشعبة، والسفيانان. قال ابن المديني: حفظ العلم على أمة محمد ﷺ بالكوفة أبو إسحاق السبيعي، والأعمش. وقال العجلي: كان ثقة، ثبتاً في الحديث، وكان محدث أهل الكوفة في زمانه.



وقال الفلاس : كان الاعمش يسمى المصحف من صدقه . قال في « جامع الاصول » : هو أحد الأعلام المشهورين بعلم الحديث والقراءة ، وعليه مدار أكثر الكوفيين . قال صدقة ابن عبد الرحمن : ما أعلم أحداً أعلم بحديث ابن مسعود من الاعمش . قال وكيع : مكث الاعمش قريباً من سبعين سنة لم تفتسه التكبيرة الأولى . مات رضي الله عنه سنة ثمان وأربعين ومائة ، وهو ابن ثمان وثمانين سنة .

قال ابن خلكان : كان الاعمش مزاحاً ، جاءه أصحاب الحديث يوماً ليسمعوا عليه ، فخرج اليهم وقال : لولا أن في منزلي من هو أبغض إلي منكم ؛ ما خرجت اليكم . قال : وجرى بينه وبين زوجته يوماً كلام ، فدعا رجلاً ليصلح بينها ، فقال لها الرجل : لا تنظري الى عمش عينيه ، وحموشة ساقيه ، فانه إمام ؛ وله قدر . فقال له الاعمش : أخزأك الله ، ما أردت إلا أن تعرفها عيوي . وقيل عنده يوماً : قال صلى الله عليه وسلم : من نام عن قيام الليل بال الشيطان في أذنه ، فقال : ما عمشت عيني إلا من بول الشيطان في أذني . وكانت له نوادر كثيرة . وقال أبو معاوية الضرير : بعث هشام بن عبد الملك الى الاعمش : أن أكتب لي مناقب عثمان ومساوي علي رضي الله عنها ، فأخذ الاعمش القرطاس وأدخلها في فم شاة ، فلا كتبها ، وقال لرسوله : قل له هذا جوابك ، فقال له الرسول : إنه قد آلى أن يقتلني إن لم آتته بجوابك ، وتحمل عليه باخوانه ، فقالوا له : يا أبا محمد ! نجيح من القتل ، فلما ألحوا عليه ، كتب : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ، يا أمير المؤمنين : فلو كانت لمثمان رضي الله عنه مناقب أهل الأرض ما نفضتك ، ولو كانت لعلي رضي الله عنه مساوي أهل الأرض ما ضرتك ، فمليك بخوبصة نفسك ( عن أنس ) ابن مالك رضي الله عنه . قال ابن خلكان : رأى الاعمش أنس بن مالك رضي الله عنه وكله ، ولكنه لم يرزق السماع عليه .

قال : وما يرويه عن أنس ؛ فهو إرسال أخذه عن أصحاب أنس رضي الله عنه ،  
قال : وروى عن عبد الله بن أبي أوفى حديثاً واحداً . انتهى .

( قال ) أنس رضي الله عنه : ( كانت درع النبي صلى الله عليه وسلم ) ، زاد  
البخاري : من حديد ، قال ابن الأثير : الدرع : الزردية ( مرهونة ) عند يهودي على  
ثلاثين صاعاً من شمر كما في « صحيح البخاري » ، و « مسند الامام أحمد » وغيرها ،  
وكانت درعه هذه تسمى : بذات الفضول لطولها ، أرسل اليه صلى الله عليه وسلم بها  
سعد بن عباد حين سار الى بدر ، واليهودي الذي كانت الدرع مرهونة عنده  
اسمه أبو الشحم بن الأوس ، واسمه كنيته .

وروى الترمذي في « سننه » والنسائي ، أنها كانت مرهونة في عشرين  
صاعاً من طعام أخذه لأهله ، وجمع بينها بأنه أخذ أولاً عشرين ، ثم عشرة . وقيل :  
إنه كان دون الثلاثين ، فجبر الكسر تارة ، وألغى أخرى . ووقع عند ابن حبان ،  
عن أنس ، أن قيمة الطعام كانت ديناراً . وفي حديث عائشة عند البخاري : أن  
النبي صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودي الى أجل . وروى ابن حبان : أن الأجل سنة  
( ما وجد ) النبي صلى الله عليه وسلم ( ما ) أي شيئاً ( يفكها ) بضم الفاء وتشديد الكاف ، أي  
يخلصها من رهنها ، فاستمرت مرهونة عند اليهودي على ثمن الطعام المذكور ( حتى  
مات ) النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه إجماع الى فضيلة الفقر ، وأن الفقير الصابر  
أفضل من الغني الشاكر ، والخلاف في ذلك طويل شهير . وفيه إجماع الى أنه  
صلى الله عليه وسلم لم يختار الدنيا ، ولم يحتفل لها ، وأنه اختار الفقر مع عرض الجبال أن تكون  
ذهباً له من عند المولى ، فاختر عدم ذلك ، وأنه يشبع يوماً ويجمع يوماً ، فاذا شبع  
شكر ، واذا جاع صبر . وذكر في « الأفضية النبوية » : أن أبا بكر الصديق  
رضي الله عنه افكها بمسد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن علي بن أبي طالب قضى ديونه .  
وروى اسحق بن راهويه في « مسنده » عن الشعبي مرسل : أن أبا بكر افكها

الدرع وسلمها الى علي رضي الله عنها . وأما من أجاب بأنه ﷺ اقتكها قبل موته؛  
فمما روى بحديث أنس في (صحيح البخاري) عن مسلم بن إبراهيم، عن هشام ، عن قتادة  
عن أنس . ومافي (المسند) وابن ماجه وغيرها . وقد روي هذا الحديث أيضاً  
من حديث عائشة وأبي هريرة وغيرهما رضي الله عنهم أجمعين .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين  
المسيح) : مات النبي ﷺ ولم يخلف درهماً ولا ديناراً ، ولا شاة ولا بيراً ، إلا  
بفلته وسلاحه ، ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعاً من شير ابتاعها لأهله .  
وفي الحديث جواز معاملة الكفار فيما لا يتحقق تحريم عين التعامل فيه ،  
وعدم الاعتبار بفساد متقدم ، وجواز بيع السلاح ورهنه وإجارته ولو من كافر  
حيث لم يستمن به علينا ، بخلافها إذا كان حريباً . وفيه ثبوت مافي أيدي أهل  
الذمة لهم . وفيه ما كان ﷺ متصفاً به من التواضع ، والزهد في الدنيا ،  
والتقلل منها مع قدرته عليها ، والصبر على ضيق العيش ، والقناعة باليسير .

قال بعض العلماء : والحكمة في عدوله ﷺ عن معاملة مياسير الصحابة  
الى معاملة اليهود ؛ إما لبيان الجواز ، أو لأنهم لم يكن عندهم إذ ذاك طعام فاضل  
عن حاجتهم ، أو خشى أنهم لا يأخذون منه ثمناً أو عوضاً ، فلم يرد التصييق عليهم ،  
وكانه لم يطلع على ذلك مياسير أصحابه وقتئذ ، والله الموفق .

### الحديث الثالث والأربعون

٨٨ - ثنا محمد بن فضيل ، عن مختار بن قلفل ، عن

أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : الكوثر  
نهر في الجنة ، وعدنائه ربي عز وجل .

قال رضي الله تعالى عنه : ( ثنا محمد بن فضيل ) الضبي ( عن مختار ) بضم  
 الهم وسكون الخاء المعجمة ، فناء مثناة فوقية مفتوحة ، فألف قراء ( بن لفلل )  
 (٢٠١٥) مضمومين بينهما لام ، وأخرى آخر الكلمة ، الخزومي الكوفي ، سمع من  
 أنس رضي الله عنه . روى عنه الثوري وغيره ( عن أنس بن مالك ) رضي الله عنه  
 ( عن النبي صلى الله عليه وسلم ) أنه ( قال : الكوثر ) أي المذكور في قوله  
 تعالى : وإنا أعطيناك الكوثر ، وهو فوعل من الكثرة ( نهر ) بفتح النون  
 وسكون الهاء ، وتفتح بحرى الماء ، والجمع أنهار ، ونهر بضم النون ، ونهور  
 وأنهر . سمي به الكوثر ، لكثرة مائه وآبائه ، وعظم قدره ، وخبره ، وذلك النهر  
 المتصف بذلك ( في الجنة ) اليهودية ( وعدليه ربي عز وجل ) وهو تعالى  
 لا يخلف اليعاد .

وفي ( البخاري ) من حديث أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، قال :  
 « بينا أنا أسير في الجنة إذ أتته حافاة فقلت الدر الجوف ، قلت : ما هذا  
 يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ، فإذا طيبه وطيبه مسك أدفر ،  
 وفي لفظ آخر : لما عرج النبي ﷺ ، قال : رأيت على نهر حافاة اللؤلؤ الجوف  
 فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر ، وإذا البريق الذي أعطاك ربك ،  
 فأهوى الملك بسده فاستخرج من طيبه مسكاً أدفر . وأورده البخاري بهذه  
 الزيادة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

وروى مسلم في ( صحيحه ) من طريق البخاري بن لفلل ، عن أنس رضي  
 الله عنه ، قال : بينما نحن عند النبي ﷺ إذ أتته إغفاءة . الحديث الآتي بعد  
 هذا وهو :

## الحديث الرابع والاربعون

٨٩ - ثنا محمد بن فضيل ، عن المختار بن فلفل ، قال :  
سمعت أنس بن مالك يقول : أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
إغفاءة ، فرفع رأسه متبسماً ، إِمَّا قَالَ : قَالَ لَهُمْ ، وَإِمَّا قَالُوا  
لَهُ : لِمَ ضَحِكْتَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهُ  
أُنزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتُ سُورَةِ : فَقَرَأُ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - إِنَّا  
أَعْطَيْنَاكَ الْكُوفِرَ . . . » حَتَّى حَضَمَهَا . قَالَ : هَلْ تَدْرُونَ  
مَا الْكُوفَرُ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : هُوَ سَهْرُ أَعْطَانِيهِ  
رَبِّي فِي الْجَنَّةِ ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ ، تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،  
آيَتُهُ عِدَدُ الْكَوَاكِبِ ، يُخْتَلِجُ الْعَبْدَ مِنْهُمْ ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ !  
إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي ، فَيَقَالُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدِّكَ .

قال رضي الله عنه : ( ثنا محمد بن فضيل ، عن المختار بن فلفل ، قال :  
سمعت أنس بن مالك ) رضي الله عنه ( يقول : أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة )  
قال في « النهاية » : يقال : أغفى إغفاءً وإغفاءةً ؛ إذا نام ، وقلبا يقال : غفا ، قال  
الأزهري : الامة الحبيدة أغفيت ، ويقال أيضاً : غفوت غفوة ، أي نمت نومة  
خفيفة . انتهى . ( فرغ ) ولفظ مسلم ثم رفع ( رأسه ) من نومه حال كونه

( متبسماً ) وهو مبادىء الضحك ، فهو من الضحك بمنزلة السينة من النوم ،  
ومنه قوله تعالى : « فتبسّم ضاحكاً » (١) أي شارعاً في الضحك . وفي الحديث :  
كان ﷺ لا يبضحك إلا تبسماً . وحمل على غالب أحواله ، لأنه ورد : جل ضحكك  
التبسّم ، ولما ثبت أنه ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ، وقد قيل : إنه ما كان ﷺ  
يبضحك إلا في أمر الآخرة ، وأما في أمر الدنيا فلم يزد على التبسّم (إما قال) أنس :  
( قال لهم ، وإما قالوا ) م ، أي أصحابه ( له : لم ضحكت ؟ ) وفي « مسلم » ،  
فقلنا : ما ضحكك يا رسول الله ؟ ( فقال رسول صلى الله عليه وسلم : ) ، ولفظ  
مسلم قال : ( إنه ) أي الشأن والأمر ، أو ضحكى ( انزلت ) ، ولفظ مسلم  
نزلت ( عليّ آنفاً ) قال في « المطالع » : بالمد والقصر ، قيدناه في الحديث ، وقرآناه  
في القرآن ، أي قريباً أو الساعة ، وقيل : في أول وقت كنا فيه ، وكله  
من الاستئناف والقرب ( سورة ) قال في « المطالع » تهمز لشبهها بالسور الذي  
هو بقية الشيء ، ولا تهمز لشبهها بسور المدينة . انتهى . قال في « القاموس » : السورة  
المنزلة من القرآن معروفة ، سميت بذلك لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الآخرة ( فقرأ )  
صلى الله عليه وسلم : ( بسم الله الرحمن الرحيم ، إنا أعطيناك الكوثر ) واستمر في  
قراءتها ( حتى ختمها ) عليه الصلاة والسلام ، وقد قرأ ابن محيصن : « إنا أنطيناك »  
بالنون ، وكذا قرأها طلحة بن مصرف . ثم ( قال ) صلى الله عليه وسلم : ( هل )  
ولفظ مسلم : أ ( تدرون ما الكوثر ؟ قالوا : ) ولفظ مسلم : قلنا : ( الله ورسوله  
أعلم ، قال : ) عليه السلام ( هو ) أي الكوثر ( نهر أعطانيه ربي ) ولفظ مسلم :  
قال : فانه نهر وعدنيه ربي ( في الجنة ، عليه خير كثير ) ولهذا فسّر ابن عباس  
رضي الله عنها ، الكوثر بالخير الكثير الذي أعطاه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ،  
قال أبو بشير : قلت لسعيد بن جبير : فإن ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة ، قال

(١) سورة النمل ، الآية : ١٩

سميد : النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه . قال في «الفتح» : هذا تأويل من سميد بن جبير ، جمع بين حديثي عائشة أنه نهر في الجنة ، وابن عباس أنه الخير الكثير . ( ترد عليه ) أي الكوثر ( أمي ) ولفظ مسلم : هو حوض ترد عليه أمي ( يوم القيامة ) وفي «سنن الترمذي» ، من حديث ابن عمر رفعه : الكوثر نهر في الجنة ، حافظه من ذهب ، ومجره على الدر والياقوت ... الحديث ، وقال : حسن صحيح . وحاصل ما قاله سميد بن جبير ؛ أن قول ابن عباس رضي الله عنها : إنه الخير الكثير ، لا يخالف قول غيره : إن المراد به نهر في الجنة ، لأن النهر فرد من أفراد الخير الكثير . ولعل سميد أوما إلى أن تأويل ابن عباس أولى لمومه ، لأنه يشمل كل خير كثير مفرط ، من علم وعمل ، وشرف الدارين ؛ لكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ النبي ﷺ من عدة طرق عن عدد من الصحابة ؛ فلا معدل عنه ، لثبوت ذلك وصحته عن الذي أنزل عليه الوحي . قال في «البدور السافرة» ، للجلال السيوطي رحمه الله تعالى : ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابياً ، وهم الخلفاء الأربعة ، وأبي ابن كعب ، وأسامة بن زيد ، وأسيد بن حضير ، وأنس ، والبراء بن عازب ، وحذيفة ، وعائشة ، وعدم<sup>(٢)</sup> وساق أحاديثهم رضي الله عنهم (آبنته) أي الحوض ، وهي جمع إناء ، كسقاء وأسقية ، وجمع الآنية أواني ( عدد الكواكب ) جمع كوكب ، يعني النجوم . والمراد - والله أعلم - التكثير .

وفي «صحيح البخاري» : عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، أنها سئلت عن قوله تعالى : « إنا أعطيناك الكوثر » ،<sup>(١)</sup> قالت : نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم ، عليه در مجوف ، آبنته بمدد النجوم (يختلج) أي يقطع ويختذب (المد منهم) أي من أمي ( فأقول : يارب ! إنه من أمي ) أي فكيف يختلج ،

(١) سورة الكوثر ، الآية : ١

(٢) أي الجلال السيوطي :

ويقطع عن الورد على حوضي من بين أمي وهو منهم ( فيقال ) للنبي صلى الله عليه وسلم ، أي تقول له الملائكة ، أو الحق جسد شأنه : ( إنك لا تدري ما أحدثوا ) يعني هؤلاء المختلجين ( بمدك ) من البدع ، وتغيير السنن والطريقة الحسنة .

قال القرطبي : كل من ارتد عن دين الله ، أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به ، فهو من المطرودين عن الحوض ، قال : وأشددم طرداً من خالف جماعة المسلمين ، كالخوارج ، والروافض ، والمعتزلة ، على اختلاف فرقهم . فهؤلاء كلهم مبتلون ، وكذا الظلمة المسرفون في الجور والظلم ، وطمس الحق ، وإذلال أهله ، والمملنون بالكبار ، المستخفون بالمعاصي ، وجماعة أهل الزيغ والبدع . ثم الطرد قد يكون في حال ، ثم يقربون بعد المنفرة إن كان التبديل في الاعمال ، ولم يكن في العقائد . وقد يقال : إن أهل الكبار يردون ويشربون ، فإذا دخلوا النار بعد ذلك لم يذبوا بالعطش . انتهى .

وهذا على ما اختاره القرطبي من أن الحوض بعد الصراط ، والذي رجحه القاضي عياض : أن الحوض بعد الصراط ، وأن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار .

وقال الحافظ ابن حجر : ظواهر الأحاديث أن الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها ، فلو كان قبل الصراط لحالت النار بينه وبين الماء الذي ينصب من الكوثر فيه ، قال : وأما ما أورد عليه من الحديث ، أن جماعة يدفعون عن الحوض بعد أن يروه ويذهب بهم إلى النار ، فجوابه : أنهم يقربون من الحوض بحيث يرونه ويرون ، فيدفعون في النار قبل أن يخلصوا من بقية الصراط . انتهى .

قال القرطبي : المعنى يقتضي تقديم الحوض على الصراط ، فإن الناس



يخرجون من قبورهم عطاشاً ، فناسب تقديمه ، وقال القرطبي أيضاً : الصحيح أن للنبي ﷺ حوضين ؛ أحدهما في الموقف قبل الصراط ، والثاني في الجنة ، وكلاهما يسمى كوثراً . قال : ولا يحظر بيالك ، أو يذهب وهمك الى أن الحوض يكون على وجه هذه الارض ، وإنما يكون وجوده في الأرض المبدلة ، وهي أرض بيضاء كالفضة ، لم يسفك فيها دم ، ولم يظلم عليها أحد قط .

### تنبيهات

الأول : الحوض والكوثر ثابت بالنص ، وإجماع أهل السنة والجماعة ، حتى عدّه أهل السنة في العقائد الدينية ، لأجل الرد على أهل البدع والضلال .

وقد أخرج ابن أبي عاصم في السنّة ، والبيهقي ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : سيأتي قوم يكذبون بالحوض ، ويكذبون بالشفاعة ، ويكذبون بقوم يخرجون من النار .

وأخرج الحاكم ، وابن المبارك ، عن أنس رضي الله عنه ، قال : دخلت على زياد وهم يتذاكرون الحوض ، فقالوا : ما تقول في الحوض ؟ فقلت : والله ما شعرت أن أعيش حتى أرى أمثالكم يشكّون في الحوض ، لقد ركت عجائز بالمدينة ما تصلي واحدة منهن صلاة إلا سألت ربها أن يوردها حوض محمد ﷺ وفي حديث أبي برزة رضي الله عنه ، أنه قال له عبيد الله بن زياد : إنما بعث اليك لأسألك عن الحوض ، هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر فيه شيئاً ؟ قال أبو برزة : لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثاً ولا أربعاً ولا خمساً ، فمن كذب به فلا سقاء الله منه ، ثم خرج مغضباً . أخرجه أبو داود .

الثاني : ورد عن النبي ﷺ : أن حوضه مسيرة شهر ، وزواياه سواء ،

يعني عرضه مثل طوله . أخرجه الامام أحمد ، والبزار ، من حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنها .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » من حديث البراء بن عازب رضي الله عنها ، مرفوعاً : حوضي ما بين أيلة الى صنماء ، له ميزابان : أحدهما من ذهب ، والآخر من فضة .

وفي « الطبراني » عن أنس مرفوعاً : أن عرضه وطوله ما بين المشرق الى المغرب ، لا يشرب منه أحد فيظلم ، ولا يتوضأ منه أحد فيشمت ، لا يشربه من أخفر ذمتي ، ولا من قتل أهل بيتي .

وفي « صحيح مسلم » و « سنن الترمذي » من حديث أبي ذر مرفوعاً : والذي نفسي بيده ، لآئنته - يعني حوضه صلى الله عليه وسلم - أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحبة ، آنية الجنة ، من شرب منها لم يظلم ، آخر ما عليه يشخب<sup>(١)</sup> ميزابان من الجنة ، عرضه مثل طوله ، ما بين عجمان الى أيلة ، وماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل .

وفي « الصحيحين » و « الترمذي » ، من حديث أنس مرفوعاً : ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنماء والمدينة . وفي رواية : مثل ما بين المدينة وعجمان . وفي أخرى : ما بين لاتي حوضي . وفي أخرى : ترى فيه أباريق الذهب والفضة ، كعدد نجوم السماء . وفي لفظ : أكثر من عدد نجوم السماء . وفي أخرى : إن قدر حوضي ما بين أيلة وصنماء اليمن .

وفي « الصحيحين » أيضاً ، من حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه ؛ أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال : حوضي ما بين صنماء والمدينة ، فقال المستورد : ألم تسمه قال : الأواني ؟ قال : لا ، قال المستورد : ترى فيه الآنية مثل الكواكب .

(١) الشخب : جريان اللبن في الإناء وقت الحلب .

وفي « مسلم » من حديث سمرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا إني فرطكم <sup>(١)</sup> على الحوض ، وإن بعد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وأيلة ، كأن الأباريق فيه النجوم .

وفي « الصحيحين » من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : حوضي مسيرة شهر ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، من شرب منه لا يظلم أبداً . وفي رواية : مسيرة شهر ، وزواياه سواء .

وفي « الصحيحين » و « أبي داود » ، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : إن أمامكم حوضي ما بين جنبيه كما بين جرباء وأذرح . قال بعض الرواة : هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال . <sup>(٢)</sup> وفي « مسلم » عن ثوبان رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ سئل عن عرض حوضه ، فقال : من مقامي إلى عُمان .

وفي « الترمذي » ، عن أبي سلام الحبشي ، قال : بعث إليَّ عمر بن عبد العزيز فحملت على البريد ، فلما دخلت عليه قلت : يا أمير المؤمنين ! لقد شق عليَّ مركبي البريد ، فقال : يا أبا سلام ! ما أردت أن أشق عليك ، ولكي بلغني عنك حديث تحدّثه عن ثوبان ، عن رسول الله ﷺ في الحوض ، فأجبت أن تشافني به ، فقلت : حدّثني ثوبان ، أن رسول الله ﷺ قال : حوضي مثل ما بين عدن إلى عمّان البلقاء ، ماؤه أشدّ بياضاً من الثلج ، وأحلى من المسك ، وأكوابه بعداد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظلم بعدها أبداً . أول الناس وفوداً عليه فقراء المهاجرين الشمث رؤوساً ، الدنس ثياباً ، الذين لا ينكحون المنعمات ، ولا تفتح لهم أبواب السدد . فقال عمر رضي الله عنه <sup>(٣)</sup> : قد أنكحت المنعمات ؛

(١) الكلمة في الاصل مطموسة ، وما أثبتناه من « الصحيح » .

(٢) قال في « القاموس » : أذرح بضم الراء ، يجنب جرباء بالشام ، وغلط من قال :

بينها ثلاثة أيام . (٣) يعني عمر بن عبد العزيز .

فأدبته بنت عبد الملك ، وفتحت إلي أبواب السدد ، لا جرم لا أغسل رأسي حتى يشمت ، ولا ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ .

الثالث : قال القرطبي : ظن بعض الناس ، أن اختلاف هذه التحديدات في الحوض اضطراب واختلاف ، وليس كذلك ، وإنما تحدث النبي ﷺ بحديث الحوض مرات متعددة ، وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة ، مخاطباً لكل طائفة ؛ كانت تعرف من مسافات مواضعها ، وربما قدر ذلك بالزمان ، فيقول : مسيرة شهر ، والمعنى المقصود من ذلك كله ؛ أنه حوض كبير متسع الجوانب . وكان من حضره ﷺ ممن يعرف تلك الجهات يخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها ، وبالله التوفيق .

الرابع : في « الصحيحين » من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : أنا فرطكم على الحوض ، وليرفمن إلي رجال منكم ، إذا أهويت اليهم لأناولهم اختلجوا دوني فأقول : أي رب ! أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بمدك .

وفيها من حديث أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : ليردن على الحوض رجال ممن صاحبي ، حتى إذا رفعوا إلي اختلجوا دوني ، فلاقولن : أي رب ! أصحابي أصحابي ، فليقلن لي : إنك لا تدري ما أحدثوا بمدك . زادا في رواية : فأقول : سحقاً لمن بدل بمدى .

وفيها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي ، أو قال : من أمتي ، فيحلون (١) عن

(١) قوله : فيحلون بضم التحتية وفتح الحاء المهملة : أي يدفون عن الماء ويطردون عن وروده ، ومن رواه بالجيم بدل الحاء فهو من الجلاء ، وهو النفي عن الوطن ، ويرجع إلى معنى الطرد أيضاً « المؤلف » .

الحوض ، فأقول : يارب : أصحابي ، فيقول : إنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك ، إنهم ارتدوا على أديبارهم انقهقري .

وفي « مسلم » من حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو بين ظهري أصحابه : إني على الحوض أنظر من يرد علي منكم ، فوالله ليتقطن دوني رجال ، فلا قولن : أي رب ! مني ومن أمي ؟ فيقول : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . ما زالوا يرجعون على أعقابهم .

وفي حديث أسماء أختها ، رضي الله عنها في « الصحيحين » وغيرها : وسيؤخذ ناس دوني ؛ فأقول : يارب ! مني ومن أمي . وفي رواية فأقول : أصحابي ، فيقال : هل شعرت ما عملوا بعدك ؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم .

وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها في « مسلم » : قال رسول الله ﷺ : إني لكم فرط على الحوض ؛ فإياي ، ليأتين أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال ؛ فأقول : فيم هذا ؟ فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ؛ فأقول : سحقا .

وقد تقدم أن أهل البدع والفساد والظلم والارتداد لا يردون الحوض ، ولا يشربون منه . ولا ريب أن كثيراً من الأعراب ، ومن بني حنيفة ، ومن بني تميم ؛ ممن كان قد أسلم ووفد على النبي ﷺ قد ارتد لما توفي النبي ﷺ ، فقاتلهم الصديق الأعظم ، فأمر خالد بن الوليد فأتكا فيهم ، فممنهم من قتل ، ومنهم من حرق ، ومنهم من رجس إلى الاسلام ، الحديث من أعلام النبوة ، وبالله التوفيق .

## الحدث الخامس والاربعون

٩٠ -- ثنا محمد بن فضيل ، عن المختار بن فلفل ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ لِي : إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يَزَالُونَ يَتَسَاءَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، حَتَّى يَقُولُوا : هَذَا اللَّهُ خَلَقَ النَّاسَ ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ ؟**

قال رضي الله عنه : ( ثنا محمد بن فضيل ) الضي ( عن المختار بن فلفل ، عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( قال : قال رسول الله ﷺ : **إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ لِي : ( فَيَكُونُ حَدِيثًا قَدْسِيًّا لِنَسْبَتِهِ إِلَى الْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ ) ( إِنَّ أُمَّتَكَ )** يا محمد المهيئين لك ؛ المتبعين لما حثت به من الدين القويم ، والمهدي المستقيم ( لا يزالون ) أي لا ينفكون ولا يبرحون ( يتساءلون فيما بينهم ) عن غوامض المسائل ، ودقائقها - وحقائقها ، من صحيحها وباطلها ، وقومها وعاطلها ( حتى ) يتوصلوا بذلك ؛ إلى أن يسألوا عن المسائل المستحيلة في نفسها ، بأن ( يقولوا : هذا الله ) جل شأنه وتعالى سلطانه . الإشارة إلى المستحضر في الذهن المعلوم ؛ للمسائل والمسؤول ، أي هذا الله قد عرفناه ، وهو الذي خلق الأشياء ؛ ولهذا قال : ( خلق الناس ) وسائر المخلوقات ؛ من العالم العلوي والسفلي ( فمن خلق الله ؟ ) تعالى وتنزه عن ذلك علواً كبيراً ، فانه القديم بالذات والصفات ، وإعما يصدر مثل هذا السؤال من جاهل بالواجب والجائز والمستحيل ، قلبه به مرض الجهل الذي لا شفاء له منه ، إلا بالسؤال والتعلم ، فان القلوب ثلاثة : صحيح سليم ، ومريض سقيم ، وميت رميم . فالسليم : هو الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من آتى

الله به ، كما قال جل شأنه : « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » (١) وهو القدي سلم من الشهوات والشبهات ، فليس لله فيه شريك بوجه ما ، بل قد خلصت عبوديته لله تعالى إرادةً ومحبةً وتوكلًا واثابةً وإخبارًا وخشيةً وتقويضاً ورجاءً . قد أخلص عمله لله ، فإن أحب فله ، وإن أبغض ففي الله ، وإن أعطى فله ، وإن منع فله ، ولا يسلم السلامة الأبدية ، ويجيا الحياة السرمدية ، حتى يسلم من الاقبياد والانفعال لكل من عدا رسول الله ﷺ . فيعقد قلبه معه عقداً محكمًا على الاقتداء به ، وحده دون غيره ، في الأقوال والأفعال والعقائد ، فيكون الحاكم عليه في ذلك كله دقيه وجلته ما جاء به الرسول ﷺ ، فلا يتقدم بين يديه بمقيدة ولا قول ولا عمل ، كما قال تعالى : « ولا تسبوا بين يدي الله ورسوله » (٢) أي لا تقولوا حتى يقول ، ولا تفعلوا حتى يأمر ، ولهذا قال بعض السلف : ما من فعلة وإن صغرت إلا ينشر لها ديوانان : لم ؟ وكيف ؟ أي لم فعلت ؟ وكيف فعلت ؟ فالأول : سؤال عن علة الشيء وباعته وداعيه من دفع مكروهه ، أو جلب محبوبه ، أم الباعث على ذلك القيام بحق العبودية ، وطلب التقرب الى الرب سبحانه ، وابتغاء الوسيلة اليه ؟ ومحل هذا السؤال : أنه هل كان عليك أن تفعل هذا الفعل لمولائك ، أم فعلته لحظك وهواك ؟ .

والثاني : سؤال عن متابعة الرسول في ذلك التبعيد ، أي هل كان ذلك العمل بما شرعته على لسان رسولي ؟ أم كان عملاً لم أشرعه ولم أرضه ؟ فالأول سؤال عن الاخلاص ، والثاني عن المتابعة ، فلا يقبل الله عملاً إلا بها ، ففتى أخلص العمل ، وحقق المتابعة ، كان قلبه سليماً ، وسيره قويمًا .

و ضد هذا القلب الميت الذي لا حياة به ، فهو لا يعرف ربه ، ولا يبصده

(١) سورة الشعراء، الايتان : ٨٨-٨٩

(٢) سورة الحجرات ، الآية : ١

بأمره ؛ وبما يحبه الله ورضاه ، بل هو واقف مع شهواته وإرادته ، ولو كان فيها  
سخط ربه وغضبه ، لمدم مبالاته اذا فاز بشهواته وحظوظه كفيها ما اتفق ؛  
رضي ربه أم سخط ، فهو متمدد لغير الله ؛ حباً وخوفاً ، ورضى وسخطاً وتمظيلاً  
وذلك ، فهو إن أحب أحب لهواه ، وإن أبغض أبغض لهواه ، وكذلك منعه  
وإعطاؤه ، وتقريبه وإقصاؤه ، فهو أتر عنده من رضى مولاه ، فهو إما يفكر  
في تحصيل أغراضه ، ولو كان فيها هلاكه مع أمراضه ، لأن قلبه يحب الدنيا  
والامور الدنيوية مخمور ، ولبه باقتناص الما قبل دون الآجل مغمور ، فلسان حاله  
يقول : برقة منقودة ، ولا درة مفقودة ، فاذا نادى به داعي الله ورسوله والدار  
الآخرة ؛ فمن مكان بعيد ، فلا يستمع للناصح ، ويتبع كل شيطان مريد ، فالدنيا  
تسخطه وترضيه ، والهوى يقربه ويقصيه ، فهو مع الدنيا كما قيل :

عدو لمن عادت وسلم لأهلها      ومن قرئت ليلي أحب وقرئاً

فخالطة صاحب هذا القلب سقم ، ومعاشرته سم . وبالله التوفيق .

والقلب الثالث : قلب له حياة وبه علة ، فله مادنان ؛ يد بهذه مرة وبهذه  
أخرى ، وهو لما غلب عليه منهما ، ففيه من محبة الله والايان به ؛ والاخلاص له  
والتوكل عليه ؛ ما هو مادة حياته ، وفيه من محبة الشهوات ؛ وإيثارها واحتراس  
على تحصيلها ؛ والنحس والكبر والمجب وحب الملوك في الأرض بالرياسة ؛ ما هو  
مادة هلاكه وعطبه ، فهو محتجج من داعيين ؛ داع يدعو الى الله ورسوله  
والدار الآخرة ، وداع يدعو الى العاجلة ، فالقلب السليم ليس بينه وبين قبول  
الحق ؛ وإيثاره سوى إدراكه ، فهو صحيح الإدراك ، تام الاقياد والقبول له ،  
والقلب الميت القاسي لا يتقاده ولا يقبله ، والقلب المريض إن غلب عليه مرضه  
التحق بالميت القاسي ، وان غالبت عليه صحته التحق بالسليم ، فما يلقيه الشيطان  
في الأسماع والأدهان من الألفاظ ، وفي القلوب من الشبه والشكوك والظنون



والحجرات الخاصة ، فتنة لهذين القليلين ، أعني الميت ، والمريض السقيم ، وقوة القلب أحي السليم ، لأنه يرد ذلك ويكرهه ويبغضه ، ويعلم أن الحق في خلافه ، فيجبت للحق قلبه ، ويطمئن وينقاد ، ويعلم بطلان ما ألقاه الشيطان من سوء الاعتقاد ، فيزداد إيماناً بالحق محبة له ، وكفر بالباطل وكراهة له ، فهذا السائل لك هذه المسائل من ذوي القليلين ، لأنه إما قلبه ميت رميم ، أو مريض سقيم .

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : تعرض الفتن على القلوب كمرض الحصر عوداً عوداً ، فأبي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها ؛ نكتت فيه نكتة بيضاء ، حتى تمود القلوب على قلبين ؛ قلب أسود مريراً ، كالكوز محجباً ؛ لا يعرف معروفاً ، ولا ينكر منكراً ، إلا ما أشرب من هواه ؛ وقلب أبيض مشرق ، لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض . فشبّه عرض الفتن على القلوب شيئاً فشيئاً ، كمرض عيدان الحصر ، وهي طاقاتها . وقسم القلوب عند عرضها عليها إلى قسمين ؛ قلب إذا عرض عليه فتنة أشربها كما يشرب السفنج الماء ، فنكتت فيه نكتة سوداء ، فلا يزال يشرب كل فتنة تعرض عليه ، حتى يسود وينكس ؛ وهو معنى قوله : كالكوز محجياً ؛ أي مكبواً منكوساً ، فإذا اسود وانكس عرض له من هاتين الآفتين مرضان خطران متراميان إلى الهلاك : أحدهما اشتباه المعروف عليه بالمنكر ، فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً ، بل ربما استحكم فيه هذا المرض حتى يمتدد المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ؛ والسنة بدعة ، والبدعة سنة ؛ والحق باطلاً ، والباطل حقاً .

الثاني : تحكيمة هواه على ما جاء به الرسول ، والقيادة للهوى واتباعه له . وقلب أبيض أشرق فيه نور الإيمان ، وازهر فيه مصباحه ، فإذا عرضت عليه الفتن أنكرها وردّها ، فازداد نوره وإشراقه وقوته .

والفتن التي تمرض على القلوب هي أسباب مرضها ، وهي فتن الشهوات ؛ ومحرم  
الشبهات ؛ فالاولى توجب فساد القصد والارادة ؛ وتنبط عن مكارم الاخلاق  
وحسن العبادة ، والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد ؛ وتمدى بماها الى غير المراد ،  
وهذا السائل القليل الضليل من هذا القبيل .

وقد صح عن حذيفة أيضاً رضي الله عنه ، أنه قال : القلوب أربعة : قلب أجرد  
فيه سراج مزهر ، فذلك قلب المؤمن . وقلب أغلق فذلك قلب الكافر ، وقلب  
منكوس . فذلك قلب المنافق ، عرف ثم أنكر ، وأبصر ثم عمي ، وقلب تمسده  
مادتان : مادة إيمان ؛ ومادة نفاق ، فهو لما غلب عليه منها . فقوله : أجرد ؛  
أي متجرد عما سوى الله سبحانه وتعالى ، ورسوله ﷺ ؛ فقد تجرد وسلم  
بما سوى الحق ، وفيه سراج يزهر ، وهو مصباح الايمان ، فأشار بتجرده الى  
سلامته من شبهات الباطل ، وشهوات النفي\* ، وبحصول السراج فيه الى إشراقه  
واستنارته بنور العلم والايان ، وأشار بالقلب الأغلق ؛ الى قلب الكافر ، لأنه  
داخل في غلافه وغشائه ، فلا يصل اليه نور العلم والايان ، كما حكى سبحانه عن  
اليهود : « وقالوا قلوبنا غلف » (١) وهو جمع أغلف كأقلف وقلف ، وهي الأكنة  
التي ضربها الله تعالى على قلوبهم عقوبة لهم على رد الحق ، والتكبر عن قبوله ، فهي  
أكنة على القلوب ، ووقر في الاسماع ، وعمى في الابصار ، وهي الحجاب المستور  
عن الميون ، في قوله تعالى : « وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون  
بالآخرة حجاباً مستوراً ، وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً » (٢)  
فاذا ذكر لهذه القلوب تجريد التوحيد ، وتجريد المتابعة ، ولي أصحابها على  
أدبارهم نفوراً ، وأشار بالقلب المنكوس وهو المكبوب ، إلى قلب المنافق كما قال

(١) سورة البقرة ، الآية ٨٨

(٢) سورة النساء ، الآية : ٨٨

تمالى : « فالكم في المناقين فثنين والله أركسهم بما كسبوا » (١) ، أي أنكسهم وردم في الباطل الذي كانوا فيه ، بسبب كسبهم وأعمالهم الباطلة ، وهذا شر القلوب وأخبثها ، فانه يستعد الباطل حقاً ويوالي أصحابه ، والحق باطلاً ويصادي أهله ، والله المستعان . وأشار بالقلب الرابع الذي له مادتان ، الى القلب الذي لم يتمكن فيه الايمان ، ولم يزهرفيه سراجة ليدفع شبهات الباطل ، وشهوات النهي ، كقلب هذا السائل ، فانه من عوام الأمة ورعاها ، لم يستبصر بنور المعرفة ، ولا استضاء بشماعها ، بل فيه مادة من الايمان ؛ وهو كونه يشهد لله بالوحدانية ولنبيه ﷺ برسالة ، وإنه من أمته التابعين لظاهر شرعته ، وفيه مادة من خلافه ، وهي ظلمات الجبل ، وغيم الشبهات ، وهوى الشهوات الذي أطفأ مصباح بصيرته ، فلم يشمر بما يجب لله ، وما يجوز عليه ، ويستحيل في حقه ، حتى سأل سؤاله المستحيل الذي لو أصر عليه بعد التمريف ؛ استحل ماله ودمه ، لردته عن سواء السبيل .

### تنبيهات

الأول : حديث أنس هذا ؛ أخرجه مسلم في « صحيحه » من حديث محمد بن فضيل ، عن المختار بن فلفل ، عن أنس ، وشيخ مسلم في هذا الحديث من هذا الوجه ، عبد الله بن عامر . وأخرجه البخاري أيضاً ، ولفظه : عن أنس رضي الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : لن يبرح الناس يسألون : هذا الله خالق كل شيء ، فمن خلق الله ؟

وفي « الصحيحين » وغيرها ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : لا يزال الناس يتساءلون ، حتى يقال : هذا خلق الله الخلق ،

(١) سورة النساء ، الآية : ٨٨

فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً ، فليقل : آمنت بالله . وفي لفظ آخر : يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق السماء ؟ من خلق الأرض ؟ فيقول : الله . فذكر مثله ، وزاد : ورسله . وفي لفظ آخر : من خلق كذا وكذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ فإذا بلغ ذلك ؛ فليستمد بالله ، ولينته . وفي لفظ آخر : يأتي البعد الشيطان .

وفي « مسلم » عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : لا يزال الناس يسألونكم عن العلم ، حتى يقولوا : هذا الله خلقنا ، فمن خلق الله ؟ قال وهو أخذ بيد رجل : فقال : صدق الله ورسوله ، قد سألتني اثنان ، وهذا الثالث ، أو قال : قد سألتني واحد ، وهذا الثاني . وفي لفظ : قال : قال لي رسول الله ﷺ : لا يزالون يسألونك يا أبا هريرة ؛ حتى يقولوا : هذا الله ؛ فمن خلق الله ؟ قال : فبينما أنا في المسجد ، إذ جاءني ناس من الأعراب ، فقالوا : يا أبا هريرة ؛ هذا الله ؛ فمن خلق الله ؟ قال : فأخذ حصياً بكفه ، فرمام به ، ثم قال : قوموا ؛ صدق خليلي ﷺ . وفي لفظ : ليسألكم الناس عن كل شيء ؛ حتى يقولوا : إن الله خلق كل شيء ، فمن خلقه ؟ وفي رواية لابي داود ، والنسائي : فقولوا : « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » (١) ثم ليتفل عن يساره ثلاثاً ، وليستمد بالله من الشيطان الرجيم . وفي لفظ للنسائي : فليستمد بالله منه ومن فتنته .

وأخرج الامام أحمد باسناد جيد ، وأبو يعلى ، والبراز ، عن عائشة رضي الله عنها ؛ أن رسول الله ﷺ قال : إن أحدكم يأتيه الشيطان . فيقول : من خلقك ؟ فيقول الله ، فيقول : من خلق الله ؟ فإذا وجد ذلك أحدكم ، فليقل : آمنت بالله ورسوله ، فإن ذلك يذهب عنه . ورواه ابن أبي الدنيا في « مكائد

(١) سورة الاخلاص

الشيطان، ولفظه: إن الشيطان يأتي أحدكم... الحديث، ورواه الطبراني في الكبير،  
و « الأوسط »، من حديث عبد الله بن عمرو، ورواه الامام أحمد أيضاً من حديث  
خزيمة ابن ثابت رضي الله عنه .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : جاء ناس من  
أصحاب رسول الله ﷺ ، إلى رسول الله ﷺ ، فسألوه : إنا نجد في أنفسنا ما  
يتماثلنا نحن أن يتكلم به ، قال : وقد وجدتموه ؟ قالوا : نعم . قال : ذاك  
صريح الايمان .

وأخرج أيضاً من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : سئل النبي ﷺ  
عن الوسوسة ، فقال : تلك محض الايمان .

وفي « الصحيح » أن أصحاب رسول الله ﷺ ، قالوا : يا رسول الله ! إن  
أحدنا ليجد في نفسه ما لأن يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به ،  
قال : الحمد لله الذي رد كيده الى الوسوسة .

وفي « سنن أبي داود » عن أبي زميل ؛ سماك بن الوليد ، قال : سألت ابن  
عباس رضي الله عنها فقلت : ما شئ - أجده في صدري ؟ قال : ما هو ؟ قلت :  
والله لا أتكلم به ، قال : فقال لي : أشئ - من شك ؟ قال : وضحك ، قال : مانجا  
من ذلك أحد ، قال : حتى أنزل الله عز وجل : « فان كنت في شك مما أنزلنا  
إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك ، لقد جاءك الحق من ربك فلا  
تكون من الممتريين » (١) قال : فقال لي : إذا وجدت في نفسك شيئاً ، فقل : هو  
الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شئ - علم .

وفي « مسلم » من حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه ، أنه أتى النبي  
ﷺ فقال : يا رسول الله ؛ إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي بلبسها

(١) سورة يونس ، الآية : ٩٤

عليّ، فقال رسول الله ﷺ: ذلك شيطان يقال له: خنزب، فإذا أحسسته فتمود بالله منه، واتقل على يسارك ملاماً، قال: ففطمت ذلك، فأذهبه الله عني. قوله: خنزب: هو بكسر الخاء المعجمة، وسكون النون، وفتح الزاي بعدها باء موحدة.

**الثاني:** إن كان هذا السؤال ونحوه من آدمي؛ فيقطع بالبرهان، وهو أن الله قديم أزليّ، وهو دائم أبديّ، فالحدوث مستحيل في حقه جل وعلا، خلق الخلائق تفصيلاً وجملاً. وإن كان من إلقاء الشيطان؛ فليقل ما تقدم، وليتفضل عن يساره ملاماً، فإذا التجأ الانسان الى الملك الديان في دفع وساوس الشيطان، وما يلقيه في وهم البعد من الشبهات والبهتان، فانه جل شأنه وتعالى سلطانه، يمنع عبده الملتجئ اليه من عدوّه المتسلط عليه، وقد قال تعالى: «فإذا قرأت القرآن فاستمع بالله من الشيطان الرجيم، إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون» (٢)، ومضى استعد بالله؛ امتنع به، واعتصم به، والجا إليه. ومن كلام العرب: أطيب اللحم عوده، أي الذي عاذ بالمعظم واتصل به، فأمر سبحانه بالاستعاذة من الشيطان عند قراءة القرآن، لأن القرآن شفاء لما في الصدور، ويذهب لما يلقيه الشيطان فيها من الوسواس والشبهات والشهوات والارادات الفاسدة، فهو دواء لا أثره فيها الشيطان، فأمر أن يطرد مادة الداء، ويجلي منه القلب، ليصادف الدواء محلاً خالياً فيتمكن منه، ويؤثر فيه. ولأن القرآن مادة الهدى والعم والخير في القلب، كما أن الماء مادة النبات، فالشيطان نار يحرق النبات، فكلما أحس بنبات الخير في القلب سعى في إفساده وإحراقه، فأمر أن يستعذ بالله منه لئلا يفسد عليه ما يحصل له بالقرآن، ولأن الشيطان أحرص ما يكون على الانسان عندما يهم بالخير ويدخل فيه، فهو يشتد عليه حينئذ ليقطعه

(٢) سورة النحل، الايات: ٩٨ - ١٠٠

عنه ، ويزين له الكلام الباطل ، والآراء المتهاضة ، والخيالات المتناقضة التي هي  
زبالة الأذهان ، ونخالة الأفكار ، والزبد الذي تقذف به القلوب المظلمة المتحيرة  
التي تمدل الحق بالباطل ، والخطأ بالصواب ، وقد تقاذفت بها أمواج الشبهات ،  
ورافت عليها غيوم الخيالات ، فركبها القيل والقال ، والشك والتشكيك ،  
وكثر الجدال . ليس لها حاصل من اليقين يؤمّل عليه ، ولا ممتدّد مطابق للحق  
يرجع إليه . يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً ، فقد اتخذوا لاجل  
ذلك القرآن مهجوراً ، وقالوا - من عند أنفسهم ، مما ألقاه الشيطان في قلوبهم :-  
منكرأ من القول وزوراً ، فهم في شكّهم يمهون ، وفي حيرتهم يتكهون (١) ، قد  
نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، واتبعوا ما تتلوا الشياطين على  
قلوبهم من (٢) الشبهات والشهوات ، فهم اليه يتحاكمون . قد فارقوا الدليل ،  
واتبعوا من أضلهم عن سواء السبيل ، وقد قدم الشيطان للانسان كل مقصد ،  
ورصد كل مرصد ، وألقى في وهمه الشبهات ، وأطفأ نور بصيرته بدخان  
الشهوات والتخيلات ، فلا راد لشهوته ، ولا كاشف لشبهته ، إلا بذكر الله  
صدق الالتجاء اليه ، والاستعاذة به والتوكل عليه ، فانه جل شأنه يدبر أمر  
الممالك ، ويسلم من المخاوف والمهلك ، ويأمر وينهى ، ويخلق ويرزق ، ويميت  
ويحيي ، ويقضي ويمضي ، ويمزق ويذل ، ويقطب الليل والنهار ، ويداول الايام  
بين الناس ، وينشئ الدول ، فيذهب بدولة ويأتي بأخرى ، ورسل الملائكة ما بين  
ساعداً بالأمر ونازل به . أوامره متعاقبة ، وآياته نافذة ، فما شاء كان كما شاء ،  
في الوقت الذي يشاء ، على الوجه الذي يشاء ، من غير زيادة ولا نقصان ، ولا  
تقدم ولا تأخر ، وأمره وسلطانه نافذ في السموات وأقطارها ، وفي الارض وما  
عليها وما تحتها ، وفي البحار والجوّ وسائر أجزاء العالم وذراته ، يقلبها ويصرفها

(١) المتكلمة : من يركب رأسه لا يدري أين يتوجه .

(٢) كان الكلام مطبوساً في الاصل .

كيف يشاء ، ويحدث فيها ما يشاء . قد أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً ، ووسع كل شيء رحمة وحرمة . قد وسع سمعه الأصوات فلا تختلف عليه ، ولا تشبیه ببعضها ، بل يسمع ضجيجها باختلاف لغاتها ، على تفنن حاجتها ، فلا يشغله سمع عن سمع ، ولا تفلطه المسائل ، ولا يتبرم بالخاح الملحين . وأحاط بصره بكل الرئيات ، فيرى ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، فالغيب عنده شهادة ، والسر لديه علانية ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، له الخلق والأمر ، وله الملك والحمد ، وله النعمة وله الفضل ، وله الثناء الحسن الجميل . شملت قدرته كل ممكن ، ووسمت رحمته كل شيء ، وسبغت نعمته على كل حي ، يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن ، وهذه شؤون بيديها لا يتديها ، بفرجهما ، ويكشف غمها ، ويجبر كسيرا ، وينفي فقيراً ويعلم جاهلاً ، ويهدي ضالاً ، ويرشد حيراناً ، وينيث لهفاناً ، ويرد غائباً ، ويقبل تائباً ، ويستر عورة ، ويؤمن روعة ، لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفمه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل . حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه . يمينه ملائى وكلتا يديه يمين ، لا يفيضها نفقة ، سحائب الليل والنهار ، قلوب البعاد ونواصيهم بيده ، وأزمة الأمور معقودة بقضائه ، وقدره ، الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، لا تنصره الذنوب ، ولا تنفمه الطاعات ، فلو أن الأشجار من حيين وجدت الى اتقضاء الدنيا أقلام ، والبحور وأضفاف أضفافها مداد ، فكتب بتلك الأقلام وذلك المداد ، لفنيت الأقلام ونفدت المداد ، ولم تنفذ كلمات الله ، وكيف تفتى كلماته وهي لا بداية لها ولا نهاية ، فهو الأول الذي ليس قبله شيء ، والآخر الذي ليس بعده شيء ، والظاهر الذي ليس فوقه شيء ، والباطن الذي ليس دونه شيء . أحق من ذكر ، وأولى من



شكر ، وأحق من عبد ، وأحق من حمد ، وأرأف من ملك ، وأجود من سئل ،  
وأعفا من قدر ، وأكرم من قصد ، وأنصف من حكم ، وأعدل من انتقم . هو  
الملك لا شريك له ، والفرد فلا ند له ، والنفي فلا ظهير له ، والصمد فلا ولد له  
ولا صاحبة . كل شيء هالك إلا وجهه ، وكل ملك زائل إلا ملكه ، وكل فضل  
منقطع إلا فضله ، لن يطاع إلا بأذنه وفضله ، ولن يعصى إلا بهله وعدله ، يطاع  
فيشكر ، ويعصى فيغفر ، كل نعمة منه فضل ، وكل تقمة منه عدل ، أقرب  
شهود ، وأدنى حفيظ ، حال دون النفوس ؛ وأخذ بالخواص . إذا أراد شيئاً إنما  
يقول له : كن فيكون . حارت العقول في قدرته ، وأذعنت الأسباب لحكمته ،  
لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، فأين تقع الأوهام والظنون ؟ أم كيف تشرف  
البصيرة على عموم قدرته ؛ وإرادته وحكمته وعلمه ، وهو الخالق ، وهي المخلوقة  
الأسيرة ؟ فلا سلامة لمن لا يسلم ، ولا فوز ولا فلاح لمن لا يذعن ؛ ويتقاد  
لأوامر الملك الجواد ، فنسأله الهداية والمعونة ، والكفاية والمؤونة ، ولا حول  
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الثالث : في الحديث دليل على كراهة كثرة السؤال عن مثل  
هذه المسائل .

وفي « مسند الامام أحمد » و « سنن أبي داود » ، بأسناد حسن ، عن معاوية  
رضي الله عنه ؛ نهى رسول الله ﷺ عن الأغلوطات . ومثله قول ابن مسعود  
رضي الله عنه ؛ وأندرتكم صباب المنطق .

قال الجلال السيوطي في « الدر » : الأغلوطات والمطلوبات - بفتح الهمزة -  
المسائل التي يفاط بها العلماء ليزلوا ، فيهبج بذلك شروفتة وفي « الصحيحين »  
وغيرهما ، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه : إن الله حرم عليكم عقوق  
الأمهات ، ووأد البنات ، ومنعاً وهات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة

السؤال وإضاعة المال . قيل : المراد بكثرة السؤال عن المشكلات والمعضلات من المسائل الكلامية ، والأقيسة الجدلية ، لما في ذلك من التنطع والقول بالظن ، إذ لا يخلو صاحبه من الخطأ . وقد قال تعالى : « لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسوكم » (١) لكن خصوا هذه الآية بزمن نزول الوحي ، ويشير إليه حديث : أعظم الناس جرماً عند الله من سأل عن شيء لم يحرم ؛ فحرم من أجل مسألته .

وأخرج أبو داود من حديث بريدة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : إن من البيان سحراً ، وإن من العلم جهلاً . قال الحافظ ابن رجب : فسر مصمصه بن صوحان قوله : إن من العلم جهلاً ؛ أن يتكلف العالم إلى علمه ما لا يعلم ، فيجهله ذلك . قال ابن رجب : ويُفسر أيضاً بأن العلم الذي يضر ولا ينفع ؛ جهل ، لأن الجهل به ؛ خير من العلم به ، فإذا كان الجهل به خيراً منه ؛ فهو شر من الجهل ، وهذا كالسحر والعلوم المضرة في الدين .

وفي « السنن » حديث مرفوع : ما ضل قوم بمد هدى ؛ إلا أوتوا الجدل ، ثم قرأ : « ما ضربوه لك إلا جدلاً ، بل هم قوم خصمون » (٢) . وقد قال بعض السلف : إذا أراد الله بعبده خيراً ؛ فتح له باب العمل ، وأغلق عنه باب الجدل ، وإذا أراد بعبده شراً أغلق عليه باب العمل ، وفتح له باب الجدل .

وقال الامام مالك : أدركت أهل هذه البلدة ؛ وإنهم ليكرهون هذا الاكثار الذي فيه الناس اليوم ، يريد المسائل ، وكان يكره الجواب في كثرة المسائل ويقول : قال الله تعالى : « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي » (٣) فلم يأت

(١) سورة المائدة ، الآية : ١٠١

(٢) سورة الزخرف ، الآية : ٥٨

(٣) سورة الاسراء ، الآية : ٨٥

في ذلك بجواب ، وقال : المرء في العلم يقسي القلب ، ويورث الضغن . قال الحافظ ابن رجب : وهذا سبيل الامام أحمد ؛ قال : وقد ورد النهي عن كثرة المسائل ، وعن أغلوطات المسائل .

وفي « أعلام الموقعين » للامام ابن القيم ، ذكروا المسائل عند معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنها . فقال : أنظموا أن رسول الله ﷺ نهى عن عضل المسائل ؟

وروى ابن أبي خيثمة عن سهل ابن سعد رضي الله عنه ؛ قال : لعن رسول الله ﷺ المسائل وعابها .

وسئل الامام مالك عن قول رسول الله ﷺ : أنها كم عن قيل وقال ، وكثرة السؤال ؛ فقال : أما كثرة السؤال ؛ فلا أدري ، أهو ما أنتم فيه فما أنها كم عنه من كثرة المسائل ؟ فقد كره رسول الله ﷺ المسائل وعابها ، وقال ﷺ : ذروني ما تركتكم ، فإنما أهلك من قبلكم كثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم .

وقد قال ابن عبال رضي الله عنها ؛ ما رأيت قوماً خيراً من أصحاب رسول الله ﷺ ، ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة ؛ حتى قبض ﷺ ، كلهم في القرآن : « يسألونك عن الهيبض » (١) « يسألونك عن الشهر الحرام » (٢) « يسألونك عن اليتامى » (٣) ما كانوا يسألونه إلا عما ينفعهم . قال أبو عمر بن عبد البر : ليس في الحديث من الثلاث عشرة مسألة إلا ثلاث . قال ابن القيم : مراد ابن عباس رضي الله عنها ، ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة ، المسائل التي حكاها الله في القرآن عنهم ، وإلا فالمسائل التي سألوه عنها ، وبين لهم أحكامها بالسنة ، لا تكاد تحصى ، ولكن إنما كانوا يسألون عن الواقعات ، ولم يكونوا يسألونه عن المقدرات ، والأغلوطات ، وعضل

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢١٧

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٢

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٠

المسائل ، ولم يكونوا يشتغلون بتفريع المسائل ، وتوليدها ، بل كانت لهمهم مقصورة على تنفيذ ما أمرهم به ، فاذا وقع بهم أمر سألوا عنه فأجابهم .

قلت : والمذموم من كثرة المسائل إنما يراد السؤال عن الكلام الباطل ، والآراء المتهافة ، والخيالات المتناقضة التي هي زبالة الأذهان ، ونحاتة الأفكار ، لا عن المسائل الشرعية بأدلتها المرضية . ويدل على هذا كلام أئمة الدين من المتقدمين والمتأخرين ، ولهذا قال الامام مالك لابن وهب وهو ينكر كثرة المسائل والجواب عنها : يا عبد الله ! ما علمته فقل به ، ودل عليه ، وما لم تعلم فاسكت ، وإياك أن تتقلد الناس قلادة سوء .

وقد روى ابن عبد البر بسنده الى عبدالله بن الامام أحمد بن حنبل ، عن

أبيه رضي الله عنه ، قال :

دين النبي محمد آثار	نعم المطيئة لفق الأخبار
لا تخدعن عن الحديث وأهله	فالرأي ليل والحديث نهار
ولا يجاهل الفقه طرف الهدى	والشمس طالمة لها أنوار

والله أعلم .

الرابع : فيما ذكرنا من الأحاديث ، وكذا نفس الحديث المشروح ؛ دليل على ذم التفكير في ذات الله تعالى . وقد ورد ذلك صريحاً ، فأخرج الطبراني في « الاوسط » وابن عدي في « الكامل » والبيهقي في « شعب الايمان » من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله . ورواه ابو الشيخ أيضاً .

وروى أبو نعيم في « الحلية » من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله .

وروى أبو الشيخ في كتاب « المظنة » عن ابن عباس أيضاً رضي الله عنهما ،

مرفوعاً : تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله ، فإن بين السماء والسابعة الى كرسيه سبعة آلاف نور ، وهو فوق ذلك .

وأخرج أبو الشيخ أيضاً ، عن أبي ذر رضي الله عنه ، مرفوعاً : تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا .

وقد صح عن بعض السلف أنه قال : تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة . قلت : وقد روي مرفوعاً من حديث أبي هريرة ، ولا يصح رفعه ، فإن سنده واهٍ ، بل موضوع .

قال ابن القيم في كتابه « مفتاح دار السعادة » : سألت رجل أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنها بمد موته ، عن عبادته ، فقالت : كان نهاره أجمع في بادية الفكر . وقال الحسن : تفكر ساعة خير من قيام ليلة . قال الفضيل : التفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك . وقيل لابراهيم بن آدم : إنك تطيل الفكرة ، فقال : الفكرة مع العقل . وقال عمر بن عبد العزيز : الفكرة في نعم الله من أعظم العبادة . وقال بشر الحافي : لو فكر الناس في عظمة الله ماعصوه .

والحاصل أن التفكير باب التذكر ، والتذكر ثمرة التبصر ، فالتبصرة : التمثل . والذكرى : التذكر ، والفكر باب ذلك ومدخله ؛ فإذا فكر تبصر ؛ وإذا تبصر تذكر ؛ فالتفكير والتذكر أصل الهدى والصلاح ، وهما قطبا السعادة . قال الحسن البصري : مازال أهل العلم يمدون بالتذكر على التفكير ؛ والتفكير على التذكر ، ويناطقون القلوب حتى نطقت ؛ فإذا لها أسماع وأبصار ، فالتفكير طلب القلب ما لم يكن يحصل من العلوم من أمر هو حاصل منها ، هذا حقيقته ، فإنه لو لم يكن سمٌّ مراد يكون مورد للفكر ؛ استحالة الفكر ، لأن الفكر بغير متعلق متفكر فيه محال ، وتلك المواد هي الأمور الحاصلة ، ولو كان المطلوب بها حاصلاً

عنده لم يفكر فيه ، فالتفكر ينتقل من المقدمات والمبادئ التي عنده الى المطلوب الذي يريد ، فاذا ظفر به ، وتحصّل له ، تذكر به وأبصر مواقع الفعل والترك ، وما ينبغي إيثاره ، وما ينبغي اجتنابه ، فالتذكر : هو مقصود التفكير وثمرته ، فاذا تذكر ، عاد بتذكره على تفكره فاستخرج به ما لم يكن حاصلًا عنده ، فهو لا يزال يكرر بتفكره على تذكره ، ويتذكره على تفكره مادام عاقلًا ، لأن العلم والارادة لا يقفان به على حد ، بل هو دائماً سائر بين العلم والارادة . قال تعالى : « والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، <sup>(١)</sup> فاذا عرف معنى كون آيات الرب تبارك وتعالى تبصرة وذكرى يتبصر بها من عمى القلب ، ويتذكر بها من غفلتسه . وعلى كل حال ، أحسن ما اتفقت فيه الأنفاس ؛ التفكير في آيات الله ، وعجائب صنمه ، والانتقال منها الى تعلق القلب والهمة به دون شيء من مخلوقاته ، وبه التوفيق .

#### الحديث السادس والاربعون

٩١ - ثنا محمد بن فضيل ، ثنا المختار بن فلفل ، عن

أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، وقد انصرف من الصلاة ، فأقبل إلينا ، فقال : يا أيها الناس ! إني إمامكم ، فلا تسبقوني بالكوع ، ولا بالسجود ، ولا بالقيام ، ولا بالقعود ، ولا بالانصراف ، فإني أراكم من

(١) سورة في ، الآيتان : ٧ و ٨

أمامي ، ومن خلفي ، وإيمُ الذي نفسي بيده ، لو رأيتم ما رأيتمُ  
 لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً . قالوا : يا رسول الله ! وما  
 رأيتَ ؟ قال : رأيتُ الجنة والنار .

قال رضي الله عنه : ( ثنا محمد بن فضيل ) الضبي قال : ( ثنا المختار بن فلعل )  
 الخزومي ( عن أنس بن مالك ) رضي الله عنه ، ( قال : قال رسول الله ﷺ  
 ذات يوم ) قيل : لفظه ذات مقحمة ، وفأندتها دفع مجاز المشاركة ، وقيل : ذات  
 الشيء : نفسه وحقيقته ، والمراد بها ما أضيف إليه ، أي قال ﷺ يوماً ، فإن  
 العرب يستعملون ذات يوم ، وذات ليلة ، ويريدون حقيقة المضاف إليه بنفسه  
 في اليوم والليلة ، قال في «المطالع» : وتكون ذي صلة دعماً للكلام ، كقولهم :  
 ذات يوم ، وذات ليلة .

وفي «البخاري» في الحديث : ذات يوم ، وذات ليلة ، ويصلح ذات بينهم ،  
 فذات الشيء ؛ نفسه وحقيقته ، أي الذي هو كذا ، إذا لم يشر إليه ، وقد  
 استعمل المتكلمون الذات بالألف واللام ، وغلطهم في ذلك أكثر النحاة ، لأنها  
 من المبهات ، وأجاز بعض النحاة قولهم : الذات ، وأنها كناية عن المعنى ، وحقيقة  
 الشيء ، وعن الخلق والصفات . انتهى ملخصاً . ( وقد انصرف ) ﷺ ( من  
 الصلاة ) الواو في قوله : وقد انصرف ، واو الحال . ( فأقبل البنا ) ولفظ مسلم :  
 فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجه الشريف ( فقال : يا أيها ) وسقطت يا من  
 رواية مسلم ( الناس ! إني إمامكم ) بكسر الهمزة ، فإذا علمت أي إمامكم ، وأنتم  
 مقتدون بي ( فلا تسبقوني ) لأن الامام إنما جعل إماماً ليقتدى به ويتبع ، ومن  
 شأن التابع أن لا يسبق متبوعه ، ولا يتقدم عليه في موقفه ، بل يراقب أحواله ،  
 ويأتي على أثره . ومقتضى ذلك أن لا يتألفه في شيء من الأحوال . قال العلماء :

متابعة الامام واجبة في الأفعال الظاهرة ، وقد نبه النبي ﷺ عليها بقوله .  
 (بالركوع) وماعطف عليه ، والجار والمجرور متعلق بلا تسبقوني .  
 وفي «الصحيحين» وغيرهما : فاذا ركع - أي الامام - فاركموا ؛ فمقتضاه  
 أن ركوع المأموم يكون بعد ركوع الامام ، إما بعد تمام انحائه ، وإما بأن  
 يسبقه الامام بأوله ، فيشرع فيه بعد أن يشرع الامام . وزاد أبو داود من  
 حديث أبي هريرة رضي الله عنه : ولا تركموا حتى يركع ، ولا تسجدوا حتى  
 يسجد . وهي زيادة حسنة ، تنفي احتمال إرادة المقارنة من مفهوم قوله ﷺ : فلا  
 تسبقوني ، وكذا من قوله : إذا كبر فكبروا ، في الحديث الآخر . (ولا)  
 تسبقوني (بالسجود) لأن الاتهام يقتضي متابعة المأموم لمامه ، فتنتفي المقارنة  
 والمسابقة والمخالفة .

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه ﷺ قال :  
 وإذا سجد - أي الامام - فاسجدوا .

وفيهما من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما : وإذا رفع - يعني النبي  
 ﷺ - رأسه من الركوع فقال : سمع الله لمن حمده ، لم نزل قياما حتى نراه قد  
 وضع وجهه في الأرض فنتبسه . وفي لفظ : لم يحن منا أحد ظهره حتى يقع  
 النبي ﷺ .

وفي «مسند الامام أحمد» ، حتى يسجد فيسجدون . واستدل به الامام  
 الحافظ ابن الجوزي على أن المأموم لا يشرع في الركن حتى يتمه الامام ، وتعب  
 بأن ليس في الحديث إلا التأخر حتى يتلبس الامام بالركن الذي ينتقل اليه ،  
 بحيث يشرع المأموم بعد شروعه بالتلبس به ، وقبل فراغه منه .  
 ووقع في حديث عمرو بن حريث عند مسلم : فكان لا يحني أحد منا ظهره  
 حتى يستم ساجداً .



ولابي يعلى من حديث أنس حتى يتمكن النبي ﷺ من السجود . وهذا واضح في انتفاء المقارنة ( ولا ) تسبقوني ( بالقيام ) من السجود ، ولا بالقيام من التشهد الى الركعة ( ولا ) تسبقوني ( بالعود ) بأن يرفع أحدكم رأسه من السجدة الثانية فيقدم قبل رفع رأسي ليتشهد .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الامام ؛ أن يحول الله رأسه رأس حمار ، أو يجعل صورته صورة حمار . وفي لفظ آخر : وجه حمار . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : وهذه الروايات منقفة في المعنى ، لأن الوجه في الرأس ، ومعظم الصورة فيه ، وهو يطلق على الوجه أيضاً ؛ لكن رواية الرأس أكثر ، وهو أشمل ، فهي الممتدة .

وظاهر هذا وغيره من الأحاديث ، يقتضي تحريم الرفع قبل الامام ، لكونه توعد عليه بالمسخ ، وهو أشد العقوبات ، وبه جزم أئمة مذهبنا وغيرهم ، قال في « شرح المقنع » : من فعل ذلك عامداً أثم ، وبطلت صلاته في ظاهر كلام الامام أحمد ، فانه قال : ليس لمن سبق الامام صلاة ، لو كان له صلاة لرجي له الثواب ، ولم يخش عليه العقاب . وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أنه نظر الى من سبق الامام فقال : لا وحدك صليت ، ولا بإمامك اقتديت . نعم ، إن رفع رأسه قبل إمامه ساهياً أو جاهلاً لم تبطل صلاته ، لأنه سبق يسير ، واقوله ﷺ : عفي لأمتي عن الخطأ والنسيان ، وعليه أن يرجع إياي به بمسده ، ليكون مؤتماً بإمامه ، فإن لم يفعل عالماً عمداً بطلت صلاته ، لتركه الواجب عمداً ، خلافاً للقاضي أبي يعلى ، وهو قول جمهور العلماء ؛ أنه يأنم ولا تبطل ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنها تبطل ، وكذا قال أهل الظاهر ، بناء على أن النبي ﷺ يقتضي الفساد .

تفسيه : حذف في « صحيح مسلم » لفظ : ولا بالقعود ( ولا ) تسبقوني  
 (بالانصراف) أي من الصلاة ، فيحرم ، وتبطل به الصلاة من غير عذر يبيح  
 للمأموم مفارقة إمامه ، يعني إن تعمد السلام قبل الامام ، وكره إن وافقه فيه ،  
 وهذا كله في « صحيح مسلم » .

وروى البخاري من حديث أنس رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال :  
 إنما جعل الامام ليؤتم به ، فلا تكبروا حتى يكبر ، ولا تركعوا حتى يركع ،  
 ولا ترفعوا حتى يرفع . وأشهر الحديث باعتبار وجوب المتابعة في الانصراف من  
 الصلاة ، وذلك بالسلام ، كما جاء في الحديث : تحريمها - أي الصلاة - التكبير ،  
 وتحليلها التسليم .

قال في « بدائع الفوائد » : تحريم الصلاة : الباب الذي يدخل منه إليها ،  
 وتحليلها : بابها الذي يخرج منها ، فالتكبير باب الدخول ، والتسليم باب الخروج ،  
 لحكمة بائنة يفهما من عقل عن الله ، وألزم نفسه بتأمل محاسن هذا الدين العظيم ،  
 وسافر فكره في استخراج حكمه وأسراره وبدائمه ، وتفرغ عن عالم المادة  
 والالاف ، فلم يقنع بمجرد الأشباح حتى يعلم ما يقوم بها من الأرواح ، ثم ذكر  
 أن المصلي لما كان قد تخلى عن الشواغل ، وقطع جميع الملائق ، وتطهر ، وأخذ  
 زينته ، وتهايا للدخول على الله تعالى ومناجاته ، فشرع له أن يدخل عليه دخول  
 المبيد على الملوك ، فيدخل بالتعظيم والاجلال ، فشرع له أبلغ لفظ يدل على هذا  
 المعنى . وهو قول : الله أكبر ، فإن في هذا اللفظ من التعظيم والتخصيص  
 والاطلاق في جانب المحذوف المجرور بمن ، ما لا يوجد في غيره ، وبهذا كان السواد  
 أن غير هذا اللفظ لا يقوم مقامه ، ولا يؤدي معناه ، ولا تتعقد الصلاة إلا  
 كما هو مذهب أهل الحديث من أهل المدينة ، والحنابلة ، والشافعية ، فإن القلب  
 متى استشعر أن الله أكبر من كل ما يخطر بالبال ، استحيى منه أن يشغل قلبه

في الصلاة بغيره ، فلا يكون موفياً لمنى الله أكبر ، ولا مؤدياً لحق هذا اللفظ : ولا أتى البيت من بابه . بل الباب عنه مسدود ، وقد أجمع السلف أن ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها ، وما أحسن ما قال الامام الحافظ ابن الجوزي في بعض مجالس وعظه : حضور القلب أول منزل من منازل الصلاة ، فاذا نزلته انتقلت الى بادية المعنى ، فاذا رحلت عنها أنحيت يباب المناجاة ، فكان أول قرى ضيف اليقظة ، كشف الحجاب عن عين القلب ، فكيف يطمع في دخول سكة من لا يخرج (١) إلى البادية بمد تشعب قلبك في كل واد ، فربما تفجأك الصلاة وليس قلبك عندك ، فتمتث الرسول وراه . فلا يصادفه ، فتدخل في الصلاة بغير قلب ، والمقصود : أنه قبيح بالعبد أن يقول بلسانه : الله أكبر ، وقد امتلأ قلبه بغير الله ، فهو بلا قلبه في الصلاة . ولعله لا يحضر بين يدي ربه في شىء منها ، فلو قضى حق الله أكبر ، وأتى البيت من بابه لدخل وانصرف بأنواع التحف والخيرات ، فهذا الباب الذي يدخل منه المصلي وهو التحريم .

وأما الباب الذي يخرج منه ، فهو باب السلام المتضمن أحد الأسماء الحسنى ، فيكون مفتتحاً لصلاته باسمه تبارك وتعالى ، ومختتماً لها باسمه ، فيكون ذا كراً لاسم ربه أول الصلاة وآخرها ، فأولها باسمه ، وآخرها باسمه ، فدخل فيها باسمه ، وخرج منها باسمه ، مع ما في اسم السلام من الخاصية والحكمة المناسبة لانصراف المصلي من بين يدي الله ، فان المصلي ما دام في صلاته بين يدي ربه ، فهو في حماه الذي لا يستطيع أحد أن يخفزه ، بل هو في حمى من جميع الآفات والشورور ، فاذا انصرف من بين يديه تعالى ، ابتدرته الآفات والبلايا والمحن ، وتعرضت له من كل جانب ، وجاءه الشيطان ، بمصائده وجنده ، فناسب أن ينصرف من بين يدي الله مصحوباً بالسلام ، فلم يزل عليه حافظ من الله الى وقت

(١) في الاصل : لا يخرج ، ولعله تصحيف .

الصلاة الأخرى ، فكان من تمام النعمة عليه أن يكون انصرافه من بين يدي ربه بسلام يستصحبه ، ويدوم له ، ويبقى معه ، فتدبر هذا السر الذي من تدبره حق تدبره ، وأعطاه حقه من التحقيق والتدقيق ، رقص القلب له فرحاً وسروراً ، وانشرح له الصدر بهجة وجوراً .

وقد روى الامام أحمد وأصحاب السنن ، وصححه الترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ كان يسلم عن يمينه وعن يساره ، السلام عليكم ورحمة الله ، السلام عليكم ورحمة الله ، حتى يرى بياض خده .  
وروى الامام أحمد ، ومسلم ، نحوه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه . ورواه أيضاً النسائي ، وابن ماجه ، ولفظه : كنت أرى النبي ﷺ ، يسلم عن يمينه وعن يساره ، حتى يرى بياض خده .

وروى أبو داود ، وابن ماجه ، عن سمرة بن جندب رضي الله عنه ، قال : أمرنا رسول الله ﷺ : أن نسلم على أيماننا ، وأن نسلم بعضنا على بعض . ولفظ أبي داود : أمرنا أن نرد على الامام ، وأن نتحاب ، وأن يسلم بعضنا على بعض . والله أعلم .

### تنبيهان

الأول : لا بد في صلاة الغرض من تسليمين عند الامام أحمد على متمدذه ، ويخرج من صلاة النفل بتسليمة واحدة ، فالثانية في النفل سنة ، وهي في صلاة الجنائز مباحة .

وعند مالك ، والشافعي ، يخرج من الصلاة مطلقاً بتسليمة واحدة . وعند أبي حنيفة لا يعتبر التسليم ، فيخرج من الصلاة مطلقاً ولو بفعل نفسه بعد إتمام التشهد المعتبر عنده ، والله أعلم .

الثاني : يجب على المأموم متابعة الامام ، فلو كبر الاحرام معه لم تنفقد الصلاة ، وفاقاً لمالك ، والشافعي ، خلافاً لأبي حنيفة ، فمعه الأفضل تكبيره معه ، لأنه شريكه في الصلاة ، قال : وحقيقة المشاركة في المقارنة ، وعند أبي حنيفة : لو سلم قبل إمامه بلا عذر عمداً لم تبطل صلاته ، وقال الحنفية : معنى الاتهام الامتثال ، فمن فعل مثل ما فعل إمامه ، عدّ ممتثلاً . والله أعلم . ( فاني ) فيه إشارة الى سبب النهي عن المسابقة ، كأنه قال : إنما قلت لكم الذي قلته ، لأنني تحققت منكم المسابقة ، وذلك لأنني ( أراكم من أمامي ) بفتح الهمزة : تقيض الوراثة ( ومن خلني ) تقيض قدامي ، وفي لفظ في « الصحيحين » من حديث أنس رضي الله عنه ، قال رسول الله ﷺ : أقيموا الركوع والسجود ، فوالله إنني لأراكم من بمدي ، وربما قال : من بعد ظهري ، إذا ركعتم وسجدتم . وفي بعض طرق البخاري ، عن أنس ، أنه ﷺ قال : إنني لأراكم من ورائي ، كما أراكم يعني من أمامي .

وفي « الصحيحين » أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه ﷺ قال : إنني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي .

وقد اختلف العلماء في معنى ذلك ، فقيل : المراد بذلك : العلم ، وفي هذا نظر ، لأن العلم لو كان مراداً لم يقيد بقوله : من وراء ظهري . وقيل : يرى عن يمينه ، ومن عن يساره ، ممن تدركه عينه مع التفات يسير في النادر ، ويوصف من هو هناك بأنه وراء ظهره ، وهذا ظاهر التكلف ، وفيه عدول عن الظاهر بلا موجب ؛ بل المختار حمله على ظاهره ، وأن هذا الإبصار إدراك حقيقي خاص به ﷺ ، انخرقت له فيه المادة ، وعلى هذا يدل صنيع البخاري ، فإنه أخرج هذا الحديث في علامات النبوة ، وهو المتقول عن الامام أحمد وغيره ، ثم ذلك الإدراك يجوز أن يكون برؤية عينيه ، انخرقت له العادة فيه

أيضاً ، فكان يرى بها من غير مقابلة ، لأن الحق عند أهل السنة أن الرؤية لا يشترط لها - عقلاً - عضو مخصوص ، ولا مقابلة ، ولا قرب ، وإنما تلك أمور عادية ، ويجوز حصول الإدراك مع عدمها عقلاً ، ولذلك حكموا بجواز رؤية الله تعالى في الدار الآخرة ، خلافاً لأهل البدع ، لوقوفهم مع المادة ، وقيل : كانت له عين خلف ظهره يرى بها من ورائه دائماً ، وقيل : كان بين كتفيه عينان كسم الخياط يبصر بها لا يحجبها ثوب ولا غيره ، وقيل : بل كانت صورم تنطبع في حائط قبلته كما تنطبع في المرآة ، فيرى أمثلتهم فيها ، فيشاهد فطهم . والخيار كما في « الفتح » : أن المراد بالرؤية : الإبصار . قال : وظاهر الحديث أن ذلك يختص بحالة الصلاة ، ويحتمل أن يكون ذلك واقفاً في جميع أحواله ، وقد نقل ذلك عن مجاهد . وحكى بقي ، عن غلذ ، أنه ﷺ كان يبصر في الظلمة ، كما يبصر في الضوء . انتهى . قال القرطبي في « شرح مسلم » : حملها على ظاهرها أولى ، لأن فيه زيادة في كرامة النبي ﷺ . قال الزين ابن المنير : لا حاجة إلى تأويلها ، لأنه في معنى تمطيل لفظ الشارع من غير ضرورة . قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » : الختار حملها على الحقيقة ، خلافاً لمن زعم أن المراد بها خلق علم ضروري له بذلك ، أو نحو ذلك ، قال : وأغرب الداودي فحمل قوله ﷺ : فوالله إني لأراكم من بعدي على ما بعد الوفاة ، يعني أن أعمال الأمة تعرض عليه ، قال الحافظ : وكأنه لم يتأمل سياق حديث أبي هريرة ، حيث يبين فيه سبب هذه المقالة ، ولا شك أن حديث أنس ، وحديث أبي هريرة ، يدلان على أن القضية واحدة .

وعند الامام أحمد : صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر ، وفي مؤخر الصفوف رجل ، فأساء الصلاة . وعنده أيضاً من حديث أبي سعيد رضي الله عنه ، أن بعض الصحابة تمدد المسابقة ، لينظر هل يعلم به رسول الله ﷺ أو لا ، فلما

قضى الصلاة نهاء عن ذلك . واختلاف هذه الأسباب يُحمل على أن جميع ذلك صدر من جماعة في صلاة واحدة ، أو في صلوات ، والله أعلم .

ثم قال **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** : ( وأيم الذي نفسي بيده ) ، لفظة وأيم بألف الوصل ، من ألفاظ القسم . قال في «القاموس» : واليمين : القسم مؤنثة ، ومن ألفاظه : أَيْمَنُ ، وإيمان ، وأَيْمَنُ الله ، وأيمُ الله ، ويكسر أولهما ، وأَيْمَنُ الله ، بفتح الميم والهمزة وتكسر ، وإيم : بكسر الهمزة والميم ، وقيل : أَلْفُه ألف وصل ، وَهَيْمُ الله ، بفتح الهاء . وضَم الميم ، وأم الله مثلثة الميم ، وإم الله بكسر الهمزة وضَم الميم وفتحها ، ومُنِ اللهُ بضم الميم وكسر النون ، ومُنِ اللهُ مثلثة الميم والنون ، وفيها لثاق آخر كلها ألفاظ قسم . والذي نفسه بيده هو الله جل شأنه ، وتعالى سلطانه . وأنى بالقسم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** لمزيد التأكيد ، وإن لم يكن عند السامع فيه شك ، فدل على جواز الحلف ، ولا سيما على الأمر المهم توكيداً له .

قال الامام ابن القيم في كتابه «أعلام الموقعين» : يجوز للمفتي والمناظر أن يحلف على ثبوت الحكم عنده ، وإن لم يكن حلفه موجِباً لثبوتِه عند السائل والمنازع ، ايشمر السائل والمنازع له أنه على ثقة ويقين بما قال ، وأنه غير شاكٍ فيه ، فقد تناظر رجلان في مسألة ، فحلف أحدهما على ما يعتقدُه ، فقال له مناظره : لا يثبت الحكم بحلفك ، فقال : إني لم أحلف لأثبت الحكم عندك ، ولكن لأعلمك أنني على يقين وبصيرة من قولي ، وأن شهنتك لا تغير عندي في وجه يقيني بما أنا جازم به . قال : وقد أمر الله نبيه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن يحلف على ثبوت الحق الذي جاء به في ثلاث مواضع من كتابه : أحدها قوله : «ويستنبؤونك أحق هو قل أي وربِّي إنه الحق» (١) ، الثاني قوله تعالى : «وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربِّي لتأتينكم» (٢) ، الثالث قوله : «زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربِّي لتبعثن» (٣) .

(٢) سورة سبأ ، الآية : ٣

(١) سورة يونس ، الآية : ٥٣

(٣) سورة التفتان ، الآية : ٧

وقد أقسم النبي ﷺ على ما أخبر به من الحق في أكثر من ثمانين موضعاً ، وهي موجودة في «الصحيح» و«السنن» و«المسانيد» ، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يملفون على الفتاوى والرواية ، وقد حلف الامام أحمد رضي الله عنه على عدة مسائل من فتاويه<sup>(١)</sup> ، وكذا الشافعي وغيرها من أئمة الدين رضي الله عنهم أجمعين . وقد قال تعالى : « فوب الساء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون »<sup>(٢)</sup> ، وقال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم »<sup>(٣)</sup> الآية ، وقد قال تعالى : « فوبك لنسألهم أجمعين عما كانوا يعملون »<sup>(٤)</sup> ، وكذلك أقسم بكلامه ، كقوله : « يسن والقرآن الحكيم »<sup>(٥)</sup> ، « ق والقرآن المجيد »<sup>(٦)</sup> « ص والقرآن ذي الذكر »<sup>(٧)</sup> ، وأما أقسامه تعالى بمخلوقاته التي هي آيات دالة عليه تعالى فكثيرة جداً ، وأقسم جل شأنه بحياة نبيه المصطفى ﷺ في قوله : « لعمرك إنهم لاني سكرتهم يعمهون »<sup>(٨)</sup> وهذه مزية وتكرمة لنبينا ﷺ عظيمة ، ومنقبة جسيمة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . ( لو رأيتم مارأيت لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً ) هذا جواب القسم الذي أقسم به ﷺ ، وهو قوله : وايم الذي نفسي بيده .

وفي « الصحيحين » من حديث أنس رضي الله عنه ، قال : خطب رسول الله ﷺ خطبة ماسمت مثلاً قط ، فقال : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً ، ففطن أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ، لهم خنين ، أي

(١) وقد قنا بتحقيقها والتعليق عليها برسالة خاصة باسم : « المسائل التي حلف عليها الامام

أحمد » وهي الآن تحت الطبع . (٢) سورة الذاريات ، الآية : ٢٣

(٣) سورة النساء ، الآية : ٦٤ (٤) سورة الحجر ، الايتان : ٩٢-٩٣

(٥) سورة يس ، الآية ١ (٦) سورة ق ، الآية ١

(٧) سورة س ، الآية ١ (٨) سورة الحجر ، الآية ٧٢



بفتح الخاء المعجمة ، بعدها نونان ، بينها ياء تحتية ، وهو البكاء مع غنة بانتشاق الصوت من الأنف .

وروى الحاكم وصححه من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : لو تعلمون ما أعلم ، لبكيتم كثيراً ، واضحكتم قليلاً ، ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله ، لاندرون تنجون أو لاتنجون . قوله : تجأرون ، بفتح المثناة فوق ، وسكون الجيم ، بعدها همزة مفتوحة ؛ أي تنجون وتسفيئون .

وروى نحوه البخاري ، والترمذي ، من حديث أبي ذر رضي الله عنه ، وفيه : والله لو تعلمون ما أعلم ، لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً ، وما تلذذتم بالنساء على الفرش ، ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله ، والله لوددت أني شجرة تمضد . قوله : الصعدات ، هو بضم الصاد والعين المهملتين : الطرقات . ( قالوا ) أي أصحابه ﷺ ، ورضي عنهم : ( يا رسول الله ! وما رأيت ؟ ) استفهما عما هو " وخوف برؤيته ( قال ) ﷺ : ( رأيت الجنة والنار ) ، وفي رواية في « الصحيحين » وغيرهما : بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء ، فخطب فقال : عرضت عليّ الجنة والنار ، فلم أر كاليوم في الخير والشر ، ولو تعلمون ما أعلم ، لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه ، غطوا رؤوسهم ولهم خنين .

وفي « صحيح البخاري » من حديث أنس رضي الله عنه ، قال ﷺ : لقد رأيت الآن منذ صليت لكم الجنة والنار ممثلين في قبلة هذا الجدار ، فلم أر كاليوم في الخير والشر ، أي رأيتها مصورتين في جهة هذا المسجد المقابل لوجهه في الصلاة ساعتئذ .

وروى البيهقي من حديث أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : يا مشر المسلمين ! اربوا فيما رغبكم الله فيه ، واحذروا ما حذركم الله منه ،

وخافوا مما خوفكم الله به من عذابه وعقابه وجهنم ، فانها لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها حلثتها لكم ، ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي أنتم فيها خبثتها عليكم .

وروى الترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعاً : ما رأيت مثل النار نام هاربها ، ولا مثل الجنة نام طالبها ، وأخرجه البيهقي وغيره .

وروى البزار من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنها ، مرفوعاً ، أن رسول الله ﷺ مر بقوم وهم يضحكون ، فقال : تضحكون وذكر الجنة والنار بين أظهركم ، قال : فما رأيت أحد منهم ضاحكاً حتى مات . قال : ونزلت : « نبيء عبادي أي أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابي هو العذاب الأليم » (١)

وأخرج أبو يعلى من حديث ابن عمر رضي الله عنها ، عن النبي ﷺ ، أنه خطب فقال : لا تنسوا العظيمين : الجنة والنار ، ثم بكى حتى جرى أو بل دموعه جانبي لحينه ، ثم قال : والذي نفس محمد بيده ، لو تعلمون ما أعلم من أمر الآخرة ، لمشتيم إلى الصيد ، ولحثيم على رؤوسكم التراب .

وأخرج الامام أحمد من حديث أنس رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال لجبريل : مالي لا أرى ميكائيل ضاحكاً ؟ قال : ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار .

وأخرج مسلم والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : يؤتى بالنار يوم القيامة لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها . وفي الحديث إشارة إلى فضيلة البكاء من خشية الله ، وخوف عقابه .

(١) سورة الجمر ، الآية : ٤٩

وفي «الصحيحين» وغيرها ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال :  
سمعت رسول الله ﷺ يقول : سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله :  
الامام العادل ، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ، ورجل قلبه معلق بالمسجد ،  
ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ، ورجل دعت امرأه ذات  
منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه (١) .  
وأخرج الحاكم وصححه من حديث أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله  
ﷺ قال : من ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله ، حتى يصيب الأرض من  
دموعه لم يمدب يوم القيامة .

وأخرج الامام أحمد واللفظ له ، والنسائي ، والحاكم وصححه ، عن أبي  
ريحانة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : حرمت النار على عين دمت أو بكت  
من خشية الله ، وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله .  
وأخرج الترمذي وحسنه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قال :  
سمعت رسول الله ﷺ يقول : عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ،  
وعين باتت تحرس في سبيل الله .

وروى الاصبهاني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا : كل عين  
باكية يوم القيامة ، إلا عين غضت عن محارم الله ، وعين سهرت في سبيل الله ،  
وعين خرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله عز وجل .

وروى الترمذي وحسنه ، عن أبي أمامة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ  
قال : ليس شئ أحب إلى الله من قطرتين ، وأثرين : قطرة دموع من خشية  
الله ، وقطرة دم يهراق في سبيل الله . وأما الاثران : فأثر في سبيل الله ، وأثر  
في فريضة من فرائض الله .

(١) كذا في الاصل ، سقطت السابعة ، وهي قوله صلى الله عليه وسلم : «ورجل تصدق  
بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» .

وأخرج أبو داود واللفظ له ، والنسائي ، وابن خزيمة ، وابن حبان في صحیحهما ، عن مطرف ، عن أبيه ، قال : رأيت رسول الله ﷺ يصلي ولصدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء وقال بعضهم : لجوفه أزيز كأزيز المرجل ، أي لصدره صوت كصوت الرحى . يقال : أزت الرحى : إذا صوتت ، والمرجل في اللفظ الآخر : القدر ، ومعناه أن لجوفه خنيئاً كصوت غليان القدر إذا اشتد .

وروى الترمذي وحسنه ، وابن أبي الدنيا ، والبيهقي ، من حديث عتبة ابن عامر رضي الله عنه ، قال : قلت يا رسول الله ! ما النجاة ؟ قال : أمسك عليك لسانك ، وليسمعك بينك ، وابتك على خطيئتك .

وروى نحوه الطبراني في «الصغير» و«الأوسط» من حديث ثوبان رضي الله عنه ، ولفظه : قال رسول الله ﷺ : طوبى لمن ملك لسانه ، ووسمه بينه ، وبكى على خطيئته . وإسناده حسن .

وروى الحاكم وصححه ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : لما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ هذه الآية : «يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة» (١) تلاها رسول الله ﷺ ذات يوم على أصحابه ، ففخر فتي مغشياً عليه ، فوضع النبي ﷺ يده على فؤاده فإذا هو يتحرك ، فقال رسول الله ﷺ : يا فتى : قل لا إله إلا الله ، فقلها ، فبشره بالجنة ، فقال أصحابه : يا رسول الله ! أمن بيننا ، فقال : أو ما سمعتم قوله تعالى : ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد» (٢) والأخبار والأحاديث والآثار في ذلك كثيرة ، وفيما أشرنا إليه كفاية ، والله أعلم .

(١) سورة التحريم ، الآية : ٦

(٢) سورة إبراهيم : الآية : ١٤

## الحديث السابع والأربعون

٩٢ - ثنا محمد بن أبي عدي، عن حميد، عن أنس: أن النبي ﷺ كان يصلي ذات ليلة في حُجرته، فجاءه أناس فصلوا بصلاته، فخنق، فدخل البيت ثم خرج فماد مراراً، كل ذلك يصلي، فلما أصبح قالوا: يا رسول الله! صليت، ونحن نحب أن أن تمدّ في صلاتك. قال: قد علمت بمكانكم، وعمداً فملت ذلك.

قال رضي الله عنه (ثنا محمد) بن ابراهيم (ابن عدي) البصري السلمي، الامام الحافظ ابو عمرو، ويقال له: القسمني، لنزوله في القساملة. روي عن شعبة، وابن عون، وحميد الطويل، وداود بن أبي هند، وخاله الحذاء، وعدة. وروى عنه الامام أحمد، ويحيى، وقتيبة، وابنا أبي شيبة، والفلاس، وبندار، ومحمد بن المثنى. وثقه أبو حاتم الرازي وغيره. وأخرج له مسلم، مات بالبصرة سنة أربع وتسعين ومائة (عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (أن النبي ﷺ كان يصلي ذات ليلة) تقدم الكلام على لفظة ذات في صدر الحديث الذي قبل هذا (في حُجرته) والجمع حجر، بضم الحاء المهملة، وهي البيوت، وكل موضع سجر عليه بحجار فهو حجرة، والحجار: الحائط، والظاهر أنها حجرة عائشة رضي الله عنها، لما في مسند الامام أحمد، من حديثها قالت: كان الناس يصلون في المسجد في

رمضان أوزاعا ، أي فرقا ، يكون مع الرجل الشبيء من القرآن فيكون معه  
 النفر الخمسة أو السبعة ، أو أقل من ذلك أو أكثر ، يصلون بصلاته ،  
 قالت : فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنصب له حصيراً على باب  
 حجرتي ، ففعلت ، فخرج اليه بعد أن صلى عشاء الآخرة ... الحديث ( جفاؤه )  
 بالمد ( أناس فصلوا بصلاته ) ولفظ حديث عائشة : فاجتمع اليه من في المسجد  
 فصلى بهم . وفي «السند» و «الصحيحين» من حديث عائشة رضي الله عنها أيضاً ،  
 أن النبي ﷺ صلى في المسجد ، فصلى بصلاته ناس ( فخفض ) ﷺ الصلاة  
 وآتمها ( فدخل البيت ) فهذا يدل على أن صلاته كانت على باب الحجره ؛ حيث  
 نصبت له الحصير ( ثم خرج ) ﷺ ( فماد ) الى دخول البيت بعد انصرافه من  
 الصلاة ، فعل ذلك ( مراراً ، كل ذلك ) من خروجه من بيته ( بصلي ) فيصلي  
 بصلاته أناس ، فيخفض فيدخل البيت ( فلما أصبح قالوا : يا رسول الله ! صليت )  
 بنا ( ونحن نحب أن تمد في صلاتك ) وتطيلها ، لنصلي بصلاتك ، ونستمع لقراءتك ،  
 فلم تطل الصلاة ، وبادرت لدخول بيتك ( قال ) ﷺ : ( قد علمت بمكانكم )  
 وانتظاركم خروجي لأصلي بكم ( وعمداً ) أي وتمعدت التخفيف ، والمبادرة  
 لدخول البيت ، وعدم خروجي إليكم ، عمداً ( فملت ذلك ) والذي في «السند»  
 و «الصحيحين» أنه ﷺ صلى في المسجد ، فصلى بصلاته ناس ، ثم صلى الثانية  
 ففكر الناس ، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة والرابعة ، فلم يخرج اليهم رسول الله ﷺ  
 فلما أصبح قال : رأيت الذي صنمتم ؛ فلم يعنني من الخروج اليكم ، إلا أنني  
 خشيت أن تفرض عليكم . قالت : وذلك في رمضان . وفي رواية . قالت : كان  
 الناس يصلون في المسجد ؛ في رمضان أوزاعاً ... الحديث ، وفيه : فاجتمع اليه من في  
 المسجد فصلى بهم ، وذكرت القصة ؛ بمعنى ما تقدم ، غير أن فيها ؛ أنه لم يخرج  
 اليهم في الليلة الثانية . رواه الامام أحمد .

وفي « الصحيحين » من حديث عائشة رضي الله عنها أيضاً : أن رسول الله ﷺ خرج من جوف الليل ؛ فصلى في المسجد ، فصلى رجال بصلاته ، فأصبح الناس يتحدثون بذلك ، فاجتمع أكثر منهم ، فخرج رسول الله ﷺ في الليلة الثانية ؛ فصلوا بصلاته ، فأصبح الناس يذكرون ذلك . فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة ، فخرج فصلوا بصلاته ، فلما كانت الليلة الرابعة ؛ عجز المسجد عن أهله ، فلم يخرج اليهم رسول الله ﷺ ، فطلق رجال منهم يقولون : الصلاة ، فلا يخرج اليهم رسول الله ﷺ ، حتى خرج لصلاة الفجر ، فلما قضى الفجر ؛ أقبل على الناس ، ثم تشهد . فقال : أما بعد ، فانه لم يخف علي شأنكم الليلة ، ولكني خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل ؛ فتمجزوا عنها . زاد البخاري ، في بعض طرق هذا الحديث ، قالت عائشة : فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك .

وخرج البخاري أيضاً ؛ عن عبد الرحمن ابن عبد القساري : أنه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة من رمضان الى المسجد ، فاذا الناس أوزاع متفرقون ، يصلي الرجل لنفسه ، ويصلي الرجل ؛ فيصل بصلاته الرهط ، فقال عمر رضي الله عنه : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل ، ثم عزم . فجمعهم على أبي بن كعب رضي الله عنه . قال : ثم خرجت معه ليلة أخرى ، والناس يصلون بصلاة قارئهم ، فقال عمر : نعمت البدعة هذه ، والتي تنامون عنها أفضل من التي تقومون ، يريد بذلك آخر الليل ، وكان الناس يقومون أوله .

وأخرج مالك في « الموطأ » عن يزيد بن رومان ، قال : كان الناس في زمن عمر رضي الله عنه ، يقومون في رمضان بثلاث وعشرين ركعة .

## تذبيحات

الاول : لم أر حديث أنس هذا في « الصحيحين » مع أن سنده على شرط مسلم ، إن لم يكن على شرطها ، فقد أخرج مسلم لأبن أبي عدي في « صحيحه » وأخرجا جميعاً لحمد ، فالسند صحيح ، والحديث صحيح ، وقد نهينا فيما ذكرنا من حديث عائشة ما يشهد لثبوته ، وإن كان في بعض ألفاظها تقارير يسير .

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه : أن النبي ﷺ لما قام بهم ليلة ثلاث وعشرين ، وخمس وعشرين ، وسبع وعشرين ، ذكر أنه دعا أهله ونساءه ؛ ليلة سبع وعشرين خاصة ، وهذا يدل على تأكيد القيام في أوتار العشر الأخير من رمضان ، لأن ذلك أرجى لقيام ليلة القدر ، وأرجى ذلك ليلة سبع وعشرين .

الثاني : دل الحديث مع ما ذكرنا من الأحاديث على أصل مشروعية صلاة التراويح واستحبابها ، فهي سنة على الصحيح من المذاهب الأربعة ، وقيل : فرض كفاية ، وهي عشرون ركعة عند الثلاثة ، وعند مالك ست وثلاثون ركعة . قال الامام ابن تيمية قدس الله روحه : له أن يصلها زيادة وتقصال ؛ من ست وثلاثين إلى إحدى عشرة ، كما نص عليه الامام أحمد ، لعدم التوقيت ، فيكون تكثير الركعات وتقليلها ؛ بحسب طول القيام وقصره ، ويسن فعلها جماعة مع الوتر ؛ نص على ذلك الامام أحمد رضي الله عنه ، خلافاً للامام مالك . وعن أبي حنيفة رضي الله عنه : التراويح سنة ؛ لا يجوز تركها . وفي « جوامع الفقه » للحنفية : الجماعة فيها واجبة ، لكن الأشهر عندهم ؛ أنها سنة كسائر المذاهب ، ووقتها بمد سنة العشاء . وعن الامام أحمد رواية ؛ أو بعد العشاء ، جزم به في « العمدة » لاقبلها على الصحيح من المذاهب الأربعة ، الى الفجر الثاني ، لكن



فعلها أول الليل ؛ أفضل على الصحيح من المذاهب ، وجوزها جماعة قبل العشاء ، وأفتى به بعض متأخري علمائنا ؛ ممن كان في عصر الحافظ ابن الجوزي . قال شيخ الاسلام ابن تيمية : من صلاها قبل العشاء ؛ فقد سلك سبيل المبتدعة المخالفة للسنة . وفعلها في المسجد ، أفضل . كما جزم به في « المستوعب » وغيره من علمائنا ، وفاقاً لأبي حنيفة ، والشافعي . وقيل : في البيت أفضل وفاقاً لمالك .  
 ويسن أن يستريح بعد كل أربع ركعات على الصحيح من المذاهب الأربعة ، وبه سميت صلاة التراويح ، وقيل : لا بأس بتركه ، وقيل : بل يدعو بعد كل أربع ركعات . كما يدعو في آخر الصلاة ، وكرهه الامام ابن عقيل من علمائنا . والله أعلم .

الثالث : لا يشكل على كون صلاة التراويح سنة ، بما تقدم من قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ نعمت البدعة ، لأن إطلاقه عليها بدعة بالنظر الى أنها لم تفعل قبل ذلك على تلك الهيئة ، وإن فعلها النبي ﷺ ، حيث صلى بأصحابه ثلاث ليال كما تقدم ، لكن على غير تلك الهيئة الاجتماعية ؛ بالقصد على إمام واحد ، أقامه الامام ، وهذه سنة عمرية ، وأصلها سنة نبوية ، وقد دلت الشريعة على أن لعمر سنة متبعة كسائر الخلفاء الراشدين من أبي بكر وعثمان وعليّ رضوان الله عليهم أجمعين ، وورد : إن الحق ينطق على لسان عمر وقلبه ، وقد أخرج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، وقاتل هو والصدّيق أهل الردّة ، وجمع الصدّيق المصحف الشريف ، وقاتل عليّ الخوارج ، وكما زاد في حد المسكر عمر رضي الله عنه وعنهم أجمعين .

وفي الحديث : اقتدوا بالثلاثين من بعدي : أبي بكر وعمر .

وفيه : عليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، وبالله التوفيق .

## الحديث الثامن والاربعون

٩٣ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ، ولهم يومان يلعبون فيها في الجاهلية ، فقال : إن الله قد أبدأكم بهما خيراً منها ، يوم الفطر ويوم النحر .

قال رضي الله عنه : ( ثنا ) محمد ( ابن أبي عدي ، عن حميد ) الطويل عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ) المنورة مهاجراً من مكة إليها ، وكان ذلك في شهر ربيع الأول ، سنة ثلاث عشرة من النبوة ، فخرج من مكة يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين . قال الحاكم : تواترت الأخبار أن خروجه ﷺ من مكة كان يوم الاثنين ، ودخول المدينة كان يوم الاثنين ؛ إلا أن محمد بن موسى الخوارزمي قال : إن خروجه من مكة كان يوم الخميس . وجمع الحافظ ابن حجر بينهما ، بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس ، وخروجه من النار كان ليلة الاثنين ، لأنه أقام فيه ثلاث ليالٍ ( ولهم ) أي لأهل المدينة من الأوس والخزرج ( يومان يلعبون فيها في ) زمن ( الجاهلية ) أي قبل إسلامهم ، واهتدأهم بالنبي ﷺ ، واليومان اللذان كانوا يلعبون فيها : يوم النيروز ، أول يوم من السنة ، معرب نوروز . وقد روي أنه قُدِّم إلى علي رضي الله عنه شيء من الحلوى ، فسأل عنه ، فقالوا : للنيروز . فقال : نيرزونا كل يوم . وكذا يوم المهرجان ، فانه لما جئني لعلي رضي الله عنه فيه بحلوى . قال أيضاً : مهرجوناً كل يوم .

قال أصحاب الأوائل : أول من اتخذ النورور حمشيد الملك ، وفي زمانه  
 بعث هود على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، الى عاد وثمود ، ثم صالح عليها  
 السلام ، وكان الدين قد تغير ، ولما ملك حمشيد جدّ الدين ، وأظهر العدل ،  
 فسمي اليوم الذي جلس فيه على سرير الملك نيروزاً ، فلما بلغ من عمره الى سبعمائة  
 سنة ، ولم يمرض ، ولم يوجه رأسه ؛ تجبر وطني ، فاتخذ شكلاً على صورته  
 وأرسلها الى الممالك اعظمها ، فتمبدها العوام ، واتخذوا على مثالها الاصنام ،  
 فهجم عليه الضحاك الملواني من المماقة باليمن ، فقتله كما في التواريخ .

وأما المهرجان : فأول من اتخذه أفريدون لما ظهر على الضحاك الملواني  
 المذكور آنفاً ، فان الضحاك كان أرسله ابتداءً لقتال حمشيد ، وكان الضحاك  
 ساحراً مريداً ، وعفريتاً عنيداً ، فملك ألف سنة على ما زعم علي دده في  
 « أوائله » وكان ظالماً يتغذى بمضرة الناس ، كثير الحيل ، صاحب مكر وخداع ،  
 ولم يسمع بمثله في السحر ، فسمي اليوم الذي ظهر فيه أفريدون وغلب على  
 الضحاك والمهرجان . والمهر : الوفاء ، وجان : السلطان ، ممناه : سلطان الوفاء .  
 فأقام أفريدون العدل ، وأظهر الدين الآدمي ، وقيل : بل كان على مسلة إبراهيم  
 عليه السلام ، فانه أدرك عهده ، وملك خمسمائة سنة . كما ذكره الغزالي والبيضاوي  
 وغيرها . وقيل : إن أول من اتخذ النيروز ازدشير ، ويمكن الجمع . والله أعلم  
 ( فقال ) النبي ﷺ لأهل المدينة : دعوها ، لا تظروها ، لأنهما من أعياد  
 الكفار ( إن الله ) عز وجل ( قد أبدلكم ) معشر المسلمين ( بهما ) أي اليومين  
 اللذين تلمعون فيها ، وتظرون تمظيماً يومين ( خيراً منهما ) هما ؛ ( يوم الفطر ،  
 ويوم النحر ) زاد في رواية : أما يوم الفطر ؛ فصلاة وصدقة ، وأما يوم  
 الأضحى ؛ فصلاة ونسك . يريد عيد الفطر وعيد الأضحى .

والعيد : هو موسم الفرح والسرور ، ويسمى العيد عيداً ؛ لأنه يعود

ويتكرر لأوقاته ، وقيل : لعوده بالفرح على الناس ، وقيل : سمي عيداً تفاؤلاً ليعود ثانية . قال الجوهرى : إنما جمع بالياء ، يعني انه يجمع على أعياد مع أن أصله الواو ؛ للزوم الياء في الواحد ، وقيل : للفرق بينه وبين أعواد الخشب . وأفراح المؤمنين وسرورهم ؛ إنما هو بمولاهم إذا فازوا بكل طاعته ، وحازوا ثواب أعمالهم بوثوقهم بوعده لهم عليها بفضله ومغفرته ، كما قال تعالى : « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » (١) قال بعض المارفين : ما فرح أحدٌ بغير الله ؛ إلا بفلقته عن الله ، فالنافل يفرح بلهوه وهواه ، والمائل يفرح بسيدته ومولاه ، فأبدل الله تعالى لهذه الأمة بيومي اللب واللهو ، يومي الذكر والشكر والمغفرة والعفو ، ففي الدنيا للمؤمنين ثلاثة أعياد : منها ؛ عيد يتكرر كل أسبوع ، وعيدان يأتيان كل عام مرة مرة .

فأما العيد الذي يتكرر كل أسبوع ؛ فيوم الجمعة ، فهو عيد الأسبوع ، وهو مترتب على إكمال الصلوات المكتوبات ، فإن الله تعالى فرض على عباده في كل يوم وليلة ؛ خمس صلوات ، وأيام الدنيا تدور على سبعة أيام ، فكلما كمل دور أسبوع من أيام الدنيا ، واستكمل المسلمون صلواتهم فيه ، شرع لهم في يوم استكمالهم . وهو اليوم الذي كمل فيه الخلق ، وفيه خلق آدم ، وأدخل الجنة وأخرج منها ، وفيه ينتهي أمر الدنيا فتزول ، وتقوم الساعة ، وفيه الاجتماع على سماع الذكر والوعظة ، وصلاة الجمعة ، فحمله تعالى لهم عيداً ، ولهذا نهى عن إفراده بالصوم . وفي شهود الجمعة شبه من الحج ، وقد روي أنه حج المساكين .

وأما الميدان اللذان لا يتكرران ، وإنما يأتي كل واحد منهما في العام مرة .

(١) سورة يونس ، الآية : ٥٨

فأحدهما : عيد الفطر من صوم ، وهو مرتب على إكمال صوم رمضان ، وهو ثالث أركان الاسلام ومبانيه ، فاذا استكمل المسلمون صيام شهرهم المفروض عليهم ، استوجبوا من الله العتق والمغفرة ، فان صيامه يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب ، وآخره عتق من النار لمن استحقها بذنوبه . فشرع الله لهم عقب إكمالهم لصيامهم عيداً يجتمعون فيه على شكر الله ، وذكره وتكبيره على ما هدام ، وشرع لهم في ذلك العيد من الصلاة والصدقة ، وهو يوم الجوائز ؛ يستوفي فيه الصائمون أجر صيامهم ، ويرجمون من عيدهم بالمغفرة .

والثاني : عيد النحر ، وهو أكبر العيدين وأفضلهما ، وهو مرتب على إكمال الحج ، وهو رابع أركان الاسلام ومبانيه ، فاذا أكمل المسلمون حجهم غفر لهم ، وإنما يكمل بيوم عرفة ، والوقوف فيه بعرفة ، أعظم أركان الحج ، ولهذا قال ﷺ : الحج عرفة . ويوم عرفة هو يوم العتق من النار ، يعتق الله من النار ؛ من وقف بعرفة ، ومن لم يقف بها من أهل الأمصار من المسلمين ، فلذلك صار العيد اليوم الذي يليه لجميع المسلمين في جميع أمصارهم ، من شهد الموسم منهم ومن لم يشهده ، لا اشتراكهم في العتق والمغفرة يوم عرفة . وشرع سبحانه للجميع التقرب اليه بالنسك ، وهو إراقة دماء القرابين ، فأهل الموسم يرمون الحجر ، ويشرعون في التحليل من إحرامهم بعد نحر نسائهم ، ويقضون نفثهم ، ويوفون نذورهم ، ثم يطوفون بالبيت العتيق . وأهل الأمصار والقرى يجتمعون على ذكر الله تعالى ، وتكبيره ، والصلاة له ، قال عصف بن مسلم وهو ممدود من الصحابة رضي الله عنهم : الخروج يوم الفطر يعدل عمرة ، والخروج يوم الاضحى يعدل حجة . فأعياد المسلمين في الدنيا كلها عند إكمال طاعة مولاها الملك الوهاب ، وحياتهم لما وعدم من الأجر والثواب . وأما أعيادهم في الجنة فهي أيام زيارتهم اربهم عز وجل ، فانهم يزورنه كل جمعة ، ويسمى يوم المزيد .

وهذا للرجال ، دون النساء ، ويروونه في مثل يوم العيد ، فيشاركهم النساء في ذلك ، فهذا لموم أهل الجنة ، فأما خواصهم فكل يوم لهم عيد يزورون ربهم فيه مرتين بكرة وعشياً ، وبالله التوفيق .

### الحديث التاسع والاربعون

٩٤ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس قال :

دخل النبي ﷺ حائطاً من حيطان المدينة لبني النجار ، فسمع صوتاً من قبر ، فسأل عنه ، متى دفنَ هذا ؟ قالوا : يارسول الله ! دفنَ هذا في الجاهلية ، فأعجبه ذلك ، وقال : لولا أن لا تدافنوا لدعوتُ الله أن يسممكم عذابَ القبر .

قال رضي الله عنه : ( ثنا ) محمد ( ابن أبي عدي ) ، عن حميد ( الطويل ) ( عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( قال : دخل النبي ﷺ حائطاً ) أي بستاناً ، وأصل الحائط الجدار ، والجمع حيطان وحياط ( من حيطان ) كان القياس أن يقال : حوطان ، لانه واوي ، والجمع يرد الأشياء الى أصولها ، ولكن لما كانت الياء في مفردة لازمة ، أو نزلت منزلة اللازمة جمع بها دون الواو ( المدينة ) أل في المدينة للمهد ، أي مدينة سيدنا ونبينا محمد ﷺ ، إذ صار هذا عليها علماً بالقبلة ( لبني النجار ) رهط أنس رضي الله عنه ، والنجار : أحد جدوده ، واسمه تيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، سمي بالنجار ، قيل : لأنه اختن بقدم ، وقيل : لأنه ضرب رجلاً بقدم . والخزرج هذا هو

لا كبير ، وهو أخو الأوس ، والانصار كلهم من أولاد الأوس والخزرج  
 ( فسمع ) النبي ﷺ ( صوتاً من قبر ) في ذلك الحائط ( فسأل عنه ) أي عن  
 صاحب ذلك القبر ( متى دفن هذا ) الميت في هذا القبر؟ ( قالوا : يا رسول الله !  
 دفن هذا ) الميت في هذا القبر ( في ) زمن ( الجاهلية ) وهي ما قبل الاسلام  
 ( فأعجبه ذلك ) أي سرّ بكون صاحب القبر من أهل الجاهلية ، وليس هو من  
 المسلمين ، لما كشف له عمّا هو فيه من المذاب والنكال ( وقال ) ﷺ لأصحابه  
 الكرام: ( لولا ) اعلم أن لو إذا دخلت على ثوبتين ففتها ، أو ففيتين أثبتها ، أو نفي  
 وثبوت أثبتت المنفي وفتت المثبت ، وذلك لأنها تدل على امتناع الشيء لا امتناع  
 غيره ، وإذا امتنع النفي صار إثباتاً ( أن لا تدافنوا ) بحذف إحدى التائين  
 تخفيفاً ، أي أن لا تدافنوا ، أي لا يدفن بعضكم بعضاً ( لدعوت الله ) سبحانه  
 تعالى ( أن يسمعكم عذاب القبر ) فامتناعي من الدعاء باسمعكم لذلك ، وجود عدم  
 الدفن ، لكن التدافن لا بد منه ، فامتنعت من الدعاء أن يسمعكم الله ذلك . وهذا  
 الحديث رواه مسلم ، والنسائي من حديث أنس .

وأخرج مسلم ، وابن أبي شيبة ، من حديث زيد بن ثابت نحوه ، ولفظه :  
 قال زيد بن ثابت رضي الله عنه : بينا النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بئله  
 ونحن معه ، إذ حادت به فكادت تلقيه ، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة ، فقال:  
 من يعرف أصحاب هذه الاقبر ؟ فقال رجل : أنا ، فقال : متى مات هؤلاء ؟  
 قال : ماتوا في الاشرار ، فقال : إن هذه الأمة تتبلى في قبورها ، فلولا أن لا  
 تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع .

وأخرج الامام أحمد ، والبخاري ، عن جابر رضي الله عنه ، قال : دخل  
 رسول الله ﷺ فحلا لبني النجار ، فسمع أصوات رجال من بني النجار ماتوا

في الجاهلية ، يذبون في قبورهم ، فخرج فرعاً ، فأمر أصحابه أن يتمودوا  
من عذاب القبر .

وأخرج الامام أحمد أيضاً ، من حديث أنس رضي الله عنه ، قال : بينا  
رسول الله ﷺ في نخل لأبي طلحة ، وبلال يمشي وراءه ، فمر بقبر ، فقال :  
يا بلال ! هل تسمع ما أسمع ؟ صاحب هذا القبر يمذب ؛ فسئل عنه فوجد يهودياً .  
قال النووي في قوله ﷺ : لولا أن لا تدافنوا الخ : اعلم أن مذهب أهل  
السنة إثبات عذاب القبر ، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة ، قال الله  
تعالى : « النار يمرضون عليها غدواً وعشيا » (١) الآية . وتظاهرت به الأحاديث  
الصحيحة من رواية جماعة من الصحابة في مواطن كثيرة ، ولا يمتنع في العقل  
أن يمد الله تعالى جزءاً من الجسم ويمذبه ، وإذا لم يمنه العقل وورد الشرع به  
وجب قبوله واعتقاده . والمقصود أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر  
كما ذكرنا ، خلافاً للخوارج ، ومعظم المعتزلة ، وبعض المرجئة ، فانهم  
نفوا ذلك .

وقال الامام ابن القيم في كتابه « الروح الكبرى » : مذهب سلف الأمة  
وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب ، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه ،  
وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وأنها تتصل بالبدن أحيانا  
يحصل له منها النعيم والمذاب ، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الارواح  
الى الأجساد ، وقاموا من قبورهم لرب العباد . ومعاد الأبدان متفق عليه بين  
المسلمين واليهود والنصارى . انتهى .

قال أهل السنة من علمائنا وغيرهم : إن المذب الجسد بينه ، أو بعضه بعد  
إعادة الروح إليه أو إلى جزء منه ، وخالف فيه محمد بن جرير ، وابن كرام ، وطائفة ،

(١) سورة غافر ، الآية : ٦ .



فقالوا : لا يشترط إعادة الروح ، والمعظم بل كل أهل السنة أفسدوا هذا القول ، لأن الألم والاحساس إنما يكون في الحي ، وقد سئل شيخ الاسلام بن تيمية قدس الله روحه عن عذاب القبر ، هل هو على النفس والبدن أم لا ؟ قال : بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة ، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن ، وتنعم وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها ، فيكون النعيم والعذاب عليها في هذه الحال مجتمعين . قال شيخ الاسلام : وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح ؟ هذا فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة وأهل الكلام ، ثم قال : وقال جماعة : عذاب القبر يجري على المؤمن من غير رد الروح الى الجسد ، قالوا : والميت يجوز أن يألم ويحس ويعلم بلا روح ، قال : وهذا قول جماعة من الكرامية ، وقال بعض المعتزلة : إن الله سبحانه يمدد الموتى في قبورهم ويحدث فيهم من الآلام وهم لا يشعرون ، فاذا حشروا وجدوا تلك الآلام وأحسوا بها ، قال : وسبيل المذنبين من الموتى سبيل السكران والمنعمى عليه ؛ لو ضربوا (١) لم يجدوا الآلام ، فاذا عاد إليهم العقول أحسوا بألم الضرب ، قال : وأنكر جماعة منهم عذاب القبر رأساً ، مثل ضرار بن عمر ، ويحيى بن كامل ، وهو قول بشر المريسي . قال شيخ الاسلام : فهذه أقوال أهل الحيرة والضلال . قال ابن القيم في « الروح » : وهذا ، أي القول بثبوت عذاب القبر ، كما أنه مقتضى السنة الصحيحة فهو المتفق عليه بين أهل السنة . قال المروزي : قال أبو عبد الله - يعني الامام أحمد رضي الله عنه - : عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضالٌّ مضلٌّ ، وقال حنبل : قلت لأبي عبد الله في عذاب القبر فقال : هذه أحاديث صحاح تؤمن بها وتقر بها ، كل ما جاء عن النبي ﷺ باسناد جيد أقررنا به ، إذا لم نقر بما جاء به الرسول ، ودفناه وردناه رددنا على الله أمره ، قال تعالى : « ما أتاكم الرسول فخذوه » (٢)

(١) في الاصل : ضربوه . (٢) سورة الحشر ، الآية : ٧

قلت له : وعذاب القبر حق ؟ قال : حق يذبون في القبور . قال حنبل : وسمعت  
أبا عبد الله يقول : تؤمن بعذاب القبر وبمنكر ونكير وما يروى في عذاب القبر ،  
قلت : يقولون : ليس في الحديث منكر ونكير ، قال : هو هكذا - يعني أنها  
منكر ونكير - ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم : قال كثير من  
المعزلة : لا يجوز تسمية ملائكة الله بمنكر ونكير ، وإنما المنكر ما يبدو من تلجج  
المسؤول إذا سئل ، والنكير تقريع الملكين له ، وقال شيخ الاسلام وابن القيم :  
ومما ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ ، فكل من مات وهو مستحق  
للعذاب نال نصيبه منه قبر أو لم يقبر ، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار  
رماداً ونسف في الهواء أو صلب أو غرق في البحر ، وصل إلى روحه وبدنه من  
العذاب ما يصل إلى القبور ، فإن قيل : نحن نشاهد الميت على حاله في قبره ، فكيف  
يسأل ويقعد ويضرب بمطارق من حديد ولا يظهر لذلك أثر ؟ فالجواب أن ذلك  
غير محتج ، بل له نظير في المادة ، فالتائم يجد لذة وآلاماً ، ولا نحس نحن شيئاً  
منها ، وقد أظن ابن القيم في الجواب عن ذلك وأجلب ، ومن جملة ما أجاب به  
أن الله سبحانه جعل الدور ثلاثة : دار الدنيا ، ودار البرزخ ، ودار القرار ،  
وجعل سبحانه لكل دار أحكاماً تخص بها ، وركب هذا الإنسان من بدن  
ونفس ، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبعاً لها ، ولهذا جعل  
أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح ، وإن أضمرت  
النفوس خلافه ، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعاً ، فكما تبعت  
الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا ، فتألمت بألمها والتذت براحتها ، وكانت هي التي  
باشرت أسباب النعيم والعذاب ، تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها ،  
والأرواح حينئذ هي التي تباشر العذاب والنعيم ، فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح  
خفية ، والأبدان كالقبر لها ، والأرواح هناك ظاهرة والأبدان خفية في قبورها ،

تجري أحكام البرزخ على الأرواح فتسري إلى أبدانها نسيماً أو عذاباً ، قال :  
فأحاط بهذا الموضع علماً ، واعرفه كما ينبغي يزول عنك كل إشكال يرد من  
داخل أو خارج ، وقد أرانا الله سبحانه بلطفه ورحمته وهدايته من ذلك النموذجاً  
في الدنيا من حال النائم ، فإن ما ينعم به أو يمدب به في نومه يجري على روجه  
أصلاً والبدن تبع له ، وقد يقوى حتى يؤثر في البدن تأثيراً مشاهداً ، فيرى النائم  
في نومه أنه ضرب ، فيصبح وأثر الضرب في جسمه ، ويرى أنه قد أكل أو شرب ،  
فيستقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب في فيه ، ويذهب عنه الجوع والظما ،  
وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يقوم في نومه ويضرب ويبتطش ويدافع كأنه  
يقظان وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك ، وذلك أن الحكم لما جرى على الروح  
استماتت بالبدن من خارجه ، ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحس ، فإذا كانت الروح  
تألم وتنعم ويصل ذلك إلى بدنها بطريق الاستنباع ، فهكذا في البرزخ بل أعظم ،  
فإن تجرد الروح هناك أكل وأقوى ، وهنا متملة يبدنها لم تنقطع عنه كل الانقطاع ،  
فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم ، صار الحكم والنيم  
والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهراً بادياً أصلاً ، فتمت أعطيت هذا الموضوع  
حقه تبين لك أن كل ما أخبر به الرسول من عذاب القبر ونعيمه وضيقة وسمته  
وضمه ، وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة مطابق للعقل ، وأنه  
حق لا مرية فيه ، وأن من أشكل عليه ذلك فمن سوء فهمه وقلة علمه آني ،  
كما قيل :

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

قال : وأعجب من ذلك أنك تجد النائم في فراش واحد ، وهذا روجه  
في النيم فيستيقظ وأثر النيم على بدنه ، وهذا روجه في العذاب ويستيقظ وأثر  
العذاب على بدنه ، وليس عند أحدهما خبر بما عند الآخر ، فأمر البرزخ أعجب  
من ذلك ، وأطال في رد شبه أهل الضلال المقال ، والله ولي الأفضال .

## تنبهات

**الأول :** ظاهر قوله **ﷺ** : «لولا أن لا تدافنوا الخ...» مشكل ، لأن الصحابة رضي عنهم مؤمنون بمذاب القبر ونعيمه ، ومصدقون بأن كل ما أخبر عنه النبي **ﷺ** أنه حق ثابت لا مرية فيه ، فكيف مع هذا يستقيم لهذا الكلام معنى ؟ والجواب عن هذا من وجوه : الأول أن المراد : لولا أن تموتوا من سماعه ، أشدة فظاعته وعظيم بشاعته ، فتصمقون لوقتكم . الثاني : أن معناه لأنكم إذا سمعتم ذلك تركتم دفن الموتى استهانة بهم ، لكون ما لهم إلى ما سمعوا من المذاب والشكال . الثالث : أن ذلك لمعجز الأحياء عن دفن الموتى ودهشتهم بما سمعوا ، أو لخيرتهم وفزعهم وعدم قدرتهم على الدفن ، أو لثلاث محكموا على كل من اطلعوا على تعذيبه في قبره ، أنه من أهل النار ، فيتركون الترحم عليه ، وترجي العفو عنه ، أو نحو ذلك ، والله أعلم .

**الثاني :** أشعر الحديث بأن أهل الجاهلية يمدبون في قبورهم ، وأنهم ليسوا بناجين ، وفي ذلك خلاف مشهور .

**الثالث :** أشعر الحديث أيضاً بأن عذاب القبر ، ليس مختصاً بهذه الأمة وهو كذلك ، وكذلك سؤال الملكين الميت ليس مختصاً بهذه الأمة على الصحيح المعتمد ، بل يسأل عن كل نبي ، فكل نبي مع أمته كنبينا **ﷺ** مع أمته ، وهذا اختيار الامام ابن القيم في «الروح» ، والأشيبلي في «العاقبة» ، والقرطبي في «التذكرة» . وقال الحكيم الترمذي : السؤال مختص بهذه الأمة ، وقيل بالوقف ، وعليه ابن عبد البر ، والله تعالى أعلم .

## الحديث المحسوس

٩٥ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال :  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دخلت الجنة ، فإذا أنا بنهر  
حافته خيام اللؤلؤ ، فضربت يدي إلى ما يجري فيه الماء ، فإذا  
مسك أذفر . قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي  
أعطاك الله تعالى .

قال رضي الله عنه : ( ثنا ) محمد ( بن أبي عدي ، عن حميد ) الطويل ،  
( عن أنس ) رضي الله عنه ( قال : قال رسول الله ﷺ : دخلت الجنة ) إما  
بقطة وإما مناماً ( فإذا أنا بنهر ) فيها ( حافته ) أي جانبيه ، كذا روينا بالياء ،  
وقرأناه على عدة مشايخ ، وفي أكثر الأصول حافته - بالرفع على الابتداء  
والاول إما تبماً لنهر ، أو منصوباً بنزع الحافض ، أي على حافته ( خيام اللؤلؤ )  
أي خيام من اللؤلؤ ، وهو الدر ، واحده بهاء ( فضربت يدي إلى ما يجري فيه  
الماء ) الذي في النهر ( فإذا ) هو ( مسك ) - بكسر الميم وسكون السين المهمله  
قال في « المطلع » : المسك فارسي معرب ، وكانت العرب تسميه المشوم ، وهو  
مذكر ، وقد جاء تأنيته في الشعر ، وتألوله على إرادة الرائحة ، قال في  
« القاموس » : المسك - بالكسر - معروف ، والقطعة منه مسكة ، والجمع  
كمنب مقول للقلب ، نافع للحققان والرياح التليظة في الأمعاء والسوم والسدد  
( أذفر ) الذفر - محرّكة - شدة ذكاء الريح كالذفرة ، يقال : ذفر وأذفر ،

ومسك أذفر ، وذفر جيد إلى الناية ( قلت : ما هذا يا جبريل ؟ ) وهذا يدل أنه كان ليلة الاسراء ( قال : هذا الكوثر الذي أعطاك الله تعالى ) في قوله : ( إنا أعطيناك الكوثر )<sup>(١)</sup> وفي « الترمذي » ، من حديث ابن عمر رفعه : « الكوثر نهر في الجنة ، حافته من ذهب ومجره على الدر والياقوت ... الحديث » ، وفي « البخاري » ، من حديث أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « بينا أنا أسير في الجنة ، إذا أنا بنهر حافته قباب الدر الجوف ، قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ، فإذا طيبه وطينه مسك أذفر » ، وفي الحديث : « فأهوى الملك يده فاستخرج من طينه مسكاً أذفر » ، وتقدم في الحديث الثالث والاربعين والرابع والأربعين ما أغنى عن الاعداء .

### الحديث الواحد والخمسون

٩٦ - ثنا ابن أبي عدي ، ثنا حميد ، عن أنس ، قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك ، فدنا من المدينة . قال : إن بالمدينة قوماً ، ما سرتهم مسيراً ولا قطعتم وادياً ، إلا كانوا معكم . قالوا : يا رسول الله ! وهم بالمدينة ؟ قال : وهم بالمدينة ، حبسهم العذر .

قال رضي الله عنه : ( ثنا ابن أبي عدي ) قال : ( ثنا حميد ، عن أنس ) رضي الله عنه ( قال : لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك ) - بفتح الفوقية وضم الموحدة - وهي اسم للمكان المعروف في طرف الشام من جهة القبلة ، وبينها وبين المدينة اثنتا عشرة مرحلة ، وبينها وبين دمشق كذلك ، قال

(٢) سورة الكوثر ، الآية : ١

في «الروض» ، تبعاً لابن قتيبة : سميت الغزوة بعين تبوك ، وكانت غزوة تبوك في رجب سنة تسع قبل حجة الوداع (فدنا) أي قرب (من المدينة) النبوية - على ساكنها الصلاة والسلام - (قال) عليه الصلاة والسلام : (إن بالمدينة المنورة) (قوماً) من أصحابي من المسلمين (ما سرتهم) معشر أصحابي الذين معي (مسيراً) من ليل ولا نهار (ولا قطعتم وادياً) ولا سلكنم شعباً (إلا كانوا معكم) . وفي لفظ من «صحيح البخاري» من حديث أنس أيضاً ، أنه ﷺ قال : «إن أقواماً بالمدينة خلفنا ، ما سلكننا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا فيه ، أي في ثوابه ، يعني أنهم شركاء في الثواب ، وفي لفظ : «إلا وهم معكم فيه ، بالنيه ، وفي رواية ابن حبان وأبي عوانة ، من حديث جابر رضي الله عنه : «إلا شركوكم في الأجر» بدل قوله : «إلا كانوا معكم» . (قالوا : يا رسول الله : وهم بالمدينة ؟) استبعاداً واستمظاناً لما ذكر أنهم مع كونهم في وطنهم على فرشهم مع أهلهم ، لم يكابدوا مشقة السفر ، ومفارقة الوطن والسكن وابن العيش ، ويحصل لهم من الأجر والثواب مثل ما لنا ، وقد قطعنا الأودية ، وسلكننا الشعاب ، وتجنبنا المغاور ، واقتحمنا العقاب ، (قال) ﷺ : نعم يحصل لهم مثلكم من الأجر ، ويشركونكم في أصل الثواب (وهم بالمدينة) في وطنهم وعظمتهم ، ثم بين لهم صلى الله عليه وسلم وجه ما أشكل عليهم فقال : (حبسهم) عن المسير معكم (المذر) من المرض وعدم القدرة على السفر . وفي «مسلم» من حديث جابر : «حبسهم المرض» فدل الحديث أن من حبسه المذر عن أعمال البر مع نيته فيها أنه يكتب له أجر العامل بها ، كما قال ﷺ فيمن غلبه النوم عن صلاة الليل : «إنه يكتب له أجر صلاته ، وكان نومه صدقة عليه» . وفي «سنن أبي داود» أن النبي ﷺ قال : «لقد تركتم بالمدينة أقواماً ، ما سرتهم مسيراً ، ولا أنفقتم من نفقة ، ولا قطعتم من وادٍ ، إلا وهم معكم ، قالوا :

يا رسول الله ! وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة ؟ قال : حبسهم المرض « وأنشد في « الطائف » وغيره :

ياسائرين الى البيت العتيق لقد سرتهم جسوماً وسرنا نحن أرواحا  
إنا أقننا على عذر ومن عدم ومن أقام على عذرٍ كمن راحا

فالتخلف لعذر شريك للسائر في الأجر ، وربما سبق من سار بقلبه وهمته وعزمه بمض السائرين بيدتهم ، كما رأى بعض الصالحين في منامه عشيبة عرفه قائلاً يقول له : ألا ترى هذا الزحام بالموقف ! ما الشأن فيمن سار بيده ، إنما الشأن فيمن قعد بيده وسار بقلبه ، حتى سبق الركب . وفي « صحيح البخاري » و « سنن أبي داود » من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً » .

وأخرج الامام أحمد واللفظ له ، والحاكم وقال : صحيح على شرطها ، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنها ، عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من أحد من الناس يصاب بيلاء في جسده إلا أمر الله عز وجل الملائكة الذين يحفظونه ؛ قال : اكتبوا لعبد في كل يوم وليلة ما كان يعمل من خير ؛ ما كان في وثاقه ، وفي رواية للامام أحمد قال ﷺ : « إن العبد المسلم إذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض ، قبل للملك الموكل فيه ؛ اكتب له مثل عمله إذ كان طليقاً حتى أطلقه أو أكفته إلي » ، وإسناد هذه الرواية حسن . قوله : « أكفته إلي » - بكاف ثم فاء ثم باء مشناة فوق - معناه : أضمه إلي وأقبضه .

وروى الامام أحمد بسند رواه ثقات ، من حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ابتلى الله عز وجل العبد المسلم بيلاء في



جسده قال الله عز وجل للملك : اكتب له صالح عمله الذي كان يعمل ، وإن شفاه غسله وطهره ، وإن قبضه غفر له ورحمه .

وروى ابو يعلى وابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : ما من عبد يمرض مرضاً ؛ إلا أمر الله حافظه أن ما عمل من سيئة فلا يكتبها ، وما عمل من حسنة أن يكتبها عشر حسنات ، وأن يكتب له من العمل الصالح كما كان يعمل وهو صحيح ، وإن لم يعمل .

وروى ابن أبي الدنيا والطبراني في « الأوسط » والبخاري باختصار ، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : « عجب للمؤمن وجزءه من السقم ، ولو كان يعلم ما له من السقم أحب أن يكون سقياً الدهر ، ثم إن رسول الله ﷺ رفع رأسه الى السماء فضحك ، فقيل : يا رسول الله ! مم رفعت الى السماء فضحكت ، فقال : عجبت من ملكين ، كانا يلتزمان عبداً في مصالتي كان يصلي فيه فلم يجدها ، فرجما فقالا : ياربنا ! عبدك فلان كنا نكتب له في يومه وليلته عمله الذي كان يعمل ، فوجدناه حبسته في جبالك ، قال الله تبارك وتعالى : اكتبوا لعبدي الذي كان يعمل في يومه وليلته ولا تنقصوا منه شيئاً ، وعليّ أجره ما حبسته ، وله أجر ما كان يعمل . »

وروى الامام أحمد والطبراني في « الكبير » و « الأوسط » من حديث شداد ابن أوس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله يقول : إذا ابتليت عبداً من عبادي مؤمناً فحمدني على ما ابتليته ؛ فاجروا له كما كنتم تجرون له ، وهو صحيح . وفي المعنى أحاديث كثيرة ، وفيها ذكرنا كفاية والله الوفيق . »

## الحديث الثاني والخمسون

٩٧ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال :  
 كانت ناقة رسول الله ﷺ تسمى المضباء ، وكانت لا تسبق ،  
 فجاء أعرابي على قعود فسبقها ، فشق ذلك على المسلمين ، فلما  
 رأى ما في وجوههم ، قالوا : سُبقت المضباء . فقال : إن  
 حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً في الدنيا إلا وضعه .

قال رضي الله عنه : ( ثنا ) محمد ( بن أبي عدي ، عن حميد ) الطويل ،  
 ( عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( قال : كانت ناقة رسول الله ﷺ )  
 الناقة الاتى من الابل ، قال الجوهري : الناقة تقديرها فملة - بالتحريك -  
 لانها جمعت على نوق ، مثل بدنة وبدن ، وخشبة وخشب ، وفملة - بالتسكين -  
 لا تجمع على ذلك ، وقد جمعت أيضاً على أنوق ، ثم استنقلوا الضمة على الواو  
 فقدموها فقالوا : أنوق ، حكاها يعقوب عن بعض الطائمين ، ثم عوضوا من الواو  
 ياءً فقالوا : أينق ، جموها على أياق ، وقد تجمع الناقة على نياق ، مثل ثمرة وثمار ،  
 إلا أن الواو صارت ياء لكسر ما قبلها . وأنشد أبو زيد :

أبعدكن الله من نياق إن لم تنجيين من الوثاق

ويقال : يعير منوق ، أي مذلل مروض ، وناقة منوقة ( تسمى المضباء )  
 هو علم لها منقول من قولهم : ناقة مضباء ، أي مشقوقة الأذن ، ولم تكن ناقة النبي  
 ﷺ مشقوقة الأذن ، وقال بعضهم : إنها كانت مشقوقة الأذن ، والأول أكثر ،

وقال الزمخشري: هو منقول من قولهم: ناقة عصابة، وهي القصيرة اليد، ويقال لها: القصواء أيضاً. قال ابن التين: ضبطت القُصوى - بضم القاف والقصر - وهي عند أهل اللغة بالفتح والمد. وفي المطالع: القصواء: هي المقطوعة ربع الأذن، وهي التي هاجر النبي ﷺ عليها، ابتاعها من الصديق الأعظم رضي الله عنه من نعم بني الحريش، وكانت شهباء. قال ابن فارس: المصباء لقب لها، وقال الكرماني في شرح البخاري: وأما ناقة النبي ﷺ التي كانت تسمى المصباء إنما كان ذلك لقباً لها، ولم تكن أذنها مشقوقة (وكانت لا تسبق) - بضم الفوقية، وسكون المهلة، وفتح الموحدة - مبنياً للمفعول، أي لا يسبقها بعير ولا ناقة، وفي لفظ: قال حميد: أو لا تكاد تسبق (فجاء أعرابي) لم أنف على من سمأ، ويئض له ابن البلقيني في الأفهام لما في البخاري من الإبهام، ولم يسمه (على قمود) - بفتح القاف - هو ما استحق الركوب من الأبل ويقال: القمود من الأبل ما يعده الإنسان للركوب والحمل، وقال الأزهري عن الليث: القمود والقمودة من الأبل خاصة؛ قال الأزهري: ولم أسمع قمودة بالهاء لغير الليث، ولا يكون إلا الذكر، فلا يقال للأنثى: قمودة، وفي شرح البخاري للبدر الصيني: أخبر المنذري أنه قرأ بخط أبي الهيثم: ذكر الكسائي أنه سمع من يقول: قمودة للقلوص، وللذكر قمود، وفي حياة الحيوان للدميري: القمود من الأبل ما اتخذ الراعي للركوب وحمل الزاد، والجمع أقعدة وأقمد وقيدان وقمائد<sup>(١)</sup> وقيل: القمود: القلوص، وقيل: البكر قبل أن يثني، ثم هو حمل، والقلوص من النوق: الشابة، وهي بمنزلة الجارية من النساء، وجمعها: قلص وقلانص، مثل قديم وقدم وقدام، والبكر: الفتي من الأبل، والآنثى بكرة، والجمع بكار

(١) قال في «القاموس»: والجمع: أقعدة، وقمد، وقيدان، وقمائد. ولم

يذكر: أقمد.

مثل فرخ وفراخ ، وقد يجمع في القلة على أبكر . قال أبو عبيدة : البكر من  
الابل . بمنزلة الفخ من الناس ، والبكرة بمنزلة الفتاة ، والبعير بمنزلة الانسان ،  
والجمل بمنزلة الرجل ، والناقة بمنزلة المرأة . قال الجوهري في القمود والبكر :  
أقل ذلك أن يكون ابن سنتين إلى أن تدخل السادسة ؛ فيسمى جملاً ( فسبقها )  
أي فسبق ( ذلك ) القمود المضياء ( فشق ) أي صبب ( ذلك ) أي سبق قمود  
الاعرابي المضياء ( على المسلمين ) زاد في البخاري من حديث زهير ، عن حميد ،  
عن أنس « حتى عرفه ، أي حتى عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أي  
كونه شق عليهم ، ويقال : حتى عرف أثر المشقة ( فلما رأى ) النبي صلى  
الله عليه وسلم ( مافي وجوههم ) من أثر المشقة و ( قالوا : سبقت ) - بالبناء  
للمفعول - ( المضياء ) - بالرفع - نائب الفاعل ، أي استمظم المسلمون ذلك وهاهم ،  
فقال ( ﷺ ) مسلماً لهم وهو تناً عليهم ما استمظموه : ( إن حقا على الله ) عز وجل  
( أن لا يرفع شيئاً في ) هذه ( الدنيا ) ولفظ البخاري : « أن لا يرفع شيء من  
الدنيا ، وعند النسائي : « أن لا يرفع شيء نفسه في الدنيا » ( إلا وضعه ) وإذا  
كان الارتفاع في هذه الدنيا يمتبه الضمة ، والمزة يخلفه الذال ؛ فخري أن يزد  
فيها وفي ارتفاعها ، إذ لا يرفع فيها شيء إلا ويتضع . قال ابن القيم في كتابه  
« الفروسية الحمديّة » : تأمل قوله ﷺ في لفظ : « أن لا يرفع شيء » ، وأن  
لا يرفع شيء من الدنيا إلا وضعه ، فحمل الوضع لما رفع أو ارتفع ، لا لما رفعه  
سبحانه ، فانه إذا رفع عبده بطاعته وأعزه بها ، لا يضعه أبداً . انتهى . وهذا  
على هاتين الروايتين ، وأما على رواية « إن حقا على الله تعالى أن لا يرفع شيئاً من  
أمر الدنيا إلا وضعه » ، رواه الامام أحمد والبخاري وأبو داود والنسائي من  
حديث أنس رضي الله عنه ، بنصب شيئاً على أنه مفعول يرفع ، والفاعل ضمير  
يعود على الله ، فلا يتأتى قوله إلا بضرب من التكلف ؛ بأن يقال : قوله : من أمر

الدنيا يشمر بذلك أيضاً ، بخلاف المرتفع من أمر الدين والديانة والتقوى والأمانة ،  
فهذا لا يضعه الله أبداً .

وفي الحديث دليل على المسابقة بالابل . واعلم أن المسابقة بلا عوض ؛ تجوز  
على الأقدام ، وبين سائر الحيوانات ، من ابل وخيل وبغال وحمير وفيلة وطيور حتى  
سحّام ، وبين سفن ومزاريق<sup>(١)</sup> ونحوها ، ومجانيق<sup>(٢)</sup> ورعي أحجار بيد ومقاليع .  
وأما بموض فلا تجوز إلا في الخيل والابل والسهم ، وهذا يعني جواز الرهان على  
هذه الأشياء الثلاثة متفق عليه في الجملة . واختلف أهل العلم في مسائل : منها  
المسابقة على البغال والحمير بموض ؛ فقال الثلاثة : لا يجوز ذلك ، وقال أبو حنيفة :  
يجوز ، وهو قول للشافعي . ومنها المسابقة على الحمام والغيل والسفن بموض ،  
فمنعه الامام أحمد ومالك وأكثر الشافعية ، وأجازه أصحاب أبي حنيفة ، وبعض  
الشافعية ، وبعض أصحاب أحمد في الغيل والحمام الناقلة للاخبار . ومنها المسابقة  
على الأقدام بموض ، فمنعه الثلاثة ، وأجازه الحنفية وبعض الشافعية ، وهو مخالف  
لنص الامام الشافعي . ومنها المسابقة بالسباحة ، منعه الاكثرون ، وجوزّه  
بعض الحنفية والشافعية . ومنها الصراع ، منعه - أي بموض - الثلاثة ، وجوزّه  
بعض الشافعية والحنفية . ومنها المشابكة بالأيدي ؛ لا تجوز بموض عند الجمهور ،  
وفيها وجه للشافعية بالجواز ، ومقتضى مذهب أصحاب أبي حنيفة جوازه ، فاتهم  
جوزّوه في الصراع والمسابقة بالأقدام ، والمغالبة في مسائل العلم . ومنها المسابقة  
بالسيف والرمح والعمود ، منعا بموض الامامان : مالك وأحمد ، وجوزّها أصحاب  
أبي حنيفة ، وللشافعية فيها وجهان ، ومنها المسابقة بالمقاليع على عوض ، منعا

(١) قال في «القاموس» المزارق : رمح قصير ، وزرقه به : رماه .

(٢) في الاصل : مناجيق ، وهو خطأ . قال في «القاموس» : المتجنيق : جمعه منجنقات ،

ومحاق ، ومجانيق .

الجمهور ، وللشافعية فيها وجه ، ومقتضى مذهب الحنفية الجواز . ومنها الخاتبة بشبل الأتقال كالحجار ؛ فالجمهور لا يجوزون العوض فيها ، وكذا المتأقفة (١) ؛ لا يجوز بموض عند الجمهور ، وأباحها بموض بمض الشافعية ، وهو مقتضى مذهب الحنفية . ومنها المسابقة على حفظ القرآن والحديث والفقه ، ونحو ذلك من العلوم النافعة ، والاصابة في المسائل ، منعه بموض الثلاثة ، وجوزها أصحاب أبي حنيفة وشيخ الاسلام ابن تيمية من أئمة علمائنا ، وحكاها ابن عبد البر عن الشافعي ، وهو أولى من الشباك والصراع والسياحة ، كما في « الفروسية الحمديّة » وقد علمت أن متمد مذهب الامام أحمد ومن واقفه من العلماء ؛ اختصاص العوض بالمسابقة على الخيل والابل والسهم ، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا سبق إلا في خف أو نصل أو حافر » رواه الامام أحمد وأصحاب « السنن الأربعة » ، ولم يذكر فيه ابن ماجه : أو نصل .

ويشترط لصحة أخذ العوض والرهان خمسة شروط :  
أحدها : تعيين المركوين بالرؤية وتساويهما في ابتداء العدو وانهاهه ،  
وتعيين الرماة ؛ سواء كانا اثنين أو جماعين ، ولا يشترط تعيين الراكبين ولا القوسين ولا السهام ، ولو عينها لم تعين .

الثاني : أن يكون المركوبان أو القوسان من نوع واحد ، فلا يصح بين عربي وهجين ، ولا بين قوس عربية وفارسية .

الثالث : تحديد المسافة والغاية ومدى الرمي بما جرت به العادة ، ويعرف ذلك بالمشاهدة أو بالنراع نحو مائة ذراع ، أو مائتي ذراع ، وما لم تجر به عادة ، وهو ما زاد في الرمي على ثلثمائة ذراع فلا يصح ، ولا يصح تناضلها على أن سبق لأبدهما رمياً على متمد مذهب الامام أحمد والامام مالك ومن واقفها .

(١) يقال تأقفه : لاعبه بالسلاح ، غالبه في الخلق .

الرابع : كون الموضع معلوماً بالمشاهدة ، أو بالقدر ، أو بالصفة .  
 اظاهى : الخروج عن شبه القمار ؛ بأن لا يخرج جميعهم ، فان كان الجمل  
 من الامام من ماله ، أو من بيت المال ، أو من أحدهما ، أو من غيرهما ؛ على أن  
 من سبق أخذه ؛ جاز ، فان جاء مماً فلا شيء لهما ، وتفصيل ذلك مذكور في كتب  
 الفقه . وإن أخرج المتسابقان مماً ؛ لم يجز ، وكان قماراً ، لأن كل واحد منها  
 لا يخلو : إما أن يضم أو يفرض إلا بمحلل ، وهذا مذهب أحمد والشافعي ، وعند  
 مالك لا يكون المخرج إلا ثالث ؛ ليس أحد المتسابقين ، فان جرى المخرج متهما  
 فسبق ؛ فالسبق طعم لمن حضر ، وإن كانت خيل الحلبة (١) كثيرة ، وقد سبق  
 مخرج أعطي سبقه لمن يليه ، وهو المصلئ (٢) ، وعند ابن تيمية : لا يعتبر المحلل ،  
 والله أعلم .

نكتة : ذكر الدميري في « حياة الحيوان » أن هارون الرشيد كان  
 يمجبه الحمام واللوبة ، فأهدي له حمام ، وعنده أبو البخترى وهب بن وهب  
 بن وهب القاضي ، فروى له بسنده الى أبي هريرة رضي الله عنه ؛ أن النبي ﷺ  
 قال : لا سبق إلا في خف أو حافر أو جناح ، فزاد : أو جناح ، وهي افقطة  
 وضما الرشيد ، فأعطاء جائزة سنوية ، فلما خرج قال الرشيد : والله لقد علمت أنه  
 كذب ، ثم إنه أمر بالحمام أن تذبج فذبجت ، فقبل له : وما ذنب الحمام ؟ قال : من  
 أجله كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فترك العلماء حديث أبي البخترى  
 لذلك واقيره من موضوعاته . قال ابن قتيبة : هو وهب بن وهب بن وهب ،  
 ثلاثة أسماء على نسق ، ومثله في ملوك الفرس بهرام بن بهرام بن بهرام ، وفي  
 الملوين : الحسن بن حسن بن حسن ، وفي غسان الحارث الأصغر ابن

(١) الحلبة ؛ خيل تجمع للسباق من كل أوب ، أي من كل ناحية .

(٢) المصلئ : قال السابق .

الحارث الأعرج ابن الحارث الأكبر . وكان أبو البخترى المذكور قاضي مدينة النبي ﷺ بعد بكار بن عبد الله الزبيري ، ثم ولي قضاء بغداد بعد أبي يوسف صاحب أبي حنيفة ، وتوفي أبو البخترى المذكور سنة مائتين في خلافة المأمون .

وقال ابن أبي خيثمة والشيخ تقي الدين القشيري في « الاقتراح » : واضح حديث الحمام غياث بن إبراهيم ، وضعه للمهدي لا للرشيد . قلت : وهذا جزم الحافظ المراقي في « شرح أفيته » ، فقال : غياث بن إبراهيم وضع للمهدي في حديث : « لاسبق إلا في نصل أو خف أو حافر ، فزاد فيه : أو جناح ، وكان المهدي إذ ذاك يلعب بالحمام فتركها بعد ذلك ، وأمر بدمجها ، وقال : أنا حملته على ذلك . انتهى . وفي « تاريخ ابن خلكان » : قال الخطيب في « تاريخه » : قال إبراهيم الحربي : قيل للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه : تعلم أحداً روى : لاسبق إلا في خف أو حافر أو جناح ؟ فقال : ماروى هذا إلا ذلك الكذاب ، أبو البخترى . قال ابن خلكان : وأبو البخترى - بفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة وفتح التاء المثناة الفوقية وبعدها راء - مأخوذ من البختره التي هي من الخيلاء . وروى الخطيب أيضاً في « تاريخه » : أن هارون الرشيد لما قدم المدينة أعظم أن يرقى منبر النبي ﷺ بقاء ومنطقة ، فقال أبو البخترى : حدثني جعفر بن محمد - يعني جعفر الصادق - عن أبيه قال : نزل جبريل على النبي ﷺ وعليه بقاء ومنطقة مخنجرأ مخنجر . قوله : مخنجر مخنجر ، قال في « المطالع » : الخنجر - بفتح الخاء المعجمة والهميم ، وضبطه بمضهم بكسر الخاء وفتح الهميم - وهو نوع من السكاكين الكبيرة . انتهى . فقال المصنف التميمي في ذلك :

ويل وعول لأبي البخترى إذا أتوا للناس في الهشر  
من قوله الزور وإعلانه بالكذب في الناس على حفر



والله ما جالسه ساعة      للفقه في بدو ولا محضر  
ولا رآه الناس في دهره      يمر بين القبر والمنبر  
يا قاتل الله ابن وهب لقد      أعلن بالزور وبالمنكر  
يزعم أن المصطفى أحمداً      أتاه جبريل النقي السبري  
عليه خف وقباه أسود      مخنجرأ في الخف بالخنجر

وحكى جعفر الطيالسي أن الامام يحيى بن معين وقف على حلقتة وهو يحدث بهذا الحديث عن جعفر الصادق ، فقال له : كذبت يا عدو الله على رسول الله ﷺ ، قال : فأخذني الشرط ، قال : قلت لهم : هذا يزعم أن رسول رب العالمين نزل على النبي ﷺ وعليه قباه ، قال : فقالوا لي : هذا والله قاض كذاب ، وأفرجوا عني . وأخبار أبي البخترى كثيرة ، وهو مطلي ، وكان جعفر الصادق تزوج بأمه ، واسمها عبدة بنت علي بن زيد بن ركانة بن عبد زيد ، وأما بنت عقيل بن أبي طالب ، والله أعلم .

### الحديث الثالث والخمسون

٩٨ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال :  
أقيمت الصلاة ، فقام النبي ﷺ فأقبل علينا بوجهه ، فقال :  
أقيموا صفوفكم وتراءصوا ، فاني أراكم من وراء ظهري .

قال رضي الله عنه : ( ثنا ) أبو عمرو محمد ( بن أبي عدي ) البصري ( عن حميد ) الطويل ( عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( قال : أقيمت ) بضم المهملة وكسر القاف مبنياً للمفعول ( الصلاة ) بالرفع نائب الفاعل ( فقام النبي ﷺ )

في القبلة للصلاة ( فأقبل علينا ) معشر الصحابة المؤمنين به وقتئذ ( بوجهه ) الشريف ( فقال : أقيموا ) أي عدلوا ، يقال : أقام العود ، إذ عدله وسواه ( صفوفكم ) معشر المصلين ( وراسوا ) بتشديد الصاد المهملة ، أي تلاصقوا بغير خلل ، ويحتمل أن يكون تأكيداً لقوله : أقيموا ، والمراد بأقيموا : سوا كما وقع في رواية عن حميد ، عند الاسماعيلي ، بدل أقيموا : اعتدلوا . وفي الحديث دليل على جواز الكلام بين الإقامة والدخول في الصلاة ، ومراعاة الامام لرعيته ، والشفقة عليهم ، والحث على تسوية الصفوف . وقد جاء في ذلك عدة أحاديث :

ففي « الصحيحين » من حديث أنس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : سوا صفوفكم فإن تسوية الصف من تمام الصلاة . وفي رواية للبخاري : فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة . ورواه أبو داود ؛ ولفظه : إن رسول الله ﷺ قال : رصوا صفوفكم ، وقاربوا بينها ، وحاذوا بالاعناق ، فوالذي نفسي بيده إني لأرى الشيطان يدخل من خلل الصفوف كأنه (١) الحذف ، ورواه النسائي ، وابن خزيمة وابن حبان في « صحيحهما » نحو رواية أبي داود . والخلل بفتح الخاء المعجمة واللام أيضاً - : هو ما يكون بين الاثنين من الاتساع عند عدم التراص ، والحذف بالحاء المهملة ، والذال المعجمة مفتوحين ، وبمدهما فاء : أولاد الضأن الصفار .

وأخرج الامام أحمد ، وأبو داود ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : أقيموا الصفوف ؛ وحاذوا بين المناكب ، وسدوا الخلل ، ولينوا بأيدي إخوانكم ، ولا تدرؤا فرجات الشيطان ، ومن وصل صفا وصله الله ، ومن قطع صفاً قطعه الله . الفرجات : جمع فرجة ، وهي المكان الخالي بين الاثنين ( فإني أراكم من وراء ظهري ) قال الحافظ ابن حجر : في

(١) في الاصل كأنها ، وهو خطأ ، والتصويب من « سنن أبي داود »

إشارة الى سبب الأمر بذلك ، أي إنما أمرت بذلك لأنني تحمقت منكم خلافه .  
وتقدم في الحديث السادس والأربعين من « مسند أنس » رضي الله عنه ، أن  
المختار حمل رؤيته ﷺ من ورائه على الحقيقة بعيني رأسه ، وقد روى الشيخان  
حديث أنس هذا بلفظه المذكور . وفي رواية للبخاري : قال أنس : فكان أحدنا  
يلتزم منكبه بمنكب صاحبه ، وقدمه بقدمه .

وأخرج الامام أحمد ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي  
ﷺ قال : أحسنوا إقامة الصفوف في الصلاة .

وفي « أوسط الطبراني » من حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب  
رضوان الله عليه مرفوعاً : استووا تستو قلوبكم ، وتماسوا تراحموا . قال  
شريح : تماسوا ، يعني ازدحموا في الصلاة ، وقال غيره : تماسوا ، تواصلوا .  
وفيه من حديث عائشة الصديقة رضي الله عنها مرفوعاً : من سدّ فرجة ،  
رفعه الله بها درجة ، وبنى له بيتاً في الجنة .

والبزار باسناد حسن ، عن أبي جحيفة رضي الله عنه ، أن رسول الله  
ﷺ قال : من سدّ فرجة في الصف غفر له . وأبو جحيفة - بضم الجيم وفتح  
الحاء المهملة ، وسكون التحتية ، وبالفاء اسم : وهب بن عبد الله السوائي .

### الحديث الرابع والخمسون

٩٩ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد قال : سئل أنس عن صلاة  
رسول الله ﷺ من الليل ، فقال : ما كنا نشاء أن نراه من  
الليل مصلياً إلا رأيناه ، وما كنا نشاء أن نراه نائمًا إلا رأيناه ،

وكان يصوم الشهر حتى نقول : لا يفطر منه شيئاً ، ويفطر حتى  
نقول : لا يصوم منه شيئاً .

قال رضي الله عنه : ( ثنا ) محمد ( بن أبي عدي ، عن حميد ) الطويل ( قال :  
سئل ) بضم السين المهملة ، وكسر الهمزة ، مبنياً للجبول ( أنس ) بن مالك رضي الله  
عنه ، رفع أنس نائب الفاعل ( عن صلاة رسول الله ﷺ من الليل فقال ) أنس  
رضي الله عنه ، مجيباً لمن سأله : ( ما كنا ) معشر أصحابه المطمئنين عليه في نومه  
وخلواته ( نشاء ) أي زيد ( أن زاه ) ﷺ ( من الليل مصلياً إلا رأيتناه مصلياً )  
إشارة الى كثرة صلواته من الليل ﷺ ، وعدم تركه وإيماله لها ( وما كنا  
نشاء أن زاه ) ﷺ ( نائماً ) من الليل ( إلا رأيتناه ) نائماً ، يريد أنه ما كان  
يخل بقيام الليل ، إلا أنه لا يقومه كله .

وفي « الترمذي » من حديث أنس رضي الله عنه : « كنت لا تشاء أن  
تراه ﷺ من الليل مصلياً ، إلا رأيتنه مصلياً ، ولا نائماً إلا رأيتنه نائماً . وتقدم  
الكلام على الاقتصاد في السادس والثلاثين من « مسند أنس » رضي الله عنه .

ودل هذا الحديث على قيام رسول الله ﷺ من الليل وتهجده ، وهذا  
مذهب الجمهور ، ويدل عليه من الكتاب العزيز قوله تعالى : « ومن الليل فتعجده  
نافلة لك عسى أن يمتك ربك مقاماً محموداً » (١) وقال تعالى : « والذين يبيتون  
لربهم سجداً وقياماً » (٢) وقال تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون  
ربهم خوفاً وطمئناً وما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين  
جزأءاً مما كانوا يعملون » (٣) والآيات في هذا كثيرة .

(١) سورة الاسراء ، الآية : ٧٩

(٢) سورة الفرقان ، الآية : ٦٤

(٣) سورة السجدة ، الايتان : ١٦-١٧

والتهجيد : اسم لدفع النوم بالتكلف ، والهجود ؛ هو النوم . يقال : هجد إذا نام ، وتهجد : إذا أزال النوم . وقيل : التهجد : هو صلاة التطوع بالليل . وقيل : الصلاة بعد النوم . ونقل عن الامام أحمد رضي الله عنه أنه قال : قيام الليل من المغرب الى طلوع الفجر ، يعني وأما التهجد : فما كان بعد النوم والناشئة ؛ ما كان بعد رقدة لطيفة .

وفي «الصحيحين» وغيرهما ، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ حتى تورمت قدماه ، فقيل له : قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر . قال : أفلا أكون عبداً شكوراً؟ وروى الامام أحمد ، ومسلم ، وأصحاب «السنن الأربعة» عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ ، أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ قال : الصلاة في جوف الليل . فقيل : فأَي الصيام أفضل بعد رمضان ؟ قال : شهر الله المحرم .

وروى الترمذي ؛ وصححه من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه ، أنه سمع النبي ﷺ يقول : أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر ، فإن أستطعت أن تكون بمن يذكر الله في تلك الساعة فكن .

وأخرج الامام أحمد ، ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين .

وأخرجا أيضاً ، وأبو داود ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين . وفي رواية أخرى : ثم ليَطوّل بعدها ما شاء . » .

والحكمة في تخفيفها : سرعة المبادرة الى العقيدة الثالثة من المقدمات التي يقدها الشيطان على قافية رأس النائم ، وهي مؤخره . ومنه سمي آخر بيت

الشمر : قافية ، وذلك لما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « يقعد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقدة ، يضرب على كل عقدة ، عليك ليل طويل فارقد ، فان استيقظ فذكر الله تعالى ؛ انحلت عقدة ، فان توضأ انحلت عقدة ، فان صلى انحلت عقده كلها ، فأصبح نشيطاً طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » . رواه الامام مالك ، والشيخان ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه وقال : فيصبح نشيطاً طيب النفس قد أصاب خيراً ، وإن لم يفعل أصبح كسلان خبيث النفس لم يصب خيراً . . . ورواه ابن خزيمة في « صحبه » ، وزاد في آخره : فحلوا عقد الشيطان ولو بركتين .

وأخرج الترمذي . وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه ، والحاكم وقال : على شرط الشيخين ، من حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس ، أي أسرعوا اليه ومضوا كلهم ، وهو بالجيم . قال : فكنت فيمن جاءه ، فلما تأملت وجهه واستتبته ، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب . قال : فكان أول ما سمعت من كلامه أن قال : أيها الناس ! أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ؛ تدخلوا الجنة بسلام .

وفي « الصحيحين » ، وغيرها ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « أحب الصلاة الى الله صلاة داود ، وأحب الصيام الى الله صيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، ويصوم يوماً ، ويفطر يوماً . » .

و عن أبي أمامة وسلمان الفارسي رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم ، وقربة الى ربكم ، ومكفرة للسيئات ، ومنهاة عن الاثم » . زاد في حديث سلمان : « ومطرده للداء عن الجسد . » . رواه الترمذي ، والحاكم وصحبه ، وغيرهما .

وروى الطبراني ، من حديث إياس بن معاوية المزني رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا بد من صلاة بليل ولو حلب شاة ، وما كان بعد صلاة العشاء فهو من الليل » .

وروى أبو يعلى - ورواه محتج بهم في الصحيح - من حديث ابن عباس رضي الله عنها قال : فذكرت قيام الليل ، فقال بعضهم : إن رسول الله ﷺ قال : نصفه ، ثلثه ، ربه ، فواق حلب ناقة ؛ فواق حلب شاة . وفواق الناقة - بضم الفاء هنا - قدر ما بين رفع يدك عن الضرع وقت الحلب وضما .

وروى الطبراني في « الكبير » و « الأوسط » عنه : أمر رسول الله ﷺ بصلاة الليل ، ورغب فيها حتى قال : « عليكم بصلاة الليل ولو ركعة » .

وفي حديث سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعاً : « شرف المؤمن قيام الليل ، وعزه استغناؤه عن الناس » . رواه الطبراني في « الأوسط » بإسناد حسن وروى ابن أبي الدنيا ، والبيهقي ، عن ابن عباس رضي الله عنها مرفوعاً : أشرف أمتي حملة القرآن ، وأصحاب الليل » .

وروى الطبراني في « الكبير » موقوفاً بإسناد لا بأس به ، ورفعه جماعة ، عن طارق بن شهاب أنه بات عند سلمان الفارسي رضي الله عنه ، لينظر ما اجتهداه قال : فقام يصلي من آخر الليل ، فكان لم ير الذي كان يظن ، فذكر ذلك له فقال سلمان : حافظوا على هذه الصلوات الخمس ، فانهن كفارات لهذه الجراحات ما لم يصب المقتلة ، فاذا صلى الناس العشاء صدروا على ثلاث منازل ، منهم من عليه ولا له ، ومنهم من له ولا عليه ، ومنهم من لا له ولا عليه . فرجل اغتم ظلمة الليل وغفلة الناس ، فركب فرسه في الماصي ، فذلك عليه ولا له ، ومنهم من له ولا عليه ، فرجل اغتم ظلمة الليل وغفلة الناس ، فقام يصلي ؛ فذلك له ولا عليه . ومن لاله ولا عليه ، فرجل صلى ثم نام فذلك لا له ولا عليه ، إياك والحققة ، وعليك

بالقصد ودوامه . قوله : الحقيقة — بحاءين مهملتين مفتوحتين ، وقافين ، الاولى ساكنة ، والثانية مفتوحة — هي أشد السير . وقيل : هو أن يجتهد في السير ويلح فيه حتى تمطب راحلته ، أو تقف . وقيل غير ذلك .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ : « من قام بمشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين » . رواه أبو داود ، وابن خزيمة في « صحيحه » ، كلاهما من رواية أبي سوية ، عن أبي جحيرة ، عن عبدالله بن عمرو . وقال ابن خزيمة : إن صح الخبر فاني لا أعرف أبا سوية بمدالة ولا جرح . ورواه ابن حبان في « صحيحه » من هذه الطريق أيضاً ، إلا أنه قال : « ومن قام بمائتي آية كتب من المقنطرين » ، أي ممن كتب له قنطار من الأجر .

وروى ابن حبان في « صحيحه » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « القنطار : اثنا عشر الف أوقية ، الأوقية خير مما بين السماء والارض » . قال الحافظ المنذري : من سورة : « تبارك الذي بيده الملك » (١) الى آخر القرآن ألف آية .

قال علماؤنا : كان قيام الليل واجباً على النبي ﷺ ولم ينسخ . قالوا : ولا ينبغي أن يقوم الانسان كل الليل ، إلا ليلة عيد ، يعني وقدر ، ونحوهما . قالوا : ويكره مداومة قيامه كله ، ويستحب أن يكون له تطوعات يداوم عليها ، وإذا فاتت يقضيها .

وقد استحب الامام أحمد رضي الله عنه ، أن يكون له ركعات معلومة من الليل والنهار ، فإذا نشط طولها ، وإذا لم ينشط خففها .

قالت أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها لرجل : لا تدع قيام الليل ،

(١) سورة الملك ، الآية : ١



فان رسول الله ﷺ كان لا يدعاه ، وكان إذا مرض - أو قالت : كسل - صلى قاعداً .

وفي رواية أخرى عنها رضي الله عنها قالت : بلغني عن قوم يقولون : إذا أذينا الفرائض لم نبالي أن لا نزداد ، ولعمري لا يسألهم الله إلا عما افترض عليهم ، ولكنهم قوم يخطئون بالليل والنهار ، وما أنتم إلا من نبيكم ، وما نبيكم إلا منكم ، والله ما ترك رسول الله ﷺ قيام الليل .

ونزعت كل آية فيها قيام الليل ، فأشارت رضي الله عنها الى أن قيام الليل فيه فائدتان عظيمتان : الاقتداء بسنة المصطفى ﷺ ، والتأسي به . وقد قال تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » (١) ، وتكفير الذنوب والخطايا ، فان بني آدم يخطئون بالليل والنهار ، فيحتاجون الى الاستكثار من مكفرات الخطايا ، وقيام الليل من أعظم المكفرات ، كما قال النبي ﷺ لمساذ بن جبل رضي الله عنه : « قيام العبد في جوف الليل يكفر الخطيئة » ، ثم تلى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعا » (٢) الآية ، أخرجه الامام أحمد .

وقد روي أن المهجدين يدخلون الجنة بغير حساب ، روي عن شهر ابن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها ، عن النبي ﷺ قال : « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء منادٍ ينادي بصوت يسمع الخلائق : سيعلم الخلق اليوم من أولى بالكرم ، ثم يرجع فينادي : أين الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، فيقومون وهم قليل ، ثم يرجع فينادي : ليقم الذين كانوا يحمدون الله في السراء والضراء ، فيقومون وهم قليل ، ثم يرجع فينادي :

(١) سورة الاحزاب ، الآية : ٢١

(٢) سورة السجدة ، الآية : ١٦

ليقيم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع ؛ فيقومون وهم قليل ، ثم يحاسب سائر الناس . أخرجه بن أبي الدنيا وغيره .

ويروى عن ابن عباس من قوله ، ويروى أيضاً عن عقبه بن عامر رضي الله عنهم مرفوعاً وموقوفاً . ويروى نحوه عن عبادة بن الصامت ، وريمة الجرشي ، والحسن البصري ، وكعب الأحبار ، وغيرهم من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين .

وقد قال بعض السلف : قيام الليل يهون طول القيام يوم القيامة ، ويكفي المهجدين أن الله تعالى يحبهم ، ويباهي بهم الملائكة ، ويستجيب دعاءهم . وفي ذلك أحاديث كثيرة ، والله الموفق .

قال أنس بن مالك رضي الله عنه : ( وكان ) رسول الله ﷺ ( يصوم ) الشهر حتى نقول ( معشر أصحابه : إنه ( لا يفطر منه شيئاً ) لكثرة صومه منه على فطره فيه ( ويفطر ) الشهر الآخر ( حتى نقول : لا يصوم منه ) أي ذلك الشهر ( شيئاً ) لكثرة فطره فيه على صيامه منه .

وفي « الصحيحين » و « سنن أبي داود » ، وغيرها ، من حديث أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول : لا يفطر ، ويفطر حتى نقول : لا يصوم ، ومارأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط ، إلا صيام رمضان ، ومارأيته في شهر أكثر صياماً منه في شعبان .

وفي رواية عند البخاري ومسلم : وكان ﷺ يقول : « خذوا من العمل ما تطيقون ، فإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا » .

وكان أحب الصلاة إلى النبي ﷺ ما دووم عليه وإن قلت ، وكان إذا صلى صلاة داوم عليها .

وفي « الصحيحين » وغيرهما ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال :  
أوصاني خليلي ﷺ بثلاث : صيام ثلاث من كل شهر ، وركعتي الضحى ، وأن  
أوتر قبل أن أنام . ورواه مسلم أيضاً عن أبي الدرداء مثله سواء .

وفي « الصحيحين » وغيرهما ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص  
رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ : « صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم  
الدهر كله » . وروى الامام أحمد باسناد صحيح ، والبرزاري ، والطبراني ، وابن  
حبان في « صحيحه » عن قرعة بن إياس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :  
« صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر وإفطاره » .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال  
رسول الله ﷺ : « قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلا الصوم ، فإنه لي  
وأنا أجزي به ، والصيام جنّة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم ، فلا يرفث ، ولا  
يضحك ، فإن سابه أحد أو قاتله ، فليقل : إني صائم ، إني صائم ، والذي نفس  
محمد بيده : لخلّوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وللصائم فرحتان  
يفرحهما ، إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه » . وفي رواية  
للبخاري : « يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي » .

قوله : خلّوف فم الصائم . الخلوف ، بضم الخاء المعجمة واللام ، وسكون  
الواو ، وبعدها فاء . قال القاضي عياض : هكذا الرواية الصحيحة ، وبعض  
الشيوخ يقولون بفتح الخاء . قال الخطابي : وهو خطأ . وحكى القاسمي الوجيهين .  
وبأن النوي في « شرح المذهب » فقال : لا يجوز فتح الخاء . واحتج غيره لذلك ،  
بأن المصادر التي جاءت على فمول - بفتح أوله - قليلة . ذكرها سيبويه وغيره ،  
وليس هذا منها .

قلت : ومن قال بفتح الخاء المعجمة ، الحافظ المنذري في كتابه : « الترغيب

والترهيب ، ، وهو تزيير رائحة الفم من الصوم ، وقد سئل سفيان بن عيينة رحمه الله ورضي عنه ، عن قوله : كل عمل ابن آدم له إلا الصوم ؛ فانه لي . فقال : إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عز وجل عبده ، ويؤدي ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى لا يبقى إلا الصوم ؛ فيتحمل الله ما بقي عليه من المظالم ، ويدخله بالصوم الجنة . هذا كلامه ، واستغفره المنذري :

قال الحافظ ابن رجب في كتابه : « لطائف المعارف » : وعلى هذا فيكون المعنى : أن الصيام لله عز وجل ؛ فلا سبيل لأحد إلى أخذ أجره من الصيام ، بل أجره مدخر لصاحبه عند الله عز وجل ؛ فلا يسقط ثواب الصوم بمقاصّة ولا غيرها ، بل يوفّر أجره لصاحبه حتى يدخل الجنة ، فيوفّي أجره فيها .  
وأما قوله : فانه لي ؛ فخص سبحانه الصيام بإضافته إلى نفسه دون سائر الأعمال ، وقد كثر القول في معنى ذلك من الفقهاء والصوفية وغيرهم ، وذكروا فيه وجوهاً كثيرة ، ومن أحسن ما ذكروا وجهاً :

أحدهما : أن الصيام مجرد ترك حظوظ النفس ، وشهواتها الأصلية التي جبلت على الميل إليها ، لله عز وجل ، ولا يوجد ذلك في عبادة أخرى غير الصيام ، خصوصاً في نهار الصيف ، مع شدة حرّه وطوله ؛ ولهذا روي : من خصّص الإيمان الصوم في الصيف .

الثاني : أن الصيام سر بين العبد وربه ، لا يطلع عليه غيره ؛ لأنه مركب من نية باطنة لا يطلع عليها إلا الله ، وترك لتناول الشهوات التي يستخفي بتناولها في العادة ؛ ولذا قيل : لا تكتبه الحفظة . وقيل : إنه ليس فيه رياء ، كذا قاله الامام أحمد وغيره رضي الله عنه وفي فضائل الصيام أحاديث كثيرة جداً وباللّٰه التوفيق .

## الحديث الخامس والخمسون

١٠٠ - ثنا بن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : كان يعجبنا أن يجيء الرجل من البادية فيسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء أعرابي فقال : يا رسول الله ! متى قيام الساعة ؟ وأقيمت الصلاة ، فصلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ من صلاته قال : أن السائل عن الساعة ؟ قال : أنا يا رسول الله . قال : وما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها من كبير عمل صلاة ولا صيام ، إلا أني أحب الله ورسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المرء مع من أحب . قال أنس : فما رأيت المسلمين فرحوا بعد الإسلام بشيء ما فرحوا به .

قال رضي الله عنه ( ثنا ) محمد ( بن أبي عدي ، عن حميد ) الطويل ( عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ، أنه ( قال : كان يعجبنا ) معشر أصحاب النبي ﷺ زمن حياته ( أن يجيء الرجل ) أي الشخص ، أي كنا نحب ذلك ونوده ونطلبه ( من البادية ) بغير همز كالبدو ، من بدا الرجل بدأ إذا خرج الى البادية ، فبذلها ، وهي خلاف الحضر . والاسم : البداوة ، بفتح الباء وكسرهما ، هذا هو المشهور . وحكي : بدأ بالهمز يبدو ، وهو قليل ، كما في « المطالع » ( فيسأل رسول الله ﷺ ) ينصب رسول الله مفعول يسأل ، وانفعال ضمير يعود على

الرجل . قال : ( فجاء أعرابي ) اختلف في اسمه ، فقيل : إنه ذو الخويصرة .  
اليمني ، كما هو في « أفهام ابن البلقيني » . وفي بعض النقاظ « الصحيحين » وغيرها :  
أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة ( فقال : يا رسول الله ! متى قيام الساعة ؟ )  
أي الكبرى .

قال ابن بشكوال : هذا الرجل إن شاء الله هو أبو موسى الأشعري ،  
أو أبو ذر ، واحتج في ذلك بمحدثين لا حجة فيهما ، فلفظ حديث أبو موسى .  
قلت : يا رسول الله ! المرء يجب القوم ولما يلحق بهم ؟ فقال رسول الله ﷺ :  
« المرء مع من أحب » . ولفظ حديث أبي ذر . قلت : يا رسول الله ! الرجل يجب  
القوم ولا يستطيع أن يعمل بمثلهم ؟ قال : « أنت يا أبا ذر مع من أحببت » . وأين  
هذا من حديث أنس : فجاء أعرابي ، فان أبا موسى وإن جاز أن يهيم نفسه فيقول :  
أتى رجل ؛ فغير جائز أن يصف نفسه بأنه أعرابي ، وكذا أبو ذر ، كما أشار  
إلى ذلك في « الفتح » ، وذكر أنه يحتمل أن يكون صفوان بن قدامة .

فقد أخرج الطبراني ، وصححه أبو عوانة ، من حديثه قال : قلت : يا رسول  
الله ! إني أحبك . قال : « المرء مع من أحب » .

وفي رواية في « الصحيحين » من حديث أنس رضي الله عنه : متى الساعة ؟  
ووقع في رواية . قال : أنس : بينما أنا ورسول الله ﷺ خارجين من المسجد ،  
فلقينا رجلاً عند سدة المسجد ، فقال : يا رسول الله ! متى الساعة ؟ وفي أخرى :  
خرج رسول الله ﷺ ، فتمرض له أعرابي . أخرجه أبو نعيم . وله أيضاً عن  
أنس : دخل رجل والنبي ﷺ يخطب .

وفي رواية عن حميد ، عن أنس : جاء رجل فقال : متى الساعة ؟ ( وأقيمت )  
بالبناء للمجهول ( الصلاة ، صلى ) وفي رواية : قام ( النبي ﷺ ) إلى الصلاة ،  
ثم صلى ( فلما فرغ من صلاته قال : أين السائل عن الساعة ؟ ) ويجمع بينه وبين

ما قبله ، بأنه سأل والذبي ﷺ بخطب فلم يجبه حينئذ ، فلما انصرف من الصلاة وخرج من المسجد رآه فتذكر سؤاله ، أو عاوده الأعرابي في السؤال ؛ فاستفسر عن السائل عن الساعة . ذ (قال) الأعرابي: (أنا) هو (إرسول الله . قال) ﷺ له : (وما أعددت لها؟) أي للساعة التي تسأل عنها من العمل الصالح والكذب الناجح ، قال الكرمانى : سلك مع السائل الأسلوب الحكيم ، وهو تلقي السائل بغير ما يطلب مما همسه ، أو هو أم . (قال) الأعرابي : (ما أعددت لها) أي للساعة (من كبير عمل صلاة ولا صيام) زاد في رواية : ولا صدقة (إلا أنى أحب الله) سبحانه وتعالى (ورسوله) ﷺ . وفي لفظ : ولكنى أحب الله ورسوله .

قال الحافظ ابن رجب في كتابه «استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس» : محبة الله واجبة تستلزم امتثال طاعته ، واجتناب معصيته ، وكذلك محبة الرسول ﷺ ، وأصحابه ، والتابعين لهم باحسان ؛ فالهبة الصحيحة لهم ، تقتضي مشاركتهم في أصل عملهم وإن عجز عن بلوغ غايته ، ولهذا قال السائل : ما أعددت لها من كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة ؛ فدل على أنه قد أتى من ذلك بما وجب عليه ، ولم يأت بأزيد من ذلك (فقال رسول الله ﷺ : المرء) وهو بتثليث الميم : الانسان ، أو الرجل . ولا يجمع من لفظه ، أو سمع مرثون ، والذئب ، وهي بهاء (١) .

وفي امرئ مع ألف الوصل ثلاث لغات : فتح الراء دائماً ، وضمها دائماً ، وإعرابها دائماً (٢) . ونقول : هذا امرؤ ومرؤ ، ورأيت امرءاً ومرءاً ،

(١) لم تكن كلمة الذئب في الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونها . والتصحيح من «القاموس»

(٢) وعلى هامش الاصل ، بخط الشيخ عبد القادر بدران ما نصه :

ما ذكره الشارح من قوله : وإعرابها دائماً ، إنما يتمشى على مذهب الكوفيين الثمانيين بأن امرءاً معرب من مكانين . وأما على مذهب البصريين ؛ فحركة الراء إتباع للآخر ، والاعراب على الآخر فقط . وأدنى طالب قرأ «الازهرية» لا يشبهه عليه ذلك ؛ فتأمل . اهـ . بدران

ومررت بامرئيه وعمريء معرباً من مكانين ، كما في «القاموس» ( مع من أحب ) .  
وفي « البخاري » : فقلنا : ونحن كذلك ؟ قال ﷺ : نعم . قال في  
« الفتح » : وقد جمع أبو نعيم طرق هذا الحديث في جزء سماه : « كتاب المحبين  
مع المحبوبين » ، فبلغ عدد الصحابة فيه نحو العشرين . وفي رواية أكثرهم  
بهذا اللفظ .

وفي لفظ من حديث أنس في « البخاري » وغيره : « أنت مع من أحببت » ،  
زاد ابن الصبيان ، عن ثابت ، عن أنس : « إنك مع من أحببت ، ولك ما احتسبت » ،  
أخرجه أبو نعيم . وله مثله من طريق قررة بن خالد ، عن الحسن ، عن أنس .  
وأخرج أيضاً من طريق أشعث ، عن الحسن ، عن أنس : « المرء مع من أحب » ،  
وله ما اكتسب ، وفي رواية : « أنت مع من أحببت ، وعليك ما اكتسبت » ، وعلى  
الله ما احتسبت » :

( قال أنس ) رضي الله عنه : ( فما رأيت المسلمين فرحوا بعد الإسلام  
بشيء ما فرحوا به ) أي بقوله ﷺ : « المرء مع من أحب » .  
وروى هذه الزيادة مسلم ولفظه : قال أنس : فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً  
أشد من قوله : « أنت مع أحببت » .

وفي رواية للبخاري ، فقلنا : ونحن كذلك ؟ قال : نعم ، وفرحنا يومئذ  
بذلك فرحاً شديداً .

قال أنس رضي الله عنه : فأنا أحب الله عز وجل ، ورسول الله ﷺ ،  
وأبا بكر وعمر ، وأرجو أن أكون معهم ، وإن لم أعمل بأعمالهم قال بعض  
العارفين : يكفي للمحبين شرفاً هذه الميئة .

قال عبيد بن عمير : جاء رجل الى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله !  
الرجل يحب المصلين ولا يصلي إلا قليلاً ، ويحب الصائمين ولا يصوم إلا قليلاً ،



ويحب الذاكرين ولا يذكر إلا قليلا ، ويحب المتصدقين ولا يتصدق إلا قليلا ،  
ويحب المجاهدين ولا يجاهد إلا قليلا ، وهو في ذلك يحب الله ورسوله ، قال : « هو  
يوم القيامة مع من أحب » .

وقد قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : ابن آدم لا تغتر بقول من يقول :  
المرء مع من أحب ، إنه من أحب قوماً اتبع آثارهم ، وإن تلحق بالأبرار حتى  
تتبع آثارهم ، وتأخذ بهديهم ، وتقتدي بسنتهم ، وتصبح وتمسي وأنت على  
منهاجهم ، حريصاً على أن تكون منهم ؛ فتسلك سبيلهم ، وتأخذ طريقهم ، وإن  
كنت مقصراً في العمل ؛ فاعلم أنك لا تكون على استقامة ، أما رأيت  
اليهود ، والنصارى ، وأهل الأهواء الردية ، يحبون أنبياءهم وليسوا معهم ؛  
لأنهم خالفوهم في القول والعمل ، وسلكوا غير طريقهم ؛ فصار موردتهم النار ،  
نموذ بالله من ذلك .

وقال عتبة الغلام : من عرف الله أحبه ، ومن أحبه أطاعه ، ومن أطاع الله أكرمه  
الله ، ومن أكرمه الله أسكنه في جواره ، ومن أسكنه في جواره ؛ فطوباه  
وطوباه وطوباه ، فلم يزل يكررها ويقول : وطوباه وطوباه ، حتى خر ساقطاً  
مفتشياً عليه .

وقال فرقد السنجي : قرأت في بعض الكتب : الحب لله أمير مؤمن على  
الأمراء ، زممرته أول الزمر يوم القيامة ، ومجلسه أقرب المجالس فيما هناك .  
خرجه والذي قبله إبراهيم بن الجنيد .

### تنبيهات

الأول : محبة الله سبحانه وتعالى على درجتين :  
إحداهما : فرض لازم ، وهي أن يحب الله سبحانه محبة توجب له محبة

ما فرض عليه ، وبفض ما حرمه عليه ، ومحبة رسوله المبلّغ أمره ونهيه ، وتقديم محبته على النفوس والأهلين أيضاً ، والرضى بما بلّغه عن الله من الدين ، وتلقى ذلك منه بالرضى والتسليم ، ومحبة الأنبياء والرسل والتبئين لهم باحسان جملة وعموماً لله عز وجل ، وبفض الكفار والفجار جملة وعموماً لله عز وجل ؛ فهذا القدر لا بد منه في تمام الإيمان الواجب . ومن أخل بشيء منه ؛ فقد نقص من إيمانه الواجب بحسب ذلك . قال الله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلووا تسليماً » (١) .

وكذلك ينقص من محبته الواجبة بحسب ما أخل به من ذلك ؛ فإن المحبة الواجبة تقتضي فعل الواجبات وترك المحرمات .

وروى أبو نعيم ، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « إن سالماً - يعني مولى أبي حذيفة - شديد الحب لله ، لو كان لا يخاف الله ما عصاه ، يشير الى أن محبته تمنعه من أن يمصيه . وذكر أبو عبيد في « غريبه » : أن عمر رضي الله عنه قال : نعم الميسد صهيب لو لم يخف الله لم يمسه .

وقال الحسن بن آدم : أحب الله يحبك الله ، واعلم أنك لن تحب الله حتى تحب طاعته .

وسئل ذو النون : متى أحب ربي ؟ قال : إذا كان ما يبغضه ، عندك أمر من الصبر . وقال يحيى بن معاذ : ليس بصادق من ادعى محبة الله عز وجل ولم يحفظ حدوده .

وأخرج الترمذي من حديث معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « من أعطى لله ، ومنع لله ، وأحب لله ، وأبغض لله ؛ فقد

(١) سورة النساء ، الآية : ٦٥

استكمل إيمانه ، وخرجه الامام أحمد وزاد فيه : وأنكح الله .  
وفي لفظ له أيضاً ، أن النبي ﷺ سئل عن أفضل الايمان ؟ قال : أن  
تحب الله ، وتبغض الله ، وتعمل لسانك في ذكر الله .

وأخرج نحوه أبو داود ، من حديث أبي أمامة ، وأبي ذر رضي الله عنها .  
وأخرج الامام أحمد من حديث البراء بن عازب رضي الله عنها ، عن النبي  
ﷺ أنه قال : « إن أوثق عرى الايمان : أن تحب في الله ، وتبغض في الله » .

وأخرج أيضاً من حديث عمرو بن الجوح رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ  
قال : لا يحق المبد حق صريح الايمان ، حتى يحب لله ، ويبغض لله ، فاذا أحب  
لله وأبغض لله ؛ فقد استحق الولاية من الله ، ان الله تعالى يقول (١) : « إن  
أولياي من عبادي وأحبابي من خلقي ، الذين يذكرون مذكري ، وأذكر  
بذكرم .

وروى ليث عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنها قال : أحب في الله ،  
وأبغض في الله ، ووال في الله ، وعاد في الله ؛ فأما تنال ولاية الله بذلك ، لن يجد  
عبد طعم الايمان وإن كثرت صلواته وصومه ؛ حتى يكون كذلك . وقد صارت  
عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً . أخرج ابن  
جرير الطبري ؛ فهذه الدرجة من محبة الله فرض واجب على كل مسلم ، وهي درجة  
المقتصدین أصحاب اليمين .

**الدوجة الثانية :** درجة السابقين المقربين ، وهي أن ترتقي المحبة الى محبة  
ما يحبه الله من نوافل الطاعات ، وكراهة ما يكرهه من دقائق المكروهات ، والى

---

(١) عبارة : إن الله تعالى يقول . لم تكن في الاصل . ولا يستقيم المعنى بدونها . وقد  
رأينا على هامش الاصل : لعله : إن الله تعالى يقول ، ونحو ذلك .

الرضى بما يقدره ويقضيه مما يؤلم النفوس من المصيبات ، وهذا فضل مشحوب مندوب اليه .

وفي « صحيح البخاري » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « يقول الله عز وجل : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته ؛ كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، واثني سألتني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذته » ... الحديث .

وأما من انهمك في الذنوب والمعاصي ، فماله ودعوى المحبة ؟ وما أحسن قول من قال .

تمصي الآله وأنت تزعم جبه      هذا المعري في القياس شنيع  
لو كان حبك صادقاً لأطمته      إن الحب لمن يحب مطيع  
وكذلك محبة الرسول ﷺ على درجتين :

إحداهما : فرض لازم ، وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به من عند الله ، وتلقيه بالمحبة والتعظيم ، والرضى به والتسليم ، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية ، ثم حسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه ، من تصديقه في كل ما أخبر ، وطاعته فيما أمر به من الواجبات ، والانهاء عما نهى عنه وزجر من المحرمات ، ونصرة دينه والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة ، فهذا القدر لا بد منه ، ولا يتم الايمان بدونه .

والدرجة الثانية : فضل ، وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به ، وتحقيق الاقتداء بسنته ، في أخلاقه ، وآدابه ، ونوافله ، وتطوعاته ، وأكله ، وشربه ، ولباسه ، وحسن معاشرته لأزواجه ، وغير ذلك من آدابه الكاملة ،

وأخلاقه الطاهرة . والاعتناء بمعرفة سيرته وأيامه ، واهتزاز القلب عند ذكره وتصوره ، وكثرة الصلاة عليه ؛ لما سكن في القلب من محبته ، وتنظيمه ، وتوقيره ، ومحبة استماع كلامه . وإيثاره على كلام غيره من المخلوقين . ومن أعظم ذلك ، الاقتداء به في زهده في الدنيا ، والاجتزاء باليسير منها ، ورغبته في الآخرة .

قال سهل التستري : من علامة حب الله حب القرآن ، وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي ﷺ ، وعلامة حب النبي ﷺ حب السنة ، وعلامة حب السنة حب الآخرة . ومن علامة حب الآخرة ، بغض الدنيا ، وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زاداً يبلّغه الى الآخرة .

الثاني : في إعراض النبي ﷺ عن إجابة سؤال الأعرابي عن الساعة ، الى قوله : ما أعددت لها ؟ دليل على أن من سأل عما ليس بما يهمه لا يستحق الجواب عنه ، ويفتي بما يهمه أو هو أم مما سأل عنه ، ويسمى هذا في البديع : الأسلوب الحكيم .

وقد دلّ القرآن العظيم ، وحديث النبي الكريم ، على أن البارئ جل وعلا انفرد بعلم محبي الساعة ، ومتى يكون ذلك ، فالحق جل شأنه استأثر بعلمها . وفي حديث جبريل الذي في « الصحيحين » ، وغيرها ، لما سأله متى الساعة ، أي متى تقوم الساعة ؟ والمراد يوم القيامة ؛ أي متى علم وقت الساعة ؟ يعني مجيئها . فقال ﷺ : « ما المسؤول بأعلم من السائل » . وفي لفظ : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » . وفي رواية لما قال له : متى الساعة ؟ فكس فلم يجبه ، ثم أعاد فلم يجبه ، ثلاثاً ، ثم رفع رأسه فقال : ما المسؤول بأعلم من السائل . يعني أن الله تعالى استأثر بعلمها ، فلم الخلق كلهم في وقت الساعة سواء .

ولهذا قال ﷺ ، كما في حديث أبي هريرة في « الصحيحين » ، وغيرها ،

في : خمس لا يعلمهن إلا الله ، ثم تلى : « إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدري نفس بأي أرض تموت ، إن الله عليم خبير » (١) .

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنها ، فقال : سبحان الله ، خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله ؛ ثم تلى الآية .

قال النووي : يستنبط منه أن العالم إذا سئل عما لا يعلم يصرح بأنه لا يعلم ، ولا يكون في ذلك نقص من رتبته ، بل يكون ذلك دليلاً على مزيد ورعه .

قال القرطبي : مقصود هذا السؤال ، كلف السامعين عن السؤال عن وقت الساعة ؛ لأنهم كانوا قد أكثروا السؤال عنها ، كما ورد في كثير من الآيات ، والأحاديث ، كقوله تعالى : « يسألونك عن الساعة أيّات مرساها ، قل إنما علمها عند ربي لا يحيطها لوقتها إلا هو ، ثقلت في السموات والأرض ، لا تأتيكم إلا بفتة » (٢) .

وفي حديث ابن عمر عند الامام أحمد والبخاري ، أن النبي ﷺ قال : « مفاتيح الغيب خمس ، لا يعلمها إلا الله » ثم قرأ هذه الآية ، يعني ، « إن الله عنده علم الساعة » (١) الآية . ولفظ الامام أحمد : أن النبي ﷺ قال : « أوتيت مفاتيح كل شئ » إلا الخمس : « إن الله عنده علم الساعة » (١) .

وأخرج أيضاً عن ابن مسعود قال : « أوتي نبيكم ﷺ مفاتيح كل شئ » غير خمس : « إن الله عنده علم الساعة » الآية .

وقد أخرج الحميدي في « نوادره » : « حدثنا سفيان ؛ حدثنا مالك بن مفلح ،

(١) سورة لقمان ، الآية : ٣٤

(٢) سورة الاعراف ، الآية : ١٨٦

عن اسماعيل بن رجا ، عن الشعبي قال : سألت عيسى بن مريم جبريل عليها السلام عن الساعة . قال : فاتفض بأجنحتك وقال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل . وقد فسر النبي ﷺ مفاتيح النيب بالحس المذكورة في الآية .

قال في « شرح البخاري » : من ادعى علم شبيء منها غير مستند إلى رسول الله ﷺ كان كاذباً في دعواه .

قال القرطبي : وأما ظن النيب من نحو المنجم إذا كان عن أمر عادي ؛ فليس ذلك بعلم . وقد نقل بن عبد البر الاجماع على تحريم أخذ الأجرة والجميل ، وإعطائها في ذلك .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : التنجيم كالأستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية من السحر . قال : ويحرم إجماعاً .

وفي « الاقتاع » : لو أوم قوماً بطريقته أنه يعلم النيب ، فلامام قتلة لسبيهم بالفساد . ومن كلام الامام ابن عبد البر : « وأكثر الناس ينسبها لعلي رضي الله عنه ، وإنما هما لابن عبد البر ، كما في « الوافي بالوفيات » ، للصلاح الصفدي :

امتنحلي النجوم أحلتمونا      على علم أدق من الهباء  
علوم الأرض ما أحكمتوها      فكيف بكم إلى علم السماء

الثالث : كل الأحاديث الواردة في أن مدة الدنيا من أولها إلى آخرها سبعة آلاف سنة ، لا أصل لشيء . من ذلك يصلح للاحتجاج به والاعتماد عليه ، وإن ذكرها من العلماء من ذكرها حتى إن الحافظ السيوطي ألف جزءاً سماه : « الكشف في مجاوزة هذه الأئمة الألف » ، وذكر هذه الأحاديث ، وزعم أن أبا جعفر الطبري صحح هذا الأصل ، وعضده بآثار . انتهى .

والحال أن كل هذه الآثار ، وما ورد في ذلك من الأحاديث والأخبار ؛ أدق من هباء الغبار عند الأئمة الأخيار .

قال الحافظ ابن حجر في «الاصابة» عند حديث ابن زمل الجهني : تفرد بروايته سليمان بن عطاء القرشي الحراني ، عن مسلمة بن عبد الله الجهني وسليمان بن عطاء .

قال الذهبي في «المغني» هالك اتهم بالوضع . وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب» : منكر الحديث ، وأورده الحافظ ابن الجوزي في الأحاديث الواهية ، ووصف بعض رجاله بوضع الحديث . وقال ابن الأثير : ألفاظه مصنوعة ملفقة . وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» : إسناده ضعيف جداً ، وهذا الحديث ، هو أن ابن زمل الجهني قص على رسول الله ﷺ رؤيا قال فيها : رأيتك يارسول الله على منبر له سبع درجات ، وإلى جنبك ناقة عجفاء ، كأنك تبهتها . ففسر له رسول الله ﷺ الناقة بقيام الساعة أنذر بها ، وقال في المنبر والدرجات : الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت في آخرها ألفاً ... الحديث . وقد سمي بعض العلماء ابن زمل عبد الله ، وبعضهم : الضحاك ، وبعضهم : عبد الرحمن ، وضوب الأول في «الاصابة» . روى هذا الحديث الطبراني في «الكبير» وفيه : فاذا أنا بك يارسول الله على منبر فيه سبع درجات ، وأنت في أعلاها درجة . وأخرجه البيهقي في «الدلائل» . وقد جاء في ذلك عدة أحاديث ، من حديث أبي هريرة ، وأنس بن مالك ، وابن عباس رضي الله عنهم .

قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه : «المنار المنيف» (١) ومن العلامات التي يعرف بها الأحاديث الموضوعية ، مخالفة الحديث صريح القرآن كحديث مقدار الدنيا ، وأنها سبعة آلاف سنة ، وتحجيء في الألف السابعة . قال : هذا من أبين الكذب ؛ لأنه لو كان صحيحاً لكان كل عالم يعلم أنه قد بقي للقيامة من وقتنا هذا - يعني وقت الامام ابن القيم نفسه ، وكان في المائة الثامنة ؛ فانه توفي

(١) في بيان الحديث الضعيف ، وقد طبع أخيراً باسم «المنار» فقط ، في مطبعة انصار السنة .



رضي الله عنه سنة إحدى وخمسين وسبعائة ، عن اثنين وستين سنة ، رحمه الله  
ورضي عنه - نحو مائتي سنة ، فيكون في عصرنا هذا ، وهو عصر ثمان وستين  
ومائه وألف من الهجرة ، قد مضى من الزيادة على ما زعموا مائة وثمانية وستون  
سنة ، هذا مع أن الكتب القديمة ، كالتوراة اليونانية التي يعتمد على التقبل عنها  
من اعتنى بأخبار الأول ، والتواريخ السالفة من علماء الاسلام ، أن من هبوط  
آدم عليه السلام إلى هجرة النبي ﷺ سنة آلاف سنة ومائتان وستة عشر سنة ؛  
فيكون جملة ذلك إلى عصرنا هذا ، سبعة آلاف سنة وثلاثمائة سنة وأربعة  
وثمانين سنة ؛ فعلى كل حال قد بان زيف ما زخرفه ذوو المحال . والله  
تعالى الموفق .

#### الحديث السادس والخمسون

١٠١ - ثنا ابن أبي عدي ، ثنا حميد ، عن أنس ، قال :  
أقيمت الصلاة وقد كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين نسائه  
شيء ، فجعل يردّ بعضهن عن بعض ، فجاء أبو بكر ،  
فقال : أحت يا رسول الله في أفواههن التراب ، واخرج  
إلى الصلاة .

قال رضي الله عنه : ( ثنا ) محمد ( بن أبي عدي ، عن حميد ) الطويل ( عن )  
أنس ( بن مالك رضي الله عنه ) ( قال : أقيمت ) بضم الهمزة وكسر القاف مبنيًا  
لما لم يسم فاعله ( الصلاة ) بالرفع نائب فاعل ، والمراد صلاة المشاء ، كما هو ظاهر

حديث مسلم (وقد كان) الواو للجمال ، والجملة حالية ( بين النبي ﷺ وبين نسائه ) رضي الله عنهن ( شيمى ) اسم كان مؤخر ، وخبرها متعلق الظرف الذي هو بين ، ولفظ حديث مسلم ، عن أنس رضي الله عنه : كان للنبي ﷺ تسع نسوة ، فكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة إلا في تسع ، أي من الليالي والأيام ، إلا يوم وإيلة لتجىء نوبتها ، يعني وشق ذلك عليهن إذا لم يجتمعن بالنبي ﷺ ، ولم تره كل واحدة منهن إلا في كل تسع ليال ؛ فكان يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها ، أي صاحبة النوبة ؛ فكان ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها في نوبتها ، فجاءت زينب بنت جحش رضي الله عنها ، فمد يده إليها ، فقالت ، أي عائشة : هذه ، أي التي مددت يدك إليها زينب ، وليست النوبة لها ؛ فكف النبي ﷺ يده فتناولتا ، أي صار بين عائشة الصديقة ، وزينب بنت جحش رضي الله عنها مقالة ، أي فكل واحدة منها صارت تقول وتتكلم في الرد على صاحبها والانتصار لنفسها ، حتى استخبتا - بسكون السين المهملة ، وفتح المثناة الفوقية ، وفتح الخاء المعجمة أيضاً ، والباء الموحدة المفتوحة ، ثم تاء مثناة فوقية - من السخب وهو اختلاط الأصوات وارتفاعها للخصام . ويقال أيضاً : سخب بالصاد المهملة . وفي حديث كعب في التوراة في صفة النبي ﷺ : محمد عبدي ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا سخوب . وفي لفظ : ولا سخب في الأسواق .

قال في « النهاية » : السخب ، والصخب : الضجة واضطراب الأصوات للخصام ، افتعال وفعل للبالغة ، ومنه حديث خديجة ، بأن لها بيتاً في الجنة من قصب ، لا سخب فيه ولا نصب . انتهى . والصاد تغلب سيناً إذا أعقبها في كلمتها حرف من حروف أربع : الخاء ، أو الطاء ، أو التين ، أو القاف ، كما هو مقرر في محاله .

قال أنس رضي الله عنه : وأقيمت الصلاة ، فرأى أبو بكر رضي الله عنه

على ذلك فسمع أصواتها ، أي عائشة وزينب رضي الله عنها ( فجعل ) النبي ﷺ ( يرد بعضهم عن بعض ) ليسكنهن عن الصخب والضجة ( فجاء أبو بكر ) رضي الله عنه ( فقال ) للنبي ﷺ : ( احث يارسول الله في أفواههن التراب واخرج إلى الصلاة ) ولفظ مسلم فقال : يارسول الله ! اخرج إلى الصلاة ، واحث في أفواههن التراب ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقالت عائشة : الآن يقضي النبي صلى الله عليه وسلم صلاته فيجيء أبو بكر فيفعل ويفعل ، ثماني أنه يهددها ويتكلم عليها ؛ لأجل ما تكلمت به في حضرة النبي ﷺ ، فلما قضى صلاته ؛ أتى أبو بكر رضي الله عنه عائشة ، فقال لها قولاً شديداً ، وقال : أتصنعين هذا ؛ أي في حضرة النبي ﷺ .

قوله : احث - هو بضم الهمزة والمثلثة بينها حاء مهمله ساكنة - أمر ، من حثا يحثو حثواً ، كناية عن الخيبة والحرج ، أو المعنى قل لمن : بأفواهكن التراب ، والعرب تستعمل هذا لمن تكره ؛ إذا فعل ما يكره فعله ، وإعماقال الصديق ذلك غيرة واحتراماً لمنصبه الشريف ﷺ ، وحماية ورعاية لملو درجة النبوة ونظامه شأنها ، وانه لا يحسن ولا يجمل من نساؤه ﷺ أن يصخبن وترفع أصواتهن في حضرة الشريفه ﷺ .

قوله : في أفواههن ، جمع فاه - والفاء والفاء بالضم ، والفيه بالكسر - والضم ؛ سواء ، والجمع أفواه وأفام ؛ لأن فماً أصله فوه ، حذفت منه الهاء . كما حذفت من سنة ، وبقيت الواو طرفاً متحركة ؛ فوجب إبدالها ألفاً ؛ لانفتاح ما قبلها ؛ فبقي فاً ، ولا يكون الاسم على حرفين أحدهما التنوين ؛ فأبدل مكانها حرف مشاكل لها . وهو الميم ، لأنها شفويتان<sup>(١)</sup> ، وفي الميم هَوِيٌّ في الفم ؛ يضارع امتداد الواو ، والفاء محركة : سمة الفم ، وبشر فوهاء : واسمة الفم ، وقاه به نطق كفتوه . والتراب فيه لثات<sup>(٢)</sup> : تراب ، وتوراب ، وتورب ، وتثرب ، وتربة ،

(١) في الامل : شفيان ، والتصويب من «القاموس» (٢) في الامل : لثتان ، وهو خطأ .

وزياء ، وجمع التراب : آربة ، وريابان . وذكر النحاس للتراب خمسة عشر اسماً .

## تسميات

الأول : دلّ الحديث على جواز إقامة الصلاة والامام في منزله ، إذا كان بسمعها .

قال القرطبي : ظاهر الحديث أن الصلاة كانت تقام قبل أن يخرج النبي ﷺ من بيته ، وهو معارض لحديث جابر بن سمرة : أن بلالاً كان لا يقيم حتى يخرج النبي ﷺ ، ويجمع بينهما بأن بلالاً كان يراقب خروج النبي ﷺ ، فأول ما يراه يشرع في الإقامة قبل أن يراه غالب الناس ، ثم إذا رأوه قاموا ، فلا يقوم ﷺ في مقامه حتى تتدل صفوفهم ، وهذا الجمع لا يناسب الحديث المذكور ، إلا أن يقال : إن بلالاً رأى النبي ﷺ لما قام من حجرة عائشة رضي الله عنها ، ثم عرض له ما أشغله عن المبادرة للخروج من مقابلة نسائه ، وربما كان سبب النهي عن المبادرة لقيام المصلين في حديث أبي قتادة ، وأنهم كانوا يقومون ساعة تقام الصلاة ، ولم يخرج النبي ﷺ ؛ فنهاهم عن ذلك لاحتمال أن يقع له شغل يبطل فيه عن الخروج فيشق عليهم انتظاره ، فقال : لا تقوموا حتى تروني ، أي خرجت ، وصرح به عبد الرزاق وغيره . وفي لفظ : حتى تروني خرجت اليكم ، وتقدم في الحديث السابع والثلاثين الإشارة الى جواز الفصل بين الإقامة والاحرام لحاجة ، والله أعلم .

الثاني : قوله في حديث أنس عند مسلم : كان للنبي ﷺ تسع نسوة ، اعلم أنه لما قدم النبي ﷺ المدينة لم يكن تحته امرأة سوى سودة بنت زمعة ، ثم بنى بمائسة الصديقة أول مقدمه في الأولى . قلت : وتقدم أن الذي يظهر أنه ﷺ

زوج أم حبيبة قبل السابعة ، وتزوج جويرية في الخامسة ، ثم تزوج أم سلمة وحفصة وزينب بنت خزيمة في الثالثة والرابعة ، ثم تزوج زينب بنت جحش في الخامسة ، ثم جويرية في الخامسة أو السادسة ، ثم صفية وأم حبيبة وميمونة في السابعة ، ولم تلبث زينب بنت خزيمة عند النبي ﷺ إلا يسيراً ، شهرين أو ثلاثة ، حتى توفيت رضي الله عنها في حياته ﷺ .

فقوله : كان للنبي ﷺ تسع نسوة ، أي عند موته ، ومات عليه الصلاة والسلام وهن في عصمته ؛ فكان يقسم ثمان ، وأما سودة فوهبت نوبتها لعائشة رضي الله عنها ؛ فكان يقسم لعائشة يومها ويوم سودة ، وكان نساؤه ﷺ حزينين : عائشة وسودة وحفصة وصفية حزب ، وأم سلمة وزينب بنت جحش وأم حبيبة وميمونة وجويرية حزب ، وكان نساؤه خمسة من قريش : عائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة ، وسودة ، وأم سلمة . وأربع من غير قريش ، وهن : صفية بنت حيي الخيبرية ، وميمونة بنت الحارث المهلالية ، وزينب بنت جحش الأسدية ، وجويرية بنت الحارث المصطلقية . والله تعالى الموفق .

### الحديث السابع والخمسون

١٠٢ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال :

قال رسول الله ﷺ : لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍ نزل به ولكن ليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي .

قال رضي الله عنه : ( ثنا ) محمد ( بن أبي عدي ، عن حميد ) الطويل ( عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( قال : قال رسول الله ﷺ : لا يتمنين ) نهي كراهة ، والنون لثنا كيد ( أحكم ) مشر الأمة ( الموت ) لما في ذلك من الاعتراض ، ومراغمة القدر ( لضر نزل به ) من فاقة أو محنة بمدو ، ونحوه من آفات الدنيا ومشاقها . وأما إن خاف فتنة في دينه ؛ فلا كراهة فيه ؛ لمضوم هذا الحديث ( ولكن ) إن كان ولا بد متمنياً الموت فـ ( لميقل ) أمر إرشاد وندب : ( اللهم أحيني ما كانت الحياة ) أي مدة دوام كون الحياة ( خيراً لي ) من الموت ، أي ما دامت الحياة متصفة بالخيرية ( وتوفني ) أي أمتي ( إذا كانت الوفاة خيراً لي ) من الحياة .

قال العراقي : لما كانت الحياة حاصلة ، وهو متصف بها ؛ حسن الايات بما ، ولما كانت الوفاة معدومة في حال التخي ؛ لم يحسن أن يقول : ما ، بل أتى بأذا الشرطية ، أي إذا آل الحال الى أن تكون الوفاة بهذا الوصف وتقدم هذا الحديث وشرحه في الثامن والعشرين من « مسند أنس » رضي الله عنه ، لكنه رواه الامام هناك من حديث إسماعيل بن عليّة ، عن عبد العزيز بن صهيب عنه ، والله الموفق .

### الحديث الثامن والخمسون

١٠٣ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : كان أبو طلحة يكثر الصوم على عهد النبي ﷺ ، فلما مات النبي ﷺ كان لا يفطر إلا في سفرٍ أو مرضٍ .

قال رضي الله عنه : ( ثنا بن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ) رضي الله عنه ( قال : كان أبو طلحة ) زيد بن سهل بن الأسود الأنصاري البخاري ، وهو القائل : أنا أبو طلحة ، واسمي زيد ، وكل يوم في سلاحي صيداً ، وتقدمت ترجمته في الحديث الثامن والاربعين من حديث أنس رضي الله عنهما ( يكثر الصوم على عهد النبي ) أي في حياة النبي ( ﷺ ) لما تقدم من الإشارة إلى فضل الصيام .

وفي « الصحيحين » وغيرهما ، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إن في الجنة باباً يقال له : الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد ، ورواه الترمذي وزاد : « ومن دخله لم يظماً أبداً » . ورواه ابن خزيمة إلا أنه قال : « فإذا دخل أحدهم أغلق ، ومن دخل شرب ، ومن شرب لم يظماً أبداً » .

وأخرج الامام أحمد والبيهقي ، من حديث جابر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « الصيام جنة يستجن بها العبد من النار » . وفي حديث سلمة ابن قيصر ، أن رسول الله ﷺ قال : « من صام يوماً ابتغاء وجه الله ، باعد الله من جهنم كبعده غراب طار وهو فرخ حتى مات هرمياً » . ورواه أبو يعلى والبيهقي . ورواه الطبراني فسماه سلامة زيادة الف . ورواه الامام أحمد ، والبرز ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي إسناده رجل لم يسم .

وفي « الصحيحين » ، وغيرهما ، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله تعالى ؛ إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً » ( فلما مات النبي ﷺ كان أبو طلحة رضي الله عنه ( لا يفطر ) أي سَرَدَ الصوم بعد وفاة النبي ﷺ ، فكان لا يفطر

(إلا) أن يكون (في سفر) من غزو وغيره (أو) يكون في (مرض) لقوله تعالى «فإن كنتم مرضى أو على سفر» (١).

قال الحافظ ابن رجب في كتابه «اللطائف» : وعن سرد الصوم عمر ، وأبو طلحة ، وعائشة ، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ، وخلق كثير من السلف . قال ابن الأثير في «جامع الأصول» : يقال : إن أبا طلحة رضي الله عنه سرد الصوم أربعين سنة ، ثم نظر فيه ، أي لأنه إنما عاش بعد النبي ﷺ اثنين ، أو ثلاث ، أو أربع وعشرين سنة ، كما قدمنا في ترجمته رضي الله عنه .

### الحديث التاسع والخمسون

١٠٤ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : كان النبي ﷺ إذا كان مقيماً ، اعتكف العشر الأواخر من رمضان ، فإذا سافر اعتكف من العام المقبل عشرين . قال أبو عبد الرحمن بن الإمام أحمد : قال أبي : لم أسمع هذا الحديث إلا من ابن أبي عدي عن حميد عن أنس .

قال رضي الله عنه : (ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن أنس) ابن مالك رضي الله عنه (قال : كان النبي ﷺ إذا كان) في المدينة المنورة (مقيماً) غير مسافر لغزو أو غيره (اعتكف العشر الأواخر من) شهر (رمضان) المعظم .

(١) سورة النساء ، الآية : ٣ وسورة المائدة ، الآية : ٦



والاعتكاف في اللغة : لزوم للشئ ، والأقبال عليه . وفي الشرع : لزوم مسجد لطاعة الله تعالى .

قال ابن سيدة : يقال : عكف يمكف ويمكف - يعني بضم الكاف وكسرهما عكفاً وعكوفاً ، واعتكف : لزم المكان ، والمكوف : الإقامة في المسجد .

وإنما كان صلى الله عليه وسلم يخص العشر الأواخر من رمضان بالاعتكاف ؛ لأنه العشر الذي تطلب فيه ليلة القدر ، قطعاً لاشتغاله ، وتقريباً لباله ، وتحلياً بمناجات ربه ، وذكره ودعائه ، وكان يحتجر حصيراً يتخلى فيها عن الناس ، فلا يخاطبهم ولا يشتغل بهم .

ولهذا ذهب الامام أحمد رضي الله عنه إلى أن المعتكف لا تستحب له مخالطة الناس ، ولا تعليم علم ولا إقراء قرآن ، بل الأفضل له الانفراد بنفسه ، والتخلي لمناجاة ربه وذكره ودعائه .

وهذا الاعتكاف الذي على هذا الاسلوب هو الخلوة الشرعية ، وإنما تكون في المساجد لئلا يترك به الجمع والجماعات ، فإن الخلوة القاطمة عن الجمع والجماعات منهي عنها .

وقد سئل ابن عباس رضي الله عنها عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يشهد الجمعة والجماعة . قال : هو في النار ؛ فالخلوة المشروعة لهذه الأمة هي الاعتكاف في المساجد ، خصوصاً في شهر رمضان ، خصوصاً في العشر الأواخر منه ، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله ؛ فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره ، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه ، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه زلفى ؛ فما بقي له م سوى الله وما يرضيه عنه ، كما كان داود الطائي - رحمه الله تعالى - يقول في ليله :

لمحك عطل عليّ المسموم وخالف بيني وبين السهاد ، وشوقني إلى النظر إليك  
أوبق مني اللذات ، وحال بيني وبين الشهوات . وأنشد:

مالي شغل سواء مالي شغل      ما يصرف عن هواه قلبي عذل  
ما أصنع إن جفا وخاب الأمل      مني بدل ومنه مالي بدل

فمنى الاعتكاف وحقيقته : قطع الملائق عن الخلائق للاتصال بخدمة الخلاق  
( فلذا سافر ) عليه السلام لنحو غزوة في الشهر الأواخر من رمضان في عام (اعتكف  
من العام المقبل عشرين ) يوماً بلباليها ، عشرأ عن الشهر من العام الماضي لكونه  
لم يمتكفها ، لكونه مسافراً ، وعشرأ عن عامه الذي هو فيه .

( قال ) الامام الحافظ المتقن ( أبو عبدالرحمن ) عبدالله ( ابن الامام أحمد )  
ابن حنبل رضي الله عنها ، أخذ عن أبيه سائر مؤلفاته ، وروى عن يحيى بن معين ،  
وخلق . وروى عنه النسائي ، وابن حاعد ، وأبو عوانة ، والطبراني ، والقطبي ،  
وأبو بكر الشافعي ، وأبو بكر النجار ، وخلق . ولم يكتب عن أحد إلا عن  
أمره أبوه أن يكتب عنه .

قال الخطيب : كان - يعني عبد الله بن الامام أحمد - ثقة ثبتاً فهماً . ولد  
رضي الله عنه سنة ثلاث عشرة ومائتين ، ومات سنة تسعين ومائتين .

قال عبد الله بن الامام أحمد رضي الله عنها ( قال أبي ) الامام أحمد بن محمد ،  
ابن حنبل رضي الله عنه : ( لم أسمع هذا الحديث ) يعني الذي مر آنفاً ( إلا من )  
محمد ( ابن أبي عدي ، عن حميد ) الطويل ، وهو إمام ثقة ، إلا أنه مدلس ( عن أنس )  
ابن مالك رضي الله عنه .

قلت : وإسناده حسن ، كما رمز اليه الجلال السيوطي ، وقاله المناوي في  
« شرح الجامع الصغير » : وقد رواه الترمذي ، من حديث أنس رضي الله عنه ،  
ولفظه : إن رسول الله عليه السلام كان يمتكف الشهر الأواخر من رمضان ، فلم

يمتلك عاماً ، فلما كان من العام المقبل اعتكف عشرين . قال الترمذي حديث حسن غريب صحيح . ورواه أبو داود من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه . وأخرج الشيخان وغيرهما ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ كان يمتكف العشر الأواخر من رمضان . زاد مسلم في رواية : قال نافع : وقد أراني ابن عمر المكان الذي كان يمتكف فيه رسول الله ﷺ من المسجد ، وكذا أخرجه أبو داود .

وفي « صحيح البخاري » و « سنن أبي داود » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ كان يمتكف من كل رمضان عشرة أيام ، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين .

وقد روى البيهقي ، من حديث علي بن الحسين ، عن أبيه رضي الله عنها مرفوعاً : « من اعتكف عشراً من رمضان كان كحجتين وعمرتين » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان معتكفاً في مسجد رسول الله ﷺ فأناه رجل ، فسلم عليه ، ثم جلس . فقال له ابن عباس : يا فلان ! أراك مكتئباً حزيناً قال : نعم يا ابن عم رسول الله ﷺ لفلان علي حق ، ولا وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه . قال ابن عباس : أفلا أكلمه فيك ؟ قال : إن أحببت . قال : فاقبل ابن عباس ، ثم خرج من المسجد ، فقال له الرجل : أنسيت ما كنت فيه ؟ قال : لا ، ونكيتي سمعت صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم — والمهد به قريب ، فدمت عيناه — وهو يقول : « من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها ؛ كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين ، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق أبداً ما بين الخافقين . رواه الطبراني في « الأوسط » ، والبيهقي واللفظ له ، والحاكم مختصراً ، وقال : صحيح الإسناد .

## تنبيهات

**الأول :** الاعتكاف سنة إجماعاً ، وأقله ساعة ، فلو نذر اعتكافاً وأطلق؛ أجزاءه . ويستحب أن لا ينقص عن يوم وليلة ، ويجب بنذر إجماعاً ، ولا يختص بزمان ، وآكده في رمضان ، وآكده العشر الأخير منه إجماعاً ، وإن علقه أو غيره من التطوعات بشرط ؛ فله شرطه : نحو لله علي أن اعتكف شهر رمضان ، إن كنت مقيماً أو مافياً ، فلو كان فيه مريضاً أو مسافراً ، لم يلزمه شيء .

**الثاني :** يصح الاعتكاف بغير صوم على متمد مذهب الامام أحمد ، وفقاً للشافعي ؛ لأن عمر رضي الله عنه سأل النبي ﷺ : إني نذرت في الجاهلية أن اعتكف ليلة . وفي لفظ لمسلم : يوماً في المسجد الحرام قال : « أوف بنذرك » ، زاد البخاري : فاعتكف ليلة . ولحديث ابن عباس رضي الله عنها : ليس على المتكف صيام إلا ان يجعله على نفسه . رواه الدارقطني وقال : رفعه أبو بكر السوسبي ، وغيره لا يرفعه .

قال الامام المجد : هو ثقة . فيقبل رفعه وزيادته .

قال الخطيب : دخل بغداد وحدث أحاديث مستقيمة . وأما حديث عبد الله بن بديل ، أنه ﷺ قال لعمر : اعتكف وصم ، فبديل تفرد بهذه الزيادة ، وله مناكير . ورواه أبو داود وضمفه ، وضمف زيادته أبو بكر النيسابوري ، والدارقطني ، وغيرها .

وقال أبو حنيفة ومالك : لا يصح الاعتكاف بغير صوم ، وهو رواية عن أحمد ، فلي هذا لا يصح الاعتكاف ليلة مفردة ، ومتمد المذهب يصح .

ويصح الاعتكاف أيضاً في أيام النهي التي لا يصح صومها . وعند أبي حنيفة

ومالك : لا يصح اعتكافها نذراً أو نفلاً ، ولا يشترط أن يصوم للاعتكاف ما لم ينذر له الصوم ، فمن نذر أن يعتكف سائماً ، أو يصوم معتكفاً ، أو باعتكاف أو يعتكف بصوم ؛ لزماً .

الثالث : يشترط لصحة الاعتكاف ستة شروط : النية ، والاسلام ، والعقل ، والتمييز ، وعدم ما يوجب النسل ، وكونه بمسجد .

ويُزاد في حق من تازمه الجماعة : أن يكون المسجد مما تقام فيه (١) .

ويبطل الاعتكاف : بالخروج من المسجد بلا عذر ، وبالوطء في الفرج ، وبالانزال بالباشرة دون الفرج ، وبالردة ، وبالسكر .

وكذا يبطل الاعتكاف بنية الخروج منه ، أي بأن ينوي إبطاله وإن لم يخرج منه ، إلحاقاً له بالصلاة ، والصيام .

وتوم الشيخ مرعي في « غايته » و « دليله » ، فظن أن المراد بالخروج من المسجد ، وليس كذلك ، فإن من نوى الخروج من المسجد ، لم يبطل الاعتكاف حتى يخرج ؛ لأنه فرق بين أن ينوي إبطال المادة أو ينوي فعلها مبطلاً لها ، فإن نوى إبطالها بطلت في الحال ، وإن نوى فعل مبطل لم تبطل حتى يفعله ، كما بين ذلك في « الافئدة » وغيره بياناً شافياً لا يحتمل التأويل ، والله تعالى الموفق .

الرابع : دل الحديث على أن السنن تقضى إذا فاتت ؛ لأنه **وَيُجِبُّهُ** قضي الاعتكاف الذي فاته من السنة الماضية في السنة المقبلة ، وفيه تحريمي الزمان الفاضل ؛ لأنه كان يمكنه الاعتكاف في غير رمضان ، فأخر القضاء إليه لزمته على غيره ، وبالله التوفيق .

(١) أي الجماعة .

## الحديث للسنن

١٠٥ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال :  
مرّ النبي ﷺ في نفرٍ من أصحابه وصبي في الطريق ؛ فلما  
رأت أمه القوم ، خشيت على ولدها أن يوطأ ، فأقبلت تسمى  
وتقول : ابني ! ابني ! وسمعت فأخذته . فقال القوم : يا رسول  
الله ! ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار . قال : فخفضهم النبي  
صلى الله عليه وسلم ، فقال : لا والله لا يلقى حبيبه في النار .

قال رضي الله عنه : ( ثنا ) محمد ( بن أبي عدي ، عن حميد ) الطويل  
( عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( قال : مرّ النبي ﷺ في نفرٍ من أصحابه )  
قال في « القاموس » : النفر : الناس كلهم ، وما دون المشرة من الرجال ،  
والجمع : أنظار .

وفي « النهاية » ، في حديث أبي ذر رضي الله عنه : لو كان هبنا أحد من  
أنفارتنا أي من قومنا ، جمع نفر ، وهم رهط الانسان وعشيرته . قال : وهو  
اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خلصة ، ما بين الثلاثة الى العشرة ، ولا واحد  
له من لفظه ( وصي ) الواو للحال ، والصبي من لم يفطم ببد ، كما في « القاموس » .  
ويجمع على صبوة وصيبة ، والواو القياس ، وإن كانت الياء أكثر استعمالاً ، كما  
في « النهاية » ، ( في الطريق ) وجمه أطرقة ، كرجيف وأرغفة . هذا على  
التذكير ، فإن الطريق يذكر ويؤنث ، وجمه على التأنيث أطرق ، كيبين

وأيمن ( فلما رأت أمه ) أي أم الصبي ( القوم ) وهم نفر الذين مع النبي ﷺ من أصحابه رضي الله عنهم . والقوم في الأصل : مصدر قام ، ثم غلب على الرجال دون النساء ، سموا بذلك ، لأنهم قوامون على النساء بالأمر التي ليس للنساء أن يقمن بها ، كذا في « النهاية » .

وفي « القاموس » : القوم : الجماعة من الرجال والنساء معاً ، أو الرجال خاصة ، أو يدخله النساء على التسمية ، ويؤنث ، والجمع : أقوام ، وجمع الجمع : أقوم ، وأقويم ، وأقايم ( خشيت ) أي خافت ( على ولدها أن يوطأ ) من وطئ ، بكسر الطاء المهملة مهموزاً ، أي أن تداس . يقال : وطئه يوطؤه ، داسه ، كوطاه وتوطأه .

قال في « النهاية » : الوطاء في الأصل : اللدوس بالقدم ( فأقبلت ) المرأة نحو ابنها ( تسمى ) من سمي - كرمي - يسمى سعيماً ، أي قصد وعمد ومشى وعدا ، وهذا المراد هنا ، يعني أن أم الصبي أقبلت تمدو نحو ابنها ( وتقول ) في حال سميها : ( ابني ! ابني ! ) ، تكرر هذا اللفظ ، يصح أن يكون مرفوعاً على أنه مبتدأ خبره محذوف ، أو خبر مبتدأ محذوف ، أي ابني هذا ، أو هذا ابني . ويصح أن يكون منصوباً ، أي اتقوا ابني ، أو انظروا ونحوه ، أو على الاغراء والخطاب لنفسها ، أي ابني يا نفس . ( وسمت ) أي مشت وعدت مسرعة ( فأخذته ) من طريق القوم ، ولم تدعه يوطأ ويداس بأقدامهم ، أو بدوابهم إن كان مهمم وقتئذ دواب ( فقال القوم ) من أصحاب رسول الله ﷺ : ( يا رسول الله ؟ ) والله ( ما كانت هذه ) المرأة ( لتقي ) - اللام لام التحليل - أي لترمي ( ابنها في النار ) وقد رأينا حرصها وسميها نحوه ؛ مجتهدة على استنقاذه مما هو أقل وأحق من ذلك ، وهو خوف أن يوطأ بالأقدام فيتأذى ، فبادرت تمدو حتى أخذته ، ونحنته عما تخشى عليه من الأذى منه .

(قال) أنس رضي الله عنه : ( غفصهم النبي ﷺ ) أي ليئن الأمر عليهم وسهله ، ومنه خفيض القول يا فلان ، أي ليئنه وسهله ، وخفص الأمر ، أي هوئنه ( فقال ) ﷺ : ( ولا والله ) - سبحانه وتعالى الجواد الكريم - يفعل ذلك ، فإنه من رحمته وكرمه ( لا يلقي ) أي يرمي ويكب ( حبيبه ) وهو عبده المؤمن ( في النار ) .

وروى هذا الحديث أبو يعلى ، والزار بسند صحيح ، ومحبة الله تعالى لمباده صفة من صفاته ، كالغضب والرضى والرحمة ، ونحو ذلك ، وهذا قول أئمة السلف ، وعلما الأمة ، وهي من المشابهة عند قوم . قال تعالى : « يحبه ويحبونه » (١) وقال : « وألقيت عليك محبة مني » (٢)

وقال جمهور المتكلمين والمعتزلة : المحبة : ميل القلب الى ما يلائم الطبع ، والله منزّه عن ذلك ، وإنما يراد منها غايتها ، وهي إرادة اللطف بالمبد والاحسان اليه ، ومحبة المبد لله : هي محبة طاعته ، وخدمته ، أو يحب ثوابه وإحسانه .

قال العلامة الطوفي من محقق علمائنا : ذهب طوائف من المتكلمين والفقهاء الى أن الله تعالى لا يحب ، وإنما محبته محبة طاعته وعبادته . وقالوا : هو أيضاً لا يحب عباده ، وإنما محبته إرادته الاحسان اليهم . قال : والذي دل عليه الكتاب والسنة ، واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ، وجميع مشايخ الطريق : أن الله تعالى يحب ويحب لذاته ، وأما حب ثوابه فدرجة نازلة . قال : وأول من أنكر المحبة في الاسلام ، الجعد بن درهم ، أستاذ الجهم بن صفوان ، فضحى به خالد بن عبد الله القسري ، فقال : أيها الناس ! ضحوا تقبل الله ضحاياكم ؛ فاني مضح بالجعد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى تكليماً ، ثم نزل فذبجه برضى علماء الاسلام .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٤

(٢) سورة طه ، الآية ٣٩



قال : وهؤلاء الذين ينكرون حقيقة محبة الرب ؛ ينكرون التلذذ بالنظر اليه ، ولهذا ظن كثير من المتفقهة والتصوفة والمتكلمة أن الجنة ليست إلا التمتع بالخلق من الأكل والشرب واللباس والنيكاح ، وسماع الأصوات الطيبة ، وشم الروائح الطيبة ، لا نعيم عندهم في الجنة غير ذلك ، ثم من هؤلاء من أنكر أن يكون المؤمنون يرون ربهم في الجنة ، كالجهمية والمعتزلة ، ومنهم من أقر بالرؤية ، إما بالرؤية التي أخبر بها النبي ﷺ ، كأهل السنة والجماعة ، وإما برؤية هي زيادة كشف أو علم ، أو بحاسة سادسة ، ونحو ذلك من الأقوال .

وأجاب الله عز وجل : أهل طاعته من عباده .

وفي « صحيح البخاري » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه .

وروى نحوه الامام أحمد ، من حديث عائشة ، والطبراني من حديثها ، وحديث أبي أمامة ، فدل هذا الحديث أنه لا طريق يوصل إلى التقرب إلى الله وولايته ومحبته سوى طاعته التي شرعها على لسان رسول الله ﷺ ، من أداء الفرائض ، واجتناب المحارم ، والاهتمام بنوافل العبادات الموصلة لمحبة الله تعالى ؛ فمن أحبه الله سبحانه ؛ رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته .

وروى إبراهيم بن الجنيد في كتاب « المحبة » بإسناده عن أبي الزاهدية قال : كان داود عليه السلام يقول : اللهم اجلني من أحبائك ؛ فانك إذا أحببت عبداً غفرت ذنبه وإن كان عظيماً ، وقبلت عمله وإن كان يسيراً .

وروى الترمذي وحسنه ، والحاكم ، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : كان من دعاء داود عليه السلام : اللهم اني أسألك حبك وحب من يحبك ، والعمل الذي يبلغني حبك ، اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ، ومن الماء البارد . قال : كان داود أعبد البشر .

وروى الترمذي وحسنه ، من حديث عبد الله الخطمي الانصاري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه : اللهم ارزقني حبك ، وحب من ينفعني حبه عندك ، اللهم مارزقني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب ، اللهم وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب .

وروي ابن أبي الدنيا وغيره ، من رواية أبي بكر بن أبي مرزوق ، عن الهيثم بن مالك الطائفي ، أن النبي ﷺ كان يدعو : اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلي ، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندي ، واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق الى لقاءك ، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فاقرر عيني من عبادتك ، وهذا مرسل .

قال بعض السلف : العمل على الخفاة قد يغيره الرجاء ، والعمل على المحبة لا يدخله الفتور . وقال فرقد السنجي رحمه الله تعالى : قرأت في بعض الكتب : من أحب الله لم يكن عنده شيء آثر من هواه ، ومن أحب الدنيا لم يكن عنده شيء آثر من هوى نفسه ، والمحبة لله تعالى أمير مؤمر على الأمراء ، زمرة أول الزمر يوم القيامة ، ومجلسه أقرب المجالس فيما هنالك ، والمحبة منتهى القربة والاجتهاد ، ولن يسأم المحبون من طول اجتهادهم لله عز وجل ، يحبونه ويحبون ذكره ، ويحببونه الى خلقه ، يمشون بين عبادته بالنصائح ، ويخافون عليهم من أعمالهم يوم تبدو الفضائح ، أولئك أولياء الله وأحباؤه ، وأهل صفوته ، أولئك الذين لا راحة لهم دون لقاءه .

وروي إبراهيم ابن الجنيد في كتاب « المحبة » بإسناده عن صالح بن مسهر قال : بلغنا أن الله عز وجل أرسل الى سليمان بن داود عليه السلام بعد موت داود ملكاً من الملائكة ، فقال له الملك : إن ربي جل وعز أرسلني اليك لتسأله حاجة . قال سليمان بن داود عليه السلام : فاني أسأل ربي أن يجعل قلبي يحبه . كما كان قلب أبي داود يحبه ، وأسأل الله تعالى أن يجعل قلبي يخشاه ، كما كان قلب أبي داود يخشاه . فقال الرب تبارك وتعالى : أرسلت الى عبدي ليسألني حاجة ، فكانت حاجته إليّ أن أجعل قلبه يحبني ، وأجمل قلبه يخشاني ، وعزتي لا كرمته ، فوهب له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، ثم قال : « هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب » (١).

لطيفة : ذكر العلامة ابن خلكان في « تاريخه وفيات الاعيان » في ترجمة ابي الفضل الربيع بن يونس ، صاحب أبي جعفر المنصور ، ثاني خلفاء بني العباس ، وكان الربيع وزيره ، وكان المنصور كثير الميل اليه ، حسن الاعتماد عليه . فقال يوماً المنصور للربيع المذكور : سل حاجتك . قال : حاجتي أن تحب الفضل ابني ، فقال له : ويحك إن المحبة تقع بأسباب . فقال له : قد أمكنتك الله من إيقاع تسببها . قال : وما ذاك ؟ قال : تفضل عليه ، فانك إذا فلتت ذلك أجبك ، وإذا أجبك أحببته . قال : قد والله حببته إليّ قبل إيقاع السبب ، ولكن كيف اخترت له المحبة دون كل شيء . قال : لأنك إذا أحببته **كبر** عندك صغير إحسانه ، وصغر عندك كبير إساءته ، وكانت ذنوبه كذنوب الصبيان ، وحاجته اليك حاجة الشفيع المريان .

أشار بذلك الى قول الفرزدق :

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤزرأ  
مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

(١) سورة ص ، الآية : ٣٩

وهذا البيت من جملة آيات في عبد الله بن الزبير رضي الله عنها في أيام ولايته على الحجاز والمراق .

وكان الفرزدق قد اختصم هو وزوجته النُّوار ، ففضيا من البصرة إلى مكة ليفصل الحكم بينهما عبد الله بن الزبير رضي الله عنها ، فنزل الفرزدق عند حمزة ابن عبد الله ، ونزلت النوار عند زوجة عبد الله ، وشفع كل واحد لنزله ، فقضى عبد الله للنوار ، وترك الفرزدق . فقال الأبيات المذكورة ، فصار الشفيح المريان مثلا يضرب لكل من تقبل شفاعته ، والله تعالى الموفق .

وفي الحديث دليل على سعة رحمة الله عز وجل . وقال تعالى : « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً » (١) . وقال تعالى : « نبيء غبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم » (٢) . ومما ينبني أن الله تعالى أرحم بعباده من الأم المشفوقة على ولدها .

وفي « الصحيحين » وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة ، فأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة ، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة ، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار .

وفي « الصحيحين » من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : قدم على رسول الله ﷺ بسي ، فاذا امرأة من السبي تبغني ، إذ وجدت صبياً من السبي أخذته وألصقته ببطنها وأرضته . فقال رسول الله ﷺ : « أرون هذه

(١) سورة الزمر ، الآية : ٥٣

(٢) سورة الجعر ، الآية : ٤٩

المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا والله، وهي تقدر على أن لاتطرحة .  
فقال رسول الله ﷺ: «الله أرحم بعبده من هذه بولدها» .

وأخرج البزار بسند صحيح ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن  
النبي ﷺ كان في بعض مغازيه ، فبينما هم يسرون ، إذ أخذوا فرخ طائر ،  
فأقبل أحد أبويه حتى سقط في أيدي الذين أخذوا الفرخ . فقال رسول الله ﷺ :  
« ألا تمجبون الى هذا الطائر أخذ فرخه ، فأقبل حتى سقط في أيديهم . فوالله  
لله أرحم بخلقه من هذا الطير بفرخه » . ورواه محمد بن عمر الواقدي ، وأبو نعيم  
من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها ، وفيه : « أتمجبون من هذا الطائر  
أخذتم فرخه ، فطرح نفسه رحمة لفرخه ، والله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر  
بفرخه » . وعيننا الغزوة ذات الرقاع .

وفي « سنن أبي داود » في أوائل كتاب الجنائز ، من حديث عامر  
الرام أخي الخضر - بفتح الخاء وإسكان الضاد المجهتين فراء - في الأسماء  
قال : بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل عليه كساء ، وفي يده شيء  
قد التفت عليه . فقال : يا رسول الله ! إني لما رأيتك أقبلت فررت بفيضة شجر ،  
فسمعت فيها أصوات فراخ طائر ، فأخذتهن فوضعتن في كسائي ، فجات أمهن  
فاستدارت على رأسي ، فكشفت لها عنهن ، فوقعت عليهن معهن<sup>(١)</sup> ، فلففتن بكسائي فهن  
أولاء معي<sup>(٢)</sup> . فقال : ضمتن<sup>(٣)</sup> عنك ، فوضعتن ، فأبت أمهن إلا تزومين ، فقال رسول  
الله ﷺ : « أتمجبون لرحمة أم هؤلاء عليهن ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . فقال :  
فوالذي بعثني بالحق ، لله أرحم بعباده من أم الفراخ بفراخها ، إرجع بهن حتى  
تضمين من حيث أخذتهن وأمن معهن » . فرجع بهن .

وروى أبو داود الطيالسي ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، عن ابن  
مسعود رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ في سفر ، فدخل رجل

(١) في الاصل : فلبثت معهن ، والتصحيح من « سنن أبي داود » .

(٢) » : أولائي ، » » » »

(٣) » : دعين ، » » » »

غبيضة ، فأخرج منها بيض حمرة<sup>(١)</sup> فجاءت الحمرة ترف على رسول الله ﷺ وأصحابه . فقال رسول الله ﷺ : « أيكم فجع هذه ؟ فقال رجل : أنا يا رسول الله ﷺ . وفي رواية الحاكم : فرخها . فقال رسول الله ﷺ : « رده رده رحمة لها » .

قال بعض العلماء : والحكمة في الأمر رد الفرخ ، أنه يحتمل أنهم كانوا محرمين ، أو لأنها لما استجارت به ﷺ أجارها ؛ فكان الأرسال في هذه الحالة واجباً ، وإلا فقد منع الفقهاء إعتاق الطيور .

وقال ابن عقيل : لا يجوز أعتقتك في حيوان مأكول ؛ لأنه فعل الجاهلية . وفي « الفروع » : وتبمه في « الأقتاع » .

وإذا أرسل سيد أو قال : أعتقتك ؛ لم يزل ملكه عنه . وفي « حياة الحيوان » للمديري من الشافية : لا يجوز عتقها ، يعني الطيور على الأصح . وقيل : يجوز ؛ لما روى الحافظ أبو نعيم ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أنه كان يشتري المصافير ويرسلها .

قال ابن الصلاح : والخلاف فيما يملك بالاصطياد ، وأما البهائم الانسية فاعتاقها من قبيل السوائب الجاهلية ، وذلك باطل قطعاً . انتهى .

والغبيضة - بفتح الغين المعجمة وسكون المثناة تحت وفتح الضاد المعجمة جمعها غياض : الشجر الملتف .

وفي « صحيح مسلم » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « إن لله مائة رحمة ، قسم منها رحمة في دار الدنيا ، فمن ثم يعطف الرجل على ولده ، والطير على فراخه ، فإذا كان يوم القيامة صيرها مائة رحمة فماد بها على الخلق .

(١) الحمرة : نوع من أنواع الطيور .

قال أيوب السخيتاني : إن رحمة الله ما هو أكثر من ذلك إن شاء الله ،  
إن لله مائة رحمة ، واحدة بين الجن والانس والبهائم والموام ؛ فيها يتعاطفون ،  
وبها يتراحمون ، وبها تمطف الوحش على ولدها ، وأخر تسمأ وتسمين رحمة  
يرحم بها عباده يوم القيامة .

وكذا رواه البخاري أيضاً بلفظ: « جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك  
عنده تسمة وتسمين ، وأزل في الارض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء تراحم  
الخلائق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن يصيبه » .

وأخرج مسلم من حديث سلمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :  
« إن الله خلق يوم خلق السموات والارض مائة رحمة ، كل رحمة طباق ما بين  
السماء إلى الارض ، فجعل منها في الارض رحمة ، فيها تمطف الوالدة على ولدها ،  
والوحش والطيير بعضها على بعض ، فاذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة » .  
وفي حديث ابن عباس رضي الله عنها مرفوعاً : إذا فرغ الله من القضاء بين  
خلقه ، أخرج كتاباً من تحت العرش : إن رحمتي سبقت غضبي ، وأنا أرحم  
الراحمين . قال : فيخرج من النار مثل أهل الجنة . قال : وأكثر ظني أنه قال :  
مثلي أهل الجنة ، مكتوب بين أعينهم عتقاء الله . رواه أبو القاسم .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن  
النبي ﷺ قال : يقول الله عز وجل : شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، ولم يبق  
إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا  
حملاً ، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقاله : نهر الحياة ، فيخرجون كما تخرج الحبة في  
حميل السيل ، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ، ما تكون إلى الشمس  
أصيفر وأخضر ، وما يكون منها إلى الظل تكون أبيض . قال : فيخرجون

كالؤلؤ، في رقابهم الخواتيم ، يعرفهم أهل الجنة ، هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بنير عمل عملوه ولا خير قدموه ... الحديث .

وفي «مسند الامام أحمد» ، والبخاري ، وأبي يعلى ، وابن حبان في «صحيحه» ، وهو حديث عظيم شريف ، من حديث أبي بكر الصديق رضوان الله عليه ، في حديث الشفاعة ، ثم يقول : ادعوا الصديقين فيشفون ، ثم يقال : ادعوا الأنبياء ، فيجيب النبي معه المصابة ، والنبي معه الخمسة والستة ، والنبي ليس معه أحد ، ثم يقال : ادعوا الشهداء ، فيشفون فيمن أرادوا ، فإذا فلت الشهداء ذلك يقول الله جل وعلا : أنا أرحم الراحمين ، أدخلوا جنتي من كان لا يشرك بي شيئاً ، فيدخلون الجنة ... الحديث . والله أعلم .

### الحديث الحادي والستون

١٠٦ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، قال : سُئِلَ أنس : هل كان رسول الله ﷺ يرفع يديه ؟ فقال : قيل له يوم الجمعة : يا رسول الله ! قحط المطر ، وأجدبت الأرض ، وهلك المال . قال : فرفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه ، فاستسقى ؛ ولقد رفع يديه وما نرى في السماء سحابة ، فما قضينا الصلاة حتى إن قريب الدار الشاب ليهمه الرجوع إلى أهله . قال : فلما كانت الجمعة التي تليها ، قالوا يا رسول الله ! تهدمت البيوت ،



واحتبست الركبان . فتبسم رسول الله ﷺ من سرعة ملالة  
ابن آدم . فقال رسول الله ﷺ : اللهم حوالينا ولا علينا ،  
فكشطت عن المدينة .

قال رضي الله عنه ( ثنا ) محمد ( بن أبي عدي ، عن حميد ) الطويل ( قال :  
سئل ) بضم السين المهملة وكسر الهمزة مبنياً للمجهول ( أنس ) هو ابن مالك  
رضي الله عنه ( هل كان رسول الله ﷺ يرفع يديه ؟ ) ثلثية يد أصلها يدي ، ولم  
تبن مع كونها على حرفين ؛ لأن الحرف الثالث يمود اليها في الثلثية والجمع ،  
كقول الشاعر :

يديان بيضاوان عند محرق  
وكما في الحديث .

وقوله تعالى : « غلت أيديهم » (١) « وأيديكم الى المرافق » (٢) .

واليد حقيقة في اليد الى المنكب ، ثم كاستعمل في غير ذلك بقرينة ؛ ففي  
الوضوء خرج ما فوق المرفق بقوله تعالى : « الى المرافق » (٣) .  
وفي القطم في السرقة الى الكوع ، بقرينة قطمه ﷺ ، والمراد هنا رفع  
اليد من أصلها على الحقيقة مع بسط الكفين في الدعاء .

( فقال ) أنس رضي الله عنه : ( قيل ) بالبناء للمجهول ( له ) أي النبي  
صلى الله عليه وسلم .

وفي « المسند » و « الصحيحين » و « السنن » من حديث أنس رضي الله

(١) سورة المائدة ، الآية : ٦٤

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٦

عنه أن رجلاً دخل المسجد ( يوم الجمعة ) من باب كان نحو دار القضاء ، وكان رسول الله ﷺ قائماً ، أي يخطب على منبره .

قال في « المطالع » : دار القضاء : هي دار مروان بالمدينة ، كانت لعمير فبيعت في قضاء دينه بمد موته . قال : وغلط بمضمهم في تفسيرها ، فقال : هي دار الامارة ، قال ابن قرقول : وهذا محتمل ، لأنها صارت لأهل المدينة . انتهى .

والرجل الداخل للمسجد ورسول الله ﷺ قائم على المنبر يخطب خطبة الجمعة ، هو مرة بن كعب . وذكر بمضمهم أنه العباس ، وهو منكر مردود ؛ لما في بعض روايات « الصحيحين » وغيرها : جاء أعرابي . وفي بمضمها أني رجل أعرابي من أهل البدو ، والعباس لا يقال فيه ذلك ، ويبدو تمدد القضية ، على أن في بعض طرق البخاري : فقام الناس فصاحوا : يا رسول الله ! ... الحديث ويمكن الجمع بأن الرجل ابتداءً أولاً بالسؤال ، ثم تابعه الناس .

وفي « شرح البخاري » لابن التين : فقام الناس ، إن كان محفوظاً فقد تكلم الرجل ، ثم صاحوا . ويحتمل أن يعني بالناس الرجل ؛ لأنه متكلم عنهم وهم حضور ، أو لعلهم صاحوا وتكلم عنهم . انتهى .

وفي « الصحيحين » وغيرها : أن الرجل استقبل رسول الله ﷺ قائماً ، ثم قال : ( يا رسول الله قحط المطر ) .

قال في « النهاية » : قحط المطر ، وقحط إذا احتبس وانقطع ، وأقحط الناس إذا لم يمطروا .

وقال في « المطالع » : قحط المطر - بفتح الحاء المهملة وكسرها - إذا احتبس ، عن الجوهرى . ويقال : قحط الناس - بضم القاف وفتحها - وأقحطوا - بضم المهملة وفتحها - حكى الأريب أبو عثمان في أمثاله . انتهى .

وفي « القاموس » : القحط الضرب الشديد واحتباس المطر ، قحط العام ،

كنع وفرح ، ثم قال : وقحطوا وأقحطوا بضمها قليلتان . والمطر ماء السحاب ، والجمع أمطار .

( وأجذبت الأرض ) - بالدال المهملة - أي أصابها الجذب ، وهو ضد الخصب .

قال في « القاموس » : الجذب : الحبل . قال في « المطع » : يقال أجذبت الأرض ، وجذبت - بفتح الدال المهملة وضمها وكسرها ، أربع ائمان ، وكلها بالدال المهملة - إذا أصابها الجذب .

قال الجوهري : وهو تقيض الخصب . وفي « المطالع » : أجذبها جذبة - أي بكسر الدال المهملة ، وجذبة بسكونها أيضاً - لانبات فيها ، والأرض مؤنثة ، اسم جنس أو جمع بلا واحد ، ولم يسمع أرضة ، والجمع أرضات ، وأروض وأرضون ، وأراض كما في « القاموس » .

( وهلك المال ) وفي لفظ في « الصحيحين ، وغيرها : هلكت الاموال ، أي الحيوانية والنباتية من الجذب الناشئ عن عدم - أو قلة - المطر .

قال في « القاموس » : هلك - كضرب ومنع وعلم - هلكاً بالضم ، وهلاكاً بالفتح ، وتهلوكا وهلوكا بضمها ، ومهلكة وتهلكة مثلثتي اللام . مات .

وأصل المال : ما ملكته من كل شيء ، والجمع أموال . وفي رواية : قال : يارسول الله ! هلكت الاموال ، وانقطعت السبل جمع سبيل ، أي الطرق ، فادع الله يضيئنا كما في « الصحيحين ، وغيرها .

( قال ) أنس رضي الله عنه : ( فرفع ) رسول الله ﷺ ( يديه ) وبالغ في رفعها ( حتى رأيت بياض إبطيه ) تثنية إبط ، وهو باطن المنكب ، بفتح الهمزة وكسرها ، وقد يؤنث كما في « القاموس ، والجمع آباط ( فاستسقى ) رسول الله ﷺ ، استفمال من السقيا .

قال القاضي عياض : الاستسقاء : الدعاء بطلب السقيا ، فكأنه قال : دعا الله تعالى بطلب المطر .

قال أنس رضي الله عنه : ( ولقد ) الواو للقسم ، واللام في جوابه ، فكأنه قال : والله لقد ( رفع ) رسول الله ﷺ ( يديه ) لطلب السقيا ( وما نرى في السماء سحابة ) الواو للحال ، والجملة حالية ، والسحابة : الغيم ، والجمع سحاب . وسحب وسحائب .

قال أنس رضي الله عنه : ( فما قضينا ) أي أدبنا ( الصلاة ) أي صلاة الجمعة ، أي ما آتمناها وأنهيناها ( حتى ) أي إلى أن صار من المطر بدعاء النبي ﷺ إلى حالة هو ( أن قريب الدار ) من الرجال ، فضلا عن بيدها ( الشاب ) فضلا عن الكهل أو الشيخ ( ليهمه ) أي يصعب عليه ويمحزنه ويمجزه ( الرجوع ) أي الانقلاب ( إلى أهله ) من شدة المطر .

وفي الصحيحين ، وغيرهما : أنه ﷺ قال بمدرفع يديه : اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا - بالهمز - من الاغاثة ويقال فيه : غاثه يغثه ، وهو قليل ، وإنما هو من الغيث لا الاغاثة . ومنه الحديث : فادع الله يغثنا - بفتح الياء - يقال : غاث الله البلاد يغثها ، إذا أرسل عليها المطر .

قال أنس رضي الله عنه : فلا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قرعة<sup>(١)</sup> وما بيننا وبين سلع<sup>(٢)</sup> من دار ولا بيت - قال : - فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء ، انتشرت ثم أمطرت . قال : فلا والله ما رأينا الشمس سبتاً .

فدل الحديث على استحباب رفع اليدين في دعاء الاستسقاء ، فمن الناس

(١) القرعة : قطع من السحاب . واحده : قرعة .

(٢) سلع : جبل في المدينة .

من حص رفع اليدين بذلك ، وتركوا رفع اليدين في سائر الأدعية ، ومنهم من عداه إلى كل دعاء ، ومنهم من فرق بين دعاء الرغبة ودعاء الرهبة ، فقال : في دعاء الرغبة يجعل باطن كفيه إلى السماء ، وظاهرهما إلى الأرض ، وفي دعاء الرهبة بالعكس . قالوا : الراغب كالمستطعم ، والراهب كالمستجير .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : والصحيح الرفع مطلقاً ، فقد تواتر في « الصحاح » : أن الطفيل قال : يا رسول الله ! إن دوساً قد عصت وأبت فادع عليهم ؛ فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال : اللهم اهد دوساً وأت بهم .

وفي « الصحيح » أنه عليه السلام لما دعا لأبي عامر ، رفع يديه . وفي حديث عائشة رضي الله عنها لما دعا النبي ﷺ لأهل البقيع رفع يديه ثلاث مرات . رواه مسلم . وفيه : أنه صلى الله عليه وسلم رفع يديه فقال : أمي أمي . وفي آخره : قال الله تعالى . إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوئك . وفي قصة بدر : لما رأى المشركين صلى الله عليه وسلم مد يديه وجعل يهتف بربه ، فما زال يهتف بربه ماداً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه . وفي حديث قيس بن سعد رضي الله عنهما : فرفع يديه ﷺ وهو يقول : « اللهم اجعل صلاتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة » وبعث جيشاً فيه علي رضي الله عنه ، فرفع يديه وقال : « اللهم لا تمتني حتى تربني علياً » ، وفي حديث القنوت : رفع يديه . وأما حديث أنس رضي الله عنه : كان النبي ﷺ لا يرفع يديه في شيء من دعائه ؛ إلا في الاستسقاء ، متفق عليه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه : والجمع بين حديث أنس هذا وسائر الأحاديث ما قاله طوائف من العلماء ، وهو أن أنساً ذكر الرفع الشديد الذي يرى فيه بياض إبطينه ، وينحني فيه بدنه ، وهذا الذي سماه ابن عباس الاتهال ، فجعل المراتب ثلاثة : الإشارة بأصبع واحدة ، كما كان يفعل يوم الجمعة

على المنبر : والثانية : المسألة ، وهو أن يجمل يديه حذو منكبيه ، كما في أكثر الأحاديث . والثالث : الابهال ، وهو الذي ذكره أنس ، ولهذا قال : كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه ، وهذا الرفع إذا اشتد كان بطون يديه مما يلي وجهه والأرض ، وظهورها مما يلي السماء ، ويؤيد هذا التأويل ما روى أبو داود في مراسيله ، من حديث أبي أيوب سليمان بن موسى الدهشقي رحمه الله قال : لم يحفظ من رسول الله ﷺ ؛ أنه رفع يديه الرفع كله ، إلا في ثلاثة مواطن : الاستسقاء ، والاستنصار ، وعشية عرفة ، ثم كان بعد رفعاً دون رفع .

قال : وقد يكون أنس أراد بالرفع على المنبر يوم الجمعة ، كما في « مسلم » وغيره : أنه كان لا يزيد على أن يرفع أصبعه المسبحة . قال : وفي هذه المسألة قولان ، هما وجهان في مذهب الامام أحمد ، يعني في رفع الخطيب يديه . قيل : يستحب ، قاله ابن عقيل . وقيل : لا بل يكره . قال : وهو أصح . قال إسحاق : هو بدعة للخطاب ، إنما كان النبي ﷺ يشير بأصبعه إذا دعا .

قال في « الاقناع » : ويكره للامام رفع يديه حال الدعاء في الخطبة . قال المجد : هو بدعة ، وفاقاً للمالكية والشافعية وغيرهم ، ولا بأس بأن يشير بأصبعه فيه ، ورأى عمارة بن روية بشر بن مروان ؛ رفع يديه في الخطبة فقال : قبَّح الله هاتين اليدين ، لقد رأيت رسول الله ﷺ ما يزيد على أن يقول بيده هكذا ، وأشار بأصبعه المسبحة . رواه الامام أحمد ومسلم .

وفي حديث الامام أحمد : لعن الله هاتين اليدين ، فلمل أنساً أراد نفي رفع اليدين في الخطبة على المنبر ؛ لأن عبد الملك كان قد أحدث ذلك ، وأنس رضي الله عنه أدرك هذا العصر ، وقد أنكر على عبد الملك عصف بن الحارث ؛ فيكون أنس رضي الله عنه أخبر بالسنة التي أخبر بها غيره ، من أن النبي ﷺ

لم يكن يرفع يديه ، يني على المنبر ، إلا في الاستسقاء ، وهذا يشمر بأن الاستسقاء مخصوص بمزيد الرفع ، وهو الابتهاال ، كما تقدم آنفاً . وحينئذ يزول الاختلاف من بين الأحاديث ، والله الحمد .

وقال العلامة أبو بكر بن داود في أدلة أوراد والده ، وهو من علمائنا :  
قد ذمَّ الله تعالى قوماً بقوله : « يقبضون أيديهم نسوا الله فَنَسِيَهُمْ » (١) .

قال بعض المفسرين : يقبضون أيديهم ، أي لا يمدونها إلينا في السؤال .  
وروى الحاكم في « المستدرک » من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً : رفع الأيدي من الاستسقاء التي قال الله تعالى : « فما استكانوا لرهبهم وما يتضرعون » (٢) .

وروى الحاكم أيضاً وغيره ، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً :  
« إن الله رحيم كريم ، يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه ؛ ثم لا يضع فيهما خيراً » قال الحاكم ؛ صحيح الإسناد .

وفي « صحيح البخاري » من حديث أنس رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا رفع يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه .

وفي « سنن أبي داود » وابن ماجه والحاكم ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا سألت الله فسلوه بيطون أكفكم ، ولا تسألوه بظهورها ، وامسحوا بها وجوهكم » .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية طيب الله ثراه : المطلوب في رفع اليدين أن تكون بطونهما إلى الأعلى . وقال : من ظن أنه ﷺ قصد توجيه ظهر يديه إلى السماء ؛ فقد أخطأ ، فانه قال ﷺ : « إذا سألت الله فسلوه بيطون أكفكم » ... الحديث . وأما حديث أنس رضي الله عنه : إنما هو لشدة الرفع انحنت يده ،

(١) سورة التوبة ، الآية : ٦٧

(٢) سورة المؤمنون ، الآية : ٨٦

فصار كفه مما يلي السماء لشدة الرفع ، لا قصداً لذلك ، كما جاء ؛ أنه رفعها  
حذاء وجهه .

وفي الحديث عن أنس أيضاً : أنه رآه ﷺ يدعو بباطن كفيه وظاهرهما ،  
كما بينت ذلك في « شرح العمدة » .

قال العلماء : إنما شرع رفع اليدين في الدعاء لزيادة التذلل ؛ فيجتمع  
للإنسان أحوال الضراعة في مقام العبودية ، وأيضاً فإن العبد ربما عجز عن إيقاظ  
قلبه من الغفلة ، وله قدرة على حركة اليد واللسان فهما ؛ فكان ذلك وسيلة إلى  
خشوع القلب . وقد قالوا : حركات الظواهر توجب بركات السرائر ، وهو نظير رفع  
السبابة في تشهد الصلاة ، فيوحد الجنان<sup>(١)</sup> ويترجم اللسان ، وتزكيه الأركان .

( قال ) أنس رضي الله عنه : ( فلما كانت الجمعة التي تليها ) بعد ما مكثت  
سبتاً تمطر .

وفي بعض طرق « البخاري » قال أنس : وما خرجنا من المسجد حتى  
مطرنا ، فما زلنا نمطر حتى كانت الجمعة الأخرى . وفي لفظ : لم نزل نمطر إلى  
الجمعة التي تليها . وفي لفظ آخر : فرفع ﷺ يديه ، وما نرى في السماء قزعة ،  
فوالذي نفسي بيده ، ما وضعتها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن  
منبره ؛ حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته . وفي لفظ : فلا والله ما رأينا الشمس  
سبتاً ، أي جمعة ، فلما رأوا ذلك ( قالوا : يا رسول الله ) وفي رواية في  
« الصحيحين » و « السنن » وغيرها : ثم دخل رجل من ذلك الباب ، أي الذي  
كان دخل منه الرجل في الجمعة الأولى ، فطلب الدعاء بالغيث . وفي بعض طرق  
البخاري : فأتى الرجل في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبله  
قائماً فقال : يا رسول الله ( تهدمت البيوت ) الهدم — بفتح الهاء وسكون الـدال

(١) الجنان : القلب



هملة فيم - نقض البناء كالتهديم ، والبيوت : جمع بيت ، ويجمع على آيات  
أيضاً ، وجمع الجمع أبايت ، وبيونات ، وتصغير البيت : بيت ، ولا تقل : بوت ،  
وهو الشمر والمدر ، والمراد هنا الثاني ، أي تهدمت الأبنية من كثرة الامطار ،  
( واحتسبت الركبان ) من كثرة الامطار ، فلم تأت باليرة والجلب .

وفي « الصحيحين » : هلكت الأموال ، أي من كثرة المطر ؛ لعدم بروز  
الحيوانات للرعى ، وانقطعت السبل ، أي لعدم قدرة الناس على الخروج . وفي  
لفظ : تهدمت البيوت ، وانقطعت السبل ؛ فادع الله تعالى بمسكها . وفي لفظ :  
يحبسها عنا ( فتبسم رسول الله ﷺ ) تمجباً ( من سرعة ملالة ) مصدر مللته  
ومللت منه - بالكسر - ملأً وملئاً وملالة وملالاً ، إذا سئمته ( ابن آدم ) أبي البشر  
عليه السلام ، فإن الملل مركوز في طباعهم لما ظهر منهم من الملح في الاستسقاء  
والاستصحاء ، ونسبهم الى الالب الاول ؛ إشارة الى أن الملل قد عمّ النوع  
الانساني ، إلا من وقفه الله بهذيب نفسه ورياضة طبعه ، حتى انقاد بسلسلة التسليم  
الى ما قدره العليم الحكيم ، هذا مع أن حكمة الحكيم العليم اقتضت إنزال المطر  
بقدر الحاجة ، حتى إذا أخذت الأرض حاجتها منه أقلمه عنها ، فلو تابعه عليها بمددك  
لضرها ، فيمقب المطر بالصحو ؛ فيها ممتقبان على العالم لما فيه ، أي التعاقب من صلاحه ، أي  
العالم ، ولو دام أحدهما ؛ لكان فيه فساد ، إذ لو توالى الأمطار أهلكت ما على الأرض ،  
ولو زادت على الحاجة أفسدت الحبوب والثمار ، وعفت الزروع والخضراوات ،  
وأرخت الأبدان ، وحدث ضروب من الأمراض ، وفسد أكثر المآكل ،  
وتقطعت المسالك والسبل ، ولو دام الصحو لجفت الأبدان ، وغيض الماء ،  
وانقطع معين العيون والآبار والأنهار ، وعظم الضرر ، واحتدم الهواء ، فبئس  
ما على الأرض ، وجفت الأبدان ، وغلب اليبس ، وأحدث ذلك ضروباً من  
الأمراض ؛ فاقنضت حكمة اللطيف الخبير أن عاقب بين الصحو والمطر على هذا

العالم ؛ فاعتدل الأمر ، وصح الهواء ، ودفع كل واحد منها غائلة الآخر ، فاستقام أمر العالم وصلح .

والتبسم : مبادئ الضحك ، والضحك - بالفتح والكسر وبكسرتين ، وككتف - انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور ، فان كان بصوت مسموع ؛ فقهقه ، وإلا فالضحك . وإن كان بلا صوت ؛ فهو التبسم .

وقد روى الترمذي وصححه ، وابن سعد عن الحارث بن جزء رضي الله عنه قال : ما رأيت أحداً كان أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ . وفي رواية : ما كان ضحك رسول الله ﷺ إلا تبسماً ، فجعل التبسم من الضحك ، واستثنى منه ؛ فان التبسم من الضحك بمنزلة السنة من النوم ، ومنه قوله تعالى : « تبسم ضاحكاً » (١) أي شارعاً في الضحك .

وروى الامام أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، وغيرهم ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت رسول الله ﷺ مستجعماً ضاحكاً حتى ترى لهواه (٢) إنما كان يتبسم .

قال في « النهاية » : اللهوات ، جمع لهات ؛ هي اللحمتان في سقف أقصى القم . وقولها : إنما كان يتبسم . وفي الحديث الذي قبله : ما كان ضحك رسول الله ﷺ إلا تبسماً ، هذا الحصر يحمل على غالب أحواله ؛ لما في الحديث الآخر : كان جلُّ ضحكه التبسم . وفي حديث آخر : ضحك ﷺ حتى بدت نواجذه . وقيل : ما كان يضحك ﷺ إلا في أمر الآخرة ، كما مر . وأما في أمر الدنيا ؛ فلم يزد على التبسم . وروي أنه ﷺ كان إذا ضحك يتلأأ في الجدر - بضم أوله - أي يشرق نوره إشراقاً كإشراق الشمس .

(١) سورة النمل ، الآية : ١٩

(٢) اللهاة : اللعنة المشرقة على الخلق ، جمعها : لهوات .

وفي « الترمذي » ، و « البيهقي » ، من حديث هند بن أبي هالة رضي الله عنه قال : كان جدّ ضحك رسول الله ﷺ التبسم ، ويفتر عن مثل حب الغمام . وعن عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ ضحاًكاً بسأماً . رواه الخرائطي .

( فقال رسول الله ﷺ ) بعد أن رفع يديه متصيحياً : ( اللهم حوالينا ) أي أنزل الغيث حوالي المدينة ، حيث مواضع النبات ( ولا ) تنزله ( علينا ) في المدينة ولا غيرها من المباني والمساكن . يقال : حوله ، وحوليه ، وحواليه ، وحواله . زاد في « الصحيحين » وغيرها : اللهم على الآكام ، والظّراب ، وبطون الأودية ، ومنايات الشجر .

قوله : على الآكام - بفتح الهمزة ممدودة - على وزن آصال ، وبكسر الهمزة بغير مد ، على وزن جبال ، فالأول جمع أكم ، ككتب . وفي « المطلع » : الأكمة : مفرد ، جمع أربع مرات : أكم بفتحين ، وبضمتين ، وكأجبل ، وجبال ، وأجبال .

قال القاضي عياض : وهو ما غلظ من الأرض ولم يبلغ أن يكون جبلاً ، وكان أكثر ارتفاعاً مما حوله ، كالتلّول ونحوها .

وقال مالك : هي الجبال الصفار . وقال غيره : هو ما اجتمع من التراب أكثر من الكدى ودون الجبال . وقال الخليل : هي أي الأكمة ، حجر واحد . وقيل : فوق الرابية ودون الجبل ، ونحوه في « القاموس » .

قوله : والظّراب : جمع ظرب ككتف ، ما تتأ من الحجارة ، أو الجبل المنبسط ، أو الصغير .

وفي « المطلع » : الظراب : الروابي الصفار . وقال مالك : الجبيل وبطون

الأودية : مجرى المياه منها ، ومنابت الشجر حيث قامت أصول الشجر فيه  
ليحصل النفع من غير أن يؤثر ضرراً .

قال أنس رضي الله عنه : ( فتكشطت ) السماء من السحاب ( عن ) مسامحة  
( المدينة ) المشرفة ببركة دعاء النبي ﷺ .

قال في « القاموس » : « وإذا السماء كسخت ، (١) : قلمت كما يقلع السقف .  
قال : والكشط : رفك الشيء عن شيء . قد غشاه ، ومثله القشط . يقال :  
انكشطت السماء وتكشطت : أصحت .

وفي « النهاية » في حديث الاستسقاء : فتكشط السحاب ، أي تقطع  
وتفرق . قال : والكشط والقشط سواء في الرفع والازالة والقلع  
والكشف . انتهى .

وفي رواية في « المسند » و « الصحيحين » وغيرها : فأقلمت ، يعني السماء  
بإدعاء النبي ﷺ بالاستسقاء .

قال أنس : وخرجنا نمشي في الشمس . قال شريك ابن عبد الله بن أبي  
عمر القرشي : وقال الواقدي الأبي من أنفسهم : فسأت أنساً رضي الله عنه ،  
أهو ، يعني الرجل الذي سأل النبي ﷺ لما أكثر المطر الرجل الأول ، أي الذي سأله  
الاستسقاء ؟ فقال أنس رضي الله عنه : لا أدري ، لكن في بعض طرق البخاري  
ما يدل على أنه الأول ، كما تقدم .

### تنبيهات

الأول : دلّ هذا الحديث على مشروعية الاستسقاء ، وهو على ثلاثة أضرب :  
أحدها : استسقاء الامام يوم الجمعة على المنبر ، كما في هذا الحديث ، وهذا

(١) سورة التكاوير ، الآية : ١١

مذهب أبي حنيفة ، وأنكر صلاة الاستسقاء مع ثبوتها في « الصحاح »  
و « السنن » و « المسانيد » .

ولا ينافي مشروعية الصلاة أن يقع مجرد الدعاء في حالة أخرى . وإما  
كان هذا الذي جرى في الجمعة مجرد دعاء بطلب السقيا ، وهو مشروع إذا احتج  
إليه ، ولا ينافي مشروعية الصلاة في حالة أخرى إذا اشتدت الحاجة إليها .  
وقد خالف أبا حنيفة أصحابه ، فوافقوا الجمهور ، فهذان ضربان .

والثالث : أن يدعوا الله عقب صلواتهم . وفي « الصحيحين » من حديث  
أبي محمد عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ  
يستسقي ، فتوجه الى القبلة يدعو ، وحوّل رداءه ، ثم صلى ركعتين جهر فيها  
بالقراءة . وفي لفظ : خرج الى المصلى .

وروى أبو داود ، من حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت : شكى الناس  
الى رسول الله ﷺ قحوط المطر ، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى ، ووعد  
الناس يوماً يخرجون فيه . قالت عائشة : فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب  
الشمس ، فقمعد على المنبر ، فكبّر ، وحمد الله عز وجل ، ثم قال : « إنكم  
شكوتم جدب دياركم ، واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم ، وقد أمركم الله  
عز وجل أن تدعوه ، ووعدكم أن يستجيب لكم ، ثم قال : « الحمد لله رب العالمين ،  
الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، لا إله إلا الله يفعل ما يريد ، اللهم أنت الله ،  
لا إله إلا أنت الغني عن الفقراء ، اللهم أنزل علينا الغيث ، واجعل ما أنزلت لنا  
قوة وبلاغاً الى حين » ، ثم رفع يديه فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه ،  
ثم حول الناس ظهره ، وقلب أو حوّل رداءه وهو رافع يديه ، ثم أقبل على  
الناس ، ونزل فصلى ركعتين ، فأنشأ الله سبحانه ، فرعدت وبرقت ، ثم أمطرت  
باذن الله ، فلم يأت مسجده حتى سالت السيول . فلما رأى صلى الله عليه وسلم

سرعتهم الى الكن ؛ ضحك حتى بدت نواجذه ، فقال : أشهد أن الله على كل شيء قدير ، وأني عبد الله ورسوله .

وروى الامام أحمد ، وابن ماجه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :  
خرج نبي الله ﷺ يوماً يستسقي ، فصلى ركعتين بلا أذان ولا إقامة ؛ ثم خطبنا  
ودعا الله عز وجل ، وحوّل وجهه نحو القبلة رافعاً يديه ، ثم قلب رداءه فجعل  
الأيمن على الأيسر ، والأيسر على الأيمن .

وروى الامام أحمد ، من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال : خرج  
رسول الله ﷺ الى المصلى ، فاستسقى وحوّل رداءه حين استقبال القبلة . وبدأ  
بالصلاة قبل الخطبة ، ثم استقبال القبلة فدعا .

الثاني : معتمد مذهب الامام أحمد ، أن لصلاة الاستسقاء خطبة واحدة  
بعد الصلاة . قال أبو بكر : انفقوا عن أبي عبد الله ، أن في صلاة الاستسقاء  
خطبة وصعوداً على المنبر ، والصحيح أنها بعد الصلاة . وبه قال مالك ، والشافعي ،  
ومحمد بن الحسن . قال ابن عبد البر : وعليه جماعة الفقهاء ؛ لقول أبي هريرة  
رضي الله عنه : ثم خطبنا ، ولأنها صلاة ذات تكبير ، فأشبهت صلاة العيدين .  
قال في «شرح المقنع» : والمشروع خطبة واحدة ، وهذا قال عبد الرحمن بن مهدي .  
وقال مالك ، والشافعي : يخطب خطبتين كخطبتي العيد ، لقول ابن عباس  
رضي الله عنها : صنع رسول الله ﷺ كما صنع في العيد ، ولأنها أشبهتها في صفة  
الصلاة ، فكذا في صفة الخطبة . ولنا قول ابن عباس رضي الله عنها : لم يخطب  
النبي ﷺ خطبتكم هذه ، ولكن لم يزل في الدعاء والتكبير ، وهذا يدل على أنه  
مافصل بين ذلك بسكوت ولا جلوس ، ولأن كل من نقل الخطبة لم ينقل خطبتين  
والصحيح من حديث ابن عباس أنه قال : صلى ركعتين كما كان يصلي في العيد .

الثالث : يستحب أن يدعو بدعاء النبي ﷺ ، ومنه : «اللهم اسقنا غيثاً

مضيئاً هنيئاً مريئاً غدقاً مجللاً سحاً عاماً طبقاً دائماً ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا  
من القانطين ، اللهم إن بالعباد والبلاد من اللاؤاء والجهد والضنك ما لا نشكوه إلا  
إليك ، اللهم أنبت لنا الزرع ، وأدر لنا الضرع ، واسقنا من بركات السماء ،  
وأنزل علينا من بركاتك ، اللهم ارفع عنا الجهد والجوع والعري ، واكشف عنا  
من البلاء ما لا يكشفه غيرك .

ويكثر في دعائه من الاستغفار وقراءة آيات تضمنته ، وبالله التوفيق .

### الحديث الثاني والستون

١٠٧ - ثنا بن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال :  
لما سمع المسلمون النبي وهو ينادي على قلب بدر : يا أبا جهل ا  
يا عبدة بن ربيعة ! يا شيبة بن ربيعة ! يا أمية بن خلف ا هل  
وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ فاني وجدت ما وعدني ربي  
حقاً . قالوا يا رسول الله ا تُنادي قوماً قد جيّفوا ؟ قال :  
ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون  
أن يجيبوا

قال رضي الله عنه : ( ثنا ) محمد ( بن أبي عدي ، عن حميد ) الطويل ( عن  
أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( قال : لما سمع المسلمون ) ممن كان حضر وقمة  
بدر العظيمي من الصحابة رضي الله عنهم ، وعدتهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ،

معهم فرس واحدة لمقداد بن الأسود ، وقيل : وثانية للزبير بن العوام ( النبي )  
ﷺ وهو منصوب على أنه مفعول لسمع ( وهو ينادي ) الواو للحال ، أي في  
حال ندائه ( على ) شفير ( قلب ) .

قال في « النهاية » : القلب : البثر التي لم تطو ، تذكر وتؤنث . انتهى .  
وفي « السيرة الشامية » : قال الازهري : القلب عند العرب البثر العادية  
القديم ، مطوية كانت أو غير مطوية . قال : وهو مذكر .  
وفي « القاموس » : القلب : البثر أو العادية القديمة منها ، ويؤنث ، والجمع  
أقلية وقلب ، باسكان اللام وضمها . انتهى .

( بدر ) وهي قرية مشهورة ، ولم تزل من يومئذ بأهل الاسلام معمورة ،  
وهي على نحو أربعة مراحل من المدينة النبوية . قيل : نسبت الى بدر بن مخلد بن  
النضر بن كنانة . وقيل : الى بدر بن الحارث بن كعدة . وقيل : بدر : اسم البثر  
التي بها سميت بذلك ، لاستدارتها ، أو لصفائها ، فكان البدر يرى فيها . وأنكر  
ذلك غير واحد من شيوخ بني غفار . وقال : هي ماؤنا ومنازلنا ، وما ملكها  
أحد قط يقال له : بدر ، وإنما هو علم عليها ، كغيرها من البلاد . وقال البغوي :  
وهو قول الأكثر .

وكان ﷺ يقول في ندائه على شفير قلب بدر : ( يا أبا جهل ) واسمه  
عمرو بن هشام المخزومي ، وكان يكنى : أبا الحكم ، فكانه رسول الله ﷺ بأبي  
جهل . قتل يوم بدر ، وكانت في رمضان في الثانية ، قتله ابنا عفراء رضي الله عنها  
وقضى ﷺ بسلبه لماذ بن عمرو بن الجموح منها ، والآخر معاذ بن عفراء . وقد  
أطلق عليه ﷺ بأنه فرعون هذه الأمة ، ولما التمسوا أبا جهل في القتلى فلم  
يوجد ، فمرف ذلك في وجه النبي ﷺ وقال : اللهم لاتمجزني فرعون هذه الأمة .  
وقال ﷺ : من ينظر لنا ماصنع أبو جهل ؟ وإن خفي عليكم في القتلى ؟ فانظروا



الى اثر جرح في ركبته، فاني ازدهمت أنا وهو يوماً على مأدبة لعبد الله بن جدعان ونحن غلمان، وكنت أسن منه يبسير، فدفعته فوق علي ركبته فجحشت (١) جحشاً لم يزل أثره به، فالتمسه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، فوجده بأخر رمق. قال: فمرفته، وكان مقنماً بالحديد، واضماً سيفه على فخذه، ليس به جرح، ولا يستطيع أن يحرك منه عضواً، وهو منكب ينظر الى الارض، فلما رآه ابن مسعود رضي الله عنه طاف حوله ليقتله، فأراد أن يضربه بسيفه، فخشي أن لا يفي سيفه شيئاً، فأناه من ورائه، فجعل ينقف (٢) رأسه بسيفه وهو رث، فضمعت يد أبي جهل فأخذ سيفه منه وهو جيد، فرفع رأسه فقال: علي من كانت الدبرة؟ وفي لفظ: لمن الدابرة؟ قال: قلت لله ورسوله ﷺ، فأخذت بلحيته وقلت: الحمد لله الذي أخزاك الله يا عدو الله. وفي لفظ: هل أخزاك الله يا عدو الله؟ قال: بماذا أخزاني؟ هل أغدر؟ وفي لفظ: هل عدا؟ وفي آخر هل أعمد؟ أي أزيد على رجل قتله قومه، أو غير أكار قلتي؟

والأكار: الزراع، وعنى بذلك الانصار رضي الله عنهم؛ لأنهم أصحاب زرع، وأشار بذلك الى تنقيص من قتله، وقال لابن مسعود رضي الله عنه لما أراد أن يجهز عليه: لقد رقيت مرتقي صعباً يارومي الغنم. قال: فرميت سائمة البيضة عن قفاه فضرته، فوقع رأسه بين يديه. وفي رواية: فوضع رجله على عنقه وقد روى ابن عائذ، عن قتادة مرسلأ: أن رسول الله ﷺ قال: «إن لكل أمة فرعون، وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل، قتله شر قتلة، قتله ابنا عفرأ، وقتله الملائكة، وذفقه» (٣) ابن مسعود، فلما جاء ابن مسعود برأس أبي جهل إلى

(١) الجحش: سحق الجلد وقشره من شيء يصيبه، كالخندش.

(٢) النقف: كسر الهامة عن الدماغ.

(٣) أي أجهزه وأسرع في قتله.

رسول الله ﷺ ، فقال له : يا رسول الله ، هـذا رأس أبي جهل فقال ﷺ :  
 « آله الذي لا إله غيره » . قال ابن مسعود : وكانت يمين رسول الله ﷺ . قال :  
 قلت : نعم والله الذي لا إله غيره ، ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله ﷺ ، فحمد الله  
 الذي أعز الاسلام وأهله ثلاث مرات ، وخر رسول الله ﷺ ساجداً ، ثم سجد أبو جهل  
 وأعيان قتي مشركي قريش ، وألقوا في قلب بدر ، إلا ما كان من أمية بن خلف ، فانه  
 انتفخ في درعه فلاها ، فذهبوا ليحركوه ، فتزائل ، فأقروه وألقوا عليه ماغيه  
 من التراب والحجارة . وذكر السهيلي : أن الذي حفر هذه البئر ، يعني التي  
 ألقوا فيها ، رجل من بني النار ، فكان ذلك فألا مقدماً لهم . ولما جيء بأبي جهل  
 يُجر إلى القلب . قال رسول الله ﷺ : لو كان أبو طالب حياً لعلم أن أسيفنا  
 قد التبت بالأمان . ولفظ الطبراني وغيره : ولذلك يقول أبو طالب :

كذبتم وبيت الله نبى (١) محمداً	ولما نطاعن حوله ونناضل
ونسله حتى نصرع حوله	ونذهل عن أنباثنا والحلائل (٢)
وينهض قوم في الحديد إليكم	نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
وحتى يرى ذا الضغن يركب رده	عن الطمن فعل الأنكب المتحامل
وإنا لمر الله إن جد ما أرى	لتلتبس أسيفنا بالأمانل

قال أهل السير : ولما أمر رسول الله ﷺ بهم أن يلقوا في القلب - كما  
 قال ابن إسحاق وغيره - أخذ عتبة ابن ربيعة ، فسحب إلى القلب ، فنظر رسول الله  
 ﷺ - فيما بلغني - في وجه أبي حذيفة بن عتبة ، فاذا هو كئيب قد تغير .  
 فقال : يا أبا حذيفة : لملك قد داخلك من شأن أبيك شيء . . . فقال : لا والله  
 يا رسول الله : ما شككت في أبي ولا في مصرعه ، ولكني كنت أعرف من أبي  
 رأياً وحلماً وفضلاً ؛ فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الاسلام ، فلما رأيت ما أصابه ،  
 وذكرت ما مات عليه من الكفر بمد الذي كنت أرجو له ؛ أحزنتني ذلك ، فدعا

(١) أي نسله ونقلب عليه ، أراد : لا يبزي ، حفذ لا من جواب القسم ، وهي مرادة .

(٢) الحلائل : الزوجات ، واحدها : حليلة .

له رسول الله ﷺ بخير ، وقال له خيراً . ( يا عبدة بن ربيعة ) وينادي أخاه شيبه فيقول : ( يا شيبه بن ربيعة ) بن عبد شمس بن عبد مناف ، وبه يتصل نسبه بنسب النبي ﷺ ؛ فربيعة أخو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وكان عبدة بن ربيعة وأخوه شيبه من سادات قريش ، وعبدة هو أبو هند أم معاوية رضي الله عنه ، وينادي رسول الله ﷺ على شفير القلب : ( يا أمية بن خلف ) الجحفي ؛ فان خلف بن وهب ابن حذافة بن جمح ، يجمع نسبه بنسب النبي ﷺ في كعب بن لؤي ، وكان من سادات قريش ( هل وجدتم ) بعد موتكم ( ما وعدكم ربكم ) عز وجل ( حقاً ) من أمر نبوتي وما وعدتم به على لساني ، من أمور الآخرة ، والخزي والنكال المد لأهل الكفر والضلال ؛ ( فاني وجدت ما وعدني ربي ) من النصر والتأييد ، وإعلاء كلمة أهل الايمان والتوحيد ( حقاً ) لا مرية فيه ، ولا زوال عنه ، ولا شك بمتريه .

( قالوا ) ، أي الصحابة الكرام ممن كان في ذلك المقام : ( يا رسول الله ) كيف ( تنادي قوماً قد جيئوا ) أي صاروا جثثاً مروحة لفارقها أرواحها ؛ فهم جيف منتنة ، وأجساد مروحة لا أرواح فيها ولا إدراك لها .

( قال ) ﷺ : ( ما أنتم ) مشر الأحياء ( بأسمع لما أقول ) من حقيقة ما وعدم الله ووعدني منهم ، لأن السر صار عندهم علانية ، واطلعوا من أمور الآخرة ما لا اطلعهم عليه بعد ، وإن كنتم على غاية من الايمان والتصديق ، إلا أنه ليس الخبر كما كعيان ( منهم ) بل هم يسمعون كلامي كما تسمعون ، ويعلمون حقيقة ما أقول لهم في مقامي كما تعلمونه ( ولكنهم لا يستطيعون ) أي لا يقدرُونَ ( أن يجيبوا ) سؤالي وأنتم تستطيعون .

وفي « الصحيحين » من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن أبي طلحة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه كان إذا ظهر على قوم أقام بالمرصة ثلاث

ليال . وفي لفظ : أنه ﷺ أمر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش ، فألقوا في طوى من طوى بدر خبيث مخبث ، فلما كان اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ، ثم مشى واتبعه أصحابه . قالوا : ما نرى ينطلق إلا ابعض حاجته ، حتى قام على شفة الرهكي<sup>(١)</sup> فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ، يافلان ابن فلان يافلان بن فلان ؛ أيسركم أنكم أطعم الله ورسوله ؟ فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ؛ فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله ! ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ؟ فقال النبي ﷺ : « والذي نفس محمد بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم . »

قال قتادة : أحياهم الله عز وجل حتى أسمعه قولهم توييحاً وتصغيراً وقمة وحسرة وندماً ، واللفظ الذي ذكره الامام أحمد من حديث أنس ، أخرجه مسلم أيضاً بلفظه ، وفي آخره : فسمع عمر رضي الله عنه قول النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! كيف يسمون ، أو أتى يحيون وقد جيئوا . قال : « والذي نفسي بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يقدرُونَ أن يحييوا . »

وفي الصحيحين ، وغيرها ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : وقف النبي ﷺ على قلب بدر ، فقال : « هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ » ثم قال : « إنهم الآن يسمون ما أقول لهم » : فذكر لمائسة فقالت : إنما قال : « إنهم ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق » ثم قرأت : « إنك لا تسمع الموتى »<sup>(٢)</sup> حتى قرأت الآية . وفي رواية عند الامام أحمد عن عائشة ، فقال رسول الله ﷺ : « ما أنتم بأفهم لقولي منهم ، أو « لهم أفهم لقولي منكم » .

والحاصل : أن الرواية بقوله ﷺ : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم »

(١) قال في اللسان : الركي : جنس للركية ، وهي البئر ، وجمه ركي وركايا .

(٢) سورة النمل ، الآية : ٨٠ .

صحيحة ، والأخبار بذلك صريحة ، وقد نقلها الجم الغفير ، والجمع الكثير ،  
ورويت عن عدة من أصحاب البشير النذير ، فمن كان حاضراً ذلك المقام العظيم  
الخطير ، وصرح بالسماع كما في « السنن » و « المسند » و « الصحيح » ؛ فلا جرم  
هو حق صحيح ، ونبأ ثابت صريح ، ولذا قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى :  
سماع موتي كلام الخلق سلمه جاءت به عندنا الآثار في الكتب

وآية النبي ، معناها سماع هدى ، لا يقبلون ولا يصفون للأدب ، فقد اتفق  
عمر ، وأبو طلحة ، وابن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وأنس بن مالك رضي الله  
عنهم ، أن رسول الله ﷺ لما قال له المسلمون : يا رسول الله ! كيف تخاطب  
أمواتاً ، فقال : « والذي نفسي بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم . » واثلاثة  
الأول شاهدوا القصة وحضروها ، وسموا هذا الكلام من خير الأنام نبينا محمد  
عليه أفضل الصلاة وأتم السلام . ولفظ ابن مسعود رضي الله عنه ، قال :  
يسمعون كما تسمعون ، ولكن لا يجيبون . رواه الطبراني بإسناد صحيح .

قال الاسماعيلي : كان عند عائشة رضي الله عنها من الفهم والذكاء وكثرة  
الرواية والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه ، لكن لا سبيل الى رد  
كلام الثقة إلا بنص يدل على نسخه ، أو تخصيصه ، أو استمالته ؛ فكيف والجمع  
بين الذي أنكرته وأثبتته غيرها ممكن ؛ لأن قوله تعالى : « إنك لا تسمع الموتى » (١)  
لا ينافي قوله ﷺ : « إنهم الآن يسمعون » ، لأن الاسماع هو إبلاغ الصوت  
من المسمع في آذان السامع ، والله تعالى هو الذي أسمعهم ، بأن أبلغهم صوت  
نبيه ﷺ .

وأما روايتها : أنه ﷺ إنما قال : « إنهم ليعلمون » . فان كانت سمعت  
ذلك ؛ فلا ينافي روايته : يسمعون ، بل يؤيدها .

(١) سورة النمل ، الآية : ٨٠

قال البيهقي : العلم لا يمنع من السماع ، على أن الامام أحمد ، روى باسناد حسن ، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : إنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » . ورواه ابن اسحاق في « المغازي » ، من رواية يونس بن بكير ، باسناد جيد . فان كان محفوظاً ، فكأن عائشة رضي الله عنها رجعت عن الانكار ، لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة ؛ لكونهم شهدوا القصة دونها رضي الله عنهم .

وقال الامام المحقق ابن القيم في كتابه « الروح » : قول الصحابة رضي الله عنهم للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قتلى بدر : كيف تخاطب قوماً قد جيفوا ، مع إخباره بسماعهم كلامه . قال : فالخطاب للأرواح المتعلقة بتلك الأجساد التي قد فسدت ؛ فان الله تعالى قد رد أرواحهم إلى أجسادهم ذلك الوقت رداً يسمعون به خطابه ، والأجساد قد جيفت ؛ فالخطاب للأرواح المتعلقة بتلك الأجساد .

قال : وأما قوله تعالى : « وما أنت بمسمع من في القبور » (١) فسياق الآية يدل على أن المراد منها أن الكافر ميت القلب ، لا يقدر على إسماعهم كما أن من في القبر لا يقدر على إسماعهم سماعاً ينتفون به ، ولم يرد سبحانه أن أصحاب القبور لا يسمعون شيئاً البتة ، كيف وقد أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم يسمعون خفق نعال المشيمين ، وأخبر أن قتلى بدر يسمعون كلامه وخطابه ، وشرع السلام عليهم بصيغة الخطاب للحاضر الذي يسمع ، وأخبر أن من سلم على أخيه المؤمن رد عليه السلام ، وهذه الآية نظير قوله : « إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين » (٢) .

وقد يقال : نفي إسماع الصم مع نفي إسماع الموتى ، يدل على أن المراد عدم

(١) سورة فاطر ، الآية : ٢٢

(٢) سورة النمل ، الآية : ٨٠

أهلية كل منها للسمع ، وأن قلوب هؤلاء لما كانت ميتة صماً كان إسماعها ممتعماً ، بمنزلة خطاب الميت والأصم ، وهذا حق ، ولكن لا ينفي إسماع الأرواح بعد الموت إسماع توبيخ وتقريع بواسطة تملقها بالأبدان في وقت ما ، فهذا غير الإسماع المنفي .

قال : وحقيقة المعنى : أنك لا تستطيع أن تسمع من لم يشأ الله أن يسمعه ، إن أنت إلا نذير ، إنما جعل الله لك الاستطاعة على الإنذار الذي كلفك إياه لا على إسماع من لم يشأ الله إسماعه ، وأطال الاستدلال على مثال هذا المنوال ، والله ولي الأفضال .

### الحديث الثالث والستون

١٠٨ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : يامعشر الانصار ! ألم آتكم ضللاً فهداكم الله بي ، ألم آتكم متفرقين فجمعكم الله بي ، ألم آتكم أعداء فألّف الله بين قلوبكم . قالوا : بلى يا رسول الله . قال : أفلا تقولون : جئتنا خائفاً فأمنّاك ، وطريداً فأوينّاك ، ومخذولاً فنصرناك . فقالوا : بل لله المنّ علينا ورسوله .

قال رضي الله عنه : ( ثنا ) محمد ( بن أبي عدي ، عن حميد ) الطويل ( عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( أن رسول الله ﷺ ) لما أصاب غنائم حنين ، وقسم للمؤلفين من قريش وسائر العرب ما قسم . وفي رواية : قسم في المهاجرين

والطلاق . وفي رواية : طفق يعطي رجالاً المائة من الابل ، ولم يعط الأنصار شيئاً وجد (١) هذا الحي من الأنصار في أنفسهم ، حتى كثرت فيهم القالة ، فقالوا : إذا كانت الشدة فنحن ندعى ، ويعطي الغنائم غيرنا ؟ حتى قال قائلهم : يغفر الله لرسول الله ﷺ ، إن هذا هو العجب ؛ يعطي قريشاً . وفي لفظ : الطلقاء والمهاجرين ، ويتركنا تقطر سيوفنا من دماهم ! وددنا أن نعلم بمن كان هذا ؟ فان كان من أمر الله صبرنا ، وإن كان من رأي رسول الله ﷺ استعبتناه . وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عند الامام أحمد وابن اسحاق : فقال رجل من الأنصار لاصحابه : لقد كنت أحدثكم أن لو استقامت الأمور لقد آثر عليكم ، فردوا عليه رداً عنيفاً .

قال أنس رضي الله عنه ، كما في « الصحيحين » و « المسند » وغيرها : فحدث رسول الله ﷺ بمقاتلهم . وفي لفظ : فبلغه رسول الله ﷺ ذلك .

وفي حديث أبي سعيد : فشى سعد بن عبادَةَ الى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! إن هذا الحي من الأنصار ، قد وجدوا عليك في أنفسهم . قال : فيم ؟ قال : فيما كان من قسمك هذه الغنائم . فقال ﷺ : « فأين أنت يا سعد ؟ » فقال : ما أنا إلا امرؤٌ من قومي . فقال ﷺ : « فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة . » وفي لفظ : القبة « فاذا اجتمعوا فاعلني » فخرج سعد يصرخ فيهم حتى جمعهم في تلك الحظيرة . وفي حديث أنس : فأرسل رسول الله ﷺ إلى الأنصار ، فجمعهم في قبة من آدم ، ولم يدع غيرهم ، فجاء رجل من المهاجرين فأذن له فيهم ، فدخل ، وجاء آخرون فردد ، حتى إذا لم يبق من الأنصار أحد إلا اجتمع له ، أتاه سعد فقال : يا رسول الله ! قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار حيث أمرتني أن أجمعهم ، فخرج رسول الله ﷺ إليهم ، فقال : « هل فيكم أحد من غيركم » . قالوا :

(١) أي غضب .



لا يارسول الله ! إلا ابن أختنا . قال ﷺ : « ابن أخت القوم منهم » .

قال ابن البلقيني في « مبهاته » : هذا هو النعمان بن مقرن كما رواه أحمد بن منيع في « مسنده » من حديث أنس بن مالك ، قال شعبة : عن معاوية بن قره . قال قلت له : أسمعت أنساً يحدث عن النبي ﷺ أنه قال في النعمان بن مقرن : « ابن أخت القوم منهم » ، أو من أنفسهم ؟ . قال : نعم . فقام رسول الله ﷺ خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم ( قال : يا مشر الانصار ) .

قال في « القاموس » : المشرك كمشرك : الجماعة ، وأهل الرجل . والأنصار : جمع ناصر ، كأصحاب وصاحب ، أو جمع نصير ، كأشراف وشريف ، واللام فيه للهد ، أي أنصار رسول الله ﷺ ، والمراد الأوس والخزرج ، وكانوا قبل ذلك يعرفون بابني قيلة ، اسم امرأة ، بقاف مفتوحة ، وباء تحتانية ساكنة ، وهي الأم التي تجمع القبيلتين ، فسماهم النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار ، فصار علماً عليهم ، وأطلق ذلك على أولادهم وحلفائهم ومواليهم ، وخصوا بهذه المنقبة العظمى لما فازوا به دون غيرهم من القبائل ؛ من إيواء النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه ، وإتيانهم بأمرهم ، ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم ، وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم ؛ فكان صنعهم ذلك موجباً لمعاداتهم جميع الفرق من عرب وعجم ، وكان ما اختصوا به مما ذكر موجباً للحسد ، وهو يحجر البغض ؛ فلهذا جاء التحذير من بغضهم ، والترغيب في حبهم ، حتى جعل ذلك آية الإيمان والبنفاق ، كما تقدم — تنوياً بمعظم فضلهم ، وتنبيهاً على كرم فعلهم — في شرح الحديث الأول من « مسند أنس » رضي الله عنه ( ألم ) استفهام تفريري ( أنكم ) في حال كونكم ( ضلالاً ) - بضم الصاد المعجمة ، وتشديد اللام الأولى - أي بالشرك وعبادة الأوثان ، جمع ضال ، وهو الضائع ،

والضلال ضد الهدى ( فهذا كم الله ) سبحانه وتعالى ( بي ) فكنت السبب في إتقادكم من الضلال العظيم الى الهدى ، الى الصراط المستقيم . والهداية : الدلالة سواء أوصلت الى المطلوب أو لا .

قال الامام ابن القيم في كتابه « بدائع الفوائد » : الهداية أربعة أنواع : أحدها : الهداية العامة المشتركة بين الخلق ، المذكورة في قوله تعالى : « الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » (١) . أي أعطى كل شيء صورته التي لا يشبه فيها بغيره ، وأعطى كل عضو شكله وهيئته ، وأعطى كل موجود خلقه المختص به ، ثم هداه الى ما خلقه له من الاعمال ، وهذه الهداية تم هداية الحيوان المتحرك بارادته ، الى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره . وكل شيء له هداية تليق به وتخصه ، من الحيوان والاعضاء وغيرها .

الثاني : هداية البيان والدلالة والتعريف لنجدي (٢) الخير والشر ، وطريقي النجاة والهلاك ، وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام ؛ فانها سبب وشرط ، لا موجب . ولهذا ينتفي الهدى معها ، كقوله تعالى : « وأما محمد فهديناهم فاستجبوا العمى على الهدى » (٣) ، أي يبتأ لهم وأرشدناهم وللنام ؛ فلم يهتدوا ، ومنه قوله : « وإنك تهدي الى صراط مستقيم » (٤) .

الثالث : هداية التوفيق والالهام ، وهي الهداية المستلزمة للاهتداء ؛ فلا يتخلف عنها ، وهي المذكورة في قوله تعالى : « بضل من يشاء ويهدي من يشاء » (٥) . وفي قوله تعالى : « إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل » (٦)

---

(١) سورة طه ، الآية : ٥٠

(٢) النجد : الطريق المرتفع ، ومنه قوله تعالى : « وهديناهم النجدين » أي : طريق

الخير وطريق الشر . (٣) سورة فصلت ، الآية : ١٧

(٤) سورة الشوري ، الآية : ٥٢

(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٦

(٦) سورة النحل ، الآية : ٣٧

وفي قول النبي ﷺ: « من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له . وفي قوله تعالى : « إنك لا تهدي من أحببت » (١) فنفي عنه الهداية وأثبت له هداية الدعوة والبيان في قوله : « وإنك تهدي الى صراط مستقيم » (٢) ، ومن هذا النوع ما في الحديث .

الرابع : غاية هذه الهداية ، وهي الهداية الى الجنة والنار إذا سبق أهلها إليها . قال تعالى : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم » (٣) وقال أهل الجنة فيها : « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله » (٤) انتهى ملخصاً .

قال المحققون من أهل الكلام والنظار : الهداية : الدلالة بلطف ، ولهذا تستعمل في الخير . وأما قوله تعالى : « فاهدوم الى صراط الجحيم » (٥) فهكم . وهداية الله تعالى تنوع أنواعاً لا يحصها عد ، كما قال تعالى : « وإن تمدوا نعمته الله لا تحصوها » (٦) ، وبالله التوفيق . ( أم آتكم ) في حال كونكم ( متفرقين ) يضرب بضمك بضمناً ، ويقتل بضمك بضمناً ، وقد كان بين هذين الحيين : الأوس والخزرج ، من المداوة والحروب ما هو مشهور في كتب المتقدمين ، ولهم أيام مخبورة ووقعات مسطورة ، ومن ذلك يوم بُعث ، بضم الموحدة وعين مهملة على المشهور . وحكي عن الخليل بالمعجمة ؛ وقيد الأصيلي بالوجهين ، وعند القاسمي بفتح معجمة ، وآخره ثاء مثلثة بلا خلاف ، وهو موضع من المدينة على ليلتين ، وقد امتن الله على رسوله ﷺ في قوله : « هو الذي أيدك بنصره

(١) سورة القصص ، الآية : ٥٦ (٢) سورة الشورى ، الآية : ٥٢

(٣) سورة يونس ، الآية : ٩ (٤) سورة الأعراف ، الآية : ٢٣

(٥) سورة الصافات ، الآية : ٢٣ (٦) سورة ابراهيم ، الآية : ٣٤

والمؤمنين وألف بين قلوبهم ، (١) مع ما فيهم من العصبية والضغائن في أقدسيه ،  
 والهالك على الانتقام ، بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان ، حتى صاروا كنفس  
 واحدة ، وهذا من معجزاته ﷺ وبيانه . قال الله تعالى : « لو أنفقت ما في  
 الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم » ، (٢) لتناهي عداوتهم ، والإحـ والاضغائن  
 الكائنة بينهم ، ولكن الله ألفت بينهم بقدرته البالغة ، لأنه المالك للقلوب ، بقلبها  
 كيف يشاء إنه عزيز حكيم ؛ فنزلت هذه الآية الامتتان على سيد ولد عدنان في  
 تأليف الله تعالى بين قلوب الأوس والخزرج ، لما كان بينهم من الإحـ التي  
 لا مدى لها ، والوقائع التي هلكت فيها ساداتهم ، فأنساهم الله تعالى ذلك ، وألف  
 بينهم بالاسلام حتى تصادقوا وصاروا أنصاراً ؛ ولهذا قال لهم النبي ﷺ : (جـمـكم  
 الله) تعالى (بي) بمد الفرقة العظيمة ، ثم قال ﷺ لهم : (ألم آتاكم) في حال  
 كونكم (أعداء) أي بضمكم عدو لبعض ، بل بينكم من المداوة والبغضاء  
 ما خرج عن حد الاحصاء (فألف الله) تعالى (بين قلوبكم) بي ، فصرتم  
 كنفس واحدة ، وأضاف الفعل الى الله تعالى : لأنه الفاعل الحقيقي ، والنبي  
 ﷺ سبب ذلك كله . وزاد في رواية : وعالة فأغناكم الله (قالوا : بلى يا رسول  
 الله) وفي رواية : فما قال رسول الله ﷺ شيئاً إلا قالوا : الله ورسوله أمن ،  
 أي أعظم منة ، وأكثر نعمة ، ثم (قال) رسول الله ﷺ لهم : (أفلا تقولون)  
 أنتم (جئتنا) أنت في حال كونك (خائفاً فأمسناك) بمنصرتنا لك ، وقيامنا  
 بنصرتك (و) جئتنا (طريداً) من بلدك ، قد آذاك قومك وطرودك . يقال :  
 أطرده السلطان ، وطرده ، إذا أخرجه عن بلده . وحقيقته : أنه صيره طريداً ،  
 وطردت فلاناً طريداً ، إذا أبعده ؛ فهو مطرود وطريد (فآويناك) ومن ممك

(١) سورة الأنفال ، الآيتان : ٦٢ و ٦٣

(٢) سورة الانفال ، الآية : ٦٣

من معك من المهاجرين ، وآثرناكم على أنفسنا وأهلينا . والايوآء ممدود : الدخول الى المسكن ، أي آويناك الى منازلنا ، وضمنا شملك بأصحابك ، فصار لكم في المدينة مواطن ومساكن تأوون إليها ( و ) جئتنا ( مخذولاً ) غير منصور . يقال : خذله خذلاً وخذلاً بالكسر ، ترك نصرته ( فنصرناك ) على من عاداك ووازرناك على من ناوأك ، كما قال تعالى : « والذين آووا ونصروا ، » (١) ( فقالوا ) أي قال فقهاء الأنصار ومنكلموهم للنبي ﷺ : ( بل ) إضراب عما قال صلى الله عليه وسلم ، وعدد من أيديهم ومنهم ( لله ) سبحانه وتعالى ( المن ) علينا ولرسوله ( صلى الله علنا وسلم ، إذ هدانا الله تعالى به الى الدين القويم ، والصراط المستقيم . والمن ) - بفتح الميم ، وتشديد النون - العطاء والاحسان ، ومن أسمائه تعالى : المَنَّان ، وهو المنعم المعطي من المن الذي هو العطاء ، لا من المِنَّة ، كما في « النهاية » وهو من أبنية المبالغة ، كالمسفاك والوهاب . والمن من غير الله مذموم ، بل هو من الكبار ، ويبطل به الثواب ، وهو تعداد ما أحسن به وأعطاه . والمَنَّان الذي لا يعطي شيئاً إلا منته ، واعتد به على من أعطاه ، وهو مذموم ؛ لأن المنة تفسد الضميمة . وفي رواية : أن النبي ﷺ قال للانصار : « ألا تحببون يا معشر الانصار ، قالوا : وما تقول يا رسول الله ! وماذا تحببك ؟ المن لله تعالى ولرسوله ﷺ قال : « والله لو شتمت لقتلتم ، فصدقتم وصدقتم ، جئتنا طريداً وآويناك ، وعائلنا فآسيناك ، وخائفنا فأمناك ، ومخذولاً فنصرناك ، ومكذّباً فصدقناك ، . قالوا : المن لله تعالى ولرسوله . فقال ﷺ : « ما حديث بلغني عنكم ، فسكتوا ، فأعاد عليهم ذلك . فقال فقهاء الأنصار : أما رؤساؤنا فلم يقولوا شيئاً ، وأما أناس منا حديثه أسنانهم ، قالوا : يغفر الله تعالى لرسول الله ﷺ ، يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دماهم ؟ ! فقال ﷺ : « إني

(١) سورة الانفال ، الآية : ٧٢

لأعطي رجالاً حديثي عهد بكفر فأتألفهم (١) . وفي رواية : أن قريشاً حديثوا عهد بجاهلية ومصيبة ، وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم ، أوجدتم (٢) يا معشر الانصار في نفوسكم في لعاعة من الدنيا ألفت بها قوماً أسلموا ، ووكلتكم الى ما قسم الله لكم من الاسلام . والأماعة - بضم اللام وبمعنيين مهملتين - بقلة خضراء ناعمة ، شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها في قلة بقاءها ، والتألف : المداراة والائناس ليدوموا على الاسلام رغبة فيما يصل اليهم من المال ، ثم قال ﷺ : وأفلا ترضون يا معشر الانصار أن يذهب الناس الى رحلم بالشاة والبمير . وفي لفظ : بالدنيا ، وتذهبون رسول الله ﷺ الى رحالكم تحوزونه الى بيوتكم ، فوالله لا تنقلبون به خير مما ينقلبون به ، فالذي نفسي بيده ، لو أن الناس سلكوا شعباً ، وسلكت الانصار شعباً ؛ اسلكت شعب الانصار ، أتم الشعار والناس دثار ، الانصار كرشى وعيبي ، ولولا الهجرة لكنت امرأة من الانصار ، اللهم ارحم الانصار ، وأبناء الانصار ، وأبناء أبناء الانصار ، فبكي القوم حتى أخضلوا لحام ، وقالوا : رضينا بالله ورسوله ؛ حظاً وقسماً : وذكر الواقدي : أن رسول الله ﷺ أراد حين دعاهم أن يكتب لهم بالبحرين يكون لهم خاصة بعده دون الناس ، وهي يومئذ أفضل ما فتح عليه من الأرض ، فأبوا وقالوا : لا حاجة لنا بالدنيا بعدك . فقال رسول الله ﷺ لهم : « إنكم ستجدون بسدي أثره شديدة ، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض .

قوله : أتم الشعار والناس دثار . الشعار - بكسر الشين المعجمة فمعين مهملة - الثوب الذي يلي الجسد . والدثار - بكسر الدال المهملة وبالتاء المثناة - ما يجمل فوق الشعار ، أي إن الانصار بطاقته وخاصته الذين يلونه ، وإهم أحق الناس به وأقربهم اليه ، وهو تشبيهه بليغ .

(١) في الاصل ؛ فالقهم .

(٢) أي أغضبتهم .

وقوله: الأَنْصار كَرثِي وعَيْبِي، أَي بطاقتي وموضع سري، وتقدم شرحه في الحديث الأول من «مسند أنس» رضي الله عنه .

وقوله : حتى أخذوا الحام - بفتح الهمزة وسكون الحاء وفتح الضاد المعجمين - أي بلثوها بالدموع .

وقوله : ستجدون بعدي أثره - بفتح الهمزة ، وسكون ، والهاء المثلثة ، وبضم الهمزة وسكون المثلثة أيضاً وبفتحتين ، ويجوز كسر أوله مع إسكان ثانيه - أي يستأثر عليكم بما لكم فيه حق ، والمراد يعطي غيركم أكثر منكم ، ويفضل غيركم عليكم .

وقوله : تلقوني على الحوض ، أي يوم القيامة ؛ فيحصل لكم الانتصاف ممن ظلمكم ، وتظهر حينئذ مزيبتكم على غيركم مع ما يحصل لكم من الثواب الحزبل على الصبر الجميل ، وبالله التوفيق .

### الحديث الرابع والستون

١٠٩ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، خرج فاستشار الناس ، فأشار عليه أبو بكر ، ثم استشارهم ، فأشار عليه عمر ، فسكت . فقال رجل من الأَنْصار : إنما يريدكم . قالوا : يا رسول الله ! والله لا نكون كما قالت بنو إسرائيل لموسى ، ولكن والله لو ضربت أكبادها حتى تبلغ برك الغنم لكنا معك .

قال رضي الله عنه : ( ثنا ) محمد ( بن أبي عدي ، عن حميد ) الطويل  
( عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( قال : لما سار رسول الله ﷺ الى غزوة  
( بدر ) وهي الوقعة العظمى التي أعز الله تعالى بها الاسلام ، ودمغ الكفر ، وقع  
عبدة الأوثان والأصنام .

( خرج ) رسول الله ﷺ من المدينة في رمضان .

قال ابن سعد : يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت منه . وقال ابن هشام :  
لثمان ، وضرب عسكره يبرأ أبي عتبة - بكسر العين وفتح النون - بلفظ واحدة  
الغيب المأكول ، وهي على ميل من المدينة ، فمرض أصحابه ، ورد من استصفر  
منهم ، ودفع لواءه الى مصعب بن عمير رضي الله عنه ، وكان أبيض ، وبين يدي  
رسول الله ﷺ رايتان سوداوان .

إحدهما : مع علي بن طالب رضي الله عنه ، يقال لها : العقاب :  
والأخرى : مع بعض الأنصار .

وقال ابن سعد : كان لواء المهاجرين مع مصعب ، ولواء الخزرج مع الحباب  
ابن المنذر ، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ . وجزم بهذا الامام ابن القيم  
في « الهدى » .

واستخلف رسول الله ﷺ ابن أم مكتوم على الصلاة بمن في المدينة ، وكان مع  
الصحابة يومئذ سبعون بغيراً يمتقبونها ، وكان معهم فرسان : فرس المقداد ابن  
الأسود ، وفرس للزبير بن العوام . وزاد بعضهم : ثلاثة لمرثد الضنوي .

ولما سار رسول الله ﷺ ، صام يوماً أو يومين ، ثم نادى : إني مفطر  
فأفطروا ، فلما استقبل الصفراء ، تركها بيسار ، وسلك ذات اليمين ، على وادٍ يقال له :  
ذفران ، ثم نزل وأناه الخبر بمسير قريش ليمنعوا غيرهم .



( فاستشار ) صلى الله عليه وسلم ( الناس ) أي طلب المشورة منهم ؛ إمتثالا لقوله تعالى :  
« وشاورهم في الأمر » (١) .

قال ابن الجوزي في قوله تعالى : « وشاورهم في الأمر » (١) معناه : استخراج  
آراءهم واعلم ما عندهم . ويقال : إنه من شرت المسل : إذا استخرجته من  
الخليه ، وأنشدوا :

واقسمها بالله حقاً لأنتمُ  
ألد من السلوى إذا ما تشورها  
قال الزجاج : يقال : شاورت الرجل مشاورة وشواراً ، والاسم :  
المشورة ، وبمضمون يقول : الشورة . ومعنى قولهم : شاورت فلاناً : أظهرت  
ما عندي وما عنده ، وشرت الدابة إذا اتحننتها ، ففرت هيشها في سيرها ، وشرت  
المسل إذا أخذته من مواضع النحل ، وعسل مشار .

قال الأعشى :

كأن القرنفل والزنجبيل      باتا بفيا وأرياً مشاراً (٢)

والأري : المسل .

قال ابن الجوزي : اختلف العلماء ، لأني معنى أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة  
أصحابه رضي الله عنهم ، مع كمال رأيه وتدييره . فقيل : ليستن به من بمده ،  
قاله الحسن ، وسفيان بن عيينة . وقيل : لتطيب قلوبهم ، قاله قتادة ، والزيغ ،  
وابن إسحاق ، ومقاتل .

وقال الشافعي : نظير هذا قوله : البكر تستأمر في نفسها ، إنما أراد  
استطابة نفسها ، فانها لو كرهت كان للأب أن يزوجها ، وكذلك مشاورة إبراهيم  
لابنه عليها السلام حين أمر بذبحه .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩ (٢) في الاصل : وأري مشاراً

قال ابن الجوزي : من فوائد المشاورة أن المشاور إذا لم ينجح أمره ؛ علم أن امتناع النجاح محض قدر ؛ فلم يلم نفسه .

ومنها : أنه قد يزم على أمر يتبين له الصواب في قول غيره ، فيعلم عجز نفسه عن الإحاطة بفنون المصالح .

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الاستشارة عين الهداية ، وقد خاطر من استغنى برأيه . والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم .  
وقال بعض الحكماء : ما استنبط الصواب بمثل المشاورة ، ولا حصنت النعم بمثل المواساة ، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر .

واعلم أن النبي ﷺ إنما أمر بمشاورة أصحابه فيما لم يأتيه فيه وحى . وعمهم بالذكر ، والمقصود أرباب الفضل والتجارب منهم .

قال القاضي أبو يعلى : أمر بمشاورتهم في أمر الدنيا ، والاصح : والدين :  
وقرأ ابن مسعود : وشاورهم في بعض الأمر .

وذكر ابن عبد البر الخبر : المروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مشاور قوم إلا هدام الله لأرشد أمورهم » . والمروي عنه أيضاً : « لن يهلك امرؤ عن مشورة » . والخبر المشهور : « المستشار مؤتمن » . رواه الترمذي من حديث أم سلمة رضي الله عنها . ومن حديث أبي هريرة ، رواه الامام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه . قال ابن مفلح في « الآداب » : هو حديث جيد الاسناد .

قال الحسن البصري رحمه الله : إن الله لم يأمر نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه حاجة منه الى رأيهم ، ولكن أراد الله أن يعرفهم مافي المشورة من البركة .  
وعن النبي ﷺ قال : « من نزل به أمر فشاور فيه من هو دونه تواضعا عزم له على الرشد » .

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : شاور في أمرك من يخاف الله عز وجل . وكان أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه يقول : رأي الشيخ خير من مشهد الفلأم . ومر حارثة بن زيد بالأحنف بن قيس رضي الله عنه ، فقال : لولا أنك عجلان لشاورتك في بعض الأمر . قال : يا حارثة ! أجل : كانوا لا يشاورون الجائع حتى يشبع ، والمطشان حتى ينقع (١) ، والاسير حتى يطلق ، والمضل حتى يجد ، والراغب حتى يمنح .

وكان يقال : استشر عدوك العاقل ، ولا تستشر صديقك الأحمق ، فإن العاقل يتقي على رأيه الزلل ، كما يتقي الورع على دينه الحرج .  
وكان يقال : لا تدخل في رأيك بخيلاً فيقصر فملك ، ولا جباناً فيخوفك مالا يخاف ، ولا حريصاً فيبعدك عما ترجى .

قال الشاعر :

إن الليب إذا تفرق أمره فتق الأمور مناظراً ومشاوراً  
وأخو الجهالة يستبد برأيه فتراه يمتسف الأمور مخاطرأ

وفي « سنن ابن ماجه » من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنها مرفوعاً :  
« إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه » . وفي « معجم الطبراني الصغير » من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « ماخب من استخار ، ولا ندم من استشار ، ولا عال من اقتصد » . فلكايات القرآنية ، والأخبار النبوية ؛ استشار خير البرية أصحابه عند مسيره للقاء أعدائه ( فأشار عليه أبو بكر ) الصديق رضي الله عنه ( ثم استشارهم ) ثانياً ( فأشار عليه ) صلى الله عليه وسلم ( عمر ) الفاروق رضي الله عنه .  
وفي رواية : أنه صلى الله عليه وسلم استشار الناس ، فتكلم المهاجرون فأحسنوا ، ثم استشارهم .

وفي رواية : فقام أبو بكر رضي الله عنه ، فقال فأحسن ، ثم قام عمر

(١) يقال : نغم الماء المطش ، أي سكنه .

ابن الخطاب رضي الله عنه فقال فأحسن ، ثم قام المقداد بن الأسود رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، امض لما أمرك الله فنحن معك ، والله ما نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا فإنا معكما مقاتلون ، عن يمينك وشمالك وبين يديك وخلفك ، والذي بعثك بالحق : لو سرت بنا برك الغاد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فأشرق وجه رسول الله ﷺ وقال له خيراً ، ودعا له . وذكر موسى بن عقبة وابن عابد : أن عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله : إنها قريش وعزها ، والله ما دلت منذ عزت ، ولا آمنت منذ كفرت ، والله لتقاتلنك ، فتأهب لذلك أهبت ، وأعد لذلك عدته ( فسكت ) رسول الله ﷺ ، ثم استشارهم ثالثاً ( فقال رجل من الأنصار ) رضي الله عنهم : ( إنما يريدكم ) يامشر الأنصار . وفي رواية : ففهمت الأنصار أنه يعينهم ، وذلك أنهم عدد الناس ، فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه وجزاه خيراً ، فقال : وفي رواية الامام ( قالوا ) أي الأنصار ، والمراد بعضهم ، وقد فهم أنه سعد بن معاذ ( يا رسول الله ) كأنك تمرض بنا . قال : أجل ، وإنما عنام لأنهم بايعوه على أن يمنعوه من الأحمر والأسود في ديارهم ، فاستشارهم ليعلم ما عندهم ، فقال سعد رضي الله عنه : يا رسول الله ! قد آمننا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ؛ فامض لما أردت ، ولعلك يا رسول الله تحشى أن تكون الأنصار ترى عليها أن لا ينصروك إلا في ديارهم ، وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم ؛ فاطمن حيث شئت ، وصل جبل من شئت ، واقطع جبل من شئت ، وخذ من أموالنا ماشئت ، وأعطنا ماشئت وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت ، وما أمرت فيه من أمر ، فأمرنا تبع لأمرك ( والله لانكون كما قالت بنو إسرائيل ) وهو يعقوب عليه السلام ( لموسى ) بن عمران عليه السلام لما قال لهم : « يا قوم ! ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على

أدباركم فتقبلوا خاسرين ، قالوا : يا موسى إن فيها قوماً جبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فإن يخرجوا منها فإنا داخلون. قال رجلان من الذين يخافون ، وهما (١) كالب ويوشع . « أنعم الله عليها » . بالآيمان والتثبت - : « ادخلوا عليهم الباب ، فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين قالوا : يا موسى إنا لن ندخلها ، أي بيت المقدس « أبداً ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، (٢) قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله ، وعدم مبالاهم بها ، وقصة ذلك مشهورة ( ولكن ) نقول : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم متبعون ، ( والله لو ضربت أكبادها ) أي الابل ، والأكباد جمع كبد - بالفتح والكسر وككفف - مؤنثة ، وقد يذكر وهي معروفة ، وكبسد كل شئء وسطه ، والجوف بكاله .

وفي « القاموس » : نضرب إليه أكباد الابل ، أي يرحل إليه في طلب العلم وغيره ( حتى تبلغ ) في سيرك ( برك الغنم ) زاد في رواية : من ذي يمن ( لكننا معك ) وفي رواية : فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان ، والله لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن نلقى عدونا غداً ، إنا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، ولملك خرجت لأمر فأحدث الله غيره ، فسر بنا على بركة الله ، فنحن على يمينك وشمالك ، وبين يديك وخلفك ، فأشرق وجه رسول الله ﷺ ، وسر بقول سعد رضي الله عنه .

وبرك الغنم - بفتح الباء لاكثر الرواة ، وبعض الرواة : بكسرهما ، وهو موضع في أقاصي هجر ، قاله في « المطالع » .

وقال النووي : ذكر جماعة من أهل اللغة بالكسر لا غير .

(١) في الاصل : وم ، وهو خطأ . (٢) سورة المائدة ، الايات : ٢١ - ٢٥

قال الزمخشري: هو من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل  
عما يلي البحر .

والغناد - بضم النين المعجمة وبالذال المهملة .

وفي « القاموس » بتثنية النين ، والفتح عن الفراء<sup>(١)</sup> : موضع في أقصى  
معمور الأرض ، ومُغمدان ، كعمدان ، قصر في اليمن ، بناه بَشْرُخُ بأربعة  
وجوه : أبيض ، وأحمر ، وأصفر ، وأخضر . وبني داخله قصراً بتسعة سقفوف  
بين كل سقفين<sup>(٢)</sup> أربعون ذراعاً ، قاله في « القاموس » .

وفي « النهاية » : مُغمدان - بضم النين وسكون الميم - البناء العظيم بناحية  
سنة اليمن . قيل : هو من بناء سليمان عليه السلام .

تفسيه : وقع في « صحيح مسلم » و « سنن أبي داود » من حديث أنس  
رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان . قال :  
فتكلم أبو بكر ، فأعرض عنه ، ثم تكلم عمر رضي الله عنه ، فأعرض عنه ، فقام  
سمد بن عبادة رضي الله عنه ، فقال : إيانا تريد يا رسول الله ، والذي نفسي بيده ،  
لو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغنم لفعلنا ، فشد رسول الله ﷺ  
الناس ، فانطلقوا حتى نزلوا بيدر ، وذكر الحديث .

قال ابن سيد الناس في « عيون الأثر » : وهذا القول إنما يعرف عن سمد  
ابن معاذ ، كما رواه ابن عقبة ، وابن إسحاق ، وابن سمد ، وابن عائذ ، وغيرهم .  
والصحيح عند أهل السير والمغازي : أن سمد بن عبادة لم يشهد بدرأ .  
قال ابن سمد : كان تهباً للخروج ، فنهش<sup>(٣)</sup> قبل أن يخرج ، فأقام .

وذكر الحافظ في « الفتح » نحوه ، ثم قال : ويمكن الجمع بأن النبي ﷺ

استشارهم في غزوة بدر مرتين :

(١) في الاصل : الفزار والنصح من « القاموس » . (٢) في الاصل : كل سف

وفي « القاموس » : بين كل سقفين (٣) يقال : نهشته الحبة ، أي لسته .

الأولى : وهو بالمدينة أول ما بلغه خبر العير مع أبي سفيان ، وذلك بين  
في رواية مسلم .

والثانية : بعد أن خرج ، كما في حديث ابن مسعود في ( الصحيح ) .  
وحيث قال سعد بن معاذ رضي الله عنه ما قال .

ووقع عند الطبراني ، أن سعد بن عبادة قال ذلك بالحديبية ، وهذا أولى  
بالصواب ، والله تعالى الموفق .

### الحديث الخامس والستون

١١٠ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ،

قال : دعوتُ المسلمين إلى وليمة رسول الله ﷺ صبيحة نبي

بزئب بنت جحش ، فأشبع المسلمين خبزاً ولحماً ، ثم صنع كما

كان يصنع ، فأتى حجر نساءه ، فهم عليهن ، فدعون له .

قال : ثم رجعت إلى بيته وأنا معه ، فلما انتهى إلى البيت إذا

رجلان قد جرى بينهما الحديث في ناحية البيت ، فلما بصر

بهما ولياً راجعاً ، فلما رأى الرجلان النبي ﷺ قد ولياً عن

بيته ؛ قاما مسرعين ؛ فلا أدري ، أما أخبرته - أو آخر - به ،

ثم رجعت وأرخت السترَ بينه وبينني ، وأُنزلت آية الحجاب .

قال رضي الله عنه : ( ثنا ) محمد ( ابن أبي عدي ، عن حميد الطويل ) عن أنس ( ابن مالك رضي الله عنه ) قال : دعوت المسلمين ) من أصحاب رسول الله ﷺ ( الى وائمة رسول الله ﷺ صبحة ) ليلة ( بنى ) فيها رسول الله ﷺ أي عرس ( زينب بنت جحش ) .

وفي رواية قال أنس : أنا أعلم الناس بشأن الحجاب ، وكان في بنتي رسول الله ﷺ زينب بنت جحش ، أصبح بها عروساً ، فدعا القوم . وفي لفظ : لما أهديت زينب بنت جحش الى النبي ﷺ ، صنع طعاماً ، وإن أنساً هو كان الداعي الى الطعام ( فأشبع ) النبي ﷺ ( المسلمين خبزاً ولحماً ) .

قال أنس : فكان يجيء قوم فيأكلون ويخرجون ، ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون ، قال : فدعوت حتى ما أجد أحداً ، فقلت : يا رسول الله ! والله ما أجد أحداً . قال : فارفموا طعامكم . زاد الاسماعيلي في روايته : وزينب جالسة في جانب البيت . قال : وكانت امرأة قد أعطيت جمالاً ( ثم صنع ) رسول الله ﷺ ( كما كان يصنع ) قبل ذلك ، وفسر ذلك الصنع الذي كان يصنعه بقوله : ( فأنى حجر ) جمع حجرة ، وهي بيوت ( نسائه ) رضي الله عنهم ( فسلم عليهم ) أي واحدة بعد واحدة ( فدعون له ) بالبركة في أهله .

( قال ) أنس رضي الله عنه : ( ثم رجس ) ﷺ ( الى بيته ) الذي فيه زينب بنت جحش ( وأنا معه ) الواو للحال وجملة المتبدأ وخبره حالية .

( فلما انتهى ) ﷺ ( الى البيت ) الذي فيه زينب رضي الله عنها ، إذا رجلا ( من بقية الذين دعوا الى الوليمة ) قد جرى بينها الحديث ( وهما ) في ناحية البيت ( الذي فيه زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ ) . وفي رواية : وبقي في البيت ثلاثة جلسوا يتحدثون . وفي رواية أبي قلابة : أن النبي ﷺ جعل يخرج ثم يرجع ، وهم قعود يتحدثون . وفي رواية : أنه ﷺ لما أمر برفع الطعام ،



وإذا هو كأنه يتهباً للقيام ، فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام ، فلما قام ؛ قام من قام ، وقدم ثلاثة نفر ، ويجمع بين كونهم ثلاثة ، ورواية رجلين ، بأنه أول ما قام ﷺ ، وخرج من البيت كانوا ثلاثة ، وفي آخر ما رجع توجه واحد منهم في أثناء ذلك ؛ فصاروا اثنين ، وهذا أولى من جزم ابن التين بأن إحدى الروايتين وهم ، كما قاله في « الفتح » ، قال : ولم أقف على تسمية أحد منهم . انتهى .

( فلما بصّر ) رسول الله ﷺ ( بها ) أي الرجلين يتحدثان في ناحية البيت ( ولي راجماً ) من حيث جاء ( فلما رأى الرجلان النبي ﷺ قد ولي عن بيته ) فظنا لأنفسهما ، وأنهما قد غفلا عن حالهما ، وفلا من الثقلة ما لا يحمل ( قاما ) من البيت ( مسرعين ) وعلم أنها أساء الأديب .

قال أنس رضي الله عنه : ( فلا أدري أنا أخبرته ) بذهابها ( أو آخر ) هو ( به ) .

وفي « الصحيحين » : فانطلقت جئت ، فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا ، هكذا وقع الجزم في رواية ، وانفق عبد العزيز بن صهيب وحמיד الطويل على أن أنساً كان يشك في ذلك . وفي لفظ أحدهما : فلا أدري أنا أخبرته بخروجها ، أم أخبر وهو مبني للمجهول ، أي أخبر بالوحي ( ثم رجع ) النبي ﷺ ( إلى منزله ) فذهبت أدخل ، فدخل ﷺ ( وأرخى الستر بينه وبينني ) وفي رواية : فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه ( وأرخى السترة الحجاب ) وفي رواية : فأنزل الله : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتكم إلا أن يؤذن لكم » (١) إلى قوله : « من وراء حجاب » (٢) فغضب الحجاب . (٣) : عبد العزيز ، عن أنس : حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخله ، وأسرى خارجه ؛ أرخى الستر بيني وبينه ، وأزات آية الحجاب .

(١) سورة الاحزاب ، الآية : ٥٣

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : ومحصل القصة أن الذين حضروا  
الوايمة جعلوا يتحدثون ، واستحى النبي ﷺ أن يأمرهم بالخروج ، قهياً للقيام  
ليفطنوا المراده فيقوموا بقيامه ، فلما ألهم الحديث عن ذلك ؛ قام وخرج ،  
فخرجوا بخروجه ، إلا الثلاثة الذين لم يفطنوا لذلك ، لشدة شغل بهم ، بما كانوا  
فيه من الحديث . وفي غضون ذلك كان النبي ﷺ يريد أن يقوم من غير مواجبتهم  
بالأمر لشدة حيائه ، فيطيل الغيبة عنهم بالتشاغل بالسلام على نسائه وم في  
شغل بهم .

وكان أحدهم في أثناء ذلك أفاق من غفلته ، فخرج وبقي الاثنان ، فلما طال  
ذلك ووصل النبي ﷺ إلى منزله ، فرآهما فرجع ؛ رآياه ففطنا فخرجنا ، فدخل  
النبي ﷺ ، وأنزلت الآية ، فأرعى السترينه وبين أنس خادمه أيضاً ، ولم يكن  
له عهد بذلك .

وفي هذا الحديث من الفوائد : مشروعية الحجاب لأمهات المؤمنين .

قال القاضي عياض : فرض الحجاب بما اختصن به ؛ فهو فرض عليهن بلا  
خلاف في الوجه والكفين ، فلا يجوز لهن كشف ذلك في شهادة ولا غيرها ، ولا  
إظهار شخصهن وإن كن مستترات ، إلا ما دعت إليه ضرورة من براز ، ثم  
استدل بما في « الموطأ » ، أن حفصة رضي الله عنها لما توفي عمر سترها النساء عن  
أن يرى شخصها ، وأن زينب بنت جحش حملت لها القبة فوق نمشها ليستر  
شخصها . انتهى .

قال في « الفتح » : وليس فيما ذكره دليل على ادعاء من فرض ذلك عليهن ،  
وقد كن بمد النبي ﷺ يحججن ويطفن ، وكان الصحابة من بمدهن يسمعون  
الحديث وهن مستترات الأبدان لا الأشخاص .

قلت : والذي ذكره علماؤنا كمصاحب « الاقناع » وغيره : أن من خصائصه

ﷺ أن أزواجه لا يحل أن يسألن شيئاً إلا من وراء حجاب ، ويجوز أن يسأل غيرهن مشافهة ، لقوله تعالى : « وإذا سألتوهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب » (١) وقد ذكروا لنزول آية الحجاب أسباباً (٢) غير هذا ، منها ما أخرجه النسائي ، من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كنت آكل مع النبي ﷺ حيساً في قصب ، فمر عمر ، فدعاه فأكل ، فأصاب أصبعه أصبعي ، فقال : حس (٣) أو أوة لو أطاع فيمكن مارأتكن عين ، فنزل الحجاب ، ويمكن الجمع بأن ذلك وقع قبيل قصة زينب ، فلقرها منها أطلقت نزول الحجاب بهذا السبب ، ولا مانع من تمدد الأسباب ، وبالله التوفيق .

#### الحديث السادس والستون

١١١ - ثنا بن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : كان أبو طلحة يرمي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله ﷺ يرفع رأسه من خلفه لينظر إلى مواقع نبه . قال : فيتناول أبو طلحة بصدره أتى به رسول الله ﷺ وقال : نحري دون نحرك .

قال رضي الله عنه : ( ثنا ) محمد ( بن أبي عدي ، عن حميد ) الطويل ( عن أنس ) بن مالك رضي الله ( قال : كان أبو طلحة ) زيد بن سهل بن الأسود

(١) سورة الاحزاب ، الآية : ٥٣ وكلمة : متاعاً في الآية سقطت من الاصل .

(٢) في الاصل : أسباب ، وهو خطأ . (٣) الحس : وجع يأخذ النفساء بعد الولادة .

الانصاري البخاري رضي الله عنه ( يرمي ) بنبله عن قوسه ( بين يدي رسول الله ﷺ ) لما انهزم الناس عنه يوم أحد .

ففي « الصحيحين » ، وغيرها ، عن أنس رضي الله عنه قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن رسول الله ﷺ ، وأبو طلحة بين يدي رسول الله ﷺ .  
يجوب بفتح التحتية وبالجم والموحدة - أي يلف ، ويمنع الناس عنه ، وروي : مجوب ، أي مترس . وقد جاء مفسراً في حديث آخر : يترس مع النبي ﷺ بترس واحد ، والجوب : الترس . ورواه بعضهم : محذب - بالميم والحاء والداد المهملتين ، فهو وحدة - والحذب : الحنو والاشفاق ، كما في « المطالع » ، عنه ، بحجفة بحاء مهملة فحيم ففاء مفتوحات . الترس الصغير يطارق بين جلدتين ، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديداً الرمي . وفي لفظ : النزح : فنثر كئناثه بين يدي رسول ﷺ ، وكسر يومئذ قوسين أو ثلاثة ، وكان الرجل يمر بالجبهة من النبل فيقول رسول الله ﷺ : انثرها لأبي طلحة ( وكان رسول الله ﷺ يرفع رأسه ) الشريف ( من خلفه ) أي من خلف أبي طلحة رضي الله عنه ؛ لأنه ﷺ كان قد تترس به ، وإنما كان يرفع رأسه ( لينظر الى مواقع نبله ) أي المحال التي يقع بها نبل أبي طلحة . وافظه في « الصحيحين » وغيرها : ويشرف رسول الله ﷺ ينظر الى القوم .

( قال ) أنس رضي الله عنه : ( فيتناول<sup>(١)</sup> أبو طلحة ) أي يرتفع ( بصدرة يقي ) أي ايتي ( به ) أي بذلك التناول ( رسول الله ﷺ ) أي ليكون وقاية له من نبل الأعداء .

وفي « الصحيحين » ، وغيرها : فيقول أبو طلحة : ياني الله ، بأبي أنت وأمي : لا تشرف بصيبك سهم من سهام القوم ( وقال ) أبو طلحة رضي الله عنه : ( نحري ) أي عنقي وصدري ( دون ) أي أقرب لما يحدث ويفوق من سهام أعداء

(١) في الاصل : فيتناول .

الله ونبليهم من (نحرك) الشريف ، أي أنا وقاية عنك ، أفديك بنفسي .  
قال في القاموس : نحر الصدر : أعلاه ، أو موضع القلادة ، وهو  
مذكر ، والجمع : نحور . يقال : نحره - كمنه - نحرأ ونحارأ ، أصاب نحره ،  
وهذا يعني وقاية رسول الله ﷺ بالنفس ، وبكل ممكن لازم ، واجب على  
كل مسلم .

وقد بذل جماعة من الصحابة يومئذ أنفسهم دونه ﷺ . فروى الامام  
أحمد ومسلم ، من حديث أنس رضي الله عنه أن المشركين لما أرهقوا رسول الله  
ﷺ وهو في سبمة من الأنصار ، ورجلين من قريش . قال : من يردم عنا وهو  
رفيق في الجنة ، فجاء رجل من الأنصار ، فقاتل حتى قتل ، ثم رهقوه أيضاً  
فقال : « من يردم عنا وله الجنة ، أو هو رفيق في الجنة » . فتقدم رجل من  
الأنصار فقاتل حتى قتل ، الى أن قتل السبمة من الأنصار . فقال رسول الله  
ﷺ لصاحبيه : « ما أنصفنا أصحابنا » . وروى نحوه الامام أحمد ، وابن أبي  
شيبه ، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه . وفيه : أفرد رسول الله ﷺ في  
سبمة من الأنصار ورجلين من قريش ، وهو عاشرم ، فلما أرهقوه قال : « رحم  
الله رجلاً ردم عنا » فذكر نحوه . وقاتل علي رضي الله عنه من ناحية ، وأبودجانة  
رضي الله عنه من ناحية ، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من ناحية ، وانفرد  
علي رضي الله عنه بفرقة من المشركين ، فيها عكرمة بن أبي جهل ، فدخل وسطهم  
بالسيف يضرب به ، وقد اشتعلوا عليه حتى أفضى إلى آخرم ، ثم كرم ثانياً  
حتى رجع من حيث جاء رضي الله عنه . وتقدم بعض هذا ، والله أعلم .

## الحديث السابع والستون

١١٢ - ثنا ابن أبي عدي، عن حميد، عن أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألا أخبركم بخير دور الأنصار: دار بني النجار، ثم دار بني عبد الأشهل، ثم دار بني الحارث بن الخزرج، ثم دار بني ساعدة، وفي كل دور الأنصار خير.

قال رضي الله عنه: (ثنا) محمد (بن أبي عدي، عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ قال) وهو في مجلس عظيم من المسلمين؛ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم: (ألا) - بفتح الهمزة وبخفيف اللام - حرف افتتاح، معناه التنبيه (أخبركم) معشر المسلمين (بخير دور الأنصار) جمع دار، وهو المحل الذي يجمع البناء والقبيلة، وهو المراد هنا، أي خير قبائل الأنصار وبطونها، فكأنهم قالوا: بلى يا رسول الله! أخبرنا بذلك لنعلم ذلك، فنمرف لهم فضلهم وتقدمهم على غيرهم. قال ﷺ: «خير دور الأنصار (دار بني النجار) - بفتح النون، وتشديد الجيم، فراء قبلها ألف - واسمه: تيم اللات بن ثعلبة، بن عمرو، بن الخزرج، وإنما سمي بالنجار، لأنه اختن بقدم النجار، وقيل: لأنه ضرب رجلاً بقدم (ثم) الأفضل بمد دار بني النجار (دار بني عبد الأشهل) - بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة، فهاء مفتوحة فلام - وعبد الأشهل، هو ابن جشم، بن الخزرج، بن عمرو ابن

مالك بن الأوس ، منهم أسيد بن حضير أحد النقباء ، وسيدم سعد بن معاذ ابن النعمان ، بن امرئ القيس ، بن زيد ، بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي الأوسي رضي الله عنه وعنهم أجمعين . ( ثم ) الأفضل بعد دار بني عبد الأشهل ( دار بني الحارث بن الخزرج ) بن النبيت ، وهو عمرو بن مالك ، بن الأوس الأنصاري ، منهم البراء بن عازب وغيره ( ثم ) الأفضل بعد دار بني الحارث ابن الخزرج ( دار بني ساعدة ) بن كعب بن الخزرج ، وسيدم بل سيد الخزرج سعد بن عبادة ، بن دليم بن حارثة ، ثم قال ﷺ : ( وفي كل دور الأنصار خير ) بحسب مسابقتهم ، وبذل مجهودهم في إعلاء كلمة الله ؛ فلكل أحد منهم نصيب من الخيرية على قدر ما رزقهم الله تعالى من النصح ، وموالاته الرسول ، وبذل الأموال والآنفس دونه ، لتكون كلمة الله العلياً .

وأخرج هذا الحديث الشيخان ، والترمذي . ولفظ الترمذي : قال ﷺ : « ألا أخبركم بخير دور الأنصار . قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « بنو النجار ، ثم الذين يلونهم بنو عبد الأشهل ، ثم الذين يلونهم بنو الحارث بن الخزرج ، ثم الذين يلونهم بنو ساعدة » . ثم قال ﷺ بيده ، فقبض أصابعه ، ثم بسطنه كالرامي بيده : قال : « وفي دور الأنصار كلها خير » . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

قال أبو عيسى الترمذي : وقد روي هذا الحديث ، عن أنس ، عن أبي أسيد الساعدي ، وهو أبو أسيد مالك بن ربيعة الساعدي الأنصاري . ورواه الشيخان والترمذي وغيرهم أيضاً ، من حديث أبي أسيد المذكور ، وفي آخره : قال سعد ، هو ابن عبادة : ما أرى رسول الله ﷺ إلا قد فضل علينا . فقيل : قد فضلكم على كثير . وفي رواية زاد بعد قوله : وفي كل دور الأنصار خير . قال أبو سلمة : قال أبو أسيد رضي الله عنه : أنهم أنا على رسول الله ﷺ ، لو

كنت كاذباً لبدأت بقومي بني ساعدة . قال : وبلغ ذلك سعد بن عباد ، فوجد في نفسه وقال خلفنا فكنا في آخر الأربع : أسرجوا لي حماري ، أتى رسول الله ﷺ فكلمه ابن أخيه سهل بن سعد ، فقال : أتذهب لترده على رسول الله ﷺ ، فرسول الله ﷺ أعلم ، أو ليس حسبك أن تكون رابع أربع ؟ فرجع وقال : الله ورسوله أعلم ، وأمر بحماره فحلق عنه . ورواه مسلم أيضاً ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وفي آخره : قالوا : ثم من يارسول الله ؟ قال : ثم في كل دور الأنصار خير ، فقام سعد بن عباد منضياً ، فقال : أنحن آخر الأربع حين سمي رسول الله ﷺ دارم ؟ فأراد كلام رسول الله ﷺ ، فقال له رجال من قومه : اجلس ، ألا ترى أن سمي رسول الله ﷺ دارم في الأربع الدور التي سمي ، فمن ترك فلم يسم أكثر ممن سمي ، فانتفى سعد بن عباد عن كلام رسول الله ﷺ .

تنبه : تأملت حكمة تنصيب النبي ﷺ على هذه الدور الأربع ، من بين سائر دور الأنصار رضي الله عنهم ، فرأيت ذلك لكونها رأس دور الأنصار وعينها ، وهي منها بمنزلة السمع والبصر ، ولا يخفى أن الأنصار من حيث هم قبيلتان : الأوس والخزرج ، فذكر ﷺ من كل قبيلة منها بطنين ، وبدأ من بني الخزرج بيني التجار لخواتمهم له ﷺ ، فانهم أخوال عبد المطلب ؛ فلهم مزية من هذه الحثية ، ولما فيهم من عطاء الصحابة . ولما بدأ بيني التجار بدأ (١) بيني عبد الأشهل ، وبينني الحارث بن الخزرج من الأوس ، ثم ختم بيني ساعدة من الخزرج ، فحصل التعادل بين القبيلتين من جهة التنصيب ، ومن جهة التقديم والتأخير ، كما لا يخفى على تحرير . ولما كان التنصيب على جميع دور الأنصار مما يسر ، وربما حصل لبعض من يتأخر في الذكر نوع انكسار

(١) في الاصل : بين .



قلب؛ ذكر عليه السلام كلمة جامعة مرضية لكل ، فقال عليه السلام : « وفي كل دور الانصار خير ، فما بقيت دار إلا وقد شملها قوله عليه السلام ، ودخلت تحت عموم لفظه ؛ فللكل دار من دور الانصار من الخير نصيب وافر ، وحظ كبير ، فأرضى الجميع ، وهو الطبيب الناصح ، والخبر الصادق ، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، ورضي الله عن الانصار وأبنائهم وأزواجهم وحلفائهم ، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين ، والله أعلم .

### الحدث الثامن والستون

١١٣ -- ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : يقدم عليكم أقوام هم أرق منكم قلوباً . قال : فقدم الأشعريون ، فيهم أبو موسى الأشعري ، فلما دنوا من المدينة كانوا يرتجزون يقولون : غداً نلقى الأجابة محمداً وحزبه .

قال رضي الله عنه : ( ثنا ) محمد ( بن أبي عدي ، عن حميد ) الطويل ( عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( قال : قال رسول الله ﷺ : يقدم ) - بفتح التحية وسكون القاف وضم الدال المهملة والميم - ( عليكم ) مشر الصحابة وافد ( أقوام ) جمع قوم ، وهم الجماعة من الرجال .

قال في « النهاية » : القوم : مصدر قام فوصف به ، ثم غلب على الرجال دون النساء ، وسموا بذلك ؛ لأنهم قوامون على النساء بالأمور التي ليس للنساء أن يقمن بها .

وفي « القاموس » : القوم : الجماعه من الرجال والنساء معاً ، أو الرجال خاصة ، أو يدخله النساء على التسمية . ( م ) أي أولئك الاقوام ( أرق منكم قلوباً ) نصباً على التمييز ، أي قلوبهم أرق من قلوبكم .

قال في « المطالع » : الرقة : اللين ، والمراد هنا ضد القسوة والشدة التي وصف بها غيرهم . وقال بعضهم : الرقة : صفاء القلب ، وإدراكه من المعرفة ما لا يدركه من ليس قلبه كذلك ، وأن ذلك موجب لقبولهم وسرعة إجابتهم . وقيل : إنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما وصفهم برقة القلب ، إشارة الى الشفقة على الخلق ، والعطف والرحمة ، والمراد أن قلوبهم رقيقة صافية تدرك المعاني والمعارف ، وهي مع ذلك صلبة قوية ؛ فهي كالزجاجه تدرك الحقائق بصفائها ، وتدفع الشبهات بصلابتها ؛ ولهذا ضرب الله جل ثناؤه لنوره في قلب عبده المؤمن ومحله وحامله ومادته مثلاً بالمشكاة ، وهي الكوة في الخائط ؛ فهي مثل للصدر . وفي تلك المشكاة زجاجه من أصفى الزجاج ، حتى شبهت بالكوكب الدرّي في بياضه وصفائه ، وهي مثل القلب .

وإنما شبه القلب بالزجاجه ؛ لأنها جمعت أوصافاً هي في قلب المؤمن ، وهي : الصفاء ، والرقة ، والصلابة ؛ فيرى الحق والهدى بصفائه ، ويحصل منه الرأفة والرحمة والشفقة برقته ، ومجاهد أعداء الله ويغلظ عليهم ، ويشد في الحق ، ويصلب فيه بصلابته ؛ فلا تبطل صفة منه صفة أخرى ، ولا تعاديها ، بل تساعد وتعاوضها . « أشداء على الكفار رحماء بينهم » <sup>(١)</sup> وقال تعالى : « فبارحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » <sup>(٢)</sup>

«١» سورة الفتح ، الآية : ٢٩

«٢» سورة آل عمران الآية : ١٥٩

وفي أثر: القلوب آنية الله في أرضه فأحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها .  
وبازاء هذا القلب قلبان مذمومان في طرفي تقيض :

أحدهما : قلب حجري قاس لا رحمة فيه ، ولا إحسان ولا لين ، ولا له  
صفاء يرى به الحق ، بل جبار جاهل ، لا علم بالحق ، ولا رحمة للخلق .

والثاني : قلب ضيف مائي ؛ لا قوة فيه ولا استمسك ، بل يقبل كل صورة ،  
وليس له قوة حفظ تلك الصور ، ولا قوة التأثير في غيره ، وكل ماخالطه أثر  
فيه ، من قوي وضعيف ، وطيب وخبيث .

والمقصود: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصف قلوبهم بالرفقة والصفاء ، أي مع الصلابة الدافعة  
لكل شبهة مضلة ، أو شهوة محرمة ، وبالله التوفيق .

( قال ) أنس بن مالك رضي الله عنه : ( تقدم ) علينا ( الأشعمرون )  
- بهمزة مفتوحة ، فشين معجمة ساكنة ، فعين مهملة مفتوحة ، فتحتية مشددة  
مرفوعة ، فواو ، فنون - هم قبيلة من قبائل اليمن ، منسوبون لأشعر ؛ لقب  
بذلك لأنه ولد وعليه شعر ( فيهم أبو موسى ) عبد الله بن قيس بن عامر ( الأشعمري )  
- بفتح الهززة ، وسكون الشين المعجمة ، وفتح العين المهمل - نسبة الى  
الأشعر ، واسمه نبت ، بفتح النون ، وسكون الباء الموحدة ، ثم مثناة فوقية -  
بن أدد - بضم الهززة ، بوزن عمر - بن زيد ، قدم مكة ؛ خالف سعيد بن العاص  
ابن أمية ، ثم أسلم بمكة ، وهاجر الى أرض الحبشة ، ثم قدم مع أهل السفينتين  
ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخيبر ، فأسهم لهم منها ، وكذلك أسلمت أم أبي موسى طيبة  
بنت وهب ، وتوفيت بالمدينة .

وفي « تجريد الذهبي » ، : قيل : إنها أمه . انتهى .

ويقال : إن أبا موسى الأشعمري أسلم بمكة قديماً ، ثم رجع الى بلاده ، ولم

يزل بها حتى قدم هو وناس من الأشعريين على رسول الله ﷺ ، فوافق قدومه  
قدوم أهل السفينتين - جعفر بن أبي طالب وأصحابه - من الحبشة .

قال الامام ابن الحافظ أبو بكر بن أبي داود صاحب السنن : كان لأبي  
موسى الأشعري رضي الله عنه مع حسن صوته بالقراءة فضيلة ليست لأحد من  
الصحابة ، هاجر ثلاث هجرات : هجرة من اليمن الى رسول الله ﷺ بمكة ،  
هجرة من مكة الى الحبشة ، وهجرة من الحبشة الى المدينة :

قال غيره : واستعمله النبي ﷺ على زيد وعدن وساحل اليمن ، وولاه  
عمر بن الخطاب البصرة حين عزل عنها المغيرة بن شعبة ؛ فافتتح أبو موسى  
الأهواز ، ولم يزل على البصرة الى صدر من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ،  
ثم عزل عنها فانتقل الى الكوفة وأقام بها ، فلما دفع أهل الكوفة سميد بن العاص  
عنهم ؛ ولواً أبا موسى الأشعري عليهم ، فأقره عثمان على الكوفة ، ولم يزل عليها  
إلى أن قتل عثمان ، ثم انقبض أبو موسى الى مكة بعد التحكيم وما كان منه ،  
فلم يزل بها الى أن مات سنة اثنين وخمسين ، كما رجحه ابن الأثير .

وقال النووي : سنة خمسين ، وله نيف وستون سنة . وقال ابن شعبة :  
وله ثلاث وستون سنة . وقيل : بل مات في الكوفة ، ودفن بالتربة التي على ميلين  
منها . روي له عن النبي ﷺ ؛ ثلاثمائة وستون حديثاً ، انفقا على خمسين ، وقال  
الحافظ ابن الجوزي : تسعة وأربعين ، وانفرد البخاري بأربعة ، ومسلم بخمسة  
عشر ، رضي الله تعالى عنه ( فلما دنوا ) يعني الأشعريين ( من المدينة ) النبوية على  
ساكنها الصلاة والسلام ( كانوا يرتجزون ) أي ينشدون أرجوزة من الشعر .  
والرجز - بالتحريك - ضرب من الشعر ، وزنه مستفعل : ست مرات ، سمي  
بذلك لتقارب أجزائه ، وقلة حروفه .

وزعم الخليل أنه ليس من الشمر، وإنما هو أنصاف أيبات، كما في « القاموس » .

وفي « المطالع » : ارتجز . قال الرجز ، وهو ضرب من الشمر القصير الفصول . وقد قيل : ليس من الشمر ، بل هو من السجع . وقاله الخليل . قال : وأما المنهوك منه والمشطور ؛ فليس بشمر ، وما عدا هذين النوعين فهو شمر .

( يقولون ) بني الأشعرين في ارتجازم (غداً نلقى الأجابة محمداً وحزبه) الحزب - بالكسر - الورد والطائفة والسلاح ، وجماعة الناس ، وهو المراد هنا . والأحزاب جمعه ، وجمع كانوا تألبوا وتظاهروا على حرب النبي ﷺ ، وجند الرجل وأصحابه الذين على رأيه كما هنا .

### الحديث التاسع والستون

١١٤ - ثنا يحيى ، عن حميد ويزيد قال : أنا حميد ، عن أنس قال : قال رسول ﷺ : يقدم عليكم أقوام أرق قلوباً منكم ، أرق منكم أفئدة ، فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى ، فحطوا لما دنوا من المدينة يرتجزون : غداً نلقى الأجابة محمداً وحزبه .

قال رضي الله عنه : ( ثنا يحيى ) بن سعيد القطان الامام الحافظ الثبت الحجة ، أبو سعيد البصري التيمي الأحول ، أحد الأئمة .

روى عن جعفر الصادق ، ومالك ، وخميد الطويل ، وهشام بن عمرو ،  
وعطاء بن السائب ، وحسين المعلم ، وخلق .

وعنه الامام أحمد ، وابن المديني ، وابن مهدي ، ومسدد ، وخلق .

قال الامام أحمد : لم يكن في زمانه مثله . وقال أبو زرعة : من الحفاظ الثقة  
وقال ابن منجويه : كان من سادات زمانه حفظاً وورعاً وفهماً وفضلاً وديناً  
وعلماً ، وهو الذي مهد لأهل العراق رسم الحديث ، وأمعن في البحث عن  
الثقاة ، وترك الضمفاء . مات رضي الله عنه ورحمه سنة ثمان وتسمين ومائة .  
قال يحيى بن سعيد : ( عن حميد ) الطويل ( و ) عن أبي خالد ( يزيد )  
بن هارون بن زاذان الواسطي السلمي ، أحد الأئمة .

روى عن شعبة ، والثوري ، ومالك ، والجهاديين ، وابن إسحاق ، وخلق .  
وعنه الامام أحمد ، ويحيى بن معين ، وإسحق بن راهوية ، وابن  
المديني ، وخلق .

قال الامام أحمد : كان حافظاً متقناً صحيح الحديث . وقال ابن المديني :  
مارأيت رجلاً قط أحفظ منه . وقال المجلي : ثقة ثبت متمعد ، حسن الصلاة  
جداً ، وكان قد عمي .

قال أبو نافع ، سبط يزيد بن هارون : كنت عند الامام أحمد بن حنبل  
وعنده رجلان ، فقال أحدهما : رأيت يزيد بن هارون في المنام ، فقلت : ما فعل  
الله بك ؟ قال : غفر لي وشفعني وعاتبني ، وقال : أتحدث عن حريز - بفتح  
الحاء المهملة وكسر الراء ، وبالزاي - بن عثمان ؟ قلت : يارب ما علمت إلا خيراً .  
قال : إنه كان يبغيض علياً . وقال الآخر : رأيت في المنام فقلت له : هل أتاك منكر  
ونكير ؟ قال : أي والله ، وسألاني : من ربك ، وما دينك ، ومن نبيك ؟ فقلت :

المثلي يقال هذا ، وأنا كنت أعلم الناس هذا في دار الدنيا ؟ فقالا : صدقت . توفي رحمه سنة ست ومائتين . روى له الجماعة .

( قال ) يزيد بن هارون ( أنا حميد ) الطويل ( عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( قال : قال رسول الله ﷺ : يقدم عليكم ) معشر المؤمنين من أصحابي ( أقوام ) جمع قوم ، وتقدم آفأ ( أرق قلوباً منكم ، أرق أفئدة ) جمع فؤاد .

قال في « النهاية » : الفؤاد : القلب . وقيل : وسطه . وقيل : الفؤاد : غشاء القلب ، والقلب : حبه وسويداؤه . انتهى .

وقال ابن الصلاح : المشهور أن الفؤاد هو القلب ، فكرره بلفظين ، ووصفه بوصفين ، يعني الرقة والضعف ، كما في حديث أبي هريرة عند الشيخين وغيرهما رفوعاً : « أنا كم أهل اليمن ، هم أضعف قلوباً ، وأرق أفئدة ، الفقه يمان ، والحكمة يمانية » . والمعنى أنها ذات خشية واستكانة ، سرية الاستجابة والتأثر بقوارع التكدير ، سالمة من الشدة والقسوة والغلظ ( فقدم الأشمريون فيهم أبو موسى ) عبد الله بن قيس رضي الله عنه وعنه أجمين ( فجمعوا لما دنوا ) أي قربوا ( من المدينة ) المنورة ( يرتجزون ) بقولهم : ( غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه ) ورواه ابن سعد والبيهقي .

وذكر الامام ابن القيم في كتابه « زاد الماد في هدي خير العباد » ﷺ - عن يزيد بن هارون ، عن ابن أبي ذئب ، عن الحارث بن عبد الرحمن ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فقال : « أنا كم أهل اليمن كأنهم السحاب ، هم خيار من في الأرض » . فقال رجل من الأنصار : إلا نحن يا رسول الله ؟ فسكت ثم قال : إلا نحن يا رسول الله ؟ فسكت ثم قال : إلا نحن يا رسول الله ؟ قال : « إلا أنتم » ، كلمة ضيقة . قال : ولما لقوا رسول الله ﷺ أسلموا

وبايموا . فقال رسول الله ﷺ : « الأشمريون في الناس كصرة فيها مسك » .  
وروى عبدالرزاق قال : أخبرنا معمر ، قال : بلغني أن رسول الله ﷺ كان  
جالساً مع أصحابه يوماً ، فقال : « اللهم أنج أصحاب السفينة » ثم مكث ساعة  
فقال : « قد استمدت ، فلما دنوا من المدينة قال : قد جاؤوا يقودهم رجل صالح .  
قال : والذين كانوا في السفينة الأشمريون ، والذي قادم عمرو بن الحق الخزاعي  
فقال رسول الله ﷺ : « من أين جئتم » ؟ قالوا : من زيد . قال : « بارك الله  
في زيد » قالوا : وفي زمع ؟ قال : « بارك الله في زيد » قالوا : وفي زمع ؟ قال في  
الثالثة : « وفي زمع » .

قال في « القاموس » : زيد كأمير : بلد باليمن .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال :  
قال رسول الله ﷺ : « إني لأعرف أصوات رفقاة الأشمريين بالقرآن حين  
يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أر  
منازلهم حين نزلوا بالنهار ، ومنهم حكيم ، إذا لقي الخيل - أو قال المدو - قال  
لهم : إن أصحابي بأمرؤنكم أن تنظروهم . وفيها عنه رضي الله عنه (١) ، أن رسول الله  
ﷺ قال : « إن الأشمريين إذا أرملوا في النزو ، وقل طعام عيالهم بالمدينة ،  
جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه في إناء واحد بالسويه ؛ فهم مني  
وأنا منهم » .

وأخرج الترمذي ، وقال غريب ، من حديث أبي عامر الأشعري  
رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « نعم الحي الأسود ، والأشمريون  
لا يفرون في القتال ولا يفلون ، هم مني وأنا منهم » . قال عامر ابنه : فحدثت بذلك  
معاوية فقال : ليس كذا قال رسول الله ﷺ ، قال : « هم مني وإلي ، فقلت :  
ليس هكذا حدثني أبي ، ولكنه حدثني قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :  
« هم مني وأنا منهم » فقال : أنت أعلم بحديث أبيك ، والله الموفق .

(١) أي في « الصحيحين » عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .



## الحديث السبعون

١١٥ - ثنا ابن أبي عدي ، ويزيد بن هارون ، قالا :  
أنا حميد ، عن أنس ، أن رسول الله ﷺ كان عند بعض نسائه .  
قال : أظنها عائشة ، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين مع خادم لها  
بقصعة فيها طعام . قال : فضربت الأخرى بيد الخادم ، فكسرت  
القصعة بنصفين ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : غارت أمكم .  
قال : وأخذ الكسرتين ، فضم إحداها الى الأخرى ، فجعل  
فيها الطعام ، ثم قال : كلوا ، فأكلوا ، وجلس الرسول والقصعة حتى  
فرغوا ، فدفع الى الرسول قصعة أخرى ، وترك المكسورة مكانها .  
قال رضي الله عنه : ( ثنا ) محمد ( بن أبي عدي ، ويزيد بن هارون ، قالا :  
أنا حميد ) الطويل ( عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( أن رسول الله ﷺ  
كان عند بعض نسائه . قال ) يعني أنس بن مالك رضي الله عنه : ( أظنها ) أي  
الكائنة عندها ( عائشة ) الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها ( فأرسلت إحدى  
أمهات المؤمنين ) .

قال الحافظ ابن حجر : هي زينب بنت جحش رضي الله عنها  
وقد صرح بعض رواة « الصحيحين » بسماع حميد للحديث من أنس ،  
ويشأن أن التي كان في بيتها ، عائشة رضي الله عنها ( مع خادم لها ) أي لزینب  
المرسلة . وقيل : إن المرسلة أم سلمة . وقيل : صفية . وقيل : حفصة . ولم أر من  
سمى الخادم ( بقصعة ) متعلق بأرسلت . والقصعة - بفتح القاف وسكون

الصاد وفتح العين المهملتين - : الصحيفة ، والجمع قصصات - بفتح الصاد المهملة -  
وكنب وجبال . والقصيمة - كجبهينة - تصغيرها ( فيها ) أي في تلك القصمة  
المرسلة ( طعام ) .

وفي « المحلى » لابن حزم : أنه كان جفنة من حيس .

وفي « الطبراني » من حديث أنس رضي الله عنه : صحفة خبز ولحم من  
بيت أم سلمة ، ولفظه : عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنهم كانوا يوماً عند  
رسول الله ﷺ في بيت عائشة زوج النبي ﷺ ، فبينما نحن عند رسول الله  
ﷺ إذ أتني بصحفة خبز ولحم من بيت أم سلمة ، فوضت بين يدي النبي ﷺ  
قال : ضموا أيديكم ، فوضع نبي الله ﷺ يده ، ووضعنا أيدينا فأكلنا . قال :  
وعائشة تصنع طعاماً عجلة ، قد رأت الصحيفة التي أتني بها . فلما فرغت من  
طعامها جاءت به فوضته ، ورفعت صحفة أم سلمة فكسرتها .

( قال ) أنس رضي الله عنه : ( فضربت ) المرأة ( الأخرى ) يعني عائشة  
رضي الله عنها ( بيد الخادم ) الذي جاءنا بالقصمة من عند بعض أزواجه ﷺ  
( فكسرت القصمة ) التي في يد الخادم ( بنصفين ) فهذا ظاهر في أن كسرها  
للقصمة قبل الأكل منها ؛ ولهذا قال : ( فجعل رسول ﷺ ) .. الحديث ،  
بخلاف ما في الطبراني ، فإنه صريح بأن الكسر كان بعد أكل القوم . ويمكن الجمع  
بأن القصمة بقي فيها طعام ، فدفعها للخادم فكسرتها من يد الخادم بعد أكل القوم ،  
ثم جمع الطعام الذي كان فيها ، فوضه في شقفتها ، فأمرهم بأكله أو بأكل ما جاءت به  
عائشة رضي الله عنها تطيباً لقلوبها ، وحينئذ جعل ﷺ ( يقول : غارت  
أمكم ) الخطاب لمن حضر ، والمراد بالأم هي التي كسرت الصحيفة ، وهي من  
أمهات المؤمنين ، وتقدم أنها عائشة رضي الله عنها .

وأغرب الداودي فقال : المراد بقوله : أمكم ، سارة . وكان معنى الكلام

عنده: لا تتمجبوا بما وقع من هذه الغيرة؛ فقد غارت قبل ذلك أمكم ، حتى أخرج إبراهيم ولده إسماعيل وهو طفل مع أمه الى وادي غير ذي زرع .

قال في « الفتح » : وهذا وإن كان له بمض توجيه ، لكن المراد خلافه ، وإن المراد كاسرة الصحيفة ، وعلى هذا حملة جميع من شرح هذا الحديث ، وقالوا : فيه إشارة الى عدم مؤاخذه الغيري بما يصدر منها ، لأنها في تلك الحالة يكون عقلها محجوباً بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة .

وقد أخرج أبو يعلى بسند لا بأس به ، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً :  
« إن الغيري لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه » ، قاله في قصة .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : « إن الله كتب الغيرة على النساء ، فمن صبر منهن كان لها أجر شهيد » . أخرجه البزار وأشار الى صحته ، رجاله ثقات ، لكن اختلف في عبيد بن الصباح منهم . وفي إطلاق الداودي على سارة أنها أم الخطابين نظر ، فانهم إن كانوا من بني إسماعيل ، فأهم هاجر ، لاسارة . ويبدو أن يكونوا من بني اسرائيل حتى يصح أن أهم سارة . انتهى .

قوله **وَاللَّهُ** : « غارت أمكم » من الغيرة بفتح الغين المعجمة وسكون التحتية بمدها راء — قال القاضي عياض وغيره : مشتقة من تغير القلب وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص ، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين ، هذا في حق الآدمي ، وأما في حق الله تعالى ؛ فقال الخطابي : أحسن ما يفسر به ما فسر به في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو قوله : « وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه » .

وقال القاضي عياض : ويحتمل أن تكون الغيرة في حق الله الإشارة الى تفسير حال فاعل ذلك . وقيل : الغيرة في الاصل : الحمية والانفة ، وهو تفسير

بلازم التفسير ؛ فرجع الى الغضب. وقد نسب سبحانه وتعالى الى نفسه في كتابه  
الغضب والرضى .

وقال ابن الاعرابي : التغير محال على الله بالدلالة القطعية ؛ فيجب تأويله  
بلازمه ، كالوعيد ، أو إيقاع العقوبة بالفاعل ، ونحو ذلك . انتهى .

ومذهب السلف : الايمان بما أخبر على الوجه الذي يليق به تعالى ، لا كما  
يخطر في عقول البشر من التشبيه والتمثيل . ومن غيرته تعالى : اختصاصه توما  
بمصمته . وأشد الآدميين غيرة رسول الله ﷺ ؛ لانه كان يفار الله ولدينه ،  
ولهذا كان لا ينتقم لنفسه .

وأصل غيرة النساء غير مكتسب لهن ، لكن إذا أفرطت المرأة في ذلك  
بقدر زائد تلام عليه . وضابط ذلك ، ما ورد في حديث جابر بن عتيك الأنصاري  
رفعه : « إن من الغيرة ما يجب الله ، ومنها ما يفيض الله ؛ فاما الغيرة التي يجب  
الله ؛ فالغيرة في الريبة ، وأما الغيرة التي يفيض الله ؛ فالغيرة في غير ريبة . وهذا  
التفصيل يتمحض في أحوال الرجال ؛ لضرورة امتناع اجتماع زوجين للمرأة  
بطريق الحل . وأما المرأة ؛ فحيث غارت من زوجها في ارتكاب محرم ، إما بالزنا  
مثلاً ، وإما بنقص حقها ، وجوره عليها أضرارها ، وإيثارها عليها ، فإذا تحققت  
ذلك ، أو ظهرت القرائن فيه ؛ فهي غيرة مشروعة . فلو وقع ذلك بمجرد الوهم  
عن غير دليل ؛ فهي الغيرة في غير ريبة . وأما إذا كان الزوج مقسطاً عادلاً ،  
وأدى لكل من الضرتين حقها ؛ فالغيرة منها إن كانت لما في الطباع البشرية التي  
لم يسلم منها أحد من النساء ؛ فتمذر فيها ، مالم تتجاوز إلى ما يحرم عليها من قول أو  
فعل ، وعلى هذا يحمل ما جاء عن السلف الصالح من النساء في ذلك ، كما  
في « الفتح » .

وقال الامام ابن القيم في كتابه : « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » : ملاك

الفيرة وأعلاها ، ثلاثة أنواع : غيره المبدل به أن تنتك محارمه وتضيع حدوده ،  
وغيره على قلبه أن يسكن إلى غيره وأن يأنس بسواه ، وغيره على حرمة (١) أن  
يتطلع إليها غيره . وما عداها إما من خدع الشيطان ، وإما بلوى من الله ، كفيرة  
المرأة على زوجها أن يتزوج عليها .

( قال ) أنس رضي الله عنه : ( وأخذ ) رسول الله ﷺ ( الكسرتين )  
من القصعة المكسورة ( فضم إحداها ) أي إحدى الكسرتين ( إلى ) الكسرة  
( الأخرى ) منها ( فجعل فيها ) أي في القصعة بمد أن ضم كسرتها ( الطعام )  
لأنه لم يتنجس بمسه الأرض ، إما لطهارة الأرض ، وإما لحفاف الطعام والأرض .  
( ثم قال ) ﷺ للقوم : ( كلوا ) إما من الطعام الذي جعله في كسرتي  
القصعة الهداة ، وهو الظاهر ، أو من الطعام الذي صنفته عائشة رضي الله عنها  
( فأكلوا ) من ذلك الطعام حاجتهم ( وحبس ) النبي ﷺ ( الرسول ) الذي  
هو الخادم الذي جاء بالقصعة التي كسرتها عائشة رضي الله عنها ( و ) حبس ، يعني  
أمسك عنده وأبقى ( القصعة ) التي كسرتها عائشة رضي الله عنها ، ولم يزل  
حابس الخادم والقصعة ( حتى فرغوا ) من الأكل ( فدفع ) ﷺ ( إلى الرسول )  
قصعة أخرى ( صحيحة من بيت عائشة مكان القصعة التي كسرتها إقامة للمدل ،  
أيردها الرسول إلى ربها ) وترك ( ﷺ القصعة ( المكسورة مكانها ) في بيت  
عائشة رضي الله عنها .

فإن قلت : هذا منه ﷺ تضمين للمتقوم بمثله .

فالجواب : إن هذا وهم ، لأن القصعتين ملكه ﷺ ، وإنما لكل واحدة  
من زوجتيه الاختصاص بالانتفاع بكل واحدة منها ، فلما كسرت عائشة القصعة  
التي نفعا مخصص بزيب ، أو غيرها من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ؛ أرسل  
لها القصعة التي نفعا مخصص بعائشة ؛ لكونها أبطلت اختصاص الأخرى بتلك

(١) أي على امرأته .

القصة ؛ فلا حجة لمن تعلق بذلك ، كما لا يخفى على ذي فهم .  
 وفي الحديث دليل على أخذ الطعام الساقط على الأرض حيث لم ينجس .  
 وفي مسلم من حديث جابر رضي الله عنه : « إذا سقطت لقمة أحدكم ؛  
 فليط ما أصابها من أذى ، وليأكلها » . وفي بعض ألفاظه : « إذا وقعت لقمة  
 أحدكم ؛ فليط ما كان بها من أذى ، ولا يدعها للشيطان » والله أعلم .

### الحديث الحادي والسبعون

١١٦ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال :  
 اشتكى ابنُ لَإبي طلحة ، فخرج أبو طلحة إلى المسجد ، فتوفي  
 الغلام ، فهيات أم سليم الميت وقالت لأهلها : لا يخبرنَّ أحدٌ  
 منكم أبا طلحة بوفاة ابنه ، فرجع إلى أهله ومعه ناس من أهل  
 المسجد من أصحابه . قال : ما فعل الغلام ؟ قالت : خير ما كان ،  
 فقربت إليهم عشاءهم فتمشوا ، وخرج القوم وقامت المرأة إلى  
 ما تقوم إليه المرأة ، فلما كان آخر الليل قالت : يا أبا طلحة !  
 ألم ترَ إلى آل فلان ، استماروا عارية ، فتمتعوا بها ، فلما طلبت ،  
 كأنهم كرهوا ذلك . قال : ما أنصفوا . قالت : فان ابنك قد  
 كان عارية من الله ، وإن الله تبارك وتعالى قبضه ، فاسترجع

وحمد الله ، فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ ، فلما رآه قال :  
 بارك الله لكما في ليلتكما ، فحملت بعبد الله ، فولدته ليلاً ،  
 وكرهت أن تحنكه حتى يحنكه رسول الله ﷺ . قال :  
 فحملته غدوة ومعى تمرات ، فوجدته يهناً أباعر له ، أو يسمها .  
 فقلت : يا رسول الله ! إن أم سليم ولدت الليلة ، فكرهت  
 أن تحنكه حتى يحنكه رسول الله . فقال : أمك شبيء ؟  
 قلت : تمرات عجوة ، فأخذ بعضهن فمضهن ، ثم جمع بزاقه  
 فأوجره إياه ، فجعل يتلمّظ . فقال : حب الأنصار التمر .  
 قال : قلت : سمّه يا رسول الله ! قال : هو عبد الله . قال عبد الله :  
 ثنا بندار ، قال : ثنا ابن أبي عدي بيمض هذا الحديث . قال :  
 فأنتبه وعليه بردة .

قال رضي الله عنه ( ثنا ) محمد ( بن أبي عدي ، عن حميد ) الطويل ( عن  
 أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( قال : اشتكى ابن لابي طلحة ) زيد بن سهل  
 رضي الله عنه ، وهو أخو أنس لأمه ، وهو أبو عمير بالتصغير ، الذي كان يداعبه  
 النبي ﷺ . وفي رواية لحميد عند الامام أحمد : وكان لها ، أي أم سليم ، ابن  
 من ابي طلحة يكنى أبا عمير . وفي رواية عبارة بن زاذان ، عن ثابت عند ابن سعد :  
 أن أبا طلحة كان له ابن . قال : أحسبه فطياً ، أي انتهى إرضاعه .

قال في «الفتح»: ولم أر عند من ذكر أبا عمير في الصحابة، له غير قصة  
النفير، يعني قول النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أبا عمير ما فعل النفير» بنون  
وغين معجمة، مصغراً لـ «نفير» كان يلعب به، وهو طير صغير، واحده  
نُفْرَة، وجمعه نِفْران. قال الخطابي: طوير له صوت. ونظر فيه في «الفتح»،  
بأنه ورد في بعض طرقه بأنه الصمو - بمهملتين - بوزن المفو، كما في رواية  
ربيعي. فقالت أم سلمة رضي الله عنها: ماتت سموتة التي كان يلعب بها. فقال،  
أي أبا عمير! مات النفير؟ فدل على أنها شبيهة واحده. والصمو لا يوصف  
بحسن الصوت.

قال الشاعر:

كالصمو يرتع في الرياض وإنما حبس المترار<sup>(١)</sup> لأنه يترثم  
وقال عياض: النفير: طائر يشبه المصفر، وهي فرائخ المصافير، وقيل:  
نوع من الحمير - بضم المهملة وتشديد الميم ثم را - قال: والراجح أن النفير  
طائر أحمر المنقار.

قال في «الفتح»: ولا ذكروا له، أي لأبي عمير اسماً، بل جزم بمض  
الشراح بأن اسمه كنيته. لكن قد يؤخذ من قول أنس في رواية ربيع بن  
عبد الله: يكنى أبا عمير؛ أن له اسماً غير كنيته.

وذكر الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه «آداب النساء»، أن اسمه  
حفص؛ فقد ذكر في الباب العاشر بعد المائة في آخر الكتاب المذكور في ترجمة  
أم سليم رضي الله عنها، عن أنس رضي الله عنه؛ أن أبا طلحة رضي الله عنه  
زوج أم سليم رضي الله عنها؛ كان له ابن منها يقال له: حفص، غلام قد ترعرع،  
فأصبح أبو طلحة وهو صائم في بعض شغله، فذكر القصة بنحو قصة ما في هذا

(١) الهزار: طائر حسن التفريد.



الحديث . وسأذكرها إن شاء الله بعد ، فعمل أن اسم أبي عمير حفص ، وهو وارد على من صنف في «المهمات» .

وقوله : اشتكى ابن لأبي طلحة ، أي مرض .

قال في «القاموس» : الشكو والشكوى والشكاة : المرض ، والشاكي : من عرض له أقل مرض وأهونه ، وهذا يمرض ما أخرجه ابن الجوزي في «آداب النساء» من طريق محمد بن عمرو ، وهو أبو سهل البصري - وفيه مقال - عن حفص بن عبيد الله ، عن أنس رضي الله عنه ، أن أبا طلحة كان له ابن منها يقال له : حفص ، غلام قد ترعرع ، فأصبح أبو طلحة وهو صائم في بعض شغله ، فأقبلت أم سليم على ذات بيتها ، فخرج الغلام يلعب مع الصبيان ، فلما جاء الغلام النداء اضطجع على فراش فترمل قطيفة لهم ، فلما صنعت أم سليم غداء بيتها ؛ جلست تصرخ تناديه فلا يستجيب لها ، فلما غلبها شأنه كشفت عن وجهه فوجدته قد قبض في منامه ، فزملته كهيئته ، وأقبلت على ذات بيتها ، حتى إذا أمست جاء زوجها أبو طلحة ... الحديث .

وهذا يخالف لما في «المسند» و «الصحيحين» وغيرها ، ويمكن الجمع بأنه قد كان شاكياً ، وحصل له الشفاء وترعرع من مرضه . يقال : ترعرع الصبي : تحرك ومشى ، ثم إنه خرج ليلعب مع الصبيان ، ثم عاد فاضطجع على الفراش وتغطى بالقطيفة ؛ فمات في نومته تلك .

قال أنس رضي الله عنه : ( فخرج أبو طلحة الى المسجد ) النبوي ( فتوفي الغلام ) أي حفص المكنى بأبي عمير ( فبيات أم سليم ) - بضم السين المهملة وفتح اللام - سهلة بنت ملحان رضي الله عنها ( الميت ) أي أصلحته ، بأن سجنه وغطته ( وقالت لا أهلها ) ممن اطلع على الحال : ( لا يجنون ) نهي مؤكدة بنون التأكيد الثقيلة ( أحد منكم أبا طلحة بوفاة ) أي موت ( ابنة ) حتى أكون

أنا التي (١) أخبره بذلك ، ففعلوا ( فرجع ) أبو طلحة رضي الله عنه من المسجد ( إلى أهله وومه ناس من أهل المسجد من أصحابه . قال ) أبو طلحة لأم سليم : ( ما فعل الغلام ) يعني ابنه أبا عمير ( قالت : خير ما كان ) وفي رواية : إنها قالت له : هداً تقسه ، وأرجو أنه يكون قد استراح ، وهذا منها من المماريض .

وفي « الأدب المفرد » للبخاري ، من طريق قتادة عن مطرف بن عبد الله قال : صحبت عمران بن حصين من الكوفة إلى البصرة ، فما أتى عليه يوم إلا أنشدنا فيه شعراً ، وقال : إن في معاريض الكلام مندوحة عن الكذب . وأخرجه الطبري في « التهذيب » والطبراني في « الكبير » ، ورجاله ثقات . وأخرجه ابن عدي من وجه آخر عن قتادة مرفوعاً ، ووهاه . وأخرجه أبو بكر ابن كامل في « فوائده » ، والبيهقي في « الشعب » من طريقه كذلك . وأخرجه ابن عدي أيضاً من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً بسندٍ واهٍ أيضاً .

وأخرج البخاري في « الأدب المفرد » من طريق عثمان النهدي ، عن عمر رضي الله عنه أنه قال : أما في المماريض ما يكفي المسلم عن الكذب ؟ والمماريض والمعارض ، باثبات الياء ، ومخذفها : جمع معراض ، من التمريض بالقول .

قال الجوهري : هو خلاف التصريح ، وهو التورية بالشبهي عن الشبهي . وقال الراغب : التمريض كلام له وجهان في صدقه وكذبه ، أو باطن وظاهر .

وفي « الفتح » : الأولى : كلام له وجهان : يطلق أحدهما ، والمراد لازمه ؛ ففهم أبو طلحة من ذلك أن الصبي المريض تماضي ؛ لأن قولها : هداً - مهموزاً - بوزن سكن ومعناه . والنفس - بفتح الفاء - شعر باليوم ، والليل إذا نام ؛

(١) في الاصل : الذي

أشعر بزوال مرضه أو خفته ؛ وأرادت هي أنه قد انقطع بالكلية بالموت ، وكذا قولها : وأرجو أنه قد استراح ؛ فهم منه أنه استراح بالنوم وبالعافية ، ومرادها أنه استراح من نكد الدنيا ، وألم المرض ؛ فهي صادقة باعتبار مرادها ، وخبرها بذلك غير مطابق للأمر الذي فهمه أبو طلحة ؛ فمن سمَّ قال الراوي: وظن أنها صادقة ، أي باعتبار ما فهم هو ( فقربت ) أم سليم ( لإيهم ) أي إلى أبي طلحة ومن معه من أصحابه ( عشاءم ) الذي <sup>(١)</sup> كانت صنعتهم لهم ( فتمشوا ) أي وذلك بعد ما غربت الشمس ؛ لأن أبا طلحة كان صائماً .

( وخرج القوم ) إلى المسجد ( وقامت المرأة ) التي هي أم سليم رضي الله عنها ( إلى ما ) أي الأمر الذي ( تقوم إليه المرأة ) من التهيؤ إلى زوجها والتصنع له ، فلما كان بعد العشاء دنا منها وأصاب منها ما يصيب الرجل من امرأته ( فلما كان آخر الليل قالت ) أم سليم : ( يا أبا طلحة ) إنما نادته بيا المفيدة لنداء البعيد مع كونه مضاجعاً لها ، تنزيلاً له منزلة البعيد ، وإشارة إلى بعد مضمون القصة ، ولتنبيه لما تلقيه ( ألم تر إلى آل فلان ) آل الرجل : أهله ، والصواب جواز إضافته إلى الضمير ، خلافاً لمن أنكروه ، وفلان وفلانة كناية عن الذكر والأنثى من الناس ، فإن كُنيت بها عن غير الناس . قلت : الفلان والفلانة ، قاله في النهاية .

وفي « القاموس » : فلان وفلانة . مضمومتين كناية عن أسماءنا <sup>(٢)</sup> وبأل عن غيرنا . وقد يقال : للواحد : يا فلان ، وللاثنتين يا فلان <sup>(٣)</sup> والجمع : يا فلون . وفي المؤنث : يا فلانة ويا فلانة ( استماروا عاربة ) من غيرهم ( فتمتموا بها )

(١) في الاصل : التي .

(٢) في الاصل : أسماءهن ؛ والتصحيح من « القاموس »

(٣) ما بين الواحد والجمع لم يكن في الاصل ، والتصحيح من « القاموس »

أي تلك الغارية مذة ، واتفقوا بها زماناً ( فلما طلبت ) - بضم الطاء المهملة  
وكسر اللام مبيناً للمجهول - أي لما طلب أهل الغارية ؛ الغارية ( كأنهم ) أي  
الذين استعاروها ( كرهوا ذلك ) أي طلب أهلها لها ، وما يادروا بدفعها لالكها  
لكونهم ألقوها ؛ فشق عليهم انتزاعها منهم .

( قال ) أبو طلحة رضي الله عنه مجيباً لأم سليم رضي الله عنها عما سأته  
عنه من أمر الغارية ، وتبرم المستعيرين لها من رجوعها لأهلها ( ما أنصفوا ) في  
ذلك ، لأن الواجب عليهم المبادرة لرد الغارية لأهلها ؛ حيث طلبوها ، ولا يحسن  
التعاس عن ذلك ولا التبرم والمماطلة فيما هناك .

( قالت ) أم سليم لأبي طلحة رضي الله عنها : ( فا ) ذا أقيمت بذلك فاعلم أن  
ابنك قد كان غارية من الله ( عز وجل ) وإن الله تبارك وتعالى قبضه ( بعد أن  
تمت به رهة من الزمان ؛ فاسترجع واحمد الله تعالى ) فاسترجع أبو طلحة  
رضي الله عنه ، أي قال : « إنا لله وإنا إليه راجعون »<sup>(١)</sup> فلا استرجاع : استفعال ،  
وهو قول المصاب : « إنا لله وإنا إليه راجعون »<sup>(١)</sup> . وقد جعل الله جل ثناؤه  
هذه الكلمات ملجأً وملاذاً لقوي المصائب ، وعصمة للمتحنين من الشيطان ، أملاً  
يتسلط على المصاب فيوسوس له بالأفكار الرديئة ، فبهيج ماسكن ، ويظهر ما كمن ،  
فاذا لجأ الى هذه الكلمات الجامعات لمعاني الخير والبركة ، أمن من ذلك ، ونجا من  
المهالك ، فإن قوله : « إنا لله »<sup>(١)</sup> توحيد وإقرار بالبودية والملك .

وقوله : « وإنا إليه راجعون »<sup>(١)</sup> إقرار بأن الله يهلكنا ثم يبعثنا ، فهو  
إيمان بالبعث بعد الموت ، وهو إيمان أيضاً بأن له الحكم في الأولى ، وله المرجع في  
الأخرى ، فهو من اليقين أن الأمر كله لله ؛ فلا ملجأ منه إلا إليه .

وروى مسلم في « صحيحه » من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت :

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٥٦

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله : « إنا لله وإنا إليه راجعون » (١) اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيراً منها ، إلا أجره الله في مصيبيته ، وأخلف له خيراً منها ، . وقد يجعل للسبد بكلمات الاسترجاع منزلة عالية وثواباً جزيلاً ( وحمد الله ) تعالى أبو طلحة . وفي رواية أن أم سليم تصنمت له حتى واقمها ، ثم قالت : يا أبا طلحة ، رأيت قوماً أودعوا قوماً وديمة ، ثم طلبوها منهم ، أفما يجب أن يؤديوها إليهم ؟ قال : بلى . قالت : فاحتسب ابنك ، ففضب لما صنمت به ، وإنما حمد الله تعالى ، أبو طلحة ؛ امتثالا لما في حديث أبي موسى ، وفيه : « فيقول الله تعالى للائكتة : ماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع . فيقول الله تبارك وتعالى : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد ، . رواه الترمذي ، وحسنه ، وابن حبان في « صحيحه » .

والحاصل أن على العبد أن يتحقق أن نفسه وأهله وماله وولده ملك لله عز وجل حقيقة ، وقد جعله الله عند العبد عارية ، فإذا أخذه منه ؛ فهو كالمير يأخذ عاريتنه من المستعير .

وأيضاً فليعلم أنه محفوف بدمعين : عدم قبله ، وعدم بعده ، وملك العبد له متعة ممارسة في زمن يسير ، إذ العبد لم يوجد ذلك الولد مثلاً ، ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده ، ولا يبقى عليه وجوده ، فليس له تأثير ولا ملك حقيقي ، بل هو عارية مستردة .

وفي رواية : قال أنس : فلما أصبح أبو طلحة اغتسل ، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات .

( فلما أصبح ، غدا ) أبو طلحة رضي الله عنه ( على رسول الله ﷺ ) ( فصلي معه ، ثم أخبره بما كان منها ) ( فلما رآه ) النبي ﷺ ( وقص عليه خبر أم سليم . قال ) ( ﷺ ) : ( بارك الله لكما ) أي لآبي طلحة وأم سليم ( في ليلتكما ) .

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٥٦

وفي رواية في « صحيح البخارى » : فقال رسول الله ﷺ : « لعل الله يبارك لها في ليلتها ، وكأنه دعا لها أولاً ، ثم ترجى ﷺ أن تكون الدعوة قد استجيت لها ، وفي رواية : فلما كان الصباح ذهب الى رسول الله ﷺ يشكوها إليه ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال : « بارك الله لكما في غابر ليلتكما ، ( فحملت ) أم سليم رضي الله عنها من تلك الليلة ( ب ) ابنها ( عبدالله ) بن أبي طلحة ( فولدته ليلاً ، وكرهت ) أم سليم ( أن تحنكه ) هي أو أحد من قومها ( حتى يحنكه رسول الله ﷺ ) بتشديد النون وتخفيفها ، كما حكاها الهروي ، ومعنى التحنيك : أن يوضع تمره ويحمله في في الصبي ويحك بها حنكه بسبابته حتى تعطل في حلقه . والحنك أعلى داخل الفم .

قال أنس رضي الله عنه : ( فحملته ) أي المولود ( غدوة ) - بضم الغين المعجمة وسكون الدال المهملة وفتح الواو - أي بكرة ، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس ، كالغداة والتدية ، والجمع : غدوات وغديات ( ومعني تمرات ) جمع تمره ( فوجدته ) ﷺ ( يهنأ ) بتثنية النون أي يطلي ( بأعراه ) ﷺ جمع بعر - بفتح الباء الموحدة ، وقد تكسر - الجمل البازل ، أو الجذع . وقد يكون للأثني ، ويجمع أيضاً على أبرة وأباعر ، وبعران - بضم الباء وكسرها - بالهناء ، ككتاب : القطران ، كما في « القاموس » .

وقال في « النهاية » : هنأت البعر أهنوؤه - إذا طليته - بالهناء ، وهو : القطران .

ومنه حديث ابن عباس رضي الله عنها في مال اليتيم : إن كنت تهنأ جرباها ، أي تماالج جرب إبله بالقطران .

( أو ) قال أنس رضي الله عنه : ( بسمها ) أي الأباعر ، أي يطم عليها بالكي . يقال : وسمه بسمه وسماً وسمه ، إذا أثر فيه يكي . والميسم الحديدية التي يكوى

ها، وأصله موسم ، فقلبت الواو ياءً لكسرة الميم . قال أنس رضي الله عنه ( فقلت :  
إرسول الله : إن أم سليم ) يعني والدته ( ولدت الليلة ، فكرهت أن تحنكه حتى  
بحنكه رسول الله ) ﷺ ، التفت من الخطاب الى الفيبة ؛ تعظيماً له صلى الله  
عليه وسلم واحتراماً .

( فقال ) عليه الصلاة والسلام لأنس رضي الله عنه : ( أملك شيئاً ) من  
التمر لتحنكه به .

( قلت ) : معي ( تمرات عجوة ) وهو نوع من تمر المدينة ، أكبر من  
الصيحاني ، يضرب الى السواد .

قال في « النهاية » : هو من غرس النبي ﷺ . انتهى . ( فأخذ ) ﷺ  
( بمضن ) أي التمرات ( فمضن ) أي لا كهن .

يقال : مضنه كمنه : لا كه بسنه ، والمضاعة بالضم : مامضغ ، والمضفة بالضم :  
قطعة لحم وغيره ( ثم ) بمد مضفه صلى الله عليه وسلم التمرات ( جمع بزاقه ) أي ريقه  
الشريف ( فأوجره إياه ) أي جرعه مامضفه من التمرات المختلطات بريقه .

والوَجور : الدواء يوجر في الفم ويضم . وتوجر الدواء بلمه ، والماء شربه  
كارهاً ( فجعل ) الصبي ( يتلظ ) أي يدير لسانه في فيه ويحركه ، يتسع أثر التمر ،  
واسم ما يبقى في الفم من أثر الطعام لماظلة ( فقال ) رسول الله ﷺ ( حب ) أي  
محبوب ( الأنصار التمر ) لكثرة عندم واعتيادهم لأكله وإدمانهم على الاقتيات  
به والتفكه برطبه وبسره ، فهم من أشره الناس بأكله والخبرة به ومعاطاته ،  
فلهم مزيد الاعتناء به ومزية النسبة اليه .

( قال ) أنس رضي الله عنه : ( قلت : سمه ) بفتح السين المهملة وتشديد  
الميم : ( يا رسول الله ! قال : هو ) أي اسمه ( عبدالله ) وهو عبدالله بن أبي طلحة .

قال أنس : سمه النبي ﷺ ردعاه . قال : وما كان في الأنصار ناشئاً .

أفضل منه ، وهو أخو أنس لأمه ، ولد لعبدالله هذا عشر بنين كلهم قرأ القرآن وروى عنه . منهم إسحاق ، وعبدالله ، وعمر . وأشهر بنيه أبو يحيى إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة الأنصاري المدني من ثقات المدنيين ، تابعي مشهور ، وإخوته عبدالله ويعقوب وإسماعيل وعمر ، وغيرهم ، وأشهرهم إسحاق ، وهو أكبرهم ، وهم الأخوة المشهورون بالقراء ، والأول الذي مات هو أبو عمير الذي كان رسول الله ﷺ يداعبه ويقول له : يا أبا عمير ما فعل النغير ، أي ما فعل عصفورك ؟

ففي هذا الحديث : ما ظهر من أم سليم رضي الله عنها من الصبر العظيم مما أبهر العقول ، وتحملت به النقول ، وصارت منقبة لها إلى آخر الدهر ، مع ما أخلف الله لها خيراً من الذي أصيبت به ، فاذا نظر من أصيب بمصيبة إلى امرأة قد فطنت عند مصيبتها امرأة لا يكون إلا عند السرور والأفراح ؛ فقلبه أن يتأسى بها ويخبر أو صاف السابقين الأولين ، ويعلم أن الرجال أولى بهذا الصنيع والصبر من النساء .

وقد روى الامام مالك رضي الله عنه في «الموطأ» عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد قال : هلكت امرأة لي ، فأتاني محمد بن كعب القرظي يمزيني بها ، فقال : إنه كان في بني إسرائيل رجل فقيه عالم عابد مجتهد ، وكانت له امرأة ، وكان بها معجباً ، ولها محباً ، فماتت ، فوجد عليها جداً شديداً ، وتأسف عليها أسفاً شديداً ، حتى خلى في بيت ، وعلق على نفسه ، واحتجب عن الناس ؛ فلم يكن يدخل عليه أحد ، وإن امرأة سمعت به ، فجاءته فقالت : إن لي إليه حاجة أستفتيه فيها ، أيس مجزئي إلا سألته ، فذهب الناس ولزمت بابه . وقالت : ما لي منه بد ، فقال له قائل : إننا هنا امرأة أرادت أن تستفتيك . قال : ائذنوا لها ، فدخلت ، فقالت : إني استمرت من جارة لي حليماً ، فكأن أبسه وأعيروه زماناً ، ثم إنهم أرسلوا إلي فيه ، فأؤديه إليهم ؟ فقال : نعم والآله . قالت : إنه مكث عدي زماناً . قال : فذاك أحق لردك إياه إليهم حين أعاروكيه



زماناً . فقال : فقالت : أي يرحمك الله ، أفتأسف على ما أعارك الله ، ثم أخذه منك ، وهو أحق به منك ؟ فأبصر ما كان فيه ونعمه الله بقولها ، والله تعالى الموفق .

( قال ) الامام بن الامام أبو عبد الرحمن ( عبد الله ) بن الامام أحمد رضي الله عنهما ( ثنا بندار ) هو محمد بن بشار بن عثمان البغدادي أبو بكر البصري الحافظ ، ذكره الحافظ الذهبي ، ثم ابن برداس الحنبلي ، ثم الحلال السيوطي في « طبقات الحافظ » .

روى عن مهدي ، وأبي عاصم ، وابن عون ، ويحيى القطان ، وعفان وغيرهم . وعنه الأئمة الستة ، وإبراهيم الحربي ، وابن خزيمة ، وأبو حاتم ، وأبو زرعة ، وخلق .

قال أبو داود : وكتبت عن بندار نحواً من خمسين ألف حديث ، وكتبت عن أبي موسى شيئاً ، وهو أثبت من بندار . وقال المجلي : إنه ثقة كثير الحديث ، مات في رجب سنة ثنتين وخمسين ومائتين ، وله خمس وعمانون سنة رحمه الله .

( قال : ثنا ) محمد ( ابن أبي عدي ) شيخ الامام أحمد في هذا الحديث ( يعض هذا الحديث ) الذي تقدم ( قال ) فيه ، يعني أنس بن مالك رضي الله عنه ( فأنته ) أي النبي ﷺ ( وعليه بردة ) أي ، والحال أن على رسول الله ﷺ بردة ، والمرد من ذكر هذه الطريق مزيد التأكيد . وتمام الحفظ . والحديث صحيح ، رواه البخاري في « صحيحه » وغيره ، والله تعالى الموفق .

## الحديث الثاني والسبعون

١١٧ - ثنا سهل بن يوسف ، يعني المسمي ، عن حميد  
وزيد بن هارون قال : أنا حميد ، عن أنس قال : قدم رسول  
الله ﷺ المدينة ، ولأهل المدينة يومان يلعبون فيها ، فقال :  
قدمت عليكم ولكم يومان تلعبون فيها ، وإن الله قد أبدلكم  
يومين خيراً منها : يوم الفطر ، ويوم النحر .

قال رضي الله عنه : ( ثنا سهل بن يوسف ، يعني المسمي عن حميد )  
الطويل ( و ) حدثنا ( زيد ابن هارون ) بن زاذان الواسطي السلمي أبو خالد  
أحد الأئمة .

روى عن شعبة ، والثوري ، ومالك ، والحمادين ، وابن إسحاق ، وخلق .  
وروى عنه الامام أحمد ، ويحيى ، وإسحاق ، وابن المديني ، وخلق .  
قال الامام أحمد : كان حافظاً متقناً صحيح الحديث ، وتقدمت ترجمته في  
الثامن والستين من حديث أنس رضي الله عنه .

( قال ) أبو خالد زيد بن هارون ( أنا حميد ) الطويل ( عن أنس ) ابن  
مالك رضي الله عنه ( قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ) النبوية مهاجراً إليها  
من مكة ( ولأهل المدينة يومان يلعبون فيها ) جملة : ولأهل المدينة من المبتدأ  
والخبر والصفة ؛ حالية ( فقال ) لهم رسول الله ﷺ : أي ( قدمت عليكم )  
مهاجراً ( ولكم ) يا مشرك الأنصار ( يومان ) وهما النيروز والمهرجان ( تلعبون )

وتلهون (فيها) وتظهرون فيها الفرح والسرور مع أنها عيدان للكفار (وإن الله) جل شأنه (قد أبدلكم) معشر المسلمين (يومين خيراً منها) لأن ذنوبك من إحداهما الكفار والملوك الماضين<sup>(١)</sup>، وهما يعني اليومين اللذين أبدلكم الله بمشروعيتها (يوم) عيد (الفطر) من صوم رمضان (ويوم) عيد (النحر) عند انقضاء النسك؛ فهما عيدان مشروعان للذكر والعبادة، وإظهار الفرح والسرور؛ لأن كل واحد منها على إر ركن من أركان الإسلام، وقد تقدم الكلام على شرح هذا الحديث مستوفى في الثامن والأربعين من «مسند أنس» بن مالك رضي الله عنه.

### الحديث الثالث والسبعون

١١٨ - ثنا سهل ، قال : أنا حميد ، عن أنس ، أن رجلاً اطلع على النبي ﷺ من خلل ؛ فسدد له النبي ﷺ بمشقص ، فأخرج الرجل رأسه .

قال رضي الله عنه : (١٠٤ سهل) بن يوسف المسمي (قال : أنا حميد) الطويل (عن أنس) ، مالك رضي الله عنه (أن رجلاً) قيل : هو الحكم ابن أبي العاص بن أمية ، والد مروان . وقيل : سمد ، غير منسوب ، وجزم بالأول ابن البلقيني في «مبهاته» .

(اطلع) بتشديد الطاء المهملة (على النبي ﷺ) وهو في بعض حجر نسائه (من خلل) أي من فرجة ، وفي لفظ : من حجر - بضم الجيم وسكون الحاء المهملة - وهو ثقب مستدير في أرض أو حائط ، وأصلها مكان الوحش

(٢) في الاصل : الماضية .

وفي لفظ آخر : من حجر - بضم الحاء المهملة وفتح الجيم - جمع حجرة ، وهي ناحية من البيت . ووقع في رواية الكشميني للبخاري : حجرة بالافراد (فسدد) بفتح السين وتشديد الدال وفتحها المهملتين ، أي قوم ، و صوب ( له ) أي للرجل المطلع من خلل البيت ( النبي ﷺ ) أي عمد اليه مسدداً بأزاء عينه ( بمشقس ) وفي لفظ : مشاقص ، والمشقص بكسر الميم والشين المعجمة الساكنة ، وفتح القاف فصاد مهملة هو فصل السهم اذا كان طويلاً غير عريض ، كذا في « الفتح » .

وفي « القاموس » : المشقص كبير فصل عريض ، أو سهم فيه ذلك ، والنصل الطويل ، أو سهم فيه ذلك يرمى به الوحش . يريد ﷺ أن يطمئن الرجل به ، وهو غافل ( فأخرج الرجل رأسه ) من الخلل الذي كان يتطلع منه على رسول الله ﷺ . وفي رواية من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه في « الصحيحين » وغيرهما ، أن رجلاً اطلع من حجر في دار النبي ﷺ ، والنبي ﷺ يحك رأسه باليدري (١) فقال ، أي النبي ﷺ : « لو علمت أنك تنظر اطعنت بها في عينك ، إنما جعل الاذن من قبل الابصار . وفي لفظ : من قبل البصر . وفي آخر : إنما جعل الاذن من أجل النظر .

وفي « الصحيحين » عن أنس رضي الله عنه ، أن رجلاً اطلع من بعض حجر النبي ﷺ ، فقام اليه بمشقص له ، فكأنه أنظر الى رسول الله ﷺ فحمله ليطعنه - بفتح الياء المثناة تحت وسكون الخاء المعجمة وكسر المثناة الفوقية - كما في « الفتح » ، والمدرى في حديث سهل - هو بكسر الميم وسكون الدال المهملة عود تدخله المرأة في رأسها ليضم بعض شعرها إلى بعض ، وهو يشبه

(١) قال في « القاموس » : حك رأسه بالمدري ، وهو المشط والقرن ، كالمدراة ،

والمدرية . جمه : مدار ومدارى .

المسلثة . يقال : مدرت المرأة : إذا سرحت شعرها . وقيل : مشط له أسنان يسيرة . وقال الأصمعي ، وأبو عبيد : هو المشط . وقال الجوهري : أصل المدرى ، هو القرن . وقيل : هو عود أو جديدة كانخلال لها رأس محدد . وقيل : هو خشبة على شكل شبي . من أسنان المشط ، ولها ساعد ، جرت عادة الكبير أن يحك بها مالا تصل إليه يده من جسده .

وقد روي لهذا سبب آخر ، فأخرج أبو داود ، والطبراني ، من حديث سمع بن عباد رضي الله عنه ، جاء رجل فقام على باب النبي ﷺ يستأذن مستقبل الباب ، فقال له : « هكذا عنك ، فأما الاستئذان من أجل النظر » .

وأخرج أبو داود ، أيضاً بسند قوي ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : كان الناس ليس لبيوتهم ستور ، فأمرهم الله بالاستئذان ، ثم جاء الله بالخير ؛ فلم أر أحداً يميل بذلك .

قال ابن عبد البر : أظنهم اكتفوا بقرع الباب .

وأخرج أيضاً ، من حديث عبد الله بن بسر : كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ، ولكن من ركنه الأيمن ، أو الأيسر ، وذلك أن الدور لم يكن عليها ستور .

وفي « الآداب الكبرى » للإمام ابن مفلح : صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قيل له : كيف ترى في هذه الآية التي أمرنا فيها بما أمرنا ، ولا يعمل بها أحد ؟ « ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ... إلى عليم حكيم » (١) قال : إن الله حكيم ، رحيم بالمؤمنين ، يحب السر ، وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ، ولا حجال ، فربما دخل الخادم ، أو الولد ، أو بتيمة الرجل ، والرجل على

(١) سورة النور ، الآية : ٥٨

أهله ، فأمرهم الله بالاستئذان في تلك الموراث ، فجاءهم الله بالسور والخير ، فلم أر أحداً يعمل بذلك بعد الحجال ، جمع حجلة بالتحريك بيت كالثقة يستر الثياب ، وله أزرار كبار .

قال الحافظ ابن الجوزي : أكثر المفسرين على أن هذه الآية محكمة ، وأنه أصح من قول من قال : هي منسوخة بقوله : « وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا ، <sup>(١)</sup> لأن البالغ يستأذن في كل وقت ، والطفل والمملوك يستأذنان ، <sup>(٢)</sup> في الموراث الثلاث . وذكر ابن الجوزي أيضاً : أن البيوت الخالية ، هل دخلت في آية الاستئذان ، ثم نسخ بقوله : « ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة » <sup>(٣)</sup> أم لم تدخل ، لأن الأذن لا يتصور من غير إذن ، فإذا بطل الاستئذان ؛ لم تكن البيوت الخالية داخلة في الأولى ؛ على قولين ، والثاني أصح .

وقال ابن الجوزي أيضاً : لا يجوز أن تدخل بيت غيرك إلا بالاستئذان ؛ لهذه الآية ، يعني قوله : « لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ، <sup>(٤)</sup> ومعنى تستأنسوا : تستأذنوا . وفي الآية تقديم وتأخير .

### تفسيهان

الأول : ظاهر هذا الحديث أن من اطلع في بيت غيره من خلل الباب ، أو من حجر ، أو ثقب ؛ فلبس الدار أن يفتق عينه ، وتذهب هدرأ ، وهو مخصوص بمن تعمد النظر ، لا إذا وقع ذلك من رجل عن غير قصد ؛ لما في « صحيح

(١) سورة النور ، الآية : ٥٩ (٢) في الاصل . . يستأذن ، وهو خطأ

(٣) سورة النور ، الآية : ٢٩ (٤) سورة النور ، الآية : ٢٧

مسلم: « أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن نظر الفجأة ، فقال : « اصرف بصرك »  
وقال لملي رضي الله عنه : « لا تتبع النظرة النظرة ، فان لك الأولى ، وليست  
لك الثانية .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ  
قال : « من اطلع في بيت قوم بغير إذنه ؛ فقد حل لهم أن يفتقروا عينه .  
وفيها عنه أيضاً : أن رسول الله ﷺ قال : « لو أن رجلاً اطلع عليك  
بغير إذن فحذفته بحصاة فقأت عينه ؛ ما كان عليك من جناح .

قال العلامة ابن مفلح في « الفروع » : « ومن نظر في بيته من خصاص باب (١)  
ولو لم يتعمد ، لكن ظنه متمداً ، وفي رواية صححها ابن حبان والبيهقي : فلا قود  
ولا دية .

قال في « الترغيب » : « أو صادف عورة من محارمه ، وأصر . وفي « المغني »  
في هذه الصورة : « ولو خلت من نساء ، فحذف عينه ، ونحو ذلك فتلفت ؛ فهدر  
ولا تبعة . وقال ابن حامد : يدفعه بالأسهل ؛ فينذره أولاً ، كمن استرق السمع لم  
يقصد إذنه بلا إنذار ، قاله في « الترغيب » .

وفي « الاقناع » وغيره من كتب فقه مذهبنا : أن من نظر من خصاص الباب  
أو من ثقب في جدار ، أو من كوة ونحوه ، لا من باب مفتوح ، فرماه صاحب  
الدار بحصاة أو نحوها ، أو طعنه بمود فقلع عينه ، فلا شيء عليه ، ولو أمكن  
الدفع بدونه ، وسواء كان في الدار نساء ، أو كان الناظر محرماً ، أو نظر من  
الطريق ، أو من ملكه ، أولاً ، فان ترك الاطلاع ومضى لم يجز رمية ، فان رماه  
فقال المطلع : ما تعمدته ، أو لم أر شيئاً حين اطلعت ؛ لم يضمه ، وليس لصاحب  
الدار رمية بما يقتله ابتداءً ، فان لم يندفع برمية بالشيء اليسير ، جاز رمية بأكثر  
منه ، حتى يأتي ذلك على نفسه . ولو تسمع الأعمى أو البصير على من في البيت ؛ لم  
(١) أي من خرق باب .

يجز طمن أذنه ، ومذهب الشافعي في هدر عين من اطلع من نحو ثقب ؛ كذهبتنا ،  
لكن إن كان ، ثم له محرم غير مجردة ، أو حليله ؛ فلا . وعند أبي حنيفة : لا يهدر .  
وعن مالك روايتان : الضمان والاهدار .

الثاني : الاستئذان : طلب الاذن في الدخول لمحل لا يملكه المستأذن .

وقد أخرج أبو داود ، وابن أبي شيبة بسند جيد ، عن ربهيع بن خراش ،  
حدثني رجل أنه استأذن على النبي ﷺ وهو في بيته ، فقال : أألج ؟ فقال لخادمه :  
أخرج الى هذا فعلمه . فقال : قل : السلام عليكم ، أدخل ؟ ... الحديث ، وصححه  
الدارقطني .

وأخرج ابن أبي شيبة ، من طريق زيد بن أسلم قال : بمشني أبي الى ابن  
عمر رضي الله عنها ، فقلت : أألج ؟ فقال : لا تقل كذا ، ولكن قل : السلام  
عليكم ، فاذا رد عليك . فادخل .

ومن طريق ابن ربيعة : استأذن رجل على رجل من الصحابة ، ثلاث مرات  
يقول : أدخل ؟ وهو ينظر اليه لا يأذن له . فقال : السلام عليكم ، أدخل .  
قال : نعم ، ثم قال : لو أمت الى الليل ، ولم تقل ذلك ، ما أذنت لك .

قال ابن مفلح في « الآداب الكبرى » : وصفة الاستئذان : سلام عليكم .  
زاد في « الرعاية الكبرى » ، والشيخ عبد القادر : أدخل ؟ هو الذي ذكره ابن  
الجوزي عن المفسرين للحديث المتقدم آنفاً . ورواه الامام أحمد ، وفيه : اخرج  
الى هذا فعلمه الاستئذان . فقال له : قل : السلام عليكم ، أدخل ؟ فسمعه ، فقال :  
السلام عليكم ، أدخل ، فأذن النبي صلى الله عليه وسلم ، فدخل . فقد ظهر من  
هذا ؛ تقديم السلام على الاستئذان .

وذكر في « شرح مسلم » : أن استحباب الجمع بينها صرح به القرآن ، وقد  
قال الامام أحمد : الاستئذان : السلام ، وذكر حديث عبد الله بن بسر الذي  
تقدم ، وأن النبي ﷺ قال : السلام عليكم ، والسلام عليكم ، والله أعلم .



## الحديث الرابع والسبعون

١١٩ - حدثنا سهل ، عن حميد ، عن أنس ، أن النبي ﷺ شجَّ يوم أحد وكسرت رباعيته ؛ فجعل يمسح الدم عن وجهه ، ويقول : كيف يفاح قوم خضبوا وجهه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم !؟ فزلت : ليس لك ... الآية<sup>(١)</sup> .

قال رضي الله عنه . ( حدثنا سهل ) بن يوسف ( عن حميد ) الطويل ( عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( أن النبي ﷺ شجَّ ) أي جرح ( يوم ) وقفة ( احد ) وكانت في شوال سنة ثلاث باتفاق الجمهور .

والشجة : الجراحة في الرأس ، أو الوجه خاصة . وكانت تلك الشجة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في جيبته ، كما مر في الحديث ( وكسرت ) - بضم الكاف وكسر السين المهمله مبيناً للمجهول - ( رباعيته ) - بتخفيف الراء - وزن ثمانية ، وهي السن التي تلي الناب من الأسنان .

قال في «المطالع» : الرباعية من الأسنان : هي السن التي بين الثنيثة والناب ، وهي أربعة ، محيطات بالثنايا : اثنتان من فوق ، واثنتان من أسفل ، والذي كسر رباعية رسول الله ﷺ هو عتبة بن أبي وقاص ؛ فانه رماه بأربعة أحجار ، فكسر حجر منها رباعيته اليمنى السفلى ، وجرح شفته السفلى . والذي شجَّ وجه الشريف ، عبد الله بن قميثة - بفتح القاف ، وكسر الميم ، وبمدها همزة - فدخلت حلقتان من حلق المفتر في وجنته ﷺ ، كما تقدم شرح ذلك

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٨

في الحديث السابع عشر من حديث أنس؛ فإنه أخرجه هناك، عن هشيم، عن حميد، عن أنس. ولما شجّه ابن قنّة سال الدم على وجهه الشريف (فجعل) ﷺ (بمسح الدم عن وجهه) الشريف (ويقول: كيف يفلح قوم) من الفلاح، وهو الفوز بالبقاء، والخلود في النعيم المقيم. ويقال لكل صائب خيراً: مفلح (خضبوا) أي صبغوا (وجه نبيهم) بدمه. وأصل الخضب في الشعر: الصبغ. يقال: خضبه وخضبه، بالتخفيف والتشديد (وهو يدعوهم إلى) طاعة (ربهم) ودينه القويم، وصراطه المستقيم، ويخلصهم من طاعة الشيطان، وعبادة الأوثان (فنزلت) هذه الآية (ليس لك الآية) أي تمامها، وهي: «ليس لك من الأمر شيء» أو يتوب عليهم أو يمدبهم فانهم ظالمون، (١).

وفي «المسند» و«صحيح مسلم» و«سنن الترمذي»: «فأنزل الله عز وجل: «ليس لك من الأمر شيء» أو يتوب عليهم، (١) الآية. وقد استوفينا الكلام على هذا المقام فيما تقدم.

### الحديث الخامس والسبعون

١٢٠ - ثنا يحيى، عن حميد، عن أنس أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «أعوذُ بك من الكسل والبخل، وعذاب القبر».

قال رضي الله عنه: (ثنا يحيى) بن سعيد القطان (عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ كان يقول) في دعائه:

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨

(أعوذ) أي اللهم إني أعوذ (بك) يا الله ، أي أستعيذ ، وأستجير ، وألجأ ؛ فالماذ والملاجأ واحد . يقال : عاذ به يعوذ عياداً وإعواداً

قال ابن القيم في « بدائع الفوائد » : لفظ عاذ وما تصرف منه يدل على التحرز والتحصن والاتجاء . قال : و حقيقة معنى الاستمادة : الهروب من شئ . تخافه الى من بمصمك منه ، ولهذا يسمى المستماد به مماذاً ، كما يسمى ملجأً وحرزاً . وفي الحديث : أن ابنة الجون لما دخلت على النبي ﷺ ، فوضع يده عليها . قالت : أعوذ بالله منك . فقال : لقد عذت بماذا ، الحقى بأهلك . فمضى أعوذ : التجأ وأعتصم وأحمز ( من الكسل ) . بفتح الكاف والسين المهملة - التثاقل عن فعل الخير والفتور فيه . يقال : كسل ، كفرح ؛ فهو كسل وكسلان ، إذا ترك الشئ وترأخى عنه . وإن كان يستطيمه . ومن هنا فارق المعجز - بسكون الجيم ، وأصله التأخر عن الشئ - مأخوذ من المعجز ، وهو مؤخر الشئ ، وللزوم الضعف والقصور عن الاتيان بالشئ . استعمل في مقابلة القدرة ، واشتهر فيها . فقيل : المعجز : هو عدم القدرة على الخير . وقيل : ترك ما يجب فعله والتشويق اليه . وقيل : هو ضد الاقدار . فقيل : هو ما لا يستطيعه الانسان .

قال التوربشتي : الكسل : التثاقل عما لا ينبغي التثاقل عنه ، ويكون ذلك لعدم انبعاث النفس للخير مع ظهور الاستطاعة . ويقال : هو ضد النشاط . وقال الجلال السيوطي : هو عدم انبعاث النفس للخير ، وقلة الرغبة فيه مع إمكانه . انتهى .

ومن ثم قال ﷺ في الحديث الصحيح ، من حديث أنس ، كما في « المسند » و « الصحيحين » ، وغيرها : « اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والمعجز والكسل » . فقرن بينها ؛ لأن التواني عن فعل الخير ، إما أن يكون

لعدم الاستطاعة ؛ فهو المعجز ، أو مع الاستطاعة ؛ فهو الكسل ، والهـم لخوف شر متوقع ، والحزن لقوات محبوب ، أو حصول مكروه في الماضي . فإن كان المكروه حاصلًا في الحالة الراهنة ؛ فهو النـم ( والبخل ) .

وفي « الصحيحين » و « المسند » وغيرها ، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً : والجبن — وهو بضم الجيم وسكون الواو ، وقد تضم — ضد الشجاعة . وقال بعضهم : هو الخور عن تماطي الحرب ونحوها ، خوفاً على المهجة . قال في « النهاية » : الخور : من خار يخور ، إذا ضعفت قوته وذهبت ، وأما البخل : فمنع المروف .

قال في « المصباح » : بخلٌ بَخْلًا و بَخْلًا ، من بابي تمب وقرب ، والاسم البخل ؛ فهو بخیل ، والجمع بخلاء . ورجل بخل : أي ذو بخل ، والبخل في الشرع : منع الواجب . وعند العرب : منع السائل بما يفضل عنه . وقيل : هو ضد الكرم ، وتقدم الكلام عليه في شرح الحديث السادس عشر من « مسند جابر بن عبد الله » رضي الله عنها .

( و ) أعوذ بك من ( عذاب القبر ) العذاب اسم للمقوبة ، والمصدر التعذيب ؛ فهو مضاف للفاعل على سبيل المجاز ، أو الازدواج لرفية ، من إضافة المظروف الى ظرفه ؛ فهو على تقدير في ، أي أعوذ بك من عذاب في القبر ، وفيه إثبات عذاب القبر ، والإيمان به واجب .

قال العلماء : عذاب القبر ، المراد به عذاب البرزخ ، وإنما أضيف الى القبر لأنه الثابت ، وإلا فكل ميت أراد الله تعذيبه ، يناله من العذاب ما أراد الله به ؛ قبر أم لم يقبر ، سواء صلب ، أو غرق في البحر ، أو أكلته السباع ، أو حرق فصار رماداً وذرّي في الهواء . ومحل العذاب : الروح والبدن باتفاق أهل السنة ، وكذا القول في النعم .

قال الامام ابن القيم : عذاب القبر قسمان : دائم وهو عذاب الكفار وبعض العصاة ، ومنقطع وهو عذاب من خفت جرائمهم من العصاة ، فانه يمدد بحسب جرائمه ، ثم يرفع عنه . وقد يرفع عنه بدعاء أو صدقة ، أو نحو ذلك . وقال الياقيني في « روض الراحين » : بلغنا أن الموتى لا يمدون ليلة الجمعة ، تشريفاً لهذا الوقت . قال : ويحتمل اختصاص ذلك بعصاة المسلمين دون الكفار ، وعمم النسفي في بحر الكلام ، فقال : إن الكافر يرفع عنه العذاب يوم الجمعة وليلتها ، ثم لا يعود اليه الى يوم القيامة ، وإن مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة يكون له العذاب ساعة واحدة ، وضمنة القبر كذلك ، ثم ينقطع عنه العذاب ، ولا يعود اليه الى يوم القيامة ، كذا قال . وفي زعمه ذلك في الكفار بسد ، وبدل على أن عصاة المسلمين لا يمدون سوى جمعة واحدة أو دونها ، وأنهم إذا وصلوا إلى يوم الجمعة انقطع عنهم العذاب ثم لا يعود ، وهذا عجيب يقتدر الى دليل ثابت ، وأنى به .

وقال الامام ابن القيم في « البدائع » : نقلت من خط القاضي أبي يعلى في « تاليفه » : لا بد من انقطاع عذاب القبر ، لأنه من عذاب الدنيا ، والدنيا وما فيها منقطع ؛ فلا بد أن يلحقه الفناء . قلت : ولفظه في « البدائع » : ومن خطه ، يعني القاضي أبا يعلى من « تاليفه » : عذاب القبر حق ، وقد قيل : ولا بد من انقطاعه ؛ لانه من عذاب الدنيا ، والدنيا وما فيها فان منقطع ؛ فلا بد أن يلحقهم في وقت خروجهم من قبورهم يوم البعث ، ثم يكسوا الله المؤمن حلل الجنان ، ويحمل على الكافر والعصاة سراويل القطران .

قال بعض العلماء : ولا يعرف مقدار مدة الانقطاع . ويؤيد هذا ما أخرجه هناد بن السري في الزهد ، عن مجاهد قال : للكفار هجمة يجردون فيها طم النوم حتى تقوم القيامة ، فإذا صحب بأهل القبور ، يقول الكافر : « ياويلنا من

بمئنا من مرقدنا، (١) فيقول المؤمن من جنبه : « هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ، (١) .

### تنبيهان

الأول : ذكر الامام ابن القيم في كتابه « الروح الكبرى » : أن اسباب عذاب القبر : الجهل بالله ، وإضاعة أمره ، وارتكاب معاصيه ؛ فلا يعذب الله روحاً عرفته وأحبته ، وامتلئت أمره ، واجتنبت نهيه ، ولا بدناً كانت فيه أبداً ، فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة ، أثر غضب الله وسخطه على عبده ، فمن أعضب الله وأسخطه في هذه الدارين لم يتب ، ومات على ذلك ، كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه ؛ فمستقل ومستكثر ، ومصدق ومكذب . قال : وتفصيل ذلك أن النبي ﷺ أخبر عن الرجلين الذين رأهما يعذبان في قبورهما ، بأن أحدهما كان يمشي بالنميمة بين الناس ، وكان الآخر لا يستبرئ من البول ، فهذا ترك الطهارة الواجبة وذلك ارتكب السبب الموقع للمداوة بين الناس بلسانه وإن كان صادقاً ، وفي هذا تنبيه على أن الموقع بينهم المداوة بالكذب والزور والبهتان أعظم عذاباً ، كما أن في ترك الاستبراء من البول تنبيهاً على أن من ترك الصلاة التي الاستبراء من البول بعض شروطها ؛ فهو أشد عذاباً . وفي حديث شعبة : أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس ؛ فهذا مقتاب ، وذلك تمام ؛ فعذاب القبر من معاصي القلب ، والمين ، والأذن ، والنم ، واللسان ، والبطن ، والفرج ، واليد ، والرجل ، والبدن كله ؛ فالكذاب ، والنمام ، والمقتاب ، وشاهد الزور ، وقاذف المحسن ، ومثير الفتنة ، والداعي إلى المبدع ، والقائل على رسول الله ﷺ ما لا علم له به ، والمجازف في كلامه ، وآكل الربوا وموكله وشاهداه وكتبه ، وآكل أموال اليتامى ، وآكل

(١) سورة يس ، الآية : ٥٢ .

السحت من الرشوة والبرطيل ونحوهما ، وآكل مال أخيه المسلم بغير حق ، وكذا مال المعاهد ، وشارب المسكر ، وآكل لقمة الشجرة المملونة ، والزاني ، واللوطي والسارق ، والخائن ، والقادر ، والخادع ، والمأكر ، والمحلل والمحلل له ، والمحتال على إسقاط فرائض الله وارتكاب محارمه ، ومؤذي المسلمين ، ومتبع عوراتهم ، والحاكم بغير ما أنزل الله ، والمفتي بخلاف ما شرعه الله ، والمعين على الاثم والعدوان وقاتل النفس التي حرم الله ، والمحدث في حرم الله ، والمطل لحقائق أسماء الله وصفاته ، والمحدث فيها ، والمقدم رأيه وذوقه وسياسته على سنة رسول الله ، والناتجة والمستمع إليها ، والمنون الغناء الذي حرمه الله ورسوله ، والجبارون ، والمتكبرون ، والمراؤون ، والهمأزون ، والمأزون ، والطاعنون على السلف ، والذين يأتون الكهنة والمنجمين والمرافين يسألونهم ويصدقونهم ، وأعدوان الظلمة الذين قد باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم ، والذي إذا خوفته الله وذكّرت به لم يرع ولم يزجر ، فاذا خوفته بمخلوق مثله خاف وارعوى وكف عما هو فيه ، والذي يهدى بكلام الله ورسوله فلا يهتدي ، ولا يرفع به رأساً ، فاذا بلغه عمن يحسن به الظن ممن يصيب ويخطئ عض عليه بالنواجذ ، وذكر من نحو هذا أضراباً كمن يؤخر الصلاة عن وقتها وينقرها ولا يذكر الله فيها إلا قليلاً ، والذي لا يؤذي زكاة ماله طيبة بها نفسه ، ولا يحج مع قدرته ، ونحو ذلك .

**الثاني :** الاسباب المنجية من عذاب القبر بحسب تلك الاسباب التي تقتضي عذاب القبر ، ومن أنفسها : أن يجلس عندما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه ، ثم يجد له توبة نصوحاً بينه وبين الله تعالى ، فينام على تلك التوبة ، ويعزم على أن لا يماود الذنب إذا استيقظ ، ويفعل هذا كل ليلة ، فإن مات من أيلته مات على توبة ، وإن استيقظ استيقظ مستقبلاً للعمل مسروراً بتأخير أجله حتى يستقبل من ذنبه ، ويستدرك ما فات ، وليس للعبد أنفع من

هذه التوبة ، ولا سيما إذا عقب ذلك بذكر الله ، واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله ﷺ عند النوم حتى يخلبه النوم ؛ فمن أراد الله به خيراً أوقفه لذلك ، ولا قوة إلا بالله .

ومن الأسباب المنجية من عذاب القبر : الرباط ، ففي « مسلم » ، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى<sup>(١)</sup> عليه عمله الذي كان يعمله ، وأجرى عليه رزقه ، وأمن الفتان » .

وفي « جامع الترمذي » ، من حديث فضالة رضي الله عنه مرفوعاً : « كل ميت يحتم على عمله ، إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله ، فإنه ينمى له<sup>(٢)</sup> عمله إلى يوم القيامة ، ويأمن من فتنة القبر . قال الترمذي : حسن صحيح .

ومنها : الشهادة ؛ لما في « سنن النسائي » : أن رجلاً قال : يا رسول الله ! ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد ؛ قال : « كفى ببارقة السيوف فتنة » . وروى ابن ماجه ، والترمذي وقال : حسن صحيح ، من حديث المقداد ابن معدى كرب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له في أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقاربه .

ومنها : قراءة سورة تبارك الملك ، ففي « سنن الترمذي » ، وقال : حسن غريب ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : ضرب رجل من أصحاب

(١) في الاصل : أجرى ، والتصحيح من « صحيح مسلم » . والمراد بالفتان : فتان القبر .

(٢) في الاصل : يجري عليه ، والتصحيح من « سنن الترمذي » .



رسول الله ﷺ خباه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر ، فاذا قبر إنسان بقرا سورة الملك حتى ختمها ، فأتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر ، فاذا قبر إنسان بقرا سورة الملك حتى ختمها قال رسول الله ﷺ : « هي المانمة ، هي المنجية تنجيه من عذاب القبر » .

وفي « مسند عبد بن حميد » عن إبراهيم بن الحكم عن أبيه ، عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لرجل : ألا أمحفك بحديث تفرح به ؟ قال الرجل : بئى . قال : اقرأ : تبارك الذي بيده الملك ، احفظها وعلما أهلك وولدك وصبيان بيتك وجيرانك ، فانها المنجية ، والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها . وتطلب له إلى ربها أن ينجيه من عذاب القبر . قال رسول الله ﷺ : « لو ددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي » .

قال أبو عمر ابن عبد البر : وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن سورة ثلاثين آية شفعت في صاحبها حتى غفر له ، تبارك الذي بيده الملك .

وفي « سنن ابن ماجه » من حديث أبي هريرة يرفعه : « من مات مرابطاً مات شهيداً ، ووفي فتنة القبر ، وغدي وريح عليه برزق من الجنة » .

وفي « سنن النسائي » عن جامع بن شداد قال : سمعت عبد الله بن يشكر يقول : كنت جالساً مع سليمان بن سرد وخالد بن عرفطة ، فذكروا أن رجلاً مات بيطنه ؛ فاذا هما يشتهيان أن يكونا شهداء جنازته . فقال أحدهما للآخر : ألم يقل رسول الله ﷺ : « من يقتله بطنه لم يعذب في قبره » . فهذا أيضاً من الأسباب المنجية من عذاب القبر .

وقال ابن القيم في محل آخر من « الروح » : وقد ينقطع عنه ، أي الميت المذاب ، أي عذاب القبر بدعاء ، أو صدقة ، أو استغفار ، أو ثواب حج ، أو قراءة تصل إليه من بعض أقاربه أو غيرهم . قال : وهذا كما يشفع الشافع في

المذبذبة في الدنيا فيخلص من العذاب بشفاعته ، لكن هذه شفاعته قد تكون بدون إذن المشفوع عنده ، والله جل شأنه لا يتقدم أحد بالشفاعة بين يديه إلا من بعد إذنه ؛ فهو الذي يأذن للشافع أن يشفع إذا أراد أن يرحم المشفوع له . قال : ولا يفتر بغير هذا ؛ فإنه شرك « من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه ؟ » (١) « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى » (٢) « ما من شفيع إلا من بعد إذنه » (٣) « ولا تنفع الشفاعاة عنده إلا لمن أذن له » (٤) « قل لله الشفاعاة جميعاً له ملك السموات والأرض » (٥) .

وقد ذكر ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن موسى الصائغ ، ثنا عبد الله ابن نافع ، قال : مات رجل من أهل المدينة ، فرآه رجل كأنه من أهل النار ، فاعتم لذلك ، ثم إنه بعد ساعة أو ثمانية رآه كأنه من أهل الجنة ، فقال : ألم تكن قلت : إنك من أهل النار ؟ قال : قد كان ذلك ؛ إلا أنه دفن معنا رجل من الصالحين ؛ فيشفع في أربعين من حيرانه ؛ فكنت أنا منهم . قال ابن أبي الدنيا : وحدثنا أحمد بن يحيى ، قال : حدثني بعض أصحابنا ، قال : مات أخي فرأيت في النوم ، فقلت : ما كان حالك حين وضعت في قبرك ؟ قال : أتاني آت بشهاب من نار ، فلولا أن داعياً دعا لي لرأيت أنه سيضربني به . وقال عمرو بن جرير : إذا دعا الصديق لأخيه الميت ، أتاه بها ملك إلى قبره ، فقال : يا صاحب القبر الغريب ، هذه هدية من أخ شفيق عليك ، والله تعالى أعلم .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ (٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٨

(٣) سورة يونس ، الآية : ٣ (٤) سورة سبأ ، الآية : ٢٣

(٥) سورة الزمر ، الآية : ٤٤

## الحديث السادس والسبعون

١٢١ - ثنا يحيى ، عن حميد ، عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : دخلت الجنة فرأيت قصرأ من ذهب . قلت : لمن هذا ؟ قالوا : لشاب من قريش ، فظننت أبي أنا هو ، قالوا : لعمر بن الخطاب .

قال رضي الله عنه : ( ثنا يحيى ) بن سعيد القطان ( عن حميد ) الطويل ( عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( عن النبي ﷺ قال : دخلت الجنة ) أي مناماً . كما في رواية : بينما أنا نائم رأيتني في الجنة ( فرأيت ) فيها ( قصرأ ) وهو المنزل ، أو كل بيت من حجر ، والحصن . وفي رواية : فرأيت فيها قصرأ أو دارأ ( من ذهب ) ولا يمرض هذا ، ما أخرجه ابن أبي الدنيا ، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « دخلت الجنة ، فإذا فيها قصر أبيض . قلت لجبريل : لمن هذا القصر ؟ ... الحديث ، لأن حديث كون القصر من ذهب صحيح متفق على صحته ، بخلاف كونه أبيض ؛ فانما أخرجه ابن أبي الدنيا . قال الامام ابن القيم في « حادي الأرواح » : فان كان محفوظاً فبياضه نوره وإشراقه وضيائه ، كما تقدم شرح ذلك في الحديث الثلاثين من « مسند جابر رضي الله عنه » .

قال رسول الله ﷺ : ( قلت : لمن هذا ) القصر الذي من ذهب ؟ ( قالوا ) أي جبريل ، ومن معه من الملائكة : ( لشاب ) أي فتى ، وجمه شبان وشباب ، ووصفه بذلك ، إما لكون قوته قوة الشباب الذي لم يين فيه السن بعد ، أو باعتبار

دخوله الى الجنة، وإلا فمعر كهل أو شيخ (من قريش) وم من كان من ولد  
 فهر بن مالك، وفهر جماع قريش، واسمه قريش، وفهر لقبه. وقيل: بالمكس  
 وهو الأظهر؛ لقولهم: سمي قريشاً، لأنه كان يقرش، أي يفتش عن خلة  
 الناس، أي حاجتهم فيسدها بماله. وقيل: إن جماع قريش النضر، واسمه قيس  
 ابن كنانة، وهذا المعتمد، وإن كان الأول قول الأكثر. واختلف العلماء في  
 سبب تسمية هذه القبيلة العظيمة قريشاً. فقيل: لتجمعهم بمد الفرقة. وقيل:  
 لتكسبهم. وقيل: لأن جدم الأعلى جاء في ثوب واحد متجمعاً فيه. وقيل: من  
 التقريش، وهو أخذ الشبيء أولاً فأولاً. وقال المطرزي: سميت قريشاً بداية في البحر  
 هي سيدة الدواب البحرية، وكذلك قريش سادة الناس.

وقريش: هي التي تسكن البحر، بها سميت قريش قريشاً، تأكل الفث  
 والسمين، ولا تترك فيه لذي جناحين شيئاً.

قال الشاعر:

هكذا في البلاد حي قريش      يأكلون البلاد أكلاً كيشاً<sup>(١)</sup>  
 ولهم آخر الزمان نبي      يكثر القتل فيهم والجوشا<sup>(٢)</sup>

ومرء أن فهر أ سمي قريشاً، لأنه كان يفتش عن خلة الناس وحاجتهم ويسدها،  
 والتقريش: هو التقريش، وقد علمت أن الأصح المعتمد أن قريشاً هم ولد النضر بن  
 كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان؛  
 فمن لم يولد النضر فليس بقريشي.

قال رسول الله ﷺ لما سأل عن القصر لمن هو؟ فقالوا: لشاب من  
 قريش (فظننت أني أما هو) ذلك الشاب، لأنني سيد قريش، فقلت: لمن؟  
 (قالوا: لمر ابن الخطاب).

(١) أي أكلا سريعاً. والرجل الكميش: السريع، العزوم. وجملة قال الشاعر: كانت  
 في الاصل عند جملة. وكذلك قريش سادة الناس: فوضعناها مع البيتين.

(٢) يقال: حشش القوم. ساقهم بفضب. وأحشش الحرب: أشعل نارها.

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بينا أنا نائم رأيتني في الجنة ، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر ، فقلت : لمن هذا ؟ قالوا : امرء ، فذكرت غيرته فوليت (١) مدبراً ، فبكى عمر رضي الله عنه ، وقال : عليك أثار يا رسول الله ؟ وفي رواية : قال أبو هريرة : فبكى عمر ونحن جميعاً في ذلك المجلس مع رسول الله ﷺ . قال عمر : بأبي أنت يا رسول الله ، أعلبك أثار ؟

و تقدم بأطول من هذا ، وأوفى في الثلاثين من «مسند جابر رضي الله عنه» .

### الحديث السابع والسبعون

١٢٢ - ثنا يحيى بن سعيد ، عن حميد قال : سئل أنس عن كسب الحجّام فقال : احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حججه أبو طيبة ، وأمر له بصاعين من شعير وكلم مواليه أن يخففوا عنه من ضربيته وقال : أمثل ما تداوئتم به الحجامة ، والقسط البحري .

قال رضي الله عنه : ( ثنا يحيى بن سعيد ) القطنان ( عن حميد ) الطويل ( قال : سئل ) - بضم السين المهملة وكسر الهمزة مبنياً للمجهول ( أنس ) ابن مالك رضي الله عنه بالرفع نائب فاعل ( عن كسب الحجّام ) أي ما يحصل له بسبب حجّامته . والكسب : الطلب والسعي في طلب الرزق والمعيشة ، والحجّام : هو الذي يتعاطى إخراج الدم .

(١) في الاصل : فوليت . والتصحيح من «الصحيحين» .

(قَالَ) أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ( اِحْتَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، حَجْمَهُ أَبُو طَيْبَةَ ) - بفتح الطاء المهملة وسكون الياء التحتية وبالباء الموحدة - واسمه نافع الحجام ، مولى مُحَيِّصَةَ بن مسعود الأنصاري ، معروف بكنته . ومحيسة ، بضم الميم وفتح الحاء المهملة ، وكسر الياء التحتية مشددة فصاد مهله ( وأمر ) ﷺ ( له ) أي لأبي طيبة ( بصاعين من شمر ) فاجاب أنس بـمدم حرمة كسب الحجام ؛ لأنه لو كان حراماً لم يمطه النبي ﷺ ، وأما حديث : « كسب الحجام خبيث » ، فلا يدل على الحرمة صريحاً عند أكثر السلف والخلف ، لا على الحر ولا على العبد ، وهذا مشهور مذهب الامام أحمد . وعنه رواية ؛ قال بها فقهاء المحدثين : يحرم على الحر دون العبد ، وعلى المتمتع حمل الجمهور أحاديث النهي على التنزيه ، والارتفاع عن ذنبه الاكتساب ، والحث على مكارم الاخلاق ومعاالي الامور ، ولو كان حراماً لم يفرق فيه بين الحر والعبد ؛ فانه لا يجوز لاشخص أن يطعم عبده مالا يحل .

قال الامام ابن القيم في « الهدى » : « حكم النبي ﷺ بنجث كسب الحجام ، وأمر صاحبه أن يملفه ناضحه أو رقيقة ، صح عنه ذلك ، وصح عنه أنه احتجم وأعطى الحجام أجرة ، فأشكل الجمع على كثير من الفقهاء ، ومنهم من ظن أن النهي عن كسبه منسوخ بإعطائه أجرة ، وسلك هذا المسلك الطحاوي .

قال ابن القيم : دعوى النسخ مجردة لادليل عليها ؛ فلا تقبل ، فانه عليه السلام لم يقل : إعطاء الحجام خبيث ، بل إعطاؤه ، إما واجب ، وإما مستحب ، وإما جائز ، ولكن هو خبيث بالنسبة الى الآخذ ، وخبيثه بالنسبة الى آكله ، فهو خبيث الكسب ، ولا يلزم من ذلك تحريمه ، وقد سمي النبي ﷺ البصل والثوم خبيثين مع إباحة أكلهما ؛ فنجث أجرة الحجام من هذا القبيل ، وتقدم الكلام على هذا في شرح الحديث الخامس من « مسند جابر رضي الله عنه » .

(وكلم) النبي ﷺ (مواليه) أي موالي أبي طيبة (أن يخففوا عنه من ضربيته) أي المال الذي كانوا قد ضربوه عليه عن كل يوم ، أو عن كل جمعة ، أو عن كل شهر ، ففعلوا .

وفي « صحيح مسلم » من حديث ابن عباس رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ حججه عبد لبي بياضة ، فأعطاء النبي ﷺ أجره ، وكلم سيده فخفف عنه من ضربيته ، ولو كان سحتاً لم يمطه .

وفي « المسند » و « الصحيحين » وغيرهما من حديث حميد الطويل ، قال : سمعت أنساً رضي الله عنه يقول : دعا رسول الله ﷺ غلاماً لنا حججاً ، فحججه ، فأمر له بصاع أو صاعين ، أو بمسد أو بمدين ، وكلم فيه فخفف من ضربيته .

وفي « الموطأ » ، وأبي داود ، من حديث أنس قال : حجج أبو طيبة رسول الله ﷺ ، فأمر له بصاع من تمر ، وأمر أهله أن يخففوا من خراجه . قال في « جامع الأصول » : الضريبة : الخراج الذي يقرر على العبد يؤديه في كل يوم ، أو شهر ، أو سنة .

وفي « النهاية » : الضريبة : ما يؤدي العبد إلى سيده من الخراج المقرر عليه ، وهي فميلة ، بمعنى مفعولة ، وتجمع على ضرائب .

(وقال) رسول الله ﷺ : ( أمثل ماتداو يتم به الحجامة ) ، هو موصول بالاسناد المذكور ، وقد أخرجه النسائي مفرداً ، عن حميد ، عن أنس بلفظ : « خير ماتداو يتم به الحجامة » . وفي لفظ آخر : أفضل . قال أهل المعرفة : الخطاب بذلك لأهل الحجاز ، ومن في منام من أهل البلاد الحارة ، لأن دماء رقيقة ، وتميل إلى ظاهر الأبدان ، لجذب الحرارة الخارجة إلى سطح البدن . ويؤخذ من هذا أيضاً أن الخطاب لغير الشيوخ ، لقلّة الحرارة في أبدانهم ،

وتقدم الكلام على هذا في شرح الحديث الرابع والعشرين من «مسند أنس»، ثم في الخامس من «مسند جابر رضي الله عنها»، فأغنى عن الإعادة هنا (والقسط البحري).

قال أبو بكر بن العربي: القسط نوعان: هندي وهو أسود. وبحري وهو أبيض، والهندي أشدهما حرارة. ويقال للقسط: الكست بالكاف والتاء مكان القاف والطاء، ويجوز مع القاف بالتاء المثناة، ومع الكاف بالطاء. قال البخاري: والقسط الهندي البحري، وهو الكست، مثل الكافور والقافور، ومثل كسشت وقسشت.

وفي «الصحيحين»، وغيرها، من حديث أم قيس بنت محصن قالت: دخلت ابن لي على رسول الله ﷺ، وقد أعلقت عليه من المذرة، فقال: علام تدغرن أولادك بهذا الملاق؟ عليك<sup>(١)</sup> بالمود الهندي؛ فإن فيه سبعة أشقية، منها ذات الجنب، يسقط به من المذرة، ويولد من ذات الجنب.

قال سفيان بن عيينة: فسمعت الزهري بين لنا اثنتين ولم يبين لنا خمساً. وقال علي بن المديني: قلت لسفيان: إن معمراً يقول: أعلقت عليه. قال: لم يحفظ، إنما قال: أعلقت عنه، حفظه من في الزهري، ووصف سفيان الملاق، يحنك بالأصبع، وأدخل سفيان أصبه في حنكه وقال: يعني رفع حنكه بأصبه. وقال يونس: علقته: غمزت، فهي تخاف أن تكون به عذرة. والمذرة - بضم الميم المهملة وسكون الذال المجمة - وهو وجع الحلق، وهو الذي يسمى سقوط اللهاة - واللهاة بفتح اللام: اللحم التي في أقصى الحلق. وقيل: هي قرحة تخرج بين الأذن والحلق - وسميت بذلك لأنها تخرج غالباً عند طلوع المذرة، وهي خمسة كواكب: تحت الشعري العبور، ويقال لها أيضاً: المذارى، وطلوعها يقع في وسط الحر - وهي تمرى الصبيان غالباً.

(١) في الأصل: عليكم، وهو خطأ. والتصحيح من «صحيح مسلم»



وفي « النهاية » : هي قرحة تخرج في الحرم الذي بين الأنف والحنك ،  
تعرض للصبيان عند طلوع العذرة ؛ فتتمد المرأة الى خرقة فتفتلها فتلاً شديداً .  
وتدخلها في أنفه ، فتظن ذلك الموضع ، فينفجر منه دم أسود ، وربما أقرحه ،  
وذلك الطمن يسمى الدغر . يقال عذرت المرأة الصبي إذا غمزت حلقه من العذرة  
أو فعلت به ذلك ، وكانوا بعد ذلك يطلقون عليه علقاً كالعودة .

وروى الامام أحمد ، وأصحاب « السنن » من حديث جابر رضي الله عنه  
مرفوعاً : أيما امرأة أصاب ولدها عذرة أو وجع في رأسه ، فلتأخذ قسطاً  
هندياً فتحله بماء ثم تسمطه إياه .

وفي حديث أنس ، هذا الذي نحن بصدد شرحه « إن أمثل ما تداوون به  
الحجامة والقسط البحري ، وهو محمول على أنه وصف لكل ما يلائمه ، فحيث  
وصف الهندي كان الاحتياج إلى المألجة إلى داء شديد الحرارة ، وحيث وصف  
البحري كان دون ذلك في الحرارة ، لأن الهندي كما قدمنا أشد حرارة من البحري  
وقال ابن سينا : القسط حار في الثالثة ، يابس في الثانية . وقد ذكر الأطباء من  
منافع القسط : أنه يدر الطمث<sup>(١)</sup> والبول ، ويقتل ديدان الامعاء ، ويدفع السم ،  
وحصى الربع ، والورد<sup>(٢)</sup> ويسخن المعدة ، ويحرك شهوة الجماع ، ويذهب الكلف  
طلاءاً ، فذكر أكثر من سبعة .

وأجاب بعض الشراح بأن السبعة علمت بالوحي ، وما زاد عليها بالتجربة ؛  
فاقتصروا على ما هو بالوحي لتحقيقه . وقيل : ذكر ما يحتاج إليه دون غيره ، لأنه  
ﷺ لم يثبت بتفاصيل ذلك .

قال في « الفتح » : ويحتمل أن تكون السبعة ، يعني المذكورة في الحديث

(١) الطمث : الحيض .

(٢) أي حمى الورد

أصول صفة التداوي بها ، لأنها إما طلاء ، أو شرب ، أو تكسيد ، أو تنطيل ، أو تبخير ، أو سموط ، أو لثود .

فالطلاء يدخل في المرام ، ويحل بالزيت ، ويلطخ . وكذا التكسيد والشرب يسحق ويحل في غسل أو ماء أو غيرها ، وكذا التنطيل والسموط يسحق في زيت ويقطر في الأنف ، وكذا الدهن والتبخير واضح ، وتحت كل واحد من السبعة منافع لأدواء مختلفة ، ولا يستغرب ذلك ممن أوتي جوامع الكلام .

وقد استشكل معالجة العذرة بالقسط مع كونه حاراً ، والعذرة إنما تمرض في زمن الحر بالصبيان ، وأمزجتهم حارة ، ولا سيما وقطر الحجاز حار . وأجيب : بأن مادة العذرة دم يطلب عليه البلغم ، وفي القسط تحفيف للرطوبة ، وقد يكون نفعه في هذا الدواء بالخاصية . وأيضاً فالأدوية الحارة قد تنفع في الأمراض الحارة بالمرض كثيراً ، وبالذات أيضاً ، وقد ذكر ابن سينا في معالجة سقوط اللهاة بالقسط مع الشب الياباني وغيره ، على أننا لو لم نجد شيئاً من التوجيهات لكان من المعجزة خارجاً عن القواعد الطبية .

تنبيهه : قال في « النهاية » : القسط : ضرب من الطيب . وقيل : هو المود . قال : والقسط عقار معروف في الأدوية طيب الريح ، تبخر به النفساء والأطفال . قال : وهو أشبه بالحديث ؛ لإضافته إلى الأظفار في حديث : من قسط أظفار . انتهى .

وقال النووي : القسط والأظفار نوعان معروفان من البخور ، وليس من مقصود الطيب . انتهى .

وفي « القاموس » : القسط بالضم : عود هندي وعربي ، مدره ، نافع للكبد جداً ، وللمنصف ، والدود ، وحمى الريح ؛ شرباً . وللازكام والتزلات والوباء بخوراً ، وللهن والكلف طلاءً . انتهى . والله تعالى الموفق .

## الحديث الثامن والسبعون

١٢٣ - ثنا يحيى ، ثنا النيمي عن أنس قال : كنت قائماً على الحي أسقيهم من فضيخ تمر ، قال : فجاء رجل فقال : إن الحمر قد حرمت . قال : أكفيتها يا أنس ، فأكفأتها . قلت : ما كان شرابهم ؟ قال : البسر والرطب . قال أبو بكر بن أنس : كانت خمرهم يومئذٍ ، وأنس يسمع ولم ينكر : وقال بعض من من كان معنا : كان خمرهم يومئذٍ .

قال رضي الله عنه : ( ثنا يحيى ) بن سعيد القطان قال : ( ثنا ) أبو معمر سليمان ( التيمي ) تقدمت ترجمته في أول الحديث الثاني من « مسند أنس » ( عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( قال : كنت قائماً على الحي ) أصل الحي البطن من بطون قبائل العرب ، والمراد به هنا القوم ( أسقيهم من فضيخ تمر ) - بقاء مفتوحة وضاد وخاء معجمتين بينها مائة تحتية - وزن عظيم ، اسم البسر إذا شدخ ونبد - زاد في رواية في « الصحيحين » - وهو مطوف على تمر ، وهو - بفتح الزاي وسكون الماه بعدها واو - : البسر الذي يحمره أو يصفره قبل أن يرطب . وقد يطلق الفضيخ على خليط البسر والرطب ، كما يطلق على فضيخ : البسر والتمر ، وكما يطلق على البسر وحده ، وعلى التمر وحده .

ووقع عند مسلم ، من طريق قتادة ، عن أنس : أسقيهم من مزادة فيها

خليط بسر وتمر . ووقع في رواية ، عن حميد ، عن أنس ، عند الامام أحمد بمد  
قوله : أسقيهم : كاد الشراب بأخذ فيهم .

( قال : فجاء رجل ) قال في « الفتح » : لم أقف على اسمه . وعند ابن  
هرويه : حتى أسرع فيهم . ولابن أبي عاصم : حتى مالت رؤوسهم ، فدخل  
داخل . وفي رواية عند البخاري : فأمر رسول الله ﷺ منادياً فنادى . ولمسلم :  
فإذا مناد ينادي : إن الحجر قد حرمت . وله من رواية سعيد ، عن قتادة ، عن  
أنس نحوه . وزاد : فقال أبو طلحة : اخرج فانظر ما هذا الصوت . وفي طريق  
عبد العزيز بن صهيب في « الصحيح » عن أنس بلفظ : إذ جاء رجل فقال : هل  
بلكم الخبر ؟ قالوا : وما ذلك ؟ قال : حرمت الحجر . وهذا الرجل يحتمل أن  
يكون هو المنادي ، ويحتمل أن يكون غيره سمع المنادي ، فدخل إليهم فأخبرهم  
( فقال : إن الحجر قد حرمت ) وفي رواية : إن الرجل وقف على الساب فذكر  
لهم تحريمها . وفي وجه آخر : أنا فلان من عند نبيتنا ، فقال : قد حرمت الحجر .  
قلنا : ما تقول ؟ قال : سمعته من النبي ﷺ الساعة ، ومن عنده أتيتكم .

( قال ) أبو طلحة رضي الله عنه ( أ كفيئها يا أنس ) - بكسر الفاء  
مهموز - بمعنى أرقها . من كفات القدر ، إذا كبيتها لتفرغ ما فيها . يقال :  
كفأت الاناء ، وأكفأته ، إذا كبيتته ، وإذا أملت . وفي رواية في « الصحيحين » :  
فقال أبو طلحة : قم يا أنس ؛ فارقها - بفتح الميم ، وكسر الراء وسكون  
القاف - والأصل أرقها ، فأبدلت الهمزة هاء . قال أنس : ( فأكفأتها ) وفي  
رواية : فأرقتها . وفي رواية عبد العزيز بن صهيب : فقالوا : أرق هذه القلال  
يا أنس ، وهو محمول على أن المخاطب بذلك لأنس أبو طلحة ، ورضي الباقر  
بذلك ، فنسب الأمر بالاراقة إليهم جميعاً . وفي رواية في « الصحيح » عن مالك  
في هذا الحديث : قم إلى هذه الجرار فاكسرها . قال أنس رضي الله عنه :

فعمت إلى مهراس لنا ، فضربتها بأسفله حتى انكسرت . وهذا لا يتنافى الروايات الأخرى ، بل يجمع بأنه أراقها وكسر أوانها ، أو أراق بعضها وكسر بعضاً . وقد ذكر ابن عبد البر أن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة تفرد عن أنس بذكر الكسر ، وأن ثابتاً وعبد العزيز بن صهيب وحميداً وعدة جماعة من الثقات ، رووا الحديث بتامه عن أنس ، منهم من طوله ، ومنهم من اختصره ؛ فلم يذكر إلا إراقها ، والمهراس - بكسر الميم وسكون الهاء ، وآخره سين مهملة - إناء يتخذ من صخر وينقر . وقد يكون كبيراً كالحوض ، وقد يكون صغيراً بحيث يتأتى الكسر به ، وكأنه لم يحضر ما يكسر به غيره ، أو كسر بآلة المهراس التي يدق بها فيه ، كالهاون ، فأطلق اسمه عليها مجازاً .

ووقع في رواية حميد عن أنس ، عند الامام أحمد : فوالله ما قالوا حتى تنتظر ونسأل . وفي رواية عبد العزيز بن صهيب في التفسير من «صحيح البخاري» : فوالله ما سألوا عنها ، ولا راجعوا بمد خبر الرجل .

وفي «الصحيح» : فجرت في سكك المدينة ، أي طرفها ، وفيه إشارة إلى توارده من كانت عنده من المسلمين على إراقها حتى جرت في الأزقة من كثرتها ، وكأنها إنما ارتفعت في الطرق المنحدرة بحيث تنصب إلى الأودية ونحوها . ويؤيده ما أخرجه ابن مردويه ، من حديث جابر بسند جيد ، في قصة صب الحجر ، قال : فانصببت حتى استنقمت في بطن الوادي .

( قلت : ما كان شرابهم؟ ) القائل هو سليمان التيمي والد مستمر ( قال ) أنس رضي الله عنه : ( البسر والرطب ) أي تصنع أو تتخذ منها .

( قال أبو بكر بن أنس ) بن مالك الأنصاري : ( كانت خمر يومئذ ) يعني المتخذة من البسر والرطب ( وأنس ) رضي الله عنه ( يسمع ) قول أبي بكر ابنه أنها كانت خمر يومئذ ( و ) أقره على قوله ( لم ينكر ) عليه ذلك . قال سليمان التيمي : ( وقال بعض من كان معنا ) .

وفي « صحيح مسلم » عن مشمر بن سليمان عن أبيه قال : حدثني بعض من كان معي ( كان خمرهم يومئذ ) فيحتمل أن يكون أنس حدث بها حينئذ فلم يسمه سليمان ، أو حدث بها في مجلس آخر فحفظها عنه الرجل الذي حدث بها سليمان ، وهذا الرجل المبهم يحتمل أن يكون هو بكر بن عبد الله المزني ؛ فان روايته في « الصحيح » توميء إلى ذلك ، ويحتمل أن يكون قتادة ، فانه روى في « الصحيح » من طريقه ، عن أنس . وإنما ندها يومئذ الخمر ؛ وهذا أقوى الحجج على أن الخمر ، اسم جنس لكل ما يسكر ، سواء كان من العنب ، أو من قيع الزبيب ، أو التمر ، أو المسل ، أو غيرها .

وأما دعوى بعضهم أن الخمر حقيقة في العنب ، مجاز في غيره ، فغير مسلم ، وإن سلم في اللغة ؛ لزم من قال به جواز استعمال اللفظ الواحد في حقيقته ومجازه ، والكوفيون لا يقولون بذلك . وأما من حيث الشرع ؛ فالخمر حقيقة في الجميع ، لثبوت حديث : كل مسكر خمر . فمن زعم أنه جمع بين الحقيقة والمجاز في هذا اللفظ ؛ لزمه أن يبيزه ، وهذا بما لا انفكاك لهم عنه ، كما في « الفتح » .

وفي « الصحيحين » عن أنس رضي الله عنه قال : حرمت علينا الخمر حين حرمت ، وعامة خمرنا البسر والتمر .

### الحديث التاسع والسبعون

١٢٤ - ثنا يحيى ، عن حميد ، عن أنس قال : كنت أسقي أبا عبيدة بن الجراح ، وأبي بن كعب ، وسهيل بن بيضاء ، ونفراً من أصحابه عند أبي طلحة ، وأنا ساقهم ، حتى إذا

كاد الشراب أن يأخذ منهم ؛ فأتى آتٍ من المسلمين فقتل :  
 أو ما شعرت أن الحجر قد حرمت ؛ قالوا : حتى تنظر ونسأل .  
 قالوا : يا أنس أكفي ما بقي في إنائك . قال : فوالله ما عادوا  
 وما هي إلا التمر والبسر ، وهي خمر يومئذ .

قال رضي الله عنه : ( ثنا يحيى ) بن سعيد القطان ( عن حميد ) الطويل  
 ( عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( قال : كنت أسقي أبا عبيدة ) عامر ابن  
 عبد الله ( بن الجراح ) بن هلال بن أهيب - بضم الهززة وفتح الهاء وسكون  
 التحتية فوحدة ابن ضبة - بفتح الضاد المعجمة وتشديد الموحدة - ابن  
 الحارث بن فهر بن مالك ، أحد المشرة المبشرين بالجنة وأمين هذه الأمة ، تقدمت  
 ترجمته في الحديث الأول من « مسند جابر رضي الله عنه » .

( وأبي بن كعب ) هو أبو المنذر وأبو الطفيل ، أبي بن كعب بن المنذر ،  
 وقيل : ابن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك ابن  
 النجار ، واسم النجار تيم اللات ابن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأكبر الأنصاري  
 الخزرجي معاوي ، وبنو معاوية بن عمرو يعرفون ببني حديلة - بضم الحاء  
 وفتح الدال المهملة وسكون الياء التحتية فلام - هي أمهم ينسبون إليها . شهد  
 أبي العقبة الثانية ، وبايع النبي ﷺ بها فيمن بايعه من سبأق الأنصار ، ثم شهد  
 بدرأ ، وما بعدها من المشاهد ، وكان يكتب للنبي ﷺ الوحي ، وهو أحد  
 الستة الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ ، وأحد الفقهاء الذين كانوا  
 يفتون على عهد رسول الله ﷺ ، وكان أقرأ الصحابة لكتاب الله عز وجل ،  
 كناه النبي ﷺ أبا المنذر ، وكناه عمر بن الخطاب أبا الطفيل ، وسماه النبي ﷺ

سيد الأنصار ، وسماه عمر سيد المسلمين . وقد أمر رسول الله ﷺ أن يقرأ عليه : « لم يكن الذين كفروا » روي له عن رسول الله ﷺ مائة وأربعة وستون حديثاً ، انفقا على ثلاثة ، وانفرد البخاري بثلاثة ، ومسلم بسبعة . توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة تسع عشرة ، وقيل : سنة عشرين ، وقيل : اثنتين وعشرين ، في خلافة عمر ، وقيل : في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين ، والأول أصح وأكثر . روى عنه ابنه الطفيل وعبادة بن الصامت وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك رضي الله عنهم ، ومن التابعين عبد الرحمن بن أبي ليلى وأبو عثمان النهدي وخلق .

( وسهيل ) - بالنصب - مطوف على أبي عبيدة وأبي - مفعول أسقي ( ابن بيضاء ) هو أبو موسى . وقيل : أبو أمية ، سهيل بن وهب بن ربيعة ابن هلال بن أهيب بن مالك بن ضبة بن الحارث بن فهر ، وهو أخو سهل ، والبيضاء أمها ، واسمها دعد ، كان سهل ممن أظهر إسلامه بمكة ، وقيل : إنه كان يكتم إسلامه بمكة ، وخرج مع المشركين إلى بدر فأسر يومئذ ، فشهد له عبد الله ابن مسعود أنه رآه بمكة يصلي فخلى عنه . مات بالمدينة ، وصلى عليه النبي ﷺ في المسجد ، له ذكر في الصلاة على الجنائز . وأما سهيل - بالتصغير - فأسلم قديماً ، وهاجر إلى الحبشة المهجرتين ، وشهد بدرأ والمشاهد كلها . روى عنه عبد الله بن أنس وأنس بن مالك ، ومات في حياة النبي ﷺ بعد رجوعه من تبوك سنة تسع ، ولا عقب له رضي الله عنه . والذي في « الصحيحين » ( كنت أسقي أبا عبيدة ابن الجراح وأبا طلحة وأبي بن كعب ) فذكر أبا طلحة بدل سهيل بن بيضاء . وأبو طلحة هو زيد بن سهل زوج أم سليم أم أنس ، فاقصر في هذه الرواية على هؤلاء الثلاثة . فأما أبو طلحة فلكون القصة كانت في منزله كما في « الصحيحين » عن عبد العزيز بن صهيب قال : « سألوا أنس بن مالك عن الفضيل . فقال : ما كانت لنا خمر غير فضيلكم هذا الذي تسمونه الفضيل ، إنني لقاها - أي أبا طلحة ،



وأبا أيوب ، ورجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ في بيتنا، إذ جاء رجل... الحديث، وفي لفظ عن أنس : كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة . وأما أبو عبيدة ، فلأن النبي ﷺ آخى بينه وبين أبي طلحة ؛ كما أخرجه مسلم من وجه آخر عن أنس . وأما أبي بن كعب ، فكان كبير الأنصار وعالمهم. ووقع في رواية عبد العزيز ابن صهيب ، عن أنس عند البخاري : إني لقاؤم أسقي أبا طلحة وفلانا وفلانا ، كذا وقع بالإهام . وسمى في رواية مسلم أبا أيوب ، وفي « مسلم » عن أنس : كنت أسقي أبا طلحة وأبا دجانة وماذ بن جبل في رهط من الأنصار . وفي طريق أخرى : وسهيل بن بيضاء . ورواه البخاري أيضاً ، إلا أنه لم يذكر أبا أيوب ، ولا ذكر معاذ . وأبو دجانة - بضم المهملة وتخفيف الحيم ، وبعد الألف نون - اسمه سماك بن خرشة - بمجمتين بينها راء مفتوحات ، وهذا معنى ما في هذه الرواية من قوله :

(ونقرأ من أصحابه) أي أصحاب النبي ﷺ (عند أبي طلحة) رضي الله عنه وعنهم أجمعين (وأنا ساقهم) . وفي « الصحيحين » عن ثابت ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنت ساقى القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة . وفي رواية سليمان التيمي ، عن أنس في « الصحيحين » أيضاً : وأنا أصفرم سنأ . ووقع عند عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ثابت وقناة وغيرهما ، عن أنس رضي الله عنه : أن القوم كانوا أحد عشر رجلاً . وقد حصل مما ذكرنا تسمية سبعة منهم . وفي رواية سليمان التيمي ، عن أنس ، وهي في « المسند والصحيحين » : كنت قائماً على الحى - أسقيهم - عمومي فقوله : عمومي في موضع خفض ، على البدل من قوله : الحى ، وأطلق عليهم عمومته لأنهم كانوا أسن منه ، ولأن أكثرهم من الأنصار .

ومن المستغربات ما أورده ابن مردويه في « تفسيره » من طريق عيسى ابن

طهان ، عن أنس : أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا فيهم . وهو منكر مع نظافة سنده . قال في « الفتح » : وما أظنه إلا غلطاً .

وقد أخرج أبو نعيم في « الحلية » في ترجمة شعبة ، من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : حرم أبو بكر الحجر على نفسه فلم يشربها في جاهلية ولا إسلام . وعلى كون حديث حضور أبي بكر وعمر محفوظاً . فيجمل أن يكونا زارا أبا طلحة في ذلك اليوم ، ولم يشربا معهم ، ثم ذكر في « الفتح » أن البرار روى من وجه آخر عن أنس قال : كنت ساقى القوم ، وكان في القوم رجل يقال له : أبو بكر ، فلما شرب قال :

تحييي بالسلامة أم بسكر ... الأبيات .

فدخل علينا رجل من المسلمين فقال : قد نزل تحريم الحجر... الحديث . وأبو بكر هذا يقال له : ابن شعوب ، فظن بعضهم أنه أبو بكر الصديق ، وإيس كذلك ، لكن قرينة ذكر عمر تدل على عدم الظلطي وصف الصديق . وفي « كتاب مكة » للفاكهي من طريق مرسل ما يعضد ذلك ، فحصلنا على تسمية عشرة ( حتى إذا كاد الشراب أن يأخذ منهم ) أي أن يسكروا ، وتقدمت رواية : حتى مالت رؤوسهم . ( فأتى آت من المسلمين فقال : أو ما شمريت ) بالاستفهام الانكاري ( أن الحجر قد حرمت ؟ ) وفي « الصحيح » من طريق عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس « إذ جاء رجل فقال : هل بلشكم الحجر ؟ قالوا : وماذا ؟ قال : حرمت الحجر . كما تقدم آنفاً .

وأخرج ابن مروديه من طريق بكر بن عبد الله ، عن أنس قال : لما حرمت الحجر وخلف على أناس من أصحابي وهي بين أيديهم ، فضربتها برجلي وقلت : نزل تحريم الحجر . فيحتمل أن يكون أنس خرج فاستخبر . وتقدم أن الرجل قام على الباب ، فذكر لهم تحريمها ، فما ( قالوا ) يعني الصحابة الذين كانوا يشربونها في بيت أبي طلحة وتنتد : لا تنتهي عن شربها ( حتى تنظر ) في ذلك ( ونسأل ) عن

سبب التحريم؛ بل بادروا الى الاقلاع عن ذلك و ( قالوا ) الفائل هو أبو طلحة كما تقدم آنفاً ، ولما رضي الباقر بذلك ؛ نسب القول إليهم جميعاً : ( يا أنس ! أكفىء - بكسر الفاء مهموزاً - بمعنى أرق . وأصل الاكفاء الامالة ( ما ) أي الذي ( بقي في إنائك ) أي وعائك الذي كانت الخمرة فيه منها ( قال ) أنس رضي الله عنه : ( فوالله ما عادوا ) لشربها أبداً ( وما هي ) أي الخمر التي أراقوها لحرمتها ، وانتهوا عن شربها ، ولم يمودوا إليها ( إلا التمر والبسر ) وفي رواية عن أنس في « الصحيحين » ، وغيرها : نزل تحريم الخمر فأكفأناها يومئذ ، وإنما تخطيط البسر والتمر . وأخرجه الاسماعيلي من طريق روح بن عبادة ، عن سميد ابن عبيد الله ، ولفظه عن أنس : نزل تحريم الخمر ، فدخلت على أناس من أصحابي وهي بين أيديهم ، فضربتها برجلي فقلت : انطلقوا فقد نزل تحريم الخمر ، وشربهم يومئذ البسر والتمر . ووقع عند ابن أبي عاصم من وجه آخر عن أنس : فأراقوا الشراب ، وتوضأ بعض ، واعتسل بعض ، وأصابوا من طيب أم سليم ، وأتوا النبي ﷺ ، فاذا هو يقرأ : « إنما الخمر والميسر .. الآية » (١) قال أنس رضي الله عنه : ( وهي ) أي الشراب المتخذ من التمر والبسر ( خمرهم يومئذ ) وفي رواية : وإن ذلك كان عامة خمرهم يوم حرمت الخمر . رواه مسلم .

وفي « البخاري » عن أنس رضي الله عنه قال : حرمت علينا الخمر حين حرمت ، وما نجد خمرًا من الأُغْراب إلا قليلاً ، وعامة خمرنا البسر والتمر ، أي التبيذ الذي يصير خمرًا كان أكثر ما يتخذ من البسر والتمر . قال الكرماني في « شرح البخاري » : قوله : البسر والتمر . مجاز عن الشراب الذي يصنع منها ، وهو عكس « إني أراني أعصر خمرًا » (٢) وفيه حذف تقديره : عامة أصل خمرنا أو مادته البسر والتمر .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٩٠ (٢) سورة يوسف ، الآية : ٣٦

وقد أخرج النسائي ، وصححه الحاكم من رواية محارب ، عن جابر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « الزبيب والتمر هو الحجر ، وسنده صحيح ، وظاهره الحصر ؛ لكن المراد المبالغة ، وهو بالنسبة الى ما كان حينئذ بالمدينة موجود . أو قيل : مراد أنس رضي الله عنه بقوله : وما هي إلا التمر والبسر . الرد على من خص اسم الحجر بما يتخذ من العنب . وقيل : إن مراده أن التحريم لا يختص بالحجارة المتخذة من العنب ، بل يشمل كلها في التحريم كل شراب مسكر ، وهذا أظهر ، والله اعلم .

### تفسيحات

الأول : اختلف في وقت تحريم الحجر . قال في « الفتح » : زعم الواحدي أنه عقب قول حمزة رضي الله عنه : إنما أنتم عبيد أبي . وحديث جابر يرد في الذين صحبوا الحجر ؛ ثم قتلوا بأحد ، وذلك قبل تحريمها . ويستفاد منه أنها كانت مباحة قبل التحريم . واستظهر في « الفتح » أن محرّمها كان عام الفتح سنة ثمان ، لما روى الامام أحمد من طريق عبد الرحمن بن وعله قال : سألت ابن عباس رضي الله عنها عن بيع الحجر . فقال : كان لرسول الله ﷺ صديق من ثقيف ، أودوس ، فلقبه يوم الفتح براوية خمر يهديها إليه ، فقال : يا فلان ! أما علمت أن الله حرّمها ؟ فأقبل الرجل على غلامه فقال : بها ، فقال : إن الذي حرم شرّبها حرم بيّتها ، وأخرجه مسلم من وجه آخر عن ابن وعله نحوه ؛ لكن ليس فيه تعيين الوقت . وروى الامام أحمد من طريق نافع بن كيسان الثقيفي ، عن أبيه ، أنه كان يتجر في الحجر ، وأنه أقبل من الشام فقال : يا رسول الله ! إني جئت بك بشراب جيد ، فقال : يا كيسان ! إنها حرّمت بمدك . قال : فأيمها ؟ قال : إنها حرمت وحرّم ثمنها . وروى الامام أحمد أيضاً وأبو يعلى من حديث تميم الداري ، أنه كان

يهدي لرسول الله ﷺ كل عام راوية خمر ، فلما كان عام حرّمت ، جاء براوية فقال : أشعرت أنها قد حرّمت بمدك ؟ قال : أفلا أيمها وأنتفع بشمها ؟ فهما . ويستفاد من حديث كيسان تسمية المبهم في حديث ابن عباس ، ومن حديث تميم تأييد الوقت المذكور ، فإن إسلام تميم كان بعد الفتح . وجزم الدمياطي في سيرته ، بأن تحريم الخمر كان سنة الحديبية ، وهي كانت سنة ست ، وذكر ابن إسحاق أنه كان في وقعة بني النضير ، وهي بمد أحد ؛ وذلك سنة أربع على الراجح ، ونظر فيه في الفتح ، بأن أنسا كان الساقى يوم حرّمت ، وأنه لما سمع المنادي بتحريمها بادر فأراقها - قال - فلو كان ذلك سنة أربع لكان أنس يصفر عن ذلك . قلت : وفي تنظيره نظر : لأنه حينئذ ابن أربع عشرة سنة ، مع كيبسه وممارسته لخدمة النبي ﷺ وخبرته بمهمات أموره ، لا يكبر عليه صنع مثل هذا كما لا يخفى .

الثاني : في ذكر سبب تحريم الخمر . قيل : السبب قصة حمزة رضي الله عنه ، وهو ما أخرجه الشيخان وغيرهما ، عن ابن جريج ، عن ابن شهاب ، عن علي بن الحسين بن علي ، عن أبيه ، عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه قال : أصبت شارفاً مع رسول الله ﷺ في مغم يوم بدر ، وأعطاني رسول الله ﷺ شارفاً أخرى ، فأختمتها يوماً عند باب رجل من الأنصار ، وأما أريد أن أحمل عليها إذ خراً لأبيمه ، ومعى صائح من بني قينقاع ، فأستمع به علي وليمة فاطمة وحمزة بن عبد المطلب يشرب في ذلك البيت ، معه قينة تقنيه ، فقالت : ألا يا حمز للشرف التواء .

فسار إليهما حمزة بالسيف ، فجب أسنمتها وبقر خواصرهما ، ثم أخذ من أكبادهما - قال ابن جريج : قلت لابن شهاب : ومن السنام ؟ قال : قد جب أسنمتها فذهب بها - قال علي بن أبي طالب : فنظرت إلى منظر أفظمني ، فأتيت إلى رسول الله ﷺ وعنده زيد بن حارثة ، فأخبرته الخبر ، فخرج ومعه

زيد، فانطلقت معه ، فدخل على حمزة ؛ فتفيظ عليه ، فرفع حمزة بصره فقال : هل أنتم إلا عبيد لأبي ؟ فرجع رسول الله ﷺ يهقر حتى خرج عنهم . وفي لفظ: كانت لي شارف من نصبي من مغنم بدر . وكان رسول الله ﷺ أعطاني شارقاً من الخمس يومئذ ، فلما أردت أن أبتني بفاطمة بنت رسول الله ﷺ ، واعدت رجلاً صواغاً من بني قينقاع يرتحل معي ، فنأني باذخر ، أردت أن أبيع من الصواغين ، فأستمين في وليمة عرسى ، فبينما أنا أجمع لشارفي متاعاً من الأقتاب والفرار والحبال ، وشارفاني مناخان الى جانب حجرة رجل من الأنصار ، وجمعت حتى جمعت ما جمعت ، فاذا شارفاني قد أجتبت أسنمتها ، وبقرت خواصرها ، وأخذ من أكبادهما ، فلم أملك عيني حين رأيت ذلك المنظر منهما ، فقلت : من فعل هذا ؟ قالوا : فعله حمزة بن عبد المطلب ، وهو في البيت في شرب من الأنصار ، غنته قينة وأصحابه ، فقالت في غنائها :

ألا يا حمز للشرف النواء	وهن معقلات بالفضاء
ضع السكين في اللبآت منها	وضر جن حمزة بالدماء
وعجل من أطايبها لشرب	طاماً من قديد أو شواء
فأنت أبو عمارة والمرجئى	لكشف الضر عنا والبلاء

فقام حمزة بالسيف ، فاجتب اسنمتها وبقر خواصرها ، فأخذ من أكبادها . قال علي : فانطلقت حتى أدخل على رسول الله ﷺ وعنده زيد بن حارثة - قال - فمرف رسول الله ﷺ في وجهي الذي لقيت ، فقال رسول الله ﷺ : مالك ؟ قلت : يارسول الله ! ما رأيت كاليوم قط ؛ عدا حمزة على ناقتي فاجتب أسنمتها وبقر خواصرها ، وهاهو في بيت معه شرب - قال - فدعا رسول الله ﷺ بردائه فارتداه ، ثم انطلق يمشي واتبعته أنا وزيد بن حارثة ، حتى جاء الباب الذي فيه حمزة ، فاستأذن فأذنوا له ، فاذا هم شرب ، فطلق رسول الله ﷺ يلوم

حمزة فيما فعل ، وإذا حمزة محمزة عيناه ، فنظر حمزة إلى رسول الله ﷺ ، ثم صعد النظر إلى ركبته ، ثم صعد النظر فنظر إلى سرته ، ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه ، فقال حمزة : وهل أنتم إلا عبيد لأبي ؟ - قال - فعرف رسول الله ﷺ أنه عمل (١) ، فنكص رسول الله ﷺ على عقبه القهقري ، وخرج وخرجنا معه . زاد البخاري : وذلك قبل تحريم الخمر .

وروى أصحاب «السنن» من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : اللهم بين لنا في الحجر بياناً شافياً ؛ فنزلت الآية التي في البقرة : « قل فيها لائم كبير» (٢) فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في الحجر بياناً شافياً ؛ فنزلت التي في النساء : « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » (٣) فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في الحجر بياناً شافياً فنزلت التي في المائدة « فاجتنبوه ... إلى قوله : منتهون » (٤) . فقال عمر : انتهينا . وصححه علي بن المديني والترمذي ، وأخرج الامام أحمد نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه دون قصة عمر ، لكن قال عند نزول آية البقرة : فقال الناس : ما حرّم علينا ، فكانوا يشربون ، حتى أم رجل أصحابه في المغرب فخلط في قراءته ، فنزلت التي في النساء ، فكانوا يشربون ، ولا يقرب الرجل الصلاة حتى يفيق ، ثم نزلت آية المائدة ، فقالوا : يا رسول الله ؛ فاس قتلوا في سبيل الله وماتوا على فراشهم ، وكانوا يشربونها . فأنزل الله تعالى : « ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح » (٥) ... الآية . فقال النبي ﷺ : « لو حرم عليهم لتركوه كما تركتموه » . وفي مسند الطيالسي نحوه من حديث ابن عمر رضي الله عنها ، وقال في الآية الأولى : قيل : حرمت الخمر ، فقالوا : دعنا يا رسول الله نتنع بها . وفي الثانية : فقيل : حرمت الخمر ، فقالوا : إنا لانشرها قرب الصلاة . وقال في الثالثة : فقال رسول الله ﷺ : حرمت الخمر .

(١) يقال مثل مثلا : إذا أخذ فيه الشراب .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢١٩٦ (٣) سورة النساء ، الآية : ٤٣

(٤) سورة المائدة ، الآية : ٩٠ (٥) سورة المائدة ، الآية : ٩٣

وأخرج النسائي والبيهقي بسند صحيح ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :  
 إنما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من الأنصار شربوا ، فلما عمل القوم عبث بعضهم  
 يعض ، فلما أن أصبحوا جمّل الرجل يرى في وجهه ورأسه الأثر فيقول :  
 صنع هذا أخي فلان ، وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن ، فيقول : والله لو كان  
 لي رحيماً ما صنع بي هذا ، حتى وقعت في قلوبهم الضغائن ، فأنزّل الله عز وجل هذه  
 الآية : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر .. إلى منتهون » (١) . قال : فقال ناس  
 من المتكفّرين : هي رجس ، وهي في بطن فلان ، وقد قتل يوم أحد ، فأنزّل الله :  
 « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات .. إلى الحسنين » (٢) . ووقعت هذه  
 الزيادة في حديث أنس في « صحيح البخاري » ، ووقعت أيضاً في حديث البراء  
 عند الترمذي وصححه . ومن حديث ابن عباس عند الامام أحمد : لا حرمت  
 الخمر قال ناس : يارسول الله ! إن أصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها . وسنده  
 صحيح . وعند البزار من حديث جابر : إن الذي سأل عن ذلك هم اليهود .  
 قال ابو بكر الرازي في « احكام القرآن » : يستفاد تحريم الخمر من هذه  
 الآية من تسميتها رجساً ، وقد سمي به ما أجمع على تحريمه وهو لحم الخنزير ، ومن  
 قوله : « من عمل الشيطان » (١) لأن ما (٣) كان من عمل الشيطان حرم تناوله ، ومن  
 الأمر بالاجتناب وهو للوجوب ، وماوجب اجتنابه حرم تناوله ، ومن الفلاح المرتب  
 على الاجتناب ، ومن كون الشرب سبباً للمداوة والبغضاء للمؤمنين ، وتماطي مايقع  
 ذلك حرام ، ومن كونها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، ومن ختام الآية بقوله :  
 « فهل أنتم متبهون » (١) فانه استفهام معناه الردع والترجيح ، فلهذا قال عمر رضي  
 الله عنه لا سمها : انتهينا انتهينا . وأخرج الطبراني وابن مردويه ، وصححه الحاكم  
 من طريق طلحة بن مصرف ، عن سميد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما

(١) سورة المائدة ، الآية : ٩٠ (٢) سورة المائدة ، الآية : ٩٣ (٣) في الاصل : مها



قال : لما نزل تحريم الخمر مشى أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم الى بعض ، فقالوا : حرمت الخمر وجعلت عدلاً للشرك . قيل : يشير الى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر .. الآية » (١) فإن الأنصاب والأزلام من عمل المشركين بتزيين الشيطان فنسب العمل اليه . وقال أبو الليث السمرقندي : المعنى أنه لما نزل فيها : « إنه رجس من عمل الشيطان » (١) وأمر باجتنابها ، عادت قوله : « فاجتنبوا الرجس من الأوثان » (٢) وذكر أبو جعفر النحاس أن بعضهم استدل بتحريم الخمر بقوله تعالى : « إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق » (٣) . وقد قال تعالى في الخمر والميسر : « فيها إثم كبير ومنافع للناس » (٤) . فلما أخبر أن في الخمر إثمًا كبيراً ، ثم صرح بتحريم الخمر بذلك ، قال : وقول من قال : إن الخمر يسمى الاثم ، لم نجد له أصلاً في الحديث ، ولا في اللغة ، ولا دلالة أيضاً في قول الشاعر :

شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم يذهب بالعقول

فانه أطلق الاثم على الخمر مجازاً ، بمعنى أنه ينشأ عنها الاثم . واللغة الفصحى تأنيت الخمر ، وأثبت أبو حاتم السجستاني وابن قتيبة وغيرهما جواز التشديد . ويقال لها : الخمرة ، أثبتت فيها جماعة من أهل اللغة ، منهم الجوهري ، وصاحب « القاموس » وغيرهما ، وقال ابن مالك في « المثلث » : الخمرة هي الخمر في اللغة ، وهل سميت الخمر لاثمها تغطي العقل ، أي تخامره ، أي تخاطله ، أو لاثمها تخمر ، أي تغطي حتى تغلي ، أو لاثمها تخمر ، أي تدرك ، كما يقال للمعجين : اختمر ؟ أقوال . وقد قال عمر رضي الله عنه : الخمر ما خامر العقل - أي غطاه - أو خاطله . والعقل هو آلة التمييز ، فلذلك حرم ما غطاه أو غييره ؛ لأن بذلك يزول الإدراك الذي طلبه الله من عباده ليقوموا بحقوقه .

(٣) سورة الاعراف ، الآية : ٣٣

(١) سورة المائدة ، الآية : ٩٠

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢١٩

(٢) سورة الحج ، الآية : ٣٠

الثالث : الخمر يكون من العنب وغيره . وقد ثبت عن النبي ﷺ من عدة طرق أنه قال : « كل مسكر حرام ، وكل شراب أسكر فهو حرام » . كما في « الصحيحين » ، وغيرها ، وفيها من حديث ابن عمر رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام ؛ ومن شرب الخمر في الدنيا مات وهو يدمنها لم يتب ؛ لم يشربها في الآخرة » . وفيها من حديث ابن عمر رضي الله عنها أيضاً عن النبي ﷺ : « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام » ، وقد نقل كون الخمر من العنب وغيره عن الجمهور ؛ منهم عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وسعد بن أبي وقاص ، وابن عمر ، وأبو موسى ، وأبو هريرة ، وابن عباس ، وعائشة رضي الله عنهم ، ومن التابعين : ابن المسيب ، وعروة ، والحسن ، وسعيد ابن جبير ، وآخرون ، وهو قول مالك ، والأوزاعي ، والثوري وابن المبارك ، والشافعي ، وأحمد ، وإسحاق ، وعامة أهل الحديث ، خلافاً للكوفيين في زعمهم أن الخمر اسم لما يتخذ من عصير العنب خاصة . وقد ثبت في « الصحاح » ، و« السنن » ، و« المسانيد » ، وغيرها عن النبي ﷺ : أن كل ما أسكر فهو خمر . وقال ﷺ : « الخمر من هاتين الشجرتين : النخلة والعنب » ، رواه مسلم قال البيهقي : ليس المراد الحصر فهما ، لأنه ثبت أن الخمر يتخذ من غيرها في حديث عمر وغيره ، وفي البخاري : « قام عمر على المنبر فقال : أما بعد ، نزل تحريم الخمر وهي من خمسة : العنب والتمر والصل والحنطة والشعير . والخمر ما خامر العقل . وأخرج أصحاب « السنن » الأربعة ، وصححه ابن حبان ، عن الشعبي ، أن الثمان بن بشير قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الخمر من المصير والزبيب والتمر والحنطة والشعير والقدرة » ، وإني أنهاكم عن كل مسكر » . ورواه الامام أحمد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه بسند صحيح قال : « الخمر من العنب والتمر والصل والحنطة والشعير والقدرة » . قال صاحب « الهداية » من الحنفية : الخمر عندنا ما اعتصر من العنب إذا اشتد - قال -

وهو المعروف عند أهل اللغة وأهل العلم - قال - وقيل : هو اسم لكل مسكر ؛ لقوله ﷺ : « كل مسكر خمر ، وقوله : « الخمر من هاتين الشجرتين ، ولأنه من مخامرة العقل ، وذلك موجود في كل مسكر . وأجاب في « الفتح » بأن غير المتخذ من العنب يسمى خمرأ عند بعض أهل اللغة . وقال الخطابي : زعم قوم أن العرب لا تعرف الخمر إلا من العنب ، فيقال لهم : إن الصحابة الذين سماوا غير المتخذ من العنب خمرأ عرب فصحاء ، فلو لم يكن هذا الاسم صحيحاً لما أطلقوه . وقال ابن عبد البر : قال الكوفيون : الخمر من العنب ؛ لقوله تعالى : « أعصر خمرأ » (١) قالوا : فدل على أن الخمر هو ما يمتصر لا ما ينبذ - قال - ولا دليل فيه على الحصر . وقال أهل المدينة ، وسائر الحجازيين وأهل الحديث كلهم : كل مسكر خمر ، وحكمه حكم ما اتخذ من العنب . ومن الحجّة لهم أن القرآن لما نزل بتحريم الخمر ، فهم الصحابة - وهم أهل اللسان - أن كل شيء يسمى خمرأ يدخل في النهي ، فأراقوا المتخذ من التمر والرطب ، ولم يخصوا ذلك بالمتخذ من العنب . وعلى تقدير التسليم ؛ فإذا ثبت تسمية كل مسكر خمرأ من الشرع ؛ كان حقيقة شرعية ، وهي مقدمة على الحقيقة اللغوية .

قال ابن عبد البر ، بعد أن نقل عن العرب والصحابة والأحاديث : على أن كل ما خامر العقل يسمى خمرأ . وكذا القرطبي قال : إن الأحاديث الواردة عن أنس وغيره ، على صحتها وكثرتها تبطل مذهب الكوفيين القائلين : بأن الخمر لا يكون إلا من العنب ، وما كان من غيره لا يسمى خمرأ ، ولا يتناوله اسم الخمر - قال القرطبي - وهو قول مخالف للغة العرب وللسنة الصحيحة وللصحابة ؛ لأنهم لما نزل تحريم الخمر ، فهموا أن الأمر باجتناب الخمر تحريم كل مسكر ، ولم يفرقوا بين ما يتخذ من العنب ، وبين ما يتخذ من غيره ؛ بل سوا بينها ، وحرّموا ما يسمّى نوعه ، ولم يتوقفوا ولا استفصلوا ، ولم يشكّل عليهم شيء .

(١) سورة يوسف ، الآية ٣٦

من ذلك ؛ بل بادروا الى إتلاف ما كان من غير عصير العنب ، وم أهل اللسان ، وبلغتهم نزل القرآن ، فلو كان عندهم فيه تردد لتوقفوا عن الأراقة حتى يستكشفوا ويستفصلوا ويتحققوا التحريم ، أما كان تقرر عندهم من النبي عن إضاعة المال ، فلما لم يفعلوا ذلك وبادروا إلى الإتلاف ؛ علمنا أنهم فهموا التحريم نصاً . فصار القائل بالتفريق سالماً غير سبيلهم - قال - ثم انضاف إلى ذلك خطبة عمر بما يوافق ذلك ، وهو بمن جمل الله الحق على لسانه وقلبه ، وسمعه الصحابة وغيرهم ؛ فلم ينقل عن أحد منهم إنكار ذلك - قال - وإذا ثبت أن كل شيء أسكر يسمى خمرأ ؛ لزم تحريم قليله وكثيره ، وقد ثبتت الأحاديث الصحيحة في ذلك .

وأما ما تمسك به المخالف من الأحاديث عن بعض الصحابة ؛ فلا يصح منها شيء . على ما قاله عبد الله بن المبارك ، والامام أحمد وغيرهما . وعلى تقدير ثبوت شيء منها ، فمحمول على تقيح الزبيب أو التمر من قبل أن يدخل حديد الاسكار . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في « الفتاوى المصرية » : خمر العنب حرام باتفاق المسلمين قليله وكثيره ، فمن استحل شيئاً من ذلك يستتاب ، فان تاب وإلا قتل - قال - وأبو حنيفة يحرم نبيذ التمر والزبيب قليله وكثيره إذا كان مسكرأ ، وكذلك المطبوخ من عصير العنب الذي لم يذهب ثلثاه ، فانه يحرم عنده قليله وكثيره ، فهذه الأربعة يحرم عنده قليلها وكثيرها - قال - والذي عليه جماهير أئمة المسلمين : أن كل مسكر حرام ، وقد قال ﷺ ذلك ، واستفاضت الأحاديث بذلك . انتهى .

وقال المازري : أجمعوا على أن عصير العنب قبل أن يشتد حلال ، وعلى أنه إذا اشتد وعلى ، وقذف بالزبد ، حرم قليله وكثيره ، ثم لو تخلل بنفسه حل بالاجماع أيضاً ، فوقع النظر في تبدل هذه الأحكام عند هذه المتجددات ، فأشمر

ذلك بارتباط بعضها ببعض ، ودل على أن علة التحريم الاسكار ، فاقضى ذلك أن كل شراب وجد فيه الاسكار حرم تناول قليله وكثيره . انتهى .

وما ذكره استنباطاً ثبت التصريح به في بعض طرق الخبر ؛ فمند أبي داود والنسائي ، وصححه ابن حبان ، من حديث جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أسكر كثيرة فقليله حرام » ، وللنسائي من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده مثله ، وسنده الى عمرو صحيح ، ولأبي داود من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « كل مسكر حرام » ، وما أسكر منه الفرق فله الكف<sup>(١)</sup> منه حرام . ولابن حبان والطحاوي من حديث عامر بن سمد بن أبي وقاص ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ قال : « أنها كم عن قليل ما أسكر كثيره » . وقد اعترف الحافظ الطحاوي بصحة هذه الأحاديث ؛ لكن قال : اختلفوا في تأويل الحديث ، فقال بعضهم : أراد به جنس ما يسكر ، وقال بعضهم : أراد به ما يقع السكر عنده ، ويؤيده أن القتاتل لا يسمى قاتلاً حتى يقتل - قال - ويدل له حديث ابن عباس رضي الله عنها رفته : « حرمت الخمر قليلها وكثيرها ، والسكر من كل شراب » . قال الحافظ بن حجر في « الفتح » : وهذا حديث أخرجه النسائي ورجاه ثقات ؛ إلا أنه اختلف في وصله وانقطاعه ، وفي رفته ووقفه ، وعلى تقدير صحته ؛ فقد رجح الامام أحمد وغيره أن الرواية فيه بلفظ : والمسكر - بضم الميم وسكون السين المهملة - لا السكر - بضم فسكون أو بفتحين - وعلى تقدير ثبوتها . فهو حديث فرد ، ولفظه محتمل ، فكيف يمرض عموم تلك الأحاديث مع صحتها وكثرتها . وجاء أيضاً عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند الدارقطني ، وعن ابن عمر عند إسحاق والطبراني ، وعن خوات بن جبير عند الدارقطني والحاكم والطبراني ، وعن زيد بن ثابت عند الطبراني ، وفي أسانيدنا مقال ؛ لكنها تزيد الأحاديث قبلها

(١) في الاصل : الكفة ، والتصحيح من « سنن أبي داود » . والفرق : نوع من أنواع المكابيل .

قوة وشهرة . قال في الفتح : قال أبو المظفر بن السمعاني قال - وكان حنفياً  
فحول شافئياً :- ثبت الأخبار عن النبي ﷺ في تحريم المسكر ، ثم ساق  
كثيراً منها ، ثم قال : والأخبار في ذلك كثيرة ، ولا مسأخ لأحد في المدول  
عنها والقول بخلافها ؛ فإنها حجج قواطع - قال - وقد زل الكوفيون في هذا  
الباب ، ورووا أخباراً معلولة لا تعارض هذه الأخبار بحال ، ومن ظن أن رسول  
الله ﷺ شرب مسكراً ، فقد دخل في أمر عظيم ، وباء باثم كبير ، وإنما الذي  
شربه كان حلواً ولم يكن مسكراً . وقد روى ثمامة بن حزن القشيري ، أنه  
سأل عائشة عن النبيذ ، فدعت جارية حبشية فقالت : سل هذه ؛ فإنها كانت تنبذ  
لرسول الله ﷺ ، فقالت الحبشية : كنت أنبذ له في سقاء من الليل وأوكشه  
وأعلقه ، فإذا أصبح شرب منه . أخرجه مسلم . وروى الحسن البصري ، عن  
أمه ، عن عائشة نحوه ، ثم قال : فقياس النبيذ على الخمر بملء الاسكار والاطراب  
من أجل الأقيسة وأوضاعها ، والمفاسد التي توجد في الخمر توجد في النبيذ ، ثم  
قال ابن السمعاني : وعلى الجملة فالنصوص المصروفة بتحريم كل مسكر قلد أو  
كثر مغنية عن القياس . انتهى .

وقد قال عبد الله بن المبارك : لا يصح في حل النبيذ الذي يسكر  
كثيره عن الصحابة شيء ، ولا عن التابعين ، إلا عن إبراهيم النخعي - قال -  
وقد ثبت حديث عائشة : كل شراب أسكر فهو حرام ، وقد أسند أبو جعفر  
النحاس ، عن يحيى بن معين ، أن حديث عائشة : كل شراب أسكر فهو حرام ؛  
أصح شيء في الباب ، وفي هذا تمقب على من نقل عن ابن معين أنه قال : لا أصل  
له ، وقد ذكر الزيلعي في «تخريج أحاديث الهداية» وهو من أكثر الحنفية  
اطلاعاً : أنه لم يثبت في شيء من كتب الحديث ، نقل هذا عن ابن معين . انتهى .  
قال في الفتح : وكيف يتأتى القول بتضمينه مع وجود مخارجه

الصحيحة ثم مع كثرة طرقه ؟ حتى قال الامام أحمد : إنها جاءت عن عشرين صحابياً ، وأورد الكثير منها في « كتاب الأشربة » المفرد ، فمارواه فيه من حديث علي رضي الله عنه : اجتنبوا ما أسكر . رواه الامام أحمد ، وهو حديث حسن . وفي « الفتح » : أن الأحاديث الواردة في ذلك تزيد عن ثلاثين صحابياً ، وأكثرها عنهم جبار ، ومضمونها : أن المسكر لا يحل تناوله ؛ بل يجب اجتنابه . ويأتي ما رواه الامام أحمد رضي الله عنه ، عن عبد الله بن إدريس قال : سمعت المختار بن فلفل قال : سألت أنس بن مالك عن الشرب في الأوعية ، فقال : نهى رسول الله ﷺ عن المزفة وقال : كل مسكر حرام - قال - قلت له : صدقت ، السكر حرام ، فالشربة والشربتين على طعامنا ؟ قال : ما أسكر كثيره فقليله حرام . ويأتي شرحه إن شاء الله تعالى ، وسنده صحيح على شرط مسلم . فقد رد أنس الاحتمال الذي جنح إليه الطحاوي ، والصحابي أعرف بالمراد ممن تأخر بعده ، ولهذا قال عبد الله بن المبارك ما قال . وتقدم طرف من الكلام على النبيذ في شرح الحديث (١) الرابع من «مسند جابر رضي الله عنه» . وبالله التوفيق .

### الحديث الثامنون

١٢٥ - ثنا وكيع ، ثنا يزيد بن أبي صالح - وكان دباغاً ، وكان حسن الهيئة ، عنده أربعة أحاديث - سمعت أنس ابن مالك يقول : قال رسول الله ﷺ : يدخل ناس الجحيم ، حتى إذا كانوا حُمماً أخرجوا فأدخلوا الجنة ؛ فيقول أهل الجنة : هؤلاء الجهنميون .

(١) كلمة الحديث : سقطت من الاصل .

قال رضي الله عنه : ( ثنا ) أبو سفيان ( وكيع ) بن الجراح بن فليح  
الدوسي الكوفي الحافظ .

قال الامام أحمد : ما رأيت أوعى للعلم منه ولا أحفظ ، ولا رأيت معه  
كتاباً قط ولا رقمة . وقال ابن معين : ما رأيت أفضل منه ، كان يستقبل القبلة ،  
ويحفظ حديثه ، ويقوم الليل ، ويسرد الصوم ، ويقفي بقول أبي حنيفة . وقال  
الامام أحمد لِمباس الدوري : لو رأيت وكيعاً لملت أنك ما رأيت مثله . وقال  
إبراهيم الحربي : سمعت الامام أحمد بن حنبل ، وذكر وكيعاً ، فقال : ما رأيت  
عيناى مثله قط . وقال يحيى ابن أكثم : صحبت وكيعاً في السفر والحضر ،  
فكان يصوم الدهر ، ويحتم القرآن كل ليلة . وقال ابن جنادة : جالست وكيع  
ابن الجراح سبع سنين ، فما رأيت بزر ولا مس حصة ولا جلس مجلسه فتحرك ،  
وما رأيت إلا مستقبلاً القبلة ، وما رأيت يحلف بالله . وقال وكيع : زكاة الفطر  
لشهر رمضان كسجدة السهو للصلاة ، تجبر نقصان الصوم كما يجبر السجود  
نقصان الصلاة . وأغلظ رجل لو كيع ، فدخل بيتاً فعمّر وجهه في التراب ، ثم  
خرج الى الرجل فقال : زد وكيعاً بذنبه ، فلولا ما ساط عليه .

قال بعض المؤرخين : وكيع من قيس عيلان . وقيل : إن أصله من قرية  
من قرى نيسابور . سمع وكيع هشام بن عمر ، والأوزاعي وبقية وحامد بن سلمة  
والسفيانين ، مالكا وخلقاً . وروى عنه ابنه (١) : فليح وسفيان ، والامام أحمد بن حنبل  
وإسحاق بن راهويه ويحيى بن معين . وروى عنه أيضاً عبد الله بن المبارك وعلي  
ابن المديني والامام الشافعي ، وقال للشافعي : إني أرى الله قد أتى على قلبك نوراً ،  
فلا تطهته بظلمة المصيبة . وقيل : إن الذي قال ذلك للشافعي الامام مالك ، لما  
رأى من وفور فطنته وتوقد ذكائه وكال فهمه .

(١) في الاصل : بنوه ، وهو خطأ ، لانه ذكر اثنين .



وقال الشافعي رضي الله عنه :

شكوت الى وكيع سوء حفظي  
وقال اعلم بأن العلم نور  
فأرشدني إلى ترك المعاصي  
ونور الله لا يوتاه عاصي

مات وكيع رحمه الله ورضي عنه سنة ست وتسعين ومائة .

قال وكيع : ( ثنا يزيد بن أبي صالح ) قال الامام أحمد : ( وكان ) يزيد هذا ( دباعاً ، وكان حسن الهيئة ) أي الشكل والحالة . قال في « النهاية » : الهيئة صورة الشيء وشكله وحالته ، وقال في قوله ﷺ : « اقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود » : هم الذين لا يرفون بالشر ، فيزل أحدهم الزلة ، قال : ويريد به ذوي الهيئات الحسنة ، الذين يلزمون هيئة واحدة وسمناً واحداً ، ولا تختلف حالاتهم بالتنقل من هيئة إلى هيئة .

وقال ابن عقييل : المراد بهم الذين دامت طاعتهم وعداتهم ، فزلت في بعض الأحيان أقدامهم بورطة . وقال ابن القيم الظاهر أنهم ذوي الأقدار من الناس ، من الجاه والشرف والسؤدد ، فإن الله تعالى خصهم بنوع تكرم وتفضل على أبناء جنسهم ، فمن كان منهم مستوراً مشهوراً بالخير حتى كبا به جواده ، ونبا غضب صبره ، وأدبل عليه شيطانه ، فلا يتسارع إلى تأنيبه وعقوبته ؛ بل تقال عثرته ، ما لم يكن حداً من حدود الله ، فانه يتعين استيفاؤه من الشريف كما يتعين أخذه من الوضيع ، وأما أهل التقوى ؛ فما عبر عنهم النبي ﷺ بذوي الهيئات . انتهى ملخصاً ، والله أعلم . ( عنده ) أي عند يزيد هذا ( أربعة أحاديث ) هذا أحدها . قال : ( سمعت أنس بن مالك ) رضي الله عنه ( يقول : قال رسول الله ﷺ : يدخل ناس ) من هذه الأمة ( الجحيم ) وهو اسم لطبقة من طبقات جهنم ، وباب من أبوابها . والمشهور أن عصاة هذه الأمة في الطبقة الأولى . وتسمى : جهنم ، وهي أهون عذاباً من غيرها ، وسميت بذلك ؛ لانتها تعجهم في وجوه الرجال

والنساء ، فتأكل لحومهم ، والهاوية آخرها ، وهي أبدها قرماً ، والجحيم النار  
 الشديدة التاجج ، وكل نار بعضها فوق بعض كاللحمية ، ويضم ، وكل نار عظيمة  
 في مهواة ، والمكان الشديد الحر ( حتى إذا كانوا ) أي صاروا بمد دخولهم  
 النار فيها ( حمماً ) - يضم الحاء المهلة وفتح الميم - جمع حممة ، وهي الفحمة  
 ( أخرجوا ) من النار بالشفاعة ، أو برحمة أرحم الراحمين ( فأدخلوا الجنة ) فقد أخرج  
 هناد من طريق جوبير ، عن الضحاك ، عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما ،  
 عن النبي ﷺ قال : « إن جهنم بايين ، أحدها يسمى الجوانية والآخر يسمى  
 البرانية ، فأما الجوانية فالتى لا يخرج منها أحد ، وأما البرانية فالتى يمدب الله فيها  
 أهل الذنوب من أهل الإيمان ما شاء الله أن يمدبهم ، ثم يأذن الله للملائكة  
 والرسل والأنبياء ولمن شاء من عباده الصالحين ، فيشفعون فيخرجون منها وهم  
 فحم ، فيلقون على شاطئ نهر في الجنة يسمى نهر الحيوان ، فينضح عليهم ،  
 فينبتون كما تنبت الحبة في الخيل ، فاذا استوت أجسادهم قيل : ادخلوا النهر .  
 فيدخلون فيشربون منه ويمتلون فيخرجون ، فيقال لهم : ادخلوا الجنة ( فيقول  
 أهل الجنة : هؤلاء الجهنميون ) ، لبقية أثر في أجسامهم .

فقد أخرج الطبراني في « الأوسط » عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه  
 قال : قال ﷺ : « يخرج قوم من النار فيسمون في الجنة الجهنميين ، فيدعون  
 الله أن يحول عنهم ذلك الاسم ، فيمحوه الله عنهم ، فاذا أخرجوا من النار نبتوا  
 كما ينبت الريش . »

وفي « الصحيحين » من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في مناشدة  
 المؤمنين الله تعالى في إخوانهم المذنبين من المؤمنين إذا رأوا أنهم قد نجوا فيقولون :  
 ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون ، فيقال لهم : أخرجوا من عرقم ، فتحرم  
 صورهم على النار ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبته ،

ثم يقولون : ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به . فيقال : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ؛ ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا ، ثم يقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم مثقال ذرة من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها خيراً . وكان أبو سعيد يقول : إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا إن شئتم : إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ، ويؤت الله من لده أجرًا عظيمًا ، (١) — فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار لم يعملوا خيراً قط ، قد طادوا حملاً ، فيلقيمهم في نهر ؛ في أفواه الجنة يقال له : نهر الحياة ، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ، الأترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ؟ ما تكون إلى الشمس أصفر وأخضر ، وما يكون منها إلى الظل ؛ يكون أبيض . فيخرجون كاللؤلؤ ، في رقابهم الخواتيم ، يرفهم أهل الجنة ، هؤلاء عتقاء الله ؛ الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ، ولا خير قدموه ... الحديث ، والمراد لم يعملوا خيراً قط من العمل ؛ إلا أنهم موحدون ، فأصل التوحيد في قلوبهم .

وفي البخاري ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال **ﷺ** : «حق إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار ؛ أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يبعد الله ، فيخرجونهم فيعرفونهم بآثار السجود ، وحرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار ، وقد امتحشوا بضم التاء وكسر الحاء المهملة بمدّها شين مججمة — أي احترقوا ، فيصب عليهم ماء الحياة ، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ... الحديث » .

(١) سورة النساء ، الآية : ٤٠

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في «الصحيحين» وغيرها ، في حديث الشفاعة الطويل ، وفيه فأقول : « يارب ! أمي أمي ، فيقول : انطلق ، فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان ؛ فأخرجه منها ، فأنتقل فأفعل ، ثم أجمع إلى ربي فأحمده بتلك الهامد ، ثم أخرج له ساجداً . فيقال لي : يا محمد ! ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يارب ! أمي أمي ، فيقال : انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ؛ فأخرجه منها ، فأنتقل فأفعل ، ثم أعود إلى ربي . وفيه فيقال لي : انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان ؛ فأخرجه من النار ، فأنتقل فأفعل ، وفيه : قال الحسن البصري : قال أنس رضي الله عنه : قال النبي ﷺ : « ثم أرجع إلى ربي في الرابعة ، وأحمده بتلك الهامد ، ثم أخرج ساجداً ؛ فيقال : يا محمد ! ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يارب ! أتذن لي فيمن قال : لا إله إلا الله ، قال : ليس ذلك لك ، أو قال : ليس ذلك إليك ؛ ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال : لا إله إلا الله . »

وفي «البخاري» ، من حديثه مرفوعاً : « يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن برقة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرّة ، وفي حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنها عند مسلم : « يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ؛ وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، فيجملون بفتاء الجنة ، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء ؛ حتى ينبتوا نبات الشبث في السيل ، ويذهب حرقه ، ثم يسأل حتى تجعل له الدنيا وعشرة أمثالها ، ورواه الترمذي ولفظه : قال : قال رسول الله

ﷺ : « يدب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حمماً ، ثم تدر كهم الرحمة فيخرجون فيطرحون على أبواب الجنة - قال - فيرش عليهم أهل الجنة الماء ، فينبتون كما ينبت القثاء في حمالة السيل ، ثم يدخلون الجنة ، .  
وفي « صحيح مسلم » من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال :  
قال رسول الله ﷺ : « أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ؛ ولكن ناس أصابهم النار بذنوبهم ، أو قال : بخطاياهم ، فأماهم الله إمامة ، حتى إذا كانوا لحماً أذن في الشفاعة ، فجيء بهم ضبائر ضبائر بضاد معجمة فباء موحدة فألف بمدها همزة فراء - أي جماعات في تفرقة ، جمع ضبارة ، مثل عمارة وعمائر ، وكل مجتمع ضبارة . فبنوا على أنهار الجنة ، ثم قيل : يا أهل الجنة ! أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الجنة في حميل السيل ، .

وفي « صحيح مسلم » أيضاً من حديث جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن قوماً يخرجون من النار يحترقون فيها ؛ إلا دارات وجوههم ، حتى يدخلون الجنة ، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً .

### تنبيهان

الأول : اتفق أهل السنة والجماعة على أن النار لا يخلد فيها أحد من أهل الإيمان والتوحيد ، كما ثبت ذلك في الأحاديث ؛ أنه يخرج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، ونحوه ؛ لكن لا بد أن يدخل النار من أهل التوحيد طائفة بذنوبهم ، وبقبول على مقدار ذنوبهم ، ثم يخرجون بشفاعة النبي ﷺ أو غيره ، أو برحمة أرحم الراحمين .

هذا قول أهل الحق ، فإذا ارتكب المؤمن كبيرة من الذنوب غير

مكفرة بلا استحلال ، ومات بلا توبة ؛ فهو في مشيئة الله تعالى ، فلا يقطع له بالمغو ولا بالمقاب ، وعلى تقدير وقوع العذاب عدلاً منه سبحانه ، يقطع له بدم الخلود في النار ، بل لا بد وأن يخرج منها بمقتضى ماسبق من وعده الذي لا يخلفه .  
 وأما أهل البدع فلهم أقوال مضطربة باطلة ، وآراء مختلفة عاطلة ، فجمهور المعتزلة والخوارج يقولون : من دخل النار يخلد فيها .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه « شرح الايمان » : ينبغي أن يعرف أن القول الذي لم يوافق الخوارج والمعتزلة عليه أحد من أهل السنة ، هو القول بتخليد أهل الكبار في النار ، فإن هذا القول من البدع المشهورة — قال — وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين على أنه لا يخلد في النار أحد ممن في قلبه مثقال ذرة من إيمان — قال — وحديث : لا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان . هو نفي الدخول المطلق الذي توعد به القرآن توعداً مطلقاً ، وهو دخول الخلود فيها ؛ وأنه لا يخرج منها لا بشفاعة ولا غيرها ، مثل قوله تعالى : « لا يصلاحها إلا الأشقي » (١) . وقوله : « سيدخلون جهنم داخرين » (٢) . فمن في قلبه ذرة من إيمان يمنع من هذا الدخول المعروف ، لا أنه لا يصيبه شيء من عذاب النار ؛ لأنه يقول : أخرجوا من في قلبه مثقال ذرة من إيمان . وكذا قوله **ﷺ** : « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر » . ففي الدخول المطلق المعروف ، وهو دخول المؤمنين الذين أعدت لهم الجنة ، كقوله : « وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً ... الآية » (٣) والمراد الدخول ابتداءً من غير عذاب في النار ، بحيث لا يفهم من ذلك أنهم يمدبون ، فهذا الدخول لا يناله من في قلبه مثقال ذرة من كبر . فهذه الأحاديث

(٣) سورة الزمر ، الآية : ٧٣

(١) سورة الليل ، الآية : ١٥

(٢) سورة غافر ، الآية : ٦٠

مبين فيها سبب دخول الجنة من العمل الصالح ، وسبب دخول النار كالكبر ، فإن وجد من العبد أحد السبعين فقط فهو من أهله ، وإن وجدا معاً استحق الجنة والنار ، فالذي معه كبر وإيمان ؛ يستحق النار فيمذب حتى يزول الكبر من قلبه ، وحينئذ يدخل الجنة ، وكذا الوتاب منه أو عفا الله عنه ، فلا يقطع له بالعذاب ، وقالت المعتزلة : يقطع لكل مرتكب كبيرة من الذنوب إذا لم يتب بالعذاب الدائم والبقاء الخلد في النار ؛ لكنه يمدب فيها عندهم عذاب الفساق لا عذاب الكفار ، بناء على قاعده مذهبهم : من أن الكبيرة تخرج العبد من الإيمان ولا تدخله في الكفر وهذا المراد عندهم بثبوت المنزلة بين المنزلتين ، فهو عندهم لا مؤمن ولا كافر (١) ، وأما الخوارج فالكبيرة عندهم تخرج العبد من الإيمان وتدخله الكفر ، فيمذب عذاب الكفار ، وكلا المذهبين باطل ، والحق ما عليه أهل السنة ، من أن مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بمصيته ، فلا نسلبه مطلق الإيمان كما لا تمنحه الإيمان المطلق ، بل إيمانه ناقص أفسقه ، فإن تاب قبل الموت قبلت توبته ، وإلا فأمره مفوض لربه ، فإن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له . وبالله التوفيق .

فروع : رتب بعض العلماء على وجوب عذاب طائفة من عصاة هذه الأمة منع سؤال المغفرة لجميع المسلمين لمناقاته لذلك ، وهذا إنما يظهر إذا قصد التعميم لجميع الأمة ، وأن تكون مغفرة (٢) كل ذنب لكل واحد غفراناً أولاً ، من غير أن يمس أحداً عذاب ، وإلا فلا يظهر ، لجواز تخصيص المغفرة ببعض فرق الأمة ، أو شمولها لمن مسه العذاب ثم غفر له ، وهذا يبين ظاهر ، وقد أفتيت به على هذا المنوال . والله تعالى أعلم .

الثاني : شفاعة النبي ﷺ حق ، وكذا شفاعة غيره من النبيين والمرسلين والملائكة المقربين والعلماء العاملين وعباد الله الصالحين ، كل واحد على قدر

(٢) في الاصل : المغفرة ، وهو خطأ .

(١) في الاصل : كفار

منزلة ومحسب فضيلته ودرجته عنده ، وقد وردت بها الأخبار ، وصحت بها الآثار ، واستفاضت بها الأحاديث وانتشرت واشتهرت حتى بلغت التواتر ، وانقصد على ثبوتها للنبي ﷺ إجماع السلف الصالح قبل ظهور أهل البدع وفرق الضلال .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه « شرح الإيمان » : اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر الأئمة المسلمين ، على أن نبينا ﷺ يشفع فيمن يأذن الله له بالشفاعة فيه من أهل الكبار من أمته ، في « الصحيحين » وغيرها ، من حديث أبي هريرة وأنس وغيرهما رضي الله عنهم ، أن النبي ﷺ قال : « لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته ، وخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة . فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً » . وفي أبي داود والترمذي من حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « شفاعة لأهل الكبار من أمتي » . قال الترمذي : حديث حسن صحيح . وفي « صحيح مسلم » عن زيد بن صهيب قال : كنت قد شففتي رأي من رأي الخوارج ، فخرجنا في عصابة ذوي عدد زيد الحج ، ثم نخرج على الناس . قال -- فررنا على المدينة ، فاذا جابر بن عبدالله جالس على سارية يحدث عن رسول الله ﷺ ، فاذا هو قد ذكر الجهنميين ، فقلت : يا صاحب رسول الله ! ما هذا الذي تحدثوننا ؟ والله تعالى يقول : « إنك من تدخل النار فقد أخزيته » (١) و « كما أرادوا أن يخرجوا منها أعيديها فيها » (٢) ، فما هذا الذي تقولون ؟ قال : أتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم . قال : فاقرا ما قبله ، إنه في الكفار . قال : فهل سمعت مقام محمد الذي يسمه الله فيه ؟ قلت : نعم . قال : فانه مقام محمد ﷺ الممود الذي يخرج الله به من يخرج ، ثم نمت وضع الصراط ومرر الناس عليه -- قال -- وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك قال -- غير أنه قد زعم أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها -- قال يعني فيخرجون

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٩٢ (٢) سورة السجدة ، الآية : ٢٠



كانهم عيدان الساسم قال - فيدخلون نهراً من أنهار الجنة فيقتلون فيه ،  
فيخرجون كأنهم القراطيس - قال - فرجنا ، قلنا ، ويحك ! آرون هذا  
الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ ؟ فرجنا ، فلا والله ما خرج غير رجل واحد .  
قوله : كأنهم عيدان الساسم ، هو جمع سمس ، وعيدانه تراها إذا قلت وتركت  
ليأخذ حبها سوداً رفاقاً كأنها محترقة . شبه هؤلاء الذين يخرجون من  
النار بها .

واعلم أن التي تنكرها المبتدعة من الخوارج والمعتزلة من شفاعته ﷺ  
إنما هي الشفاعة فيمن استحق النار من عصاة المؤمنين أن لا يدخلها ، وفيمن دخلها  
أن يخرج منها ، فهي التي تكذب بها المعتزلة والخوارج ، لا مطلق الشفاعة .  
وقد أخرج البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب فقال : إنه  
سيكون في هذه الأمة قوم يكذبون بالرجم وبالذجال ، ويكذبون بطلوع الشمس  
من مغربها ، ويكذبون بمذاب القبر ، ويكذبون بالشفاعة ، ويكذبون بقوم  
يخرجون من النار بعد ما امتحشوا .

وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي وهناد ، عن أنس رضي الله عنه قال :  
من كذب بالشفاعة فلانصيب له فيها ، ومن كذب بالحوض فليس له فيه نصيب .  
وأخرج البيهقي عن أنس أيضاً : أنه قيل له : إن قوماً يكذبون بالشفاعة ، قال :  
لا تجالسوا أولئك . وأخرج عن أنس أيضاً قال : يخرج قوم من النار ، ولا  
تكذب بها كما يكذب بها أهل حروراء ، يعني الخوارج .

وأخرج البيهقي أيضاً ؛ عن شبيب بن أبي فضالة المسي قال : ذكروا عند  
عمران بن حصين رضي الله عنه الشفاعة فقال رجل : يا أبا مجيد ! إنكم لتحدثونا  
أحاديث لم نجد لها أصلاً في القرآن ؛ فنضب عمران وقال للرجل : أقرأت القرآن ؟  
قال : نعم . قال : فهل وجدت صلاة المشاء أربعاً وصلاة المغرب ثلاثاً ؟

والغداة ركعتين ، والظهر أربعاً ، والمصر أربعاً قال : لا . قال : فمن أخذتم هذا؟ أستم  
عنا أخذتموه ، وأخذناه عن نبي الله ﷺ ؟ وفي كل أربعين درهماً درم ، وفي كل  
كذا شاة ، وفي كل كذا بمير كذا ، أوجدتم في القرآن هذا ؟ قال : لا . قال :  
ووجدتم في القرآن : « واطلوا فوالبيت الصديق » (١) أوجدتم : طوفوا سبماً  
واركعوا ركعتين خلف المقام ؟ أوجدتم هذا في القرآن ؟ عن أخذتموه ؟ أستم  
أخذتموه عنا ، وأخذناه عن رسول الله ﷺ ؟ قالوا : بلى . قال : أوجدتم في  
القرآن : لا جلب ولا جنب ولا شغار في الإسلام ؟ قالوا : لا . قال : فان الله  
قال في كتابه : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانها » (٢) وإن أقد أخذنا  
عن نبي الله ﷺ أشياء لم يكن لكم بها علم .

وأخرج مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ تلا قول  
إبراهيم « رب إنهن أضللن كثيراً من الناس ، فمن تبني فإنه مني ، ومن عصاني  
فإنك غفور رحيم » (٣) وقول عيسى : « إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تنفر لهم فإنك  
أنت العزيز الحكيم » (٤) فرفع يديه وقال : « أمي أمي ! ثم بكى ، فقال الله تعالى :  
يا جبريل ! اذهب إلى محمد فقل له : إنا سنرضيك في أمك ولا نسوءك .

وفي البزار و « أوسط الطبراني » ، وأبي نعيم بسند حسن ، عن علي رضي  
الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « أشفع لأمتي حتى ينادي ربي تبارك وتعالى :  
أرضيت يا محمد ؟ فأقول : أي رب ! أرضيت .

وأخرج الامام أحمد والطبراني والبيهقي بسند صحيح ، عن ابن عمر رضي  
الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل

(٣) سورة إبراهيم ، الآية : ٣٦

(١) سورة الحج ، الآية : ٢٩

(٤) سورة المائدة ، الآية : ١١٨

(٢) سورة الحشر ، الآية : ٧

نصف أمي الجنة ، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفاً ، أو ترونها للمتقين ؟  
ولكنها للمذنبين الخطأين المتلويين .»

وأخرج الامام أحمد والطبراني أيضاً ، بسند لا بأس به ، عن عبادة ابن  
الصامت رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إن الله قال : يا محمد ! إنني لم  
أبعث نبياً ولا رسولاً إلا وقد سأني مسألة أعطيها ، فسل يا محمد تمط . فقلت :  
مسألتني شفاعة لأمتي يوم القيامة . فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله !  
وما الشفاعة ؟ قال : أقول : يا رب ! شفاعتي التي اختبأت عندك ، فيقول الرب :  
نعم . فيخرج ربي بقية أمتي من النار فيدخلهم الجنة .»

وفي « الصحيحين » عن جابر بن عبد الله رضي الله عنها قال : سمعت رسول  
الله ﷺ يقول : « إن الله يخرج قوماً من النار بالشفاعة فيدخلهم الجنة » ،  
والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً ، فلا معنى لانكار الشفاعة إلا بمجرد آراء  
ضالة وشقاوة سابقة . نسأل الله تعالى العافية ، وأن يمن علينا بالتوفيق والهداية ،  
وأن يمافيني من الخذلان والنباوة ، وأن يرزقنا شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه  
وعلى آله وصحبه وسلم .

### الحديث الحادي والثمانون

١٢٦ - ثنا وكيع ، ثنا مصعب بن سليم قال : سمعت  
أنس بن مالك يقول : أهل رسول صلى الله عليه وسلم  
بحجة وعمرة .

قال رضي الله عنه : ( ثنا وكيع ) بن الجراح قال : ( ثنا مصعب ) - بفتح الميم وسكون الصاد وفتح العين المهملتين - ( ابن سليم ) - بضم المهملة مصغراً - ( قال : سمعت أنس بن مالك ) رضي الله عنه ( يقول : أهل رسول الله ﷺ ) لما حج حجة الوداع ( بحجة وعمرة ) معاً ، أي أحرم بها ، يعني قرن بين الحج والعمرة ، فأهل قارنا . ولفظ «الصحيحين» : عن بكر بن عبد الله ، عن أنس قال : سمعت رسول الله ﷺ يلبي بالحج والعمرة جميعاً ، قال بكر : فحدثت بذلك ابن عمر فقال : لبي بالحج وحده ، فلقيت أنسا فحدثته بقول ابن عمر ، فقال أنس : ما تمدونا إلا صبيانا ؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لبيك عمرة وحجاً » والاهلال: رفع الصوت بالتلبية ، يقال : أهل المحرم بالحج يهل إهلالاً ، إذا لبي ورفع صوته .

وفي «الصحيح» ، أن النبي ﷺ قرن . وروي أنه قال : « لبيك حجاً وعمرة » ، وقال ﷺ : « أنا في آت في وادي المقيم ، قال : قل : عمرة في حجة » ، قال الامام أحمد رضي الله عنه : لا أشك أن النبي ﷺ كان قارناً ، والتمتع أحب إلي . أي لمن لم يسق الهدى ، فإنه لا يختلف قوله رضي الله عنه : إن من جمع الحج والعمرة في سفرة واحدة ، وقدم في أشهر الحج ولم يسق الهدى ، إن هذا التمتع أفضل له ، بل هو المسنون ، لأمر النبي ﷺ أصحابه بذلك . وأما من ساق الهدى فالقران أفضل له ، وأما من أفردهما بسفرتين ، أو اعتمر قبل أشهر الحج وأقام إلى الحج؛ فهذا أفضل من التمتع . والحاصل أن النبي ﷺ حج قارناً؛ كما نصح عليه الامام أحمد ، وهو قول إسحق بن راهويه وغيره من حذاق أئمة الحديث .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في «مختصر الفتاوى المصرية» : وهو الصواب . وقيل : إنه أحرم ﷺ متمتاً ، بمعنى أنه أحرم بالعمرة ولم يهل لسوقه الهدى ،

وأحرم بالحج بعد أن طاف وسمى للعمرة . وهي طريقة الامام الموفق وغيره من علمائنا ، وقد يسمون هذا قارناً .

وقال الشافعي رضي الله عنه : أحرم ﷺ مفرداً ، وقال تارة : إنه ﷺ تمتع ، وقال تارة أخرى : إنه أحرم مطلقاً ، وأخذ بقول من نوى الافراد كعائشة وجابر وابن عمر رضي الله عنهم . وقد أطلنا الكلام على ذلك في شرح للمدة ، فراجعه إن شئت .

### تنبيهات

الاول : اختلف العلماء في القارن ؛ هل يطوف طوافين ويسمى سمين ، أم يكفيه طواف واحد وسمي واحد ؟ فعند الثلاثة ليس عليه إلا طواف واحد وسمي واحد ، وعمل العمرة دخل في الحج كما يدخل الوضوء في الفسل ؛ لأن الأحاديث الصحيحة الصريحة تبين أنه ﷺ لم يطف ولم يسمع إلا طوافاً واحداً وسمياً واحداً ، ومذهب أبي حنيفة : أنه يطوف ويسمى للعمرة أولاً ، ثم يطوف ويسمى للحج ثانياً ، وإذا فعل محظوراً فمليه فديتان . وقد روي مثل هذا عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما . وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة ، وإذا دخلت لم يمتجج إلى عمل زائد ، وقد تقدم هذا .

الثاني : يلزم القارن دم نسك إذا لم يكن من حاضري المسجد الحرام بطلوع فجر يوم النحر ، ولا يسقط بفساد نسكه كدم التمتع ، ولا بفواته .

الثالث : اعم أن الحاج مخير بين التمتع والافراد والقران وفاقا ، وقد ذكره جماعة إجماعاً . نعم استثنى أبو حنيفة المكي فقال : لا يصح في حقه التمتع والقران ، ويكره له فملها ، فإن فملها لزمه دم . انتهى .

وأفضل الثلاثة عند الامام أحمد التمتع ، فالافراد ، فالقران . قال الامام أحمد : نختار التمتع ؛ لأنه آخر ما أمر به النبي ﷺ ، وهو يعمل لكل واحد منها عملاً على حدة . وقال أبو داود : سمعت الامام أحمد يقول : التمتع أفضل . وقال الامام

أحمد : العمرة كانت آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ، وقد ذكرنا أدلة رجحان ذلك في « شرح العمدة » والله تعالى الموفق .

وقال أبو حنيفة : الأفضل القران للأفاقي ثم الافراد . وقال مالك والشافعي : الأفضل الافراد ثم التمتع .

الرابع : صفة التمتع : أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج من الميقات ، فإذا فرغ منها ولم يكن معه هدي أقام عكة -حلالاً- حتى يحرم بالحج من مكة يوم التروية من عامه ذلك . وصفة القران : أن يحرم بالحج والعمرة معاً من الميقات ، أو يهمل بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل الطواف ، ثم يقتصر على أفعال الحج ، وتندرج فيه أفعال العمرة عند الثلاثة . وأما أبو حنيفة فسنده لا تتداخل أفعال العمرة في أفعال الحج ؛ بل يقدم العمرة ثم يتبها أفعال الحج .

وصفة الافراد أن يحرم بالحج ، فإذا فرغ منه خرج إلى أدنى الحل فأحرم بالعمرة وفعل أفعالها . والله أعلم .

### الحديث الثاني والثانون

١٢٧ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، يزيد قال :

أبناؤه حميد المعنى ، عن أنس بن مالك قال : نودي بالصلاة

فقام كل قريب الدار ، فأتى رسول الله ﷺ بمخضب من

حجارة ، فصفر أن يبسط كفه فيه . قال : فضم أصابعه فيه .

قال : فتوضأ بقيتهم . قال حميد : وسئل أنس : كم كانوا ؟ قال :

ثمانين أو زيادة .

قال رضي الله عنه : ( ثنا ) محمد ( بن أبي عدي ، عن حميد ) الطويل ، قال الامام أحمد : ( و ) حدثنا ( يزيد ) يعني ابن هارون ( قال ) يزيد ( أنبأناه حميد ) الطويل ( المني ، عن أنس بن مالك ) رضي الله عنه ( قال : نودي بالصلاة ) أي صلاة العصر كما في « الصحيحين » ، عن أنس قال : رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر ( فقام كل قريب الدار ) من الصحابة مبادراً لاجابة النداء ، فتوضأ في أهله ، وبقي قوم عند رسول الله ﷺ ، فأتي بضم الهزئة ، على البناء للمفعول ( رسول الله ﷺ بمخضب ) - بكسر الميم ، وسكون الخاء وفتح الصاد المجتمين فوحدة ، مثل منبر - شبه الاجانة ، وهي القصرية يفضل فيها الثياب ، قال أبو حاتم : وهو المكن ( من حجارة ، فصخر ) - بفتح الصاد المهملة وضم النون المعجمة - أي صخر المخضب ( أن يبسط ) النبي ﷺ ( كفه ) وفي لفظ : يده ( فيه ) لصفه ، فدل على أن المخضب يطلق على الصغير والكبير ، كما جاء : وأجلسوني في مخضب . وبين في « الصحيحين » وغيرها أن ذلك كان بالزوراء ، وهو سوق المدينة . وفي « الصحيحين » من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دعا بقاء فأني بقدر حراح ، أي واسع ، وقيل : القريب القمر ، القصير الجوانب . وفي « الصحيحين » عنه أيضاً قال : رأيت النبي ﷺ وحانت صلاة العصر ، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه ، فأني رسول الله ﷺ بوضوء ، فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الاناء يده ( قال ) أنس رضي الله عنه : ( فضم ) رسول الله ﷺ ( أصابعه ) التريفة ( فيه ) أي في ذلك المخضب لضيقه ، فلم يسمع أصابع النبي ﷺ وهي مبسوطة لصفه فضمها فيه ، قال أنس كما في « الصحيحين » وغيرها : فجعلت أنظر الماء ينبع من بين أصابعه ، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه . وفي لفظ : فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه . ( قال : فتوضأ بقيتهم ) أي بقية الناس ممن لم تكن دورهم قريبة ، فبقوا

عند النبي ﷺ - قال - فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم (قال حميد: وسئل أنس) رضي الله عنه : (كم كانوا ؟) بمني الذين توضؤوا من ذلك الخضب (قال : ) كانوا (ثمانين) رجلاً (أو زيادة) على الثمانين . وفي رواية في «الصحيحين» فحزرت ما بين الستين الى الثمانين ، وفيها من حديث أنس رضي الله عنه : أن النبي ﷺ وأصحابه بالزوراء - قال - والزوراء بالمدينة عند السوق ، دعا بقدر فيه ماء فوضع كفه فيه ، فجعل ينبع بين أصابعه ، فتوضأ جميع أصحابه - قال - قلت : كم كانوا يا أبا حمزة ؟ قال : كانوا زهاء ثلاثمائة وفي لفظ : فأني بابا بماء لا يضر أصابعه ، أو قدر ما يضر أصابعه . وأما حديث جابر رضي الله عنه قال : «قد رأيتني مع النبي ﷺ ، وقد حضرت المصير ، وليس معنا ماء غير فضلة ، فجعل في إناء ، فأني النبي ﷺ به ، فأدخل يده فيه وفرج أصابعه ثم قال : حي على الوضوء لبركة من الله ، فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه ، فتوضأ الناس وشربوا ، فجلت لا آلو ما جلعت في بطني منه ، فجلت أنه بركة .

قال أبو الحمد : قلت لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : ألفاً وأربعمائة . وفي رواية : خمس عشرة مائة . فهذه كانت في السادسة في غزوة الحديبية ، فهي غير التي حدث عنها أنس ، وكذا قصة كون الصحابة ثلثمائة أو أكثر ، وكونهم ما بين الستين الى الثمانين ، الظاهر أنها قصتان ، ويحتمل كونها قصة واحدة ولا مفهوم للمدد .

وفي «صحيح البخاري» عن جابر رضي الله عنه قال : عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة ، فتوضأ فحش الناس نحوه ، قال : ما لكم ؟ قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك ، فوضع يده في



الركوة ؛ فجعل الماء يثور من أصابعه كأشغال العيون ، فشربنا وتوضأنا . قال الراوي : قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشر مائة . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً .

واعلم أن نبع الماء من بين أصابع خاتم النبيين وإمام المرسلين تكرر مراراً متعددة ، وورد بطرق متباينة صحيحة ، يفيد مجموعها علماً قطعياً من التواتر المنوي . فروي من حديث أنس وجابر وسلمة بن الأكوع وابن عباس وابن مسعود وأبي قتادة وغيرهم رضي الله عنهم .

تفسيه : اختلف العلماء في الماء الذي نبع من بين أصابعه ؛ هل كان من بين اللحم والدم ، أم بركة حصلت من الله تعالى في الماء ؟ قال الامام الحق ابن القيم في « زاد المعاد في هدي خير العباد » ، هي بركة من الله حلت بوضعه ﷺ أصابعه الشريفة فيه ، فجعل يفور ويخرج من بين أصابعه ، لأنه يخرج من نفس اللحم والدم كما ظنه بعض الجهال . انتهى .

وقال غيره : بل هو إجماد ممدوم ، وإنما نبع الماء من بين أصابعه حقيقة لا أنه تكثير موجود .

قال القرطبي : قصة نبع الماء من بين أصابعه قد تكررت منه ﷺ في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ، ووردت من طرق كثيرة ؛ يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المنوي - قال - ولم يسمع بمثل هذه المعجزة من غير نبينا ﷺ ؛ حيث نبع الماء من بين عظمه ولحمه وعصبه ودمه . وربما فهم مثل هذا من كلام الصرصري وغيره ، كابن الجوزي ، وهو المشهور على ألسنة الناس وبالله التوفيق .

## الحديث الثالث والثمانون

١٢٨ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنسٍ أن  
 بني سلمة أرادوا أن يتحولوا من مساكنهم فيسكنوا قرب  
 المسجد ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فكره أن تمرى المدينة  
 فقال : يا بني سلمة ! ألا تحسبون آثاركم إلى المسجد ؟ قالوا :  
 بلى فأقاموا .

قال رضي الله عنه : ( ثنا ) محمد ( بن أبي عدي ، عن حميد ) الطويل  
 ( عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( أن بني سلمة ) - بكسر الهمزة - وهو  
 بطن كبير من الأنصار ؛ ثم الخزرج ( أرادوا أن يتحولوا من مساكنهم ) التي  
 يسكنونها وبيوتهم التي ائتموها ؛ لبعدها عن مسجد النبي ﷺ ( فيسكنوا  
 قرب المسجد ) حرصاً منهم على المبادرة لادراك الصلوات في مسجده ﷺ خلفه  
 ( فبلغ ذلك ) أي إرادتهم التحول من مساكنهم ليسكنوا قرب المسجد  
 ( رسول الله ﷺ ) بالنصب على المفعولية ( فكره ) عليه الصلاة والسلام ( أن  
 تمرى ) بفتح المثناة وسكون العين المهملة ( المدينة ) أي تحلى ، يعني  
 أن تترك جوانب المدينة خالية . يقال : أعراه إذا أخلاه ، والعراء :  
 الأرض الخالية ، وقيل الواسعة ، وقيل : المكان الذي لا يستتر فيه  
 بشيء ، ونبه بهذه الكراهة على السبب في منعه من القرب من المسجد لتبقى  
 جهات المدينة عامرة بساكنيها ( فقال ) ( رسول الله ﷺ ) ( يا بني سلمة ! ألا

تحتسبون) بأداة التحضيض ، أي ألا تمدون (آثاركم) أي خطاكم عند مشيكم  
(إلى المسجد) ! فإن لكل خطوة ثواباً . والاحتساب وإن كان أصله المد ؛ لكنه  
يستعمل غالباً في معنى طلب تحصيل الثواب بنية خالصة .

وفي « صحيح مسلم والبخاري » وغيرها ، من حديث جابر بن عبد الله  
رضي الله عنها قال : كانت ديارنا بعيدة عن المسجد ، فأردنا أن نبتاع بيوتنا  
فنقرب من المسجد ، فنهانا رسول الله ﷺ وقال : « إن لكم بكل خطوة درجة »  
وفي رواية من حديث جابر : أرادوا أن يقربوا من أجل الصلاة . وعند ابن  
مردويه ، عن جابر رضي الله عنه قال : كانت منازلنا بسلع ، ولا يمرض هذا  
مافي حديث الاستقاء : وما بيننا وبين سلع من دار ، لاحتمال أن تكون ديارم  
من وراء سلع . فلما قال النبي ﷺ لبني سلمة ذلك ( قالوا : بلى ) أي نحتسب  
آثارنا إلى المسجد عند الله تعالى ( فأقاموا ) في مساكنهم ولم يتحولوا عنها . وفي  
رواية أبي سعيد عند الترمذي : فلم ينتقلوا . وفي مسلم من حديث جابر  
رضي الله عنه : قالوا : ما سرنا أننا كنا نحولنا أي لما رغبتهم ﷺ وأخبرهم من  
أن لهم بكل خطوة يمضونها إلى المسجد درجة .

وفي « الصحيحين » وغيرها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال  
رسول الله ﷺ : « صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وسوقه خمساً  
وعشرين درجة ، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه  
إلا الصلاة ، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة ، فإذا صلى  
لم تزل الملائكة تصلي عليه مادام في مصلاه : اللهم صل عليه ! اللهم ارحمه !  
ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة . » وفي رواية : « اللهم اغفر له ! اللهم تب عليه !  
مالم يؤذ فيه ، مالم يحدث فيه . » ولفظه عند مالك في « الموطأ » : « ثم خرج عامداً  
إلى الصلاة ، فانه في صلاة ما كان يعمد إلى صلاة ، وإنه يكتب له باحدى

خطوته حسنة ، ويمحى عنه بالأخرى سيئة ، فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا يسع ؛  
فإن أعظمكم أجراً أبعدكم داراً . قالوا : لم يا أبا هريرة ؟ قال : من أجل كثرة  
الخطا .

وأخرج الامام أحمد ، وأبو يعلى ، والطبراني في « الكبير » و « الأوسط » ،  
وابن خزيمة في « صحيحه » ، وكذا ابن حبان ، عن عقبه بن عامر رضي الله عنه عن  
رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا تطهر الرجل ثم أتى المسجد يرعى الصلاة ، كتب  
له كتابه أو كاتبه - بكل خطوة يخطوها إلى المسجد عشر حسنات ، والقاعد  
يرعى الصلاة كالتقانت ، ويكتب من المصلين من حين يخرج من بيته حتى يرجع  
إليه » . وأخرج الامام أحمد أيضاً بأسناد حسن ، والطبراني ، وابن حبان في  
« صحيحه » ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ :  
« من راح إلى مسجد الجماعة ؛ فخطوة تمحو سيئة ، وخطوة تكتب له حسنة  
ذاهبا وراجماً » .

وفي أبي داود عن سعيد بن المسيب قال : حضر رجلاً من الأنصار الموت ،  
فقال : إني محدثكم حديثاً ما أحدثكموه إلا احتساباً ، سمعت رسول الله ﷺ  
يقول : « إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء ، ثم خرج إلى الصلاة ، لم يرفع قدمه  
اليمنى إلا كتب الله عز وجل له حسنة ، ولم يضع قدمه اليسرى إلا حط الله عنه  
سيئة ، فليقرب أحدكم أو لييمد » . وفي « صحيح مسلم » وغيره ، من حديث جابر  
ابن عبد الله رضي الله عنها قال : دخلت البقاع حول المسجد ، فراد بنو سلمة  
أن ينتقلوا قرب المسجد ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال لهم : « بلغني أنكم تريدون  
أن تنتقلوا قرب المسجد . قالوا : يا رسول الله ! قد أردنا ذلك . فقال : يا بني سلمة !  
دياركم تكتب آثاركم ، دياركم تكتب آثاركم . فقالوا : ما يسرنا أنا كنا نحولنا » .  
وأخرج ابن ماجه بأسناد جيد ، عن ابن عباس رضي الله عنها قال : « كانت

الانصار ببيدة منازلهم من المسجد ، فارادوا أن يقتربوا ، فزات : « ونكتب ما قدموا وآثارهم » (١) فثبتوا .

وأخرج الامام أحمد ، وأبو داود ، وابن ماجه والحاكم ، وقال : حديث صحيح ، مدني الاسناد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجراً » . وفي « الصحيحين » وغيرها ، من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم إليها مثنى فأبعدهم » . وفي أبي داود والترمذي ، من حديث بريدة وابن ماجه ، من حديث أنس ، عن النبي ﷺ قال : « بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة » . وروي مثل هذا عن عدة من الصحابة : بريدة ، وأنس ، وأبي هريرة ، وأبي الدرداء ، وأبي أمامة ، وسهل بن سعد ، وابن عباس ، وابن عمر ، وأبي سعيد الخدري ، وزيد بن حارثة ، وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين ، وفي هذا (٢) المعنى أحاديث كثيرة ، وفي هذا القدر كفاية . والله أعلم .

### الحديث الرابع والثمانون

١٢٩ - ثنا ابن أبي عدي ، وسهل بن يوسف المعنى ، عن حميد ، عن أنس ، قال : أقيمت الصلاة ، فجاء رجل يسمي ، فأنهى وقد حفزه النفس ، أو ابتهر . فلما انتهى إلى الصف ، فقال : الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه . فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال : أيكم المتكلم ؟ فسكت القوم .

(٢) كلمة هذا لم تكن في الاصل .

(١) سورة يسن الآية : ١٢

فقال : أياكم المتكلم ؛ فانه قال خيراً ، ولم يقل بأساً . قال :  
 يا رسول الله ! أنا أسرع المشي ، فانتهيت إلى الصف فقلت  
 الذي قلت . قال : لقد رأيت اثني عشر ملكاً يتدرونها أيهم  
 يرفعها ، ثم قال : إذا جاء أحدكم إلى الصلاة ؛ فليمش على هيئته ؛  
 فليصل ما أدرك ، وليقض ما سبقه .

قال رضي الله عنه : ( ثنا ) محمد ( بن أبي عدي وسهل بن يوسف المعنى )  
 يعني أن معنى حديثها واحد ( عن حميد ) الطويل ( عن أنس ) بن مالك رضي الله  
 عنه ( قال : أقيمت الصلاة ، فجاه رجل يسمى ) قال الامام النووي في «مبهاة» :  
 قال الخطيب : هو رفاع بن رافع الأنصاري ، ذكر في « الفتح » عن بعض أهل  
 العلم أن تلك الصلاة كانت صلاة المغرب ، قال : وقد روي أن رفاع بن رافع  
 حكى ذلك عن غيره ، لا أنه جرى له . انتهى . ففي « البخاري » عن رفاع بن  
 رافع الزرقي رضي الله عنه قال : كنا نصلي وراء النبي ﷺ ، فلما رفع رأسه  
 من الركوع قال : سمع الله لمن حمده ، قال رجل وراءه : ربنا ولك الحمد حمداً  
 كثيراً .. الحديث .

وفي « السنن » ، عن رفاع بن رافع أيضاً قال : صليت خلف رسول الله  
 ﷺ ، فمطست فقلت : الحمد لله حمداً كثيراً .. الحديث . قال الترمذي : حديث  
 حسن . قال في « الفتح » : لا تمارض بينها ؛ لأنه لا مانع من أن يكني عن نفسه  
 لقصد إخفاء عمله ، أو كنى عنه بمض الرواة لسيان اسمه ، وما يشعر بالاختلاف  
 من غير ذلك ؛ فلمله لاختصار بمض الرواة ( فأنهى ) الرجل الى المسجد ( وقد  
 حفزه ) — بفتح الحاء المهملة والفاء والزاي — أي اشتد به ( النفس ) — بفتح

القاء - الهواء الذي يردد النفس الى الجوف، فيبرد من حرارته ويمد لها، فاذا تعب الانسان امتلاء جوفه منه لمجزه بالتعب عن ترده إلا يسيراً، فيمتلئ منه جوفه . والحفز : حثك الشئ من خلفه . قاله الهروي في «غريبه» : وفي «القاموس» : حفزه يحفزه : دفعه من خلفه ، وحفزه عن الأمر : أعجله وأزعجه ، واحتفز في مشيته : احتث واجتهد . انتهى ملخصاً . ( أو ابتهر ) أي انقطع نفسه من الاعياء .

قال في «القاموس» : البهر - بالضم - ما اتسع من الارض ، وشر الوادي وخيره ، كالبهرة فيها ، والبلد ، وانقطاع النفس من الاعياء ، وقد ابتهر وبهر فهو مبهور وبهير . انتهى . ( فلما انتهى ) ذلك الرجل ( إلى الصف ) أي صف الصلاة التي أقيمت ( فقال : الحمد لله حمداً ) منصوب على أنه مفعول مطلق ( كثيراً ) أي زائداً في عدده ومدده ( طيباً ) أي طاهراً خالصاً من شائبة الرياء والشرك ( مباركاً فيه ) وفي لفظ عليه : زاد في رواية من حديث رفاعه : كما يحب ربنا ويرضى ، قيل : هو تأكيد لما قبله ، وقيل : الأول بمعنى الزيادة ، والثاني بمعنى البقاء .

وفي «المطلع» في قوله : وتبارك اسمك ، معناه : دام ودام خيره .

وقال المزيزي في «غريب القرآن» : تبارك : تفاعل من البركة ، وهي الزيادة والنماء ، والكثرة والاتساع . ويقال : تبارك : تقدس ، والقدس : الطهارة ( فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته ) أي أتمها وفرغ منها ( قال : أيكم ) معشر المصلين معي ( المتكلم ؟ ) .

وفي حديث رفاعه في «صحیح البخاري» : من المتكلم ؟ زاد في رواية : في الصلاة ( فسكت القوم ) فلم يتكلم أحد ( فقال ) ﷺ : ( أيكم المتكلم ؟ ) فانه قال خيراً ولم يقل بأساً ) وفي حديث رافع بن رفاعه أنه قال : من المتكلم ؟ فلم

يتكلم أحد ، ثم قالها الثانية فلم يتكلم أحد ، ثم قالها الثالثة ( قال ) الرجل :  
( يارسول الله! أنا أمرعت المشي فأنهيت الى الصف ، فقلت الذي قلت ) من الذكر ،  
وهو : الحمد لله حمداً كثيراً . . . الخ ( قال ) عليه الصلاة والسلام : ( لقد رأيت  
أنتي عشر ملكاً يبتدرونها ) أي الكلمات المذكورات ( أيهم يرفها ) وفي رواية :  
أيهم يصمد بها .

وعند الطبراني من حديث أبي أيوب : أيهم يرفها ، كحديث أنس ، وهو  
في « صحيح مسلم » وغيره .

وفي حديث رفاعة بن رافع عند البخاري وغيره : لما كرر السؤال ﷺ  
من المتكلم ؟ فقال رفاعة بن رافع : أنا . قال : كيف قلت ؟ فذكره . فقال ﷺ  
والذي نفسي بيده : لقد رأيت بضعة وثلاثين وفي لفظ : لقد ابتدراها بضعة  
وثلاثون ملكاً : أيهم يكتبها أول .

قال في « الفتح » : ولا تمارض بين رواية يكتبها ، ويصمد بها ، وكذا  
يرفها ، لأنه يحمل على أنهم يكتبونها ، ثم يصمدون بها .  
والظاهر أن هؤلاء الملائكة غير الحفظة ، ويؤيده ما في « الصحيحين »  
عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « إن لله ملائكة بطوفون في الطرق  
يلتمسون أهل الذكر . . . الحديث .

واستدل به على أن بعض الطاعات قد يكتبها غير الحفظة .

وقد استشكل تأخير رفاعة لإجابة النبي ﷺ حتى كرر سؤاله ثلاثاً ، مع  
أن إجابته واجبة ، بل على كل من سمع رفاعة ؛ فإنه لم يسأل المتكلم وحده على ما في  
حديث رفاعة عند البخاري ، وإن كان المخاطب المسؤول المتكلم وحده عند  
الامام أحمد ومسلم من حديث أنس .

وأجيب : بأنه لم يعين واحداً بعينه ؛ فلم تتمين المبادرة بالجواب من المتكلم



ولا من واحد بينه ؛ فكانهم انظر بعضهم بعضاً ليجيب ، وحملهم على ذلك خشية  
أن يبدوا في حقه شياً ، ظناً منهم أنه أخطأ فيما فعل ، ورجوا أن يقع العفو عنه .  
وكان عليه السلام لما رأى سكوتهم ، فهم ذلك ، فرأى أنهم لم يقل بأساً . ويدل  
على ذلك أن في رواية عند ابن قانع . أن رفاعه قال : فوددت أني خرجت من  
مالي ، وأني لم أشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الصلاة .

وفي رواية عند أبي داود : قال النبي صلى الله عليه وسلم : من القائل الكلمة ؟ فانه لم  
يقبل بأساً . فقال : أنا قلتها ؛ فلم أرد بها إلا خيراً .

وعند الطبراني من حديث أبي أيوب : فسكت الرجل ، ورأى أنه قد هجم  
من رسول الله صلى الله عليه وسلم على شياً كرهه . فقال : من هو ؟ فانه لم يقل إلا صواباً .  
ويحتمل أن يكون المصلون لم يعرفوا عين القائل ؛ لاقبالهم على صلاتهم ، أو  
لكونه آخر الصفوف . والمذرع عنه ما تقدم مع ما وجد من الهيبة ، واستعظام  
ما بدر منه من الكلام .

والحكمة في سؤاله صلى الله عليه وسلم عما قال ؛ ليتعلم السامعون كلامه فيقولون مثله .  
واستدل به على إحداث ذكر في الصلاة غير مأثور ؛ إذا كان غير  
مخالف للمأثور .

فائدة : قيل : الحكمة في اختصاص المدد المذكور من الملائكة بهذا  
الذكر ، على ما في حديث أنس ؛ فهو مطابق لعدد كلمات الذكر المذكور ، كما في  
بعض الروايات بزيادة ؛ كما يجب ربنا ويرضى . فهي اثنتا عشرة كلمة .  
وعلى ما في حديث رفاعه بن رافع ، كما في « البخاري » ؛ أن عدد حروفه  
مطابق لعدد المذكور ؛ فإن البضع من الثلاث إلى التسع ، وعدد الذكر يوافق  
ذلك على ما في بعض الروايات .

وفي « مسند الامام أحمد » عن وائل بن حجر ، قال : صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم

فقال رجل : الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه . فلما صلى رسول الله ﷺ قال :  
من القائل ؟ قال الرجل : « أنا يا رسول الله ، وما أردت إلا خيراً . قال : « لقد  
فتحت لها أبواب السماء ؛ فلم ينهها شيء دون العرش ، والذي يظهر أن المتبر في  
عدد حروف الكلمات بالنسبة الزائد عن الذكر المتعاد ، وهو من قوله : حمداً  
كثيراً ، الى آخر : يحب ربنا ويرضى . وحينئذ فعدد ذلك بضمة وثلاثون ، وبنه  
عليه في « الفتح » أيضاً ، وبالله التوفيق .

( ثم قال ) ﷺ ( إذا جاء أحدكم ) معشر المسلمين ( إلى الصلاة ) ليصلها  
مع الجماعة ( فليمش على هينته ) ولا يسرع في مشيته .

قال في « النهاية » : سار على هينته ، أي على عادته في السكون والرفق .  
يقال : امش على هينتك ، أي على رسلك .

وفي « المسند » و « الصحيحين » و « السنن » من حديث أبي هريرة  
رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « فلا تأتوها وأنتم تسمعون ، وأتوها  
وأنتم تمشون وعليكم السكينة ، زاد مسلم : فإن أحدكم إذا كان يعمد الى الصلاة  
فهو في صلاة .

( فليصل ) الفاء في جواب شرط مقدر ، أي إذا فعلتم ما أمرتكم به من  
المشي على الهينة ملاحظاً السكينة والوقار ؛ فليصل أحدكم ( ما أدرك ) مع الجماعة ؛  
فإن الجماعة تدرك بتكبيره الاحرام على المعتمد .

قال في « الفروع » : من كبر قبل سلام الامم ؛ أدرك الجماعة ، وفاقاً  
للشافعي . وزاد بمضموم : إن جلس . وقيل : أو قبل التسليمة الثانية . وعنه : أو  
سجود سهو بعد السلام ، وفاقاً لأبي حنيفة .

قال في « البحر المحيط » للحنفية : يترك سنة الفجر من أدركه في التشهد .  
وفي « المرغيباني » : يشتغل بالسنة عند أبي حنيفة وأبي يوسف ، لأنه كإدراك

أول الصلاة عندها . وعند محمد ، وظاهر كلام ابن أبي موسى من علمائنا : أن الجماعة لا تدرك إلا بادرارك ركعة ، وفاقاً لما لك . وذكره شيخ الاسلام بن تيمية رواية عن الامام أحمد ، واختارها ، وقال : اختاره جماعة .

قال الامام المجد : معنى دروك الجماعة ، أنه أدرك أصل فضل الجماعة ، لا حصولها . فيما سبق به ؛ فانه فيه منفرد حساً وحكماً إجماعاً . انتهى .  
قال الامام النووي وغيره : في الحديث النصب إلى إتيان الصلاة بسكينة ووقار .

قال القاضي عياض : السكينة : التأني في الحركات ، واجتناب البسب ، والوقار في الهيئة ، كفض البصر ، وخفض الصوت ، وعدم الالتفات ، وسواء في ذلك صلاة الجمعة وغيرها ؛ خاف فوت تكبيرة الاحرام أم لا .

وأما قوله تعالى : « فاسموا إلى ذكر الله » (١) فالمراد به الذهاب . يقال : سميت في كذا ، وإلى كذا : إذا ذهبت إليه وعملت فيه : ومنه قوله تعالى : « وأن ليس للانسان إلا ما سمي » (٢) .

قال العلماء : الحكمة في إتيان الصلاة بسكينة ، والنهي عن السمي : أن الذهاب إلى الصلاة فهو في صلاة ، لأنه عامل في تحصيلها ، ومتوصل إليها ؛ فينبغي أن يكون متأدياً بأدائها على أكمل الأحوال ، وهذا معنى رواية مسلم : فان أحدكم إذا كان يمد إلى الصلاة فهو في صلاة .

قال في « الفتح » : فينبغي له اعتماد ما ينبغي للمصلي اعتاده ، واجتناب ما ينبغي للمصلي اجتنابه . انتهى .

---

(١) سورة الجمعة ، الآية : ٩

(٢) سورة النجم ، الآية : ٣٩

قال في « الفروع » : يقارب خطاه ، ولا يشبك أصابه ، وإن سمع الإقامة لم يسمع إليها . ذكره - عن الامام أحمد - ابن المنذر .  
قال صاحب « الفروع » : ونصه ، يعني الامام أحمد رضي الله عنه : لا بأس به ، أي السمي يسيراً ، إن رجا التكبير الأولى ، واحتج بأنه جاء عن الصحابة ، وهم مختلفون . انتهى .

ومتمد المذهب : ما في « الاقناع » وغيره : أنه إن سمع الإقامة لم يسمع ، فإن طمع في إدراك التكبير الأولى ، وهو أن يدرك الصلاة قبل تكبيره الاحرام ، يعني يدرك موقفه للصلاة قبل ذلك ؛ ليكون خلف الامام إذا كبر للافتتاح ؛ فلا بأس أن يسرع شيئاً ، ما لم تكن عجلة بقبح ، وإن خشي فوات الجماعة أو الجمعة بالكليّة ؛ فلا ينبغي أن يكره الاسراع ؛ لأن ذلك لا ينجبر إذا فات . هذا معنى كلام شيخ الاسلام ابن تيمية في « شرح الممّدة » . ( وليقض ) بمد سلام إمامه ( ما سبقه ) به .

وفي حديث أبي هريرة مرفوعاً ، من رواية ابن سيرين عند مسلم وغيره : صلّ ما أدركت ، واقض ما سبقك .

وقد ورد في عدة أحاديث ، بلفظ : اقضوا . وفي عدة أحاديث : أمّوا . فاختلف العلماء لاختلاف اللفظين ؛ فاحتج الامام أحمد رضي الله عنه ، وكذا أبو حنيفة ، ومالك رضي الله عنها ؛ بأن ما يدركه المسبوق مع الامام آخر صلاته ، وما يقضيه أولها . في ظاهر المذهب : فيستفتح فيما يقضيه ، ويتمود ، ويقرأ سورة ، ويخبر في الجهر في صلاة الجهر بمد مفارقة إمامه ، ويتورك مع إمامه ، كما يتورك فيما يقضيه .

وعن الامام أحمد رواية ثانية ، عكس ما تقدم . وحجة هذا القول مع ما تقدم من مقتضى ظاهر الأحاديث التي جاءت بلفظ : فأتموا ، قول علي رضي

الله عنه : ما أدركت مع الامام فهو أول صلاتك ، واقض ما سبقك به من القرآن  
رواه البيهقي وحجة متمد المذهب : ما في الصحيحين ، وغيرها ، من حديث  
أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « ما أدركتم فصلوا ، وما  
فانكم فاقضوا ، . وكذا روى أبو ذر وأنس عن رسول الله ﷺ بلفظ :  
واقضوا . وروي : وما فانكم فاتموا .

قال الحافظ ابن عبد الهادي في « تنقيح التحقيق » : قال ابن الجوزي : وما ذهبنا  
إليه أكثر وأقوى ، ثم نحمله على أن يكون المعنى : فاتموا قضاءً واعترض ابن  
عبد الهادي على ابن الجوزي ، فقال : الذين قالوا : فاتموا أكثر وأحفظ ، وألزم  
لأبي هريرة ، فهو أولى .

وأخرج أبو داود ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « اثنوا الصلاة  
وعليكم السكينة ، فصلوا ما أدركتم ، واقضوا ما سبقكم ، . قال أبو داود : وكذا  
قال ابن سيرين ، عن أبي هريرة : ويقضي ، وكذا قال ابن رافع ، عن أبي هريرة  
وأبو ذر رضي الله عنه : فاتموا . وروي عنه : فاقضوا .

قال ابن عبد الهادي : والتحقيق أنه ليس بين اللفظين فرق ، فإن القضاء  
هو الاتمام في عرف الشارع . قال الله تعالى : « فاذا قضيت مناسككم ،<sup>(١)</sup> وقال  
تعالى : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ،<sup>(٢)</sup> انتهى .

واستدل بظاهر الحديث ، على أن من أدرك الامام راعياً ، لم تحسب له  
تلك الركعة ؛ للأمر باتمام ما فاته ، لأن الذي فاته الوقوف والقراءة فيه ، وهو  
قول أبي هريرة رضي الله عنه وجماعة ، بل حكاه البخاري في القراءة<sup>(٣)</sup> خلف

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٠٠

(٢) سورة الجمعة ، الآية : ١٠

(٣) في الأصل : القرآن ، وهو خطأ .

الامام عن كل من رأى وجوب القراءة خلف الامام ، واختاره ابن خزيمة والضبمي ، وغيرهما من محدثي الشافعية ، وأخرم الشيخ تقي الدين السبكي من متأخريهم كما في « الفتح » .

وحجة الجمهور من الائمة الأربعة وغيرهم ، حديث أبي بكرة ، حيث ركع دون الصف . فقال له النبي ﷺ : « زادك الله حرصاً ولا تمد » . ولم يأمره بإعادة تلك الركعة ، فمتد مذهبنا كالحنفية والشافعية . أن من أدرك الامام راحاً ، فركع معه ، أدرك الركعة . وقيل : إن أدرك معه الطمأنينة . وهو مذهب الامام مالك ، لكن شرط علماءنا أن يدركه راحاً ثم يطمئن ، ولو كانت الطمأنينة بعد رفع الامام ، ولا بد أن يكون غير شاك في الادراك ، فان شك في إدراكه راحاً ، لم يدرك الركعة ، خلافاً للشافعي . قال : لأن الأصل بقاء ركوعه . وأما إن رفع الامام قبل ركوع المسبوق ؛ لم يدرك ، ولو أحرم قبل رفعه اتفاقاً ، ولو أدرك ركوع المأمومين ، والله أعلم .

### الحديث الخامس والثمانون

١٣٠ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس قال :

قال رسول الله ﷺ : دخلت الجنة فسمعت بين يدي خشفة ، فإذا أنا بالغميصاء بنت ملحان .

قال رضي الله عنه : ( ثنا ) محمد ( بن أبي عدي ، عن حميد ) الطويل ( عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( قال : قال رسول الله ﷺ : دخلت الجنة ) أي رأيت في المنام أي دخلت الجنة ، كما تقدم في الحديث الثلاثين من « مسند

جابر» وفي السادس عشر من «مسند أنس» رضي الله عنها بلفظه : وإنما قادمة ذكره هنا ، أن شيخ الامام هناك هشيم ، وهنا ابن أبي عدي .

( فسمنت بين يدي خشفة ) بفتح الخاء وسكون الشين المجتمين ففاء ، وتحرك الشين أيضاً - ، كما في « القاموس » : هو صوت حركة ليس بالشديد . وقال الفراء : هو الصوت . والخشفة : صوت ديب الحيات . ولفظ الحديث الذي تقدم ؛ تقديم الخشفة على بين يدي ( فاذا أنا بالميمياء ) وانفذه فيما تقدم : فاذا هي الميمياء - بضم الميم والمجبة وفتح الميم وبالصاد المهمل والمد - ( بنت ) وانفذه الذي تقدم : ابنة ( ملحان ) - بكسر الميم وسكون اللام وبالحاء المهمل - ، وتقدم الخلاف في اسمها ، وذكر نسبها . زاد في الحديث الذي تقدم : أم أنس بن مالك ، وتقدمت ترجمتها هناك ، مع فوائد يظفر بها من راجعه .

### الحديث السادس والثمانون

١٣١ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله . قالوا : وكيف يستعمله ؟ قال : يوقفه لعمل صالح قبل موته .

قال رضي الله عنه : ( ثنا ) محمد ( بن أبي عدي ، عن حميد ) الطويل ( عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أراد الله بعبد ) من عباده ( خيراً ) الخير : الأجر والثواب ، وضد الشر . ويطلق

على المال الكثير ، والمراد به هنا الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة ( استعمله . قالوا ) أي قال من كان في حضرة النبي ﷺ لما قال ما قال : ( وكيف يستعمله ) يا رسول الله ؟ لأن لفظه : استعمله بجملة : تحتمل أن يكون استعمله في أي نوع من العبادات والطاعات وأهله ، ووقفه لأي باب من القربات والثوبات ( قال ) ﷺ مجيباً لمن سأله : ( يوقفه ) .

قال الامام ابن القيم في كتابه « شرح منازل السائرين » : أجمع العارفون بالله ، أن التوفيق ، أن لا يكلك الله إلى نفسك ، وضده : الخذلان ، وهو أن يخلي بينك وبينها ؛ فالعبيد متقلبون بين توفيقه وخذلانه ، بل العبد في الساعة الواحدة ؛ ينال نصيبه من هذا وهذا ؛ فيطعمه ويرضيه ، ويذكره ويشكره بتوفيقه ، وبمصيبه ويخالفه ، ويسخطه ويفعل عنه بخذلانه له ؛ فهو دائر بين توفيقه وخذلانه . فان وقفه بفضله ورحمته ، وإن خذله ؛ فبمدله وحكته ، وهو سبحانه المحمود في هذا وهذا ، له أتم حمدٍ وأكمله ؛ فانه لم يمنع العبد شيئاً هو له ، وإنما مجرد فضله وعطائه ، وهو أعلم حيث يضعه وأين يجمله .

قال : وفسرت الجبرية التوفيق : بأنه خلق الطاعة . والخذلان : خلق المعصية ؛ فبنوا ذلك على أصولهم الفاسدة ، من إنكار الأسباب والحكم ، وردوا الأمر الى محض المشيئة من غير سبب ولا حكمة ، وقابلهم القدرية النفاة ؛ ففسروا التوفيق بالبيان العام ، والهدى العام ، والتمكن من الطاعة ، والاقتدار عليها ، وتهيئة أسبابها ؛ وهذا حاصل لكل كافر ومشرك بلفظه الحجّة ، وتمكن من الايمان ؛ فالتوفيق عندهم أمر مشترك بين الكفار والمؤمنين ، إذ الاقتدار والتمكين والدلالة والبيان قد عمّ به الفريقين ، ولو انفرد المؤمنون عندهم بتوفيق ، وقع به الايمان منهم ، والكفار بخذلان امتنع به الايمان منهم ؛ لكان عندهم محاباة وظلماً . والتمروا لهذا الأصل لوازم قامت بها عليهم سوء الشناعة بين العقلاء ،



ولم يجدوا بداً من التزامها ؛ فظهر فساد مذهبهم ، وتناقضه لمن أحاط به علماً ،  
وتصوره حق تصوره ، وعلم أنه من أبطل مذهب في العالم وأرداه ، وهدى الله  
الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه ، والله يهدي من يشاء إلى صراط  
مستقيم ؛ فلم يرضوا بطريق الجبرية ، ولا بطريق القدرية ، وشهدوا انحراف الطريقين  
عن الصراط المستقيم ؛ فأثبتوا القضاء والقدر ، وعموم مشيئة الله للكائنات ،  
وأثبتوا الأسباب والحكم ، والنايات والمصالح . وزهوا الله تعالى أن يكون في  
ملكه ما لا يشاء ، وأن يقدر خلقه على ما لا يدخل تحت قدرته ومشيئته ، وزهوه  
عن العبث ، وأن يخلق شيئاً سدى . فالتوفيق إرادة الله من نفسه أن يفعل بعبده  
ما يصلح به العبد ، بأن يجعله قادراً على فعل ما يرضيه ، مريداً له ، محباً له ، مؤثراً  
له على غيره ، ويبغض إليه ما يسخطه ، ويكرهه ، وهذا مجرد فعل الله تعالى ،  
والعبد محل له . قال الله تعالى : « ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ،  
وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ، أولئك هم الراشدون ، فضلاً من الله  
ونعمة ، والله عليم حكيم » (١) .

فإذا أراد الله سبحانه وتعالى ببعد خيراً وفقه ( لعمل صالح ) وزينه في  
قلبه ؛ وكرهه إليه ضده ، فتنهض نفسه لذلك العمل ، وتسمو همته إليه ، فيبادر  
إلى عمله ، وتسمح نفسه بالاشتغال به ، والدأب والاجتهاد فيه ( قبل موته ) زاد  
الامام أحمد في رواية ، وكذا الترمذي ، والحاكم وصححه ، وابن حبان في  
« صحيحه » : ثم يقبضه عليه ، أي على ذلك العمل ، أي وهو متلبس بذلك العمل  
الصالح ، ومن مات على شيء بعثه الله عليه ، كما في الحديث .

وأخرج الامام أحمد ، والحاكم أيضاً ، من حديث عمرو بن الحنظلي الخزازي  
الصحابي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله ببعد خيراً

استعمله . قيل : يا رسول الله ! وما استعمله ؟ قال : يفتح له عملاً صالحاً بين يدي موته حتى يتوب ويرضى عنه من حوله ، ، أي من أهله وجيرانه ومعارفه ، فيبرئون ذمته ، ويثنون عليه خيراً ، فيجزئ الرب شهادتهم ، ويكون الله سبحانه قد ختم أعماله بما يرضيه عنه ، والأمور بخواتيمها .

وفي « كبير الطبراني » ، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله بمبد خيراً طهره قبل موته . قالوا : وما طهور المبد ؟ قال : عمل صالح يلهمه إياه حتى يقبضه عليه .

وروى الامام أحمد في « المسند » والطبراني في « الكبير » من حديث أبي عتبة - بكسر العين وفتح النون - الخولاني الصحابي ، واسمه عبد الله ، أو عبارة رضي الله عنه ، وإسناد حديثه ، حين قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله بمبد خيراً غسله . قيل : وما غسله ؟ قال يفتح له عملاً صالحاً قبل موته ثم يقبضه عليه ، . قوله : غسله - بفتح الميم والسين المهملتين ، مخففاً ومشدداً - أي طيباً ثناءً بين الناس . يقال : غسل الطعام بصله ، إذا جعل فيه المسل ، شبه مارزقه الله من العمل الصالح الذي طاب ذكره بين الناس ، بالصل الذي يجمل بالطعام ليحلوه به ويطيبه .

تنبيه : لا كان الظاهر علينا والبادي لنا حساً ومشاهدة الخاتمة ؛ أسند الناس الأمور إليها ، وجعلوا أن المعتبر والمعوّل عليها ، وإن كان المعوّل عليه في نفس الأمر ، والمعتبر إنما هو السابقة ، لكنها لما كانت من عالم الغيب ، وكانت الخاتمة من عالم الشهادة ؛ أسندوا التمويل على الخاتمة دون السابقة ، وإن كان الذي يظهر في الخاتمة ، هو عين ما كمن في السابقة .

قال في « شرح منازل السائرين » : ما يظهر في الأبد : هو عين ما كان معلوماً في الأزل ، وإنما تجددت أحيانته ، وهي أوقات ظهوره ؛ فقد ظهرت إشارات

الأزل ، وهي ما يشير اليه العقل بالأزلية من المقدرات العلمية على أحيان الأبد ؛  
فالأزل ما تعلق بأسمائه تعالى وصفاته ، وتقدم علمه بالأشياء ووقوعها في الأبد ،  
مطابقة لعلمه الأزلي . انتهى ملخصاً .

والحاصل أن الداواوين ثلاثة :

الأول : كتابة المقادير السابقة لخلق الخلائق المذكورة في قوله تعالى :  
« ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن  
نبرأها » (١) .

وفي « صحيح مسلم » من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، عن  
النبي ﷺ قال : « إن الله قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض  
بخمسين ألف سنة » .

وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « أول  
ما خلق الله القلم . قال له : اكتب ؛ فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة » .  
وقد تكررت النصوص بذكر الكتاب السابق بالسعادة والشقاوة . وفي  
« الصحيحين » من حديث علي رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من  
نفس منفوسة إلا وقد كتب مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة  
فقال رجل : يا رسول الله ؛ أفلا نمكث على كتابنا ، وندع العمل ؛ فقال : اعملوا  
فكل ميسر لما خلق له ؛ أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما  
أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة » ، ثم قرأ : « فأما من أعطى  
واتقى ، (٢) الآيات .

(١) سورة الحديد ، الآية : ٢٢

(٢) سورة الليل ، الآيات : ٥ - ١٠ والآيات بتامها : « فأما من أعطى واتقى ،  
وصدق بالحنى ، فسيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى ، وكذب بالحنى ، فسيسره  
للعسرى » .

**الدبوات الثاني :** كتابة الملك للجنين في بطن أمه كافي (الصحيحين ، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، وفيه : ثم يرسل الله الملك ، فيفنج فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وعمله ، وأجله ، وشقي أو سعيد ، ثم قال : فوالذي لا إله غيره : إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ؛ فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ؛ فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها . فذكر في هذا الحديث أن السعادة والشقاوة بحسب خواتم الأعمال .

وفي « صحيح البخاري » عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إنما الأعمال بالخواتم ، ومثله في « صحيح ابن حبان » من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً . وفي « صحيح ابن حبان » أيضاً ، من حديث معاوية رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما الأعمال بخواتمها ، كالوعاء ، فإذا طاب أعلاه طاب أسفله ، وإذا خبث أعلاه خبث أسفله . »

وأخرج الامام أحمد ، من حديث أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « لا عليكم أن تمجبوا بأحد ، حتى تنظروا بما يحتم له ؛ فإن العامل يعمل زماناً من عمره ، أو برهة من دهره بعمل صالح ، لو مات عليه دخل الجنة ، ثم يتحول فيعمل عملاً سيئاً . وإن البعد ليعمل البرهة من دهره بعمل سيئ . لو مات عليه دخل النار ، ثم يتحول فيعمل عملاً صالحاً . »

وأخرج الامام أحمد أيضاً ، من حديث عائشة ، عن النبي ﷺ قال : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ، وهو مكتوب في الكتاب من أهل النار ، فإذا فإذا كان قبل موته تحول ؛ فعمل بعمل أهل النار ؛ فمات فدخل النار . وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار ، وإنه لمكتوب في الكتاب من أهل الجنة ، فإذا

كان قبل موته ، تحول فعمل بعمل أهل الجنة ؛ فمات فدخلها ، .  
وأخرج الامام أحمد أيضاً ، والترمذي ، والنسائي ، من حديث عبد الله  
ابن عمرو رضي الله عنها ، قال : خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان .  
فقال : « أتدرون ما هذان الكتابان ؟ قلنا : لا يا رسول الله ، إلا أن تخبرنا .  
فقال الذي في يده اليمنى : هذا كتاب من رب العالمين ، فيه أسماء أهل الجنة ،  
وأسماء آبائهم ، وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرم ، فلا يزداد فيهم ، ولا ينقص منهم  
أبداً ، ثم قال الذي في شماله : وهذا كتاب من رب العالمين ، فيه أسماء أهل النار ،  
وأسماء آبائهم ، وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرم ؛ فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم  
أبداً . فقال أصحابه : نفيم العمل يا رسول الله إن كان أمراً قد فرغ منه ؟ فقال :  
سددوا وقاربوا ؛ فإن صاحب الجنة يحتم له بعمل أهل الجنة ، وإن عمل أي عمل ،  
وإن صاحب النار يحتم له بعمل أهل النار ، وإن عمل أي عمل ، ثم قال ﷺ :  
ييديه فبئذهما ، ثم قال : فرغ ربكم من المباد : فربق في الجنة ، وفربق في  
السمير . وقد روي هذا الحديث عن رسول الله ﷺ من وجوه متعددة ،  
وخرجه الطبراني من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً ، وزاد فيه : صاحب  
الجنة مختوم له بعمل أهل الجنة ، وصاحب النار مختوم له بعمل أهل النار ، وإن  
عمل أي عمل .

وقد يسلك بأهل السعادة طريق أهل الشقاء ، حتى يقال : ما أشبههم بهم ؟ بل هم  
منهم ، وتدركهم السعادة فتستقدم .

وقد يسلك بأهل الشقاء طريق أهل السعادة ، حتى يقال : ما أشبههم بهم :  
بل هم منهم ، ويتركهم الشقاء ، من كتبه الله سيدياً في أم الكتاب لم يخرج من  
الدنيا حتى يستعمله بعمل يسلمه قبل موته ، ولو بفراق ناقة ، ثم قال : والأعمال  
بخواتيمها ، الأعمال بخواتيمها . وخرجه البزار في مسنده ، بهذا المعنى أيضاً ،  
من حديث بن عمر رضي الله عنها عن النبي ﷺ .

الثالث : ديوان عمل الشهادة ، وهو الواقع ما بين السابقه والخاتمة ، وعلى كل حال : المعتبر في نفس الأمر السابقة بلا محال .

وفي « الصحيحين » من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه ، قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة ، زاد البخاري في رواية له : إنما الأعمال بالخواتيم فقوله : فيما يبدو للناس : إشارة الى أن باطن الأمر يكون بخلاف ذلك ، وأن خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنية للمبد لا يطلع عليها الناس ، إما من جهة عمل سيء لا يطلع عليه ، أو من جهة اعتقاد سيء ، ونحو ذلك ؛ فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت . قاله الحافظ ابن رجب ، ثم قال : وفي الجملة ؛ فالخواتيم ميراث السوابق ، وكل ذلك سبق في الكتاب السابق . قال : ومن هنا كان يشتد خوف السلف من سوء الخواتيم ، ومنهم من كان يقلق من ذكر السوابق .

وقد قيل : إن قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم . يقولون : بماذا ينجم لنا ، وقلوب المقرئين معلقة بالسوابق . يقولون : ماذا سبق لنا .

قال بمض السلف : ما أبكى الميرون ؛ ما أبكاهما الكتاب السابق .

وكان سفيان الثوري رحمه الله يشتد قلقه من السوابق والخواتيم ، فكان يبكي ويقول : أخاف أن أكون في أم الكتاب شقيماً ، ويبكي ويقول : أخاف أن أسلب الإيمان عند الموت .

وقد كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في دعائه : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » فقيل له : يا رسول الله ! آمناً بك ، وبما جئت به ، فهل يخاف علينا ؟ فقال : « نعم إن القلوب بين أصابع الله عز وجل يقلبها كيف شاء » رواه الامام أحمد ، والترمذي ، من حديث أنس رضي الله عنه . ورواه الامام

أحمد أيضاً ، من حديث أم سلمة رضي الله عنها مرفوعاً : فنسأل الله تعالى أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، ونسأله أن يهب لنا من لذه رحمة ، إنه هو الوهاب ، وبالله التوفيق .

### الحديث السابع والثمانون

١٣٢ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ،

قال : قال رسول الله ﷺ : رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة .

قال رضي الله عنه : ( ثنا ) محمد ( بن أبي عدي ، عن حميد ) الطويل ( عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( قال : قال رسول الله ﷺ : رؤيا الشخص ( المؤمن ) من ذكر أو أنثى . وتقدم الكلام على معنى الرؤيا . وفي الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعاً : رؤيا المؤمن كلام يكلم به العبد ربه في المنام . رواه الطبراني ، والضياء ، وكذا الحكيم الترمذي في « نواذر الاصول » ( جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ) وقد روي هذا الحديث عن جماعة من الصحابة بألفاظ مختلفة ، فروى حديث أنس هذا الشيخان . وروى الامام أحمد والشيخان مثله سواء ، عن عبادة بن الصامت ، وكذلك أبو داود ، والترمذي ، ورواه الامام أحمد والشيخان ، وابن ماجه من حديث أبي هريرة . ولمسلم : من خمسة وأربعين جزءاً . وله : من سبعين . وللطبراني : من ستة وسبعين . ولابن عبد البر : من ستة وعشرين . وللإمام أحمد : من خمسين .

وللترمذي : من أربعين . وللطبري من : تسعة وأربعين . وللقرطبي : سبعة بتقديم  
السين . وللطبري أيضاً : من أربعة وأربعين .

قال في « الفتح » : فنلخص من هذه الروايات عشرة أوجه ، أقلها جزء من  
سنة وعشرين ، وأكثرها : من ستة وسبعين ، وبين ذلك أربعون ، وأربعة  
وأربعون ، وخمسة وأربعون ، وستة وأربعون ، وسبعة وأربعون ، وتسعة  
وأربعون ، وخمسون ، ، وسبعون ، وأصحا مطلقاً ستة وأربعون . وجمع بعضهم ،  
بأن ذلك بحسب مراتب الأشخاص .

قال القرطبي : المسلم الصادق الصالح ، يناسب حاله حال الأنبياء ، وهو  
الاطلاع على الغيب ، بخلاف الكافر والفاسق والمخلط .

قال غيره : ومعنى كونها جزءاً من أجزاء النبوة على سبيل المجاز ، وهو  
أنها تجيء على موافقة النبوة ؛ لأنها جزء من النبوة ، لأن النبوة انقطعت بموته  
ﷺ . وقيل : المعنى أنها جزء من علمها ، لأنها وإن انقطعت فعلمها باق . وقيل :  
المعنى ، لأنها تشابهها في صدق الاخبار عن الغيب .

وأما تخصيص عدد الأجزاء وتفصيلها ؛ فلا مطلع لنا عليه ، ولا يعلم حقيقته  
إلا نبي أو ملك . وقيل : إن مدة الوحي كانت ثلاثة وعشرين سنة ، منها  
سنة أشهر منام ، لأنه ﷺ أول ما بدى به من الوحي الرؤيا الصادقة ، فكان  
لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح ، وذلك جزء من ستة وأربعين .

قال الجلال السيوطي : وهذا عندي من الأحاديث المتشابهة التي تؤمن بها  
ونكل معناها المراد إلى قائله ﷺ ، ولا نخوض في تفسير هذا الجزء من هذا  
المدد ولا في حكته ؛ خصوصاً وقد اختلفت الروايات في كمية المدد كما تقدم ،  
فأله أعلم بالمراد المقصود من ذلك ، وتقدم الكلام على الرؤيا وآدابها بما فيه غنية  
في شرح الحديث الثامن من « مسند جابر رضي الله عنه » .



## الحديث الثامن والثمانون

١٣٣ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يهادى بين ابنيه . قال : ما هذا ؟ قالوا : نذر أن يمشي . قال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل لعني أن يعذب هذا نفسه ، فأمره فركب

قال رضي الله عنه : ( ثنا ) محمد ( ابن أبي عدي ، عن حميد ) الطويل ( عن أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يهادى بين ابنيه ) أي يمشي بينها ، معتمداً عليها من ضعفه وتمايله ، من تهادت المرأة في مشيتها ، إذا تمايلت ، وكل من فعل ذلك بأحد فهو يهاديه وقد تكرر في الحديث .

قال ابن البلقيني في «مبهاته» : الرجل هو أبو إسرائيل . قال : كذا رأيت بخط مغلطاي ، نقلا عن الخطيب ما يدل عليه .

وذكر الامام النووي ان اسمه قيسر . وقيل : قيس .

وفي «مختصر الاستيعاب» : أن اسمه يسير . وقيل : قيس .

وفي «تهذيب الاسماء واللغات» أنصاري مدني . قال الخطيب في «مبهاته» :

هو عامري . قال : قيل : إن اسمه قيس . قال : ولا أعرف أن في الصحابة من كنيته أبو إسرائيل ، ولا من اسمه قيس غيره .

قال ابن البلقيني : ثم راجعت «مبهات الخطيب» فلم أجد فيها ما في مغلطاي عنه ؛ فالهدة عليه . انتهى .

قلت : الذي ذكره الخطيب ، أنه أبو إسرائيل ، وكذا ابن الاثير ، هو ما في « الصحيحين » من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها ، قال : كان رسول الله ﷺ في سفر ، أي من أسفاره ، وهو غزوة الفتح ، كما في الترمذي ، أو غزوة تبوك ، كما رواه الشافعي .

قال جابر : فرأى رسول الله ﷺ زحاماً ورجلاً قد ظلل عليه . فقال : ما هذا ؟ فقالوا : صائم . فقال : ليس من البر الصوم في السفر .

قال الخطيب وابن الاثير : هو أبو إسرائيل العامري ، واسمه قيس ، كما في « القسطلاني في شرح البخاري » .

وقال البرماوي : في « شرح الزهر » : قال بعضهم : هذا أبو إسرائيل ، رجل من الأنصار . قال الخطيب وابن الاثير : قيل اسم أبي إسرائيل يسير - بضم التحتية وفتح السين المهملة فتحته وآخره راء - وقال الحافظ عبد الغني ابن سميد : وليس في الصحابة من شاركه في اسمه ولا كنيته .

قال البرماوي : كأن من نسر الرجل هنا بأبي إسرائيل . أخذه مما ذكروه في حديث : أن رجلاً نذر أن لا يتكلم ، وأن يقف للشمس ، وأن لا يستظل ، من أن هذا الرجل هو أبو إسرائيل ، كما قاله الخطيب ، وابن عبد البر ، وابن الأثير ، وغيرهم هناك .

وقال ابن بشكوال : هو أبو إسرائيل الفهري ، واسمه يسير ، كذا في « المتقنى لابن الجارور » . وقال أبو عمر : اسمه أسير ، ولا شك أن الأحاديث متنايرة . وقال ابن البلقيني في « المباهات » في حديث أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إن الله غني عن تمذيب هذا نفسه » ورآه يمشي بين ابنيه ، تقدم أنه أبو إسرائيل فيما نقله مغلطاي بوساق نحو ما تقدم أيضاً ، والحديث في « الصحيحين » وغيرهما من حديث أنس ، وفي مسلم أيضاً . ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه ،

أيضاً ، ولفظه : أن النبي ﷺ أدرك شيخاً يمشي بين ابنيه يتوكأ عليهما ( قال : ما هذا ؟ ) وفي لفظ : ما بال هذا ؟ ( قالوا : نذر أن يمشي ) ولفظ حديث أبي هريرة : فقال النبي ﷺ : ما شأن هذا ؟ قال ابتاه : يا رسول الله ! كان عليه نذر ( قال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل لعني أن يعذب هذا نفسه ) أي بالمشي الذي لا طاقة له به . وفي لفظ : إن الله عز وجل عن تعذيب هذا نفسه لعني ( فأمره ) عليه الصلاة والسلام بالركوب ( فركب ) وفي لفظ : فأمره أن يركب . وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه : فقال النبي ﷺ : اركب أيها الشيخ ، فإن الله غني عنك وعن نذرك .

### تنبيهات

الاول : من نذر أن يمشي إلى بيت الله الحرام ، أو إلى الكعبة ، أو مكة ، وأطلق ، أو قال : غير حاج ولا ممتعر ؛ لزمه المشي في حج أو عمرة من مكان نذره ، لا إحرام قبل ميقاته ، ما لم ينو مكاناً بعينه ، أو ينوي إتيانه ، لا حقيقة المشي ؛ فيلزمه الاتيان ، ويخبر بين المشي والركوب ؛ لحصوله بكل منها ، وأما إن نذر المشي إلى موضع خارج الحرم ، كعرفة ، ومواقيت الاحرام ؛ لم يلزمه ، ويخبر بين فعله والكفارة .

وفي حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه ، قال : نذرت أختي أم حبان بنت عامر الأنصارية أن تمشي إلى بيت الله الحرام حافية ، فأمرتني أن أستقي لها رسول الله ﷺ ، فاستفتيته . فقال : لا تمش ولتركب . متفق عليه .  
قال علماؤنا : لتمش إن نذرت على المشي ، ولتركب حيث عجزت عن المشي وأرهقها التعب ، فاذا عجزت عن المشي وركبت ؛ فطها كفارة يمين .

قال في «شرح الكافي» : فان ترك المشي من نذر أن يمسي إلى بيت الله الحرام لمجزأ أو غيره ؛ فعليه كفارة يمين ، وهو المذهب .

قال ابن منجا في «شرح المقنع» : هذا المذهب ، وهو أصح ، وجزم به في «الوجيز» ، وقدمه في «المفني» و«المحرر» و«التلخيص» و«الفروع» و«الهداية» و«المذهب» و«المستوعب» ، وغيرها .

وعن الامام أحمد رضي الله عنه : عليه دم ، ووجوب كفارة اليمين من مفردات المذهب .

قال ناظهما :

لمكة ناذرٍ مشي ركبا مع عجزه التكفير أيضاً وجبا  
قال شارحها ، يعني : إذا نذر المشي لمكة المشرفة ، أو بيت الله الحرام ، أو موضع من الحرم ؛ لزمه المشي في حج أو عمرة ، لأنه المشي المشروع إليه ، فان عجز عن المشي فركب ؛ فعليه كفارة يمين .

وقال أبو حنيفة : عليه هدي ، وأقله شاة ، سواء عجز عن المشي أو قدر عليه .

وقال الشافعي : يلزمه دم ، وأفقى به عطاء ، لا يروى ابن عباس رضي الله عنه ، أن أخت عقبة بن عامر نذرت المشي إلى بيت الله الحرام ، فأمر النبي ﷺ أن تترك وتهدى هدياً . رواه أبو داود ، وفيه ضعف .

وقال مالك : يحج من قابل ، ويركب مامشي ، ويمشي ماركب ، ويهدي . ولنا قول النبي ﷺ : «كفار النذر كفارة اليمين» . ولأن المشي مالا يوجب الاحرام ، فلم يجب الهدى بتركه ، كما لو نذر صلاة ركعتين فتركها . وفي «الفروع» عن شيخ الاسلام ابن تيمية : القادر على فعل المنذور

يلزمه ، وإلا فله أن يكفر ؛ أقوله ﷺ : « كفارة النذر كفارة البين » ،  
ولأمره ﷺ لأخت عقبة بن عامر أن تمشي وتكفر . انتهى .

ولفظ هذا الحديث : إن أخت عقبة بن عامر نذرت أن تمشي حافية غير  
مختمرة . قال : فسأت النبي ﷺ . فقال : « إن الله لا يصنع بشقاء أختك شيئاً .  
مرها فلتختمر ، ولتركب ، ولتصم ثلاثة أيام » . رواه الامام أحمد ، وأصحاب  
« السنن » الأربعة .

وفي رواية للامام أحمد ، وأبي داود ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما  
قال : جاءت امرأة الى النبي ﷺ ، فذكره ، وفيه : « لتخرج راكبة ، وتكفر  
بيمينها » .

الثاني : ينهي وجوب المشي فيما اذا نذر أن يحج ماشياً اذا رمى الجرة .  
قال الامام أحمد رضي الله عنه : إذا رمى الجرة فقد فرغ ، وقال أيضاً :  
يركب في الحج إذا رمى ، وفي العمرة إذا سمي .

وقال في « الترغيب » : لا يركب حتى يأتي بالتحللين ، على الأصح ، كما في  
« الفروع » ، و« شرح الكافي » ، وغيرها ، وكذا قال الشافعية . ولو أفسد الحج  
المنذور ماشياً لزم القضاء ماشياً .

ثالث : يلزم من نذر المشي الى مسجد المدينة النبوية على صاحبها الصلاة  
والسلام ، أو نذر المشي الى المسجد الأقصى ؛ ذلك ، ويلزمه أن يصلي فيه  
ركعتين ، إذ اتصد بالنذر القرية والطاعة ، وإنما يحصل ذلك بالصلاة ، فتضمن  
ذلك نذرها كنذر المشي الى بيت الله الحرام ، حيث وجب به أحد النسكين ،  
وهذا مذهبنا كالمالكية ، وأحد قولي الشافعي .

وقال أبو حنيفة : لا يلزمه ذلك ، ولا ينقذ نذره . وكذا قال فيما اذا نذر  
أن يصلي في المسجد الحرام ؛ أنه يجوز له أن يصلي حيث شاء من المساجد .

وقال الثلاثة : يلزمه أن يصلي فيه ، ولا تجزئه الصلاة في غيره . وإن عين  
 بنذره مسجداً غير الثلاثة ؛ لم يتمين ، فيخير بين فعله والتكفير ، فإن جاءه لزمه  
 عند وصوله ركعتان ، فإن عين أحد الثلاثة تمين ، ويجزئه إن عين مسجداً  
 الأقصى فيه وفي أيها صلى ، وإن عين مسجداً النبي ﷺ أجزاء فيه وفي المسجد  
 الحرام وإن عين المسجد الحرام لم يجزئه في غيره . والله تعالى أعلم .  
 إذا علمت ذلك ؛ فالظاهر أن هذا الرجل لم يكن نذره المشي لبيت الله  
 الحرام ، والظاهر أنه أمر بالكفارة لما تقدم ، ولما في «صحيح مسلم» : كفارة النذر  
 كفارة اليمين .

وفي «صحيح البخاري» ، وأبي داود ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما :  
 بينا رسول الله ﷺ يخطب ، إذا هو برجل قام فسأل عنه . فقالوا : أبو إسرائيل  
 نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد ، ويصوم ولا يفطر ، ولا يستظل ، ولا يتكلم .  
 فقال رسول الله ﷺ : « مروه فليستظل ، وليقعد ، وليتكلم ، وليتم صومه » .  
 قصة أبي إسرائيل هذا ، الظاهر أنها كانت في الحضر ؛ بدليل قوله : وهو قائم  
 يخطب ، إذ لا خطبة في السفر . لا يقال : إن النبي ﷺ كان يخطب لكل أمرهم  
 في أي وقت كان ؛ فيحتمل أن يكون ذلك من هذا القبيل ؛ لا ما تقول : هذا  
 بعيد ، ولأنه (١) أمره باتمام الصوم ، مع قوله في الحديث الآخر : « ليس من البر  
 الصوم في السفر » . والله أعلم .

(١) وعلى هامش الاصل بخط المؤلف ما نصه : «قوله: ولأنه الخ. الحاصل: أنه ذكر لكون ذلك وقع حضراً دليلين : أحدهما بعد الخطبة سراً . والثاني : أنه صلى الله عليه وسلم أمره باتمام الصوم . فلو كان سراً لما أمره به . لأنه قال : « ليس من البر الصوم في السفر » المؤلف

## الحديث التاسع والثمانون

١٣٤ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال :  
كان رجل يسوق بأمهات المؤمنين يقال له - أنجشة ، فاشتد  
بهن في السياقة : فقال له رسول الله ﷺ : يا أنجشة ارويدك ،  
سوقك بالقوارير .

قال رضي الله عنه : ( ثنا ) محمد ( بن أبي عدي ، عن حميد ) الطويل ( عن  
أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( قال : كان رجل ) من أصحاب رسول الله ﷺ  
( يسوق بأمهات المؤمنين ) أي يحدو بهن ( يقال له ) أي لذلك الرجل الحادي :  
( أنجشة ) - بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الجيم والشين المعجمة - . قال  
ابن الأثير : هو أنجشة العبد الأسود الحادي ، حادي رسول الله ﷺ ، وكان  
حسن الحدي . روى عنه أبو طلحة الأنصاري ، وأنس بن مالك رضي الله عنهم .  
وفي «النسائي» وغيره : وكان معهم سائق وحادي . ولأبي داود الطيالسي ،  
عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس رضي الله عنه : كان أنجشة يحدو بالنساء ،  
وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال . وفي رواية وهيب : وأنجشة غلام النبي ﷺ ،  
يسوق بهن ( فاشتد بهن في السياقة ) ، وعند أبي عوانة : وكان حسن الصوت .  
وفي «الصحيحين» : وممن ، أي مع أمهات المؤمنين أم سليم . وفي رواية :  
وكان يحدو بأمهات المؤمنين ونسأهم . وفي رواية سليمان التيمي ، عن أنس عند  
مسلم : كانت أم سليم مع نساء النبي ﷺ ( فقال رسول الله ﷺ : ) ويحك

(بأنجشة) وفي رواية حماد : كان النبي ﷺ في سفر له ، وكان غلام يمدو بهن يقال له : أنجشة . وفي رواية مسلم : كان في بعض أسفاره ، وغلام أسود . وفي رواية للنسائي : وغلام له يقال له : أنجشة . قال البلاذري : وأنجشة حبشي ، يكنى أبا مارية .

وأخرج الطبراني ، من حديث وائلة : أنه كان بمن نعام النبي ﷺ من الخنثين (رويدك) كذا لاكثر ، وهو كذلك في الصحيحين ، وغيرها . وفي رواية سليمان التيمي : رويداً وفي رواية شعبة : ارفق . وفي رواية لحديد : رويدك ارفق ، جمع بينهما . ورويدك - منصوب على الاغراء ، ومفعول بفعل مضمر - أي الزم رفقك أو على المصدر ، أي أرود رويدك .

وقال الراغب : رويداً من أرود يرود ، كأهل يهمل وزنه ومنه ، وهو من الرود - بفتح أوله وسكون ثانيه - وهو التردد في طلب الشيء برفق والرائد : طالب الكلاء ، ورادت المرأة تريد ، إذا مشت على هينتها . وقال الراهرمزي : رويداً - تصغير رود ، وهو مصدر فعل الرائد - وهو المبعوث في طلب الشيء ، ولم يستعمل في معنى المهلة إلا مصغراً .

وقال السبيلي : قوله : رويداً . جاء بلفظ التصغير ، لأن المراد التقليل ، أي ارفق قليلاً ، وقد يكون من تصغير المرخم ، وهو أن يصغر الاسم بمدحذف الزوائد ، كما قالوا في أسود : سويد ، فكذا في أرود : رويد (سوقك) كذا لاكثر . وفي رواية لحديد ، عن أنس : سيرك - وهو بالنصب على نزع الخافض - أي ارفق في سوقك ، أو سقهن ، كسوقك . وقال القرطبي في «المفهم» : رويداً : أي ارفق . وسوقك مفعول به . ووقع في رواية مسلم : سوقاً ، وهو منصوب على الاغراء بقوله : ارفق سوقاً ، أو على المصدر ، أي : سق سوقاً ، والمراد به حدوك ، إطلاقاً لاسم المسبب على السبب .



وقال ابن مالك : رويدك ، اسم فعل ، بمعنى أروء ، أي أمهل ، والكاف المتصلة به حرف خطاب ، وفتحة داله بنائية ، ولك أن تجعل رويدك مصدراً مضافاً الى الكاف ، ناصبها سوقك ، وفتحة داله على هذا إعرابية ( بالقوارير ) في رواية هشام ، عن قتادة ، عن أنس : رويدك سوقك ، ولا تكسر القوارير . قال أبو قلابة : يعني النساء . وقال قتادة : يعني ضعفة النساء . والقوارير ، جمع فارورة ، وهي الزجاجة ، سميت بذلك ، لاستقرار الشراب فيها . وقال الراهمري : كنى عن النساء بالقوارير لرقهتهن وضعفهن عن الحركة ، والنساء يشبهن بالقوارير في الرقة واللطافة وضعف البنية . وقيل : المعنى سقهن كسوقك القوارير لو كانت محمولة على الابل . وقال بعضهم : شبهن بالقوارير ، لسرعة انقلابهن عن الرضى ، وقلة دوامهن على الوفاء ، كالقوارير يسرع اليها الكسر ، ولا تقبل الجبر . وقد استعمل الشعراء ذلك . قال بشار :

ارفق بعمرى إذا حركت نسبه      فانه عربي من قوارير  
قال أبو قلابة : فتكلم النبي ﷺ بكلمة ، لو تكلم بها بعضكم لمبتموها  
ليه ، وهي قوله : سوقك بالقوارير .  
قال الداودي : هذا قاله أبو قلابة لأهل العراق ، لما كان عندهم من  
التكلف ، ومعارضة الحق بالباطل .

وقال الكرمانى في شرح البخاري : « لعله نظر الى أن شرط الاستمارة أن يكون وجه الشبه جلياً ، وليس بين الفارورة والمرأة وجه الشبه ظاهراً ، لكن الحق أنه كلام في غاية الحسن والسلامة عن السب ، ولا يانم في الاستمارة أن يكون جلاء وجه التشبيه من حيث ذاتها ، بل يكفي الجلاء الحاصل من القوارير الحاصلة ، وهو كذلك هنا . قال : ويحتمل أن يكون قصد أبي قلابة أن هذه الاستمارة من مثل رسول الله ﷺ في البلاغة ، ولو صدرت من غيره

عن لا بلاغة له لمبتموه ، قال : وهذا هو اللائق من منصب أبي قلابة . انتهى .  
قال في « الفتح » : وليس ما قاله الداودي بعيداً ، ولكن المراد من كان  
ينقطع في العبارة ويتجنب الالفاظ التي تشتمل على شيء من الهزل ، وقريب من  
ذلك قول شداد بن أوس الصحابي لثلامه : اثنتا بسفرة لبت بها ، فأنكرت عليه .  
أخرجه الامام أحمد ، والطبراني .

قال الخطابي : قيل : كان أنجشة أسود ، وكان في سوقه عنف ، فأمره  
أن يرفق بالمطايا . وقيل : كان حسن الصوت بالحداء ، فكره أن يسمع النساء  
الحداء ؛ فإن حسن الصوت يحرك من النفوس ؛ فشبّه ضعف عزائمهن وسرعة  
تأثير الصوت فيهن بالقوارير ، في سرعة الكسر لها . وجزم ابن بطال بالأول .  
فقال : القوارير : كناية عن النساء اللاتي كنّ على الأبل التي تساق حينئذ ،  
فأمر الحدادي بالرفق في الحداء ، لانه يحث الأبل حتى تسرع ، فاذا أسرعت لم  
يؤمن على النساء السقوط ، وإذا مشت رويداً أمن على النساء السقوط . قال :  
وهذا من الاستمارة البديعة ، لأن القوارير أسرع شيء تكسراً ، فأقادت  
الكناية من الخض على الرفق بالنساء في السير ، ما لم تفده الحقيقة ، لو قال :  
ارفق بالنساء .

وقال الطيبي : هي استمارة ، لأن المشبه به غير مذكور ، والقريظة حالية  
لا مقالية . ولفظ الكسر ترشيح لها ، وجزم أبو عبيد الهروي بالثاني ، فقال :  
شبه النساء بالقوارير لضعف عزائمهن ، والقوارير يسرع اليها الكسر ، فخشى  
من سماعهن النشيد الذي يحدو به أن يقع بقلوبهن منه ، فأمره بالكف ، فشبّه  
عزائمهن وسرعة تأثير الصوت فيهن بالقوارير في إسراع الكسر اليها ، ورجح  
عياض هذا الثاني فقال : هذا أشبه بمساق الكلام ، وهو الذي يدل عليه كلام  
أ قلابة ، وإلا فلو عبر عن السقوط بالكسر لم يعبه أحد ، وجوز القرطبي في

« المفهم » الأمرين ، فقال : شبهين بالقوارير لسرعة تأثيرهن ، وعدم تجلدهن : فخاف عليهن من حث السير لسرعة السقوط ، أو التألم من كثرة الحركة والاضطراب الناشئ عن السرعة ، أو خاف عليهن الفتنة من سماع النشيد . انتهى .  
وقد جرت عادة الابل أنها تسرع السير إذا حدي بها .

وقد أخرج ابن سمد بسند صحيح ، عن طاووس مرسلًا . وأورده البزار موصولاً ، عن ابن عباس ، دخل حديث بعضهم في بعض أن أول من حدا الابل عبد لمضر بن زرار بن معد بن عدنان ، كان في إبل لمضر ، فقصر ، فضربه مضر على يده فأوجعه ، فقال : يا يداه ، يا يداه . وكان حسن الصوت ، فأسرعت الابل لما سمعته في السير ، فكان ذلك مبدأ الحداء . ونقل ابن عبد البر الاتفاق على إباحة الحداء .

وفي كلام بعض علمائنا ما يشعر بنقل الخلاف فيه ، ومانه محجوج بالأحاديث الصحيحة ، ويلتحق بالحداء غناء الحجيج المشتمل على التشويق الى الحج بذكر الكعبة وغيرها من المشاهد .

وقد أكثر منه ابن الجوزي في « مثير العزم الساكن » . ونظيره ما يحرض على الجهاد ، ويحث على قتال الكفار . ومنه غناء المرأة لتسكين الولد في المهد .  
وفي « كتاب النهي عن سماع الأغاني » للإمام العلامة محمد بن أبي بكر الطرطوشي المالكي ، قال في ذم سماع الغناء : بأنه صنو الحجر ، ورضيعه ، وحليفه ، ونائبه ، وهو جاسوس القلوب ، وسارق المروءة والعقول ، يتغلغل في مسامير القلوب ، ويطلع على سرائر الأفتدة ، ويدب الى التخيل فيثير ما غرز فيها من الهوى والشهوة والرعونة ، فيستحسن ما كان قبل السماع يستقبحه . . . إلى أن قال : وهكذا تفعل الحجر إذا مالت بشرها .

قال . وعلى هذا المعنى نبه النبي ﷺ لما حدا أنجشة حادي النبي ﷺ

بأزواجه ، فأعنى الابل . فقال ﷺ : يا أنجشة ! رويدك سوقاً بالقوارير ، وكان  
 حسن الصوت . قال : فشبّه النبي ﷺ النساء لسرعة ميلهن ، بالقوارير لسرعة  
 تكسرهن . وقيل : المراد به الرفق بالابل ، فانه حيوان سريع الأفة .  
 قال : وقد شبه السباع بمض الشعراء بالخر ، وأخبر عن تأثيره في  
 النفوس ، قال :

أذكر ليلة وقد اجتمعنا	على طيب السباع الى الصباح
ودارت بيننا كأس الأثافي	فأسكرت النفوس بغير راح
فلم ترَ فيهم إلا نشاوى	سروراً والسرور هناك صاح
إذا لبي أخو اللذات فيه	ينادي الله وحى على السباح
ولم نملك سوى المهجات شيئاً	أرقناها لألحاظ ملاح

قال الطرطوشي : دل هذا على أن الغناء يخرق العقل كالخر ، وقد بالغ في  
 الرد ، والله تعالى الموفق .

#### الحديث التسعون

١٣٥ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس قال :  
 أسلم ناس من عريثة ، فاجتووا المدينة . فقال لهم رسول الله  
 ﷺ : لو خرجتم إلى ذود لنا فشربتم من ألبانها . قال حميد :  
 وقال قتادة ، عن أنس : وأبوالها ؛ ففعلوا ، فلما صحوا كفروا  
 بعد إسلامهم ، وقتلوا راعي رسول الله ﷺ ، مؤمناً ، أو مسلماً ،

وساقوا ذود رسول الله ﷺ ، وهربوا محاربين . فأرسل رسول  
الله ﷺ في آثارهم ، فأخذوا ، فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر  
أعينهم ، وتركهم في الحرّة حتى ماتوا .

قال رضي الله عنه : ( ثنا ) محمد ( بن أبي عدي ، عن حميد ) الطويل ( عن  
أنس ) بن مالك رضي الله عنه ( قال : أسلم ناس من عرينة ) -- بضم العين المهملة  
وفتح الراء -- بطن من بجيلة . وفي رواية عن أنس في « الصحيحين » : من  
عكل ، أو عرينة .

وعكل بضم العين المهملة وسكون الكاف - هو في الأصل اسم امرأة  
حبيب ، ولد عوف بن أيامين ، غلب اسمها على القبيلة من ولدها . وكان عدتهم  
ثمانية ، كما في « الصحيحين » : أربعة كانوا من عكل ، وثلاثة من عرينة ، والرابع  
كان تاباً لهم . وفي لفظ لمسلم : أن ناساً من عرينة ، كما في هذا الحديث . وفي  
آخر : من عكل وعرينة . وفي رواية للامام أحمد والبخاري وأبي داود : قال  
قتادة : فحدثني ابن سيرين ، أن ذلك كان قبل أن تنزل الحدود .

قال البرماوي : وكانت هذه القضية في شوال سنة ست من الهجرة  
( فاجتوا المدينة النبوية ) - وهو بالجيم الساكنة ، وفتح التاء المثناة الفوقية ،  
وفتح الواو الأولى وسكون الثانية - أي أصابهم الجواء ، وهو المرض ، وداة  
الجوف إذا تطاول ، أي استولوا المدينة واستوخوها . وقد جاء ذلك مفسراً ، في  
لفظ في « الصحيح » : فقالوا : يا رسول الله ! إنا كنا أهل ضرع ، ولم نكن أهل ريف .  
خرج البخاري في الطب والمنازي من « صحيحه » . ولفظه : قالوا : يا رسول  
الله ! آوينا وأطمنا ، فلما صحوا قالوا : إن المدينة وخمة ، وكان بهم سقم من الهزال

الشديد ، والجهد من الجوع ؛ فعند أبي عوانة : كان بهم هزال شديد . وعنده من رواية ابن سمد عنه : مصفرة أوانهم .

وأما الوخم الذي شكوا منه بعد أن صحت أجسامهم ، فهو من حمى المدينة؛ فعند أبي عوانة ، عن أنس : فمظمت بطونهم ( فقال لهم رسول الله ﷺ : لو خرجتم إلى ذود لنا ) . ذكر ابن سمد أن عدد الذود كان خمس عشرة . وفي رواية بهز بن أسد : أن الذود كان مع الراعي بجانب الحرة . قال في «المطالع» : الذود من الثلاث إلى التسع في الابل ، وإن ذلك يخص بالاناث ، قاله أبو عبيد .

وقال الاصمعي : ما بين الثلاث إلى العشر . وقال غيره : واحد . وفي «القاموس» : الذود ثلاثة أبرة إلى عشرة ، أو خمس عشرة ، أو عشرين ، أو ثلاثين ، أو ما بين الثنتين والتسع ، مؤنث ولا يكون إلا من الاناث ، وهو واحد وجمع ، أو جمع لا واحد له ، أو واحد ، جمع : أذاود . وقولهم : الذود إلى الذود إبل يدل على أنها في موضع اثنتين ، لأن الثنتين إلى الثنتين جمع . انتهى . وفي لفظ في «الصحيحين» ، وغيرها : فأمر لهم النبي ﷺ بلقاح . قال في «الفتح» : اللقاح باللام المكسورة والقاف وآخره حاء مهملة النوق ذوات الألبان ، واحدا : لقحة — بكسر اللام وإسكان القاف . قال أبو عمر : يقال لها ذلك إلى ثلاثة أشهر ، أي من ولادتها ، ثم هي لبون . واللقاح — جمع لقوح ، كصبور — وهي الناقة القريبة المهذب بالنواج . يقال : ناقة لقوح ، إذا كانت غزيرة اللبن ، ولاقح إذا كانت حاملاً . ونوق لواقح . واللقاح : ذوات الألبان .

وعند أبي عوانة ، من حديث أنس في هذه القصة : فمظمت بطونهم ، فأمرهم بلقاح ، أي أمرهم أن يلحقوا بها . وفي رواية عند البخاري وغيره :

فأمرهم أن يلحقوا براعيه . وفي رواية : أنه وقع في المدينة الموم أي بضم الميم وسكون الواو - وقال : وهو البرسام ، أي بكسر الموحدة ، سرياني معرب ، يطلق على اختلال العقل ، وعلى ورم الرأس ، وعلى ورم الصدر ، والمراد هنا الأخير . فقالوا : يارسول الله ! قد وقع هذا الوجع ، فلو أذنت لنا فخرجنا الى الابل . وفي رواية عند البخاري : انهم قالوا : يارسول الله ! ابغضنا رسلاً ، أي أي اطلب لنا لبناً . قال : ما أجد لكم إلا أن تلحقوا بالودود . وظاهر ما ذكرنا أن اللقاح كانت للنبي ﷺ . وقد صرح في البخاري في « حد الحارثيين » ، بذلك ، فقال : إلا أن تلحقوا بابل الرسول ﷺ . وفي رواية : إلا أن تأتوا إبل الصدقة . والجمع بينها أن إبل الصدقة كانت ترعى خارج المدينة ، وصادف بث النبي ﷺ بلقاحه الى المرعى ؛ طلب هؤلاء النفر الخروج الى الصحراء لشرب ألبان الابل ، فأمرهم أن يخرجوا مع راعييه ، فخرجوا معه الى الابل ، ففعلوا ما فعلوا ؛ فظهر بذلك مصداق قول النبي ﷺ : « إن المدينة تنفي خبيثها » ( فشرهتكم ) جواب لو ( من ألبانها ) .

وفي لفظ في « الصحيحين » : فأمرهم بلقاح ، وأن يشربوا . وفي أخرى : فاخرجوا فاشربوا من ألبانها . وفي رواية شمعة عن قتادة : فرخص لهم أن يأتوا إبل الصدقة ، فيشربوا . أما شربهم من ألبان الصدقة ، فلاهم من أبناء السبيل ، وأما شربهم من لبن لقاح النبي ﷺ ، فبإذنه ( قال حميد ) الطويل ( وقال قتادة ) بن دعامة بن قتادة السدوسي أبو الخطاب البصري الأكمه ، أحد الأعلام . روى عن أنس ، وعبدالله بن سرجس ، وأبي الطفيل ، وابن المسيب ، والحسن ، وابن سيرين ، وخلق . وعنه أبو حنيفة ، وشعبة ، ومسلم ، والأوزاعي ، وحماد ابن سلمة ، وخلق .

قال سعيد بن المسيب : ما أتاني عراقي أحفظ من قتادة . وقال الامام أحمد

كان قتادة أحفظ أهل البصرة ، لم يسمع شيئاً إلا حفظه . وقرئت عليه صحيفة جابر مرة واحدة ؛ فحفظها . وكان من العلماء . وقال قتادة : ما سمعت أذناي شيئاً قط إلا وعاه قلبي . وقال بعضهم : إنه كان يتهم بالقدر . ولد سنة ستين ومات سنة سبع عشرة ومائة . ومن جملة من روى عنه حميد ؛ فيكون هذا الحديث بالنسبة لهذه الزيادة رباعياً ؛ فإن الامام أحمد رواها عن ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن قتاده ( عن أنس ) رضي الله عنه ( وأبوها ) عطف على ألبانها ، وهذه الزيادة في « الصحيحين » ، وغيرها ( ففعلوا ) أي شربوا من ألبان الأبل ، وأبوها ، وبه احتج من قال بطهارته من الأبل ومن كل ما كول ، أما من الأبل ، فهذا الحديث ؛ وأما من كل ما كول ؛ فبالقياس عليه ، وهذا مذهب الاماميين أحمد ومالك ، وطائفة من السلف ، وواقفهم من محدثي الشافعية ابن خزيمة ، وابن المنذر ، وابن جبان ، والاصطخري ، والروياتي . وذهب الشافعي والحنفي وجماعة إلى القول بنجاسة الأبول والأزواث كلها ، من ما كول اللحم وغيره ، واحتج ابن المنذر لطهارته ، بأن الأشياء على الطهارة حتى تثبت النجاسة . قال : ومن زعم أن هذا خاص بأوثان الأبقار ، فلم يصب ، إذ الخصائص لا تثبت إلا بدليل . قال . وفي ترك أهل العلم بيع الناس أبقار الغنم في أسواقهم ، واستعمال أبوال الأبل في أدويتهم قديماً وحديثاً من غير تكبير دليل على طهارتها .

وقال ابن العربي : تعلق بهذا الحديث من قال بطهارة أبوال الأبل ، وعورضوا بأنه أذن لهم في شربها للتداوي . ورد بأن التداوي ليس حال ضرورة بدليل أنه لا يجب ، فكيف يباح الحرام لما لا يجب ، وأجيب بمنع كونه ليس حال ضرورة ، بل هو حال ضرورة إذا أخبره بذلك من يعتمد على خبره ، وما أبيع للضرورة لا يسمى حراماً وقت تناوله ، لقوله تعالى : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه » (١) .

(١) سورة الانعام ، الآية : ١١٩



ولنا قوله ﷺ : « إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها » رواه أبو داود من حديث أم سلمة : وروي من طريق في « البخاري » وغيره أيضاً : والنجس حرام ؛ فلا يتداوى به ، لأنه لا شفاء فيه . وقد قال ﷺ في جواب من سأله عن التداوي بالحجر : « إنها ليست بدواء إنما داء » رواه مسلم . وفي حديث عن ابن عباس مرفوعاً : إن في أبوال الأبل شفاء الدرية . رواه ابن المنذر .

والدرية : فساد المدة ؛ فلولا أن أبوال الأبل طاهرة ؛ لما ثبت أن فيها دواء ؛ بدليل قوله ﷺ في الحديث الصحيح : « إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها » وقد أطلق ﷺ الاذن في شرب أبوال الأبل لقوم حديثي عهد بالاسلام ، جاهلين بالأحكام ، ولم يأمرهم بغسل أفواههم وما يصيبهم منها لأجل صلاة ولا غيرها ، مع اعتيادهم شربها ؛ فدل ذلك لمذهب القائلين بالطهارة . وأيضاً ثبت عنه ﷺ أنه قال : « صلوا في مرائب الغنم » فأطلق الاذن ، ولم يشترط حائلاً يقي من الأبوال والأبيرة ؛ فأشعر بطهارتها ( فلما صحوا ) من مرضهم الذي كان بهم ، وسمنوا ، ورجعت إليهم ألوانهم ، كما في رواية ( كفروا بعد إسلامهم ) الذي أظروه ونطقوا به ( وقتلوا راعي ) لقاح ( رسول الله ﷺ ) وفي رواية عند مسلم : ثم مالوا على الرعاء فقتلوم ، وارتدوا عن الاسلام . وكان لقاح رسول الله ﷺ ( مؤمناً ) بالله ورسوله ( أو ) قال الراوي : ( مسلماً ) يدل مؤمن ، وهو يسار - بفتح النحية فسین مهملة فألف فراء - مولى النبي ﷺ ، وكان يرعى إبله ﷺ ؛ فلما قتلوه حمل إلى قباء ميتاً ، ودفن بها .

وذكر ابن سعد : أنه نوبي أصابه النبي ﷺ في غزوة محارب ، فرآه ﷺ يحسن الصلاة ، فأعتقه ( وساقوا ذود رسول الله ﷺ ، وهربوا محاربين ) فناء الخبر .

وفي رواية : فبلغ ذلك النبي ﷺ .

وفي أخرى : فجاء الصريح - بالخاء المعجمة ، وهو فيل بمعنى فاعل أي المصرخ بالاعلام بما وقع منهم ، وهذا الصارخ ، هو أحد الراعيين ، كما في « صحيح ابن عوانة » ، من رواية معاوية بن قررة ، عن أنس .

وأخرج مسلم إسناده ، ولفظه : فقتلوا أحد الراعيين ، وجاء الآخر قد جزع . فقال : قد قتلوا صاحبي ، وذهبوا بالابل ، ولم أر من سمى الراعي الآتي بالخبر .

والظاهر أنه راعي إبل الصدقة ، ولم تختلف روايات البخاري في أن القتول راعي النبي ﷺ . ولا في ذكره بالافراد ، وكذا في مسلم . نعم عند مسلم ، من رواية عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس : ثم مالوا على الرعاة فقتلوا بصيفة الجمع . ونحوه لابن حبان ، من رواية يحيى بن ساعد ، عن أنس ؛ فيحتمل أن إبل الصدقة كان لها رعاة ، فقتل بعضهم مع راعي رسول الله ﷺ ، فاقصر بعض الرواة على ذكر راعي لفتح النبي ﷺ ، ذكر بعضهم معه غيره ، ويحتمل أن يكون بعض الرواة ذكره بالمعنى ؛ فتجاوز بالاثبات بصيفة الجمع . ورجح في « الفتح » الثاني ؛ لأن أهل المغازي لم يذكر أحد منهم أنهم قتلوا غير يسار .

( فأرسل رسول الله ﷺ في آثارهم ) وكان جاءه الخبر في أول النهار . وفي رواية سلمة بن الأكوع : فبث في آثارهم خيلاً من المسلمين ، أميرهم كرز ابن جابر الفهري ، وكذا ذكره ابن إسحاق ، والأكثر ، وهو بضم الكاف وسكون الراء بعدها زاي .

وللنسائي من رواية الاوزاعي : فبث في طلبهم قافة ، جمع قائف . ولمسلم من رواية معاوية بن قررة ، عن أنس : أنهم شباب من الأنصار ، قريب من عشرين رجلاً ، وبث معهم قائفاً يقتص آثارهم .

قال في « الفتح » : ولم أقف على اسم هذا القائف ، ولا على اسم واحد من

المشرين رجلاً ، لكن في «مغازي الواقدي» : أن السرية كانت عشرين رجلاً ، ولم يقل من الأنصار ، بل سمي منهم جماعة من المهاجرين ، منهم : بريدة بن الحصيب وسلمة بن الأَكْرَع الأسلمي ، وجندب ورافع ابنا مكيث جهنيان ، وأبو ذر وأبو رهم الفغاريان ، وبلال بن الحارث وعبد الله بن عمرو بن عوف المزنيان ، وغيرهم ، وأمير هذه السرية سعد بن زيد الأشهلي .

وفي «البرماوي» : سعد بن زيد بن عمرو بن نفيل . وقيل : جرير ابن عبد الله البجلي ، لكن المعروف تأخر إسلام جرير عن ذلك بمدة ، والله أعلم .  
( فأخذوا ) أي أخذتهم السرية بعد أن أدركوم ، فلما ارتفع النهار ؛ جازوا بهم الى رسول الله ﷺ ( قطع ) رسول الله ﷺ ( أيديهم وأرجلهم ) .

قال الداودي : يعني قطع يدي كل واحد منهم ، ورجليه ، أي أمر بذلك ، لكن يرد ما قاله الداودي ، رواية الترمذي : من خلاف ؛ فانها تقتضي عدم استئصال أيديهم وأرجلهم ، بل تقتضي قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ، أو عكسه ، ولم يحسمهم بزيت مغلي ليقطع الدم ، بل تركه ينزف ( وسمّر أعينهم ) .  
بفتح السين المهملة وتشديد الميم - وفي رواية : بتخفيفها ، ولم تختلف رواية البخاري أنه بالراء .

ووقع لسلم من رواية عبد العزيز : وسمل - بالتخفيف واللام - قال الخطابي : السمل : قفاء العين بأي شيء كان .  
قال أبو ذؤيب الهذلي :

والعين بدمم كأن حذاقها سملت بشوك فهي عور تدمع

قال : والسمر لعله لفة في السمل . ومخرجها متقارب ، وقد يكون من السمر ، يريد أنهم كحلوا بأميال قد أحميت .

وقد وقع التصريح بذلك عند البخاري ، من رواية أبي قلابة ، ولفظه :

ثم أمر بمسامير فأحيمت ، فكطلم بها ؛ فهذا يوضح رواية : ويسر أعينهم ، ولا يخالف رواية السمل ؛ لأنه لقاء العين بأي شيء . كان ، كما مر آنفاً (وتركهم) أي القوا ( في الحرة ) وهي ذات حجارة سود ، معروفة بالمدينة ، وإنما القوا فيها ، لأنها قرب المكان الذي فطوا فيه ما فعلوا ، سميت بالحرة أشدة الحر بها ، ووهج الشمس فيها ، وجمعها حرار<sup>(١)</sup> ، وأحرار ؛ فصلوا ويتزاحفون فيها يستسقون فلا يسقون ( حتى ماتوا ) وفي رواية : ثم نكسهم في الشمس حتى ماتوا . وفي رواية شعبة ، عن قتادة : يمضون الحجارة . وفي رواية ثابت ، قال أنس رضي الله عنه : فرأيت الرجل منهم يكدم الأرض بلسانه حتى يموت . ولا يبي عوانة من هذا الوجه : يمض الأرض ليجد بردها بما يجمد من الحر والشدة . وفي رواية : ما يجمد من التم والوجع . وزعم الواقدي أنهم صلبوا .

والروايات الصحيحة ترده . وعند أبي عوانة ، عن ابن عقيل ، عن أنس : فصب اثنين ، وقطع اثنين ، وسمل اثنين .

قال في « الفتح » : كذا ذكر سنة فقط ، فإن كان محفوظاً فمقو بهم كانت موزعة . قال جماعة ، منهم الحافظ ابن الجوزي : إلا أن ذلك وقع عليهم على سبيل القصاص ؛ ففي مسلم من حديث أنس إنما سمل النبي ﷺ أعينهم ، لأنهم سملوا أعين الرعاة ، وقصر من اقتصر . وتعقبه ابن دقيق العيد ، بأن المثلة في حقهم وقعت من جهات ، وليس في الحديث إلا السمل ، فيحتاج إلى ثبوت البقية . انتهى .

وفي « المغازي » ، و « سبل المهدي » : فلما صحوا ورجعت إليهم أبدانهم ، وانطوت بطونهم ؛ كفروا بمد إسلامهم ، وعدوا على القحاق فاستاقوها ، فأدركهم مولى رسول الله ﷺ يسار وممه نفر ، فقاتلهم ، فأخذوه ، فقطموا يديه ورجليه ، وغرزوا الشوك في لسانه وعينه حتى مات ؛ فهذا إن ثبت يدل على أنه إنما مثل

(١) في الاصل : حرا ، والتصحيح من « القاموس »

بهم ، كما مثلوا بيسار ؛ فهو صريح فيما قال ابن الجوزي ومن وافقه ، وكان رسول الله ﷺ لما بث في آثارهم قال : اللهم اعم عليهم الطريق ، واجعله عليهم أضييق من مسك حمل (١) ؛ فعسى الله عليهم السبل ؛ فأدركوا في ذلك اليوم ، كما تقدم آنفاً .

وقال الواقدي : خرج كرز وأصحابه في طلبهم حتى أدركهم الليل ، فباتوا بالحرة ، ثم أصبحوا ولا يدرون أين سلكوا ؛ فاذا بامرأة تحمل كنف بدير ، فأخذوها فقالوا : ما هذا ؛ قالت : مررت بقوم قد نحرروا بيراً ، فأعطوني هذه الكنف . فقالوا : أين ؛ فقالت : بتلك الحرة ، القفارة من الحرة ، إذا وفيت عليها رأيتم دخانهم ، فساروا حتى أتوا بهم حين فرغوا من طعامهم ، فأحاطوا بهم ، فسألوه أن يستأسروا ؛ فاستأسروا بأجمعهم ، لم يفلت منهم إنسان ، فربطوهم وأردفوه على الخيل حتى قدموا المدينة ؛ فوجدوا رسول الله ﷺ بالربابة - بكسر الراء وبالعين المجمة والموحدة - أرض متصلة بالجرف ، بضم الجيم والراء ، كما قاله أبو عبيد البكري ، فخرجوا بهم نحو رسول الله ﷺ ، قال أنس رضي الله عنه : خرجت أسمى في آثارهم مع الغلمان ، حتى لقي بهم رسول الله ﷺ ؛ فأمر بمسامير فأحميت ، فكحلهم بها .

قال أنس ، كما عند مسلم : لسملم عين الرعاة ، وقطع أيديهم وأرجلهم ، ونبذهم بالحرة بمضون الحجارة يستسقون فلا يسقون ، حتى ماتوا على حالهم ، ولم يحسمهم .

قال ابن سيرين : كانت هذه المرنيين قبل أن تنزل الحدود ، فأزّل الله تعالى دإنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسمون في الأرض فساداً أن يقتلوا ، أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض (٢) فلم يسلم رسول الله ﷺ بعد ذلك عيناً ، ولم يقطع لساناً ، ولم يزد على قطع

(١) أي جلد خروف . (٢) سورة المائدة ، الآية : ٣٣

اليد والرجل ، وما بث رسول الله ﷺ بعد ذلك بشئ إلا نهام عن المثلة ، فكان بعد ذلك بحث على الصدقة ، ونهى عن المثلة .

وعن أبي الزناد : أن رسول الله ﷺ لما قطع الذين سرقوا لقاحه ، وسمل أعينهم بالنار ؛ عاتبه الله في ذلك ، فأزل ، وإنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، (١) الآية رواه أبو داود ، والنسائي .

قال ابن شاهين - عقب حديث عمران بن حصين الذي رواه الحاكم ، وحديث ابن عمر ، والمغيرة الذي رواه الطبراني في « الكبير » ، أنه ﷺ نهى عن المثلة ، وهي - بضم الميم وسكون المثلة - قطع أطراف الحيوان أو بمضها وهو حي ، أو التشويه به : هذا الحديث ينسخ كل مثلة ، وتمتبه ابن الجوزي ، بأن ادعاء الشيخ يحتاج إلى تاريخ .

ويدل لما قال ابن شاهين ، حديث أبي هريرة في النهي عن التمثيل بالنار بعد الاذن فيه ، وقصة المرنيين قبل إسلام أبي هريرة ، وقد حضر الاذن ثم النهي .

وقد ذكر ابن اسحاق أن قدوم المرنيين كان بعد غزوة ذي قرد ، وكانت في جمادى الآخرة سنة ست ، وذكرها البخاري بعد الحديثية ، وكانت في ذي القعدة منها .

وذكر الواقدي : أنها كانت في شوال منها ، وتبعه ابن سعد ، وابن حبان ، وغيرهما .

واستشكل القاضي عياض عدم سقيهم الماء ؛ للاجماع على أن من وجب عليه القتل فاستسقى ، لا يمنع ، وأجاب بأن ذلك لم يقع عن أمر النبي ﷺ ، ولا وقع منه نهى عن سقيهم . انتهى .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٣٣

وضعف الحافظ ابن حجر في «الفتح» ، هذا الجواب ، لأنه ﷺ اطلع على ذلك ، وسكوته كافٍ في ثبوت الحكم .

وأجاب النووي بأن المحارب المرتد لا حرمة له في سقي الماء ولا غيره .  
ويدل عليه أن من ليس معه إلا ماء لطهارته ؛ ليس له أن يسقيه للمرتد  
ويشيم ، بل يستعمله ولو مات عطشاً . وقيل : الحكمة في تمطيشهم ؛ لكونهم  
كفروا بنعمة سقي ألبان الابل ، التي حصل لهم بها الشفاء من الجوع والوخم ،  
ولأنه ﷺ دعا بالمطش على من عطش آل بيته في قصة رواها النسائي ؛ فيحتمل  
أن يكونوا في تلك الليلة ممنوا لإرسال ما جرت به العادة من اللبن الذي كان  
يراح به إلى آل النبي ﷺ كل ليلة ، كما ذكر ذلك ابن سعد .

وفي «صحيح البخاري» ، قال سلام - بتشديد اللام - بن مسكين الأزدي ؛  
فبلغني أن الحجاج ، أي ابن يوسف الثقفي ، الأمير المشهور بالاسراف في الدماء  
والشقاوة . قال لأنس بن مالك رضي الله عنه : حدثني بأشد عقوبة عاقب النبي  
ﷺ . وفي لفظ : عاقبها ؛ فحدثه بهذا ، فبلغ ذلك الحسن البصري . فقال : وددت  
أنه ، أي أنس بن مالك لم يحدثه ، أي الحجاج بن يوسف ، يعني بهذا الحديث .  
وفي رواية أنس : فذكر ذلك قوم للحجاج ، فبعث إليّ فقال : هذا خاتمي  
فليكن بيدك ، أي بصير خازناً له . فقال أنس رضي الله عنه ، إني أعجز عن  
ذلك . قال : فحدثني بأشد عقوبة عاقبها النبي ﷺ . . . الحديث . وفي رواية  
بهز : فوالله ما انتهى الحجاج حتى قام بها على المنبر ، فقال : حدثنا أنس . فذكره  
وقال : قطع النبي ﷺ الأيدي والأرجل ، وسمر الأعين في معصية الله ، أفلا  
نفعل نحن ذلك في معصية الله .

وذكر الاسماعيلي من وجه عن ثابت ، حدثني أنس ، قال : ما ندمت على  
شيء ما ندمت على حديث حدثت به الحجاج ، فذكره .

وإنما يندم أنس على ذلك ؛ لأن الحجاج كان مسرفاً في العقوبة ، وكان يملق بأدنى شبهة ، ولا حجة للحجاج في قصة المرينين ، لأنه وقع التصريح بأنهم ارتدوا ، وكان ذلك أيضاً قبل أن تنزل الحدود كما مر ، وقبل النهي عن المثلة كما تقدم ، والله أعلم .

تفسيه : القتل المشروع : هو ضرب الرقبة بالسيف ونحوه ؛ لأن ذلك أوحى (١) أنواع القتل ، ولذلك شرع قتل ما يباح قتله من الآدميين والبهائم إذا قدر عليه على هذا الوجه . قال النبي ﷺ : « إن الله كتب الاحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليجد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » . رواه مسلم من حديث شداد بن أوس .

وقد حكى ابن حزم الاجماع على وجوب الاحسان في الذبحة ، وأسهل وجوه قتل الآدمي ضربه بالسيف على العنق . قال تعالى : « فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، (٢) وقال : « سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق الأعناق ، (٣) وقد قيل : إنه عين الموضع الذي يكون الضرب فيه أسهل على المقتول ، وهو فوق العظام ، ودون الدماغ .

وكان النبي ﷺ إذا بث سرية تغزو في سبيل الله ، قال لهم : لا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ، .

وأخرج أبو داود وابن ماجه ، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « أعف الناس قتلة أهل الايمان » .

وخرج الامام أحمد ، وأبو داود ، من حديث عمران بن حصين ، وسهيب بن جندب رضي الله عنها : أن النبي ﷺ كان ينهى عن المثلة .

(٢) سورة محمد ، الآية : ٤

(١) أي أسرع أنواع القتل

(٣) سورة الانفال ، الآية : ١٢



وخرجه البخاري ، من حديث عبد الله بن يزيد رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه نهى عن المثلة ، وتقدم .

وخرجه الامام أحمد ، من حديث يعلى بن مرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال الله تعالى : « لا تمثلوا بعبادي » .

وأخرج الامام أحمد أيضاً ، عن رجل من الصحابة ، عن النبي ﷺ قال : « من مثل بذي روح ، ثم لم يتب ؛ مثل الله به يوم القيامة .

إذا علمت هذا ؛ فاعلم أن القتل المباح يقع على وجهين : أحدهما : أن يكون قصاصاً ؛ فلا يجوز التمثيل فيه بالمتنص منه ، بل يقتل كما قتل . فإن كان قد مثل بالمتنول ، فهل يمثل به كما فعل ، أم لا يقتل إلا بالسيف ؟ فيه قولان مشهوران للعلماء :

أحدهما : أنه يفعل به كما فعل ، وهو قول الامام مالك ، والشافعي ، وأحمد رضي الله عنهم في المشهور .

وقد رضع رسول الله ﷺ رأس الذي رضع رأس الجارية ، كما في الصحيحين ، وغيرها .

والقول الثاني : لا قود إلا بالسيف ، وهو قول الثوري ، وأبي حنيفة ، ورواية عن الامام أحمد .

وعن الامام أحمد رواية ثالثة : يفعل به كما فعل ، إلا أن يكون حرقه بالنار ، أو مثل به ؛ فيقتل بالسيف ؛ للنهي عن المثلة ، وعن التحريق بالنار ، قلها عنه الاثرم .

وقد خرج ابن ماجه باسناد ضيف ، عن النبي ﷺ أنه قال : « لا قود إلا بالسيف » .

قال الامام أحمد : يروى : لا قود إلا بالسيف ، وليس إسناده بمجيد .

وحدث أنس ، يعني في قتل اليهودي الذي قتل الجارية أسند منه وأجود .  
قال شيخ الاسلام ابن تيمية في « السياسة الشرعية » : التمثيل في القتل  
لا يجوز إلا على وجه القصاص .

الوجه الثاني : أن يكون القتل للكفر ، إما لكفر أصلي ، أو لردة عن  
الاسلام ، فأكثر العلماء على كراهة المثلة فيه أيضاً ، وأنه يقتل فيه بالسيف .  
وقد روي عن طائفة من السلف جواز التمثيل فيه ، بالتحريق بالنار  
وغير ذلك ، كما فعله خالد بن الوليد وغيره .

وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه حرق الفجاءة بالنار .  
وروي أن أم قرفة الفزارية ارتدت في عهد أبي بكر رضي الله عنه ، فأمر بها  
فشدت ذؤابتها في أذنان قلوصين أو فرسين ، ثم صبح بها ، فتقطعت المرأة ،  
وأسانيد هذه القصة منقطعة .

وقد ذكر ابن سعد في « طبقاته » بغير إسناد : أن زيد بن حارثة قتلها هذه  
القتلة على عهد النبي ﷺ ، وأخبر النبي ﷺ بذلك .

قال في « السيرة » : واسم أم قرفة : فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، وكانت  
عند حذيفة بن بدر بن حذيفة عجوز كبيرة ، وكانت في شرف من قومها ،  
وكانت العرب تقول : لو كنت أعز من أم قرفة ، لأنها كانت يطلق في بيتها  
خمسون سيفاً ، كلهم لها ذو محرم . وكان لها اثنا عشر ولداً ، وابنها قرفة الذي  
تكفى به قتله النبي ﷺ ، وسأر بنها قتلوا مع طليحة في الردة ؛ فلا خير فيها  
ولا في بنها .

قال في « سبل الهدى » : فأمر زيد بن حارثة بقتل أم قرفة لسبها رسول  
الله ﷺ ؛ فقتلت قتلاً عنيفاً . انتهى .

قال ابن سيد الناس في « عيون الأثر » : ربط رجلها في جبلين ، ثم

---

(١) في الاصل : اثني ، وهو خطأ

ربطاً إلى بديرين . و يروي : إلى فرسين ، وزجرهما حتى شقناها . ورأيتي قد كتبت في « شرح نونية الصرصري معارج الأنوار » في الجواب عن صنيع زيد في قتل أم قرفة ، مع نهيه ﷺ عن المثلة ، وأمره بحسن القتلة ، ولم يبلغنا أنه ﷺ عاتب زيدا على ذلك ؛ فكان ذلك لعظم جنايتها ؛ فانها كانت تسب النبي ﷺ .

وجاء أنها جهزت ثلاثين راكباً من ولدها وولد ولدها ، وقالت : اغزوا المدينة ، واقتلوا محمداً . ولكن هذا خبر منكر ، على أن الواقدي ذكر أن أم قرفة قتلت يوم بزاعة .

قال في « العيون » : إنما المقتول يوم بزاعة بنوها التسمية . قال الدولابي : إنما قتلها زيد .

قال في « القاموس » : بزاعة - بالضم - موضع ، وبه وقمة لأبي بكر رضي الله عنه . انتهى . وهو ، بضم الواحدة فزاي مفتوحة فضاء ممجمة مفتوحة فناء تأنيث .

قال في « المطالع » : موضع بالبحرين . وقال الأصمعي : هو ماء لطبي . وقال الشيباني : ماء لبني أسد . وحكى البكري فيه : بزوخة . انتهى . وإضافة الوقمة للصديق ؛ لأنها في خلافته ، يعني قتال أهل الردة مع طليحة ، وإنما الأمير الذي باشر القتال خالد بن الوليد رضي الله عنه . وقد عاد طليحة إلى الإسلام في خلافة عمر الفاروق رضي الله عنهم ، والله الحمد .

وصح عن علي رضي الله عنه أنه حرق المرتدين ، وأنكر ذلك ابن عباس عليه . وقيل : إنه لم يحرقهم ، وإنما دخن عليهم حتى ماتوا . وقيل : إنه قتلهم ثم حرقهم . والذي صح أنه حرقهم ، وقال :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أجمعت ناراً ودعوت قنبراً

أي عبده . قنبر ليقربهم إليه ويضمهم في النار المؤججة . وروي أنه جيء بمرتد ، فأمر به فوطئ بالأرجل حتى مات .

واختار الامام ابن عقيل من علمائنا جواز القتل بالتمثيل للكفر ، لا سيما  
إذا تغلظ ، وحمل النهي عن المثلة على القتل بالقصاص .

واستدل من أجاز ذلك بقصة المرتين . وقد قال بعض العلماء : من فعل  
مثل فعلهم بأن ارتد ، وحارب ، وأخذ المال ؛ صنع به كما صنع بهؤلاء ، روي  
هذا عن طائفة من السلف ، منهم أبو قلابة ، وهذا رواية عن الامام أحمد .  
ومنهم من قال : بل هذا يدل على جواز التمثيل لمن تغلظت جرائمه في الجملة ،  
إعما نهي عن التمثيل في القصاص ، وهو قول ابن عقيل . ومنهم من قال : بل  
نسخ ما فعل بالمرتين بالنهي عن المثلة ، وهذا قول الجمهور ، وبالله التوفيق .

انتهى بحمد الله

## الجزء الأول

وبالله

## الجزء الثاني

وأوله الحديث الحادي والتسعون من مسند سيدنا أنس بن مالك  
رضي الله عنه

# القدس

الموضوع	صفحة
خطبة الكتاب	٣
ترجمة الامام أحمد بن حنبل	٦
شيوخه وتلامذته	٩
كراماته	١١
من منشور كلامه	١٢
من شعره	١٢
زواجه وابناؤه	١٤
مولده ونشأته	١٥
اشتماله بالعلم	١٦
وفاته	١٨
بعض ما قيل في رثائه	١٨
ترجمة الامام إسماعيل بن عمر المقدسي	٢٢
ترجمة الامام الضياء محمد بن عبد الواحد المقدسي	٢٣
خاتمة المقدمة :	٢٧
تعريف الحديث الثلاثي	٢٧
فضل القرون الثلاثة	٢٧

الموضوع	صفحة
فضل الصحابة والتابعين	٢٨
تعديل الصحابة	٢٩
أصول مذهب الامام أحمد	٣٢
﴿ مسند ابن عمر ﴾	٣٩
الحديث الاول : النهي عن بيع الولاء وهبته	٣٩
ترجمة سفيان	٣٩
ترجمة ابن عمر	٤٣
مطلب في النهي : صيغته ودلالته	٤٦
بيع الولاء وهبته	٤٨
الحديث الثاني : دخول مساكن الذين عذبوا	٥٠
مطلب في الكلام على ثمود	٥١
حكم ماء آبار ثمود	٥٢
ملك ديار ثمود	٥٣
الحديث الثالث : حكم أكل الضب	٥٤
الحديث الرابع : حكم ود السلام على اليهود	٥٨
الحديث الخامس : تناحي الاثنين دون الثالث	٦٣
الحكم اذا كانوا أربعة	٦٦
تناحي الجماعة دون الواحد	٦٦
د د د الجماعة	٦٧
الدخول بين المتناجين	٦٧
الثمانية المستحقون للصنع (شعر)	٦٨

الموضوع	صفحة
وجوب كتم السر	٦٨
الحديث السادس : في البيعة على السمع والطاعة	٦٩
الحديث السابع : البيعان بالخيار	٧٣
من ترك العمل به	٧٤
جواز خيار الشرط	٧٨
خيار المجلس	٧٩
تلف المبيع في مدة الخيار	٧٩
الحديث الثامن : من جرد إزاره خيلاء	٨٠
ترجمة زيد بن أسلم	٨٠
استثناء ثوب المرأة	٨٦
الحديث التاسع : التسليم بالإشارة	٨٧
ترجمة صهيب	٩٠
السلام على الأصم	٩٣
ابتداء السلام سنة	٩٣
رد السلام فرض	٩٤
ابتداء السلام أفضل من رده	٩٤
الحديث العاشر : مواقيت الحج	٩٥
احرام أهل الشام من ذي الحليفة	٩٨
يلعلم لليمن	٩٦
ذات عرق للمراق	١٠٢
مبقات أهل المدينة	١٠٣

الموضوع	صفحة
لزوم الاحرام من الميقات	١٠٣
ميقات المكي	١٠٥
الحديث الحادي عشر : الخابرة	١٠٥
ترجمة عمرو بن دينار	١٠٦
المزارعة بمجزء مشاع	١١٢
حكم المساقاة	١١٢
كراء الارض	١١٢
الحديث الثاني عشر: ما يحل للمعتق قبل السمي	١١٣
مقام ابراهيم	١١٤
حكم ركعتي الطواف	١١٦
السمي بين الصفا والمروة	١١٧
أركان الحج وواجباته	١١٩
الحديث الثالث عشر : في غسل الجمعة	١٢٠
منبره صلى الله عليه وسلم	١٢٠
صانع منبره	١٢١
اشتقاق كلمة الجمعة	١٢١
وقت غسل الجمعة	١٢٢
حكم غسل الجمعة	١٢٣
الاحاديث الواردة في غسل الجمعة	١٢٤
الحديث الرابع عشر : النهي عن بيع النار قبل بدو صلاحها	١٢٥
معنى بدو صلاحها	١٢٦



الموضوع	صفحة
هل يعتبر صلاح بعض ثمر الشجر صلاحاً للجميع	١٢٧
الجانحة في النار	١٢٨
الحديث اخامس عشر : اقتناء الكلب	١٢٩
حكم اقتناء كلب الماشية والقنص	١٢٩
نقصان أجره إذا اقتناه بغير عذر	١٣٠
<b>﴿ مسند جابر ﴾</b>	
ترجمة جابر رضي الله عنه	١٣٦
الحديث الأول : أكل الحوت الذي قذفه البحر	١٣٧
ترجمة هشيم بن القاسم	١٣٨
ترجمة أبي الزبير محمد بن مسلم	١٣٩
ترجمة أبي عبيدة بن الجراح	١٣٩
الكلام على سرية أبي عبيدة	١٤٠
ترجمة يحيى بن سليم	١٤٤
حل أكل ميتة البحر	١٤٤
هل يؤكل اللحم إذا أنقن	١٤٥
بعض ما يمنع أكله من حيوان الماء	١٤٦
متى كانت هذه السرية	١٤٧
القتال في الأشهر الحرم	١٤٧
الحديث الثاني : الكذب على الرسول ﷺ	١٤٨
ذكر سبب الحديث وتواتره	١٤٩
الحديث الثالث : لعن آكل الربوا وموكله وشاهده	١٥١

الموضوع	صفحة
رَبَا الْفَضْلِ	١٥١
رَبَا النَّسِئَةِ	١٥٢
هل يجوز لمن معين	١٥٥
الحديث الرابع : النبذ في سقاء	١٥٥
شروط النيذ الحلال	١٥٦
الحديث الخامس : كسب الحجام	١٥٨
الحديث السادس : النهي عن بيع الحاضر للبادي	١٦١
الحديث السابع : الشفعة	١٦٣
شفعة الشريك	١٦٣
شفعة الجار	١٦٦
اشتراط المطالبة بالشفعة	١٦٧
تحريم الاحتيال لاسقاط حق الشفع	١٦٨
سقوط الشفعة	١٦٨
الحديث الثامن : النهي عن التحديث بالمنام	١٦٩
الرؤيا الصالحة	١٧١
حقيقة الرؤيا	١٧٢
آداب الرؤيا الصالحة	١٧٤
الحديث التاسع : سخاء رسول الله ﷺ	١٧٨
ترجمة محمد بن المنكدر	١٧٨
شرح الحديث	١٧٩

الموضوع	صفحة
السخاء والجود وتعريفها والنصوص الواردة في ذلك	١٨١
الحديث العاشر : كشف وجه الميت والبكاء عنده	١٨٤
تعيين مكان جبل أحد	١٨٤
جواز البكاء على الميت	١٨٦
الحديث الحادي عشر : التكنية بأبي القاسم	١٨٩
الاسم واللقب والكنية	١٩٣
اختلاف العلماء في التكنية بأبي القاسم	١٩٣
سبب كراهة التسمية بالقاسم	١٩٦
التسمية بمحمد وأحمد وأسماء الأنبياء	١٩٧
الحديث الثاني عشر : انتداب الناس يوم الخندق	١٩٩
موضع الخندق وحفره	٢٠٠
انتداب الزبير	٢٠٠
ترجمة الزبير ومناقبه	٢٠٠
الحديث الثالث عشر : في نزول آية المبرات	٢٠٣
صنع الأداء في الحديث	٢٠٤
ترجمة أبي بكر الصديق	٢٠٤
مناقبه	٢٠٤
عيادة المريض وفضلها	٢٠٥
حكم عيادة المريض الكافر	٢٠٦
حكم عيادة المريض المسلم	٢٠٧

الموضوع	صفحة
الاحاديث الواردة في عيادة المريض	٢٠٧
عيادة المعفى عليه	٢١٠
صب وضوء رسول الله ﷺ على جابر وهو مغمى عليه	٢١٠
طهارة الماء المستعمل في رفع الحدث	٢١٠
تبرك الصحابة بفضل وضوئه ﷺ	٢١١
سؤال جابر رسول الله ﷺ عن تركته	٢١١
زول آية الميراث جواباً لسؤال جابر	٢١٢
آداب عيادة المريض	٢١٣
الدعاء للمريض وماورد فيه	٢١٥
الحديث الرابع عشر : عدم الوضوء من أكل اللحم المشوي	٢١٦
الوضوء مما مسته النار	٢١٧
مذهب السلف حول الوضوء مما مسته النار	٢١٨
ققض الوضوء بأكل لحم الجزور	٢١٩
الاحاديث الواردة في ققض الوضوء بأكل لحم الجزور	٢٢٠
الحديث الخامس عشر : نفي المدينة لخصت من الناس	٢٢١
مبايعة الرسول ﷺ على الهجرة	٢٢٢
مضى الاقالة والمراد منها	٢٢٢
نفي المدينة شرار الناس	٢٢٤
الاحاديث الواردة في فضل المدينة	٢٢٥
فضل الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ	٢٢٧

الموضوع	صفحة
الحديث السادس عشر : وفاة أبي بكر بوعد رسول الله ﷺ	٢٢٨
تعيين مكان البحرين	٢٢٩
وعد رسول الله ﷺ باعطاء جابر من مال البحرين	٢٣٢
حكم إنجاز الوعد وأقوال العلماء فيه	٢٣٢
التحذير من البخل والتنفير منه	٢٣٥
التمييز بين الشح والبخل	٢٣٥
الاحاديث الواردة في ذم الشح والبخل	٢٣٦
الحديث السابع عشر : الحض على التزوج بالبكر	٢٣٩
سبب عدول جابر عن الزواج بالبكر	٢٤١
تعريف الثيب والبكر من النساء	٢٤٢
دلالة الحديث على فضيلة التزوج بالبكر	٢٤٢
تقديم أم المصلحين إذا تراحمنا	٢٤٢
الحديث الثامن عشر : حكم إطالة الصلاة	٢٤٣
ترجمة معاذ بن جبل	٢٤٤
حكم مفارقة المأموم للإمام لمذر	٢٤٨
تعريف النفاق	٢٤٩
حكم اقتداء المفترض بالتنفل	٢٥١
أقوال الأئمة في اقتداء المفترض بالتنفل	٢٥٢
استحباب تخفيف الصلاة	٢٥٥

الموضوع	صفحة
أقوال الأئمة في حكم صلاة الجماعة .	٢٥٥
الحديث التاسع عشر : الخدعة في الحرب	٢٥٦
تعريف الخدعة وحكمها	٢٥٧
الكلام على الكذب والماريض وحكمها	٢٥٨
الحديث العشرون : تحية المسجد يوم الجمعة والامام يخطب	٢٦١
أقوال الأئمة في ذلك	٢٦٢
الكلام يوم الجمعة حال الخطبة .	٢٦٣
الحديث الحادي والعشرون : دخول المسجد بالسلاح	٢٦٤
تعريف السهام	٢٦٤
جواز إدخال السلاح الى المسجد	٢٦٥
الحديث الثاني والعشرون : بيع المدبر	٢٦٥
تعريف المدبر	٢٦٦
ترجمة عبد الله الزبير	٢٦٧
أقوال الأئمة في بيع المدبر	٢٧٠
الحديث الثالث والعشرون : آخر من يدخل الجنة	٢٧١
الخروج من النار بالشفاعة	٢٧٢
الخروج من النار لمن كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان	٢٧٣
الحديث الرابع والعشرون : أصحاب الحديدية ومدحهم	٢٧٤
ضبط كلمة الحديدية وتعيين مكانها	٢٧٤
عدد أصحاب الحديدية	٢٧٥

الموضوع	صفحة
أول من بايع النبي ﷺ يوم الحديبية	٢٧٦
الحديث الخامس والعشرون : معاوية الأصحاب للاستشهاد	٢٧٨
يوم أحد	
تعيين مكان أحد	٢٧٩
الخلاف في مقتل عمير بن الحمام	٢٧٩
مصير من قتل في سبيل الله	٢٨١
خصال الشهيد في سبيل الله	٢٨٢
الحديث السادس والعشرون : في أكل الحوت في سرية العنبر	٢٨٢
السمكة وتمريفها	٢٨٣
منافع العنبر من الطيب	٢٨٤
أكل الصحابة من الحوت	٢٨٦
الحديث السابع والعشرون : استعاذة رسول الله ﷺ عند	٢٨٨
نزول بعض الآيات	
وقوع الخسف والرجم في الأمة	٢٨٩
سؤال رسول الله ﷺ ربه أشياء لأمته	٢٩٢
الحديث الثامن والعشرون : الطواف لمن أهل بعمرة	٢٩٣
حكم السمي بين الصفا والمروة لمن أهل في الحج بعمرة	٢٩٤
الحديث التاسع والعشرون : العزل عن المرأة	٢٩٤
عزل الصحابة	٢٩٥
الاحاديث الواردة في العزل	٢٩٦

الموضوع	صفحة
اختلاف السلف في العزل	٢٩٦
أقوال الاثمة الأربعة في العزل	٢٩٧
العزل في دار الحرب	٢٩٧
حق المرأة من الوطاء	٢٩٨
الاختلاف في علة النهي	٣٠١
<b>الحديث الثلاثون : رؤية رسول الله ﷺ قصر عمر في الجنة</b>	٣٠٢
غيرة رسول الله ﷺ	٣٠٥
غيرة عمر بن الخطاب	٣٠٥
ترجمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٣٠٦
من مناقب عمر بن الخطاب	٣٠٧
تولي عمر الخلافة	٣١٠
مقتل عمر رضي الله عنه ووفاته	٣١١
رواية عمر للحديث	٣١١
دلالة الحديث على وجود الجنة والحدود المين الآن	٣١٢
إنكار المعتزلة والقدرية وجود الجنة الآن	٣٢
أقوال السلف في وجود النار	٣١٣
<b>مسند أنس بن مالك</b>	٣١٦
ترجمة أنس بن مالك	٣١٦
ترجمة أم سليم أم أنس	٣١٧
رواية أنس للحديث	٣١٧



الموضوع	صفحة
وفاة أنس بن مالك	٣١٨
الحديث الاول : مدحه ﷺ للانصار	٣١٨
ترجمة ابن علي	٣١٨
شرح كلمة اللهم ومعناها	٣٢٠
الأحاديث الدالة على فضل الانصار	٣٢١
الحديث الثاني : تسميت العاطس	٣٢٥
ترجمة سليمان التيمي	٣٢٥
الكلام على التسميت والتسميت : بالشين والسين	٣٢٧
تسميت من حمد الله	٣٢٩
الأحاديث الواردة في تسميت العاطس الذي حمد الله	٣٣٠
ألفاظ التسميت	٣٣٣
حكم إجابة المشمت	٣٣٤
من لا يجب تسميتهم	٣٣٥
الحديث الثالث : نواضع رسول الله ﷺ	٣٣٧
ترجمة حميد الطويل	٣٣٧
نواضع رسول الله ﷺ وحسن خلقه	٣٣٨
رجحان عقل رسول الله ﷺ	٣٣٩
خلقته ﷺ	٣٣٩
ما يدخل في حسن الخلق	٣٤٠
الحديث الرابع : الكذب على رسول الله ﷺ	٣٤٠
جزاء الكاذب على رسول الله ﷺ	٣٤١

الموضوع	صفحة
الحديث الخامس : وليمة رسول الله ﷺ في العرس	٣٤١
ترجمة زينب بنت جحش	٣٤١
الكلام على وليمة العرس والاطعام فيها	٣٤٢
حكم وليمة العرس والنصوص فيها	٣٤٣
ما يجزىء في الوليمة	٣٤٤
وقت وليمة العرس	٣٤٥
حكم الاجابة الى وليمة العرس	٣٤٥
حكم اجابة الوليمة إذا تكررت	٣٤٦
الحديث السادس : صلاة الرسول ﷺ في برد حبرة	٣٤٧
الصلاة في الثوب الواحد	٣٤٨
وجوب ستر المورة في الصلاة	٣٤٩
حلة رسول الله ﷺ	٣٥٠
أقوال السلف في لبس الثوب الأحمر	٣٥١
الحديث السابع : طوافه ﷺ على نسائه بغسل واحد	٣٥٣
عدد نساء رسول الله ﷺ	٣٥٤
قوته ﷺ في الجماع	٣٥٥
فضل رسول الله ﷺ على الناس بأربعة أشياء	٣٥٦
حكم القسم بين النساء في حق رسول الله ﷺ	٣٥٧
الحديث الثامن : ما يقال عند دخول الغلاء	٣٥٨
معنى العياذ بالله	٣٥٩

الموضوع	صفحة
آداب دخول الخلاء	٣٦٠
ضبط لفظي : الخبث والخبائث في الحديث	٣٦١
آداب الخروج من الخلاء	٣٦٢
الحديث التاسع : ردّ السلام على أهل الكتاب	٣٦٢
كيفية ردّ السلام على أهل الكتاب .	٣٦٣
الحديث العاشر : نصر المسلم ظالماً أو مظلوماً	٣٦٣
ترجمة يونس البصري	٣٦٤
ترجمة الحسن البصري	٣٦٤
إنكار سماع الحسن البصري من علي بن أبي طالب	٣٦٥
أحاديث الحسن عن علي بن أبي طالب	٣٦٧
مناقب الحسن البصري	٣٦٧
الظلم وأنواعه	٣٧٠
الحديث الحادي عشر : الحث على السحور	٣٧٦
السحور وفضله	٣٧٧
وقت السحور	٣٧٧
ما يحصل به السحور ، و حكمه	٣٧٧
تأخير السحور	٣٧٧
تمجيل النظر	٣٧٨
الحديث الثاني عشر : خاتم النبي ﷺ	٣٧٩
من أي المادن يكون الخاتم ؟	٣٨١

الموضوع	صفحة
يحرم خاتم الذهب على الذكور	٣٨٣
التختم بالمقيق	٣٨٤
الحديث الثالث عشر : الإقامة عند الثيب ثلاثاً	٣٨٥
الحديث الرابع عشر : جعل عتق الأمة صداقها	٣٨٨
الصداق : مشروعيته ومقداره	٣٩١
الحديث الخامس عشر : وليمة رسول الله ﷺ	٣٩٥
الحديث السادس عشر : الفيمياء أم أنس في الجنة	٣٩٨
الحديث السابع عشر : كسر وباعية النبي ﷺ وشج جبهته :	٤٠٠
سبب غزوة أحد	٤٠٦
عدة من ثبت معه	٤٠٨
دور طلحة في أحد	٤٠٩
صراخ الشيطان في أحد	٤١١
عدد شهداء أحد	٤١٤
الحديث الثامن عشر : التلبية بالهج والمرة جميعاً	٤١٥
حكم التلبية	٤١٧
التمتع	٤١٨
طواف القارن وسعيه	٤١٩
الحديث التاسع عشر : وكوب البدنة	٤٢٠
ترجمة ثابت البناني	٤٢٠
البدنة : ضبطها واختلاف العلماء في جوارز ركوبها	٤٢٢

الموضوع	صفحة
الحديث العشرون : تسميت العاطس إذا حمد الله	٤٢٥
ترجمة متمر بن سليمان	٢٤٥
الحديث الحادي والعشرون : من الذي ينفي أن يلي الامام	٤٢٦
تقديم الرجال فالعبيد ، ثم الصبيان . . .	٤٢٩
إقامة الصف	٤٣٠
الحض على الصف الأول	٤٣٠
تسوية الصف من تمام الصلاة	٤٣١
الحديث الثاني والعشرون : خضب الشيب	٤٣٢
فوائد الخضب	٤٣٥
هل خضب رسول الله ﷺ ؟	٤٣٧
هل يُسن الخضب	٤٤٠
التفريق في سنية الخضب بين النساء والرجال	٤٤٢
الحديث الثالث والعشرون : الأمر بتناول القيمة الساقطة بعد	٤٤٣
مسح ما بها من الأذى	
الحكمة في ذلك	٤٤٣
الحديث الرابع والعشرون : إعطاء الحاجم أجرته	٤٤٦
التداوي بالحجامة	٤٤٧
متى تكون الحجامة ؟	٤٥٠
موضع الحجامة من البدن	٤٥١
الحديث الخامس والعشرون : تخفيف الصلاة مع إتمامها	٤٥٣

الموضوع	صفحة
الحديث السادس والعشرون : الصلاة في النعال	٤٥٦
ترجمة عباد بن عباد الأزدي	٤٥٦
هل تسن الصلاة في النعال ؟	٤٥٨
الاستكثار من النعال	٤٥٩
الاسترجاع عند انقطاع السمع	٤٦٠
الحديث السابع والعشرون : إنكار أنس لما صنع الناس بعد النبي ﷺ	٤٦١
إنكار أنس على الحجاج تأخير الصلاة	٤٦٣
النهي عن تأخير الصلاة	٤٦٤
بعض ما أثر عمر بن عبد العزيز وشيخه من ترجمته	٤٦٥
الحديث الثامن والعشرون : النهي عن تمشي الموت حكمة النهي	٤٦٧
٤٦٨	
الحديث التاسع والعشرون : النهي عن النزغفر للرجل	٤٧٥
الحديث الثلاثون : العزم في الدعاء	٤٧٩
الحديث الواحد والثلاثون : أكثر دعوة كان يدعوها النبي ﷺ	٤٨١
ترجمة قتادة	٤٨١
شرح الحديث	٤٨٢
الحديث الثاني والثلاثون : التطويل في الصلاة	٤٨٤
الحديث الثالث والثلاثون : ما يقال عند دخول الغلاء	٤٨٦
الحديث الرابع والثلاثون : الأضحية بكبشين	٤٨٨

الموضوع	صفحة
وقت الأضحية	٤٨٩
ما يصح تضحيته	٤٨٩
حكم الأضحية	٤٩٠
ما يؤكل منها ولا يوزع	٤٩٠
هل يذبح المضحي بيد أم يوكل	٤٩١
الحديث الخامس والثلاثون : لبس الحرير	٤٩٢
الحديث السادس والثلاثون : الاقتصاد في العبادة	٤٩٥
الحديث السابع والثلاثون : مناجاة بين النبي ﷺ ورجل بعد إقامة الصلاة	٥٠٢
الحديث الثامن والثلاثون : معاملة النبي ﷺ خدمه	٥٠٣
ترجمة أبي طلحة	٥٠٣
شرح الحديث	٥٠٥
الحديث التاسع والثلاثون : خاتمة رسول الله ﷺ	٥٠٨
الحديث الأربعون : إيجاز الرسول لصلاته مع إكالمها	٥١٢
الحديث الواحد والأربعون : زواج الرسول من صفية بنت حبي	٥١٣
وقت صلاة الفجر	٥١٥
فتح خيبر	٥١٨
الحديث الثاني والأربعون : درع الرسول مرهونة عند يهودي	٥٢٧
ترجمة محمد بن فضيل	٥٢٨
ترجمة الأعمش	٥٢٨
شرح الحديث	٥٣٠

الموضوع	صفحة
الحديث الثالث والاربعون : الكوثر الموعود به ﷺ	٥٣١
تعريف الكوثر والأحاديث الواردة فيه .	٥٣٢
الحديث الرابع والاربعون : نزول سورة الكوثر	٥٣٣
معنى الاغفاء	٥٣٣
أحاديث عن الكوثر	٥٣٤
اختلاج المبتدعين بمدر رسول الله ﷺ عن الكوثر	٥٣٦
ثبوت وجود الحوض والكوثر بالنص والاجماع	٥٣٧
سمة حوضه ﷺ	٥٣٧
الأحاديث الواردة في الحوض .	٥٤٠
الحديث الخامس والاربعون : التساؤل في خلق الله	٥٤٢
أقسام السؤال في الشريعة الاسلامية .	٥٤٣
القلب وعوارضه .	٥٤٤
السؤال عن خلق الله .	٥٤٧
وساوس الشيطان للانسان .	٥٤٩
كراهة كثرة السؤال فيما لا فائدة فيه .	٥٥٣
النهي عن أغلوطات المسائل .	٥٥٥
ذم التفكير في ذات الله .	٥٥٦
التفكير والتذكر وثمرتهما .	٥٥٧
الحديث السادس والاربعون : عدم مسابقة الامام في الركوع	٥٥٨
والسجود	
الاحاديث الواردة في ذلك	٥٦٠



الموضوع	صفحة
التسليم في الفرض والنفل	٥٦٤
حكم متابعة الامام	٥٦٥
اختلاف العلماء في رؤية النبي ﷺ من خلفه	٥٦٥
بعض ألفاظ القسم	٥٦٧
حلف المقتي على ثبوت الحكم عنده	٥٦٧
المواضع التي أقسم فيها رسول الله ﷺ	٥٦٨
حلف الصحابة على الفتاوى والرواية	٥٦٨
حلف أحمد بن حنبل في مسائله	٥٦٨
حلف الشافعي والائمة	٥٦٨
تخويف رسول الله ﷺ للصحابة من عذاب الله	٥٦٨
الحديث السابع والأربعون : عدم خروج رسول الله ﷺ	٥٧٣
الى المسجد خشية فرضية قيام الليل	
ترجمة بن عدي البصري	٥٧٣
ترك رسول الله ﷺ الجماعة في قيام رمضان خشية فرضيتها	٥٧٤
جمع عمر بن الخطاب الناس في قيام رمضان	٥٧٥
تأكيد قيام أوتار ليالي الشر الأخير من رمضان	٥٧٦
مشروعية صلاة التراويح واستجابها	٥٧٦
حكم صلاة التراويح وعدد ركعاتها	٥٧٦
معنى قول عمر : نعمت البدعة هذه	٥٧٧

الموضوع	صفحة
الحديث الثامن والأربعون : إبطال الرسول ﷺ لأعياد الجاهلية	٥٧٨
الوقت الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة	٥٧٨
أول من اتخذ النيروز والمهرجان	٥٧٩
سبب تسمية العيد	٥٧٩
أعياد المسلمين	٥٨٠
الحديث التاسع والأربعون : سماع رسول الله ﷺ عذاب القبر	٥٨٢
ترجمة بني النجار	٥٨٢
شرح قول رسول الله ﷺ : لولا أن لا تدافنوا للدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر	٥٨٣
الأحاديث الواردة في عذاب القبر	٥٨٣
إثبات أهل السنة والجماعة لعذاب القبر خلافاً للخوارج وغيرهم	٥٨٤
قول ابن القيم في الروح بعد مفارقة الجسد	٥٨٤
اتفاق أهل السنة والجماعة على شمول النعيم والعذاب على النفس والبدن	٥٨٥
كلام ابن تيمية وابن القيم في البرزخ والروح	٥٨٦
المراد من قوله ﷺ لولا أن لا تدافنوا . . . الخ	٥٨٨
عذاب أهل الجاهلية في قبورهم والخلاف فيه	٥٨٨
عدم اختصاص عذاب القبر وسؤال الملكين بهذه الامة	٥٨٨

الموضوع	صفحة
الحديث الخمسون : وؤبة رسول الله ﷺ لنهر الكوثر	٥٨٩
صفات نهر الكوثر	٥٨٩
الحديث الحادي والخمسون : تخلف المسلمين عن غزوة تبوك لعذر	٥٩٠
المتخلف لمذر شريك للسائر في الأجر	٥٩١
استمرار الثواب على العمل للريض أو المسافر إذا كان	٥٩٢
بمعله مقبلاً صحيحاً	
الحديث الثاني والخمسون : وضع الشيء بعد رفعه	٥٩٤
الكلام على ناقة رسول الله ﷺ	٥٩٤
صفة المضياء والقصواء	٥٩٤
الكلام على القمود	٥٩٥
حكم المسابقة في الأشياء بموض وغير عوض	٥٩٧
أقوال الأئمة في المسابقة	٥٩٧
شروط أخذ العوض والرهان	٥٩٨
زيادة أبو البخترى في حديث المسابقة	٥٩٩
الكلام على واضع حديث الحمام	٦٠٠
الحديث الثالث والخمسون : إقامة الصلاة وتراص الصفوف فيها	٦٠١
الأحاديث الواردة في فضل تسوية الصفوف وتراصها	٦٠٢
الحديث الرابع والخمسون : نوم رسول الله ﷺ وصلاته	٦٠٣
بالليل وصومه وفطره	
دلالة الحديث على قيام رسول الله ﷺ وتهجده بالليل	٦٠٤
تعريف التهجد	٦٠٥

الموضوع	صفحة
الأحاديث الواردة في فضل قيام الليل	٦٠٥
افتتاح التهجد بركعتين خفيفتين	٦٠٥
فضل الذكر والوضوء والصلاة عند القيام من النوم	٦٠٥
أحب القيام والصيام الى الله تعالى	٦٠٦
حكم قيام الليل بالنسبة لرسول الله ﷺ	٦٠٨
وصية رسول الله ﷺ لابني هريرة	٦١١
فضل الصيام وترك الرفث والصخب فيه	٦١١
الكلام على خلوف فم الصائم	٦١١
الحديث اغامس والخمسون : كون المرء مع من أحب	٦١٣
سؤال الأعرابي رسول الله ﷺ عن قيام الساعة	٦١٤
شروط محبة الله ورسوله	٦١٥
اللغات الواردة في كلمة المرء	٦١٥
قول رسول الله ﷺ : المرء مع من أحب	٦١٥
فرح المسلمين بقول : المرء مع من أحب	٦١٦
إطاعة المحب للمحجوب	٦١٧
درجات محبة الله سبحانه وتعالى	٦١٧
درجات محبة رسول الله ﷺ	٦٢٠
دلالة الحديث على انفراد علم الله بمجيبه الساعة	٦٢١
الآيات والاحاديث الواردة في انفراد علم الله بالساعة	٦٢٢
حكم مدعي علم الغيب	٦٢٣

الموضوع	صفحة
الأحاديث الواردة في تحديد مدة الدنيا لا أصل لها	٦٢٣
قول ابن القيم في العلامات التي تعرف بها الأحاديث الموضوعية	٦٢٤
الحديث السادس والخمسون : اختلاف نساء الرسول ﷺ	٦٢٤
مع بعضهن	
تعريف الصخب والسخب	٦٢٦
معنى الخثر واللغات الواردة في كلتي القم والتراب	٦٢٧
إقامة الصلاة والامام في منزله إذا كان يسمها	٦٢٨
عدد أزواج رسول الله ﷺ	٦٢٨
الحديث السابع والخمسون : عدم تمني الموت لضرر أصابه	٦٢٩
الحديث الثامن والخمسون : مداومة أبي طلحة على الصوم في	٦٣٠
عهد النبي ﷺ وبعده	
الأحاديث الواردة في فضل الصيام	٦٣١
من سرد الصوم من الصحابة والسلف	٦٣٢
الحديث التاسع والخمسون : اعتكافه ﷺ في العشر الأواخر	٦٣٢
من ومضان	
معنى الاعتكاف لفة وشرعاً	٦٣٣
فوائد الاعتكاف	٦٣٣
شروط الاعتكاف	٦٣٣
تأخير الاعتكاف لسفر	٦٣٤
حكم الاعتكاف	٦٣٦

الموضوع	صفحة
جواز الاعتكاف بغير صوم	٦٣٦
شروط صحة الاعتكاف	٦٣٧
قضاء السنن إذا فاتت	٦٣٧
الحديث الستون : لا يلقى الحبيب حبيبه في النار	٦٣٨
تعريف القوم	٦٣٩
مضى محبة الله	٦٤٠
أول من أنكر المحبة في الاسلام	٦٤٠
إيذان الله بالحرب لمن عادى أولياءه	٦٤١
التقرب الى الله بأداء الواجبات والبعد عن المحرمات	٦٤١
دلالة الحديث على سعة رحمة الله عز وجل	٦٤٤
الحديث الحادي والستون : استسقاء رسول الله ﷺ بالدعاء	٦٤٨
استعمال كلمة اليد حقيقة ومجازاً	٦٤٩
استسقاء رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو على المنبر	٦٥١
رفع اليدين في دعاء الاستسقاء	٦٥٢
مراتب الدعاء	٦٥٣
مواطن رفع اليدين في الدعاء	٦٥٤
كراهة رفع اليدين بالدعاء في خطبة الجمعة	٦٥٤
مسح الوجه باليدين بعد الدعاء	٦٥٥
كيفية رفع اليدين في الدعاء	٦٥٥
دعاء رسول الله ﷺ بتحول المطر عن البيوت	٦٥٧
تبسم رسول الله ﷺ من سرعة ملائكة ابن آدم	٦٥٨
مشروعية الاستسقاء وأنواعه	٦٦٠

الموضوع	صفحة
الحديث الثاني والستون : نداء قتلى بدر	٦٦٣
مقتل أبي جهل	٦٦٤
الحديث الثالث والستون : المنة لله ورسوله على الأنصار	٦٧١
أقسام الهداية	٦٧٩
الحديث الرابع والستون : استشارة النبي ﷺ للأنصار في القتال خارج المدينة	٦٧٩
خروج الرسول الى بدر	٦٨٠
معنى « وشاورم في الأمر »	٦٨١
إشكال في «صحيح مسلم»	٦٨٦
الحديث الخامس والستون : بدء الحجاب	٦٨٧
دفاع المسلمين عن رسول الله ﷺ	٦٩١
الحديث السابع والستون : خير دور الأنصار	٦٩٤
الحديث الثامن والستون : قدوم الأشعريين	٦٩٧
رقة القلب	٦٩٨
ترجمة أبي موسى الأشعري	٦٩٩
الحديث التاسع والستون : الأشعريون	٧٠١
ترجمة يزيد بن هارون	٧٠٢
الحديث السبعون : غيرة النساء	٧٠٥
الحديث الحادي والسبعون : حديث أبي طلحة وزوجته	٧١٠
تحنيك الطفل	٧١٩
الحديث الثاني والسبعون : أعياد المسلمين	٧٢٢
الحديث الثالث والسبعون : منع الناظر الى بيوت الناس	٧٢٣
الاستئذان من أجل البصر	٧٢٥
تفسير آية الاستئذان	٧٢٥

الموضوع	صفحة
لصاحب البيت فقا عين الناظر من الثقب	٧٢٦
كيفية الاستئذان	٧٢٨
الحديث الرابع والسبعون : شج النبي ﷺ يوم أحد	٧٢٩
الحديث الخامس والسبعون : الاستعاذة من الكسل والبخل وعذاب القبر	٧٣٠
عذاب القبر هو عذاب البرزخ	٧٣٢
عذاب القبر قيمان	٧٣٣
أسباب عذاب القبر	٧٣٤
الأسباب المنجية من عذاب القبر	٧٣٨
الحديث السادس والسبعون : قصر سيدنا عمر بن الخطاب في الجنة	٧٣٩
سبب تسمية قريش	٧٤٠
الحديث السابع والسبعون : الاحتجام	٧٤١
احتجام الرسول ﷺ	٧٤٢
كسب الحجام	٧٤٢
القسط البحري	٧٤٤
الحديث الثامن والسبعون : تحريم الخمر	٧٤٧
الخمر كل ما يسكر	٧٤٧
الحديث التاسع والسبعون : تحريم الخمر	٧٥٠
ترجمة أبي بن كعب الأنصاري	٧٥١
ترجمة سهيل بن وهب	٧٥٢
الاختلاف في وقت تحريم الخمر	٧٥٦
ذكر سبب تحريم الخمر	٧٥٧
مواقف عمر في تحريم الخمر ونزول الآيات فيه	٧٥٩
سبب تسمية الخمر خمرأ	٧٦١
ما يتخذ منه الخمر	٧٦٢
الحديث الثانون : خروج المهتممين من الجحيم	٧٦٧



الموضوع	صفحة
ترجمة وكيع بن الجراح	٧٦٨
روايته الحديث	٧٦٨
وفاته	٧٦٩
ترجمة يزيد بن أبي صالح	٧٦٩
تسمية الجحيم	٧٦٩
الخروج من النار لمن كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان	٧٧١
اتفاق أهل السنة والجماعة على عدم خلود أهل الإيمان في النار	٧٧٣
شفاعة الأنبياء والملائكة والعلماء والصالحين	٧٧٥
اتفاق الصحابة والتابعين وسائر الأئمة في شفاعته النبي	٧٧٦
ﷺ في أهل الكبائر	
نوع الشفاعته التي أنكرها المعتزلة والخوارج	٧٧٧
الحديث الحادي والثمانون: إهلال رسول الله ﷺ بالحج والعمرة	٧٧٩
تعريف الإهلال بالحج	٧٨٠
أنواع الحج	٧٨٠
اختلاف العلماء في القارن	٧٨١
لزوم دم النسك للقارن	٧٨١
تخيير الحاج بين التمتع والافراد والقران	٧٨١
كلام الأئمة في أنواع الحج	٧٨١
صفة التمتع	٧٨٢
الحديث الثاني والثمانون : زيادة الماء ببركة رسول الله ﷺ	٧٨٢
مجزئة رسول الله ﷺ في زيادة الماء	٧٨٣
اختلاف العلماء في الماء الذي ينع من بين أصابع النبي ﷺ	٧٨٥
الحديث الثالث والثمانون : الثواب على كثرة الخطا الى المسجد	٧٨٥
فضل الخطوات الى المساجد	٧٨٧
فضل الصلاة مع الجماعة	٧٨٧

الموضوع	صفحة
فضل المني الى المساجد	٧٨٨
الحديث الرابع والثمانون : المشي الى الصلاة بالسكينة والوقار	٧٨٩
فضل قول : الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً	٧٩٢
بم تدرك صلاة الجماعة	٧٩٤
الحديث الخامس والثمانون : سماعه ﷺ خشفة الفميصاء في الجنة	٧٩٨
الحديث السادس والثمانون : توفيق الله العبد للعمل الصالح	٧٩٩
معنى التوفيق	٨٠٠
تفسير الجبرية والقدرية للتوفيق	٨٠٠
معنى استعمله وعسله في الحديث	٨٠٢
الكلام على الخاتمة	٨٠٢
كتابة المقادير السابقة لخلق الخلائق	٨٠٣
كتابة الملك للجنين في بطن أمه	٨٠٤
العمل بين السابقة والخاتمة	٨٠٦
الخوف من السابقة والخاتمة	٨٠٦
الحديث السابع والثمانون : رؤيا المؤمن جزء من سنة	٨٠٧
وأربعين جزءاً من النبوة	
اختلاف الروايات في عدد الأجزاء	٨٠٨
الحديث الثامن والثمانون : غنى الله عن تعذيب الانسان نفسه	٨٠٩
النذر بالمني الى بيت الله الحرام	٨١١
كفار النذر الذي لا يطاق كقارة يمين	٨١٢
اختلاف الأئمة فيمن نذر أن يمجج ماشياً	٨١٢
نذر المني الى مسجد المدينة	٨١٣
الحديث التاسع والثمانون : الرفق بسيافة النساء	٨١٥
سوق أمجشة لأمهات المؤمنين	٨١٥
تفسير حديث : رويدك سوقك بالقوارير	٨١٦